



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغفلة



الرعد
عليه صاب

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

الإمام أحمد

في

التاريخ الحديث

تأليف

الإمام أحمد بن حنبل

الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن عبد البر

١٧٤١-١٨١٢

المجلد ١.٢

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

آلاء الرحمن فى تفسير القرآن

كاتب:

محمد جواد بلاغى

نشرت فى الطباعة:

موسسه البعثه

رقمى الناشر:

مركز القائمىه باصفهان للتحريات الكمبيوترىه

الفهرس

٥	الفهرس
١٩	آلاء الرحمن فى تفسير القرآن
١٩	اشاره
٢٠	المجلد ١
٢٠	اشاره
٢١	مقدمه
٢١	الفصل الأول: فى اعجازه
٢١	اشاره
٢١	وجه شهاده المعجز
٢١	توضيح ذلك
٢٢	حكمه تنوع المعجز
٢٢	حكمه كون المعجز للعرب هو القرآن
٢٣	امتيازه عن غيره من المعجزات
٢٧	اعجازه من وجهه التاريخ
٢٩	اعجازه فى وجهه الاحتجاج
٣٠	اعجازه من وجهه الاستقامه و السلامه من الاختلاف و التناقض
٣١	اعجازه فى وجهه التشريع العادل و نظام المدنيه
٣٢	اعجازه من وجهه الأخلاق
٣٣	اعجازه فى وجهه علم الغيب
٣٥	الفصل الثانى فى جمعه فى مصحف واحد
٣٥	اشاره
٣٧	اضطراب الروايات فى جمع القرآن
٣٧	الأمر الأول
٣٧	(الثانى) بعض ما الصق بكرامه القرآن ا (الثانى) بعض ما الصق بكرامه القرآن الكريم

٣٩	(الأمر الثالث
٤١	الأمر الرابع
٤٢	الأمر الخامس
٤٣	قول الإماميه بعدم النقيصه في القرآن
٤٨	الفصل الثالث في قراءته
٥٢	الفصل الرابع في تفسيره
٥٢	اشاره
٥٢	(المقام الأول
٥٧	المقام الثاني
٦٣	المقام الثالث
٦٨	المقام الرابع
٦٩	خاتمه
٧٠	فاتحه الكتاب
٧٠	تسميتها
٧٠	بركتها
٧٠	محل نزولها
٧٠	سوره الفاتحه (١): آيه ١
٧٠	اشاره
٧٠	بسملتها
٧٢	الجهر بالبسمله
٧٢	اعراب البسمله
٧٣	خلق القرآن
٧٥	سوره الفاتحه (١): الآيات ٢ الى ٣
٧٦	سوره الفاتحه (١): آيه ٤
٧٧	سوره الفاتحه (١): آيه ٥
٧٧	اشاره

٧٩	العباده
٨١	حصر الاستعانه بالله جل اسمه
٨٢	الاستشفاع إلى الله
٨٣	الاستشفاع بالمقربين من الأموات
٨٣	بقاء النفس بعد الموت
٨٤	الشفاعه
٨٥	سوره الفاتحه (١): الآيات ٦ الى ٧
٨٥	سوره البقره
٨٥	اشاره
٨٦	سوره البقره (٢): الآيات ١ الى ٤
٨٧	سوره البقره (٢): آيه ٥
٨٨	سوره البقره (٢): الآيات ٦ الى ٧
٩١	سوره البقره (٢): الآيات ٨ الى ٩
٩٢	سوره البقره (٢): آيه ١٠
٩٣	سوره البقره (٢): الآيات ١١ الى ١٥
٩٤	سوره البقره (٢): الآيات ١٦ الى ١٧
٩٥	سوره البقره (٢): آيه ١٨
٩٦	سوره البقره (٢): آيه ١٩
٩٧	سوره البقره (٢): الآيات ٢٠ الى ٢٢
٩٨	سوره البقره (٢): آيه ٢٣
٩٩	سوره البقره (٢): الآيات ٢٤ الى ٢٥
١٠٠	سوره البقره (٢): آيه ٢٦
١٠١	سوره البقره (٢): آيه ٢٧
١٠٢	سوره البقره (٢): آيه ٢٨
١٠٣	سوره البقره (٢): آيه ٢٩
١٠٣	اشاره

١٠٣	تنبيه
١٠٥	سوره البقره (٢): آيه ٣٠
١٠٧	سوره البقره (٢): الآيات ٣١ الى ٣٣
١٠٨	سوره البقره (٢): الآيات ٣٤ الى ٣٥
١٠٩	سوره البقره (٢): آيه ٣٦
١١٠	سوره البقره (٢): الآيات ٣٧ الى ٣٨
١١١	سوره البقره (٢): الآيات ٣٩ الى ٤٠
١١٢	سوره البقره (٢): الآيات ٤١ الى ٤٣
١١٣	سوره البقره (٢): الآيات ٤٤ الى ٤٦
١١٤	سوره البقره (٢): الآيات ٤٧ الى ٤٩
١١٥	سوره البقره (٢): الآيات ٥٠ الى ٥١
١١٦	سوره البقره (٢): الآيات ٥٢ الى ٥٥
١١٧	سوره البقره (٢): الآيات ٥٦ الى ٥٧
١١٨	سوره البقره (٢): الآيات ٥٨ الى ٥٩
١١٩	سوره البقره (٢): الآيات ٦٠ الى ٦١
١٢٠	سوره البقره (٢): آيه ٦٢
١٢٢	سوره البقره (٢): الآيات ٦٣ الى ٦٦
١٢٣	سوره البقره (٢): الآيات ٦٧ الى ٧١
١٢٤	سوره البقره (٢): الآيات ٧٢ الى ٧٤
١٢٥	سوره البقره (٢): الآيات ٧٥ الى ٧٦
١٢٦	سوره البقره (٢): الآيات ٧٧ الى ٨١
١٢٧	سوره البقره (٢): الآيات ٨٢ الى ٨٤
١٢٨	سوره البقره (٢): الآيات ٨٥ الى ٨٧
١٢٩	سوره البقره (٢): الآيات ٨٨ الى ٩٠
١٣٠	سوره البقره (٢): آيه ٩١
١٣١	سوره البقره (٢): الآيات ٩٢ الى ٩٣

- سوره البقره (٢): الآيات ٩٤ الى ٩٦ ١٣٢
- سوره البقره (٢): الآيات ٩٧ الى ٩٨ ١٣٣
- سوره البقره (٢): الآيات ٩٩ الى ١٠٢ ١٣٤
- سوره البقره (٢): الآيات ١٠٣ الى ١٠٤ ١٣٦
- سوره البقره (٢): الآيات ١٠٥ الى ١٠٦ ١٣٧
- سوره البقره (٢): آيه ١٠٧ ١٣٨
- سوره البقره (٢): الآيات ١٠٨ الى ١١١ ١٣٩
- سوره البقره (٢): الآيات ١١٢ الى ١١٣ ١٤٠
- سوره البقره (٢): الآيات ١١٤ الى ١١٥ ١٤١
- سوره البقره (٢): الآيات ١١٦ الى ١١٨ ١٤٣
- سوره البقره (٢): الآيات ١١٩ الى ١٢٠ ١٤٤
- سوره البقره (٢): الآيات ١٢١ الى ١٢٤ ١٤٥
- سوره البقره (٢): آيه ١٢٥ ١٤٧
- سوره البقره (٢): الآيات ١٢٦ الى ١٢٨ ١٥٠
- سوره البقره (٢): الآيات ١٢٩ الى ١٣٠ ١٥١
- سوره البقره (٢): الآيات ١٣١ الى ١٣٤ ١٥٢
- سوره البقره (٢): الآيات ١٣٥ الى ١٣٦ ١٥٣
- سوره البقره (٢): الآيات ١٣٧ الى ١٤٠ ١٥٤
- سوره البقره (٢): الآيات ١٤١ الى ١٤٢ ١٥٥
- سوره البقره (٢): آيه ١٤٣ ١٥٦
- سوره البقره (٢): آيه ١٤٤ ١٥٩
- سوره البقره (٢): آيه ١٤٥ ١٦٠
- سوره البقره (٢): الآيات ١٤٦ الى ١٤٨ ١٦١
- سوره البقره (٢): الآيات ١٤٩ الى ١٥٠ ١٦٢
- سوره البقره (٢): الآيات ١٥١ الى ١٥٢ ١٦٣
- سوره البقره (٢): الآيات ١٥٣ الى ١٥٧ ١٦٤

- سوره البقره (٢): آيه ١٥٨ ١٦٥
- سوره البقره (٢): الآيات ١٥٩ الى ١٦٣ ١٦٦
- سوره البقره (٢): آيه ١٦٤ ١٦٧
- سوره البقره (٢): آيه ١٦٥ ١٦٨
- سوره البقره (٢): آيه ١٦٦ ١٦٩
- سوره البقره (٢): الآيات ١٦٧ الى ١٦٨ ١٧٠
- سوره البقره (٢): الآيات ١٦٩ الى ١٧٣ ١٧١
- سوره البقره (٢): الآيات ١٧٤ الى ١٧٧ ١٧٣
- سوره البقره (٢): آيه ١٧٨ ١٧٥
- سوره البقره (٢): الآيات ١٧٩ الى ١٨٠ ١٧٩
- سوره البقره (٢): الآيات ١٨١ الى ١٨٢ ١٨٠
- سوره البقره (٢): الآيات ١٨٣ الى ١٨٤ ١٨١
- سوره البقره (٢): آيه ١٨٥ ١٨٥
- سوره البقره (٢): الآيات ١٨٦ الى ١٨٧ ١٨٧
- سوره البقره (٢): آيه ١٨٨ ١٨٩
- سوره البقره (٢): الآيات ١٨٩ الى ١٩١ ١٩٠
- سوره البقره (٢): الآيات ١٩٢ الى ١٩٤ ١٩١
- سوره البقره (٢): الآيات ١٩٥ الى ١٩٦ ١٩٢
- سوره البقره (٢): آيه ١٩٧ ٢٠١
- سوره البقره (٢): آيه ١٩٨ ٢٠٤
- سوره البقره (٢): آيه ١٩٩ ٢٠٥
- سوره البقره (٢): آيه ٢٠٠ ٢٠٦
- سوره البقره (٢): الآيات ٢٠١ الى ٢٠٣ ٢٠٧
- سوره البقره (٢): الآيات ٢٠٤ الى ٢٠٥ ٢٠٩
- سوره البقره (٢): الآيات ٢٠٦ الى ٢٠٧ ٢١٠
- سوره البقره (٢): آيه ٢٠٨ ٢١٢

- سوره البقره (٢): الآيات ٢٠٩ الى ٢١٠ ٢١٣
- سوره البقره (٢): الآيات ٢١١ الى ٢١٢ ٢١٤
- سوره البقره (٢): آيه ٢١٣ ٢١٥
- سوره البقره (٢): آيه ٢١٤ ٢١٧
- سوره البقره (٢): آيه ٢١٥ ٢١٨
- سوره البقره (٢): الآيات ٢١٦ الى ٢١٧ ٢١٩
- سوره البقره (٢): الآيات ٢١٨ الى ٢١٩ ٢٢١
- سوره البقره (٢): الآيات ٢٢٠ الى ٢٢١ ٢٢٥
- سوره البقره (٢): آيه ٢٢٢ ٢٢٧
- سوره البقره (٢): آيه ٢٢٣ ٢٢٨
- سوره البقره (٢): آيه ٢٢٤ ٢٣٠
- سوره البقره (٢): الآيات ٢٢٥ الى ٢٢٧ ٢٣١
- سوره البقره (٢): آيه ٢٢٨ ٢٣٢
- سوره البقره (٢): آيه ٢٢٩ ٢٣٥
- سوره البقره (٢): الآيات ٢٣٠ الى ٢٣١ ٢٣٧
- سوره البقره (٢): آيه ٢٣٢ ٢٣٨
- سوره البقره (٢): آيه ٢٣٣ ٢٣٩
- سوره البقره (٢): آيه ٢٣٤ ٢٤١
- سوره البقره (٢): آيه ٢٣٥ ٢٤٢
- سوره البقره (٢): آيه ٢٣٦ ٢٤٤
- سوره البقره (٢): آيه ٢٣٧ ٢٤٥
- سوره البقره (٢): آيه ٢٣٨ ٢٤٦
- سوره البقره (٢): آيه ٢٣٩ ٢٤٧
- سوره البقره (٢): الآيات ٢٤٠ الى ٢٤٢ ٢٤٨
- سوره البقره (٢): الآيات ٢٤٣ الى ٢٤٥ ٢٤٩
- سوره البقره (٢): آيه ٢٤٦ ٢٥٠

٢٥١	سوره البقره (٢): آيه ٢٤٧
٢٥٢	سوره البقره (٢): آيه ٢٤٨
٢٥٤	سوره البقره (٢): آيه ٢٤٩
٢٥٥	سوره البقره (٢): الآيات ٢٥٠ الى ٢٥١
٢٥٦	سوره البقره (٢): الآيات ٢٥٢ الى ٢٥٣
٢٥٧	سوره البقره (٢): آيه ٢٥٤
٢٥٨	سوره البقره (٢): آيه ٢٥٥
٢٥٩	سوره البقره (٢): آيه ٢٥٦
٢٦١	سوره البقره (٢): آيه ٢٥٧
٢٦٢	سوره البقره (٢): آيه ٢٥٨
٢٦٣	سوره البقره (٢): آيه ٢٥٩
٢٦٤	سوره البقره (٢): آيه ٢٦٠
٢٦٥	سوره البقره (٢): الآيات ٢٦١ الى ٢٦٢
٢٦٦	سوره البقره (٢): الآيات ٢٦٣ الى ٢٦٤
٢٦٧	سوره البقره (٢): الآيات ٢٦٥ الى ٢٦٦
٢٦٨	سوره البقره (٢): آيه ٢٦٧
٢٦٩	سوره البقره (٢): الآيات ٢٦٨ الى ٢٦٩
٢٧٠	سوره البقره (٢): الآيات ٢٧٠ الى ٢٧١
٢٧١	سوره البقره (٢): الآيات ٢٧٢ الى ٢٧٣
٢٧٣	سوره البقره (٢): آيه ٢٧٤
٢٧٤	سوره البقره (٢): آيه ٢٧٥
٢٧٨	سوره البقره (٢): الآيات ٢٧٦ الى ٢٧٨
٢٧٩	سوره البقره (٢): الآيات ٢٧٩ الى ٢٨١
٢٨٠	سوره البقره (٢): آيه ٢٨٢
٢٨٣	سوره البقره (٢): آيه ٢٨٣
٢٨٤	سوره البقره (٢): الآيات ٢٨٤ الى ٢٨٥

٢٨٥	سوره البقره (٢): آيه ٢٨٦
٢٨٦	سوره آل عمران
٢٨٦	اشاره
٢٨٦	سوره آل عمران (٣): الآيات ١ الى ٤
٢٨٧	سوره آل عمران (٣): الآيات ٥ الى ٧
٢٩١	سوره آل عمران (٣): آيه ٨
٢٩٢	سوره آل عمران (٣): الآيات ٩ الى ١٠
٢٩٣	سوره آل عمران (٣): الآيات ١١ الى ١٢
٢٩٤	سوره آل عمران (٣): آيه ١٣
٢٩٥	سوره آل عمران (٣): آيه ١٤
٢٩٦	سوره آل عمران (٣): آيه ١٥
٢٩٧	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦ الى ١٨
٢٩٨	سوره آل عمران (٣): آيه ١٩
٢٩٩	سوره آل عمران (٣): آيه ٢٠
٣٠٠	سوره آل عمران (٣): الآيات ٢١ الى ٢٣
٣٠٢	سوره آل عمران (٣): الآيات ٢٤ الى ٢٦
٣٠٤	سوره آل عمران (٣): آيه ٢٧
٣٠٥	سوره آل عمران (٣): آيه ٢٨
٣٠٦	سوره آل عمران (٣): آيه ٢٩
٣٠٧	سوره آل عمران (٣): آيه ٣٠
٣٠٨	سوره آل عمران (٣): الآيات ٣١ الى ٣٢
٣٠٩	سوره آل عمران (٣): آيه ٣٣
٣١٢	سوره آل عمران (٣): الآيات ٣٤ الى ٣٥
٣١٣	سوره آل عمران (٣): الآيات ٣٦ الى ٣٧
٣١٤	سوره آل عمران (٣): الآيات ٣٨ الى ٣٩
٣١٥	سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٠ الى ٤١

سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٢ الى ٤٣	٣١٦
سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٤ الى ٤٥	٣١٧
سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٦ الى ٤٩	٣١٨
سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٠ الى ٥٣	٣٢٠
سوره آل عمران (٣): آيه ٥٤	٣٢١
سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٥ الى ٥٦	٣٢٢
سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٧ الى ٦١	٣٢٣
سوره آل عمران (٣): آيه ٦٢	٣٢٨
سوره آل عمران (٣): الآيات ٦٣ الى ٦٤	٣٢٩
سوره آل عمران (٣): آيه ٦٥	٣٣٠
سوره آل عمران (٣): الآيات ٦٦ الى ٦٩	٣٣١
سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٠ الى ٧٣	٣٣٢
سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٤ الى ٧٥	٣٣٣
سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٦ الى ٧٧	٣٣٤
سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٨ الى ٧٩	٣٣٥
سوره آل عمران (٣): الآيات ٨٠ الى ٨١	٣٣٧
سوره آل عمران (٣): الآيات ٨٢ الى ٨٣	٣٤٠
سوره آل عمران (٣): آيه ٨٤	٣٤١
سوره آل عمران (٣): الآيات ٨٥ الى ٨٩	٣٤٢
سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٠ الى ٩١	٣٤٣
سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٢ الى ٩٣	٣٤٤
سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٤ الى ٩٦	٣٤٧
سوره آل عمران (٣): آيه ٩٧	٣٤٩
سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٨ الى ٩٩	٣٥٢
سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٠ الى ١٠١	٣٥٥
سوره آل عمران (٣): آيه ١٠٢	٣٥٦

- سوره آل عمران (۳): آیه ۱۰۳ ----- ۳۵۷
- سوره آل عمران (۳): آیه ۱۰۴ ----- ۳۵۸
- سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۰۵ الى ۱۰۶ ----- ۳۶۱
- سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۰۷ الى ۱۱۰ ----- ۳۶۲
- سوره آل عمران (۳): آیه ۱۱۱ ----- ۳۶۵
- سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۱۲ الى ۱۱۳ ----- ۳۶۶
- سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۱۴ الى ۱۱۵ ----- ۳۶۷
- سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۱۶ الى ۱۱۷ ----- ۳۶۸
- سوره آل عمران (۳): آیه ۱۱۸ ----- ۳۶۹
- سوره آل عمران (۳): آیه ۱۱۹ ----- ۳۷۰
- سوره آل عمران (۳): آیه ۱۲۰ ----- ۳۷۱
- سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۲۱ الى ۱۲۲ ----- ۳۷۲
- سوره آل عمران (۳): آیه ۱۲۳ ----- ۳۷۳
- سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۲۴ الى ۱۲۶ ----- ۳۷۴
- سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۲۷ الى ۱۲۸ ----- ۳۷۵
- سوره آل عمران (۳): آیه ۱۲۹ ----- ۳۷۶
- سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۳۰ الى ۱۳۴ ----- ۳۷۷
- سوره آل عمران (۳): آیه ۱۳۵ ----- ۳۷۸
- سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۳۶ الى ۱۳۷ ----- ۳۷۹
- سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۳۸ الى ۱۳۹ ----- ۳۸۰
- سوره آل عمران (۳): آیه ۱۴۰ ----- ۳۸۱
- سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۴۱ الى ۱۴۲ ----- ۳۸۲
- سوره آل عمران (۳): آیه ۱۴۳ ----- ۳۸۶
- سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۴۴ الى ۱۴۵ ----- ۳۸۷
- سوره آل عمران (۳): آیه ۱۴۶ ----- ۳۸۸
- سوره آل عمران (۳): الآيات ۱۴۷ الى ۱۴۹ ----- ۳۹۰

٣٩١	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٥٠ الى ١٥٢
٣٩٣	سوره آل عمران (٣): آيه ١٥٣
٣٩٤	سوره آل عمران (٣): آيه ١٥٤
٣٩٥	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٥٥ الى ١٥٦
٣٩٦	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٥٧ الى ١٥٩
٣٩٧	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٠ الى ١٦١
٣٩٨	سوره آل عمران (٣): آيه ١٦٢
٣٩٩	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٣ الى ١٦٤
٤٠٠	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٥ الى ١٦٧
٤٠١	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٨ الى ١٧٠
٤٠٢	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٧١ الى ١٧٢
٤٠٤	سوره آل عمران (٣): آيه ١٧٣
٤٠٥	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٧٤ الى ١٧٥
٤٠٦	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٧٦ الى ١٧٨
٤٠٧	سوره آل عمران (٣): آيه ١٧٩
٤٠٩	سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٠
٤١٠	سوره آل عمران (٣): آيه ١٨١
٤١١	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨٢ الى ١٨٣
٤١٣	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨٤ الى ١٨٦
٤١٤	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨٧ الى ١٨٨
٤١٥	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨٩ الى ١٩١
٤١٦	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٩٢ الى ١٩٤
٤١٧	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٩٥ الى ١٩٨
٤١٨	سوره آل عمران (٣): الآيات ١٩٩ الى ٢٠٠
٤١٩	المجلد ٢
٤١٩	اشاره

٤١٩	اشاره
٤٢٠	سوره النساء
٤٢٠	اشاره
٤٢١	سوره النساء (٤): آيه ١
٤٢٤	سوره النساء (٤): الآيات ٢ الى ٣
٤٢٩	سوره النساء (٤): آيه ٤
٤٣٠	سوره النساء (٤): آيه ٥
٤٣٢	سوره النساء (٤): آيه ٦
٤٣٦	سوره النساء (٤): آيه ٧
٤٣٨	سوره النساء (٤): الآيات ٨ الى ٩
٤٤٠	سوره النساء (٤): آيه ١٠
٤٤١	سوره النساء (٤): آيه ١١
٤٤٦	سوره النساء (٤): آيه ١٢
٤٧٦	سوره النساء (٤): الآيات ١٣ الى ١٥
٤٧٨	سوره النساء (٤): الآيات ١٦ الى ١٧
٤٧٩	سوره النساء (٤): الآيات ١٨ الى ١٩
٤٨١	سوره النساء (٤): آيه ٢٠
٤٨٢	سوره النساء (٤): الآيات ٢١ الى ٢٢
٤٨٤	سوره النساء (٤): آيه ٢٣
٤٩٥	سوره النساء (٤): آيه ٢٤
٥١٣	سوره النساء (٤): آيه ٢٥
٥١٨	سوره النساء (٤): آيه ٢٦
٥١٩	سوره النساء (٤): آيه ٢٧
٥٢٠	سوره النساء (٤): الآيات ٢٨ الى ٢٩
٥٢١	سوره النساء (٤): آيه ٣٠
٥٢٢	سوره النساء (٤): آيه ٣١

٥٢٣	سوره النساء (٤): آيه ٣٢
٥٢٥	سوره النساء (٤): آيه ٣٣
٥٢٧	سوره النساء (٤): آيه ٣٤
٥٣١	سوره النساء (٤): آيه ٣٥
٥٣٣	سوره النساء (٤): آيه ٣٦
٥٣٥	سوره النساء (٤): الآيات ٣٧ الى ٣٨
٥٣٦	سوره النساء (٤): آيه ٣٩
٥٣٧	سوره النساء (٤): آيه ٤٠
٥٣٨	سوره النساء (٤): الآيات ٤١ الى ٤٢
٥٣٩	سوره النساء (٤): آيه ٤٣
٥٤٢	سوره النساء (٤): آيه ٤٤
٥٤٣	سوره النساء (٤): الآيات ٤٥ الى ٤٦
٥٤٤	سوره النساء (٤): آيه ٤٧
٥٤٥	سوره النساء (٤): آيه ٤٨
٥٤٨	سوره النساء (٤): آيه ٤٩
٥٤٩	سوره النساء (٤): الآيات ٥٠ الى ٥١
٥٧٠	سوره النساء (٤): الآيات ٥٢ الى ٥٣
٥٧١	سوره النساء (٤): آيه ٥٤
٥٧٢	سوره النساء (٤): الآيات ٥٥ الى ٥٦
٥٧٣	سوره النساء (٤): آيه ٥٧
٥٧٨	تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

وله الحمد وهو المستعان والصلاة والسلام على خيرته من خلقه محمد صلى الله عليه وآله سيد المرسلين وآله الطاهرين المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين (و بعد) ففي فجر سعادته البشر وتبلغ صبح الهدى و رسالته. أشرق نور القرآن الكريم على العالم من أفق الوحي على الرسول الأمين الصادع بأمر ربه. فكان باعجازه الباهر حجه على وحيه و بفضائله الفائقة دليلا على فضله و بسناه الوضاح هاديا الى اتباعه. يعرّفك في كل باب من أبواب معارفه السامية انه تنزيل من رب العالمين. و لكن اختلاط اللسان و اختلاف الزمان و تشعب الأهواء و تضارب الآراء أثارت من دون أنواره غبارا و جعلت على البصائر من الجهل غشاوه. و قد أوجب الله على عباده أن ينصروا الحقيقه بالبيان و يجلووا غبار الشكوك بالحجه و يميّطوا غشاوه الجهل بيد العلم الشافى.

و قد نهض جماعه لتفسيره و الإرشاد الى منهج فهمه. فأثرت و انا الأقل محمد جواد البلاغى ان أتطفل فى هذا الشأن و أتقحم فى هذا الميدان جاريا على ما تقتضيه أصول العلم متنكبا مالا حجه فيه من نقل الأقوال متحرّيا للاختصار مهما أمكن مستعينا بالله و مستمدا من فضله و ما توفيقى إلا بالله عليه توكلت و اليه أنيب. و قد سميت الكتاب (آلاء الرحمن فى تفسير القرآن) و جعلت للمقصود مقدمه فيها فصول و خاتمه

الفصل الأول: فى اعجازہ

اشارہ

المعجز هو الذى يأتى به مدعى النبوه بعنايه الله الخاصه خارقا للعادة و خارجا عن حدود القدره البشريه و قوانين العلم و التعلم ليكون بذلك دليلا على صدق النبى و حجته فى دعواه النبوه و دعوته

وجه شهادة المعجز

و دلالتة على صدق النبى فى دعواه و دعوته ليس إلما انّ مدعى النبوه إذا كان ظاهر الصلاح موصوفا بالأمانه معروفا بصدق اللهجه و الاستقامه لا- يخالف العقل فى دعوته و أساسياتها لم يجز عقلا- اظهار المعجز على يده إلّا إذا كان صادقا فى دعوى النبوه و دعوتها. الا ترى انه لو كان مع صفاته المذكوره كاذبا فى دعواه لكان اظهار المعجز على يده و تخصيص الله له بالعنايه إغراء للناس بالجهل و توريطا لهم فى متاهات الضلال. و هذا قبيح ممتنع على جلال الله و قدسه

توضيح ذلك

هو أنّ الناس بحسب فطرتهم التى لا تدنسها رذائل الأهواء و العصبية إذا ظهر لهم صلاح الشخص و صدقه و أمانته و استقامته فيما يعرفونه من أحواله و أطواره توسموا بباطنه الخير و أنّ باطنه موافق لظاهره فى الصلاح. و كلما زادت خبرتهم بصلاح ظاهره زاد و ثوقهم بصلاح باطنه. إلّا- انه مهما يكن من ذلك فإنه لا يبلغ بهم مرتبه العلم و ثبات الاطمئنان بعصمته عن الكذب فى دعواه و تبليغات دعوته فلا ينتظم تصديقهم له و لا يدوم انقيادهم إلى تبليغاته فى دعوته. بل لا يزال اختلاج الشكوك يميل بهم يمينا و شمالا. لكن إذا خصته العنايه الإلهيه بكرامه المعجز و خارق العاده حصل العلم الثابت و اطمأنت النفوس السليمه بصدقه و عصمته فى دعواه و ما يأتى به فى دعوته. و يثبت اليقين و ينتظم امره بالنظر إلى أنه يمتنع على جلال الله و قدسه فى مثل هذه المزلقه ان يظهر المعجز و عنايته الخاصه على يد الكاذب المدلس بصلاح ظاهره.

فإن اظهار المعجز حينئذ يكون مساعده للمدلس على تدليسه و مشاركته له فى اغوائه و إغراء للناس فى الجهل الضار المهلك. و ذلك لما ذكرناه من مقتضى فطره الناس السليمه. فالمعجز الشاهد بصدق النبى فى دعواه و دعوته هو ما يقوم بما ذكرنا من الفائده فى مثل ما ذكرناه من المقام و الوجه

و لا يخفى أنّ حصول الفائده المذكوره من تنوع المعجز المذكور يختلف كثيرا بسبب اختلاف الناس فى أطوارهم و معارفهم و مألوفاتهم. فربّ خارق للعادة يعرف بعض الشعوب انه خارق للعادة لا يكون إلا بإرادته إلهيه خاصه و يكون فى بعض الشعوب معرضا للشك او الجحود لإعجازه و خرقه للعادة كان فى عصر موسى النبى (عليه السلام) من الرائج بين المصريين صناعه السحر المبتنيه على قوانين عاديه يجرى عليها التعليم و التعلم. فكانوا يعرفون ما هو جار على نواميس هذه الصناعه و ما هو خارج عنها و عن حدود القدره البشريه. و لأجل ذلك اقتضت الحكمة ان يحتج عليهم بمعجزه العصا التى ألقاها موسى (عليه السلام) أمام أعينهم فصارت ثعبانا تلقف ما يأفكون و يسحرون به الناس من الحبال و العصى ثم رجعت بعد ذلك عصا كحالتها الأول و لم يبق لحبالهم و عصيهم عين و لا اثر فإنهم بسبب معرفتهم لحدود السحر عرفوا أن امر العصا خارج عن صناعه السحر و عن حدود القدره البشريه و لذا آمن السحرة بأن أمرها من الله تعالى و كانت فلسطين و سوريا فى عصر المسيح مستعمره لليونان و فيها منهم نزلاء كثيرون. فكان للطبّ فيها رواج ظاهر و كان فى الفصل الثالث عشر و الرابع عشر من سفر اللاويين من التوراه الرائج تعليم طويل فى تطهير القرع و البرص و القوبا بنحو يختص بروحانيه الكهنوت و يوهم انه من بركات الكهنه و الآثار الزوجيه و إن كان من نحو الحجر الصحى فلأجل ذلك كانت معجزات المسيح بشفاء الأبرص و الأعمى و الأكمه مما يعرفون انه خارج عن حدود الطب و مزاعم الكهنه و قدره البشر و من خارق العاده التى لا يكون إلا بقدره الله تعالى

حكمه كون المعجز للعرب هو القرآن

و أما العرب الذين ابتدأت بهم دعوه الإسلام فى حكمه سيرها فى الإصلاح فقد كانت معارفهم نوعا منحصره بالأدب العربى و كانوا خالين من سائر العلوم و الصنائع الخاضعه للعلم و التعلم. فلم يكونوا يميزون حدودها العاديه بحسب موازين العلم و التعلم و أسرار الطبيعيات المنقاده بقوانينها للباحث و الممارس و المتعلم و المجربّ و المكتشف و الداخلة تحت سيطره العلم و التعلم. فلا يعرفون من الأعمال ما هو خارج عن هذه الحدود و خارق للعادة و لا يكون

إلا بإعجاز إلهي. فكل عمل معجز من غير الأدب العربي بمجرد مشاهدتهم له أو سماعهم به يسبق إلى أذهانهم و يستحكم في حسابانهم انه من السحر او من مهاره اهل البلاد الأجنبيه في الصنائع و تقدّمهم في العلوم و اسرار الطبيعيات و قوانينها. و لا يدعون بأنّه معجز إلهي بل يسوقهم شك الجهل الى الجحود خصوصا إذا كان ذلك يحتج به النبي على دعوى و دعوه ثقيلتين على ضلالتهم باهظتين لعاداتهم الوحشيه و أهواء الجهل نعم برعوا بالأدب العربي و بلاغه الكلام التي تقدّموا فيها تقدّما باهرا حتى قد زهى في عصر الدعوه روضه الخميل و أينعت حدائقه وفاق مجده و قرروا له المواسم و عقدوا المحافل للمفاخره بالرقى فيه. فرقت بينهم صناعته إلى أوج مجدها و زهرت بأجمل مظاهرها و أحاطوا بأطرافها و حدّدوا مقدورها. فعاد المرء منهم جدّ خير بما هو داخل في حدود القدره البشريه و ما هو خارج عنها و لا يصدر على لسان بشر ابتداء إلا بعنايه إلهيه خاصه خارقه للعاده البشريه لحكمه إلهيه شريفه و لذا اقتضت الحكمة الإلهيه «و لله الحكمة البالغه» ان يكون القرآن الكريم هو المعجز المعنون و الذى عليه المدار في الحججه لرساله خاتم النبيين و صفوه المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين. فانه يكون حججه على العرب باعجازه ببلاغته و بعجزهم عن الإتيان بمثله او بسوره من مثله. و بخضوعهم لاعجازه و هم الخبراء في ذلك يكون ايضا حججه على غيرهم في ذلك. و انه هو الذى يدخل في حكمه المعجز و الاعجاز في شمول الدّعوه للعرب و ابتدائها بهم بحسب سيرها الطبيعى على الحكمة و به تتمّ فائده المعجز على وجهها

امتيازه عن غيره من المعجزات

مضافا الى انه امتاز عن غيره من المعجزات وفاق عليها بأكبر الأمور الجوهرية في شؤون النبوه و الرّساله و دعوتها «فمن ذلك» انه باق مدى السنين ممثل بصورته و مادّته لكل من يريد أن يطلع عليه و يمارس أمره و ينظر في أمره و يعرف كنهه و حقيقته. فهو باد في كل آن و مكان لكل من يطلب الحججه على النبوه و الرساله و يريد النظر في حقيقه معجزها الشاهد لصدقها. مائل لكل من يريد النظر في الحقائق و لا- تحتاج معرفه حقيقته و وجه اعجازه الى أساطير النقل و مماراه قال او قيل. فلا يحتمل أمره. إنه دبّرت دعواه بليل. و لا يستراب من أمره باحتمال التمويه

بل ينادى هو بنفسه فى كل زمان و مكان (هذا جناى و خياره فيه) و كله خيار فائق متفوق «و من ذلك» انه بنفسه و لسانه و صريح بيانه قد تكفل بالاثبات لجميع المقدمات التى تنتظم منها الحجة على الرسالة الخاصة و شهاده اعجازه لها. و لم يوكل أمر ذلك الى غيره مما يختلج فيه الرّيب و تعرض فيه الشبهات و تطول فيه مسافه الاحتجاج و تكثر صعوباته: فالتفت و اعرف ذلك من أمور (الأول) انه تكفل ببيان دعوى النبوه و الرّساله كما فى سائر النبوات (الثانى) انه تكفل فى صراحه بيانه بالشهاده للنبوه و الرّساله فلم تبق حاجه لدلاله العقل و دفع الشبهات عنها (الثالث) انه تكفل فى صراحته المتكرره ببيانه لكلمات مدعى رسالته و أطرى بصلاحه و أخلاقه الفائقه كما هو معروف. فمهد المقدمات اللازمه فى البيان و صوره الاحتجاج بانه لو كان كاذبا لكان ظهور المعجزه له من الإغراء بالجهل القبيح الممتنع لقبحه على جلال الله و قدسه تعالى شأنه. و إليك فاسمع بعض ما جاء فى القرآن فى بيان هذه الأمور الثلاثة. ففى سورة الأعراف «١٥٧: قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا وَ سوره النجم المكيه من الآيه الثانيه الى الخامسه ما ضلّ صاحبكُم وَ ما غوى وَ ما يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى وَ فى سوره الفتح «٢٩: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ وَ فى سوره الأحزاب «٤٠: ما كان مُحَمَّدٌ أبًا أَحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ وَ لَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَ خاتَمَ النَّبِيِّينَ وَ فى أوائل سوره القلم المكيه ما أَنْتَ بِمَجْنُونٍ وَ إِنْ لَمَكَ لَمَاجِرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ وَ إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ الى قوله تعالى إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ وَ قوله تعالى وَ دُؤا لَوْ تَدَّهِنُ فَيُدْهِنُونَ وَ فى سوره الأعراف «١٥٦: يَا أُمَّرُؤهُم بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ فى سوره الأحزاب «٤٤: و ٤٥ يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَ مَبْشُرًا وَ نَذِيرًا وَ دَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِرَاجًا مُنِيرًا (الأمر الرابع) انه تكفل بنفسه دفع الموانع عن الرسالة و النبوه إذ بين مواد الدّعوه و أساسياتها و معارفها و قوانينها الجاريه بأجمعها على المعقول من عرفانها و أخلاقيها و اجتماعيها و سياسيها فلا يوجد فيها ما يخالف المعقول ليكون مانعا عن النبوه و فى سوره الاسراء المكيه «٩: إِنْ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ دونك القرآن الكريم و حقق و تبصر و تنور فيما تضمنه من هذه المواد الشريفه إِنْ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ

(الأمر الخامس) انه زاد على كونه معجزا بنفسه بأن كرّر النداء و المصارحه فى الاحتجاج باعجازه و تحدّى الناس و أعلن بالحجه و هتف بهم هتافا مكررا مؤكدا بأن يعارضوه لو لم يكن معجزا و يأتوا بمثله أو بعشر سور أو سورة واحده من مثله ان كان مما تناله قدره البشر المحدوده و قد نادى بقرار الإنصاف و المماشاه و جعل لهم ان أتوا بعشر سور او سورة من مثله أن تسقط عنهم هذه الدعوه و يستريحوا من ثقلها الباهظ لضلالهم و يدعوا من يستطيعون عقلا ان يدعوه من دون الله لو استطاعوا أو وجدوا إلى ذلك من المعقول سييلا. جعل لهم ذلك من باب المماشاه و المجاراه فى الحجه تعليقا على المستحيل و لهم فى ذلك المهله و الأناه ليعدّوا عدّتهم فى المظاهره و التعاون فى سورة هود المكيه «١٦: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَ ادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٧: فَإِلَيْكُمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَ فى سورة يونس المكيه «٣٩: أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَ فى سورة البقره «٢١: وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِيمَا

تدعونهم و تصفونهم به «٢٢» فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَ فى سورة الاسراء المكيه «٩٠: قُلْ لئن اجتمعت الإنس و الجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيرا هذا و قد مضت لهم عده أعوام و دعوه الرساله و الإعدار و الإنذار و الاحتجاج باعجاز القرآن دائمه عليهم و هم فى أشد الضجر من ذلك و الكراهيه له و الخوف من عاقبته. و فى أشد التألم من آثار الدعوه و تقدّمها و ظهورها. و فى أشد الرغبه فى أهوائهم و عاداتهم الوحشيه و رئاساتهم و العكوف على معبوداتهم و مع ذلك لم يستطيعوا أن يعارضوا شيئا من القرآن الكريم و لو بأن يأتوا بسوره من مثله لكى تظهر حجتهم و تسقط عنهم حجه الرسول و يستريحوا من عناهم و قلقهم و آلامهم من دعوته التى شتت جامعتهم الأوثانيه و هدّدت رئاساتهم الوحشيه و تشريعاتهم الأهوائيه و فرقت بين الأب منهم و بنيه و الأخ و أخيه و الزوج و زوجته و القريب و قريبه و كدّرت صفائهم و نافرت بين عواطفهم. و قد سامعهم فى دعوته إصلاحا و خضوعا لم يكونوا يحتسبوننه و لم يجدوا لذلك حيله إلا الجحود السخيف و العناد الشديد و قساوه الاضطهاد و الاستشفاع بأبى طالب فى ترك الرسول لدعوته أو تمرّدهم بالمثابره الوحشيه فاقتحموا فيها الأهوال و تجشموا المصاعب و قتال الأقارب و الاخوان و مقاساه الشدائد و ذله المغلوبيه. فلما ذا

لم يتظاهروا بأجمعهم عشر سنوات او اكثر و يأتوا بشىء من مثل القرآن الكريم و لو سوره واحده و يفاخروا الرسول (صلى الله عليه و آله) و يحاكموه فى المواسم و المحافل التى أعدوها لمثل ذلك فتكون لهم الحججه و الانتصار فى الحكومه و قرار النصفه و ينادوا بالغلبه و يستريحوا من عناء هذه الدعوه و تهديدها لضلالهم. فلما ذا لم يفعلوا ذلك و القرآن و الرسول قد دعواهم إلى ذلك تعجيزا و هم هم و يبايع فصاحتهم و بلاغتهم غزيره. و غرائزهم فى الأدب العربى متدققه. و قرائحهم سياله و مواد القرآن فى مفرداته و تراكيبه من لغتهم. و أسلوبه من نحو صناعتهم التى لهم فيها الممارسه التامه و المهاره الفائقه و الرقى المعروف و لله الحججه البالغه و لو كان هناك أقل قليل من المعارضه و الإتيان بسوره واحده من مثل القرآن لرفعه الضلال ناراً على علم. و احتفلت فيه ألوف الألوف من أصدقاء الإسلام و القرآن. و لسجلته دواوينهم فى أقطار الأرض و أجيال الأمم. و تلقوه بأحسن ابتهاج. و صالوا به أكبر صوله لأنه الفيصل السلمى و الحججه الأدبيه التى ما فوقها حجه لهم فى الجدل و البرهان. و لكن هل سمعت أن أحداً نبس فى ذلك بينت شفه أو أجرى فيه قلم. و إن أمر ذلك بمعزل عن داخله الإسلام لكى يقال انه أخفته شوكة المسلمين او دسائس تواطئهم. بل إن بذرتة و مغرسه و سوره و حفظه و حياطته ترجع إلى ألوف الألوف فى كل جيل من أنصاره أصدقاء الإسلام و القرآن سواء كان ذلك قبل الهجره أو بعدها أو بعد زمان الرسول (صلى الله عليه و آله). ألا ترى انه بعد أن ضرب الإسلام بجرانه فى جزيره العرب بقى فى اليمن و سوريا و العراق كثير من اليهود و النصارى و أمثالهم و هم الألوف أو ألوف الألوف من العرب أو من يعرف اللغه العربيه و يتكلم بها و يتأدب بآدابها. و أضف إلى ذلك المنافقين الذين كانوا يكيدون الإسلام جهد و سعهم فى عصر الرسول و بعده. فهل يخفى هؤلاء ما هو ضالَّتْهم المنشوده. و سلاح سطوتهم. و عدّه صولتهم و أقطع حجه لهم و اكبر مدافع عن أديانهم. فإنه لا عطر بعد عرس و لكن ماذا يصنعون بالعدم. و عدم القدره من المتأخر على الاختلاق.

و مما يشهد لما ذكرناه و يجلو تمثيله لبداهه الاعتبار أن اليد الأثيمه غلبت بسنوح الفرصه حتى على المحدثين و المفسرين فدّست فى كثير من كتب التفسير خرافه الغرائق و خرافه سبب النزول فى آيه التمنى من سوره الحج كما نجده فى اكثر التفاسير. فلوّثت قدس رسول الله (صلى الله عليه و آله) بما شاءت و سنحت به لها الفرصه. و كذا قدس جميع الأنبياء و المرسلين فى

حديثهم. و تلاوتهم بحيث لا يبقى بهم ادنى وثوق فى ذلك (١) هذا فى وجهه الاعجاز الذى تقوم به الحجه على العرب. و ان للقرآن المجيد ايضا وجوها من الإعجاز مما يشترك فى معرفتها كل بشر ذى رشد إذا اطلع عليها. و هى عديده نشيرا إلى بعض منها فى هذا المختصر

اعجازه من وجهه التاريخ

لا- نقول بذلك بمحض اخباره عن الحوادث الماضيه و الأمم الخاليه و إن كان رسول الله الذى جاء به لا يقرأ و لا يكتب و لم يدخل مدرسه و لم يمارس تعلمًا. كما هو المعلوم من تاريخ حياته (صلى الله عليه و آله). فإنه يمكن ان يقال ان هذا الإخبار المذكور ممكن فى العاده لنوع البشر و ان كان معرضا للعثرات التى لا تقال. بل نقول ان القرآن الكريم اشترك فى تاريخه فى بعض القصص مع التوراه الرائجه التى اتفق اليهود و النصارى على انها كتاب الله المنزل على رسوله موسى فأوردت هذه التوراه تلك القصص و هى مملوءه من الخرافات أو الكفر أو عدم الانتظام الذى تشابه فيه كلام المبتلى بالبرسام: فمن ذلك قصه آدم فى نهى الله له عن الأكل من الشجره و ما فيها من الخرافات و الكفر بنسبه الكذب و الخداع إلى الله جلّ و علا و سائر شؤون القصه على ما جاء فى الفصل الثالث من سفر التكوين: و من ذلك ما جاء فى الفصل الخامس عشر منه من شك ابراهيم فى وعد الله له بإعطائه الأرض فى سوريا و من ذكر العلامه فى ذلك: و من ذلك ما جاء فى الفصل الثامن عشر و التاسع عشر فى مجىء الملائكه إلى ابراهيم بالبشرى باسحاق و اخباره بأمر هلاك قوم لوط و من حكايه ذهابهم إلى لوط و خطابهم معه. و من ذلك ما جاء فى الفصل الثالث من سفر الخروج فى خطاب الله لموسى من الشجره و فى أواخره ما حاصله ان الله جل شأنه افتتح الرساله لموسى بالتعليم بالكذب: و من ذلك ما جاء فى الفصل الثانى و الثلاثين فى سفر الخروج فى ان هارون هو الذى عمل العجل ليكون إلها لبنى إسرائيل و دعى لعبادته و بنى له رسوم العباده فانظر إلى هذه القصص فى موارد المذكوره من التوراه الرائجه- و القرآن الكريم أورد القصه الأولى فى سورتي الأعراف و طه- و الثانيه فى أواخر سوره البقره- و الثالثه فى سورتي هود و الذاريات- و الرابعه فى سور طه و النمل و القصص-

ص: ٩

١- فانظر فى الجزء الأول من كتاب الهدى فى صفحه ١٢٣ ١٢٨ و الجزء الاول من الرحله المدرسيه فى صفحه ٣٧ و ٣٨.

و الخامسه فى سورتى طه و الأعراف فجاءت هذه القصص بكرامه الوحى الإلهى منزّهه عن كل خرافه و كفر و عن كل ما ينافى قدس الله و قدس أنبيائه. جاريه على المعقول. منتظمه الحجّه.

شريفه البيان. و ذلك مما يقيم الحجّه و يوجب اليقين بأنه لا يكون إلا من وحي الله و لا يكون من بشر بما هو بشر مثل رسول الله الذى لم يمارس تعلمًا فى المعارف الإلهيه و لم يتخرج عن مدرسه و لم يتربّ إلّا بين اعراب و حشيين و ثنين على أوحش جانب من الوحشيه و الوثنيه.

بل لو مارس جميع التعاليم و تخرج من جميع الكليات لما امكنه ان يتنزه و ينزه معارفه و كلامه من أمثال هذه الخرافات الكفرية.

لم يكن فى ذلك العصر و ما قبله إلّا تعاليم اليهود و النصارى. و أساسها فى الديانه مبنى على ما أشرنا اليه من خرافات التوراه الرائجه فهم عكوف عليها فى عبادتهم و مواسمهم و تعاليمهم و مدارسهم. أو تعاليم الوثنيين و منهم قومه. تلك التعاليم الجهليه الخاصئه. أو تعاليم المجوس المتشعبه من كلا التعليمين المذكورين فإنه صلوات الله عليه لو كان أخذ القصص المذكوره من ذات التوراه الرائجه بالإتقان أو من الروحانيين المسيطرين على تعليمها و أراد أن يتقول بها على الوحى تزلفاً أو مخادعه لهم ليستجيبوا إلى اتباع دعوته لأتى بها على ما فى التوراه من الخرافه و الكفر. و لو كان أخذها سطحياً من أفواه الرجال كما يأخذ الأمي من ألسن العامه ل زاد عليها أضعاف خرافاتها و كفرها كما تستلزمه و توجه أميته و تربيته و جهل قومه و بلاده و وحشيتهم و وثنتهم لكن (إن هو إلا وحي يوحى) إلى رسول لا تأخذه فى تبليغ الحقائق لومه لائم أو مخالفه أمم. فانظر إلى تفصيل ذلك فى الجزء الأول من الرحله المدرسيه (1) و على هذا النحو يجرى الكلام فيما ذكر فى العهد القديم الذى يعدّه أهل الكتاب من الوحى الصادق حيث نسب إلى أيوب أشنع الاعتراض على الله و الجزع من قضائه و نسبه الظلم اليه جلّ و علا و طلب المحاكمه معه حتى انه صار يوبخ و اعظيه و الناھين له عن هذه الجراء و يسفه رأيهم. و نسب الزنا إلى داود بأشنع وجه. و نسب إلى سليمان انه تمادى فى تأييد الشرك بالله و العباده الأوثانيه و كثر منه بناء المباني لعباده الأوثان. و قد كثرت مصائب الأنجيل فى القدح بقدس المسيح مع صغر حجمها و قله مكتوبها فنسبت الى قدسه شرب الخمر و تكرّر الكذب و الأحوال المنافيه للعفه و انتھاره لوالدته و قدحه فى قداستها و القول بتعدد

ص: ١٠

الآلهه و الأرباب و غير ذلك مما سنشير اليه. و جاء رسول الله صلى الله عليه و آله بوحي قرآنه منزها لهؤلاء الأنبياء و مبرءا لهم عن هذه الوصمات الشنيعه فانظر إلى تفصيل ذلك فى الجزء الأول من كتاب الهدى (١) و على هذا النحو يجرى الكلام ايضا فيما ذكر فى التوراه و العهد القديم من القصص الخرافيه المنافيه لجلال الله و قدس أنبيائه و شرفهم و شرف عائلاتهم كما فى خرافات اختباء آدم عن الله. و برج بابل. و شأن لوط مع الخمر و ابنتيه و المصارعه مع يعقوب و مخادعه يعقوب لأبيه و تكرر كذبه عليه. و قصه يهوذا مع كتنه ثامار و ولاده سبط يهوذا الذى منهم داود و سليمان و كثير من الأنبياء. و قصه امنون بن داود و ابن عمه مع أخته ثامار و ملاعب شمشون. و مشوره الله جل شأنه مع جند السماء فى إغواء آخاب ملك إسرائيل (٢) و كثير من ذلك و لأجل ان القرآن الكريم كلام الله القدوس و وحيه لم يذكر شيئا من ذلك و لو كان من اختلاق رسول الله (صلى الله عليه و آله) كما يزعم الظالمون لامتنع فى العاده على البشريه و أغراضها و تزلفاتها أن لا يذكر شيئا من ذلك مع ما فيها من القعقه التاريخيه. و ان البشر الذى يتطلب قصص العهدين و يذكرها فى كلامه و أغراضه لا يفوته ما أشرنا اليه

اعجازه فى وجهه الاحتجاج

نهض رسول الله صلى الله عليه و آله لتعليم البشر و تنوير بصائرهم فى عصر الظلمات و الجهل و العمى. و لإرشادهم الى حقائق المعارف التى حجبتها ظلمات الضلال المتراكمه فى تلك العصور المظلمه تلك الظلمات التى استولت على ارجاء العالم بحيث لم تدع أن ينقذ من نور الحق للعقول المغلوبه أقل بصيص فجاء (صلى الله عليه و آله) فى قرآنه بكثير غزير من الحجج الساطعه على أهمّ المعارف و أشرفها. تلك الحجج الجاربه على أحسن نهج و أعمه نفعاً فى الاحتجاج و التعليم.

جاء بها على ارقى نحو يستلفت العامى الى نور الغريزه الفطريه فيمثلته لشعوره. و الى سناء البديهيات فيجلوه لإدراكه. و يجرى بمؤدى تلك الحجج مع الفيلاسوف فى قوانين المنطق و تنظيم قياساته على أساسيات المعقول. فاحتج على وجود الإله و لوازم إلهيته. و علمه و قدرته. و توحيده.

ص: ١١

١- (١) صفحه ١٠٠ ١١٠ و ١١٢ ١١٦ و ٢٢٧ ٢٣٢.

٢- (٢) انظر إلى ذلك فى سفر (لتكوين فى الاصحاح الثالث. و الحادى عشر. و التاسع عشر. و التاسع و العشرين. و الثامن و الثلاثين. و فى الثالث عشر من صموئيل الثانى. و الرابع عشر إلى السابع عشر من سفر القضاة. و الثانى و العشرين من الملوك الأول. و الثامن عشر من الأيام الثانى

و على المعاد الجسماني. و على ان القرآن وحى إلهي. و على صدق الرسول في دعوته فلا يكاد يوجد في شىء من هذه الحجج خلل عرفاني او وهن أدبي او شائبه اختلاف او شائنه من تناقض. فإذا فرضت أى بشر يكون في ذلك العصر المظلم و مثلت نشأته و تربيته بين الأعراب الوحشيين الوثنيين في تلك البلاد الماحله من كل تعليم و القاحله من كل فضيله في المعارف و انه لم يتعاط تعلمًا و لا- تأدبًا على معلم و لا قراءه مكتوب و لا دراسه كتاب علمت انه يمتنع عليه في العاده بما هو بشر و بلا وحى إلهي اليه أن يأتي بيان المعارف الصحيحه و المناقضه للجهل العام في عصره و بيئته و قومه و يحتج عليها بتلك الحجج النيره القيمه على ذلك المنهاج الممتاز بفضيلته و إن شئت أن تزداد بصيره فيما ذكرناه فانظر الى ما في الأناجيل مما نسبته الى احتجاجات المسيح و حاشا قدسه منه و مما ذكرته من الحجج الساقطه الفاسده على أمور أكثرها ضلال او غلط كالاحتجاج على تعدد الآلهه و على تعدد الأرباب. و على المنع من الطلاق. و انظر الى ما اشتملت عليه من الغلط و التحريف. نعم ذكرت الاحتجاج على القيامه من الأموات و لكن ماذا جاءت به من الغلط و الخبط في الحججه و احوال القيامه. و إن شئت الاطلاع على شىء من ذلك فانظر في الجزء الأول من كتاب الهدى صفحه ١١٢-١١٦ و ١٩٧ و ٢٠٥ و الجزء الأول من الرحله المدرسيه صفحه ٧٣ و ٣٢-٣٩.

اعجازه من وجهه الاستقامه و السلامه من الاختلاف و التناقض

قد خاض القرآن الكريم في فنون المعارف و الإصلاح مما يتخصص فيه الممتازون بالرقى في أبواب الفلسفه و السياسه و الخطابه و الإصلاح من علم اللاهوت او الأخلاق او التشريع المدنى و التنظيم الإدارى او الفن الحربى. او البشرى و الترغيب بالجزاء او الإنذار و التهديد بالنكال.

او الحجج و الأمثال. او تذكره المواعظ و العبر. و جرى من ذلك في الميادين الشريفه بأحسن أسلوب و أقوم منهج و بلغ في جميع ذلك أكرم الغايات و أعلاها في الرقى و هو يكرر بحسب الحكمه كثيرا من قصصه و مقاصده و في جميع ذلك لم تشنه زله اختلاف و لا عثره تناقض و لا وهن اضطراب و لا سقوط حجه و لا فساد مضمون و لا سخافه بيان. و ها هو بارز في جميع العالم لكل من يريد الهدى و الفحص و التدبر ينادى بابه الافتخار و جمال السداد و شوكة الاستظهار **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ (١)**

ص: ١٢

أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا^(١) منتشرًا في أبوابه و مقاصده. فهل يمكن في العاده أن يكون كل هذا من بشر قد ذكرنا لك عصره و نشأته و تربيته و بلاده و قومه و جهلهم الوحشى الوثنى و لك العبره بكتب العهدين و هى التى منذ قرون عديده يصفق لاستحسانها أكثر العالم المفتخر بالعلم و التمدن و ينسبونها بكمال الاحتفال الى كرامه الوحى - فكم و كم يوجد فيها من الوهن و السقوط و الاختلاف و التناقض و قد ذكر شىء من ذلك في كتب اظهار الحق و الهدى.

و الرحله المدرسيه. و اعتبر ايضا بأن كل واحد من الأناجيل لا يزيد على صحيفه اسبوعيه و قد كثر فيها الخبط و التناقض و الاختلاف الى حد مهول مدهش و قد ذكر شىء من منه فى الجزء الاول من كتاب الهدى صفحه ١٩٦-٢٣٤ و ايضا ان الأناجيل و كتب العهد الجديد مؤسسسه على ان كتب العهدين الرائجه هى كتب وحى إلهى صحيحه. إذن فاعتبر بأنه كم وقع الاختلاف و التناقض بين الأناجيل و العهد الجديد و بين العهد القديم و قد ذكر شىء مما ذكرنا فى الجزء الأول من الرحله المدرسيه صفحه ١٣٢-١٨

اعجازه فى وجهه التشريع العادل و نظام المدنيه

قدّر رسول الله (صلى الله عليه و آله) بشرا عاديا فى مثل ما ذكرناه مرارا فى عصره و نشأته و تربيته و بلاده و قومه و جهلهم و عاداتهم الوحشيه. ثم انظر هل يمكن فى العاده لمثل هذا البشر إذا لم يكن موحى اليه ان يأتى من عنده و من بشريته بمثل ما أتى به فى القرآن الكريم من الشريعة الحقوقيه العادله و القوانين القيمه و الأنظمه المعقوله الجاريه بأجمعها على ما هو الصالح للبشر فى المدنيه و الاجتماع و السياسه و الحرب و مقدماتها و نتائجها. و جرت فى عنايتها بالإصلاح من اداره جميع العالم إلى الإداره العائليه و البيئيه و الزوجيه بل و إلى شؤون الكاتب و الشاهد كما فى سوره البقره آيه ٢٨٢ فمنعت فيها من مضاره الكاتب و الشاهد و نهت عن ان يحملوا- من أجل الكتابه و الشهاده و أداؤها ضرر المشقه و العناء و تضييع وقت أكثر من الوقت الطبيعى لمحض الأداء. و فى ذلك عبره لأولى الأبواب. و إليك فانظر ما فى القرآن الكريم من الشرائع و القوانين العامه و الخاصه و اعتبر بكرامتها و مجدها فى التشريع الفائق و الإصلاح الحميد. و لا تحتاج معرفه مجدها و كرامتها إلى المقايسه و الاعتبار بسرائع قطره و قومه تلك الشرائع الجائره الوحشيه الوثنيه. نعم تزداد بصيره إذا نظرت إلى شرائع التوراه الرائجه التى يعتبرها اليهود

ص: ١٣

و النصارى فى اجيالهم فى اكثر من خمس و عشرين قرنا و يعدونها كتاب و حى إلهى مقدس فانظر فيما فيها من شريعه تقديس هارون و بنيه و تفصيل ثيابهم و أوضاعها. و شريعه امرأه الأخ الميت. و تفلتها و ولدها البكر من الأخ الثانى. و شريعه من ادعى زوجها انه لم يجد لها عذره. و شريعه قتل الأطفال و النساء من البلاد المفتوحه بالحرب فإنك تعرف ان هذه الشرائع لا تكون إلا من بشر سخييف قاس و تزداد بصيره بمجد القرآن الشريف فى تشريعه و إنه لا يكون الا من و حى إلهى و قد أشير الى شىء مما ذكرنا فى أواخر الجزء الثانى من كتاب الهدى صفحه ٢٨٠-٢٩٢ و الجزء الأول من الرحله المدرسيه صفحه ٢٩ و ٧٩-٨٢ و انظر إلى العهد الجديد و الغائه لنظام المدنيه و الأخذ أمام الظلم و العدوان بحيث ترك العالم بلا نظام راذع و لا شريعه تأديب عادله فإنك تزداد بصيره بأن المتقول على الوحى فى أمر التشريع لا بد له من ان يسقط سقطه تشوه التاريخ و تثنّ منها الحقائق جزعا. فاعرف اذن اعجاز القرآن فى تشريعه الممتاز بفضيله الوحى الإلهى

اعجازه من وجهه الأخلاق

و إذا نظرت إلى ظلمات العصر و القطر و التربيه و شيوع الجهل فى الأمه و سوء الأعمال و عدم الدراسه فى العلم أو التخرج فى الفضيله على الحكماء الصالحين فإنك ترى هذه الأمور لها اثر كبير فى الجهل بالأخلاق الفاضله و الانحراف عن جادتها و الخبط فى معرفتها و تمييز حدودها.

فلا ترد البشر إلى الاستقامه فى ذلك تكلفات الفكر المحاط بالجهل العام و الجيل المظلم و القطر الوبىء من نزغات الأهواء. و لئن حاول الرجل المرید للصلاح حينئذ شيئاً من تهذيب الأخلاق لم يهتد السبيل فى قوله و عمله إلا إلى شىء يشير اليه التداول بين جملة من الناس و لئن تكلف المتفلسف شيئاً من التعليم بالأخلاق خبط فيها خبطاً غلب فيه الجهل و الزلل و تابعت فيه العثرات.

و من بين تلك الظلمات المذكوره بزغ القرآن الكريم بأنواره و أتى بما لا تسمح به العاده بأن يأتى به فى تلك الظلمات بشر من عند نفسه و تقولا- على الوحى فجاء فى اجماله و تفصيله مستقصيا للأخلاق الفاضله على حدودها بالحث على التزين بها بما توجه الحكمة من البعث و الترغيب. و محصيا للأخلاق الرذيله بالزجر عن التلوث بها بما يوجه الإصلاح من الإرهاب و التنفير. و اقام لذلك فى العالم اشرف مدرسه زاهره و أعلى فلسفه مرشده و ابلغ خطابه واعظه

و إليك بعضا من جوامعه في ذلك كقوله تعالى في سورة النحل: ٩٢ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. و من سورة الفرقان ما في الآية الرابعه و الستين الى الخامسه و السبعين. و من سورة المعارج ما في الآية الثالثه و العشرين الى الثالثه و الثلاثين. و من سورة الحجرات ما في الآيات العاشره و الحاديه عشره و الثانيه عشره. و غير ذلك مما لا- يكاد أن تخلو منه سورة او يتخطاه تعليم او يحابي به قوم دون قوم او يتجاوز بالإفراط الى التفریط و الإخلال بنظام المدنيه و راحه الاجتماع و لك العبره بأن التوراه الرائجه فيها و شل من تعاليم التوراه الحقيقيه و لكن لأنها تليق و اختلاق بشرى كدّرت ما فيها من ذلك الوشل و ذهبت بصفاء التعليم الإلهي. فأمرت بنى إسرائيل بالحكم بالعدل لقريبهم و نهتهم عن الحقد على أبناء شعبهم و عن السعى بالوشايه و عن شهادة الزور على قريبهم و أن يغدر أحدهم بصاحبه. و يا للأسف على شرف هذا الأمر و النهي إذ شوّهت جماله بتخصيص تعليمها لبنى إسرائيل و بتخصيص الأمور به و المنهى عنه بالقرب و الشعب و الصاحب.

و لك العبره ايضا بأن الأناجيل الرائجه قد أفرطت بتصفوها البارد فنهت عن ردع الظالمين بالانتصاف من الظالم و قطع ماده الفساد بالحدود الشرعيه و دفاع الظالمين بل علمت بأن من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الآخر ايضا و من أراد أن يخاصمك و يأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضا و من أخذ الذي لك فلا تطالبه فلوثت بافراطها البشرى قدس تعاليم المسيح المتلقاه من الوحي الإلهي

اعجازه في وجهه علم الغيب

و قد تكرر في القرآن معجزه في اخباره بالغيب اخبارا يقتضى التكهن و الفراسه خلافه من حيث النظر الى الحال الحاضر و طغيان الشرك و ضعف الدعوه الإسلاميه و ما يجرى من النكال و التشريد و الجفاء على ملبئها. فمن ذلك قوله في سورة الحجر المكيه في الأمر لرسول الله (صلى الله عليه و آله) بالإعلان بالدعوه و البشرى بنجاحها و ارغام معانديها و معارضيتها و كان ذلك عند طغيان الشرك و استفحاله و هيجان المشركين على رسول الله «٩٤ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ: ٩٥ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ: ٩٦ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ و قد كفاه الله اشرف كفايه لم تكن تعلق بها الآمال بحسب العاده. و قد بان للمشركين و علموا

ما فى قوله تعالى فى آخر الآيه فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ. و قوله فى سورة الصف المكيه فى الحال الذى وصفناه من طغيان الشرك و المشركين «٩ هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ فأظهره على الذين أعز اظهار أرغمت به آناف المشركين. و من الاخبار بالغيب قوله تعالى فى سورة الروم غُلِبَتِ الرُّومُ ٢ فى أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ٣ فى بَضْعِ سِنِينَ فغلبت الروم فارس و دخلت مملكتها قبل مضى عشر سنين و قوله تعالى فى سورة تبت فى شأن أبى لهب و امرأته سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ وَ امْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فى جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ وَ هو اخبار بأنهما يموتان على الكفر و لا يحظيان بسعاده الإسلام الذى يكفر عنهما آثام الشرك و يحط أوزاره فماتا على الكفر كما اخبر به اخبارا حتميا و لك العبره فى ذلك بأن إنجيل متى ذكر اخبارا واحدا غيبيا للمسيح و هو انه يبقى مدفونا فى قلب الأرض ثلاثه أيام و ثلاث ليال. و لكن ما برح إنجيل متى أن كذب فى أواخره هذا الإخبار فوافق الأناجيل الثلاثه الأخر على ان المسيح فى مساء ليله السبت طلب بعض الناس جثته من بيلاطس فأنزلها عن الصليب و كنفها و دفنها و قبل الفجر من يوم الأحد قام المسيح من الموت و خرج عن قبره. و على ذلك لا يكون المسيح بقى فى القبر الا ليله السبت و نهاره و ليله الأحد و ذلك نهار و ليلتان هذا و إنى عند مقايستى للقرآن الكريم بما ينسب إلى الوحي الإلهى من كتب الأمم المتدينه و منهم البراهمه و البوذيون و غيرهم لم يحضر عندى الا كتب العهدين فلا- ينبغى ان يجعل مقايستى بهما تحاملا- على خصوص اليهود و النصارى. ولى العذر فى ذلك فإنه لا يصح للإنسان ان تأخذه فى خدمه الحق و إيضاح الحقيقه و تأييدها لومه لائم او يصدده عدل عادل. فإن خدمه الحق نصره للبشر جميعا و الله المستعان هذا شىء قليل من البيان فى الوجاهات المذكوره إذ لا يسع هذا المختصر اكثر من ذلك.

وهب ان الوسوس تتفحم على الحقائق و تغالط الأذهان بواهيات الشكوك فى الاعجاز ببعض آحادها و لكن هل يمكن ذلك بالنظر إلى مجموعها. و هل يسوغ لذى الشعور ان يختلج فى ذهنه الشك فى اعجاز الكتاب الجامع بفضيلته لهذه الكرامات الباهره و خروجه عن طوق البشر مطلقا و خصوصا فى ذلك العصر و تلك الأحوال و هل يسمح عقله الا بأن يقول (إن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى

لم يزل القرآن الكريم بحسب حكمه الوحي و التشريع و المصالح و المقتضيات المتجدده آنا فأنا يتدرج في نزوله نجوما(١) الآيه و الآيات و الأكثر و السوره. و كلما نزل شىء هفت اليه قلوب المسلمين و انشروحت له صدورهم و هبوا الي حفظه بأحسن الرغبه و الشوق و أكمل الإقبال و أشد الارتياح. فتلقونه بالابتهاج و تلقوه بالاغتنام من تلاوه الرسول العظيم الصادع بأمر الله و المسارع إلى التبليغ و الدعوه إلى الله و قرآنه. و تناولوه حفظهم بما امتازت به العرب و عرفوا به من قوه الحافظه الفطريه و أثبتوه في قلوبهم كالنقش في الحجر. و كان شعار الإسلام و سمه المسلم حينئذ هو التجمل و التكميل بحفظ ما ينزل من القرآن الكريم. لكي يتبصر بحججه و يتنور بمعارفه و شرائعه و أخلاقه الفاضله و تاريخه المجيد و حكمته الباهره و أدبه العربي الفائق المعجز. فاتخذ المسلمون تلاوته لهم حجه الدعوه. و معجز البلاغه. و لسان العباده لله. و لهجه ذكره. و ترجمان مناجاته. و أنيس الخلوه. و ترويح النفس. و درسا للكمال. و تمرينا في التهذيب. و سلما للترقى. و تدربا في التمدن. و آيه الموعظه. و شعار الإسلام. و وسام الإيمان و التقدم في الفضيله. و استمر المسلمون على ذلك حتى صاروا في زمان الرسول يعدون بالألوف و عشراتها و مئاتها. و كلهم من حملة القرآن و حفاظه(٢) و إن تفاوتوا في ذلك بحسب

ص: ١٧

١- (١) و لا بد من أن تكون كتب الوحي و الدعوه و التشريع جاريه في كمالها على منهاج هذه الحكمة. و مما يشير إلى ذلك ان التوراه الرائج تذكّر ان نزول التوراه على موسى عليه السلام كان من زمان تكليمه من الشجره متدرجا بحسب الأزمان و الحوادث و التاريخ و الحكم في التشريع إلى حين وفاته بعد التيه عند عبر الأردن و متراخيا في اكثر من أربعين سنه. فانظر في شرح هذا المجلد إلى المقدمه الثانيه من الجزء الأول من كتاب الهدى صحيفه ٩ إلى ١٢.

٢- (٢) اخرج ابن سعد و ابن عساكر عن محمد بن كعب القرظى قال جمع القرآن اى حفظا في زمان النبي (صلى الله عليه و آله) خمس من الأنصار معاذ بن جبل و عباده بن الصمت و أبي بن كعب و ابو أيوب الانصارى و ابو الدرداء. و اخرج ابن سعد و يعقوب بن سفيان و الطبرانى و ابن عساكر عن الشعبى قال جمع القرآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) ستة من الأنصار أبي بن كعب و زيد بن ثابت و معاذ بن جبل و ابو الدرداء و سعد بن عبيد و ابو زيد و كان مجمع ابن جاريه قد أخذه كله إلا- سورتين أو ثلاثه. و اخرج ابن عساكر عن محمد بن كعب القرظى قال كان ممن ختم القرآن و رسول الله حى عثمان بن عفان و على بن أبى طالب و عبد الله بن مسعود. و اخرج عن انس قرأ القرآن على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) معاذ و أبى و سعد و ابو زيد. و اخرج الحاكم فى الصحيح على شرط البخارى و مسلم عن زيد بن ثابت قال كنا عند رسول الله (صلى الله عليه و آله) نؤلف القرآن من الرقاع. و فى روايه حول رسول الله نؤلف القرآن «فانظر إلى كثر العمال و منتخبه اقلا» و لم اذكر هذه الروايات احتجاجا بها للحقيقه المعلومه و لكن لتجبه بالمعارضه بعض الروايات الشاذه الوارده فى خلاف ما ذكرناه من حفظ المسلمين فى عصر النبي و بعده للقرآن الكريم.

السابقه و الفضيله .. هذا و لما كان وحيه لا ينقطع فى حياه رسول الله (صلى الله عليه و آله) لم يكن كله مجموعا فى مصحف واحد و إن كان ما أوحى منه مجموعا فى قلوب المسلمين و كتاباتهم له .. و لما اختار الله لرسوله دار الكرامه و انقطع الوحي بذلك فلا يرجى للقرآن نزول تتمه رأى المسلمون ان يسجلوه فى مصحف جامع فجمعوا مادته على حين اشراف الألوفا من حفاظه و رقاها مكتوباته الموجوده عند الرسول و كتاب الوحي و سائر المسلمين جملة و ابعاضا و سوراً (١) نعم لم يترتب على ترتيب نزوله و لم يقدم منسوخه على ناسخه (٢) فاستمر القرآن الكريم على هذا الاحتفال العظيم بين المسلمين جيلا بعد جيل ترى له فى كل آن الوفا مؤلفه من المصاحف و الوفا من الحفاظ و لا تزال المصاحف ينسخ بعضها على بعض و المسلمون يقرأ بعضهم على بعض و يسمع بعضهم من بعض. تكون ألوفا المصاحف رقيه على الحفاظ، و ألوفا الحفاظ رقاء على المصاحف و تكون الألوفا من كلا القسمين رقيه على المتجدد منهما، نقول الألوفا و لكنها مئات الألوفا و ألوفا الألوفا. فلم يتفق لأمر تاريخى من التواتر و بداهاه البقاء مثل ما اتفق للقرآن الكريم كما وعد الله جلت آلاؤه بقوله فى سورة الحجر إنا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إنا لَهُ لَحَافِظُونَ و قوله فى سورة القياهاه إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ و لئن سمعت فى الروايات الشاذه شيئا فى تحريف القرآن و ضياع بعضه فلا تقم لتلك الروايات وزنا. و قل ما يشاء العلم فى اضطرابها و وهنها و ضعف رواها و مخالفتها للمسلمين و فيما جاءت به فى رواهاها الواهيه

ص: ١٨

١- (١) و مما يشهد لما ذكرناه ما عن أبى عبيد فى فضائله و ابن جرير و ابن المنذر و ابن مردويه مسندا عن عمر بن عامر الانصارى ان عمر بن الخطاب قرأ «و السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ وَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» فرغ الأنصار و لم يدخل و او العطف على «الذين» فقال له زيد بن ثابت «و الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» فقال عمر «الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» فقال زيد أمير المؤمنين اعلم فقال عمر ايتونى بابى بن كعب فسأله عن ذلك فقال «و الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ» فجعل كل واحد منهما يشير إلى انف صاحبه بإصبعه فقال أبى و الله اقرأنيها رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أنت تتبع الخطب فقال عمر فنعم إذن فنعم إذن. و اخرج ابو عبيد فى فضائله و سنيد و ابن جرير و ابو الشيخ عن محمد بن كعب القرظى. و اخرج ابو الشيخ فى تفسيره و الحاكم فى المستدرک مصححا على شرط البخارى و مسلم عن اسامه و محمد بن ابراهيم التيمى انه جرى بين عمر و أبى بن كعب فى هذه الآيه نحو ذلك فانظر فى كتر الأعمال و منتخبه.

٢- (٢) نعم من المعلوم عند الشيعة ان عليا أمير المؤمنين (عليه السلام) بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و آله) لم يرتد برداء إلا للصلاه حتى جمع القرآن على ترتيب نزوله و تقدم منسوخه على ناسخه. و اخرج ابن سعد و ابن عبد البر فى الاستيعاب عن محمد بن سيرين قال نبث ان عليا ابطأ عن بيعه أبى بكر فقال أكرهت امارتى فقال آليت يمينى ان لا ارتدى برداء إلا للصلاه حتى اجمع القرآن قال فرعموا انه كتبه على تنزيله قال محمد فلو أصبت ذلك الكتاب كان فيه علم قال ابن عوف فسألت عكرمه عن ذلك الكتاب فلم يعرفه.

من الوهن. و ما الصقته بكرامه القرآن مما ليس له شبه به و استمع من ذلك لأمر

اضطراب الروايات فى جمع القرآ

الأمر الأول

جاء فيها ان أبا بكر هو الذى أدى رأيه أولاً الى جمع القرآن و هو الذى طلب من زيد بن ثابت جمعه فثقل ذلك عليه فلم يزل ابو بكر يراجع حتى قبل. و جاء فيها ايضاً ان زياداً هو الذى أدى رأيه أولاً الى جمع القرآن و عزم عليه و كلم فى ذلك عمر فكلم فيه عمر أبا بكر فاستشار ابو بكر فى ذلك المسلمين. و جاء فيها ايضاً ان أبا بكر هو الذى جمع القرآن فى أيامه. و جاء فيها ان عمر قتل و لم يجمع القرآن. و جاء فيها ان عثمان هو الذى جمع القرآن فى أيامه بأمره. و جاء فيها ان عمر هو الذى أمر زيد بن ثابت و سعيد بن العاص لما أراد جمع القرآن أن يملئ زيد و يكتب سعيد. و جاء فيها ان ذلك كان من عثمان فى أيامه و بعد قتل عمر. و جاء فى ذلك ايضاً ان الذى يملئ أبى بن كعب و زيد يكتبه و سعيد يعربه. و فى روايه أخرى ان سعيداً و عبد الله بن الحرث يعربانه: هذا بعض حال هذه الروايات فى تعارضها و اضطراباتها، و من جمله ما جاء فيها ما مضمونه ان براءه آخر ما نزل من القرآن فما ذا ترى لهذه الروايه من القيمه التاريخيه. فانظر الى الجزء الأول من كتز العمال و منتخبه اقلاً

(الثانى) بعض ما الصق بكرامه القرآن ا (الثانى) بعض ما الصق بكرامه القرآن الكريم

فى الجزء الخامس من مسند احمد عن أبى بن كعب قال ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال ان الله أمرنى ان اقرأ عليك القرآن قال فقراً لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب فقراً فيها «لو ان ابن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانياً فلو سأل ثانياً فأعطيه لسأل ثالثاً و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب و يتوب الله على من تاب و ان ذلك الدين القيم عند الله الحنيفيه غير المشركه و لا اليهوديه و لا النصرانيه و من يعمل خيراً فلن يكفره».

و فى روايه الحاكم فى المستدرک و روايه غيره ايضاً «ان ذات الدين عند الله الحنيفيه لا المشركه» و فى روايه «غير المشركه» الى آخره و عن جامع الأصول لابن الأثير الجزرى «ان الدين عند الله الحنيفيه المسلمه لا اليهوديه و لا النصرانيه و لا المجوسيه»

و ذكر فى المسند ايضاً بعد هذه الروايه عن أبى قال قال لى رسول الله (صلى الله عليه و آله) ان الله أمرنى ان اقرأ عليك فقراً على لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب و المشركين منفقين حتى تأتيتهم البيئه رسول من الله يتلوا صُحُفاً

مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتِبَ قِيَمَةٌ وَ مَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ

إن الدين عند الله الحنيفيه لا المشركه و لا اليهوديه و لا النصرانيه و من يفعل خيرا فلن يكفره قال شعبه ثم قرأ آيات بعدها ثم قرأ «لو ان لابن آدم واديين من مال لسأل واديا ثالثا و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب». قال ثم ختمها بما بقى منها انتهى. و هذه الروايات رواها ايضا ابو داود الطيالسي و سعيد بن منصور فى سننه و الحاكم فى مستدرکه كما فى كتر العمال.

و ذكر فى المسند ايضا عن أبى واقد الليثى قال كنا نأتى النبى (صلى الله عليه و آله) إذا انزل عليه فيحدثنا فقال لنا ذات يوم ان الله عزّ و جلّ قال «إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة و إيتاء الزكاه و لو كان لابن آدم واد لأحبّ أن يكون له ثان و لو كان له واديان لأحبّ أن يكون لهما ثالثا و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ثم يتوب الله على من تاب انتهى.

هب ان المعرفه و الصدق لا يطالبان المحدثين «و لا نقول القصاص» و لا يسألانهم عن هذا الاضطراب الفاحش فيما يزعمون انه من القرآن و لا- يسألانهم عن التمييز بين بلاغه القرآن و علو شأنه فيها و بين انحطاط هذه الفقرات. و لكن أليس للمعرفه أن تسألهم عن الغلط فى قولهم «لا المشركه» فهل يوصف الدين بأنه مشركه. و فى قولهم «الحنيفيه المسلمه» و هل يوصف الدين او الحنيفيه بأنه مسلمه و قولهم «ان ذات الدين» و فى قولهم «إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة» ما معنى إنزال المال.

و ما معنى كونه لإقام الصلاة. هذا و استمع لما يأتى

ففى الجزء السادس من مسند احمد مسندا عن مسروق قال قلت لعائشه هل كان رسول الله يقول شيئا إذا دخل البيت قالت كان إذا دخل البيت مثل لو كان لابن آدم واديان من مال لا يتغى واديا ثالثا و لا يملأ فمه الا التراب و ما جعلنا المال إلا لإقام الصلاة و إيتاء الزكاه و يتوب الله على من تاب.

و فى الجزء السادس فى اسناده عن جابر قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لو ان لابن آدم واديا من مال لتمنى واديين و لو ان له واديين لتمنى ثالثا و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب. و باسناده ايضا قال سئل جابر هل قال رسول الله لو كان لابن آدم واد من نخل تمنى مثله حتى يتمنى أوديه و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب انتهى.

و هل تجد من الغريب او الممتنع فى العاده ان يكون لابن آدم واد من مال أو من نخل.

او ليس فى بنى آدم فى كل زمان من ملك واديا من ذلك بل اوديه. اذن فكيف يصح فى الكلام المستقيم أن يقال لو كان لابن آدم. لو ان لابن آدم. او ليست لو للامتناع. باللعجب من الرواه لهذه الروايات ألم يكونوا عربا أو لهم إمام باللغه العربيه. نعم يرتفع هذا الاعتراض

بما رواه أحمد في مسند ابن عباس لو كان لابن آدم واديان من ذهب و كذا ما يأتي من روايه الترمذى عن انس. و ايضا إن تمنى الوادى و الواديين و الثلاث ليس بذنب يحتاج إلى التوبه إذن فما هو وجه المناسبه بتعقيب ذلك بجمله «و يتوب الله على من تاب» و إن شئت ان تستزيد مما في هذه الروايه من التدافع و الاضطراب فاستمع إلى ما رواه الحاكم فى المستدرک ان أبا موسى الأشعري قال كنا نقرأ سورة نشبهها بالطول و الشده ببراءه فأنسيتها غير انى حفظت منها لو كان لابن آدم واديان من مال لا يتغى ثالثا و لا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب.

و ذكر فى الدر المنثور انه أخرجه جماعه عن أبى موسى. و أضف إلى ذلك فى التدافع و التناقض ما أسنده فى الإتيان عن أبى موسى ايضا قال نزلت سورة نحو براءه ثم رفعت و حفظ منها ان الله سيؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم و لو ان لابن آدم واديين لتمنى إلى آخره.

و أسند الترمذى عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لو كان لابن آدم واد من ذهب لأحب ان يكون له ثان و لا يملأ فاه إلا التراب و يتوب الله على من تاب.

و ها أنت ترى روايات عائشه و جابر و انس و ابن عباس تجعل حديث الوادى و الواديين من قول رسول الله و تمثله.

فهى بسوقها تنفى كونه من القرآن الكريم. و مع ذلك فقد نسبت إلى كلام الرسول (صلى الله عليه و آله) ما يأتي فيه بعض من الاعتراضات المتقدمه مما يجب ان ينزه عنه و دع عنك الاضطراب الذى يدع الروايه مهزله.

(الأمر الثالث)

و مما الصقوه بكرامه القرآن المجيد قولهم فى الروايه عن زيد بن ثابت كنا نقرأ آيه الرجم «الشيخ و الشيخه إذا زنيا فارجموهما البته» و فى الروايه عن زر عن أبى ان سورة الأحزاب كانت تضاهى سورة البقره او هى أطول منها و ان فيها أو فى أواخرها آيه للرجم و هى «الشيخ و الشيخه فارجموهما البته نكالا من الله و الله عزيز حكيم»

و فى روايه السيارى من الشيعة عن أبى عبد الله بزياده قوله بما قضيا من الشهوه.

و فى روايه الموطأ و المستدرک و مسدد و ابن سعد عن عمر كما سيأتى «الشيخ و الشيخه فارجموهما البته»

و فى روايه أبى امامه ابن سهل ان خالته قالت لقد أقرأنا رسول الله (صلى الله عليه و آله) آيه الرجم «الشيخ و الشيخه فارجموهما البته بما قضيا من اللذه» و نحو ذلك روايه سعد بن عبد الله و سليمان بن خالد من الشيعة عن أبى عبد الله (عليه السلام).

و يا للعجب كيف رضى هؤلاء المحدثون لمجد القرآن و كرامته ان يلقى هذا الحكم الشديد على الشيخ و الشيخه بدون ان يذكر السبب و هو زناهما اقلا فضلا عن شرط

الإحصان. و ان قضاء الشهوه أعمّ من الجماع و الجماع اعّم من الزنا و الزنا يكون كثيرا مع عدم الإحصان. سامحنا من يزعم ان قضاء الشهوه كناية عن الزنا بل زد عليه كونه مع الإحصان و لكننا نقول ما وجه دخول الفاء فى قوله «فارجموهما» و ليس هناك ما يصحح دخولها من شرط أو نحوه لا ظاهر و لا على وجه يصح تقديره و إنّما دخلت الفاء على الخبر فى قوله تعالى فى سورة النور الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا لِأَن كَلِمَةَ اجْلَدُوا بَمَنْزِلَةِ الْجِزَاءِ لِصَفَةِ الزَّانِيَةِ فِي الْمَبْتَدَأِ. و الزنا بمنزلة الشرط. و ليس الرجم جزاء للشيخوخة و لا الشيخوخة سببا له. نعم الوجه فى دخول الفاء هو الدلالة على كذب الرواية. و لعلّ فى روايه سليمان بن خالد سقطا بأن تكون صورته سؤاله هل يقولون فى القرآن رجم. و كيف يرضى لمجده و كرامته فى هذا الحكم الشديد ان يقيد الأمر بالشيخ و الشيخة مع اجماع الأمة على عمومته لكل زان محصن بالغ الرشد من ذكر أو أنثى. و ان يطلق الحكم بالرجم مع اجماع الأمة على اشتراط الإحصان فيه. و فوق ذلك يؤكد الإطلاق و يجعله كالنص على العموم بواسطة التعليل بقضاء اللذة و الشهوه الذى يشترك فيه المحصن و غير المحصن. فتبصر بما سمعته من التدافع و التهافت و الخلل فى روايه هذه المهزله.

و أضف إلى ذلك ما رواه فى الموطأ و المستدرک و مسدد و ابن سعد من ان عمر قال قبل موته بأقل من عشرين يوما فيما يزعمونه من آيه الرجم لو لا ان يقول الناس زاد عمر بن الخطاب فى كتاب الله لكتبها «الشيخ و الشيخة فارجموهما البتة»

و اخرج الحاكم و ابن جرير و صححه ايضا ان عمر قال لما نزلت أتيت رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقلت اكتبها «و فى نسخه كنز العمال» اكتبها فكأنه كره ذلك. و قال عمر الا ترى ان الشيخ إذا زنى و لم يحصن جلد و ان الشاب إذا زنا و قد أحصن رجم.

فالمحدثون يروون ان عمر يذكر ان رسول الله كره ان تكتب آيه منزله و عمر يذكر وجوه الخلل فيها. فيا للعجب منهم.

و فى الإتقان أخرج النسائى ان مروان قال لزيد بن ثابت ألا تكتبها فى المصحف قال ألا ترى ان الشابين الثيبين يرجمان و قد ذكرنا ذلك لعمر فقال أنا أكفيكم فقال يا رسول الله اكتب لى آيه الرجم قال لا تستطيع انتهى.

فزيد بن ثابت يعترض عليها. و لما رأوا التدافع بين قول عمر اكتبها لى و بين

قول النبى لا تستطيع

قالوا أراد عمر بقوله ذلك ائذن لى بكتابتها و كأنهم لا يعلمون ان عمر عربى لا يعبر عن قوله ائذن لى بكتابتها بقوله اكتبها لى و مع ذلك لم يستطيعوا ان يذكروا وجهها مقبولا

لقوله (صلى الله عليه و آله) لا تستطيع.

و فى روايه فى كنز العمال عن ابن الضريس عن عمر قلت لرسول الله اكتبها يا رسول

اللّٰه قال لا أستطيع.

و اخرج ابن الضريس عن زيد بن اسلم ان عمر خطب الناس فقال لا- تشكوا فى الرجم فإنه حق و لقد هممت ان اكتبه فى المصحف فسألت أبى بن كعب فقال أليس اتيتنى و انا استقرئها رسول اللّٰه فدفعت فى صدرى و قلت كيف تستقرئه آيه الرجم و هم يتسافدون تسافد الحمر انتهى. فهذه الروايه تقول ان عمر لم يرض بانزال شىء فى الرجم. و ليت المحدثين يفسرون حاصل الجواب من أبى لعمر و حاصل منع عمر لأبى عن استقرئها،

و اخرج الترمذى عن سعد بن المسيب عن عمر قال رجم رسول اللّٰه (صلى الله عليه و آله) و رجم ابو بكر و رجمت و لو لا انى اكره ان أزيد فى كتاب اللّٰه لكتبته فى المصحف.

فعمر يقول ان كتابه الرجم فى المصحف زياده فى كتاب اللّٰه و هو يكرهها- فقابل هذه الروايات الأربع إحداهن بالأخرى و اعرف ما جناه المولعون بكثرة الروايه من المحدثين. و إذا نظرت إلى الجزء الثالث من كنز العمال صحيفه:

٩٠ و ٩١ فإنك تزداد بصيره فى الاضطراب و الخلل هذا و مما يصادم هذه الروايات و يكافحها ما

روى من أن عليا (عليه السلام) لما جلد شراحه الهمدانيه يوم الخميس و رجمها يوم الجمعة قال اجلدها بكتاب اللّٰه و ارجمها بسنه رسوله كما رواه احمد و البخارى و النسائى و عبد الرزاق فى الجامع و الطحاوى و الحاكم فى مستدرکه و غيرهم. و رواه الشيعه عن على (عليه السلام) مرسلا

فعلى (عليه السلام) يشهد بأن الرجم من السنه لا من الكتاب

الأمر الرابع

مما الصقوه بكرامه القرآن المجيد ما رواه فى الإتقان و الدر المنثور انه اخرج الطبرانى و البيهقى و ابن الضريس ان من القرآن سورتين «و قد سماها الراغب فى المحاضرات سورتي القنوت» و نسبوهما الى تعليم على (عليه السلام) و قنوت عمر و مصحفى ابن عباس و زيد بن ثابت و قراءه أبى و أبى موسى (و الأولى منهما) بسم اللّٰه الرحمن الرحيم اللهم إنا نستعينك و نستغفرک و نشئى عليك الخير و لا نكفرک و نخلع و نترك من يفجرک انتهى.

لا نقول لهذا الراوى ان هذا الكلام لا يشبه بلاغه القرآن و لا سوقه فانا نسامحه فى معرفه ذلك و لكننا نقول له كيف يصح قوله يفجرک و كيف تتعدى كلمه يفجر و ايضا ان الخلع يناسب الأوتان إذن فما ذا يكون المعنى و بماذا يرتفع الغلط (و الثانيه منهما) بسم اللّٰه الرحمن الرحيم اللهم إياک نعبد و لک نصلى و نسجد و إليك نسعى و نحفد نرجو رحمتک و نخشى عذابک الجدان عذابک بالكافرين ملحق انتهى. و لسماع الراوى ايضا فيما سامحناه فيه فى الروايه الأولى

و لكننا نقول له ما معنى الجَدِّ هنا أهو العظمه او الغنى او ضد الهزل او هو حاجه السجع نعم فى روايه عبيد نخشى نقتك و فى روايه عبد الله نخشى عذابك و ما هى النكته فى التعبير بقوله ملحق.

و ما هو وجه المناسبه و صحه التعليل لخوف المؤمن من عذاب الله بأن عذاب الله بالكافرين ملحق بل ان هذه العبارة تناسب التعليل لأن لا يخاف المؤمن من عذاب الله لأن عذابه بالكافرين ملحق

الأمر الخامس

و مما الصقوه بالقرآن المجيد ما نقله فى فصل الخطاب عن كتاب دبستان المذاهب انه نسب الى الشيعة انهم يقولون ان إحراق المصاحف سبب إتلاف سور من القرآن نزلت فى فضل على (عليه السلام) و اهل بيته (عليه السلام) «منها» هذه السوره و ذكر كلاما يضاهى خمسا و عشرين آيه فى الفواصل قد لفق من فقرات القرآن الكريم على أسلوب آياته. فاسمع ما فى ذلك من الغلط فضلا عن ركاكه أسلوبه الملقق فمن الغلط «و اصطفى من الملائكه و جعل من المؤمنين أولئك فى خلفه» ماذا اصطفى من الملائكه و ماذا جعل من المؤمنين و ما معنى أولئك فى خلقه. و منه «مثل الذين يوفون بعهديك انى جزيتهم جنات النعيم» ليت شعرى ما هو مثلهم. و منه «و لقد أرسلنا موسى و هارون بما استخلف فبغوا هارون فصبر جميل» ما معنى هذه الدمدمه و ما معنى بما استخلف و ما معنى فبغوا هارون و لمن يعود الضمير فى بغوا و لمن الأمر بالصبر الجميل. و من ذلك «و لقد اتينا بك الحكم كالذى من قبلك من المرسلين و جعلنا لك منهم وصيا لعلمهم يرجعون» ما معنى اتينا بك الحكم و لمن يرجع الضمير الذى فى منهم و لعلمهم. هل المرجع للضمير هو فى قلب الشاعر. و ما هو وجه المناسبه فى لعلمهم يرجعون. و من ذلك «و ان عليا قانت فى الليل ساجد يحذر الآخره و يرجو ثواب و به قل هل يستوى الذين ظلموا و هم بعدابى يعلمون» قل ما محل قوله هل يستوى الذين ظلموا و ما هى المناسبه له فى قوله و هم بعدابى يعلمون. و لعل هذا الملقق تختلج فى ذهنه الآيتان الحاديه عشره و الثانيه عشره من سوره الزمر و فى آخرها هَيْلٌ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ فأراد الملقق أن يلفق منهما شيئا بعدم معرفته فقال فى آخر ما لفق هل يستوى الذين ظلموا و لم يفهم انه جىء بالاستفهام الانكارى فى الآيتين لأنه ذكر فيهما الذى جعل لله أندادا ليضل عن سبيله و القانت آناء الليل يرجو رحمه ربه فهما لا يستويان و لا يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون. هذا بعض الكلام فى هذه المهزله.

و ان صاحب فصل الخطاب من المحدثين المكثرين المجدين فى التبع للشواذ و انه ليعدّ أمثال هذا المنقول فى دبستان المذاهب ضالته المنشوده و مع ذلك قال انه لم يجد لهذا المنقول أثر فى كتب الشيعة. فى للعجب من صاحب دبستان المذاهب من اين جاء بنسبه هذه الدعوى إلى الشيعة. و فى أى كتاب لهم وجدها أ فهكذا يكون النقل فى الكتب و لكن لا عجب (شنشنه أعرها من أخزم) فكم نقلوا عن الشيعة مثل هذا النقل الكاذب كما فى كتاب الملل للشهرستانى و مقدمه ابن خلدون و غير ذلك مما كتبه بعض الناس فى هذه السنين و الله المستعان

قول الإماميه بعدم النقيصه فى القرآن

و لا يخفى ان شيخ المحدثين و المعروف بالاعتناء بما يروى و هو الصدوق طاب ثراه قال فى كتاب الاعتقاد. اعتقادنا ان القرآن الذى أنزله الله على نبيه (صلى الله عليه و آله) هو ما بين الدفتين و ليس بأكثر من ذلك و من نسب إلينا انا نقول انه اكثر من ذلك فهو كاذب انتهى. و حمل الروايات الوارده فى النقصان على وجوه آخر. و فى أواخر فصل الخطاب من كتاب المقالات للشيخ المفيد قدس سره إنه قال جماعه من أهل الإمامه انه (أى القرآن) لم ينقص من كلمه و لا من آيه و لا من سوره و لكن حذف ما كان مثبتا فى مصحف أمير المؤمنين (عليه السلام) من تأويله و تفسير معانيه على حقيقه تنزيهه. و عن السيد المرتضى قدس سره قوله بعدم النقيصه و ان من خالف فى ذلك من الإماميه و الحشويه لا يعتد بخلافهم فإن الخلاف فى ذلك مضاف إلى قوم من اصحاب الحديث نقلوا أخبارا ضعيفه ظنوا صحتها. و فى أول التبيان الشيخ الطوسى (قده) أما الكلام فى زيادته و نقصه فمما لا يليق به أيضا لأن الزيادة فيه مجمع على بطلانها. و النقصان فالظاهر أيضا من مذهب المسلمين خلافه و هو الأليق بالصحيح من مذهبنا و هو الذى نصره المرتضى و هو الظاهر فى الروايات غير انه رويت روايات كثيره من جهه الخاصه و العامه بنقصان كثير من آى القرآن و نقل شىء منه من موضع إلى موضع طريقها الآحاد التى لا-توجب علما و لا-عملا- و الأولى الاعراض عنها انتهى. و تبعه على ذلك فى مجمع البيان و فى كشف الغطاء فى كتاب القرآن المبحث الثامن فى نقصه لا ريب انه محفوظ من النقصان بحفظ الملك الديان كما دل عليه صريح القرآن و اجماع العلماء فى كل زمان و لا عبره بالنادر و ما ورد من اخبار النقص تمنع البدييه من العمل بظاهرها إلى ان قال فلا بد من تأويلها بأحد وجوه.

و عن السيد القاضى نور الله فى كتابه مصائب النواصب ما نسب إلى الشيعة الإماميه من

وقوع التغيير فى القرآن ليس مما قال به جمهور الإماميه إنما قال به شردمه قليله منهم لا- اعتداد بهم فيما بينهم. و عن الشيخ البهائى و ايضا اختلفوا فى وقوع الزيادة و النقصان فيه و الصحيح ان القرآن العظيم محفوظ عن ذلك زياده كان أو نقصانا و يدل عليه قوله تعالى وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ و ما اشتهر بين الناس من إسقاط اسم امير المؤمنين عليه السلام منه فى بعض المواضع مثل قوله تعالى يا ايها الرسول بلغ ما انزل إليك فى على و غير ذلك فهو غير معتبر عند العلماء. و عن المقدس البغدادى فى شرح الوافيه و انما الكلام فى النقيصه و المعروف بين أصحابنا حتى حكى عليه الإجماع عدم النقيصه ايضا. و عنه ايضا عن الشيخ على بن عبد العالى انه صنف فى نفي النقيصه رساله مستقله و ذكر كلام الصدوق المتقدم ثم اعترض بما يدل على النقيصه من الأحاديث و أجاب بأن الحديث إذا جاء على خلاف الدليل من الكتاب و السنه المتواتره أو الإجماع و لم يمكن تأويله و لا حمله على بعض الوجوه و جب طرحه .. هذا و ان المحدث المعاصر جهد فى كتاب فصل الخطاب فى جمع الروايات التى استدل بها على النقيصه و كثر أعداد مسانيدها باعداد المراسيل عن الأئمه عليهم السلام فى الكتب كمراسيل العياشى و فرات و غيرها مع ان المتتبع المحقق يجزم بأن هذه المراسيل مأخوذه من تلك المسانيد. و فى جمله ما أورده من الروايات ما لا يتيسر احتمال صدقها. و منها ما هو مختلف باختلاف يثول به إلى التناقى و التعارض و هذا المختصر لا يسع بيان النحويين الأخيرين. هذا مع ان القسم الوافر من الروايات ترجع أسانيدده إلى بضعه انفار و قد وصف علماء الرجال كلا منهم اما بأنه ضعيف الحديث فاسد المذهب مجفو الروايه. و اما بأنه مضطرب الحديث و المذهب يعرف حديثه و ينكر و يروى عن الضعفاء. و اما بأنه كذاب متهم لا أستحل ان اروى من تفسيره حديثا واحدا و انه معروف بالوقف و أشد الناس عداوه للرضا عليه السلام. و اما بأنه كان غاليا كذابا. و اما بأنه ضعيف لا يلتفت اليه و لا يعول عليه و من الكذابين. و اما بأنه فاسد الروايه يرمى بالغلو. و من الواضح ان أمثال هؤلاء لا تجدى كثرتهم شيئا. و لو تسامحنا بالاعتناء برواياتهم فى مثل هذا المقام الكبير لوجب من دلالة الروايات المتعدده ان ننزلها على ان مضامينها تفسير للآيات أو تأويل او بيان لما يعلم يقينا شمول عموماتها له لأنه أظهر الافراد و أحقها بحكم العام.

أو ما كان مرادا بخصوصه و بالنص عليه فى ضمن العموم عند التنزيل. أو ما كان هو المورد للنزول. او ما كان هو المراد من اللفظ المبهم. و على احد الوجوه الثلاثة الأخيره يحمل ما ورد

فيها انه تنزِيل و انه نزل به جبريل كما يشهد به نفس الجمع بين الروايات. كما يحمل التحريف فيها على تحريف المعنى و يشهد لذلك

مكاتبه أبي جعفر عليه السلام لسعد الخير كما في روضه الكافي ففيها و كان من نبذهم الكتاب أن أقاموا حروفه و حرفوا حدوده.

و كما يحمل ما فيها من انه كان في مصحف امير المؤمنين عليه السلام او ابن مسعود و ينزل على انه كان فيه بعنوان التفسير و التأويل. و مما يشهد لذلك

قول امير المؤمنين (عليه السلام) للزنديق كما في نهج البلاغه و غيره و لقد جتتهم بالكتاب كمالا مشتملا على التنزيل و التأويل.

و مما أشرنا اليه من الروايات ان المحدث المعاصر أورد في روايات سورة المعارج اربع روايات ذكرت ان كلمه (بولايه على) مثبتة في مصحف فاطمه و هكذا هي في مصحف فاطمه (عليه السلام) و لا يخفى ان مصحفها عليها السلام انما هو كتاب تحديث بأسرار العلم كما يعرف ذلك من عدده روايات في اصول الكافي في باب الصحيفة و المصحف و الجامعه و فيها

قول الصادق (عليه السلام) ما فيه من قرآنكم حرف واحد.

و ما أزعم ان فيه قرآنا كما في الصحيح و الحسن (و منها) ما

في الكافي في باب ان الأئمة عليهم السلام شهداء على الناس في صحيحه بريد عن أبي جعفر (عليه السلام) و روايته عن أبي عبد الله (عليه السلام) من قولهما (عليه السلام) في قوله تعالى جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

نحن الأمة الوسطى.

و في شرحه عن امير المؤمنين عليه السلام و نحن الذين قال الله جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.

إذن فما روى مرسلًا في تفسيرى النعمانى و سعد من ان الآيه أئمة وسطا لا بد من حمله على التفسير و ان التحريف إنما هو للمعنى (و منها) كما

رواه في الكافي في باب ان الأئمة هم الهداه عن الفضيل سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله تعالى وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ فَقَالَ كل إمام هو هاد للقرن الذى هو فيهم.

و روايه بريد عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ فَقَالَ رسول الله (صلى الله عليه و آله) المنذر و لكل زمان منا هاد يهديهم إلى ما جاء به النبى (صلى الله عليه و آله) و الهداه من بعده على (عليه السلام) ثم الأوصياء واحدا بعد واحد. و نحوها روايه أبى بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و روايه عبد الرحيم القصير عن أبى جعفر عليه السلام ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) المنذر و على الهادى و بمضمونها

جاءت روايات الجمهور مسنده عن طريق أبي هريره و أبي برزه و ابن عباس و طريق امير المؤمنين (عليه السلام) و صححه الحاكم في مستدرکه.

و إذا أحطت خبرا بهذا فهل يروق لك التجاء فصل الخطاب في تليفه و تكثيره إلى النقل عن بعض التفاسير المتأخره و عن الداماد في حاشيه القبسات من قوله ان الأحاديث من طرقنا و طرقهم متضافره بأنه كان التنزيل انما أنت منذر لعباد و على

ص: ٢٧

لكل قوم هاد انتهى. هذا الشعر الذى ينشده المداحون ولا يرضى العارف باللغه العربيه ان ينسب اليه نظمه ولا أظنك تجد من طرقنا و طرق اهل السنه غير ما سمعته أولا و هو غير ما نقله فاعتبر (و منها)

روايه الكافى عن أبى حمزه عن أبى جعفر عليه السلام قال قوله عز و جل رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ يعنون بولايه على (عليه السلام)

و هذا صريح فى كونه تفسيراً فهى حاكمه ببيانها على ضعيفتى أبى بصير فى ظهورهما بأن لفظ «بولايه على» محذوف من الآيه و يسرى البيان من روايه أبى حمزه إلى أمثال ذلك (و منها) روايه عمر بن حنظله عن أبى عبد الله (عليه السلام) فى قوله تعالى فى سورة البقره مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ. مخرجات. و لا أظن إلا انك تقول ان الحاق الإمام (عليه السلام) لكلمه مخرجات انما هو تفسير للمراد من كلمه. إخراج. لا بيان للنقيصه من القرآن الكريم و لكن فصل الخطاب أوردته بعنوان البيان للنقيصه فاعتبر (و منها)

صحيحه محمد بن مسلم عن أبى عبد الله (عليه السلام) كما فى الكافى فى أول باب منع الزكاه و فيها ثم قال (عليه السلام) هو قول الله عزّ و جل سَيَطُوقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يعنى ما بخلوا به من الزكاه

فالروايه كالصريحه بأن لفظ «من الزكاه» إنما هو تفسير من الإمام لا من القرآن فهى حاكمه ببيانها على مرسله ابن أبى عمير عن ذكره عن أبى عبد الله (عليه السلام) فى قول الله عزّ و جل. سَيَطُوقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ. من الزكاه يَوْمَ الْقِيَامَةِ و صارفه لها عن كونها بيانا للنقيصه. (و منها)

صحيحه أبى بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) كما فى الكافى فى باب نص الله و رسوله على الأئمه واحدا بعد واحد.

و فيها: فقلت له ان الناس يقولون فما له لم يسم عليا (عليه السلام) و أهل بيته فى كتاب الله قال فقولوا لهم ان رسول الله نزلت عليه الصلاه و لم بسم الله لهم ثلاثا و لا أربعا حتى كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) هو الذى فسر لهم ذلك.

و كذا قال (عليه السلام) فى الزكاه و الحج. و مقتضى الروايه تصديق الإمام (عليه السلام) لقول الناس ان الله لم يسم عليا فى القرآن و إن التسميه كانت من تفسير رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى حديث من كنت مولاه و حديث الثقلين. و يشهد لذلك ما رواه فى الكافى ايضا فى هذا الباب بعد ذلك بيسير فى صحيحه الفضلاء عن أبى جعفر عليه السلام و روايه أبى الجارود عنه (عليه السلام) ايضا و روايه أبى الديلم عن أبى عبد الله (عليه السلام) انهما تلاوا فى مقام الاحتجاج و عدم التقيه قوله تعالى يا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ و لم يذكر فى تلاوه الآيه كلمه «فى على» و هذا يدل على أنّ ما روى فى ذكر اسم على (عليه السلام) فى هذا المقام بل و فى غيره إنما هو تفسير و بيان للمراد فى وحى القرآن بكون التفسير و البيان جاء به

جبرائيل من عند الله بعنوان الوحي المطلق لا القرآن و ما يُنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (و منها)

روايه الفضيل عن أبي الحسن الماضى (عليه السلام) فى باب النكت من التنزيل فى الولاية من الكافى قال قلت هذا الذى كُنتُمْ بِهِ تُكَاذِبُونَ قال يعنى امير المؤمنين (عليه السلام) قلت تنزيل قال (عليه السلام) نعم فإنه (عليه السلام) ذكر امير المؤمنين (عليه السلام) بقوله يعنى بعنوان التفسير و بيان المراد و المشار اليه فى قوله تعالى هذا فقوله فى الجواب

«نعم» دليل على ان ما كان مرادا بعينه فى وحي القرآن يسمونه عليهم السلام تنزيلا. فتكون هذه الروايه و أمثالها قاطعه لتشبثات فصل الخطاب بما حشده من الروايات التى عرفت حالها اجمالا و إلى ما ذكرناه و غيره يشير ما نقلناه من كلمات العلماء الأعلام قدست اسرارهم. فإن قيل ان هذه الروايه ضعيفه و كذا جملة من الروايات المتقدمة قلنا ان جل ما حشده فصل الخطاب من الروايات هو مثل هذه الروايه و أشد منها ضعفا كما أشرنا اليه فى وصف روايتها على ان ما ذكرناه من الصحاح فيه كفايه لأولى الألباب

الفصل الثالث فى قراءته

و من أجل تواتر القرآن الكريم بين عامه المسلمين جيلا بعد جيل استمرت مادته و صورته و قراءته المتداوله على نحو واحد فلم يؤثر شيئا على مادته و صورته ما يروى عن بعض الناس من الخلاف فى قراءته من القراء السبع المعروفين و غيرهم فلم تسيطر على صورته قراءه أحدهم اتباعا له و لو فى بعض النسخ و لم يسيطر عليه ايضا ما روى من كثره القراءات المخالفه له مما انتشرت روايته فى الكتب كجامع البخارى و مستدرک الحاكم مسنده عن النبى (صلى الله عليه و آله) و على (عليه السلام) و ابن عباس و عمر و أبى و ابن مسعود و ابن عمر و عائشه و ابى الدرداء و ابن الزبير و انظر اقلا الى الجزء الأول من كنز العمال صفحه ٢٨٤-٢٨٩ نعم ربما اتبع مصحف عثمان على ما يقال فى مجرد رسم الكتابه فى بعض المصاحف فى كلمات معدوده كزياده الألف بين الشين و الياء من قوله تعالى لِيَشِيءَ مِنْ سوره الكهف و زيادتها ايضا فى لَأَذْبَحَنَّهُ مِنْ سوره النمل و نحو ذلك فى قليل من الكلمات. و ان القراءات السبع فضلا عن العشر إنما هى فى صورته بعض الكلمات لا بزياده كلمه او نقصها و مع ذلك ما هى إلا روايات آحاد عن آحاد لا توجب اطمئنانا و لا وثوقا. فضلا عن و هنها بالتعارض و مخالفتها للرسم المتداول المتواتر بين عامه المسلمين فى السنين المتطاوله.

و ان كلا- من القراء هو واحد لم تثبت عدالته و لا ثقته يروى عن آحاد حال غالبهم مثل حاله و يروى عنه آحاد مثله. و كثيرا ما يختلفون فى الروايه عنه. فكم اختلف حفص و شعبه فى الروايه

عن عاصم. و كذا قالون و ورش في الروايه عن نافع. و كذا قبل و البزى في روايتهما عن أصحابهما عن ابن كثير. و كذا روايه
أبي عمر و أبي شعيب في روايتهما عن اليزيدى عن أبي عمر. و كذا روايه ابن ذكوان و هشام عن أصحابهما عن ابن عامر. و
كذا روايه خلف و خالد عن سليم عن حمزه. و كذا روايه أبي عمر و أبي الحارث عن الكسائي. مع ان أسانيد هذه القراءات
الآحاديه لا يتصف واحد منها بالصحة في مصطلح اهل السنه في الاسناد فضلا عن الإماميه كما لا يخفى ذلك على من جاس
خلال الديار. فيا للعجب ممن يصف هذه القراءات السبع بأنها متواتره. هذا و كل واحد من هؤلاء القراء يوافق بقراءته في الغالب
ما هو المرسوم المتداول بين المسلمين و ربما يشذ عنه عاصم في روايه شعبه. إذن فلا يحسن أن يعدل في القراءه عما هو
المتداول في الرسم و المعمول عليه بين عامه المسلمين في اجيالهم الى خصوصيات هذه القراءات. مضافا الى انا معاشر الشيعه
الإماميه قد أمرنا بأن نقرأ كما يقرأ الناس أى نوع المسلمين و عامتهم.

و لعلمنا تقول ان غالب القراءات السبع او العشر ناش من سعه اللغه العربيه في وضع الكلمه و هيئتها نحو عليهم و إليهم و لديهم
بكسر الهاء أو ضمها مع سكون الميم او ضمهما. و نحو تظاهرون بفتح الظاء او تشديدها. فعلى أى قراءه قرئت أكون قارئاً على
العربيه. و لكن كيف يخفى عليك ان تلاوه القرآن و قراءته يجب فيها و فى تحققها ان تتبع ما أوحى الى الرسول و خوطب به
عند نزوله عليه و هو واحد فعليك أن تتحراه بما يثبت به و ليست قراءه القرآن عباره عن درس معاجم اللغه.

و لا تتشبث لذلك بما روى من ان القرآن نزل على سبعة أحرف فإنه تشبث واه واهن.

اما أولاً فقد قال فى الإتقان فى المسأله الثانيه من النوع السادس عشر اختلف فى معنى السبعه أحرف على أربعين قولاً و ذكر منها
عن ابن حيان خمسه و ثلاثين. و ما ذاك إلا لوهن روايتها و اضطرابها لفظاً و معنى. و فى الإتقان ايضاً فى أواخر النوع السادس
عشر و قد ظن كثير من العوام ان المراد بها القراءات السبعه و هو جهل قبيح (و اما ثانياً)

فقد روى الحاكم فى مستدركه بسند صحيح على شرط البخارى و مسلم عن ابن مسعود عن النبى (صلى الله عليه و آله) نزل
القرآن من سبعه أبواب على سبعه أحرف زاجراً و آمراً و حلالاً و حراماً و محكماً و متشابهاً و أمثالاً فأحلوا حلاله.

و روى ابن جرير مرسلًا عن أبي قلابه عن النبى صلى الله عليه و آله أنزل القرآن على سبعه

أحرف أمر و زاجر و ترغيب و تهيب و جدل و قصص و مثل.

و روى ابن جرير و السنجرى و ابن المنذر و ابن الأنبارى عن ابن عباس عنه (صلى الله عليه و آله) ان القرآن على اربعة أحرف حلال و حرام الحديث.

و أسند السنجرى فى الابانه. عن على (عليه السلام) انزل القرآن على عشره أحرف بشير و نذير و ناسخ و منسوخ و عظه و مثل و محكم و متشابه و حلال و حرام

(و اما ثالثا) فقد جاء فى روايات السبعه أحرف بأسانيد جياذ فى مصطلحهم ما يعرفك و عنها و إلحاقها بالخرافه

ففى روايه احمد من حديث أبى بكره ان النبى (صلى الله عليه و آله) استزاد من جبرئيل فى أحرف القراءه حتى بلغ سبعه أحرف قال يعنى جبرئيل كلها شاف كاف ما لم تختم آيه عذاب برحمه و آيه رحمه بعذاب.

و زاد فى حديث آخر نحو قولك تعال و اقبل و هلم و اذهب و اسرع و اعجل. و نحوه فى روايه الطبرانى عن أبى بكره. و فى الإتيان اخرج نحوه احمد و الطبرانى عن ابن مسعود

و اخرج ابو داود فى سننه عن أبى عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) الى قوله حتى بلغ سبعه أحرف ثم قال ليس منها إلا شاف كاف ان قلت سميعا عليما عزيزا حكيم ما لم تختم آيه عذاب برحمه او آيه رحمه بعذاب.

و فى كنز العمال فيما أخرجه احمد و ابن منيع و الغسانى و ابن أبى منصور و ابو يعلى عن أبى عن النبى (صلى الله عليه و آله) ان قلت غفورا رحيم او قلت سميعا عليما او عليما سميعا فالله كذلك ما لم تختم آيه عذاب برحمه او رحمه بعذاب.

و اخرج ابن جرير عن أبى هريره عنه (صلى الله عليه و آله) ان هذا القرآن نزل على سبعه أحرف فاقراوا و لا- حرج و لكن لا تجمعوا ذكر رحمه بعذاب و لا ذكر عذاب برحمه.

و اخرج احمد من حديث عمر القرآن كله صواب ما لم تجعل مغفره عذابا او عذابا مغفره.

فانظر الى هذه الروايات المفسره للسبعه أحرف كيف قد رخصت فى التلاعب فى تلاوه القرآن الكريم حسبما يشتهيه التالى ما لم يختم آيه الرحمه بالعذاب و بالعكس (و اما رابعا) ففى الروايات ما يقطع سند القراءات السبع فعن ابن الأنبارى فى المصاحف مسندا عن عبد الرحمن السلمى قال كانت قراءه أبى بكر و عمر و عثمان و زيد بن ثابت و المهاجرين و الأنصار واحده.

و عن ابن أبى داود مسندا عن أنس قال صليت خلف النبى (صلى الله عليه و آله) و أبى بكر و عمر و عثمان و على و كلهم كان يقرأ مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ.

و روى ايضا ان أول من قرأ ملك يوم الدين هو مروان ابن الحكم (و اما خامسا) و هو فصل الخطاب

فقد روى من طرق الشيعة فى الكافى مسندا عن أبى جعفر الباقر (عليه السلام) ان القرآن واحد نزل من عند واحد و لكن

الاختلاف يجي ء من قبل الروايات. و أرسل الصدوق نحوه في اعتقاداته عن الصادق (عليه السلام)

و في الكافي ايضا في الصحيح

ص: ٣١

عن الفضيل بن يسار قال قلت لأبي عبد الله (عليه السلام) ان الناس يقولون ان القرآن نزل على سبعة أحرف فقال (عليه السلام) كذبوا. ولكنه نزل على حرف واحد من عند الواحد.

و يؤيد ما ذكرناه روايه السيارى له ايضا عن الباقر و الصادق (عليه السلام)

الفصل الرابع فى تفسيره

إشاره

و للحاجه اليه مقاما

(المقام الأول)

فى مفردات ألفاظه و بيان معناها فى العرييه- قد أنزل القرآن الكريم على افصح لغات العرب و أكثرها تداولاً و مألوفيه لنوع العرب فلا- تخفى معانى مفرداته على العرب إلا- نادرا لبعض الجهات التى لا- ينفك عنها نوع الإنسان كما يروى فى الأبّ و القضب فى قوله تعالى فى سوره عبس وَ فَكَيْهَهُ وَ أَبًّا وَ عِنْبًا وَ قَضْبًا. و لكن لما تشرفت الأمم من غير العرب بالإسلام و تطورت اللغه العرييه بسبب الاختلاط و مرور الزمان عرض لبعض الألفاظ التى كانت متداوله مأنوسه معروفه المعانى فى عصر النزول ان صارت غريبه بعد ذلك فى استعمال العامه بعيده عن فهمهم لمعانيها. و لا زال ذلك يزداد يوما فيوما حتى سرى داؤه إلى بعض الخواص. و لاستراحتهم فى ذلك الى الاتباع و التقليد أثر غير هين إذن فيرجع فى التفسير لمفردات ألفاظه الشريفه الى ما يحصل به الاطمئنان و الوثوق من مزاوله علم اللغه العرييه و التدبير فى موارد استعمالها مما يعرف انه من كلام العرب و لغتهم.

و ان للتدبر فى أسلوب القرآن الكريم و موارد استعماله و قراءتها دخلا كبيرا فى ذلك. و اما محض الركون الى آحاد اللغويين تعبدا بكلامهم و تقليدا لآرائهم فذاك مما لا مساغ له. فان الأغلب أو الغالب مما يستندون اليه فى أقوالهم ما هو إلا الاعتماد على ما يحصلونه بحسب افهامهم و تتبعهم لموارد الاستعمال مع الخلط للحقيقه بالمجاز و عدم الثبوت بالقرائن و مزايا الاستعمال. ألا ترى كم يشهد بعضهم على بعض بالخطأ و الوهم و من شواهد ما ذكرناه ما وقع فى تفسير اللمس و المسّ من الاضطراب و الخبط. ففي النهايه مسست الشىء إذا لمسته بيدك. و فى القاموس لمسه مسه بيده و مسسته أى لمسته. و فى المصباح مسسته أفضيت اليه بيدى من دون حائل هكذا قيده و قال قبل ذلك لمسه افضى اليه باليد. هكذا فسروه. و قال ابن دريد اصل اللمس باليد ليعرف مس الشىء و قال لمست مسست و كل ماس لامس. و قال الفارابى اللمس المس. و فى التهذيب عن ابن الاعرابى اللمس يكون مس الشىء و قال فى باب الميم المس مسك الشىء بيدك. و قال الجوهري اللمس

المس ثم قال في المصباح و إذا كان اللمس هو المس فكيف يفرق الفقهاء بينهما انتهى. و لعلك تدعن بأن الفقهاء احدثوا في استفادته المعنى من تتبع موارد الاستعمال و ذلك لما اعتادوه و شحذوا به أذهانهم من بذل الجهد بالبحث و التحقيق فإن الفرق بين معنى اللمس و المس واضح بحكم التبادر و التتبع لموارد الاستعمال. و غير خفى ان المعروف و المتبادر تبادرا يجرم معه بعدم النقل عن المعنى اللغوي الأصلي هو ان اللمس هو الإصابه بما به الإحساس من البدن بقصد الإحساس للملموس لا خصوص اللمس باليد و لا مطلق المس نعم كثير من موارد اللمس ما يكون باليد باعتبار انها آله عاديه و أقوى إحساسا. كما ان المس هو مطلق الإصابه لا بقصد الإحساس و قد صرح جماعه من أساطين علمائنا بأن معنى المس لغه بل و عرفا هو ما ذكرناه كما في المعبر و المنتهى و روض الجنان و الحدائق بل و المهذب البارع و أظن ان الذى يحقق فى مراجعه العرف و التبادر و تتبع موارد الاستعمال قديما و حديثا لا يشك فى ان معنى اللمس هو ما ذكرناه أولا.

و من شواهد ما ذكرناه هو الاضطراب فى معنى التوفى و ما استعمل فى لفظه المتكرر فى القرآن الكريم. فاللغويون جعلوا الإماتة فى معنى التوفى. و الكثير من المفسرين فى تفسير قوله تعالى فى سورة آل عمران ٤٨ يا عيسى إني مُتَوَفِّيكَ وَ رافِعُكَ إِلَيَّ قالوا أى مميتك.

و قال بعض مميتك حتف انفك. و قال بعض مميتك فى وقتك بعد النزول من السماء و كأنهم لم ينعموا الالتفات الى ماده التوفى و اشتقاقه و محاورات القرآن الكريم و القدر الجامع بينها. و إلى استقامه التفسير لهذه الآيه الكريمه و اعتقاد المسلمين بأن عيسى لم يمت و لم يقتل قبل الرفع إلى السماء كما صرح به القرآن. و إلى ان القرآن يذكر فيما مضى قبل نزوله ان المسيح قال لله فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي وَ من كل ذلك لم يفتنوا الى أن معنى التوفى و القدر الجامع المستقيم فى محاوره القرآن فيه و فى مشتقاته إنما هو الأخذ و الاستيفاء و هو يتحقق بالإماتة و بالنوم و بالأخذ من الأرض و عالم البشر إلى عالم السماء. و إن محاوره القرآن الكريم بنفسها كافيها فى بيان ذلك كما فى قوله تعالى فى سورة الزمر ٤٣: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْمُنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا تَرَىٰ أَنَّهُ لَا يُسْتَقِيمُ الْكَلَامَ إِذَا قِيلَ لِلَّهِ يَمِيتُ الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ كَيْفَ يَصِحُّ أَنَّ الَّتِي لَمْ تَمُتْ يَمِيتُهَا فِي مَنَامِهَا. و كما فى قوله تعالى فى سورة الانعام ٦٠: وَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ

لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ فَأَنَّ تَوْفَى النَّاسِ بِاللَّيْلِ إِنَّمَا يَكُونُ بِأَخْذِهِم بِالنُّومِ ثُمَّ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ بِالْيَقْظَةِ فِي النَّهَارِ لِيُقْضَىٰ بِذَلِكَ أَجَالُهُمُ الْمَسْمُومَةُ ثُمَّ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُهُم بِالْمَوْتِ وَالْمَعَادِ. وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ ١٩: حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ فَإِنَّهُ لَا يَسْتَقِيمُ الْكَلَامُ إِذَا قِيلَ يَمِيتُهُنَّ الْمَوْتُ وَحَاصِلُ الْكَلَامِ أَنَّ مَعْنَى التَّوْفَى فِي مَوَارِدِ اسْتِعْمَالِهِ فِي الْقُرْآنِ وَغَيْرِهِ إِنَّمَا هُوَ أَخْذُ الشَّيْءِ وَأَفِيَا أَيْ تَامًا كَمَا يَقَالُ دَرَاهِمٌ وَأَفٍ وَهَذَا الْمَعْنَى ذَكَرَهُ اللَّغَوِيُّونَ لِلتَّوْفَى فِي مَعَايِمِهِمْ وَقَالُوا أَنَّ تَوْفَاهُ وَاسْتَوْفَاهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَأَنْشَدُوا لَهُ قَوْلَ الشَّاعِرِ

ان بنى الادرد ليسوا لأحد و لا توفاهم قريش في العدد

أى لا- تتوفاهم و تأخذهم تماما (قلت) لكن بين الاستيفاء و التوفى فرقا واضحا من جهة اثر الاشتقاق فإن الاستيفاء استفعال كالاستخراج يشير إلى طلب الآخذ و استدعائه و معالجته و التوفى يشير إلى القدره على الآخذ بدون حاجه إلى استدعاء و طلب و معالجه و لذا اختص القرآن الكريم بلفظ التوفى و عدل عن الآخذ لعدم دلالة على التمام و الوفاء كالتوفى الدال على تمام القدره على نحو المعنى فى إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. و لك العبره فيما قلناه بقوله تعالى اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فإِنَّك إن جعلت قوله تعالى وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ معطوفا على الأنفس لم تقدر أن تقول أن معنى يتوفى يميت. و إن قلت ان التوفى فى المنام اماته مجازيه قلنا كيف يكون معنى اللفظ الواحد معينين معنى حقيقيا و معنى مجازيا و يتعلق باعتبار كل معنى بمفعول و يعطف احد المفعولين على الآخر مع اختلاف المعنى العامل به. و هل يكون اللفظ الواحد مرآه لكل من المعنيين المستقلين كلا- لا- يكون. و إن جعلت قوله تعالى وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ مفعولا- لكلمه «يتوفى» مقدره يدل عليها قوله تعالى يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ قلنا ان دلالة الموجود على المحذوف إنما هى بمعناه كما لا يخفى على من له معرفه بمحاورات الكلام فى كل لغه فكيف يجعل التوفى بمعنى الموت دليلا- على توف محذوف هو بمعنى آخر .. إذن فليس الا- أن التوفى بمعنى واحد و هو الآخذ تماما و وافيًا. إقيا من عالم الحياه. و إما من عالم اليقظه. و اما من عالم الأرض و الاختلاط بالبشر إلى العالم السماوى كتوفى المسيح و أخذه و من الغريب ما قاله بعض من أن رفع المسيح إلى السماء غير مشتمل على أخذ الشىء تاما انتهى و ليت شعرى ماذا بقى من المسيح فى الأرض و ماذا تعاصى منه على قدره الله فى أخذه فلا يكون رفعه مشتملا على أخذ الشىء تاما. هذا و لا يخفى ان القرآن ناطق بأن المسيح ما قتلوه

و ما صلبوه و لكن شبه لهم و رفعه الله اليه و إن عقيدة المسلمين مستمره كإجماعهم على انه لم يمت بل رفع إلى السماء إلى ان ينزل في آخر الزمان فلاجل ذلك التجأ بعض من يفسر التوفى بالإماتة إلى ان يفسر قوله تعالى يا عيسى إني متوفيك أي مميتك في وقتك بعد النزول من السماء و لكنى لا أدري ماذا يصنع بحكاية القرآن لما سبق على نزوله في قوله في أواخر سوره المائده «١١٦ و ١١٧: وَ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ - مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ - فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ فَهَل

يسوغ ان تفسر هذه الآيه بالوفاه بعد النزول و هل يصح القياس في ذلك على قوله تعالى وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ و هل يخفى ان مقتضى كلام المسيح في الآيتين هو انه بعد ان توفاه الله و انقطعت تبليغاته في دعوه رسالته و كونه شهيدا على أمته تمحض الأمر و رجع إلى ان الله هو الرقيب عليهم. و ان سوق الكلام و اتساقه ليدل على اتصال الحالين. و ان الرقيب كيفما فسرتة إنما يكون رقبيا في وجود تلك الأمه في الدنيا دار التكليف لا الآخرة التي هي دار جزاء و انتقام. و لا تصح الطفره في المقام من أيام دعوه المسيح لأمته في رسالته و كونه شهيدا عليهم إلى ما بعد نزوله من السماء في آخر الزمان حيث يكون وزيرا في الدعوه الإسلاميه لا صاحب دعوه. و من الواضح أن المراد في الآيتين من الناس الذين جرى الكلام في شأنهم إنما هم الذين كانوا أمه المسيح و في عصر رسالته و نوبه دعوته و تبليغه ... و أما صرف وجهه الكلام إلى الناس الذين هم في أيام نزوله من السماء فما هو إلا- مجازفه فيها ما فيها و تحريف للكلم ... و أما قوله تعالى وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فلم يكن اخبارا ابتدائيا يكون وقوع الفعل الماضي فيه باعتبار حال المتكلم كما في الآيتين بل جاء في سياق قوله تعالى مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ فِي حَوَادِثِ زَمَانِ الْبَعْثِ وَ الْقِيَامَةِ وَ مَقْدَمَاتِهَا فَهُوَ فِي سِيَاقِهِ نَاطِقٌ إِلَى ذَلِكَ الْحِينِ وَ سِيَاقِ الْكَلَامِ يَجْعَلُهُ بَدَلَالَتَهُ فِي قَوْهِ قَوْلِهِ وَ نُفِخَ حِينَئِذٍ فِي الصُّورِ فَهُوَ عَلَى حَقِيقَةِ الْفِعْلِ الْمَاضِي وَ بَاعْتِبَارِ ذَلِكَ الْحِينِ كَمَا فِي قَوْلِهِ وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ. هذا و بعض المفسرين لقوله تعالى يا عيسى إني متوفيك قال أي مميتك حتف انفك. و أقول ان أراد الإمامه بعد نزول المسيح من السماء شارك ما سبق من التفسير في ورد الاعتراض عليه و ان أراد اماتته قبل ذلك و قبل نزول القرآن خالف المعروف من عقيدة المسلمين و إجماعهم في اجيالهم و يرد عليه السؤال ايضا بأنه من أين جاء بالإماتة حتف انفه و ماذا يصنع بما جاء في القرآن

كثيرا مما ينافى اختصاص التوفى بالموت حتف الأنف بل المراد منه الأخذ بالموت و إن كان بالقتل كقوله فى سورة الحج ٥ و المؤمن ٦٩ فى أطوار خلق الإنسان من التراب و النطفه إلى الهرم. وَ مِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ لَتَكُونُوا شيوخا و منكم من يتوفى من قبل و فى سورة البقره ٢٣٤ و ٢٤١ وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَ يَدْرُونَ أَرْوَاجاً و يونس ١٠٤ وَ لَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَ النحل ٧٢ وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ وَ السجده ١١ قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ وَ الْأَعْرَافِ ٣٥ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ وَ النساء ٩٩ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَ النحل ٣٠-٣٣ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَ الْإِنْعَامِ ٦١ تَوَفَّاهُمُ رُسُلُنَا وَ مُحَمَّد (صلى الله عليه و آله) ٣٩ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَ الْأَنْفَالِ ٥٢ وَ لَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ وَ الزمر ٤٣ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا وَ إِنَّكَ لَا تَكَادُ تَجِدُ فِي الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ لَفِظَ التَّوَفَى مُسْتَعْمَلًا فِيمَا يَرَادُ مِنْهُ الْإِمَاتَةُ حَتْفِ الْأَنْفِ إِذَنْ فَمِنْ أَيْنَ جِيءَ بِذَلِكَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى إِنَّي مُتَوَفِّيكَ نَعَمْ ابْتُلِيَ لَفِظُ التَّوَفَى وَ مُشْتَقَاتُهُ بِالْأَخْذِ بِمَعْنَاهُ يَمْنَهُ وَ يَسْرَهُ حَتَّى إِنْ الْعَامَهُ حَسَبُوهَا مُرَادْفَهُ لِلْمَوْتِ حَتَّى إِنْهُمْ يَقُولُونَ فِي الَّذِي مَاتَ تَوَفَى بِفَتْحِ التَّاءِ وَ الْوَاوِ وَ الْفَاءِ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَ يَقُولُونَ فِي الْمَيِّتِ مَتَوَفَى بِكَسْرِ الْفَاءِ وَ صِيغَهُ اسْمُ الْفَاعِلِ بَلْ يَحْكِي إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيًّا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَانَ يَمْشِي خَلْفَ جَنَازِهِ فِي الْكُوفَةِ فَسَمِعَ رَجُلًا يَسْأَلُ عَنِ الْمَيِّتِ وَ يَقُولُ مِنَ الْمَتَوَفَى بِكَسْرِ الْفَاءِ وَ أَمَا مَا نَسَبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ إِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى يَا عِيسَى إِنَّي مُتَوَفِّيكَ إِنِّي مَمِيَّتُكَ فَمَا أَرَاهُ إِلَّا كَمَا نَسَبَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فِي مَسَائِلِ نَافِعِ بْنِ الْأَزْرُقِ كَمَا ذَكَرَ فِي الْفَصْلِ الثَّانِي مِنَ النَّوعِ السَّادِسِ وَ الثَّلَاثِينَ مِنْ إِتْقَانِ السِّيُوطِيِّ مِنْ إِنْ نَافِعًا سَأَلَهُ عَنِ قَوْلِ اللَّهِ مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لَتَنُوءًا بِالْعُضْبِهِ أَوْلَى الْقُوَّةِ أَى بِمَا يَرْجَعُ إِلَى مَعْنَى تَبْهَظْهُمْ وَ تَنْقَلُ عَلَيْهِمْ كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ كَلْثُومٍ فِي مَعْلَقَتِهِ.

(و متنى لدنه سمقت و طالت روادفها تنوء بما ولىنا)

و كما أنشده اللغويون.

(إلا عصا ارزن طالت برايتها تنوء ضربتها بالكف و العضد)

فذكر ان ابن عباس قال له فى الجواب لتثقل أو ما سمعت قول الشاعر

تمشى فتثقلها عجيزتها مشى الضعيف ينوء بالوسق

أى ينهض بالوسق بتكلف و جهد على عكس المعنى المذكور فى القرآن. أ فهل ترى ابن

عباس يفسر تنوء التى فى الآية بغير معناها كما ثار من هذا الاستشهاد المنسوب إليه اعتراض

النصارى بأن القرآن جاء بلفظه «لتنوء» فى غير محلها. و هل ترى ابن عباس لا يعرف ان معنى ينوء بالوسق ليس يثقل بل ينهض به بتكلف. و هل ترى ابن عباس لا يدرى بيت المعلقه ليستشهد به استشهادا صحيحا مطابقا منتظما. كيف و إن المعلقات كانت للشعر فى ذلك العصر كبيت القصيد و لكن «حنّ قدح ليس منها» و قد خرجنا عما نؤثره من الاختصار و لكننا ما خرجنا عن المقصود الاصلى من الكلام فى تفسير القرآن الكريم بل سارعنا إلى شىء من الخير و الله المسدد الموفق

المقام الثانى

لا يخفى ان القرآن الكريم مبنى على ارقى أنحاء البلاغه العربيه و تفننها بمحاسن المجاز و الاستعاره و الكنايه و الإشاره و التلميح و غير ذلك من مزايا الكلام الراقى ببلاغته مما كان مأنوس الفهم فى عصر النزول و رواج الأدب العربى و قيام سوقه. و كان بحيث يفهم المراد منه و مزاياه بأنس الطبع و مرتكز الغريزه كل سامع عربى. و لكن بعد اشتراك الأمم فى بركه الإسلام و امتلاء جزيره العرب من الأمم و تفرق العرب بالتجنيد فى غير البلاد العربيه تغير أسلوب الكلام العربى فى عامه الناس و تبدلت مزايا الكلام و أساليب المحاورات فعاد ذلك المأنوس غريبا فى العامه و ذلك الطبيعى الغريزى يحتاج فى معرفته إلى ممارسه التطبع و كلفه التعلم و التدرب فى اللغه العربيه و أدبها على النهج السوى. من دون تقليد معرقل و لا وقوف عند الأسماء و لا جمود على قشور القواعد التى مهدها المتدربون فى العربيه من الخواص اقتباسا بقدر الوسع من ذلك الأدب القديم. فدونوا من مبتذلا شيئا و فاتهم من أسرارها و حقائقها الشىء الكثير. و ربما أدت بهم و عوره البحث و الجمود على التقليد إلى عثرات الوهم أو احجام الشكوك انظر إلى ان جماعه من النحويين كالشراح لألفيه ابن مالك و غيرهم قالوا فى قول الراجز «جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط» ان التقدير بمذق مقول فيه هل رأيت إلخ و لا يخفى ان الراجز يريد وصف المذق بما يبين حاله و تبدل لونه بكثره الماء و ماذا يجدى فى ذلك كونه مقولا فيه هل رأيت الذئب قط و لم يفظنوا إلى ان الصفه التى يريد الراجز كما يقتضيه المقام قد أشار إليها باستفهامه الذى هو بمنزله التمثيل الحى لها. فكأنه قال جاؤوا بمذق لونه كلون الذئب هل رأيت الذئب يوما من الأيام فإن لون المذق كلونه فاعرف كيف كان.

و من شواهد ذلك ان صاحب الكشاف مع تضلعه من الأدب العربى و معرفته بفذلكات الكلام

اضطرب كلامه و تفسيره فى كلمه واحده تكررت فى القرآن الكريم على نحو واحد و هو قوله تعالى فلا- أُقْسِمُ ففى سوره الواقعه فى قوله تعالى فلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ قال فأقسم و ان «لا» مزيده مثلها فى قوله لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ وَ فى قوله تعالى لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ لا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ قال إدخال لا النافيه على فعل القسم مستفيض فى كلامهم و أشعارهم قال امرؤ القيس.

(و لا و أبيك ابنه العامرى لا يدعى القوم انى افر)

و قال غويه بن سلمه.

(ألا نادى امامه باحتمال لتخزنى فلا بك لا ابالى)

و فائدتها تأكيد القسم و قالوا انها صلته اى زائده مثلها فى لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ و قال فى ذلك كلاما فيه ما فيه و قال و الوجه ان يقال هو للنفى و المعنى فى ذلك انه لا يقسم بالشىء اعظاما له يدللك عليه قوله تعالى فلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ وَ إِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ فكأنه بإدخال حرف النفى يقول ان اعظامى له باقسامى به كلا اعظام يعنى ان يستأهل فوق ذلك انتهى.

و مقتضى بيانه هذا ان يقول اعظاما للمقسم به فإنه أوضح للبيان من مثله. و ليته لم يخلط بين دخول «لا» على فعل القسم كما فى الآيتين و بين دخولها على حرف القسم كما فى بيتى امرء القيس و غويه و غيرهما مما لا يقع جوابه إلا منفيًا فإنه واضح الظهور فى ان «لا» فيه نافيه موطنه لنفى الجواب لتأكيد و سبيلها سبيل قوله تعالى فى سوره النساء ٦٨ فلا- وَ رَبِّكَ لا- يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ. و فى سوره الحاقه فى قوله تعالى فلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصَرُونَ وَ ما لا تُبْصَرُونَ قال اقسام بالأشياء كلها. و فى سوره البلد فى قوله تعالى لا- أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ قال اقسام بالبلد الحرام و لم يقل شيئًا فى قوله تعالى فلا- أُقْسِمُ فى سوره المعارج و التكوير و الانشاق. و من شواهد ذلك ما سمعته هنا عن صاحب الكشاف فى قوله تعالى لَيْلًا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ من ان «لا» فى لئلا مزيده و صرح ايضا بذلك فى تفسير سوره الحديد حيث قال لَيْلًا يَعْلَمُ ليعلم- و وافقه على ذلك جماعه فاغتنم اعداء القرآن الكريم من ذلك فرصه فاعترضوا على القرآن بأنه مشتمل على الزيادة اللغويه و لكن الجزء الأول من كتاب الهدى صفحه ٣٥٠ و ٣٥٥ أوضح البطلان فى زعم الزيادة كما عليه جماعه من ان المعنى. ان الله وعد الذين آمنوا و يتقون الله و يؤمنون برسوله ان يؤتيهم كفلين من رحمته و يجعل لهم نورا يمشون به و يغفر لهم و من فوائد ذلك و غاياته ان لا يعلم اهل الكتاب ان الذين آمنوا لا يقدرين على شىء من فضل الله و لأن الفضل بيد الله الآيه و ليت شعرى لماذا لا تنزه جلاله القرآن المجيد و براعته عن لغويه هذه

الزياده التى لا غايه فيها إلا الإيهام.

و فى تفسير قوله تعالى فى سورة الأعراف ١١ قَالَ مَا مَنَّكَ إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ قَالَ فى الكشاف أيضا «لا» فى ان لا تسجد صله «أى زائده» بدليل قوله تعالى أى فى سورة (صلى الله عليه وآله) ٧٥ مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ يَدَيَّ وَ مِثْلَهَا لِنَّا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ بِمَعْنَى لِيَعْلَمَ أَنْتَهَى. أقول و إن التدبر فى آيات الأعراف.

و ص يشهد بأن «لا» غير زائده بل جىء بها فى الأعراف للاشارة إلى أمر قد صرح به فى آيات ص و ذلك ان الفعل قد يكون له مانع من ضد او عدل أو غفله او عجز أو كل وقد يكون له سبب داع و حامل على تركه و مخالفته الأمر به فسأل الله إنكارا أو توبيخا فى سورة ص عن المانع بقوله تعالى مَا مَنَّكَ أَنْ تَسْجُدَ وَ عَنِ السَّبَبِ وَ الْحَامِلِ عَلَى الْمَخَالَفَةِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى أَشِدَّتْ كِبْرَتَ أُمَّ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ وَ أَشَارَ جَلْ شَأْنَهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ بِوَجُودِ (لَا) إِلَى السُّؤَالِ عَنِ السَّبَبِ الْحَامِلِ عَلَى الْمَعْصِيَةِ بَعْدَ السُّؤَالِ عَنِ الْمَانِعِ فَكَأَنَّهُ قَالَ مَا مَنَّكَ مِنْ أَنْ تَسْجُدَ وَ مَا حَمَلَكَ عَلَى أَنْ لَا تَسْجُدَ وَ لَذَا وَقَعَ الْجَوَابُ مِنْ إِبْلِيسَ فِي كَلَامِ الْمَقَامِينَ بَيَانَ السَّبَبِ الْحَامِلِ لَهُ عَلَى أَنْ لَا يَسْجُدَ لَا التعليل بالمانع فقال أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ وَ كَذَا الْكَلَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ طه ٩٤ قَالَ يَا هَارُوتَ مَا مَنَّكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا إِلَّا تَتَّبَعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي فَإِنِ التفرغ فى قوله أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي يدل على انه قد سبق السؤال عن المانع عن الاتباع و عن السبب الحامل على المعصية بتركه و أشير اليه بإدخال «لا» و لكن قال فى الكشاف لا مزيدة و المعنى ما منعك ان تتبعنى. و قال الله فى سورة الأنبياء ٩٥ وَ حَرَامٌ عَلَى قَوْمِهِ أَهْلُكُنْهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ وَ فى الكشاف فسر الإهلاك بالعزم عليه و فسر الرجوع بالرجوع من الكفر إلى الإسلام و هذا مختاره على الظاهر من الوجوه الثلاثة ثم قال فيه و «لا» صله مزيدة انتهى و ليته أبقى الإهلاك على ظاهره و فسر الرجوع بالرجوع إلى الإيمان و التوبه عند مشاهدته آيات الهلاك و أحوال الموت كإيمان فرعون عند الغرق كما فى سورة يونس ٩٠. أو كالذين إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَ كَمَا فى سورة النساء ٢٢.

و كما ذكره الله فى سورة المؤمنين فى حال المشركين و الظالمين ١٠١ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ فَإِنِ قَوْلُهُمْ هَذَا رَجُوعٌ إِلَى التَّوْبَةِ وَ لَكِنِهَا لَا تَقْبَلُ كَمَا قَالَ اللَّهُ فِي الْمَوَارِدِ الثَّلَاثَةِ وَ يَكُونُ مَعْنَى الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ هُوَ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى

التي أهلكتها الله حرام عليهم بسبب مشاهدتهم لآيات الإهلا-ك و حضور الموت و ممتنع في العاده و منفي بالمره كونهم لا يرجعون إلى التوبه و الإيمان بحسب الفطره و إن كان لا- ينفعهم و يستمرون على ما هم فيه حتى إذا جاءت الساعه و صار يوم القيامه و عاينوا ما كانوا يوعدون قالوا يا ويلنا قد كنا في غفله عن هذا.

و قال الله تعالى في سوره آل عمران ٧٣ ما كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ٧٤ وَ لَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَ النَّبِيِّنَ أَرْبَابًا وَ لَا- يخفى ان قوله تعالى (و لا يأمركم) معطوف على (يقول) المعطوف بثم على المنفى بقوله تعالى (ما كان) أى ليس له و إن (لا-) هنا نافية يؤتى بها لتثبيت النفى فى الأمرين مثلها فى قولك ليس لك ان تقوم و لا أن تأكل لثلا يتوهم ان النفى للجمع بين الأمرين و الجمع بين القيام و الأكل كما قال فى الكشاف فى ثانى وجهيه فى الآ-يه. و قال فى الكشاف ان فى الآيه وجهين أحدهما ان نجعل «لا» مزیده و المعنى ثم يأمر الناس بأن يكونوا عبادا له و يأمركم ان تتخذوا النبيين و الثانى ان نجعل «لا» نافية غير مزیده و المعنى ما كان لبشر يستنبئه الله ان يأمر الناس بعبادته و ينهاكم عن عباده الملائكة أى ما كان له أن يجمع بين الأمر و النهى. و يا للعجب ممن سوغ لنفسه فى مثل بلاغه القرآن المجيد ان يفسر لا يأمركم بقوله ينهاكم و لو فسر بذلك كلام واحد من الناس لأوسعه من الملام ما أوسعه- و لم ينفرد الزمخشري بدعوى زياده (لا) فى هذه الموارد بل ادعى ذلك جماعه من المفسرين و النحويين كما ذكر ابن هشام فى المغنى فى كلمه «لا» و لو ان زياده «لا» محققه فى كلام العرب متداوله فى شعرهم و نثرهم لما ساغ لهؤلاء ان يقولوا بذلك فى مثل بلاغه القرآن الكريم و مجددا و فى خصوص الموارد التى ادعوا فيها الزيادة فإن البلاغه بل استقامه الكلام تقتضى تثبيت إثباتها و رفع أوهام النفى عنها لو كانت مثبتة إذن فكيف يقلق مضمونها الشريف بما يوهم النفى و يشوش الكلام. و ان المخبر الذى يعرف كيف يتكلم لا يدخل على خبره ما يوهم نقيضه هذا مع انى لم أجد شاهدا ذكروه من الكلام على زياده «لا» إلا قوله:

(و تلحينى فى اللهو أن لا أحبه و للهو داع دائب غير غافل)

و لو كان هذا من شعر العرب و كان المراد منه ما فهموه لجاز أن يضم فيه و تأمرينى بأن لا أحبه أو و تدعينى إلى أن لا أحبه. و من غرائبهم استشهاد بعضهم أيضا بقول الشاعر

ابى جوده لا البخل و استعجلت به نعم من فتى لا يمنع الجود قاتله

نعم لم يوافقهم الزمخشري على زعمهم لزياده (لا) فى قوله تعالى فى سورة الأنعام ١٠٩ وَ مَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ و قوله تعالى فيها ١٥٢ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا. و من شواهد ذلك انك سمعت كلام الكشاف فى دخول لا النافيه على القسم و استفاضته فى كلامهم و أشعارهم و ما ذكره من الشواهد فى الشعر و مع ذلك قال فى تفسير سورة النساء فى قوله تعالى فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ مَعْنَاهُ فَو رَبِّكَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى فَو رَبِّكَ لَسَسَلْنَهُمْ و «لا» مزیده لتأكيد معنى القسم كما زيدت فى لَيْثًا يَغْلَمٌ لتوكيد وجوب العلم انتهى ... فانظر فيه و اعتبر و قل أين ما ذكرته من الاستفاضه و اين مضى الاستشهاد بالشعر. و لو لا الحمل على التحامل لذكرنا عن الكشاف و غيره اكثر من ذلك و فى ذلك كفايه لأولى الألباب: و من ذلك ما نقله السيد الرضى فى حقائق التأويل من قول بعضهم بزياده الواو فى قوله تعالى فى سورة آل عمران ٨٥ وَ لَوْ أَفْتَدَى بِهٖ. و ابراهيم ٥٢ وَ لِيَتَذَرُوا بِهٖ.

و الزمر ٧٣ وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا. أقول و لمثل هذه الواو فى القرآن موارد و هى فيها كلها واو العطف على محذوف يدل عليه سياق القرآن بكرامه نهجه و براعه أسلوبه فى مناحى البلاغه و يجلوه المقام باسراق تلك البراعه بأجلى المظاهر كما سيأتى التنبيه عليه فى موارد ان شاء الله. و من شواهد ذلك مما جناه القصور ان جماعه وقفوا عن الوصول فى بعض ما فى القرآن الكريم من فرائد البراعه و فوائد البلاغه حتى صار يلوح من تردهم ان ذلك مخالف لقواعد العربيه فاغتنم اعداء القرآن من ذلك فرصه الاعتراض و قد ساعد التوفيق على التعرض لتلك الاعتراضات و بيان خطأها بإيضاح براعه القرآن الكريم فى مواردنا بأسرار البلاغه و لباب الأدب العربى و بواهر اساليبه و قد كتب شىء من ذلك فى الجزء الأول من كتاب الهدى و فى خصوص المقدمه الثالثه عشره من صفحه ٣٢١ حتى آخره ... و من شواهد ذلك ان كثيرا من مجازات القرآن الكريم و استعاراته للواضحه العلاقه و الفائقه فى لحاظ التشبيه و مرمى الإشاره و المؤيده بأحكام العقل و محكمات الكتاب هذه الاستعارات التى كانت من ازهار الأدب العربى الغريزى حين ما كان روضه زاهيا زاهرا عادت بعد ما ذوى خميله معركه للآراء و هدفا للجحود و إن حامت عنها محكمات الكتاب و نصرتها البراهين العقلية فى تقديس الله و تفرد به بالكمال.

فمن ذلك ما فى القرآن من نسبه الإضلال إلى الله جل اسمه فى عدة آيات منها السابعه و العشرون

من سورة الرعد و الثانيه و الثلاثون من سورة ابراهيم و نحوهما. فإن التعبير فى ذلك بالإضلال مجاز فائق فى الحسن يمثّل ببراغته حاجه الإنسان مع نفسه الأماره إلى لطف الله به و عنايته فى توفيقه و يشير الى ما فى اللطف و التوفيق من الأثر الشريف الكبير فى النعمه على الإنسان و ينبه إلى ان خذلان الله للإنسان المتمرد برفع العنايه فى التوفيق و إيكاله إلى نفسه شبيه بإضلاله فى قوه الأثر. كل ذلك لأجل التنويه و الامتنان بنعمه الله فى توفيقه لعباده و لأجل هذه المزاي الفائقه استعير الإضلال لخدلان الله لعبده المتمرد و إيكاله إلى نفسه و العياذ بالله و لقد كان يكفى فى القرينه على التجوز فى لفظ الإضلال هنا و صرفه عن مقتضى وضعه ما فى القرآن من المحكمات مثل قوله تعالى فى سورة الأعراف ٢٧ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَ فى سورة النحل ٩٢ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِتْيَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَ يُنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِن تَمَجَّدَ اللَّهُ بِذَلِكَ كَافٍ فى كونه قرينه على ان الإضلال المنسوب لله تعالى شأنه إنما هو مجاز. و إن مجده و الطافه جلت آلاؤه تعين المراد منه و هو ما ذكرناه. و كيف يكون الإضلال المنسوب إلى الله على حقيقته مع أن الله يذم الضالين و يعذبهم على ضلالهم و يوبخهم بقوله تعالى كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ. لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ. لِمَ تَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ. فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ. فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرِهِ مُعْرِضِينَ. وَ مَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا وَ تَمَامَ الْكَلَامِ فى الكتب الكلاميه.

و قد ذكر شىء منه فى الجزء الثالث من الرحله المدرسيه صفحه ٢٩ إلى ٤٢: و من ذلك ان الفرقه الظاهريه لم تلتفت إلى المجاز و وجهه الواضح فى قوله تعالى الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى و لم يصرفهم عن المعانى الحقيقه لهذه الألفاظ ضروره العلم من القرآن و البراهين القطعيه فى ان الله منزّه عن الجسم و الأين و المكان لكى يعرفوا ان المراد بالعرش هنا هو شأن القدره و الجلال و استيلاء السلطان على الملكوت فى الأزل و الأبد. و لأجل إحضار هذا الشأن العظيم فى أذهاننا القاصره و ملاء قلوبنا بعظمته مثل القرآن لتصورنا المحدود بتشبيها بما نعرفه و نعرف آثاره من العرش الجسمانى للملك الأرضى الذى بالصعود عليه صعودا زمنيا ينفذ سلطانه و تعم قدرته.

و من آثار الظاهريين العجيبه ما

أخرجه ابن مردويه و الخطيب فى تاريخه و ابن منصور فى سننه من مسند عمر عن النبى (صلى الله عليه و آله) فى قوله تعالى عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى قال حتى يسمع له اطيظ الرحل.

و انظر إلى كنز العمال الجزء الأول صفحه ٢٢٦ و كذا منتخب الكنز و اطيظ

الرحل و القتب صوته أى صوت أخشابه من ضغط ثقل الراكب و الحمل و سيأتى شبيه ذلك فى تفسير آيه الكرسي. و فى ميزان الذهبى من أنكر ما جاء عن مجاهد فى التفسير فى قوله عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَحْمُوداً قال يجلسه معه على العرش. و فى شواهد الحق كتاب الشيخ يوسف النبهانى صفحه ١٣٠ قال و من كتب ابن تيميه كتاب العرش قال فى كشف الظنون ذكر فيه إن الله يجلس على العرش و قد أخلى فيه مكانا يقعد معه فيه رسول الله (صلى الله عليه و آله) كما ذكر ذلك أبو حيان فى قوله تعالى وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ و قال يعنى أبا حيان قرأت فى كتاب العرش لأحمد بن تيميه بخطه ما صورته ما ذكرناه و نقلها كشف الظنون من طريق آخر عن السبكي انتهى. و على هذا الوتر ضرب محمد بن عبد الوهاب فى رسالته المطبوعه فى ضمن مجموعته فيها عده من الرسائل طبعت فى مكه فانظر إلى صفحه ١٥٥ و ١٥٦ من المجموعه و كذا عبد الرحمن بن حسن الوهابى فى صفحه ٣٦ من المجموعه المذكوره

المقام الثالث

جاء فى القرآن شىء كثير من الألفاظ العامه التى يراد بها الخاص أو التى هى نص فى خاص باعتبار نزولها فى شأنه و غير ذلك مما كان معروفا فى عصر نزوله ثم صارت اسباب الخفاء تختلسه شيئا فشيئا و تجعل ضده كما فى خرافه الغرائيق و آيه التمنى.

و المفزع فى تفسير ذلك هو ما يحصل به العلم من اجماع المسلمين او اتفاقهم فى الروايه للتفسير. او فى الروايه عن الرسول (صلى الله عليه و آله) فى الدلاله على من يفزع اليه بعده فى تفسير كتاب الله و ذلك كحديث الثقلين المتواتر القطعى الذى ذكره إخواننا من اهل السنه فى كتبهم و أوردوا من روايته عن الصحابه الذين سمعوه من رسول الله (صلى الله عليه و آله) اكثر من ثلاثين صحابيا و بقى على ذلك متواترا فى كل عصر إلى العصر الحاضر و هو

قوله (صلى الله عليه و آله) «إني تارك فيكم الثقلين او الخليفين كتاب الله و عترتى أهل بيتى ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»

و ان لفظ العتره و الأحاديث الكثيره الصحيحه الوارده فى تعيين اهل البيت يعينان المراد من اهل البيت فضلا عن دلاله العرف و المحاورات.

و قوله (صلى الله عليه و آله) ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا ابدا مع قوله (صلى الله عليه و آله) فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض

يعينان الأئمه الاثنى عشر المعصومين من عتره الرسول و ذريته. و من دلائل ذلك اجماع المسلمين على ان من عدا هؤلاء ليس معصوما و لا يتصف بانه مثل كتاب الله لا يضل من تمسك به

و هاك اسماء الصحابه السامعين لهذا الحديث عن رسول الله (١) على (عليه السلام) امير المؤمنين (٢) عبد الله بن عباس (٣) ابو ذر الغفارى (٤) جابر الأنصارى (٥) عبد الله بن عمر (٦) حذيفه بن أسيد (٧) زيد بن أرقم (٨) عبد الرحمن بن عوف (٩) ضميره الأسلمى (١٠) عاصم ابن ليلى (١١) ابو رافع (١٢) ابو هريره (١٣) عبد الله بن حنطب (١٤) زيد بن ثابت (١٥) ام سلمه (١٦) ام هانى أخت امير المؤمنين على (عليه السلام) (١٧) خزيمه بن ثابت (١٨) سهل بن سعد (١٩) عدى بن حاتم (٢٠) عقبه بن عامر (٢١) ابو أيوب الأنصارى (٢٢) ابو سعيد الخدرى (٢٣) ابو شريح الخزاعى (٢٤) ابو قدامه الأنصارى (٢٥) ابو ليلى (٢٦) أبو الهيثم بن التيهان.

و هؤلاء الذين ذكرنا أسماءهم من بعد ام هانى قد رواه كل منهم منفردا كمن تقدمه و قاموا فى رحبه الكوفه مع سبعة من قريش فشهدوا انهم سمعوه من رسول الله فهؤلاء ثلاثه و ثلاثون.

و رواه ابو نعيم الأصبهاني فى كتاب منقبه المطهرين مسندا عن جبير بن مطعم و أسنده أيضا عن انس بن مالك و أسنده عن البراء بن عازب و رواه موفق بن أحمد اخطب خوارزم عن عمرو بن العاص. و قلّ ما يخلو عن روايه هذا الحديث مسندا أو جامع أو كتاب فى الفضائل لأهل السنه من أول ما اخرج الحديث من الحفظ و صدور الحفاظ الى صحف المحدثين و لا زال يروى فيها عن صحابى واحد أو أكثر و ربما روى فى واحد منها عن أكثر من عشرين صحابيا اما مجملا كما فى الصواعق و اما مسندا مفصلا كما فى كتب السخاوى و السيوطى و السمهودى و غيرهم و من أراد الاطلاع فليرجع إلى الجزأين المكتوبين فى أسانيد هذا الحديث من كتاب العباثات و رواه الإماميه فى كتبهم بأسانيدهم المتكرره عن الباقر (عليه السلام) و الرضا (عليه السلام) و الكاظم (عليه السلام) و الصادق (عليه السلام) عن آبائهم (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و آله). و بالأسانيد الأخر عن امير المؤمنين (عليه السلام) و عمر و أبى ذر و جابر و أبى سعيد و زيد بن أرقم و زيد بن ثابت و حذيفه بن أسيد و أبى هريره و غيرهم عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كما فى غايه المرام و تفسير البرهان للسيد هاشم البحرانى طاب ثراه و غير ذلك.

و لعلك تقول ان البخارى لم يذكر هذا الحديث فى جامعه فاعرف إذن ان المحدثين لا يلتفتون إلى استفاضه الحديث و تواتره و افادته للعلم من هذه الجبهه كما هو شأن العالم المحقق فى حجته و بحثه عن الحقائق. و إنما المهم للمحدث و الموضوع فى فنه هو الحديث الآحادى

الذى يأخذه بما عندهم فى طرق الأخذ من رجل عن آخر على شروط يقررهما فى السند فكأن البخارى لم يحصل شرطه فى سند من أسانيد الحديث الأحاديث و لكن

الحاكم فى مستدركه استدرك عليه و على مسلم حديث زيد بن أرقم من طريق حبيب عن أبى الطفيل قال لما رجع رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن حجه الوداع و نزل غدیر خم أمر بدوحات فقممن فقال (صلى الله عليه و آله) إني قد دعيت فأجبت إني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله و عترتى فانظروا كيف تخلفونى فيهما فإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض ثم قال إن الله عز و جل مولاي و أنا مولى كل مؤمن ثم أخذ بيد على فقال من كنت مولاه فهذا وليه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه.

و قال الحاكم هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه بطوله.

و من طريق مسلم بن صبيح عنه قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله و أهل بيتى و انهما لم يفترقا حتى يردا على الحوض.

و قال الحاكم أيضا هذا صحيح الإسناد على شرط الشيخين و لم يخرجاه قلت و لم أجد من تعقب الحاكم على استدراكه بهذين الحديثين فيكون ذلك موافقه ممن عاصر الحاكم و من بعده على الإستدراك و صحه الحديثين على شرط البخارى و مسلم.

و من طريق سلمه بن كهيل عن أبى الطفيل انه سمع زيد بن أرقم يقول و ساق نحو الحديث الأول و فيه إني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتموهما كتاب الله و أهل بيتى عترتى الحديث

و تعقبه الذهبى بأن فى طريقه محمد بن سلمه و قد وهاه السعدى و ذكر له ابن عدى أحاديث منكره. و مراده من السعدى هو ابراهيم بن يعقوب السعدى الجوزجاني كما ذكره فى ترجمه محمد بن سلمه. قلت و ما ادراك ما السعدى فإنه معروف بالنصب و فى الميزان عن ابن عدى كان شديد الميل الى مذهب أهل دمشق فى التحامل على على (عليه السلام) و قد قال فى إسماعيل ابن ابان الوراق شيخ البخارى انه كان مائلا عن الحق قال ابن عدى و لم يكن يكذب الجوزجاني يريد به ما عليه الكوفيون من التشيع إذن فاعرف السبب فى تحامل الجوزجاني و ابن عدى على محمد بن سلمه. و لعمر العلم الحق ان الحديث بتواتره فى غنى عن التعرض له فى جامع البخارى- هذا و اما الرجوع فى التفسير و أسباب النزول إلى أمثال عكرمه و مجاهد و عطا و ضحاك كما ملئت كتب التفسير بأقوالهم المرسله فهو مما لا يعذر فيه المسلم فى أمر دينه فيما بينه و بين الله و لا تقوم به الحجه. لأن تلك الأقوال إن كانت روايات فهى مراسيل مقطوعه و لا يكون حجه من المسانيد إلا ما ابنتى على قواعد العلم الدينى الرصينه و لو لم يكن

من الصوارف عنهم إلا ما ذكر في كتب الرجال لأهل السنه لكفى. و إن الجرح مقدم على التعديل إذا تعارضا. أما عكرمه فقد كثر فيه الطعن بأنه كذاب غير ثقه و يرى رأى الخوارج و غير ذلك. و قيل للأعمش ما بال تفسير مجاهد مخالف او شىء نحوه قال أخذه من أهل الكتاب.

و مما جاء عن مجاهد من المنكرات فى قوله تعالى عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّخْمُوداً قال يجلسه معه على العرش. و أما عطا فقد قال أحمد ليس فى المراسيل أضعف من مراسيل الحسن و عطا كانا يأخذان عن كل أحد و قال يحيى بن القطان مراسلات مجاهد أحب إلى من مراسلات عطا بكثير كان عطا يأخذ من كل ضرب و روى انه تركه ابن جريح و قيس بن سعد.

و أما الحسن البصرى فقد قيل انه يدلس و سمعت كلام احمد فيه و فى عطا. و أما الضحاك ابن مزاحم المفسر فعن يحيى بن سعيد قوله الضحاك ضعيف عندنا و كان يروى عن ابن عباس و أنكر ملاقاته له حتى قيل انه ما رآه قط. و أما قتاده فقد ذكروا انه مدلس. و أما مقاتل بن سليمان فقد قال فيه و كيع كان كذابا. و قال النسائى كان مقاتل يكذب و عن يحيى قال حديثه ليس بشىء و قال ابن حيان كان يأخذ من اليهود و النصارى من علم القرآن الذى يوافق كتبهم.

و أما مقاتل بن حيان فعن و كيع انه ينسب إلى الكذب و عن ابن معين ضعيف و عن أحمد بن حنبل لا يعبأ بمقاتل بن حيان و لا بابن سليمان فانظر إلى ميزان الذهبى من كتب الرجال اقلا و دغ عنك ان أصول العلم عندنا تأبى من الركون إلى روايتهم فضلا عن أقوالهم الا فى مقام الجدل أو التأييد أو حصول الاستفاضه و التوافق فى الحديث.

هذا و إن كثيرا من كتب التفسير قد لهج بأكذوبه شنيعه و هى ما زعموا من أن الرسول (صلى الله عليه و آله) قرأ سورة النجم فى مكة فى محفل من المشركين حتى إذا قرأ قوله تعالى أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَ الْعُزَّىٰ وَ مَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ قال (صلى الله عليه و آله) فى تمجيد هذه الأوثان و حاشا قدسه «تلك الغرائق الأولى منها الشفاعة ترتجى» فأخبره جبرائيل بما قال فاغتم لذلك فنزل عليه فى تلك الليلة آيه تسليه و لكن بماذا تسليه بزعمهم تسليه بما يسلب الثقه من كل نبى و كل رسول فى قراءته و تبليغه. و الآيه هى قوله تعالى فى سورة الحج ٥١ وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانَ فِي أُهْمِيَّتِهِ فَقَالُوا مَعْنَى ذَلِكَ إِذَا تَكَلَّمَ أَوْ حَدَّثَ أَوْ تَلَا وَ قَرَأَ ادْخَلَ الشَّيْطَانَ ضَلَالَهُ فِي ذَلِكَ.

إذن فما حال الأمم المساكين و ما حال هداهم مع هذا الإدخال الذى لم يسلم بزعمهم

منه نبى أو رسول و لم يسلم منه شىء من كلامهم أو حديثهم أو تلاوتهم على ما يزعمون «ما هكذا تورّد يا سعد الإبل» أفلا صدهم من ذلك اقلا ان سورة الحج مدنيه امر فيها بالأذان بالحج ٢٧ و اذن فيها بالقتال ٤٠ و أمر فيها بالجهاد ٧٧ و لم يكن هذا الأمر و هذا الاذن إلا بعد الهجره بأعوام. و إن الذى بين ذلك و بين الوقت الذى يجعلونه لخرافه الغرائق و خرافه نزول الآيه هذه فى ليلتها يكون اكثر من عشره أعوام و قد ذكر شىء من الكلام فى ذلك فى الجزء الأول من كتاب الهدى صفحه ١٢٣-١٢٩ فلا بأس بمراجعته و من ذلك ان جمله من المفسرين و القراء يترددون فى الوقف على بعض الكلمات لتردهم فى ارتباطها بما بعدها أو بما قبلها. فلم يراعوا فى ذلك مناسبات الكلام و جودته و حاجه إلى التقدير او حسنه ... و من ذلك كلمه «فيه» من قوله تعالى فى أول سورة البقره ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ زَعَمَ مِنْهُمْ أَنهَا تَكُونُ خَيْرًا مَقْدَمًا لِقَوْلِهِ تَعَالَى هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ و يقدرّون مثلها لقوله تعالى لَا رَيْبَ مَعَ ان الوقف على لا ريب يجعل الكلام قلنا مبتورا بنحو لا يجدى فيه التقدير. و مع انه لا حاجه لجعل الظرف خبرا مقدما لهدى و جملة تكون خبرا ثانيا لذلك الكتاب. فإن كلمه هدى هى بنفسها تكون خبرا ... و هذا هو الأنسب بكرامه الكتاب المجيد فقد قال الله انه هُدًى وَ رَحْمَةً كَمَا فِي الْأَعْرَافِ ٥٠ و النحل ٦٦ و ٩١ و غير ذلك و إن القرآن هُدًى وَ بُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَ شِفَاءً كَمَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ٩١ و ١٨١ و النمل ٢٩ و حم السجده ٤٤ و من ذلك كلمه «هذا» من قوله تعالى فى سورة (يس) من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن. فكأنهم لا يلتفتون إلى أنّ المقام غنى عن وصف المرقد باسم الإشاره حتى للإيضاح لأنهم يقولون ذلك عند خروجهم من الأجداث و مراقد القبور. و ان إخراج اسم الإشاره عن كونه مبتدئا و ما وعدنا خبره ليخرج الكلام عن الانتظام و يجعل صورته الحسنى مشوشه هى للنفى اقرب منها للثبات و هو ضد المعنى الذى سيقت لبيانه الآيه. هذا و أما الذين تهاجموا بأرائهم على تفسير القرآن بما يسمونه تفسير الباطن ركونا بأرائهم إلى مزاعم المكاشفه و الوصول و نزعات التفلسف أو التجدد أو حب الانفراد و الشهره بالقول الجديد و إن كان فيها ما فيها فقد آثروا متاهه الرأى على النهج السوى عن أصول العلم و فارقوه من أول خطوه

ان القرآن الكريم كثيرا ما ينسب التعقل و الإدراك و الاهتداء و نحو ذلك إلى القلب و المتجددون ينسبون الإدراك و آثاره إلى الدماغ و يعتمدون في حدسهم في ذلك على انهم رأوا تلافيف الدماغ اى عقده في الإنسان اكثر منها في سائر الحيوانات و ان الأعصاب الجمجميه المتصله بظاهر الدماغ و المنتشره أليافها في باطنه مرتبطه بأعصاب آلات الحس كالأذن و العين و غيرهما: و لكن مباحث التشريح تقف دون حدسهم هذا. فإن المجموع العصبى و النخاع الممتد إلى الفقره القطنيه الأولى التى هى تحت الفقره الثانيه عشره من الظهر هذه كلها كمنخ الدماغ فى كونها مكوّنه من الجوهر السنجابى و الجوهر الأبيض فلا ميزه لتكوين الدماغ لكى يحدس امتيازه عنها بكونه كرسى الإدراك و التعقل دونها. و إن الأعصاب كما ترتبط بآلات الحس ترتبط أيضا بالقلب و الكبد و المعده بل حتى الأسنان و أعضاء البدن إلى أنامل اليدين و الرجلين.

و أما ما يتراءى من أن صغر الدماغ يقارن ضعف الإدراك و التعقل إلى أن يصل الحال إلى البله فلا يدلّ على مدّعاهم بل يجوز أن يكون خروجه عن المقدار الطبيعى للإنسان ككثير من العوارض البدنيه موجبا لضعف الجزء الآخر العاقل فى أداء وظيفته. و أما التفاوت بين أدمغه الرجال و بين أدمغه النساء فهو جار فى قلوب الصنفين أيضا. هذا مع أن الدماغ يزيد نموه فى زمان قله القوه العاقله إلى السنه السابعه ثم ينمو بطيئا إلى الرابعه عشره و يتقهقر نموه إلى العشرين و منها إلى الثلاثين و يقف عند الأربعين ثم ينقص وزنه فى كل عشر سنين نحو اوقيه مع أنّ الإنسان من العشرين فما زاد يزداد فى قوه التعقل و يترقى فى كونه أقوى و أحسن تعقلا و إدراكا. و القلب لا يزال يأخذ بالنمو و الزيادة إلى الأدوار الأخيره من الحياه و لا سيما فى الذكور. و هذا أنسب بأزمته حسن التعقل وجوده الإدراك. مضافا إلى أنّ القلب هو مبدء الحركه الحيويه المديره للدوره الدمويه و أسباب الحياه و النمو و توزيع القوى على جميع أجزاء البدن فهو أنسب من غيره بأن تستخدمه الروح الحيوانيه فى أعمالها العقليه. و أيضا أنّ بناء القلب مؤلف من حلقات ليفيه و الياف عضليه و كلها على نوع مدهش من التغمم و التصالب و التشبك بحيث يقال أنّ البناء العضلى للقلب لم يعرف كما ينبغى إلى الآن. و أنّ بناء القلب و أليافه العضليه أكثر و أكثر تضمما و تصالبا و تشبكا من البناء الذى امتازت به عضلات الحياه الحيوانيه الحساسه للإرادته التى هى من أعمال النفس و الممثلته فى أعمالها لأمرها. و هذا كله يشير إلى

أنّ لعضليه القلب و ميزه بنائه عمل نفسى كبير فائق يفوق ما ذكر لعضلات الحياه الحيوانيه و أنسب ما يكون بذلك هو الإدراك و التعقل. نعم يمكن ان يكون الدماغ محفظه لصور المدركات التى يستودعها القلب إياه.

و خلاصه الحجه فى ذلك هو ان وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم حجه على انه منزل من الله خالق القلب و الدماغ بعلمه و حكمته. و قد اخبر بأنّ محلّ الإدراك و التعقل و آثاره هو القلب

خاتمه

من جمله ما يحضرني عند كتابتي لهذا التفسير من كتب الشيعة من كتب التفسير و انقل عنه تفسير القمى على بن ابراهيم. و الجزء الخامس من كتاب حقائق التأويل فى متشابهات التنزيل للسيد الرضى طاب ثراه و هذا هو المقدار الموجود منه و ابتداءه من الآيه الخامسه من سوره آل عمران إلى نهايه تأويل الحاديه و الخمسين من سوره النساء.

و كتاب مختصر التبيان للشيخ الطوسى. و هو قليل النسخه جدا و فيه احالات على كتابيه الخلاف و شرح جمل العلم. و كتاب مجمع البيان للطبرسى. و كتاب البرهان للسيد هاشم البحرينى و هو تفسير بالحديث و هو مع الوسائل واسطتى إلى تفسير العياشى. و اما التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام) فقد أوضحنا فى رساله منفرده فى شأنه أنه مكذوب موضوع و مما يدل على ذلك نفس ما فى التفسير من التناقض و التهافت فى كلام الراويين و ما يزعمان انه روايه و ما فيه من مخالفه الكتاب المجيد و معلوم التاريخ كما أشار اليه علامه فى الخلاصه و غيره.

و من كتب آيات الأحكام كنز العرفان للمقداد و زبده البيان للأردبيلي. و القلائد للجزائرى.

و من كتب الحديث. الكافى. و الفقيه. و التهذيبان. و الوسائل. و عده من كتب الصدوق و غيرها و من كتب اهل السنه من كتب التفسير تفسير الطبرى. و الكشاف. و الدر المنثور فى التفسير المأثور للسيوطى. و من كتب الحديث جوامعهم السنه. و موطأ مالك. و مسند احمد.

و مستدرک الحاكم. و كنز العمال. و مختصره. و ان الدر المنثور اجمع من غيره للمأثور فى التفسير باعتبار الأحاديث و روايتها و مخرجها فى كتبهم فلذا كانت احوالتي فى الغالب عليه و ان اخرج الحديث عن صحاحهم التى هى أعلى منه سمعه. و قد انقل عنها ما لم يذكره. و إنما اذكر عنه ما أسنده عن الرسول الأكرم صلى الله عليه و سلم. او عن الصحابه الكرام رضى الله عنهم. و اما ما يرويه موقوفا على التابعين و من بعدهم فلا حاجه لى فيه و الله الموفق و المعين و لنشرع بعون الله و توفيقه فى المقصود

فاتحه الكتاب

تسميتها

تواترت تسميتها بفاتحه الكتاب و من ذلك

قوله صلى الله عليه وآله وسلم لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحه الكتاب

و نحو ذلك. و تكاثرت روايات الفريقين من الشيعة و اهل السنه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) و امير المؤمنين (عليه السلام) و الصادق (عليه السلام) في تسميتها بأَم الكتاب. و أم القرآن. و السبع المثاني. و القرآن العظيم.

و عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) إنما سميت المثاني لأنها تشني في الركعتين

بركتها

و استفاضت الروايه من الفريقين عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) و الباقر (عليه السلام) و الصادق (عليه السلام) بل كادت ان تكون متواتره المعنى أن في قراءتها شفاء من الداء

محل نزولها

ذكر الواحدى فى اسباب النزول و عن الثعلبى فى تفسيره عن عليّ (عليه السلام) قد نزلت فاتحه الكتاب بمكه الحديث.

و روى عن عمرو بن شرجيل ما حصله ان نزولها كان فى أول الرساله و نزول جبرائيل بالوحى. و لكن فى مضامين الروايه ما فيها. و عن رجل من بنى سلمه ما يقضى بأنها كانت تتلى قبل الهجره. و قال الله تعالى فى سورة الحجر ٨٧ وَ لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ و إذا كانت سورة الحجر كلها مكيه قبل الهجره ففى ذلك بضميمه ما ذكره فى تسميتها دلالة على انها نزلت فى مكه قبل الهجره و لكن مرسوم فى عناوين المصاحف انها مدنيه و قبل انها مكيه مدنيه و هى سبع آيات باتفاق المسلمين و تضافر الأحاديث زياده على أحاديث السبع المثاني بل الأحاديث فى روايات الفريقين متواتره فى ذلك

سوره الفاتحه (١): آيه ١

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)

بسملتها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ جزء من السوره باتفاق الإماميه و الشافعيه و اجماع اهل البيت

و الروايات المتكاثرة عنهم (عليه السلام) و باتفاق المسلمين على رسمها فى المصاحف من أول الأمر إلى الآن. و الأخبار من طرق اهل السنه عن رسول الله و فيها الصحاح و الحسان باصطلاحهم متكاثره فى ذلك كما فى أحاديث على (عليه السلام) و ام سلمه و عمار و جابر و بريده و طلحه بن عبيد الله و ابن عمر و أبى هريره و انس و النعمان ابن بشير كما روى ايضا عن على (عليه السلام) و ابن عباس و محمد بن كعب القرظى

الجهر بالبسملة

يجهر بها باتفاق الإماميه و اجماع اهل البيت و عملهم و حديثهم و حديث اهل السنه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) من طريق على (عليه السلام) و عمار و عائشه و الحكم بن عمير و ابن عمرو و انس و أبى هريره و النعمان بن بشير: و ان تفسير البرهان للسيد هاشم البحرينى من الإماميه و تفسير الدر المنثور للسيوطى من اهل السنه قد ذكر فيهما الكثير مما أشرنا إليه من الأحاديث فليرجع إليها من أراد الاطلاع على التفصيل

اعراب البسملة

(بسم الله) يتعلق بمحذوف يشير اليه ظاهر المقام. و قيل تقديره ابدءوا او اقرأوا.

أو قولوا. قلت على تقدير اقرأوا او قولوا تكون الباء بمعنى الاستعانه باسم الله كما يقال اكتبوا بالقلم و ذلك لجلاله اسم الله و بركته بجلال المسمى جل و علا و بركته. و يكون المقروء و المقول هو ما بعد البسملة من السوره (و يرد) على هذا النحو من التقدير أولا- انه مناف لجزيئه البسملة من السوره و مساواتها لسائر آياتها فى حكم القراءه. و ان التخلص يجعل البسملة معموله ايضا لا قرءوا او مقوله لقولوا يستلزم تقدير عامل آخر تتعلق به الباء و مجرورها فما هو اذن. كما يرد ايضا ما ذكرنا على تقدير الكشف اقرأ أو اتلو من كلام القارى و التالى و يكون المقروء و المتلو هو ما بعد البسملة: و يرد الجميع ثانيا حتى ابدأوا للأمر انه لا يتجه اطراد هذه التقادير فى السوره المصدرة بخطاب النبى (صلى الله عليه و آله) نحو يا أَيُّهَا النَّبِيُّ. يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ. قُلْ أَوْحَىٰ بِل و سائر السور المصدرة بكلمه (قل) و ما أشبه ذلك من السور. و كذا السور المصدرة بخطاب غير النبى نحو يا أَيُّهَا النَّاسُ. يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ أَمْرَ اللَّهِ لِلْعِبَادِ بِالْقِرَاءِ أَوْ الْقَوْلِ يَخْرُجُهَا عَنْ كَوْنِهَا فِي أَوَّلِ نَزْوْلِهَا خَطَابًا إِنْشَائِيًّا مِنْ اللَّهِ لِرَسُولِهِ أَوْ لِلنَّاسِ أَوْ لِلَّذِينَ آمَنُوا. و كذا إذا كان المقدر اقرأ أو اتلو بصيغه المضارع. مضافا إلى أن كلمه اقرأ أو اتلو لا يصح ان تكون

من الله لأنه جل شأنه هو المتكلم بالقرآن و المنشئ له فكيف تنسب اليه القراءة و التلاوه: فإن قلت انا فى السور المشار إليها نجعل المقدر ما لا ينافى خطابها و فى غيرها نجعل المقدر كلمه اقرأ أو اتلو بصيغه المضارع من قول الناس. قلنا أولا ماذا تصنع بما أوردناه أولا (و ثانيا) ما هو الذى تقدره فى السور المشار إليها بحيث لا ينافى مقام خطابها و إنشاءه فإنه ينبغى بيانه (و ثالثا) يلزم من ذلك ان تفكك بين سياق البسملات التى فى القرآن بلا دليل و لا حاجه ملزمه. مع أن الظاهر كونها فى جميع السور على سياق واحد متسق كما ان الظاهر ان المقدر فى تلك السور و غيرها فى حال النزول و وحى الله و فى حال تلاوه الناس و قراءتهم هو واحد. كما ان الظاهر ان التالى يتلو البسمله على ما تعلق به حال النزول و ان ما تعلق به هو من القرآن المنزل الذى امر الناس بتلاوته و ان كان مقدرًا.

فالظاهر ان البسمله فى جميع السور متعلقه بكلمه «ابء» للمتكلم من قول الله جل اسمه تنويها بجلال اسمه الكريم و بركاته و تعظيما له لجلال المسمى و عظمته جل شأنه و له الأسماء الحسنى كما أمر فى القرآن بذكر اسمه و تسيحه كما فى سوره المائده و الحج و المزمل و الدهر و الأعلى.

فينتظم المقدر فى جميع السور و جميع الأحوال بنظام واحد على نسق واحد. و لا يعترى ما استظهرناه غرابه و لا إشكال و كيف يعتريه ذلك و قد نسب الله الابتداء لذاته المقدسه فى خلقه كما فى قوله جل اسمه وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ. كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ و قد اقسام جل اسمه بمخلوقاته كالشمس و القمر و النفس و غيرها تعظيما لها لأنها مظاهر قدرته و آيات حكمته

خلق القرآن

و ان لوحى الله بالسور إلى رسوله بدايه و نهايه كما للسور كما قال الله تعالى فى سوره الأحقاف فى شأن القرآن وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى و دع عنك ان القرآن الكريم كلام مؤلف من الحروف و الكلمات و لا بد من أن يكون لها و لتأليفها بدايه و نهايه و لا بد من ان يكون له عله فى إيجاده و وجوده لأنه ليس بواجب الوجود فإن واجب الوجود واحد هو الله. و ليست عله وجود الموحى منه إلا- خلق الله خالق كل شىء قال الله فى سوره الزخرف إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا و جعل هو الخلق و كل مجعول و مخلوق له بدايه.

(الله) علم لواجب الوجود إله العالمين جلت أسماؤه و عظمت آلاؤه. و تفخم لامة بعد الفتح و الضم (الرحمن) لا أظنك تشك فى ان معنى الرحمه تتلقاه افهام الناس من لفظه

فى المحاورات على حدوده و مزايه و تناوله غرائزهم فى اللغة على خصائصه و تميز فى كل مقام ما يراد منه. بيد ان مقام التفسير قد يشوش الذهن لعدم اللفظ المرادف و عدم الاستقصاء فى البيان لمزايا المعنى و حدوده. و قد فسرت الرحمه بالعطف و الحنو. او الرأفه و الحنان. أو الرقه و التعطف. و كل هذه التفاسير إنما تحوم حول المعنى و تشير إلى شىء منه من بعيد.

ألا ترى ان كلا من التفاسير الثلاثه تختلف كلمته فى المعنى و إن هذه المذكورات قاصره مع ان الرحمه تتعدى إلى المفعول. و ان الأساس لمعنى الرحمه و دعامة ان تتعلق بالمحتاج إلى ما لا يقدر عليه من نيل الخير و دفع الأذى و الضر. و يكون الداعى للراحم هو احتياج ذلك المحتاج و الرغبه فى إسعافه و إعانته فيه من دون أن يرجع إلى أغراض الراحم من نحو حاجه أو محبه او ارتباط خاص به. و يعرف من تعديتها إلى المفعول انها ليست عباره عن الانفعال النفسى بل هى تستعمل فى حاله نفسيه تتعلق بالمحتاج على الوجه المذكور و بالنسبه لله جل شأنه نحو من كماله الذاتى يتعلق بالمحتاجين على الوجه المذكور. و لأجل قصور البشر نوعا عن فهم صفات الله جل اسمه على ما هى عليه جرى القرآن الكريم على التعبير عنها بما يعبر به عما يناسبها فى الشبه بالآثار و المزايا من صفات البشر الحميده و جرى على ذلك فى المبدأ و الاشتقاق.

و تستعمل الرحمه ايضا بنفس الاسعاف او بنفس المسعف به. و من الثالث بحسب الظاهر قوله تعالى فى سوره آل عمران وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً و فى سوره الكهف رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً و غير ذلك. و فى القرآن ايضا ما يصلح انطباقه على المعنى الأول و الثانى. فالرحمن فعلا لذى الصفه الفعلية بينه ذات الأثر الظاهر و لها بقاء و استمرار كغضبان و ريان و فرحان.

فيدل على فعلية الراحميه بينه و استمرارها. و ان إهمال المتعلق مع اشتقاقها من المتعدى ليدل على عموم هذه الراحميه ذات الأثر الظاهر و شمولها لكل محتاج إليها و الكل محتاج إليها. و من ذا الذى تكون راحمته او رحمته بمعنى اسعافه فعلية بينه ظاهره الأثر مستمره شامله مطلقه و من ذا الذى يقدر على هذا الإسعاف غير الله جلت آلاؤه و لأجل ذلك اختص هذا الاسم الكريم بالله جل شأنه (الرحيم) صفه مشبهه تؤخذ بهذه الصيغه من المعانى الثابته كالسجايه و الأخلاق فتدل على ثبوت الرحمه و دوامها لله كدوام السجايه و الأخلاق للبشر و لزومها و بهذه الدلاله و هذه المزيه كانت ابلغ فى المدح و بهذه الجبهه صح الترقى إليها بالتمجد و المدح و لا يمتنع أخذ الصفه المشبهه بهذه الصيغه من الوصف المتعدى بحسب وضعه لأنه قد يجعل لازما بتضمينه معنى السجيه

و الخلق فيؤول إلى معنى فعل بضم العين كقوله تعالى في سورة المؤمن ١٥ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ اى رفيعه درجاته فأضيفت الصفه إلى فاعلها كحسن الوجه على ما هو من خصائص الصفه المشبهه كما قال الشريف في حاشيه الكشاف و حكاه عن صرف المفتاح و فائق الزمخشري و مما يشهد بأن لفظ الرحيم ضمن معنى غير المتعدى هو انه حيث ذكر في القرآن متعلقا بمعمول ذكر متعلقا بواسطه الباء على سنه غير المتعدى دون لام التقويه كما في سورة البقره ١٣٨ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ و فى سورة الحج ١٦٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَ الْفُلُوكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ يُمَسِّكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ و فى سورة الحديد ٨ وَ مَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الرَّسُولِ يُدْعَوُكُمْ - ٩ وَ إِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ و فى سورة بنى إسرائيل ٦٨ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ لِيَتَّبِعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ٦٩ وَ إِذَا مَسَّكُمْ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ أَغْرَضْتُمْ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ٧٠ أ فَآمَنْتُمْ أَنْ - ٧١ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ - فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ وَ فى سورة التوبه ١٢٩ بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ و فى سورة النساء ١٠١ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَ فى سورة الأحزاب ٥٠ وَ كَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا وَ هذه الصفه غير مختصه بالله فقد جاء فى سورة التوبه فى وصف الرسول (صلى الله عليه و آله) ١٢٩ بِالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفٌ رَحِيمٌ و قد عرفت مما ذكرناه من سورة البقره و الحج و بنى إسرائيل و الحديد ما ينبغى أن تطرح الروايه التى تذكر ان الرحمن بجميع خلقه و الرحيم بالمؤمنين خاصه و مما ذكرناه من سورتي بنى إسرائيل و الحج ينبغى ان تطرح ايضا الروايه التى تذكر ان الرحمن رحمان الدنيا و الآخره و الرحيم رحيم الآخره كما أمرنا بذلك فى عرض الحديث على كتاب الله

سوره الفاتحه (١): الآيات ٢ الى ٣

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣)

الْحَمْدُ لِلَّهِ الحمد ثناء بالخير معروف يضعه المتكلم بحسب مرتكزاته فى اللغه مواضعه و يعرف معناه بمزاياه و يفرق بينه و بين ما يقارنه فى الاستعمال و الفهم. و لكن الاضطراب يجىء من ناحيه التفسير فمن قائل انه أخو المدح أى مرادفه. و منهم من فسره بالشكر مستشهدا بقولهم الحمد لله شكرا جاعلا قولهم شكرا مفعولا مطلقا لا مفعولا لأجله. و منهم من قال ان الحمد و المدح و الشكر متقاربه. و منهم من جعله على صفات المحمود الذاتيه و على عطائه. و منهم من خصه بالثناء على الفعل الجميل الاختيارى. و الظاهر من التدبر فى موارد الاستعمال و التبادر

ان الحمد هو الثناء باللفظ بالخير على فعل الجميل الاختياري إذا كان للجميل نحو مساس بالحامد وإلا فهو مدح. و أما الشكر فهو مقابله الإحسان بنوع إحسان يتضمن الاعتراف سواء كان عملا أو قولا و لو بنحو من الاعتراف بذلك الإحسان و فضله لا مجرد الاعتراف بذات الفعل لا من حيث انه احسان و تفضل. و لا أظن قولهم الحمد لله شكرا إلا ان شكرا مفعول لأجله نحو سبحته تعظيما. و إن فاعل الجميل من الناس إنما يستحق الحمد إذا فعله لحسنه أو لوجه الله و هو روح الإتيان بالفعل لحسنه «و قليل ما هم» بل لا يستحقه حتى في الظاهر إذا عرف انه لم يفعله لله و لا لحسنه و ذلك القليل لا يستحق الحمد إلا من حيث مباشرته لفعل الجميل و اختياره له. فإن القوى التي فعل بها و الإدراك الذي عرف به حسنه و الإرشاد إلى فعل الجميل و الأعيان التي تكون محققه لاسداء الجميل هي كلها لله و من الله جلت آلاؤه و لذا كان الحمد كله و بحقيقته لله الغنى المطلق جليل النعم التي لا تحصى نعمائه و لا يخلو من عظامها إنسان في حال من الأحوال. و جملة الحمد لله خبريه ان كانت من كلام الله في تمجيده لذاته و تنويهه بجلاله جل شأنه و لكن

روى الصدوق في الفقيه من كتاب العلل للفضل بن شاذان عن الرضا (عليه السلام) ليس شيء من القرآن و الكلام جمع فيه من جوامع الخير و الحكمه ما جمع في سورة الحمد و ذلك ان قوله عز و جل الْحَمْدُ لِلَّهِ إِنَّمَا هُوَ أَدَاءٌ لِمَا أُوجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ مِنَ الشُّكْرِ وَ شُكْرَ لِمَا وَفَّقَ لَهُ عَبْدُهُ مِنَ الْخَيْرِ رَبُّ الْعَالَمِينَ توحيد له و تحميد و اقرار بأنه هو الخالق المالك لا غيره الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ استعطاف و ذكر لآلائه و نعمائه على جميع خلقه مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ اقرار له بالبعث و الحساب و المجازاه الحديث.

إذن فجملة الحمد لله إلى آخره إنما هي عن لسان العباد و تعليم لهم كيف يحمدون و يوحدون و يقرون فهي خبريه تتضمن إنشاء الحمد بانه كله و بحقيقته لله رَبُّ الْعَالَمِينَ الرب المالك المدبر أو المربي و العالمين جمع عالم الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تقدم تفسيره

سوره الفاتحه (١): آيه ٤

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤)

مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ مالك يوم القيامة و بيده أمره يتصرف فيه بعدله أو برحمته كيف يشاء و في التبيان و الكشف و مجمع البيان أن إضافة مالك إلى يوم الدين من اضافه اسم الفاعل إلى الظرف نحو قولهم «يا سارق الليله أهل الدار». و لا أرى حاجه ماسه إلى ما ذكره.

و روى في التبيان و مجمع البيان مرسلا عن الباقر (عليه السلام) و القمي مسندا عن أبي عبد الله (عليه السلام) و اخرج ابن جرير و الحاكم و صححه مسندا عن ابن مسعود و ناس من الصحابه ان يوم الدين يوم الحساب

و أظن ذلك لبيان انه يوم القيامة. و في التبيان و البيان الدين الحساب و الجزاء و في

الكشاف الجزاء و استشهدوا لذلك بقولهم كما تدين تدان و بيت الحماسه المنسوب لشهل بن ربيعه

صفحنا عن بنى ذهل و قلنا القوم اخوان

عسى الأيام ان ير جعن قوما كالذى كانوا

و لما صرح الشر و أمسى و هو عريان

و لم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا

على معنى كما تجازى غيرك إذا أساء فإنك تجازى أيضا إذا أسأت و إنا جازينا بنى ذهل على عدوانهم كما جازوا غيرنا فإن ظاهر الشعر ان قوم شهل كانوا قد صفحوا عن بنى ذهل و لم يسبق منهم ما يكون به اعتداء بنى ذهل عليهم مجازاه و لعل من معنى الدين المذكور فى قول الأعشى «هودان الرباب أذكر هو الدين دراكا بغزوه و صيال» و لعل من هذا الباب الديان من اسماء الله له الأسماء الحسنى و ديان يوم الدين و قول الأعشى مخاطبا لرسول الله (صلى الله عليه و آله) «يا سيد الناس و ديان العرب» و الحديث كما ذكره فى النهايه كان على ديان هذه الأمه.

و الأمر فى تفسير الدين فى الآيه سهل فإنه يتراوح بين هذه المعانى و ما يقرب منها.

و لا غرو إذا تشابهت علينا هاهنا حقيقه معنى الدين بحدودها بواسطه التوسع فى الاستعمال.

و لا ينبغي أن يخفى أن قوله عزّ و جل رَبُّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَا لِكِ يَوْمَ الدِّينِ. هو بمنزله الحجه على ان الحمد له جلت الآؤه و بمنزله الحجه على انحصار العباده و الاستعانه به فى قوله جلت عظمته إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ و هل يعبد أو يستعان به بما هو رب العالمين غير رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين. و هل يصح فى الشعور ان يرغب عن عباده أو لا تغتم الاستعانه به.

سوره الفاتحه (١): آيه ٥

اشاره

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥)

و قد كررت كلمه (إياك) لوجهين الأول للتصريح و النص على انحصار كل من العباده و الاستعانه به. و لو قيل إياك نعبد و نستعين لأوهمت صورته اللفظ ان المنحصر هو مجموع الأمرين من العباده و الاستعانه لا كل واحد منهما و الثانى لأن الحصر فيهما مختلف فإنه بالنسبه للعباده حصر لجميع أفرادها و بالنسبه للاستعانه حصر باعتبار بعض افرادها كما سيأتى إن شاء الله. و هذا الأسلوب فى الآيه الكريمة من قسم الالتفات من الغيبه إلى الخطاب. و الالتفات فى كلام العرب و شعرهم كثير و هم يعدونه من محاسن الكلام و مزاياه فى البلاغه و هو متفاوت فى الحسن و لكنه مهما بلغ فإنه لا يكاد ان يبلغ ما بلغه هذا الالتفات من

الحسن الباهر و الجوده الفائقه و أعلى درجات البلاغه. فإنه يمثل العبد شاخص البصر إلى جلال مولاه و متوجها إلى حضرته بالاعتراف بأنه لا معبود سواه و لا مستعان إلا هو و متضرعا بخطاب العبوديه و المسكنه و مناجاه الرهبه و الرغبه خاضعا لربوبيته ماذا الى رحمته يد الانقطاع فى المسأله و الاستعانه

ص: ٥٦

لا- يزال العوام و الخواص يستعملون لفظ العبادة على رسلهم و مجرى مرتكزاتهم على طرز واحد كما يفهمون ذلك المعنى بالتبادر و يعرفون بذوقهم مجازه و وجه التجوز فيه. و إن المحور الذى يدور عليه استعمالهم و تبادلهم هو ان العباده ما يرونه مشعرا بالخضوع لمن يتخذ الخاضع إلهها ليوفيه بذلك ما يراه له من حق الامتياز بالإلهيه. او بعنوان انه رمز او مجسمه لمن يزعمونه إلهها تعالى الله عما يشركون. و لكن الخطأ و الشرك. أو البهتان و الزور. أو الخبط فى التفسير وقع هنا فى مقامات ثلاثه (الأول) الإتيان بما تتحقق به حقيقه العباده لما ليس أهلا لذلك بل هو مخلوق لله كعباده الأوثان مثلا (الثانى) مقام البهتان و الافتراء و خدمه الأغراض الفاسده لترويج التحزبات الأثيمه فيقولون لمن يوفى النبى أو الإمام شيئا من الاحترام بعنوان انه عبد مخلوق لله مقرب عنده لأنه عبده و أطاعه و يرمونه بأنه عبد ذلك المحترم و أشرك بالله فى عبادته. ألا تدرى لمن يبهتون بذلك يبهتون من يحترم النبى أو الإمام تقربا إلى الله لأنه اختاره و أكرمه بمقام الرساله أو الإمامه التى هى بجعل الله و عهده كما وعد الله بذلك ابراهيم فى قوله تعالى فى سورة البقره وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ و هذا الاحترام المعقول المشروع لا يقل عنه و لا يخرج من نوعه ما هو المعلوم و المشاهد من احترام هؤلاء المتحزبين لملوكتهم و زعمائهم و حكامهم و خضوعهم لهم بالقول و العمل مهما بلغوا من النخوه الاعرابيه. و لقد سرت هذه البادره السوءى موروثه من ضلال الخوارج فى تحزبهم إذ نسبوا الشرك و الكفر لأمير المؤمنين عليه السلام إذ ألجأوه عند رفع المصاحف إلى السكوت عن تحكيم رجلين يعملان بما يوجه القرآن فى شقاق معاويه فى حربه. كما ألجأوه إلى كون الحكيمين أبا موسى و ابن العاص. و كما نسبوا الشرك ثانيا الى ولده الحسن السبط عليه السلام لما نافق قومه و زعماء جنده و انحاز بعضهم الى معاويه و كاتبه آخرون و واعدوه تسليم الحسن له قبض اليد فخطب الحسن (عليه السلام) فى معسكره المحشو بالنفاق مستشيرا و مقيما للحجه و مختبرا لهم لكى يعرف الناس نفاقهم فيكونوا على بصيره من أمرهم فى الحرب او الهدنه.

و هذه المباهته الوخيمه و الدسيسه الوبيئه فى التحزب الأثيم صارت فى العصور المتأخره وسيله للتهاجم على ما حرم الله من دماء المسلمين و أموالهم و اعراضهم و على حرمت الرسول و الأئمه

عليهم السلام و جرى من جِزَاء ذلك ما تقشعر منه الجلود. و لو لا- أن ملكهم قمع طغيانهم لجرى من عدوانهم و الدفاع لهم حوادث في المسلمين مزعجه و الله المستعان اللهم إياك نعبد و إياك نستعين.

(المقام الثالث) كثيرا ما فسرت العباده بأنها ضرب من الشكر مع ضرب من الخضوع.

او الطاعه. و هل يخفى عليك أن هذه التفاسير مبنيه على التساهل بخصوصيات الاستعمال أو الارتباك في مقام التفسير و هل يخفى أن اغلب الافراد من كل واحد مما ذكروه لا يراه الناس عباده و يغلطون من يسميها او بعضها عباده الا على سبيل المجاز. و إن لفظ العباده و ما يشق منه كعبد و يعبد لا تجدها مستعمله على وجه الحقيقه إلا فيما ذكرناه من معامله الإنسان لمن يتخذه إليها معامله الإله المستحق لذلك بمقامه في الإلهيه. و لم أجدها في القرآن الكريم مستعمله في غير ذلك إلا في ثلاثه موارد و لكنها لم تخرج عن النظر إلى مناسبه المعنى الحقيقي المذكور و التجوز بلفظه. و هي قوله تعالى في سوره مريم ٤٥ يا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا و في سوره يس ٦٠ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ. فاستعير اسم العباده للطاعه العمياء للشيطان على الدوام كما يلقي المؤمنون قياد طاعتهم لله على بصيره من أمرهم لأنه إلههم على نحو التجوز الواقع في قوله تعالى في سوره الفرقان ٤٥ أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ. و الجائيه ٢٢ أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبدون الشيطان و لم يتخذوا هواهم إليها على سبيل الحقيقه. و ثالثها قوله تعالى في سوره المؤمنون ٤٩ فَقَالُوا (اي فرعون و ملائه) أُنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ اي دائبون على العمل في تسخيرنا كما يدأب المؤمن في طاعه الله و عبادته. او باعتبار ان فرعون كان يدعى الإلهيه فجعلوا بالتشبيه و التمويه خضوع بنى إسرائيل بالقهر و الغلبه عباده لفرعون هذا و ان الشيخ محمد عبده خاض في هذا المقام في البحث على ما حكاه عنه تلميذه في تفسيره لسوره الفاتحه و قارب الغرض في كلامه و لما يقرطس. قال ما ملخصه مهما غالى العاشق في تعظيم معشوقه و الخضوع له و تفانى في هواه و ارادته. أو بالغ بعض الناس في تعظيم الملوك و الزعماء فترى من خضوعهم لهم ما لا تراه من خضوع القانتين لله فإن العرب لم يكونوا يسمون شيئا من هذا الخضوع عباده فما هي العباده اذن. و قال: تدل الأساليب الصحيحه و الاستعمال العربى الصراح أن العباده ضرب من الخضوع بالغ حد النهايه ناشئ عن استشعار القلب عظمه للمعبود لا يعرف منشأها و اعتقاده بسلطه لا يدرك كنهها و ماهيتها و قصارى ما يعرفه منها انها محيطه به

و لكنها فوق إدراكه انتهى كلامه و لو انه صارح بجامع كلامه و ملاك صحته و استقامته «و هو ما قدمنا من تقييد العباده بالتعلق بمن يراه العابد إليها» لما عادت جمله فلا متدافعه يسلها الانتقاد و ان اعتصم بعد ذلك بصائب قوله «للعباده صور كثيره فى كل دين شرعت لتذكير الإنسان بذلك الشعور بالسلطان الإلهى الأعلى» فإنه لا يتسق قوله هذا الا أن يعتبر فى معنى العباده كونها ناظره الى توفيه من يتخذة إليها حقه من التعظيم و الخضوع و اى شعور مذكر فيها لو لا ذلك الاعتبار. و ان لم يعتبر ما ذكرناه فلا مفرّ لجمله المتقدمه عن النقد. فإن صور كثير من العبادات لا- تبلغ حد النهايه من الخضوع و لا- تقاربه كما ذكر فى عباده المتحنين القانتين بالنسبه لخضوع ذلك العاشق لمعشوقه و خضوع أولئك فى تعظيم الملوك و الزعماء. و أيضا ان عابد الله يعرف أن منشأ العظمه و ملاكها هى السلطه الإلهيه و لئن كانت فوق إدراكه فباعتبار عمومها لما لا يعدّ و لا يحدّ من الممكنات لا بما هى سلطه إلهيه عظيمه يمكن عرفانها و نيلها بالإدراك من هذه الوجهه. و فى مقام الفرق بين العباده و العبوديه قال و من هنا قال بعض العلماء أن العباده لا تكون فى اللغه الا لله تعالى «أقول» يريد ان العباده من حيث ان معناها الحقيقى فى اللغه مأخوذ فيه التعلق بالإلهيه و الإله لا يصح تعلقها إلا بالله الذى لا إله الا هو و لا يريد أنها لم تنسب فى اللغه الا لله. و كيف يخفى عليه أنها جاءت فى نفس محاورات القرآن منسوبه لغير الله فى اكثر من سبعين موردا. فالظاهر أنه لا وقع لاعتراضه عليه بقوله و لكن استعمال القرآن يخالفه. نعم يرد على من قال ان لفظ العباد مأخوذ من العباده انه غفل عن قوله تعالى فى سورة النور ٣٢ وَ أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَ الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ

حصر الاستعانه بالله جل اسمه

قال الله تعالى فى سورة المائده ٣ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى و اما المعاونه فى المباحات فهى إحسان أمر الله به أيضا فى كتابه بقوله تعالى فى سورة النحل ٩٢ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ فى سورة البقره ٩١ وَ آل عمران ١٢٨ وَ المائده ١٥ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

و المعلوم بالضروره من سيره النبى (صلى الله عليه و آله) و أصحابه و الأئمه و المسلمين انهم يستعينون فى غالب أمورهم المباحه بالآلات و الدابه و الخادم و الزوجه و الصاحب و الرسل و الأجراء و غيرهم و فى سورة البقره ٤٢ وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ وَ فى سورة النساء ٦٧ وَ لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَعْفَرُوا اللَّهَ وَ اسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا فقد لامهم الله على

عدم مجيئهم للاستعانه على المغفره باستغفار الرسول. و هذا يكفى فى الحجه و الدلاله على ان الإعانه ليست بجميع أقسامها منحصره بالله. و على انه لا يلزمننا أن نقصر استعانتنا بقول مطلق على الله. و تفصيل ذلك هو انا ننظر إلى استعانات البشر قولاً و عملاً- فراها تكون على نحوين (النحو الأول) هو الاستعانه بالوسائل المجعوله من الله لنيل المقصود التى هى و ما فيها من التسبيب من جعل الله و خلقه. (و النحو الثانى) هو الاستعانه بالإله بما هو إله معين بإلهيته و قدرته الذاتيه المطلقه الفائقه. و لا ريب فى ان النحو الثانى من الاستعانه هو المتيقن فى قصره على الله. لأن الاستعانه بهذا النحو إذا كانت بغير الله كانت تأليها لذلك الغير و اشراكا بالله.

و مما ذكرنا من الآيه و السيره و اقتران إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ فى سياق توحيد الله و تمجيده بالمجد الإلهى تقوم الحجه و تتضح الدلاله على ان هذا النحو من الاستعانه هو تمام المقصور على الله دون النحو الأول

الاستشفاع إلى الله

و لا ريب فى أن الاستشفاع إلى الله فى دعائه و التوسل إليه بالنبي (صلى الله عليه و آله) و الأئمه و الأولياء فى الحوائج إنما هو من الاستعانه بالنحو الأول. و إنك إذا سألت حتى من الهمج عما يفعلون فى توسلهم بالنبي (صلى الله عليه و آله) و الأئمه و الأولياء قالوا انا نستشفع بهم إلى الله و نقدمهم أمام تضرعاتنا اليه لكرامتهم عليه و وجاهتهم عنده لأنهم من عباده المكرمين. فإن قلت لهم انكم ربما تخاطبونهم بالتضرع و التمجيد و طلب الحاجه منهم فما هذا. قالوا لك تخاطبهم بالضراعه ليشفعا و بالتمجيد بما هم أهل له احتراماً لمقامهم عند الله و بطلب الحاجه منهم إلحاحاً عليهم و تأكيداً فى الاستشفاع.

و بيانا لأن شفاعتهم وسيله ناجحه كما تقول لمقرب الملك فيما يرجع أمره إلى الملك أريد هذا الأمر منك. فإن قلت لهم هلا تسألون طلباتكم منهم. قالوا لك كيف و إنهم بشر لا يقدرون على ما يختص الله بالقدره عليه من حيث الإلهيه و لا إله إلا الله: فإن قيل ان الله ارحم الراحمين فما هى الحاجه إلى الاستشفاع. قلنا شرع الاستشفاع لأجل الحكمه التى شرع لأجلها الدعاء كما قال الله و هو أرحم الراحمين عالم الغيب و الشهاده فى سوره المؤمن ٦٢ اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ- ٦٧ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ و فى سوره الأعراف ٢٨ وَ اذْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ- ٥٤ وَ اذْعُوهُ خَوْفًا وَ طَمَعًا فَإِنِ دَعَاكَ اللَّهُ تَمْرِينَ عَلَى عِبَادَتِهِ وَ اِلْتِجَاءَ إِلَيْهِ وَ الْفِرْعَ إِلَى إِلَهِيَّتِهِ وَ قَدْرَتِهِ ... فَإِنِ قِيلَ أَيْنَ شَرَعِ الْاِسْتِشْفَاعِ. قلنا يكفى فى الدلاله

على مشروعيته من الكتاب المجيد ما ذكرنا من الآيه السابعة و الستين من سوره النساء فى لومهم على عدم مجيئهم ليغتنموا شفاعه الرسول باستغفاره لهم. و إن العدول و الالتفات من خطاب الله لرسوله فى الآيه المشار إليها إلى قوله وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ الرُّسُولُ إنما هو للإشاره إلى ان الحكمة فى ذلك هو تمرينهم على الانقياد إلى الرسول و مقام الرساله بالمجىء إلى حضرته و الخضوع لكرامته بالاحتياج و طلب الاستغفار و شفاعته لهم. كل ذلك لكى ينقادوا مستوسقين إلى طاعته فى أمور الدين و الإيمان. و هذه المشروعيه يجرى وجهها و حكمتها و علتها فى شفاعه الأئمه و الأولياء و ليتنبه المستشفع من استشفاعه إلى كرامه المطيع لله لطاعته فيحركه ذلك إلى الرغبه فى الطاعه. و هذا أمر معروف المشروعيه معمول عليه فى الأديان الحقه كما حكى القرآن الكريم ان أولاد يعقوب نبى الله استشفعوا بأبيهم إلى الله و طلبوا استغفاره لهم فوعدهم يعقوب بذلك كما فى سوره يوسف ٩٨ يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا - ٩٩ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي

الاستشفاع بالمقربين من الأموات

و ما ذكرناه من الحكمة يجرى أيضا على رسله فى الاستشفاع بهم بعد وفاتهم لكى يحفظ انقياد الناس إليهم فيما علموه و أمروا به و ارشدوا اليه من امر الدين و صلاح الدارين. و للتنبه ايضا إلى كرامه الطاعه لله. فإن قال قائل كيف يستشفع بالأموات و أين هم بعد موتهم من مقام الشفاعه

بقاء النفس بعد الموت

قلنا قد عرّفنا الله فى كتابه المجيد ان النفوس تبقى بعد الموت على ما هى عليه من المقام النفسانى اما متمتعه بمقام الكرامه و اما مبتلاه بالهوان و السخط. و قرّب لأفهامنا القاصره حاله النفس بعد الموت و بقائها بمقارنه حالتها فى الموت و النوم. فقال جل اسمه فى سوره الزمر ٤٣ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْمَافِئِسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يُرْسِلُ الْآخَرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ و فى سوره البقره ١٥٤ وَ لَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَ لَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ وَ آل عمران ١٦٩ وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ١٧٠ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ ١٧١ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَ فَضْلٍ وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ. و إن قوله تعالى أَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ

الْمُؤْمِنِينَ دُونَ أَنْ يَقُولَ لَا- يَضِيعُ أَجْرُ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ مِنْ آثَارِ الْإِيمَانِ الْجَارِيَةِ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ لَا- آثَارُ خُصُوصِ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ مِنْ خَوَاصِهِ. وَ قَالَ جَاءَ اسْمُهُ فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ ٤٨ فَوَقَّاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَّرُوا وَ حَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءَ الْعَذَابِ ٤٩ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَ عَشِيًّا وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ فَانظُرْ إِلَيْهَا لَبِقَاءَ الْفُؤَادِ بَعْدَ الْمَوْتِ هَذِهِ عَلَى كِرَامَتِهَا هَذِهِ فِي هَوَانِهَا

الشفاعة

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ إِنَّ اللَّهَ قَدْ نَفَى الشَّفَاعَةَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَفِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ٢٥٥ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَ لَا خُلَّةٌ وَ لَا شَفَاعَةٌ وَ السَّجْدَةِ ٤ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا- شَفِيعٍ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ «قَلْنَا» أَنَّ الشَّفَاعَةَ قَدْ نَفَاهَا الْقُرْآنُ مِنْ جِهَةِ وَ هِيَ الشَّفَاعَةُ لِلْمُشْرِكِينَ أَوْ الشَّفَاعَةُ الَّتِي يَزْعَمُهَا الْمُشْرِكُونَ لِلَّذِينَ يَتَّخِذُونَهُمْ آلِهَةً مَعَ اللَّهِ بِزَعْمِ أَنَّهُمْ آلِهَةٌ قَادِرُونَ بِإِلَهِيَّتِهِمْ بِحَيْثُ تَنْفِذَ شَفَاعَتَهُمْ طَبَعًا وَ حَتْمًا. أَوْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِ الَّذِي يَطَاعُ حَتْمًا كَمَا فِي سُورَةِ يَس ٢٣ وَ الْمُؤْمِنِينَ ١٩ وَ الزَّمَرِ ٤٤ وَ الْمَدَّثِرِ ٤٨ وَ أُثْبِتَتْ مِنْ جِهَةِ أُخْرَى بِالِاسْتِثْنَاءِ بَلْ بِالِاسْتِدْرَاكِ الدَّافِعِ لِإِيْهَامِ نَفْيِهَا الْمَطْلُوقِ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ فَقَالَ تَعَالَى. إِلَّا بِإِذْنِهِ. إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ. أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا.

إِلَّا مَنْ أَدَانَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَ رَضِيَ لَهُ قَوْلًا. إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى إِلَّا لِمَنْ أَدَانَ لَهُ. إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ. إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى كَمَا فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ٢٥٦ وَ يُونُسَ ٣ وَ مَرْيَمَ ٩٠ وَ طه ١٠٨ وَ الْأَنْبِيَاءَ ٢٩ وَ سَبَأَ ٢٢ وَ الزَّخْرَفَ ٨٦ وَ النَّجْمَ ٢٧. وَ إِنَّ الشَّفَاعَةَ الْمُسْتَثْنَاءَ وَ الْمُسْتَدْرَكَةَ فِي آيَاتِ الْبَقَرَةِ. وَ يُونُسَ. وَ سَبَأَ. مَطْلُوقَةٍ غَيْرِ مَخْتَصِصَةٍ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ لَا بِمَا قَبْلَ وَفَاةِ الشَّافِعِ فِي الدُّنْيَا. وَ لَكِنْ لَوْ أُعْطِيَ الْقُرْآنُ حَقَّهُ مِنَ التَّدْبِيرِ وَ سَلِمَتِ الْفُؤَادُ مِنَ وَبَاءِ الْأَهْوَاءِ وَ التَّحْزَبِ وَ بَوَادِرِ التَّعَصُّبِ وَ النَّصَبِ لَمَا ثَارَ الْهِيَاجُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ عَلَى اسْتِشْفَاعِ الْمُسْلِمِينَ بِالرُّسُولِ وَ الْأُمَّةِ وَ الْأَوْلِيَاءِ لِأَنَّهُمْ عِبَادُ مَكْرَمُونَ وَ أَوْلَى عِبَادِ اللَّهِ بِأَنْ نَعْتَقِدَ أِذْنَ جَلَّتْ آلَاؤُهُ لَهُمْ بِالشَّفَاعَةِ إِكْرَامًا لَهُمْ لِأَجْلِ الْحِكْمَةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا. وَ قَدْ اِكْتَفَيْنَا هَاهُنَا بِدَلَالَةِ الْكِتَابِ الْمَجِيدِ عَنِ الْإِشَارَةِ إِلَى مَا تَوَاتَرَ مَعْنَاهُ مِنْ أَحَادِيثِ الْمُسْلِمِينَ فِي هَذِهِ الشُّؤُونِ. وَ فِي كِتَابِهِمْ فِي الْحَدِيثِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ كَثِيرٌ وَ الْأَمْرُ فِيهِ جَلِيٌّ وَ لَكِنْ «لَا أَمْرٌ مَا جَدَعَ قَصِيرَ أَنْفِهِ» وَ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى مَا حَكَاهُ تَلْمِيزُهُ فِي سُورَةِ الْفَاتِحَةِ صَفْحَةَ ٤٦ وَ ٤٧ مِنْ الطَّبَعَةِ الثَّلَاثَةِ كَلَامَ أَلْقَاهُ عَلَى عَوَاهِنِهِ فِي زُوبَعَةِ الْهِيَاجِ الْمَذْكُورِ وَ هُوَ غَرِيبٌ مِنْ تَحْزِينِهِ تَهْذِيبُ كَلَامِهِ وَ تَدْبِيرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَ تَفْسِيرُهُ وَ التَّحْرُزُ

من عبوديه الأهواء و لم يحضرني كتاب تفسيره لأرى ما فيه فى هذا المقام

سوره الفاتحه (١): الآيات ٦ الى ٧

اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) الهدايه تستعمل فى الإرشاد إلى الطريق و الدلاله على الخير كقوله تعالى فى سورتي فصلت ٦ و أمّا تَمْيُودُ فَهَيْدَيْنَاهُمْ فَاشْتَحَبُوا الْعَمَى و الشورى ٥٢ وَ إِنَّكَ لَنْتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ و تستعمل فى الإيصال بالتوفيق و التسديد كقوله تعالى فى سوره القصص ٥٠ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ - ٥٦ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ و النساء ٧٠ وَ لَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا و الأنعام بعد ذكر عده من الأنبياء ٨٧ وَ هَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ و هذا المعنى هو الظاهر و المراد من الآيه حتى إذا كانت سوره الفاتحه أول ما نزل من القرآن الكريم. و الهدايه تتعدى إلى المهدي اليه بنفسها و يالى. و الصراط هو الطريق و المستقيم ما لا انحراف فيه و لا اعوجاج و هو أقرب نهج موصل إلى المقصود. و يكون سالكه أبعده من الضلال و خوفه. و على بصيره من أمره من أول سلوكه إذ يتضح منه منار الحق و بشائر الوصول من أول الإقبال اليه. و فى حديث الجمهور كما فى الدر المنثور انه فى الآيه كتاب الله. أو الإسلام أو رسول الله و صاحبا بعده. و فى تفسير البرهان عن تفسير وكيع بن الجراح مسندا عن ابن عباس فى قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم قال قولوا يا معاشر العباد أرشدنا الى حب محمد و اهل بيته. و عن تفسير الثعلبى مسندا عن أبى برده قال صراط محمد (صلى الله عليه و آله) و اهل بيته.

و فى روايات الإماميه انه امير المؤمنين. او انه الأئمه. و كلما صح من ذلك فهو من باب النص على احد المصاديق او أظهرها صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ بالتوفيق و السداد فنعما بالوصول و فازوا بالزلفى غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ لأنهم عاندوا الحق بعد ما استنار صبح الإرشاد و وضحت الدلاله و قامت الحجج فاستوجبوا بذلك غضب الله. و كلمه غير مجروره على انها صفة للذين.

و فى الحديث و الروايات ان المغضوب عليهم هم اليهود أو النواصب.

و ما صح من ذلك فهو من باب النص على بعض المصاديق و لما الضالين بجهلهم و تقصيرهم عن طلب الحق و معرفته مع وضوح الدلاله و قيام الحجج و جىء بكلمه «لا» مع الضالين لأجل الاستقصاء فى التعوذ من الفريقين المغضوب عليهم و الضالين

سوره البقره

اشاره

مدنيه و هى مائتان و ست و ثمانون آيه

سورة البقرة (٢): الآيات ١ الى ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤)

١ الم علم معناها عند الله ورسوله ومستودعي علمه وأمنائه على وحيه. ولا غرو في ان يكون في القرآن ما هو محاوره بأسرار خاصه مع الرسول وأمناء الوحي ذَلِكَ الْكِتَابُ الْقُرْآنُ أَشِيرَ إِلَيْهِ بِإِشَارَةِ الْبَعِيدِ لِرَفْعِهِ مَقَامَهُ وَعُلُوِّ شَأْنِهِ وَذَلِكَ مُتَعَارَفٌ عِنْدَ الْعَرَبِ فِي الْإِشَارَةِ إِلَى الْعَظِيمِ الرَّفِيعِ الشَّانِ لَا رَيْبَ فِيهِ لَيْسَ فِيهِ مَحَلٌّ لِلرَّيْبِ وَلَا يَنْبَغِي الرَّيْبُ فِي أَمْرِهِ. أَوْ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مَّرِيبٌ بَلْ هُوَ هُدًى بِالْفِعْلِ وَمَوْصَلٌ إِلَى حَقِيقَةِ الدِّينِ وَشَرِيعَةِ الْحَقِّ وَأَرْكَانِ الْإِيمَانِ لِلْمُتَّقِينَ لِلَّهِ الَّذِينَ مِنْ تَقْوَاهُمْ يَقْبَلُونَ عَلَى الْقُرْآنِ وَيَتَّبِعُونَهُ حَقَّ الْإِتِّبَاعِ وَيَأْتَمِرُونَ بِأَمْرِهِ وَيَنْتَهُونَ بِنَوَاهِيهِ وَيَتَأَدَّبُونَ بِآدَابِهِ وَيَسْتَرشِدُونَ بِمَعَارِفِهِ. وَالْإِتِّقَاءُ مَأْخُذٌ مِنَ الْوَقَايَةِ يُقَالُ اتَّقَى السَّيْفَ بِالْدَرَقَةِ أَيْ اتَّقَى مَا يَخَافُ مِنْهُ وَفِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ وَالْعَشْرِينَ فَاتَّقُوا النَّارَ وَ ٤٦ وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَ تَقْوَى اللَّهِ عِبَارَةٌ عَنِ اتِّقَاءِ مَا يَخَافُ مِنْهُ كَغَضَبِهِ وَعَذَابِهِ فَيَتَّقَى ذَلِكَ بِطَلْبِ رِضَاهِ وَطَاعَتِهِ فِي أَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ. وَاطِّلَاقُ التَّقْوَى فِي وَصْفِهِمْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا صِفَةٌ عَامَةٌ ثَابِتَةٌ لَهُمْ وَمَلَكَةٌ رَاسِخَةٌ كَالْعَالَمِ وَالْفَقِيهِ. وَالَّذِينَ فِي الْآيَةِ الْآتِيَةِ وَكَذَا الَّتِي بَعْدَهَا لَيْسَتْ مُبْتَدَأٌ وَخَبْرُهُ جَمَلَةٌ أَوْلَيْتَكَ عَلَى هُدًى كَمَا احْتَمَلُ فِي بَعْضِ التَّفَاسِيرِ بَلْ هِيَ صِفَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ٢ الَّذِينَ مِنْ قُوَّتِهِمْ فِي التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ بِالْحَقِّ وَاتِّبَاعِ الدَّلِيلِ وَالْهُدَايَةِ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ مِمَّا لَمْ يَرَوْهُ وَلَمْ يَحْسُوا بِهِ بَلْ يَحْصُلُ لَهُمْ يَقِينُ الْإِيمَانِ بِالْحُجَّةِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَقَوْلِ مَنْ قَامَتِ الْحُجَّةُ عَلَى عَصْمَتِهِ وَذَلِكَ كَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ وَأَحْوَالِ الْقِيَامَةِ وَالنَّعِيمِ وَالْعَذَابِ. وَ مِنْ مُصَادِقِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْغَيْبِ. الْمُؤْمِنُونَ بِقِيَامِ الْمَهْدِيِّ الْمُنْتَظَرِ عَجَلَ اللَّهُ فَرَجَهُ كَمَا فِي الرَّوَايَةِ عَنْ أَهْلِ الْبَيْتِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ يُوَاطِبُونَ عَلَيْهَا فِي أَوْقَاتِهَا قَائِمَةً عَلَى حُدُودِهَا وَشُرُوطِهَا وَإِخْلَاصِهَا فِي الْعِبَادَةِ وَالرَّغْبَةِ إِلَى اللَّهِ فِي مَنَاجَاتِهِ وَالْمَثُولِ فِي طَاعَتِهِ بِحَضْرَتِهِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ مَالٍ بَلْ وَعِلْمٌ كَمَا فِي رَوَايَةِ أَهْلِ الْبَيْتِ يُنْفِقُونَ كَمَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَوْ نَدَبَهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ بِالتَّعْلِيمِ وَالْبَيَانِ. وَيَنْفِقُونَهُ عَلَى حِينِ مَعْرِفَتِهِ مِنْهُمْ وَاعْتِرَافِهِ بِأَنَّهُ رَزَقَ اللَّهُ وَنِعْمَتُهُ عَلَيْهِمْ فَيَكُونُ إِتِّفَاقُهُمْ أَدْخَلَ فِي الطَّاعَةِ الْمَقْرُونَةَ بِالشُّكْرِ وَأَقْرَبَ إِلَى الْمَعْرِفَةِ وَالْإِحْسَانِ وَالِدَوَامِ ٣ وَالَّذِينَ صَفَهُ أُخْرَى

للمتقين و جىء بواو العطف استلغافا الى فضيله هذه الصفه فان التعداد بالعطف يمثّل للذهن كلا من الصفات مستقله بمزاياها لا كما إذا طردت من غير عطف. ألا- ترى ان الّذهن يجد من الرّونق للصفات فى قولهم جاء الرجل العالم و الصالح و الكريم و الشجاع ما لا يجده فى قولهم جاء الرجل العالم الصالح الكريم الشجاع يُؤْمِنُونَ بما أُنزلَ إِلَيْكَ من الوحي من الكتاب و غيره و يذعنون بأنه منزل من الله على رسوله رحمه للعباد و لطفًا منه فيظهر عليهم بذلك شعار الإيمان به و ما أُنزلَ مِنْ قَبْلِكَ على الرسل و الأنبياء حسب ما يحصل لهم من اسباب العلم بإنزاله.

و اظهر الأسباب فى ذلك اخبار القرآن الكريم و الرسول المصطفى به. و ذلك من الإيمان بالغيب لأنهم لم يشاهدوا آيه و معجزه من أولئك الأنبياء الماضين و بِالْمَآخِرَةِ التى ذكرها القرآن و ما فيها و عرّفتهم أنت بذلك فى بشراك و إنذارك هُمْ يُوقِنُونَ و يرونها بإيمانهم بالغيب حق اليقين كان ذلك رأى العين. و صيغه المضارع فى يوقنون تدل على ثبات اليقين و دوامه و هو الذى تظهر سيماؤه فى دوام الطاعة و الرهبه من سخط الله و عقابه و الرغبه فى رضا الله و ثوابه الذى اعدّه فى الآخرة للصالحين. و هؤلاء المتصفون بهذه الصفات بالآخرة هم يوقنون لا من يكذبها باعتقاده و قوله. او يصورها بتكلف اعتقاده بها على خلاف ما جاءت به رسل الله و كتبه. او من كانت سيرته فى أعماله السيئه و تفريطه فى الطاعات تمثل ضعف إيمانه بالآخرة و إن غفلاته عنها فى أعماله و تروكه تكاد أن تأتى على ما يتكلفه من الاعتقاد بها و العياذ بالله.

و بعد التنويه بصفات المتقين المهتدين بالكتاب جاءت البشرى بكرامه مقامهم و ربح تجارتهم فقال الله فى شأنهم

سوره البقره (٢): آيه ٥

أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥)

٥ أُولَئِكَ مستقرون على هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ و توفيق و تسديد إذ كانوا بإيمانهم و إقبالهم على الطاعة أهلا لذلك و أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ دون غيرهم أما فى الدنيا فبراحه ما استشعروه من القناعه و تقدير النعم و شكرها و فضيله الرضا بأمر الله و التسليم لحكمته و راحه الهدوء و الصلاح و حسن الأخلاق. و أما فى الآخرة فبفلاح النعيم المقيم. و بمناسبه حال الكتاب فى هداه مع المتقين الموصوفين و ما لهم من الاهتداء و الفلاح ذكر الله لرسوله حال بعض الكافرين بأنهم فى تماديهم بالغى على الكفر و التمرد لا يجدى معهم إنذارك و لا يؤمنون

بالله و رسوله و كتابه. هذا ما يقتضيه سياق القرآن الكريم خصوصا مع ابتداء الإخبار عن الذين كفروا بدون عطف بالواو

سوره البقره (٢): الآيات ٦ الى ٧

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٦) خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٧)

٦ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يعنى قسما خاصا ممن ينتحل الكفر و المعهودين عند الرسول أو هم مطلق الطواغيت الذين يعلم الله انهم من تمردهم يموتون على التمادى على ضلال الشرك و الكفر بالله و رسوله و كتابه و ما جاء به فى دعوه الحق مع الحجج القيمه و الدلاله الواضحه. هؤلاء سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ و لا يختارون الإيمان لأنهم بطغيانهم و انهماكهم بضلال الكفر قد ارتجوا قلوبهم و أسماعهم و أحكموا سدها عن ان يلجها شىء من دعوه الإيمان و دلائل آياتها و لا شىء من نور الحق و شافى البيان فاستحقوا بذلك حرمانهم من توفيق الله و تسديده لهم. و إن توفيقه و تسديده جلت آلاؤه من أقوى ما يعين العبد فى اختياره للطاعه و الإيمان إذ يرفع عنه من طريقهما ما يعرقله و يزل اقدامه من نزغات الشيطان و هفوات الهوى و طموح النفس الأماره إلى شهواتها و نزغاتها الرديه و مألوفاتها. فكان حرمان المتمردين من التوفيق و التسديد بمنزله الختم على ما سدوه بسوء اختيارهم و طغيانهم. و لأجل ان ذلك الحرمان من الله لخروجهم عن الأهليه نسب الختم الذى سمي به إلى الله عزّ و جل لأن الله هو الذى بيده أمر التوفيق منحه و حرمانا.

و على هذا قال جل اسمه ٧ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ. وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً من التمرد حيث استحبوا العمى على الهدى فلا يبصرون أنوار الحق و العرفان مع إشراقها كالشمس راد الضحى وَ لَهُمْ بما جنوه من التمرد فى الكفر و الطغيان و محاده الله و رسوله عَذَابٌ عَظِيمٌ و غير خفى ان مذهب العدليه من الإماميه و المعتزله هو انه يمتنع على جلال الله القدوس الكامل الغنى أن يمنع الإنسان بالإلجاء عن قبول الإيمان أو يلجئه إلى الكفر أو يكون هو الخالق للكفر فيه فضلا عن ان يلومه و يعاقبه مع ذلك عليه. فإن ذلك كله قبيح عقلا كما هو من البديهيّات الفطريه. و من البديهيّ ان القبيح ممتنع الصدور من الله الغنى القدوس. و قد ذكرنا فى أخريات شواهد المقام الثانى من الفصل الرابع فى المقدمه ان الله عزّ و جل قد مجد قدسه فى القرآن الكريم بالنزاهه عما هو دون ذلك فى القبح و ويخ الناس على أعمال السوء. و لكن ابن المنير

فى تعليقه على الكشاف تحامل على الزمخشرى فى هذا المقام و أورد لمذهبه وجوها طالما لهج بها الأشاعره «أولها» ان مذهب العدليه فى المسأله مخالف لدليل العقل على وحدانيه الله فإن مقتضاه ان لا حادث إلا بقدره الله «و يدفعه» ان مسأله القدره غير مسأله التوحيد و غايه ما يقال فى قدره الله انها لا تقصر و لا تضعف عن الممكن و إن صار لقبه ممتنع الصدور منه لجلال شأنه و قدسه و كماله و غناه. و ليس مقتضى دليل العقل على الوحدانيه ان يكون الزنا و اللواط و الكفر و منع الكافرين عن الإيمان و أمثالها من القبائح تقع بفعل الله و خلقه و قدرته.

و أما قولهم ان نسبه الفاعليه للناس و إيجادهم لأفعالهم و خلقهم لها يقضى بالشرك و الإشرارك مع الله فى صفته و هو خلاف الوحدانيه و التوحيد. فهو مردود بأن التوحيد الواجب فى الإيمان هو توحيد الله و نفى الشرك له فى الإلهيه و ما يعود إليها. و أما فى غير ذلك فإن القرآن الكريم نفسه قد شرّك بين الله و عباده فى نوع صفه الحياه و العلم و الرحمه و الرأفه و الخلق و غير ذلك و إن كانت صفات الله ممتازة عن نوعها بكماله و مميزاتها «ثانيها» دليل النقل كقوله تعالى خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ. و هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ. و يردّه ان ابن المنير و من يحتج بهذا كأنهم لم يقرءوا و لم يسمعوا من سوره العنكبوت قول ابراهيم خليل الله لقومه ١٦ تَخْلُقُونَ إِفْكًا. و قول الله لعيسى كما فى سوره المائده ١١٠ وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ. و قول عيسى رسول الله كما فى سوره آل عمران ٤٣ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ. و قوله تعالى من هذا الباب فى سوره المؤمنون ١٦ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ. و لماذا لم يلتفتوا من ذلك إلى أن الخلق المقصور على الله إنما هو خلق الإله و إيجاد ما هو من أعمال الإلهيه. و على ذلك جاء قوله تعالى فى سوره الرعد ١٧ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهُ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ «ثالثها» انه و ان قبح صدور بعض الأفعال من الناس بحسب الشاهد لكن الحكم بقبح صدورها من الله قياس للغائب على الشاهد و هو باطل. و يردّه أولاً انه ما اسمج التعبير عن الله و شؤونه بالغائب. و هو على كل شىء شهيد. و هو أقرب إليكم من جبل الوريد «و ثانياً» ان الحكم على بعض افعال الناس بالقبح ليس من الحواس الخمس لكى يقال انّ الحواس لا تدرك الله. و ان الناس ليعلمون ان العدليه يعنونون هذه المسأله و محل نزاعها بالحسن و القبح العقليين و ينادون بأن الحاكم بالحسن أو القبح إنما هو العقل بنفسه و إدراكه من دون مداخله للحس أو وجود الفعل فى الخارج. و ليت شعرى هل عند العقل شاهد و غائب «و ثالثاً» ان حكم

العقل الفطرى بقبح صدور القبيح من فاعله انما هو بالنظر الى عقل الفاعل وجهه كماله و علمه بالفعل و بجهه قبحه و لذا لا يحكم بالقبح الفاعلى على الفاعل من الأطفال و المجانين الذين لا يميزون و لا على الغافل عن الفعل او جهه قبحه. و ان الله هو الكامل العليم الخبير فهو جل قدسه أول من ينظر العقل إلى فعله و يحكم بامتناع صدور القبيح منه جل شأنه «رابعها» انه يقبح من الإنسان أن يمكن عبده من القبائح و الفواحش بمرأى منه و مسمع ثم يعاقبه على ذلك مع أن القدره التى يفعل بها الناس الفواحش هى من الله على علم منه بمن سيفعل الفواحش منهم (و يردهم) ان التمكين القبيح هو ما كان مختصا بفعل الفواحش و لكن الله عز و جل أعطى القوى للإنسان ليتمتع بها فى المباح و الراجح نعمه منه لإبقاء نوعه و انتظام اجتماعه. غايه الأمر ان الإنسان يتمكن من أن يعملها فى المحرم الذى أرشده إلى تركه بالعقل و زجر الأنبياء و نواهيه فى وحيه و إنذارهم لهم بالوعيد. فهذه القوى نعمه مسدوده لا مساس لها بما ذكره من المثال.

و لم يخلق الله قوه مختصه بأعمال الشر لكى تكون نقضا على ما نقول به من مسأله القبح «خامسها» أن ما يكون ظلما قبيحا إنما هو التصرف فى ملك الغير بغير إذنه و الله مالك العباد و كل شىء.

فكل ما يفعله بالعباد ليس بظلم. و يردده أولا ان العقل لا يتوقف فى احكامه و موضوعاتها على ما يذكر فى بعض المتون الفقهيه أو معاجم اللغه فى معنى الظلم تساهلا أو قصورا أو اقتصارا على محل الحاجه فى البيان. فإن كل ذى شعور إذا رأى مالك العبد قد سدّ فمه و منعه بالقهر عن شرب الماء و استمرّ على المنع و هو يقول له اشرب الماء اشرب حتى إذا أضرب به العطش و هو ممنوع عن الشرب استشاط مالكة غضبا عليه و صار يعنفه و ينكل به لأنه لم يشرب الماء. و كذا لو فعل مثل ذلك فيما يملكه من الحيوان. فإن الرأى لذلك الحال و كل من علم به يحكم بالبدهه ان العبد و الحيوان المذكورين مظلومان. و إن المالك المذكور ظالم قد فعل قبيحا. و ثانيا. ان مقتضى ما زعموه انّ الأنبياء و الرسل الذين أفنوا أعمارهم فى طاعه الله و عبادته و الدعوه اليه و صبروا فى ذلك على الشدائد هؤلاء الكرام يجوز أن يعذبهم الله يوم القيامة فى جهنم خالدين فيها بعذاب إبليس و فرعون بزعمهم و إنه ليس بظلم و لا قبيح فإنهم عبيد الله و ملكه «سادسها» أنه يجوز ان تكون هناك حكمه تسوغ ان يلجئ الله عباده على الكفر و أعمال الشر ثم يعاقبهم على ذلك فلا سبيل للعقل مع هذا الجواز إلى حكمه بقبح هذا الإلجاء و هذا العقاب (و يردهم) ان العقل يحكم بالقبح و الامتناع فى هذا و أمثاله لأنه يجد ان لا حكمه ترفع قبحه و امتناعه من الله و لا يصلح

لأن ترفع حكمه قبحه. و لو حاول أحد أن يد على العقل باب هذا الوجدان كان ذلك منه سفسطه سخيغه تسد على العقل باب احكامه و ذلك باطل بالضرورة. على ان هذا الاحتمال و التجويز للحكمه يرد عليهم بنحو لا مخلص لهم منه أبدا فإنهم يانكارهم للقيح العقلي و امتناع صدور القبيح من الله قد سدوا على أنفسهم باب العلم بصدق النبوات و بأن الله لا يظهر المعجز على يد الكاذب و بصدق الكتب الإلهيه و ما فيها من تقديس الله و أمر القيامه و النعيم و العذاب و الجنه و النار فإن قالوا إنا نعرف من عاده الله انه لا يكذب جلّ و علا و لا يظهر المعجز على يد الكاذب. قلنا عليهم أولا لماذا لا تجوزون ان تكون هناك حكمه تسوغ مخالفه العاده و إذ قد عزلتم العقل فى هذا المقام لم يكن لكم أن تقولوا ان العقل يجد أن لا حكمه تجوز مخالفه العاده. مع ان مخالفه العاده ليس فيها محذور لا تعارضه حكمه بخلاف القبيح كما قلناه «و ثانيا» ان دعوى العلم بعاده الله لا تليق إلا من قديم أزلى مطلع على جميع اعمال الله منذ الأزل نفيا و ثبوتا لكى يعرف ما صار عاده لله و ما لم يصير. و من ذا الذى يزعم انه ذلك الأزلى المطلع على جميع أعمال الله منذ الأزل. و ما هو المانع من مخالفه العاده حتى مع عدم الحكمه.

سبحانك اللهم ما أجلى قدسك و كمالك للعقول التى وهبتها لعبادك و أقمت باحكامها عليهم الحجه

سوره البقره (٢): الآيات ٨ الى ٩

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (٨) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ مَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ (٩)

٨ وَ مِنَ النَّاسِ أى قوم منهم و هم المنافقون مَنْ يَقُولُ أفرد الضمير باعتبار لفظ «من» آمَنَّا بِاللَّهِ وَ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ و الظاهر كما حكى عليه الاتفاق ان المراد منهم الذين يظهرون الإيمان و يبتنون النفاق و من الشواهد لذلك قوله تعالى فيما بعد وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ ذَكَرُوا إِيمَانَهُم بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ لَأَن إِيمَانَهُمْ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ متفرع على الإيمان بالرسول و القرآن. و لأجل أن يظهروا فى مخادعتهم أنهم يخافون الله و عذاب الآخرة و يرجون نعيم الثواب فهم ملازمون للتقوى من أجل ذلك.

و مرادهم من قولهم آمنا انهم ثبتت لهم صفه الإيمان فهم من زمرة المؤمنين و لا يريدون الاخبار بمجرد صدور الإيمان منهم فى الماضى و الذى يجتمع مع الثبات عليه و مع الارتداد و النفاق بعده و لذا قال الله جلّ شأنه وَ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ بل منافقون ٩ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا و المخادعه هو ما يسبب الخديعه و يولدها من قول او فعل و الخديعه هو ما يسبب و يتولد من

ذلك إذا لم يمنع منه علم من طلبت خديعته او تسديده من الله او حذره. و المفاعله قد تجىء من طرف واحد كما فى عافاه الله و عاقب المجرم و عاينت الشىء و حاولت الأمر و زاولته. و لكن مخادعتهم هذه لا تسبب و لا يتولد منها خديعه إلا لهم و ما يَخْدَعُونَ بها إِلَّا أَنْفُسَهُمْ لما يعود عليهم فى الدنيا و الآخره من وبال مخادعتهم هذه و نفاقهم و ما يَشْعُرُونَ فإن قيل ان هؤلاء المنافقين ان كانوا فى الحقيقه دهرين ينكرون وجود الإله فكيف يتوجهون اليه بالمخادعه. و إن كانوا وثنين يعترفون بالله و إلهيته و علمه و لكنهم يشركون الأوثان معه فى الإلهيه فكيف يتصور اقدمهم على مخادعته فيحاولون منه الغرء و الانخداع. قلنا إذا لم يتصور ذلك فى تذبذبهم فى النفاق و خبطهم فى ضلالات الأهواء و الكفر فقد قال بعض المفسرين ان المخادعه جاءت هنا على نحو التجوز و الاستعاره باعتبار ان قولهم ذلك يشبه المخادعه و ان لم يريدوها. و لكن الذى يظهر من المقام انهم بقولهم ذلك يخادعون الرسول و الذين آمنوا على حقيقه المخادعه. و لا يجوز استعمال اللفظ فى المعنى الحقيقى و المعنى المجازى معا. و لذا أبقي المخادعه بعضهم على حقيقتها و قال ان التجوز إنما هو بإضافتها الى الله دون إضافتها إلى الذين آمنوا و التجوز باعتبار ان الجراء على مخادعه الرسول فى مقدمه الذين آمنوا من حيث انه رسول الله بمنزله الجراء على مخادعه الله فأضيفت المخادعه الى الله على النهج الذى جاء عليه قوله تعالى فى سورة الفتح إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ وَ هَذَا أظهر القولين

سوره البقره (٢): آيه ١٠

فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (١٠)

١٠ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مرض النفاق و التلون و استعير اسم المرض هنا لأن فيه خروجاً عن الصحه العاديه و النفاق خروج عن الاستقامه الفطريه للبشر و جريهم على ما توضحه الدلائل النيره.

و لأجل تمردهم فى نفاقهم خرجوا عن أهليه التوفيق للاستقامه فأعرض الله بوجهه الكريم عنهم و حرهم الله بركات لطفه فَزَادَهُمُ اللَّهُ بحرمانهم التوفيق مَرَضًا على و تيره من تمرد بالطغيان فوكله الله إلى نفسه المنهمكه بالقبح منذ اسلست قيادها للهوى و الشيطان. و قيل المرض هو غم الحسد و العداوه للمؤمنين و بحرمان الله لهم من توفيقه زاد مرضهم و بهذا الاعتبار نسبت الزيادة إلى الله و قيل ان فزادهم دعاء عليهم و لكن الفاء لا تناسبه. و قيل غير ذلك وَ لَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ شَدِيدُ الْأَلَمِ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ فِي نِفَاقِهِمْ وَمَخَادَعَتِهِمْ وَقَوْلِهِمْ آمَنَّا وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ.

سورة البقرة (٢): الآيات ١١ الى ١٥

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (١٢) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا
وَ إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥)

و ما ظنك بعذابهم على كفرهم و سوء أعمالهم و فسادهم ١١ و إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بنفاقكم و سوء أعمالكم قَالُوا
إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ و ما أكذبه من قول يقوله مريض القلب و المتحكم بجهله او نفاقه على الحقائق و الدين و شؤون الناس.
فيسميه اذنا به بالمصلح الكبير ١٢ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ بنقصهم و بما يلحقهم من ذلك من وصمه الضلال و
ظهور الحال و وخامه السمع ١٣ و إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ بالإيمان المعهود و ثبتوا على حقيقه الايمان و تعاليمه
الصالحه و أخلاقه الفاضله و الطاعه في نصرهم لدين الحق قَالُوا من غيرهم أُنْتُمْ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ الَّذِينَ آمَنُوا و خضعوا
للإسلام و أحكام دينه و الجهاد في سبيل الله و إظهار الحق أَلَا إِنَّهُمْ و هم المنافقون هُمُ السُّفَهَاءُ الَّذِينَ هم اختاروا سفاهه النفاق
و رذيلته و أضاعوا رشدهم في المعارف و دين الحق و سعادة الدارين و العاقبه الحسنی و لَكِنْ لِأَجْلِ تَمَادِيهِمْ فِي الْغَى لَا
يَعْلَمُونَ بما يكون العلم به فضيله للإنسان و وسيله لسلامته من خسه السفاهه الموبقه. و هؤلاء المنافقون زياده على ما ذكر لهم
من قبائح الكفر و الأقوال و الأفعال مذبذبين ذوى لسانين و وجهين ١٤ و إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا بحقيقه الايمان الثابت عن بصيره
قَالُوا بتزويرهم آمَنَّا و نحن الآن من زمره المؤمنين و إِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ الَّذِينَ يغرونهم بالكفر و محاده الله و رسوله قَالُوا لهم
في خلوتهم بهم إِنَّا مَعَكُمْ على ما أنتم عليه و من زمرتكم إِنَّمَا نَحْنُ فِي حَالِنَا مع المؤمنين و إظهارنا لهم انا منهم مُسْتَهْزِؤُونَ بهم.

فتعسا لآراء المنافقين ١٥ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ بأن يمهلهم و يخولهم من حطام الدنيا و حياتها شيئا و مصيرهم في عاقبه ذلك الى
اخرس الهوان و أشد العذاب فاستعير لذلك لفظ الاستهزاء لمشابهته له في ابتهاجهم بظاهر الامهال و التخويل مع انه مقرون
بالاستهانه بهم و اعداد العذاب الأليم.

و يزداد حسن هذه الاستعاره فى مقابله قولهم انما نحن مستهزون. و اين عنها قول عمر بن كلثوم فى معلقته:

ألا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَمْلَى لَهُمْ وَ يَمْهَلُهُمْ فِي تَمَادِيهِمْ عَلَى طُغْيَانِهِمْ مَعَ حَرَمَانِهِمُ التَّوْفِيقِ وَ هَذَا بِمَنْزِلَةِ التَّفْسِيرِ لِمَا اسْتَعِيرَ لَهُ لَفْظُ
الاسْتِهْزَاءِ يَغْمَهُونَ الْعَمَهُ هُوَ الْعَمَى فِي الرَّأْيِ وَ الْبَصِيرَهُ وَ التَّرَدُّدُ فِي الضَّلَالِ

سوره البقره (٢): الآيات ١٦ الى ١٧

أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦) مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا
حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ (١٧)

١٥ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى إِذْ كَانُوا مِمَّنْ هِيَ اللَّهُ بِالطَّافَةِ لَهُمْ اسْبَابُ الْاهْتِدَاءِ وَ جَعَلَ بِلَادَهُمْ مَحَطَّ بَرَكَهَ الْهَجْرَةِ وَ
مَشْرِقَ أَنْوَارِ الْوَحْيِ وَ مَنَارِ الدَّلَائِلِ وَ الْحَجَّجِ قَدْ أَحَاطَ الْإِطْفَافُ بِهِمْ وَ تَوَارَدَ عَلَيْهِمُ الْإِرْشَادُ فِي مَصْبِحِهِمْ وَ مَمْسَاهُمْ وَ أَجَابُوا
دَعْوَةَ الْإِسْلَامِ بِلَا إِكْرَاهٍ حَرْبٍ وَ لَا إِرْهَابٍ سَيْفٍ. وَ لَكِنْ هَذَا الْهُدَى الَّذِي سَعَدُوا بِالْقُرْبِ مِنْ مَوَارِدِهِ الْعَذْبَةِ وَ ثَمَارِهِ الْجَنِيِّهِ قَدْ
اشْتَرَوْا بِهِ الضَّلَالَهَ. وَ انْ كُلَّ مَشْتَرٍ مِنَ الْعُقْلَاءِ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ يِرَاعَى مَنَفَعَتَهُ بِمَا اشْتَرَاهُ وَ غَبَطَتَهُ بِتِجَارَتِهِ وَ هَذَا أَوَّلُ مَا يَطْلُبُ مِنَ الرِّبْحِ
فِيهَا. وَ الرِّبْحُ نَقِيضُ الْخَسْرَانِ وَ مَنْ لَمْ يَرْبِحْ فِي تِجَارَتِهِ وَ لَمْ يَكُنْ لِمَا اشْتَرَاهُ مَنَفَعَهُ فَهُوَ خَاسِرٌ وَ يَكْفَى هَؤُلَاءِ مِنَ السَّفْهِ إِنْهُمْ
اشْتَرَوْا وَ تَاجَرُوا فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَ لَا نَفْعَ لَهُمْ فِيمَا اشْتَرَوْهُ فَضْلًا عَنْ وَ بِالْهِدَى فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ
لَأَنَّهُمْ لَمْ يَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَ إِيمَانٍ وَ إِنَّمَا أَظْهَرُوهُ لِأَغْرَاضٍ أُخْرَى. وَ قِيلَ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ فِي تِجَارَتِهِمْ وَ الْأَوَّلُ أَظْهَرَ
وَ أَوْفَقَ بِمَقْتَضَى الْحَالِ ١٧ مَثَلُهُمْ فِي حَالِهِمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا وَ طَلَبَ وَقُودَهَا لِحَاجَتِهِ إِلَى الضِّيَاءِ فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ مِنْ
النَّوَاحِي وَ حَانَ انْتِفَاعُهُ بِنُورِهَا فِيمَا يَعْنِيهِ مِنْ أُمُورِهِ ذَهَبَ ذَلِكَ النُّورُ وَ عَادَ هَذَا الْمَسْتَوْقَدُ فِي ظِلَامٍ دَامِسٍ لَا يَبْصُرُ فِيهِ شَيْئًا وَ خَبِطَ
عِشْوَاءٌ لَا يَهْتَدِي فِيهِ سَبِيلًا. وَ هَؤُلَاءِ الْمَنَافِقُونَ الْمَذْكُورُونَ كَانُوا يَتَشَرَّفُونَ بِحَضْرَةِ الرَّسُولِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وَ يَسْتَمْعُونَ إِلَى
كَلَامِهِ وَ حَجَّجَهُ فِي بَيَانِهِ وَ دَلَّاهُ فِي إِرْشَادِهِ وَ تَلَاوَتِهِ لِكِتَابِ اللَّهِ فَهَمُّ بِذَلِكَ كَمَنْ اسْتَوْقَدَ نَارًا لِهَدْيٍ فَلَمَّا أَضَاءَتْ لَهُمْ بِلُطْفِ
اللَّهِ مَنَاجِجَ الرِّشْدِ وَ مَغَانِي الْحَقِّ تَمَرَّدُوا عَلَى اللَّهِ بِنِفَاقِهِمْ فَخَرَجُوا عَنْ كَوْنِهِمْ أَهْلًا

للتوفيق و التسديد و وكلهم الله الى أنفسهم الأماره و أهوائهم الخبيثه. فأسدلا عليهم ظلمات الضلال بسوء اختيارهم. ولأجل ان ينوّه الله بما للتوفيق و التسديد من الأثر الشريف في تأييد العقل على مكافحته لوساوس الشيطان و نزغات النفس الأماره و أهوائها عبر عن حالهم في غيهم على سبيل المجاز و استعاره التشبيه بأنهم حينئذ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ و أشار إلى معنى ذلك بقوله تعالى وَ تَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ أى خلى الله بينهم و بين أهوائهم و سوء اختيارهم و صاروا يخطون في ظلمات الضلال لا يبصرون فيها طريق الهدى و الرشاد. و قد سلك القرآن الكريم أحسن منهاج البلاغه في بيان مثلهم و نتيجتهم السيئه فذكر مجرى المثل و مغزاه و اكتفى بذكر نتيجته بدلاله النتيجة السيئه لحال الذين ضرب المثل في شأنهم فناول السامع تتمه المثل و نتيجة حال المنافقين بأوجز بيان مفهوم كما اكتفى بمقدمات المثل عن ذكر المنافقين في استيقادهم لنار الهدى و اضاءتها لما حولهم كما ذكرناه و ربما تصوره جوده الفهم أحسن مما ذكرناه. و لو بسط القرآن الكلام كما شرحناه للزم التطويل. و لو أهمل ما ذكره لحال المنافقين لما تمثلت من ضرب المثل فائده لها قيمه بل لو ذكر قبلها نتيجة المستوقد المذكور لأنس الذهن بها و لم يره ما ذكر من نتيجة المنافقين السيئه المهوله و ذلك خلاف المقصود و حسن البيان.

(و مما ينبغي التنبيه عليه) هو ان بعض التفاسير المعروفه بالفضيله ذكرت تفسير الآيه على غير ما ذكرناه فنشأ من ذلك أمور «أحدها» جراه غير المسلمين على الاعتراض على القرآن الكريم «ثانيها» التجاؤه إلى ان يجعل «الذى» بمعنى «الذين» و هذا مع وهنه مناف لإفراد الضمير فى «استوقد» و «ما حوله» «ثالثها» استشهاده بقوله تعالى فى سورة التوبه ٧٠ وَ خُضُّنَا كَالَّذِي خَاضُوا مع ان كلمه «الذى» فى الآيه للمفرد لا بمعنى الذين «رابعها» عدم ذكر النتيجة السيئه لحال المنافقين و فى ذلك ما فيه. مع ان قوله تعالى صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ إنما هى من صفات المنافقين لا من تتمه المثل و على ما ذكره يستلزم ربطها بالمنافقين طرفه كبيره و فصلا بالأجنبى الطويل و هؤلاء المنافقون الذين ذهب الله بنورهم على ما ذكرناه هم فى ضلالهم

سوره البقره (٢): آيه ١٨

صُمُّ بُكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرِجَعُونَ (١٨)

١٨ صُمُّ جمع أصم و هو الفاقد لحاسه السمع و قيل هو من ولد كذلك بُكْمٌ جمع ابكم قيل هو الأخرس و قيل من ولد كذلك و قيل هو الأخرس مع عَمَىٰ و بله عُمَىٰ

جمع أعمى شبهوا بذلك لأنهم بإصرارهم على الغى قد أخرجوا أنفسهم عن الانتفاع والاهتداء بما يسمعون من الدلائل والوعظ والإنذار والتعليم وعن الاهتداء بسؤالهم عن الحق ومكالمتهم في ذلك وعن الانتفاع بما يشاهدونه مما يوضح لهم سبيل الرشد فهُمْ لَا يَزُجَعُونَ إِلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ إِذْ قَدْ اسْتَحُوذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ

سوره البقره (٢): آيه ١٩

أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعِيدٌ وَبَرَقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (١٩)

١٩ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ عطف بأول أجل التنبيه بالترديد بين المثليين على اختلاف مجراهما ومغزاهما. فكأنه قيل ان شئت ضرب المثل لحال المنافقين مع الإسلام وهداه بالذى استوقد ناراً إلى آخره. وان شئت ضرب المثل لشأن الإسلام مع المنافقين فإن مثله كمثل صيب من السماء وحذف لفظ المثل لدلاله ما سبق و سياق الكلام عليه. والصيب هو المنهمل النازل من العلو والسماء جهة العلو فوق الأرض فالمراد من الصيب هو المطر الغزير المنصب والذى تحيى به الأرض وتزهر بنباتها وينمو به الزرع والضرع وهو قوام المعيشه للناس وخصوص العرب وأهل البوادي والأنعام ولكنه مع ذلك لا يخلو من ان تقارنه ظلمات تتابع كلما اكفهر السحاب الهائل و ادلهمت به الآفاق خصوصا إذا كان بالليل. ولذا وصف المطر الصيب بالتوسع فى الظرفيه بأنه فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعِيدٌ وَبَرَقٌ إِذْ لَا ينفك عن الرعد والبرق والصواعق وهى الرعود القاصفه المخيفه بصوتها وهى المراده فى الآيه وان كانت الصاعقه ايضا اسما للنار النازله مع ذلك الرعد المخيف.

فالإسلام للناس ونظام اجتماعهم كالمطر الصيب فيه حياتهم وسعادتهم فى الدارين وزهره الأرض بالعدل والصلاح والأمن وحسن الاجتماع ولكن معانده المعاندين للحق وأهله جعلت الإسلام كالمطر لا يخلو من ظلمات شدايد وحروب ومعاده من المشركين ورعود قتل و قتال و تهديدات مزعجات لغير الصابرين من ذوى البصائر والذين ارخصوا نفوسهم فى سبيل الله ونيل السعاده. وفيه بروق من النصر وآمال الظفر و اغتنام الغنائم وعز الانتصار والمنعه والهيبه.

فهم إذا سمعوا صواعق الحرب أخذهم الهلع والحذر من القتل وشبهت حالهم فى ذلك بأنهم يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ اجل الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وخوفا من أن تخلع قلوبهم من هول أصواتها. و سفها لعقولهم اين يفرون عن الموت وماذا يجديهم حذرهم وَاللَّهُ مُحِيطٌ

بِالْكَافِرِينَ الْمُنَافِقِينَ لَا مَفْرَاحَ لَهُمْ مِنْ قَضَائِهِ. أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمْ الْمَوْتُ. لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ. أَوْ إِنْ الْمُرَادُ مَا هَذَا الْخَوْفُ وَالْهَلَعُ وَالتَّحْذِرُ وَالْحَالُ أَنَّ اللَّهَ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ وَالْمُحَارِبِينَ لِلْإِسْلَامِ وَخَاذِلَهُمْ وَمُهْلِكُهُمْ وَقَدْ ظَهَرَتْ آيَاتُ ذَلِكَ فِي غَزْوِهِ بِدَرْ وَمَا قَبْلَهَا

سوره البقره (٢): الآيات ٢٠ الى ٢٢

يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَّاهُمْ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٠) يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)

٢٠ يَكَادُ الْبَرْقُ أَي مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ بَرْقِ الْإِسْلَامِ وَأَنْوَارِ عِزِّهِ وَسَعَادَتِهِ. يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ بِشِدَّةِ أَنْوَارِهِ فَهَمُّ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ وَارْتَاخُوا لِبَهْجَتِهِ وَعَلِقَتْ آمَالُهُمْ بِسَعَادَةِ الدُّنْيَا مَشَوْا فِيهِ وَجَارُوا الْمُسْلِمِينَ وَأَظْهَرُوا مُوَافَقَتَهُمْ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ بِأَنْ انْقَطَعَ عَنْهُمْ ضَوْءُ الْأَمَالِ لَمَّا يَرُونَهُ أحيانًا مِنْ ظِلْمَاتِ الشَّدَائِدِ قَامُوا وَوَقَفُوا فِي مَكَانِهِمْ فِي النِّفَاقِ وَثَبَتُوا عَلَى حَيْرِهِ ضَلَالِهِمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَّاهُمْ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ فَلَا يَسْمَعُونَ بِمَا حَصَلَ مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ فِي الْإِسْلَامِ وَلَا بِمَا يَرِدُ أحيانًا عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنَ الشَّدَائِدِ وَلَا يَبْصُرُونَ ذَلِكَ فَلَا يَتَرَدَّدُونَ فِي ضَلَالِ النِّفَاقِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢١ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ وَاخْضَعُوا لَهُ حَقَّ الْخُضُوعِ لِلَّهِ وَأَطِيعُوهُ فَإِنَّهُ هُوَ رَبُّكُمْ وَمَالِكُكُمْ وَمُدَبِّرُكُمْ وَمُرَبِّبُكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ لَمْ تَجِئْ لَعَلَّ لِلرَّجِي بَلْ لِبَيَانِ أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنْ عِبَادَتِهِمْ لِلَّهِ أَنَّهُمْ يَتَّقُونَهُ حَقَّ تَقَاتِهِ بَلْ يَجُوزُ أَنْ تَقَعَ مِنْهُمْ التَّقْوَى الْمَذْكُورَةَ بِحَسَنِ اخْتِيَارِهِمْ وَيَجُوزُ أَنْ لَا تَقَعَ لِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ. وَلِأَجْلِ الْاِحْتِجَاجِ بِآلَاءِ الرَّبُّوبِيَّةِ وَآثَارِ الْقُدْرَةِ ذَكَرَ مِنْ صِفَاتِ الرَّبِّ أَيْضًا أَنَّهُ ٢٢ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا مَمْهَدًا يَتيسَّرُ لَكُمْ الْاِنْتِفَاعُ بِهَا فِي السَّكْنِيِّ وَنَحْوِهَا وَالزَّرْعِ وَالغَرَسِ وَالسَّمَاءِ بِنَاءً لَا تَخْشُونَ سَقُوطَ أَجْرَامِهَا عَلَيْكُمْ. وَلَيْسَ فِي ذَلِكَ صِرَاحٌ بِمُوَافَقَةِ الْهَيْئَةِ الْقَدِيمَةِ وَلَا صِرَاحٌ بِمُخَالَفَةِ الْهَيْئَةِ الْجَدِيدَةِ فَإِنَّ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا اللَّهُ وَانْ أَوْضَاعَ الْمَذْكُورَةَ فِي الْهَيْئَتَيْنِ لَا مَبْنَى لَهَا إِلَّا الْحَدْسُ الَّذِي تَدَافَعُهُ الشُّكُوكُ وَالرَّدُودُ. وَالْمَحْسُوسُ إِنَّمَا هِيَ حَرَكَاتُ الْكُوكَبِ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ أَي مِنْ جِهَتِهَا أَوْ إِنْ الْمُرَادُ مِنَ السَّمَاءِ هُنَا جِهَةُ الْعُلُومِ مَاءً وَهُوَ الْمَطَرُ الَّذِي يَحْيِي بِهِ

الأرض بعد موتها فَأَخْرَجَ بِهِ بِمَا خَلَقَهُ فِيهِ وَقَدَرَهُ مِنَ الْخَوَاصِّ مِنَ الثَّمَرَاتِ يَجُوزُ أَنْ يَرَادَ بِهَا مَا يَعْمُ الْحَبُوبَ وَالْأَطْعَمَةَ رِزْقًا لَكُمْ وَ هَلْ يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ الْإِلَهِ الْقَادِرِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ.

و انكم لتعترفون بالإله و ان هذا كله من خلقه و انعامه فما بالكم تجعلون معه آلهه و لو بزعم انها من تنزلات الإلهيه. او انها منبثقه من الإله. او انها مظاهره. او بناء على مزاعم العقول العشره و انه لا يمكن أن يصدر من الله إلا العقل الأول تعالى الله عما يصفون فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا جَمَعَ نَدَّ بِكَسْرِ النون. قيل ان الندّ المثل وقيل الضدّ. و فى النهايه هو مثل الشىء الذى يضادّه فى أمورهِ و ينادّه أى يخالفه. و فى المصباح لا يكون الندّ إلا مخالفا. و فى التبيان و مجمع البيان فى الآيه المائه و الستين و أصل الندّ المثل المناوى. و فى الكشاف فى هذه الآيه و لا يقال إلا للمثل المخالف المناوى و مثله فى جمع الجوامع. و فى المصباح ناويته عاديته او فعلت مثل فعله مماثله. و فى القاموس فاخره و عاداه و نحوه فى النهايه. و المشركون يجعلون لأوثانهم و ما يؤلهونه صفة الإلهيه و اعمالها و بذلك يجعلون كلا مما يشركون به ندّا لله و مثلا معارضا له فى إلهيته و اعمالها وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ان الإله الخالق المعبود و المطاع هو الله فما هذه المزاعم و ما هذا الشرك المناقض لعلمكم و معرفتكم و لو تدبرتم الحجج الساطعه لعرفتم كيف لبست عليكم الأوهام و دلست على عقولكم الأهواء. فوحدوا الله ايها الناس كما هو حقه و آمنوا بعبد الله رسوله الذى جاء بالحجج الباهره و أنزل عليه القرآن العظيم

سوره البقره (٢): آيه ٢٣

وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٣)

٢٣ وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ عَلَىٰ عَبْدِنَا وَ شَكَّكْتُمْ فِي أَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ وَ وَحِيهِ الْمَنْزِلُ مِنْ عِنْدِهِ وَ جُوزْتُمْ أَنْ يَأْتِيَ بِهِ بَشَرٌ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ بِلَا وَحْيٍ مِنَ اللَّهِ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ أَيْ مِثْلُ الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ نَزَلَ بِلِسَانِكُمُ الْعَرَبِيِّ وَ أَنْتُمْ أَهْلُ الْفَصَاحَةِ وَ الْبَلَاغَةِ. وَ قَدْ بَلَّغْتُمْ أَوْجَ الرِّقْيِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ بِمَا تَنَالَهُ الْقَدْرَةُ الْبَشَرِيَّةُ وَ لَكُمْ الْمَهْلَةُ وَ الْأَنَاهُ وَ ادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ الَّذِينَ يَنْصُرُونَكُمْ وَ يَشْهَدُونَ لَكُمْ لِكَيْ تَسْتَظْهَرُوا بِشَهَادَتِهِمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَشْهَدُ لَكُمْ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَىٰ ذَلِكَ. او و ادعوا رجال بلاغتكم الذين يشهدون المواسم و أسواق العرب

لأجل المفاخره فى البلاغه و المسابقه فى ميادينها فاستعينوا بهم على ذلك من دون الله. فإن الاستعانه بالله على ذلك و دعاه يجعل الإتيان بالسوره و الأ-كث ممكننا بواسطه اعانه الله و وحيه كماكانه لرسول الله إن كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى زعمكم ان القرآن يمكن للإنسان بقدرته البشريه أن يأتي به او بمثله او بسوره من مثله. و هؤلاء و إن كان صدقهم فى ذلك ممتنعاً يناسب ان يقال فيه لو كنتم صادقين لكن قيل إن كُنْتُمْ مجاراه لهم و ملاينه فى الخطاب و اما قوله تعالى وَ إِنْ كُنْتُمْ فى رَيْبٍ مع ان ظاهرهم الجحود لكون القرآن منزلاً- من الله فيجوز أن يكون لأجل علمه جل شأنه بأن منهم من تأثر قليلاً بكثرة الشواهد على الرساله و إنزال القرآن من الله فيرجع أمره من الجحود الى الشك و الريب فى ذلك فاحتج الله عليهم بالحجه القاطعه لوساوس الشك و عناد الجحود. او انه جل شأنه احتج على ادنى معارض للإيمان و هو الريب بالحجه الجاريه فيه و فى الجحود

سوره البقره (٢): الآيات ٢٤ الى ٢٥

فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَ لَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (٢٤) وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَ أُنْتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥)

٢٤ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا و لم تأتوا بسوره من مثله لعجزكم و قصور القدره البشريه عن ذلك وَ لَنْ تَفْعَلُوا اخبار لهم بأنهم لا يفعلون ذلك لخروجه عن القدره البشريه مهما برعوا و تقدموا فى الفصاحه و البلاغه و مهما تعاونوا و استعانوا بالبشر فَاتَّقُوا النَّارَ أى فإن عجزتم و لم تفعلوا لزمكم ان تعرفوا ان القرآن منزل من الله على رسوله و لزمكم الإيمان بالكتاب و بالرسول و ان لم يدعكم الى الإيمان شرف الانسانيه و العقل و الرغبه فى السعاده على نهج إيمان الأحرار فلا أقل من ان يدعوكم الخوف كما فى طاعه العبيد فإن من ورائكم النار التى أنذركم بها القرآن الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ الوقود بفتح الواو ما توقد به النار فما ظنكم بنار يكون وقودها الناس بلحومهم و دمائهم و فضلاتهم و وقودها مطلق الحجاره فاتقوها بإيمانكم و طاعتكم لله و رسوله أُعِدَّتْ و هيئت لِلْكَافِرِينَ الذين يموتون على الكفر. ثم قرن جل شأنه وعيده للكافرين ببشراه للمؤمنين بقوله جل اسمه ٢٥ وَ بَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ يتنعمون بها و من كمال بهجتها و روحها و جمال منظرها انها تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ على عاده الجنان ذوات البهجه و الروتق من ان الماء لا ينقطع عنها و لا يعلوها فتكون كالمستنقعات

بل تكون مجارى مياهها اوطاً من ارضها يتنعمون بشمارها و كَلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرِهِ رِزْقًا رَأَوْا ذَلِكَ مِنْ جَنَسِ ثَمَارِ الدُّنْيَا وَقَالُوا
عند ذلك هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ فِي الدُّنْيَا. و الحكمه فى كون ثمار الجنة من جنس ثمار الدنيا هو ان ذلك ادعى للربغه الى
نعيم الجنة و احسن وقعا فى البشرى فإن النفوس تهش الى مألوفاتها و لو ذكر للناس ما لم يروا له نموذجا فى الدنيا لما رغبوا فيه
رغبتهم فيما يعرفونه وَ اتُّوا بِهِ الظاهر انه رزق الجنة مُتَشَابِهًا فيما بينه فى الحسن و الجوده لم يختلط مع جيده ردى وَ لَهُمْ فِيهَا فى
الجنة أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ طهرهن الله فى خلقه لهن و ناهيك بذلك وصفا ثابتا و مقتضى اطلاق التطهير انهن منزهات من كل ما
يستقدر فى خلقهن و أخلاقهن وَ هُمْ فِيهَا فى الجنة خَالِدُونَ مدى الأبد

سوره البقره (٢): آيه ٢٦

إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَهُ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَا
ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)

٢٦ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا أَى مثل يكون بحسب المناسبه فى التمثل سواء كان بالحقير او بالخطير و الايه تشعر بأنها
تويخ لمن استنكر ضرب الله للأمثال و يجوز ان يكون لمنع الاعتراض على ضرب الله للمثلين المتقدمين و غيرهما و ان لم يسبق
من احد اعتراض. و رويت فى نزولها اسباب و لم تصح و لا تسلم من وجوه الشك و الخدشه. و لا يخفى ان فى ضرب المثل
فوائد كبيره فى التلقين و الفهم لا- تحصل بدونه. فإنه بتمثيله بالمحسوسات و المعهودات و المألوفات يشتد تأثر النفس بها و
يستلفت الذهن الى الإقبال على فهم الأمر الممثل له فيستحكم تأثر النفس به. و معنى إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي هو ان ضرب المثل مع ما
فيه من الحكمه و اللطف فى البيان لا يتركه الله لأجل حقاره الممثل به او ان الممثل له أعظم منه بكثير. و قد اقتضت المناسبه و
التشبيه ان يستعار للترك المذكور لفظ الاستحياء الذى هو انفعال فى النفس و خجل يمنع عن إبداء الشىء و ان تعلق به غرض
بَعُوضَةً من هذا البعوض المستحقر لصغره فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ و الجارى على الحكمه فى بيان
الحقيقه وَ أَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ على سبيل الاستنكار و الاستخفاف ما ذا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا و الظاهر انهم يقولون أَرَادَ اللَّهُ
على

سبيل الاستهزاء بدعوى الرسول ان المثل وحى منزل من الله فإن الكافرين بل و المنافقين ينكرون الوحي المذكور و لو اعترفوا به لما قالوا قولهم هذا. و قد اعرض الله عن بيان ما أراد بالمثل فإن بيانه مقرون به و عن ذكر فائدته فإن حكمته و مغزاه و نتيجه واضحه لا- يتجاهل فيها إلا السفیه المعاند و لكنه جل شأنه أجابهم بعاقبته السيئه بالنسبه إليهم فيما هم عليه من العناد و بأثره الحميد بالنسبه للمؤمنين فقال جل اسمه يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ الْمُنْكَرِينَ عَلَى الْمَثَلِ أَوِ الْمُسْتَهْزِئِينَ أَى تكون عاقبتهم فى ذلك الضلال و ان أراد الله به تفهيمهم و هدايتهم. و ذلك كما قيل فلان قتل فلانا بحلمه فإنه لم يرد بحلمه إلا فضيلته و لكن صارت عاقبته ان فلان الآخر اغتر بجهله و اجترأ على آخر فقتله فنسب القتل الى فلان الأول باعتبار ان حلمه كانت عاقبته قتل ذلك المغتر بسوء اختياره وَ يَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَ هم المؤمنون إذ يتدبرونه و يهتدون بمفاده و يعرفون حكمته وَ مَا يُضِلُّ بِهِ بِالْمَعْنَى الْمَذْكُورِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ وَ هم الكافرون و المنافقون الهاتكون للحجاب فإن الفسق فى اللغه هو خروج الشىء من حجابة يقال فسقت التمره إذا خرجت من قشرها. و لا يضر بعمومه للكافرين و المنافقين كونه فى الاصطلاح المتأخر مختصا بالمسلم العامل بالمعاصى

سوره البقره (٢): آيه ٢٧

الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٢٧)

٢٧ الَّذِينَ الْأَظْهَرَ ان ذلك بيان لصفات مطلق الفاسقين لا خصوص من يضلهم ضرب المثل يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ نقض البناء هدمه و نقض الحبل حل فتله فهو ضد ابرامه. و العهد يستعمل فى الوصيه نحو قوله تعالى ألم أعهد إليكم يا بنى آدم. و فى الوعد المقرون بإظهار الالتزام به. و الميثاق مصدر من الوثوق مثل الميعاد من الوعد و الميلاد من الولاده أى ينقضون وصيه الله لهم أو ما أعطوه لله من العهد مع توثيقه بالمؤكدات.

و شبه عهد الله فى توثيقه و ربطه ما بين العبد و ربه بالحبل و ابرامه فاستعير لمخالفته لفظ النقض.

و الأظهر ان المراد ما عهدته الله إلى الناس و وثقه سواء كان بدلاله العقل أم بتبليغ الرسل و الكتب المنزله و سواء كان فى التوحيد و المعرفه أم فى النبوه أم فى الإمامه ام فى الدين و الشريعة وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ من ذلك صلته الأرحام و صلته الرسول و الإمام بالطاعه كما أمر

اللّٰهُ. وَ صِلَهُ قَرِيبَى الرَّسُولِ بِالْمُودَةِ وَ نَحْوَهَا وَ يُفْسِدُونَ فِى الْأَرْضِ أَوْلِيكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ فِى فَسْقِهِمْ وَ مَا ذَكَرَ مِنْ سَوْءِ أَعْمَالِهِمْ

سوره البقره (٢): آيه ٢٨

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨)

٢٨ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللّٰهِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخَطَابُ الْمَتَكَرَّرُ فِى الْآيَةِ لِلْكَافِرِينَ وَ تَكُونَ «كَيْفَ» لِتَوْبِيخِهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ مَعَ مَا يَذْكَرُ مِنَ الْحُجَّةِ.

وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ خُطَابًا لِجَمِيعِ النَّاسِ وَ بَيَانًا لِأَنَّهُ لَا يَلِيقُ أَنْ يَخْتَارَ الْكُفْرَ انْسَانًا لَهُ شَعُورٌ مَعَ قِيَامِ الْحُجَجِ فِى نَفْسِ وَجُودِهِ وَ أَحْوَالِهِ عَلَى حَقِيقَةِ الْعِرْفَانِ لِلّٰهِ أَوْ يَكْفُرُ بِاللّٰهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ الْوَاوُ حَالِيهِ وَ لَا حَاجَةَ إِلَى إِضْمَارِ «قَدْ» بَلْ لَا يَصِحُّ لِأَنَّهُ يَسْتَلْزِمُ أَنْ تَكُونَ الْحَالُ جَمَلُهُ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا وَ لَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّهَا لَا تَقْفَى بِالْحُجَّةِ بَلْ الْجَمَلُهُ الْحَالِيهِ مَجْمُوعٌ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ أَوْ هُوَ وَ مَا بَعْدَهُ وَ لَا يَنْتَظِمُ ذَلِكَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ يَكُونُ حَالًا إِلَّا إِذَا جَعَلَ الْجَمِيعَ خَيْرًا لِأَنَّكُمْ مَحْذُوفَةٌ أَيْ وَ أَنْتُمْ تَعْتَوِرُ عَلَيْكُمْ هَذِهِ الْأُمُورَ الْكَافِيَةَ فِى الدَّلَالَةِ عَلَى وَجُودِ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ.

وَ الْمُرَادُ مِنْ كُونِهِمْ أَمْوَاتًا أَنَّهُمْ كَانُوا أَشْيَاءَ فَاقْدَهُ لِلْحَيَاةِ وَ مِنْ أَقْرَبِ عَهْدِهِمْ بِذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا نَظْفًا فِى الْأَصْلَابِ أَوْ كَانُوا فِى الْأَرْحَامِ عَلَقَةً أَوْ مَضْغَةً أَوْ عِظَامًا وَ لَحْمًا وَ لَا حَيَاةَ فِى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فَجَعَلَ فِيهِمُ الْحَيَاةَ وَ لَا يَكُونُ ذَلِكَ بَلَا مُؤَثِّرٌ وَ لَا مِنْ لَا شَيْءٍ وَ لَا مِنْ فَاقْدِ الْعِلْمِ وَ الْحِكْمَةِ وَ الْإِرَادَةِ. فَلْيَعْتَبِرِ الْإِنْسَانُ بِمَا فِى تَرْكِيْبِ بَدَنِهِ وَ أَجْزَائِهِ وَ أَوْضَاعِهَا وَ أَسْبَابِ حَيَاتِهِ مِنْ بَوَاهِرِ الْحِكْمِ وَ عَجَائِبِ الصَّنْعِ ثُمَّ لِيَعْتَبِرَ بِمَا وَهَبَ لَهُ مِنَ الْحَيَاةِ وَ الْحَوَاسِ وَ الْإِدْرَاكِ وَ قَدْ أَوْضَحَ وَجْهَ الْإِعْتِبَارِ بِذَلِكَ بِالنَّحْوِ الْعَرْفِيِّ وَ الْعَقْلِيِّ فِى رِسَالَةِ الْبَلَاغِ الْمُبِينِ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ فِى آجَالِكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ أَنْ كَانَ هَذَا مِنْ تَتَمُّهِ الْإِحْتِجَاجِ فَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَحْمَلَ عَلَى أَمْرٍ مَعْلُومٍ مَحْسُوسٍ لِجَمِيعِ النَّاسِ وَ مَعْنَاهُ حَيْثُذُ أَنْهُ يَحْيِي نَوْعَكُمْ بِأَحْيَاءِ أَمْثَالِكُمْ مِنَ النَّاسِ وَ فِى هَذِهِ الْقَدْرَةِ التَّامَةِ الدَّائِمَةِ عِبْرَةٌ وَ حُجَّةٌ لِأَوْلَى الْأَبَابِ. وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ تَتَمُّهِ الْإِحْتِجَاجِ كَمَا هُوَ الْمُنَاسِبُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ بَلْ كَانَ إِخْبَارًا بِمَوَاقِعِ قَدْرَتِهِ وَ آثَارِ حِكْمَتِهِ فَإِنَّهُ يَكُونُ الْمُرَادُ يَحْيِيكُمْ فِى الْقَبْرِ. وَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ يَحْيِي بَعْضَكُمْ فِى الرَّجْعَةِ الَّتِي يَقُولُ بِهَا الْإِمَامِيَّةُ وَ نَسَبَتْ الْحَيَاةَ إِلَى النَّوْعِ تَجُوزًا ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَيْسَ رَجُوعُهُمْ بَعْدَ غِيُوبَتِهِمْ أَوْ انْفِصَالِهِمْ عَنْهُ جَلٌّ وَ عِلَالٌ بَلْ كَمَا تَقُولُ لِلْحَاضِرِ عِنْدَكَ إِلَيَّ مَرْجِعُكَ أَيْ لَا مَهْرَبَ لَكَ وَ لَا بَدَّ مِنْ أَنْ أَنْفِذَ فِيكَ حُكْمِي وَ عَدْلِي وَ إِنْ

اشاره

هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩)

و من تأكيد الاحتجاج المسوق بسياق الامتنان و لله الشكر قوله تعالى ٢٩ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ لِمَنَافِعِكُمُ الَّتِي تَعْرِفُونَهَا وَ مِنَ الْمَنَافِعِ الَّتِي تَعْرِفُونَهَا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْ نَبَاتٍ وَ مِيَاهٍ وَ حَيَوَانَاتٍ وَ مَعَادِنٍ فَتَبَصَّرُوا وَ اعْتَبَرُوا وَ التَّفَتُّوا إِلَى مَا فِي الْأَرْضِ وَ الْبَحَارِ وَ النَّبَاتِ وَ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ مَظَاهِرِ قُدْرَةِ الْإِلَهِ وَ إِرَادَتِهِ وَ حِكْمَتِهِ وَ رَحْمَتِهِ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ أَيَّ جِهَةِ الْعُلُوِّ وَ التَّعْبِيرُ بِالِاسْتَوَاءِ مَجَازٌ بِاعْتِبَارِ تَوَجُّهِ إِرَادَتِهِ وَ حِكْمَتِهِ إِلَى خَلْقِ السَّمَاوَاتِ فِي الْعُلُوِّ بَعْدَ أَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَ قَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ فَسَوَّاهُنَّ وَ فَسَّرَ إِبْهَامَ الضَّمِيرِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ كَمَا يَظْهَرُ عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ دَلَائِلُ عِلْمِهِ وَ خَلْقِهِ بِالِإِرَادَةِ عَلَى مَقْتَضَى حِكْمَتِهِ. وَ ذَكَرَ جَلَّ اسْمُهُ مِنَ السَّمَاوَاتِ سَبْعًا بِاعْتِبَارِ مَا يَرُونَهُ وَ يَعْرِفُونَهُ فِي تِلْكَ الْعَصُورِ مِنَ السِّيَّارَاتِ السَّبْعِ وَ كَسَفَ بَعْضَهَا لِبَعْضٍ وَ إِنْ كَانَتِ السَّمَاوَاتُ فِي الْهَيْئَةِ الْقَدِيمَةِ تَسْعًا لِأَنَّ فَلَكَ الثَّوَابِ وَ الْأَطْلَسِ كَمَا يَزْعُمُونَ سَمَاءً أَنْ أَيْضًا. وَ فِي الْهَيْئَةِ الْجَدِيدَةِ بِاعْتِبَارِ الْمَدَارَاتِ لِلْسِّيَّارَاتِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

تنبيه

لا- يخفى ان الحذف لما يدل عليه المقام و يرشد وجه الكلام إلى حذفه باب من أبواب البلاغه عند العرب و هو في نثرهم و شعرهم كثير. و لندكر له شيئاً من شعرهم لمناسبه المقام و توطئه لما يأتي في بلاغه القرآن الكريم من نوع الحذف. قال لبيد بن ربيعة العامري

قالت غداه انتجينا عند جارتها أنت الذي كنت لو لا الشيب والكبر

فحذف خبر «كنت» أي جميلاً و نحو ذلك و غيرك الشيب و الكبر. و قال مساور بن هند بن قيس

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم الف و ليس لكم إلف

أولئك أومنوا خوفاً و جوعاً و قد جاءت بنو اسد و خافوا

فحذف تكذيبهم لدلاله حجته على ذلك. و قال عبد مناف الهذلي في آخر قصيدته

حتى إذا سلكوهم في قنائه شلاً كما تطرد الجماله الشرذا

فحذف جواب إذا و عاملها لدلاله المقام و قوله «شلاً» و قال الحارث بن حلزة اليشكري في معلقته

لا تخلنا على غراتك انا قبل ما قد وشى بنا الأعداء

فحذف المفعول الثانى و هو نهاب الملك أو نبالى به و نحو ذلك. أو حذف خبر «إنا» بهذا المعنى. أو كليهما فحذف المفعول الثانى بالمعنى المتقدم و خبر «إنا» بما يريد ان يتصوره السامع من التهويل بالتحمس. و قال آخر

إذا قيل سيروا ان ليلى لعلها جرى دون ليلى مائل القرن أغضب

فحذف خبر «لعل» لنكتة آثرها فيما يتمناه من ليلى. و قال عبيد بن الأبرص يخاطب

امرء القيس نحن الأولى فاجمع جموعك ثم وجههم إلينا

فحذف الصلح ليحضر فى ذهن السامع ما يريده الشاعر من وجوه الحماسه و التهويل.

و قد جمعنا فى هذه المقدمه بعض الشواهد للحذف و أغراضه الساميه لنحيل عليه فى الاستشهاد لما يأتى من فرائد القرآن الكريم فى وجوه البلاغه و براعه البيان: هذا و قد استفاضت الروايه عن أهل البيت عليهم السلام فى

انه كان قبل آدم فى الأرض نوع من الخلق قد أفسدوا و أهلكوا كما فى روايه على بن ابراهيم فى تفسيره فى الصحيح عن أبى عبد الله عليه السلام و القوى عن الباقر (عليه السلام) عن آباءه عن أمير المؤمنين عليهم السلام و رواه الصدوق أيضا فى العلل. و روايه تفسير البرهان عن العياشى عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله (عليه السلام) و العياشى عن على بن الحسين و عن عيسى بن حمزه عن أبى عبد الله. و روى ذلك الحاكم فى مستدركه من طريق الجمهور و صححه عن ابن عباس. و أخرجه الطبرى فى تفسيره أيضا

سوره البقره (٢): آيه ٣٠

وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَ نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّى أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٠)

و لما ذكر الله خلقه للأرض و ما فيها لينتفع الإنسان بذلك و ذكر خلق السماوات ذكر ابتداء خلقه للإنسان و ما جرى فى ذلك من الشؤون و ما فى خلق الإنسان من الحكمه و الكرامه لبعض أفراده ذوى الفضل فقال عز و جل ٣٠ وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً «إذ» ظرف و عامله محذوف يفسره قوله تعالى «قالوا» إلى آخر القصص كما يأتى ان شاء الله. و جاعل خالق من أبعده خليفه. و الخليفه من يخلف غيره و يجوز أن يكون المراد من يخلف الخلق السابق المذكور فى الروايات المشار إليها. و قيل ان «إذ» مفعول به أى اذكر فى القرآن ذلك الحين للناس كقوله تعالى وَ اذْكُرْ فِى الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ

و لكن يلزم من هذا القول ان يكون

الذكر مختصا بقول الله تعالى للملائكة إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً وَ يَكُونُ مَا بَعْدَهُ أَجْنَبِيًّا لِأَنَّهُ لَمْ يَفْرَعْ عَلَيْهِ لِيَكُونَ مَرْتَبًا بِهِ كَالْأَرْبَابِ الَّذِي فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى آخِرِهِ فَالْمُنَاسِبُ إِذْ هُوَ أَنْ تَكُونَ «إِذْ» ظَرْفًا مُتَعَلِّقًا بِمَحذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ سَوْقُ الْكَلَامِ الَّذِي يَفْسِرُهُ وَ ذَلِكَ بِأَنَّ يَكُونُ التَّقْدِيرُ وَ حِينَ قَالَ رَبِّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً جَرَتْ فِي ذَلِكَ مُحَاوَرَاتٌ وَ شُؤُونَ يَفْسِرُهَا قَوْلُهُ تَعَالَى قَالُوا أَلَمْ تَجْعَلْ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ قَالُوا ذَلِكَ حَيْثُ قَدْ رَأَوْا الْخَلْقَ السَّابِقَ وَ أَفْسَادَهُمْ وَ سَفْكَهُمْ لِلدِّمَاءِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الرِّوَايَاتُ الْمَشَارِإِ إِلَيْهَا

وَ رَوَى الْعِيَاشِيُّ بِسَنَدِهِ عَنْ هِشَامِ بْنِ سَالِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا عَلَّمَ الْمَلَائِكَةَ بِقَوْلِهِمْ أَلَمْ تَجْعَلْ فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ لَوْ لَا أَنَّهُمْ قَدْ رَأَوْا فِيهَا مَنْ يَفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ.

وَ لَا يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُمْ هَذَا اعْتِرَاضًا وَ ذَنْبًا مِنْهُمْ. بَلْ قَالُوا ذَلِكَ لِأَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَهُمْ فِي هَذَا الْخُطَابِ بِأَنَّ الْخَلِيفَةَ هُوَ بَشَرٌ مِنْ طِينٍ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ صَ الْمَكِّيَةِ ٧١ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَعَرَفُوا مِنْ بَشَرِيَّتِهِ أَنَّهُ ذُو شَهْوَةٍ وَ غَضَبٍ وَ قَدْ عَهَدُوا مِنْ حَالِ السَّابِقِينَ أَنَّ الشَّهْوَةَ وَ الْغَضَبَ يَنْشَأُ مِنْهُمَا الْفَسَادُ وَ سَفْكَ الدِّمَاءِ. وَ لِأَجْلِ بَغْضِهِمْ لِلْفَسَادِ وَ مَعْصِيَةِ اللَّهِ سَأَلُوا عَنْ الْحِكْمَةِ فِي خَلْقِ هَذَا الْخَلِيفَةِ مَعَ أَنَّهُ فِي الشَّهْوَةِ وَ الْغَضَبِ مِثْلَ السَّابِقِينَ الَّذِينَ طَهَّرَتِ الْأَرْضَ مِنْ فُسَادِهِمْ وَ نَحْنُ مِنْ لَطْفِكَ فِي خَلْقِنَا بِلا شَهْوَةٍ وَ لَا غَضَبٍ إِنَّا دَائِمًا نُسَبِّحُ وَ التَّسْبِيحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ وَ التَّقْدِيسُ لَكَ فَإِنْ شِئْتَ عَمْرَانَ الْأَرْضَ بِصَلَاحِ عِبَادَتِكَ فَاجْعَلْنَا فِيهَا. وَ لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ كَانَ الْأَوْلَى بِهِمْ أَنْ لَا يَصْدُرَ مِنْهُمْ هَذَا السُّؤَالُ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَ إِنْ كَانَ سُؤَالُهُمْ لِلتَّعَلُّمِ بَلْ يَفْوَضُوا الْأَمْرَ إِلَى اللَّهِ وَ حِكْمَتِهِ وَ عِلْمِهِ بِمَا هُوَ الصَّالِحُ قَالَ اللَّهُ لَهُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ فَإِنْ فِي ذَلِكَ حِكْمَةٌ شَرِيفَةٌ وَ لَطْفًا خَفِيًّا إِذْ يَكُونُ مِنَ الْبَشَرِ أَنْبِيَاءٌ وَ رُسُلٌ وَ أئِمَّةٌ فِيهِمْ شَهْوَةٌ وَ غَضَبٌ وَ هُمْ مَعَ ذَلِكَ فِي أَعْلَى دَرَجَاتِ الطَّهَارَةِ وَ الْعِصْمَةِ الْإِخْتِيَارِيَّةِ وَ الطَّاعَةِ وَ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَ التَّفَانِي فِي هِدَايَةِ النَّاسِ وَ إِصْلَاحِهِمْ. وَ فِيمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ

فِي تَفْسِيرِ الْقَمِي وَ عِلَلِ الصَّدُوقِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةَ تَكُونُ حِجَّةً لِي عَلَى خَلْقِي. وَ فِيهِ إِيْضًا اجْعَلْ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ أَنْبِيَاءً وَ عِبَادًا

صالحين و أممه مهديين و أجعلهم خلفاء الحديث.

سوره البقره (٢): الآيات ٣١ الى ٣٣

وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٣١) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (٣٢) قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ أَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٣)

٣١ وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا اى اسماء هؤلاء الهداه.

روى الصدوق بسندين معتبرين عن الصادق (عليه السلام) ان الله تبارك و تعالى علم آدم اسماء حججه كلها ثم عرضهم و هم ارواح على الملائكه فقال انبؤونى بأسماء هؤلاء

ثُمَّ عَرَضَهُمْ وَ هُم أرواح طاهره و أنوار قدسيه تضىء بالهدى و الطهاره و العصمه الاختياريه عَلَى الْمَلَائِكَةِ ليعرفوا فضلهم الفائق و يظهر لهم شىء من وجه الحكمة فى خلق الله للبشر و علمه بالذين تشرق الأرض بنورهم و تقوم بهم الحجة على الملائكة فَقَالَ اللَّهُ بعد ان عرضهم و عرف الملائكة حالهم من الفضل أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ عَرَفْتُمْ فَضْلَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فى دعوى العلم حتى قلت قولكم ذلك ٣٢ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ فى أعمالك ٣٣ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ اللَّهُ للملائكة أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ فيما علمتكم من جلال الإلهيه أو فى معنى القول السابق إني أعلم ما لا تعلمون إني أعلم غيب السماوات و الأرض و فوق ذلك إني أعلم ما فى الضمائر و أعلم ما تُبْدُونَ وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ يدل قوله تعالى وَ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ان هناك شيئاً كتمته الملائكة ... هذا و قيل فى هذه الآيات ان الله علم آدم اسم الصفحه و القدر و كل شىء حتى البعير و البقر و الشاه. و قيل اسماء الأدويه و النبات و الشجر و الجبال و نحو ذلك. و لكن هذا كله ليس فيه مناسبه لسؤال الملائكة و لا للاحتجاج عليهم بالعلم بمواقع الحكمة فى خلق الخليفة.

بل ليس فيه جواب لسؤال أصلا. مع ان ذلك لا يناسب قوله تعالى. عَرَضَهُمْ. هؤلاء.

بِأَسْمَائِهِمْ فإن الإشاره و هذه الضمائر مختصه بمن يعقل. و دعوى ان الله غلب من يعقل على سائر الأشياء ما هى إلا مجازفه. مضافا إلى ان الله قال الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ليظهر فضل العلم بهذا العموم خصوصا على ما قيل فلا يناسب ان يؤتى بلفظ مختص فى اللغه بالعاقلين على خلاف

العموم لما ذكره ولا ينطبق على ما يدعى من العموم لكل الأشياء إلا بعد التى و اللتيا من دعوى التغليب الذى لا قرينه عليه فى اللفظ و لا فى سياق الكلام و ليس هو كالتغليب فى قوله تعالى خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ الْآيَةِ

سوره البقره (٢): الآيات ٣٤ الى ٣٥

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِآدَمَ فَسَجَدُوْا اِلَّا اِبْلِيسَ اَبٰى وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ (٣٤) وَ قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَ كَلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَ لَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُوْنَا مِنَ الظَّٰلِمِيْنَ (٣٥)

٣٤ وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِآدَمَ الظاهر ان «إذ» هنا كسابقتها فى المعنى و العامل و ان قوله تعالى فَسَجَدُوا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ تَفْرِيعًا وَ تَفْسِيرًا لِمَا حَدَثَ فِي ذَلِكَ الْحِينِ. وَ الْأَمْرُ لِلْمَلٰٓئِكَةِ بِالسُّجُودِ شَامِلٌ لِإِبْلِيسَ لِأَنَّهُمَا جَاهُ حِينَئِذٍ فِي زَمْرَتِهِمْ وَ ان كَانَ فِي الْأَصْلِ مِنَ الْجِنِّ وَ قَدْ عَلِمَ إِبْلِيسُ بِشُمُولِ الْأَمْرِ لَهُ وَ لِذَا لَمْ يَعْتَذِرْ بِأَنَّ الْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ شَامِلًا لَهُ بَلِ التَّجَاؤُ فِي اسْتِكْبَارِهِ إِلَى الْقِيَاسِ .. وَ السُّجُودُ يَجُوزُ ان يَكُونَ لِآدَمَ ابْتِدَاءً بِعِنَانِ التَّكْرِيْمِ لَا الْعِبَادَةِ. فَإِنَّ السُّجُودَ الَّذِي يَخْتَصُّ بِاللَّهِ وَ يَمْنَعُ الْعَقْلَ وَ الشَّرْعَ ان يُؤْتَى بِهِ لِغَيْرِهِ إِنَّمَا هُوَ مَا كَانَ بِعِنَانِ الْعِبَادَةِ وَ الْخُضُوعِ بِعِنَانِ الْإِلَهِيَّةِ. وَ يَجُوزُ ان يَكُونَ لِلَّهِ شُكْرًا عَلَى خَلْقِهِ لِآدَمَ وَ مَا لَهُ وَ لِبَعْضِ ذُرِّيَّتِهِ مِنَ الْفَضْلِ وَ مِنْ ذَلِكَ يَحْصُلُ لِآدَمَ نَوْعٌ مِنَ التَّكْرِيْمِ وَ التَّعْظِيْمِ وَ بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ قَالَ اللَّهُ اسْجُدُوا لِآدَمَ وَ الْوَجْهَ الْأَوَّلَ أَظْهَرَ مِنَ الْلَفْظِ. وَ ان ثَبِتَ فِي شَرْعِنَا تَحْرِيْمَ مُطْلَقِ السُّجُودِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَلَمْ يَثْبِتِ الْمَنْعَ مِنْهُ حَتَّى فِي ذَلِكَ الْحِينِ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبِي عَنِ السُّجُودِ وَ اسْتَكْبَرَ وَ كَانَ مِنَ الْكٰفِرِيْنَ ٣٥ وَ قُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ اَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ يَقَالُ لَامْرَأَةَ الرَّجُلِ زَوْجٌ وَ زَوْجَةٌ وَ الْأَوَّلُ هُوَ اللَّغَةُ الْعَالِيَّةُ وَ بِهَا جَاءَ الْقُرْآنُ. وَ الْجَنَّةُ اسْمٌ لِلْبِسْتَانِ

و روى الكليني و ابن بابويه مسندا و القمى مرفوعا عن أبي عبد الله (عليه السلام) ان جنه آدم من جنان الدنيا تطلع فيها الشمس و القمر و لو كانت من جنان الآخرة او الخلد لما أخرج منها انتهى. و هذا لا يستلزم كونها فى الأرض

وَ كَلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا الْأَمْرُ بِالْأَكْلِ كَالْأَمْرِ بِالسُّكْنِ فِي الْجَنَّةِ إِنَّمَا هُوَ لِلإِبَاحَةِ وَ الْإِنْعَامِ. وَ الرَّغْدُ صِفَةٌ لِلْمَصْدَرِ أَيْ أَكْلًا رَغْدًا رَافِعًا لَيْسَ فِيهِ عِنَاءٌ وَ كَلَا مِنْ أَى مَكَانٍ شِئْتُمَا مِمَّا يُؤْكَلُ مِنْهُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ لَا نَهَى ارشادى وَ لَا تَقْرَبَا هٰذِهِ الشَّجَرَةَ لَا يَخْفَى مِنْ دَلَالَةِ الْمَقَامِ وَ النَّظَائِرِ وَ رَوَاهُ الْعِيَّاشِيُّ عَنِ الْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ان المراد هنا هو عدم الأكل منها لا مطلق القرب و لكن صدر النهى بصورة النهى عن

القرب لأجل بيان التحذر من الأكل منها كقوله تعالى وَ لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ

. وَ لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْتُمْ سُكَارَى وَ لَمْ يَصْحَ مَا رَوَى فِي حَقِيقَةِ الشَّجَرَةِ. وَ النَّهْيُ هَاهُنَا لِلإِرْشَادِ. لَا لِلتَّحْرِيمِ بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي بَيَانِ الْحَالِ فِي سُورَةِ طه الْمَكِّيَةِ ١١٥-١١٨ أَنَّهُ عَدُوٌّ لَكُمْ فَلا يُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى أَي تَقَعُ فِي شِقَاءِ الْعَيْشِ وَ مَشَقَّتِهِ وَ يُؤَكِّدُ دَلَالَةَ السِّيَاقِ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهُ نَسَبَ الشَّقَاءَ إِلَى آدَمَ دُونَ زَوْجَتِهِ نَظْرًا إِلَى مَا جَرَتْ بِهِ الْعَادَةُ فِي الْأَرْضِ فِي أَنَّ الرَّجُلَ هُوَ الَّذِي يَتَعَبُ فِي تَحْصِيلِ الْمَعِيشَةِ وَ الْمَرْأَةُ عِيَالٌ عَلَيْهِ «إِنَّ لَكَ أَلًا تَجُوعَ فِيهَا» أَي فِي الْجَنَّةِ «وَ لَا تَعْرِى وَ أَنْكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَ لَا تَضْحَى وَ لَا تَحْتَاجُ لِأَنَّ تَتَعَبُ فِكْرَكَ وَ بَدَنَكَ فِي تَحْصِيلِ الْمَأْكُولِ وَ الْمَلْبُوسِ وَ الْمَشْرُوبِ وَ الشَّيْءِ الَّذِي يَظْلُكَ مِنْ حَرَارَةِ الشَّمْسِ. فَلَمْ يَرْتَبْ عَلَى إِخْرَاجِ إِبْلِيسَ لَهَا إِثْمَ مَعْصِيَةٍ وَ فُسُقَ خُرُوجِ عَنِ الطَّاعَةِ وَ لَا حَذْرَهُ مِنْ ذَلِكَ كَمَا يَقْتَضِيهِ اللَّطْفُ فَالْنَهْيُ لِمَحْضِ الإِرْشَادِ إِلَى أَنَّ لَا يَقَعُ فِي وَرْطَةِ الْأَكْلِ الْمَسْتَتَبِ بِحَسَبِ الْحُكْمِ لِلخُرُوجِ مِنَ نَعِيمِ الْجَنَّةِ إِلَى شِقَاءِ عَيْشِ الْأَرْضِ وَ تَعَبِهِ. وَ إِنْ مَخَالَفَهُ النَّهْيِ الإِرْشَادِي تَسْمَى أَيْضًا مَعْصِيَةً وَ مَا كُلُّ مَعْصِيَةٍ تَسَاوَى الذَّنْبِ وَ الإِثْمِ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ لِأَنْفُسِكُمْ بِالخُرُوجِ مِنَ النَّعِيمِ إِلَى التَّعَبِ. وَ مِثْلُ هَذَا الظُّلْمِ لَا يَسْتَوْجِبُ ذِمًّا وَ لَا يَعْدُ ذَنْبًا. وَ الظُّلْمُ فِي اللُّغَةِ يَسَاوِقُ وَضْعَ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَحَلِّهِ.

وَ ضِدُّ الإِنصَافِ أَوْ العَدُولِ وَ مِنْهُ الْحَدِيثُ لَزِمُوا الطَّرِيقَ فَلَمْ يَظْلَمُوهُ أَي لَمْ يَعدِلُوا عَنْهُ. وَ لَقَدْ اغْرَبَ مِنْ قَالَ أَنَّ الظُّلْمَ اسْمٌ ذَمٌّ لَا يَجُوزُ أَنْ يُطْلَقَ عَلَى غَيْرِ الْمَسْتَحَقِّ لِلْعَنِّ لِقَوْلِهِ تَعَالَى أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ. أ فلا يَدْرِي أَنَّ الْآيَةَ الْمَذْكُورَةَ وَرَدَتْ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ ٤٢ وَ سُورَةِ هُودٍ ٢١

سورة البقرة (٢): آية ٣٦

فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَ قُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٣٦)

عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ٣٦ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا زَلَّتْ قَدَمُهُ وَ رَجَلُهُ لَمْ تَثْبَتْ فِي مَكَانِهَا وَ تَحَوَّلَتْ عَنْهُ وَ كَذَا الْإِنْسَانُ وَ أَزَلَهُ حَمَلُهُ أَوْ أَلْجَأَهُ إِلَى الزَّلَّةِ وَ الزَّلْزَلِ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ بوسوسته وَ غَوَايَتِهِ وَ مَخَادَعَتِهِ بِالْيَمِينِ الْكَاذِبَةِ عَنِ الوصية المدلول عليها بقوله تعالى وَ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ. وَ فَلا يُخْرِجَنَّكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى أَوْ أَزَلَهُمَا عَنِ الْجَنَّةِ وَ لَمْ يَتْرُكْهُمَا ثَابِتِينَ فِيهَا. وَ قَدْ رُوِيَ فِي كَيْفِيَةِ وَصُولِهِ إِلَيْهِمَا بِالْبُوسُوسَةِ وَ الْمَخَاطَبَةِ بِالْإِغْوَاءِ رَوَايَاتٌ لَمْ تَصِحَّ فَأَخْرَجَهُمَا صَارَ بِإِغْوَاءِهِ لَهَا سَبَبًا لَخُرُوجِهَا مِنْ حَيْثُ تَبَدَّلَ الْمَصْلُحَةُ فِي إِسْكَانِهَا الْجَنَّةَ فَنَسَبَ الإِخْرَاجَ إِلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ فِي الْإِسْنَادِ مِمَّا كَانَا فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ

و اللباس و العيش الرغيد وَ قُلْنَا اهْبِطُوا الْخَطَابَ لآدم و حوا و إبليس. و إذا كان إبليس هابطا الى الأرض قبل ذلك جاز هذا الخطاب بمعنى تساوا في الهبوط منها بَعْضُكُمْ إبليس و آدم و حوا او ذريتهما لِيُغْضِ عَدُوٌّ و عداوه البشر لإبليس باعتبار النوع و ان أطاعه بعض الناس وَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا أسمى مكان أى موضع استقرار و مصدر و الاستقرار معروف وَ مَتَاعٌ اسم لما ينتفع به إلى حينٍ محدود لكل بموته حتى إبليس عند الصعقه الأخيره قريب القيامة و البعث

سوره البقره (٢): الآيات ٣٧ الى ٣٨

فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٣٧) قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٨)

٣٧ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ التلقى هنا أخذ آدم للكلمات من الله باستقبال و قبول و تعلم و عمل. و مقتضى السياق هو ان آدم ندم على مخالفة الله فى أمره الارشادى و أراد التوبه و الرجوع الى مقام الأولياء المتبعين لإرشاد الله فى العمل و الترك و صار يحاول الوسائل التى يتوب الله بها عليه فيعلمه الله كلمات توقفه فى مقام المنبيين و تعرفه فضيله ذوى الفضل. و قد روى من طرق الفريقين انه نحو من الدعاء

و فى الدر المنثور مما أخرجه الديلمى فى الفردوس مسندا عن على عليه السلام دعاء فيه اللهم إني أسألك بحق محمد و آل محمد مكررا.

و مما أخرجه ابن النجار و البيهقى مسندا عن ابن عباس عن رسول الله «ص» سألته عن الكلمات التى تلقاها آدم من ربه قال سئل بحق محمد و على و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام فتاب عليه و روى من طريق الإماميه نحو ذلك كما رواه الكلينى و الصدوق عن ابن عباس و مرفوعا و العياشى نحوه عن عبد الرحمن بن كثير عن الصادق عليه السلام و عنه ايضا مرسلا.

و لا منافاه بين روايات الدعاء و روايات الاستشفاع بأهل البيت لجواز الجمع بينهما فَتَابَ عَلَيْهِ فرجع عليه بالرحمه و لطف الإرشاد و قرب المنزله و الزلفى إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ و لأجل الاختصار لم تذكر هنا توبه حوا و لأنها معلومه مذكوره فى سوره الأعراف المكيه ٢٢ ٣٨ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا كرر ذكر الأمر بالهبوط لأجل ان يذكر ما كان مرتبطا به من الكلام كما تدل على ذلك سوره طه المكيه ١٢١ و ١٢٢ فقد جمع فيها ما بعد الأمرين بالهبوط هنا بعد امر واحد.

و جميعا يراد منه ايضا ذريه آدم باعتبار هبوط أبويهم فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى اما شرطيه

و الهدى الرساله و الآيات و دلائل الحق فَمَنْ تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ فى الآخره و هذه الجملة جواب للشرط فى فَايَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ

سوره البقره (٢): الآيات ٣٩ الى ٤٠

وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٩) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونَ (٤٠)

٣٩ وَ الَّذِينَ لَا- يتبعون الهدى بل كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٤٠ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ خطاب للموجودين منهم عند النزول. و إسرائيل لقب يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل معرب يسرئيل فى العبرانيه. و

روى ان معناه عبد الله او قوه الله

اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ فيما خص الله به آباءهم من التوفيق للتوحيد الموروث من ابراهيم و إرساله موسى و الأنبياء منهم و نجاتهم من فرعون و قومه و ظهور الآيات لهم و إنزال المن و السلوى عليهم و توريثهم الأرض المقدسه و إهلاك أعدائهم و غير ذلك. و هذا النهج متعارف فى الخطاب بأن يخاطب الموجودين من القبيله و الأمة بأمر أسلافهم لا سيما ما يعود أمره فى الفخر و الوبال على الموجودين. و شواهد فى النثر و النظم من العرب و غيرهم كثيره جدا وَ أَوْفُوا بِعَهْدِي قد قطع الله العهد مع بنى إسرائيل على العمل بما فى التوراه من توحيده و عبادته و اتباع دين الحق و العمل بالشريعه و اتباع النبى الذى يقيمه الله لهم من إخوانهم بنى إسماعيل و يجعل كلامه فى فمه و ان يسمعوا له و يطيعوا.

و مهما حرّفت التوراه فقد بقى هذا العهد فيها. و ان قراءه اليهود لها و الالتزام بها فى جميع اجيالهم التزام بهذا العهد و كذا المخاطبين بالآيه من اليهود المعاصرين لرسول الله «ص» أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ من اللطف و التوفيق و التسديد و ثواب الآخره. و يؤخذ من الآيه قاعده كلييه و هى ان من لم يف بعهد الله فيما أخذه من الدين و الشريعه فهو بنفسه قد نقض عهد الله معه و خرج عن كونه أهلا- لما وعد به من اللطف و الرحمه و استجابته الدعاء و على ذلك جاءت صحيحه القمى عن جميل عن أبى عبد الله الصادق عليه السلام فى استجابته الدعاء. و من عهود الله و مصاديق هذه القاعده كما

فى الكافى فى موثقه سماعه عن الصادق عليه السلام و روايه ابن بابويه عن ابن عباس هو ما عقد رسول الله «ص» لأمير المؤمنين «ع» فى غدیر خم

كما تواتر به الحديث بين المسلمين وَ إِيَّايَ فَارْهَبُونَ الرهبه الخوف و التقدير و إياى ارهبوا أى و لتكن رهبتمكم منحصره

بى ولا يحملكم على نقض عهدى رهبه من شىء فارهبونى ولا تنقضوا عهدى و حذف كلمه ارهبوا لدلاله «فارهبون»

سوره البقره (٢): الآيات ٤١ الى ٤٣

وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّاي فَاتَّقُونِ (٤١) وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤٢) وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)

٤١ وَ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ اى القرآن الذى أنزلته على رسولى محمد (صلى الله عليه و آله) و هو النبى الذى وعدكم به الله و موسى و أخذ الله عهدكم باتباعه مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ و بقى عندكم حتى فى توراتكم المحرقه و هو أن الله يجعل كلامه فى فم ذلك النبى. و قد دلکم اعجاز القرآن على أنه كلام الله. أو مصدقا لما معكم من الإيمان بالله و اسم توحيده و الاعتقاد بالنبوات و رساله موسى و آياته. و لا- يصح أن يقال أنه مصدق لما معهم من التوراه محرف (١) بأشد التحريف المشتمل على الكفر و الخرافات. و القرآن صريح فى مخالفتها فى ذلك و قد أشرنا إلى شىء من ذلك فى الفصل الأول من المقدمه فى اعجاز القرآن فى وجهه التاريخ و لا- تكفروا به تَكُونُوا مع عهد توراتكم بالنبى و جعل الله كلامه فى فمه و مع دلاله الوجوه المتعدده فى اعجاز القرآن أُولَٰ كَافِرٍ بِهِ أول من يعد من الكافرين به. و ذلك لتفاحش كفركم بعد قيام الحججه عليكم من وجوه عديده. يقال لكثير الكذب و شديد الفسق أول كاذب و أول فاسق اى أول من يعد من الكاذبين و من الفاسقين وَ لَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي مع وضوح الحججه عليكم ثَمَنًا قَلِيلًا الثمن يشتره الإنسان فى معاملته كما أن الآخر يشتري السلعه و استعير لاستبدالهم آيات الله بأهوائهم لفظ الشراء لما فيه من استبدال شىء بشىء كما قال ابو ذؤيب الهذلى

و ان تزعمينى كنت أجهل فيكم فإنى شريت الحلم بعدك بالجهل

و الثمن القليل الحقير هو خوفهم من أكابرههم او حرصهم على جامعتهم الاسرائيليه او حسدهم للرسول (صلى الله عليه و آله) و غير ذلك من أباطيل الأهواء وَ إِيَّاي اتقوا او احذروا نكالى و عذابى للكافرين المعاندين للحق بأهوائهم فَاتَّقُونِ ٤٢ وَ لَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ لَا تَجْعَلُوا عَلَى الْحَقِّ الْمَعْرُوفِ لِبَاسَ الْبَاطِلِ ترويجا لباطلكم وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ به. فأسلموا و فاء بعهد الله و عملا بالحق الذى تعلمون به ٤٣ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ من المسلمين

ص: ٨٩

١- فان ما معهم من التوراه محرف

أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَثْلَوْنَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٤٤) وَ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ (٤٥) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (٤٦)

٤٤ أ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ من الصدق و اتباع الحق و طاعة الله وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَثْلَوْنَ الْكِتَابَ فإن فيه بقيه من وصايا التوراه الحقيقه فى الإرشاد و التعليم باتباع الحق و العمل بالعلم أ فَلَا تَعْقِلُونَ كيف لا يقبح من الإنسان ان يترك عمل البر الذى يعلم به ٤٥ وَ اسْتَعِينُوا على ما يراد منكم مما فيه سعادتكم فى الدين و الدنيا و توصلوا اليه بالأسباب المروضه للنفس و الموجهه لكم الى الله فى استعانتة و طلب توفيقه و تسديده بِالصَّبْرِ على الوفاء بعهد الله و الإيمان برسوله محمد (صلى الله عليه و آله) و ما أنزل اليه و على طاعة الله فى أوامره و نواهيه و على مخالفه النفس الأماره و على مكافحه الكفر و الضلال بنصر الدين و نشر الهدى و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و على نوائب الدنيا بالتسليم لأمر الله. فإن الصبر فى الآيه الكريمة مطلق و أثره فى جميع ما ذكرناه جلى محمود كما يدل عليه ما جاء فى الكتاب و السنه فى فضل الصبر و فى بعض رواياتنا المعبره تفسير الصبر بالصوم و ذلك باعتبار كونه احد المصاديق و له الأثر الكبير فى ترويض النفس و تمرينها على الصبر و تصفيتها و توجيهها الى الله وَ الصَّلَاةِ فإن أقوالها و أحوالها تعلم بكل وجهه من تهذيب الأخلاق. و ان الإتيان بها بحقيقتها و التدبر لمضامين آياتها و أذكراها يهدى الى كل خير و هى باب الله فى مناجاته و الاستعانه به وَ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ على نوع الناس يرونها حملا كبيرا يثقل عليهم فيقوم إليها من يقوم على كسل و ثقيل إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الخشوع فوق الخضوع لا يقبل التصنع فيه نوع من الانكسار يظهر على الإنسان و على القلب و على البصر و على الصوت كما جاء فى القرآن الكريم أى إلا على الذين شعارهم الخشوع من خوف الله كأنهم أشرفوا على الموت و المعاد و الحساب فخشعوا لذلك و استعدوا للزاد و طلب المغفره و مناجاه الحق رغبه و رهبه و دعاء و ثناء لم يغلبهم طول الأمل ليروا الموت بعيدا فيطمئنوا بالحياه و يسوفوا الأعمال الصالحه و الاستعداد للآخره بل غلبوا الأمل و قَرَّبُوا الموت الى ظنهم كما قال امير المؤمنين لهمام فى صفه المتقى يراه قريبا أجله أى يرى آثار ذلك عليه. و حالهم كما قال الحسن (عليه السلام) فى وصيته لجناده و اعمل لآخرتك كأنك تموت غدا ٤٦ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وفائها بعين البصيره و اشتاقوا الى نعيم الآخره فهم يَطْنُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ و مستوفو آجالهم فى ساعتهم و ما يقرب منها وَ أَنَّهُمْ عن قريب إِلَيْهِ رَاجِعُونَ رجوع جزاء و استسلام

سوره البقره (٢): الآيات ٤٧ الى ٤٩

يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (٤٧) وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٨) وَ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يُسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَ فِي ذَلِكَ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩)

٤٧ يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ و قد مرّ شىء من بيان ذلك فى الآيه الثامنه و الثلاثين و كرر هنا تأكيداً فى استلقاتهم الى النعم و اقامه للحجه بها عليهم و اذكروا أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ بها عَلَى الْعَالَمِينَ فى زمان اسلافكم ٤٨ وَ اتَّقُوا يوم القيامه يوم الحساب و النكال يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا أى لا تقضى و لا تؤدى مما عليها شيئاً من جزى الدين إذا قضاها وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا من النفس الأولى شَفَاعَةٌ من حيث انها نفس لها نحو صلّه بالمشفوع له. و قد تقدم فى تفسير سوره الفاتحه ما يدل من القرآن الكريم على تحقق الشفاعه بإذن الله و رضاه و اجمع المسلمون على ان لرسول الله (صلى الله عليه و آله) شفاعه مقبوله و ان جازفت المعتزله بدعوى اختصاصها بمنافع المؤمنين. و أجمعت الإماميه على ثبوت الشفاعه للنبي الكريم و أهل بيته الطاهرين و أصحابه المنتجبين و صالحى المؤمنين و بذلك جاءت أحاديث الفريقين وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا من النفس الثانيه عَدْلٌ عدل الشىء بالفتح ما يقوم مقامه من غير جنسه بمعنى و لا يقبل منها فداء معادل. و احتمال عود الضمير هنا الى النفس الأولى ايضا بمعنى لا تقبل شفاعتها و لا يؤخذ منها فداء للنفس الثانيه و الأول اظهر و أنسب بالاستقصاء و أبعد عما يعود الى التكرار لمعنى لا تجزى وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ أى اهل ذلك اليوم المدلول عليه بتعدد النفوس ليس لهم ناصر على الله و حسابه و عذابه و ناهيك بالتهديد بذلك اليوم ما ذكر فيه فليتقه ذوو الشعور ٤٩ وَ اذكروا يا بنى إسرائيل إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ حال كونهم يَسُومُونَكُمْ قريب من معنى يولونكم سُوءَ الْعَذَابِ قال عمر بن كلثوم فى معلقته

إذا ما الملك سام الناس خسفاً أبينا ان يقر الخسف فينا

يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَ كُمْ أَى يَكْتَرُ وَيَعْم ذَبِحَهُمْ لَهُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَ كُمْ أَى الْبَنَاتِ اللَّاتِي يُولَدْنَ لَكُمْ وَ لَا يَذْبَحُونَهُنَّ كَالْأَبْنَاءِ. فَكَأَنَّهُمْ يَتْرَكُهُنَّ طَلَبُوا حَيَاتَهُنَّ وَ سَمِيَتْ نِسَاءً بِاعْتِبَارِ بَقَائِهِنَّ نَوْعًا إِلَى زَمَانِ الْكِبَرِ وَ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ نَسَبَ الْبَلَاءِ إِلَى اللَّهِ بِاعْتِبَارِ قَدْرِهِ وَ قُدْرَتِهِ عَلَى رَفْعِهِ وَ إِمْلَائِهِ لآلِ فِرْعَوْنَ

سوره البقره (٢): الآيات ٥٠ الى ٥١

وَ إِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَ أَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٠) وَ إِذْ وَاَعِيدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٥١)

٥٠ وَ اذْكُرُوا إِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَصَلْنَا الْبَحْرَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ. وَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ الشُّعْرَاءِ «فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ» يَعْرِفُ أَنْ إِفْرَاقَهُ كَانَتْ مَتَعَدَّةً وَ طَرَقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِيمَا بَيْنَهَا مَتَعَدَّدَةٌ. فَرَقْنَا بِكُمْ أَى أَنْتُمْ الْفَاصِلَ وَ الْفَارِقَ مَا بَيْنَ اجْزَائِهِ فِي عُبُورِكُمْ فِيهِ عَلَى الْيَابِسَةِ وَ هَذَا أَوْضَحَ فِي الْمَعْجَزِ وَ أَوْضَحَ فِي خَرَقِ الْعَادَةِ فَأَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ مَضَائِقِهِ فِرْعَوْنَ وَ جُنُودَهُ وَ مِنْ الْبَحْرِ وَ أَعْرَفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ حِينَ اتَّبَعُوكُمْ فِي الْبَحْرِ وَ أَنْتُمْ خَارِجَ الْبَحْرِ تَنْظُرُونَ إِلَى غَرَقِهِمْ. وَ الْبَحْرُ هُوَ خَلِيجُ السُّوَيْسِ مِنَ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ وَ عَرْضُهُ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ مَوَاقِعِهِ مِنْ نَحْوِ عَشْرَةِ أَمْيَالٍ إِلَى نَحْوِ عَشْرِينَ مِيْلًا وَ اقْتَصَرَ هُنَا فِي ذِكْرِ الْغَرَقِ عَلَى آلِ فِرْعَوْنَ بِاعْتِبَارِ الْاِمْتِنَانِ بِالنَّجَاهِ مِنْ جَيْشِهِمْ بِغَرَقِهِ. وَ فِي ذِكْرِ فِرْعَوْنَ وَ عَتْوِهِ وَ الْاِنْتِقَامِ مِنْهُ قَالَ اللَّهُ فِي سُورَةِ الْاِسْرَاءِ ١٠٥ فَأَعْرَفْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ٥١ وَ إِذْ وَاَعِيدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً بِاعْتِبَارِ مَجْمُوعِ الْوَعْدِينَ الْوَعْدِ الْأَوَّلِ وَ هُوَ ثَلَاثُونَ لَيْلَةً وَ الثَّانِي وَ هُوَ إِتْمَامُهَا بِعَشْرِ كَمَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ ١٣٨ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ إِلَيْهَا كَمَا فِي سُورَةِ طه الْمَكِّيهِ ٩٠ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَ إِلَهُ مُوسَى وَ لَمْ نَجِدْ صِرَاحَهُ يَعُولُ عَلَيْهَا فِي أَنْ الَّذِينَ عَبَدُوا الْعِجْلَ هُمْ كُلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ الْمَوْجُودِينَ حِينَئِذٍ مَا عَدَا هَارُونَ أَوْ بَعْضَهُمْ. لِأَنَّ سُوقَ الْخَطَابِ هُنَا وَ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ إِنَّمَا هُوَ بِاعْتِبَارِ الْبَعْضِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِاعْتِبَارِ الْبَعْضِ مِنْ جَيْشِ مُوسَى نَعْمَ فِي سُورَتِي الْأَعْرَافِ وَ طه نَسَبَ اتِّخَاذَ الْعِجْلِ وَ إِضْلَالَ السَّامِرِيِّ إِلَى قَوْمِ مُوسَى وَ لَكِنْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بِاعْتِبَارِ الْبَعْضِ الْكَثِيرِ. نَعْمَ رُبَّمَا يَسْتَضْهِرُ أَنَّهُمْ الْبَعْضُ مِنْ قَوْلِ هَارُونَ كَمَا فِي سُورَةِ طه نِي حَشِيئْتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَ لَكِنْ تَزَاحِمُ الْاِحْتِمَالَاتِ فِي مَرَادِهِ مِنَ التَّفْرِيقِ يَزَاحِمُ ذَلِكَ الْاِسْتِظْهَارَ. وَ غَرَضُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ قِصَصِهِ

إنما هو التذكير و الموعظه و لا يهمله تاريخيتها لكي ينص على الكل أو البعض مِنْ بَعْدِهِ من بعد ان غاب عنكم موسى فى ميعاد ربه وَ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ لَأَنْفُسِكُمْ و لعقولكم و للحقايق

سوره البقره (٢): الآيات ٥٢ الى ٥٥

ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٢) وَ إِذِ اتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ الْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (٥٣) وَ إِذِ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤) وَ إِذِ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (٥٥)

٥٢ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أى من بعد ما وقعت عباده العجل. و السياق فى خطاب بنى إسرائيل بأحوال بعضهم لا يترك فى الآيه ظهورا فى العفو عن عبد العجل و يجوز ان يكون حينئذ من لم يعبد العجل و لكنهم تخاذلوا و لم ينصروا هارون بالنهى عن هذا المنكر العظيم فعفا عنهم بتوبتهم كما فى الآيه الآتية لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ جيئ بلعل عوضا عن لام الغايه للوجه الذى سنذكره ان شاء الله فى الآيه الحاديه و الثمانين بعد المائه ٥٣ وَ إِذِ اتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ الْفُرْقَانَ ترتيب القصة يقضى انها الألواح التى جاء فيها فى سوره الأعراف ١٤٢ «وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ١٥٣: أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَ فِي نُشَيْخَتِهَا هُدًى وَ رَحْمَةً» فتكون بهداها فارقه بين الحق و الباطل فسميت فرقانا و يجوز ان يراد بالكتاب و الفرقان التوراه لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ أى لغايه ان تهتدوا و جى ء بلعل لما أشرنا اليه ٥٤ وَ إِذِ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ إِلَهَا فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَ بَرَأَكُمْ بَعْدَ عَدَمِكُمْ. و ما ذكرناه من سياق الآيات فى خطاب القبيله بفعل بعضها لا يترك فى الآيه ظهورا بأنهم كلهم عبدوا العجل. و إن أردتم التوبه الصادقه التى تمحو ما وقع فيكم من الشرك بالله بعباده العجل فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ الجملة بدل من «فتوبوا» لبيان أن الذى تتحقق به توبتكم هو ان تقدموا على قتل بعضكم بعضا فكان ذلك نفس التوبه هنا و الظاهر انه ليس المراد ان ينتحروا و يقتل كل انسان نفسه بل قتل النفوس المضافه إليهم بالقرابه و الرحم الماسه فقد كانوا عباره عن آباء و أبناء و اخوان و أعمام و بنى أعمام و كلهم مرتبطون بولاء القبيله و القوميه و الجامعه الاسرائيليه ذَلِكَمْ اى توبتكم بقتلكم نفوسكم و أقدامكم على ذلك طاعه لله و تكفيرا لما وقع من الشرك و ردعا عن مثله خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ و فى التعبير بقوله تعالى «بارئكم» فى

الآيه اشاره إلى أن الله هو بارئكم و المنعم بخلقكم فما أهون نفوس المشركين و قتلهم فى جنب حمايه لتوحيدہ و قمع ضلال الإشراك به و فى جنب رضاه و توبته عليكم. ففعلوا شيئاً من ذلك كما يدل عليه السياق مع قوله تعالى فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَ هُوَ خطاب لبنى إسرائيل الموجودين فى عصر الرسول بالنهج المتقدم من خطاب بعض القبيله باعمال بعضها و باعتبار ان التوبه على قوم موسى فى تلك الواقعه يعود نفعها على المخاطبين و على كل بنى إسرائيل فى جميع أجيالهم ببقاء جامعتهم القوميه و صورہ الدين و التوحيد إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ٥٥ وَ إِذْ قُلْتُمْ خَوَّطُوا بِذَلِكَ بِاعْتِبَارِ قَوْلِ الْأَسْلَافِ مِنْ قَبِيلَتِهِمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ الصَّوْتِ الشَّدِيدِ وَ أَخَذَهَا هُوَ اسْتِلاؤُهَا عَلَيْهِمْ وَ الْمَرَادُ امَاتتْهَا لَهُمْ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ تَوْهَمًا مِنْكُمْ أَنْكُمْ تَرَوْنَ اللَّهَ تَعَالَى شَأْنَهُ.

روى ابن بابويه فى العيون عن الرضا عليه السلام ما ملخصه: ان بنى إسرائيل قالوا لموسى لن نؤمن لك بأن الله أرسلك و كلمك حتى نسمع كلام الله فاختر منهم سبعين رجلاً فلما سمعوا كلام الله من الجهات الست قالوا لن نؤمن بأنه كلام الله حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقه فماتوا

سوره البقره (٢): الآيات ٥٦ الى ٥٧

ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٥٦) وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَ مَا ظَلَمُونَا وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٥٧)

٥٦ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ كل الخطاب باعتبار أحوال السلف لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أى لغايه ان تشكروا الله على الاحياء بعد الموت ٥٧ وَ ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ الظاهر من الامتنان بالتظليل انه غير السحاب الذى للمطر وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَ السَّلْوَى و يعول عليه وَ السَّلْوَى و تسمى فى التوراه العبرانيه ايضا سلو. او سلاو. و فى السبعينيه تقرأ سليو و فى كتب اللغه انه طائر او نحو الحمامه كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ حكايه لخطاب القدماء فى عصر موسى وَ مَا ظَلَمُونَا بما صدر منهم من المعاصى و كفران النعم و عباده العجل و قولهم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره فَإِنَّ اللَّهَ غَنَى عَنْ طَاعَتِهِمْ وَ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَتُهُمْ. بل هم الذين تنفعهم الطاعه و تضرهم

سوره البقره (٢): الآيات ٥٨ الى ٥٩

وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَ قُولُوا حِطَّةً نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (٥٨) فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (٥٩)

٥٨ وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ لَا- اعرف قريه فى زمان موسى (عليه السلام) أمروا بدخولها و دخول بابها سجدا على ما هو مذكور فى الآيه فى نسق هذه القصص و من البعيد جدا أن يراد بها الخيمة التى نصبها موسى فى البر و قدسها للعباده (١) إذ لا يناسبها اسم القريه و لا قوله تعالى فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا نعم يناسبها ان تكون قريه بيت المقدس الذى بناه سليمان و كان بنو إسرائيل يأتونها فى مواسمهم للعباده و يتمتعون فيها بالرغد و الأمن. و يمكن أن يكون هذا القول من الله قد جاء فى الوحي إلى موسى (عليه السلام) فإن التوراه الرائجه تذكر ان موسى (عليه السلام) كان يذكر لهم من وحي الله احكام مجيئهم إلى المكان الذى يختاره الله بعد الخيمه كما فى سفر التثنيه متفرقا من الفصل الثانى عشر إلى الحادى و الثلاثين.

و لا بعد فى ان يوجد فى هذه التوراه المحرفه شىء من انقاض التوراه الحقيقيه و الله العالم بحقائق الأمور وَ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا جمع ساجد و لعل المراد باب بيت المقدس و المعنى ان دخولكم يكون للسجود و العباده و الاستغفار كما هو شأن المساجد وَ قُولُوا حِطَّةً بالرفع خبر لمحذوف اى سجدونا و عبادتنا حطه لذنوبنا و الجمله خبريه يراد بها الدعاء اى اجعل سجدونا و عبادتنا سببا لحط ذنوبنا عنا يقال حط الحمل من الدابه اى ازاله و أنزله عنها نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ بأعمالهم على المغفره بالثواب ٥٩ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ و قالوا ما لا يرجع إلى الاستغفار و طلب الحط لأثقال ذنوبهم عنهم. و لعل من مصداق ذلك انهم حذفوا الأمر بالعباده و الاستغفار و دوام السجود فى بيت المقدس و بدلوه بأن الله أمرهم فى التوراه بأنهم إذا لم يقدروا ان يحملوا زكواتهم ان يبيعوها بفضه و ينفقوها فى بلد بيت المقدس

ص: ٩٥

١- ذكرت فى دعاء السمات بعنوان قبه الزمان بالزاي المعجمه و إن كان الناس يقرءونها قبه الرمان بالراء المهمله و هذا ترجمه حرفيه لاسمها فى التوراه العبرانيه الرائجه «اهل موعده» اهل. قبه. و موعده. الزمان. و المترجمون للتوراه يترجمونها تحريفا بخيمه الاجتماع إلا طبعه قديمه بيروتيه ترجمتها فى بعض الموارد قبه الزمان

بما تشتهى نفوسهم فى البقر و الغنم و الخمر و المسكر (١) كما فى الفصل الرابع عشر من سفر التثنيه و هل يقبل ذو شعور ان الله يأمر بإنفاق الزكاه بشرب الخمر و المسكر فى بيت عبادته فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا كَرَّرَ ذِكْرَ الظَّالِمِينَ اما لتخصيص الرجز بالظالمين أو تسجيلا لقبيح ظلمهم و بيانا لأن ظلمهم هو السبب فى إنزال الرجز عليهم رَجْزاً أَى عَذَاباً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَى بسبب ما كَانُوا يَفْسُقُونَ و لم يستغفروا و يطلبوا حط ذنوبهم عنهم بل بدلوا ما قيل لهم

سوره البقره (٢): الآيات ٦٠ الى ٦١

وَ إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَ لَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٦٠) وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَ قَتَائِهَا وَ قَوْمِهَا وَ عَدَسِهَا وَ بَصَلِهَا قَالَ أَ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبُطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ وَ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ وَ الْمَسِيكِنَةَ وَ بَأُوْ بَعْضٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ (٦١)

٦٠ وَ إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى طلب من الله السقيا لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فضرِب به و حذف ذلك لأن دلالة المقام عليه واضحه فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا يشربون من مائها قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ و إن عدد العيون و امتياز الأناس بعضهم من بعض بالمشرب ليستفاد منه ان كل عين كانت مشربا لسبط من أسباط بنى إسرائيل الإثنى عشر كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ الذى رزقكم إياه على سبيل المعجز و خارق العاده بدون شائبه من سعى أو تسيب منكم و ذلك هو المن و السلوى و هذا الماء المنفجر من الحجر فاشكروا الله و اطلبوا رحمته و أطيعوه و توكلوا عليه وَ لَا تَعْتُوا معناه قريب من لا- تطغوا و نحوه فى الأَرْضِ مُفْسِدِينَ حال من الضمير فى لا تعثوا ٦١ وَ إِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ لا نجد له بديلا فى بعض الأيام و هو المن و السلوى فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَ قَتَائِهَا وَ قَوْمِهَا وَ عَدَسِهَا وَ بَصَلِهَا وَ هو النبات الذى تخضر به الأرض و منه النعنع و الكراث و الكرفس و نحوها مما يأكله الإنسان وَ قَتَائِهَا وَ هو الخيار الطويل الأخضر وَ قَوْمِهَا

روى فى مجمع البيان مرسلا عن الباقر «ع» ان الفوم الحنطه و رواه ابن جرير فى تفسيره و السيوطى فى الدر المنثور عن ابن عباس

مستشهدا بقول

ص: ٩٦

١- ذكروا ذلك بنحو لا يقبل التأويل ففي الأصل العبرانى «و بيايين» و هو اسم الخمر الصريح «و بسكار» و هو اسم صريح فى المسكر

أبى محجن الثقفى أو احيحه بن الجلاح «ورد المدينه عن زراعه قوم» و روى فى الدر المنثور عن ابن عباس ايضا انه الثوم و انه استشهد له بشعر اميه بن الصلت و لا شهاده فيه و كلام اللغويين غير كاف فى البيان وَ عَدَسِهَا وَ بَصَلِهَا قَالَ أ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِى هُوَ أَدْنَى بِالَّذِى هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ اهْبَطُوا مِصْرًا بِالتَّنْوِينِ يَحْتَمَلُ ان يَرَادَ بِهَا مِصْرَ الْمَعْرُوفَةِ وَ تَوْنَتْ لِحِوَاظِ صَرْفِهَا بِسَبَبِ سَكُونِ وَسَطِهَا كَهِنْدٍ وَ دَعْدٍ وَ ان ذَكَرْتَ فى غير هذا الموضع اربع مرات غير منصرفه. أو اهبطوا مصرا من الأمصار كما هو انسب بالتنوين و الأمر بالهبوط على كلا الوجهين إنما هو للتعجيز لأن مصر هى بلاد عبوديتهم و ذلتهم و مجمع عدوهم المنكوب مضافا إلى انهم كتب عليهم التيه فكيف يستطيعون الهبوط إلى مصر فَإِنَّ لَكُمْ هُنَاكَ ان قَدَرْتُمْ وَ انى مَا سَأَلْتُمْ وَ ضَرَبْتُمْ عَلَيْهِمُ الدَّلَّةَ الظاهر ان الضمير لا يختص بالذين طلبوا البصل و ما ذكر. فإنهم لم يعهد منهم قل النبيين. بل يعود الضمير على نوع بنى إسرائيل إذ ضربت عليهم الذلة وَ الْمَسِيكَنَةُ كما يعرف ذلك جليا بعد انحلال مملكتهم فى السامرة و تم ذلك بسبب بابل وَ بِأُو يَقَارِبُ معنى رجعوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ. ذَلِكَ أَى ضَرْبِ الذلِّ وَ الْمَسْكَنَةِ وَ لَزُومِ غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ وَ الصِّفَةَ اللّازِمَةَ لِقَتْلِ النَّبِيِّينَ كونه بِغَيْرِ الْحَقِّ كَقَوْلِهِ تَعَالَى لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فى قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ فى سوره الْمُؤْمِنُونَ وَ مَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ذَلِكَ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ تَأْكِيدًا لِلإِشَارَةِ الْأُولَى وَ يَحْتَمَلُ قَرِيبًا أَنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى قَتْلِهمُ النَّبِيِّينَ بِمَا عَصَوْا أَى بَعْضِيَانَهُمُ الَّذِى اعْتَادُوهُ وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ بِحَيْثُ صَارَ لَهُمُ الْعِتْدَاءُ عَادَهُ

سوره البقره (٢): آيه ٦٢

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢)

٦٢ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَى أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالَّذِينَ هَادُوا أَى انْتَحَلُوا الْيَهُودِيَّةَ. يُقَالُ فى التَّارِيخِ ان بنى إسرائيل من بعد سليمان ارتد أكثر اسباطهم الى الشرك و عباده الأوثان و عجلى الذهب الذين عملهما ملكهم ثم بادوا من بعد ذلك بالقتل و الأسر و لم يبق لهم اسم و لا رسم قومى فى الاسرائيليه. و الذين بقوا على صوره التوحيد و الشريعه على

تقلب في الوثنيه و الإيمان بحسب الأزمنه و الملوك و بقى اسمهم و عنوان الموسويه و احترام بيت المقدس فى اكثر الأزمنه فيهم الى اليوم إنما هم سبط يهودا و من تبعهم كسبط بنيامين. فصار العنوان لمن ينتمى الى المله الموسويه هم الذين هادوا. و ذكر لهذه الصفه وجوه آخر و الله العالم وَ النَّصَارَى و هم المتمون الى اتباع الرسول عيسى. قيل مفرده نصران و نصرانه و استشهدوا له بقول الشاعر (و هو نصران شامس) و قول الآخر (كما سجدت نصرانه لم تحنف) و قيل فى وجه التسميه انه من النصره لقول المسيح مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ كَمَا فِي سورتى آل عمران و الصف. و قيل نسبة الى الناضره قريه من بلاد الجليل فى فلسطين نشأ فيها المسيح و كان يسمى الناصرى فلحق المتمين الى اتباعه هذا اللقب و الله العالم وَ الصَّابِئِينَ قيل فيهم اقوال كثيره و الظاهر ان منهم الصابئه الموجودين فيما بين البصره و بغداد و لعلهم شعبه من اليهود امتازوا بديانه سرّيه و ربما عرف من بعضهم انهم ينتمون الى اتباع يحيى بن زكريا.

و لهم فى ديانتهم ولع شديد بالماء و عنايه بأمره مَنْ آمَنَ مِنْ هَوْلَاءِ بِاللَّهِ بحقيقه الإيمان به فى الإخلاص بتوحيده فى الإلهيه و ما له جل شأنه من صفات الجلال و الجمال وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ على حقيقه الإيمان بالمعاد الجسمانى و الجنه و النار و الحساب و الجزاء و ما ذكر فى القرآن الكريم فى شأن اليوم الآخر. و من كان كذلك لم يتمرد على آيات الله و دلائله و لم تأخذه نخوه القوميه بل يتفانى فى طلب الحق و لا- تأخذه فيه لومه لائم او نزعه أهواء وَ عَمِلَ صَالِحاً على حقيقه الشريعه المقدسه و لا يخفى ان الإيمان برسول الله محمّد (صلى الله عليه و آله) و بما جاء به لازم لحقيقه الإيمان المذكور و العمل الصالح. ألا ترى اقلا ان حقيقه الإيمان بالمعاد و اليوم الآخر على ما جاء فى القرآن الكريم لا توجد عند فرقه من الفرق فضلا عن الإيمان بالله و ما له من الجلال و القدس و الوحدانيه حق الإيمان فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ و جزاؤهم معدّ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فى الآخره وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ و خبر «ان» اما جمله من آمن مع جزائها و اما جمله فلا خوف. و يكون من آمن بدلا من اسم ان و المعطوف عليه و دخلت الفاء على الخبر لأجل تضمن «من» معنى الشرط و لعل الأول اظهر. و قد روعى فى «من» لفظها فى آمن. و عمل. و معناها فى «لهم»

سوره البقره (٢): الآيات ٦٣ الى ٦٦

وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٦٣) ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٤) وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَ مَا خَلْفَهَا وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ (٦٦)

٦٣ وَ إِذْ و اذكروا يا بنى إسرائيل إذ أخذنا ميثاقكم و هو العهد الموثق الذى أشير اليه فى الآيه الثامنه و الثلاثين وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ جبل سينا او قطعه منه و قد قيل فى رفعه و تسميته ما لا يصلح حجه و الله العالم خُذُوا ما آتيناكم و هو التوراه بِقُوَّةٍ

و فى موثقه البرقى سئل ابو عبد الله الصادق (عليه السلام) أ قوه الأبدان او قوه القلب قال فيهما جميعا و عن العياشى عن الصادق (عليه السلام) نحو ذلك

أى لا تهنوا فى أبدانكم و قلوبكم عن أخذ ما فى التوراه وَ اذْكُرُوا ما فِيهِ أى فى التوراه و لا تنسوه و من ذلك وصف النبى الذى يقيمه الله لهم من إخوانهم ولد إسماعيل لا منهم و يجعل كلامه و هو القرآن الكريم فى فمه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أى لأجل أن تتقوا الله و جى ء بلعل فى مقام الغايه لأدن حصول التقوى منهم غير لازم بل هو راجع الى حسن اختيارهم ٦٤ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ التولى بمعنى الاستدبار و استعمل هنا كناية عن الاعراض عما أخذ عليهم من الميثاق مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الأخذ للميثاق فَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ بقبول التوبه لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ الذين ذهب رأس ما لهم كنى بالخسران عن هلكتهم بالضلال ٦٥ وَ لَقَدْ عَلَّمْتُمْ شَأْنَ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فى السَّبْتِ بعد ان نهاهم الله عن الصيد فيه و هم أهل القرية التى كانت حاضره البحر كما ذكرت قصتها قبل هذا فى سوره الأعراف المكيه من الآيه الثالثه و الستين بعد المائة الى السابعه و الستين فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ على نحو قوله تعالى إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٦٦ فَجَعَلْنَاهَا أى حادثه المسخ و لعل الأقرب انها القرية المدلول عليها فى سوره الأعراف نَكَالًا النكال اسم للعقوبه الظاهره أو الباقية الأثر او لنفس الأثر و المصدر هو التنكيل لِمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَ مَا خَلْفَهَا أى ظاهر لما بين يديها من القرى و الأمكنه باعتبار أهلها كما يقال أثر للناظرين وَ مَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ أى و تزيد بالنسبه للمتقين ان تكون لهم موعظه تزيدهم بصيره فى الإيمان و المعرفة و تسددهم للثبات على التقوى و هناك احتمالات أخر و الله العالم

وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٦٧) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بَكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فافعلوا ما تؤمرون (٦٨) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْتُهَا تُسْرُ النَّاطِرِينَ (٦٩) قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ (٧٠) قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شَرِيهَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ (٧١)

٦٧ وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً وَ ملخص القصة مما

رواه القمى بسند معتبر عن الصادق عليه السلام و ابن بابويه فى العيون فى الصحيح عن الرضا عليه السلام ان رجلا- من بنى إسرائيل قتل ابن عمه غيله و اتهم بقتله بنى إسرائيل فصاروا يتدارءون و يدفعون عن أنفسهم هذه التهمة فرجعوا فى أمرهم الى موسى فشاء الله ان يظهر حقيقه الأمر بنحو المعجز فقال لهم موسى ان الله يأمركم ان تذبحوا بقره فاستغربوا الحال

و قالوا بجهلهم أ تَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ

و فى الصحيح عن الرضا عليه السلام لو انهم عمدوا الى اى بقره لأجزأتهم و لكن شددوا فشدد الله عليهم.

و روى ذلك فى الدر المنثور من طرق متعددة عن النبى (صلى الله عليه و آله) و ابن عباس.

و فى روايه القمى ان الله أشار بأوصاف البقره الى بقره رجل بارّ بابيه جزاء لبره ليشتروها بالثمن الغالى

و لا تنافى بين الروايتين لجواز ان يكون ذلك نتيجة علم الله بتشديدهم على أنفسهم قال إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا مَسْنَةٌ وَلَا بَكْرٌ فتيه فى أوائل سنه بل هى عَوَانٌ و متوسطه فى منتصف عمرها بَيْنَ ذَلِكَ اى ما ذكر من الوصفين فافعلوا ما تؤمرون ٦٨ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْتُهَا اى شديد الصفرة و خالصها تُسْرُ النَّاطِرِينَ ٦٩ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا بهذه الصفات و إِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ٧٠ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ الذلول السهله المنقاداه بالتذليل و التعليم للأعمال التى تتراد من نوعها و هذه لا تنقاد لكل اعمال البقر و بين ذلك بأنها تُثِيرُ الْأَرْضَ

و تنقاد لكرابها و لكنّها لا تَسْقِي الحَرثَ اى الأرض المزروعه او الزرع و لا تطاوع لأن يدلى عليها من الآبار و الأنهار مُسَلِّمَةً من العيوب لا- شَيْئَهُ فِيهَا لَيْسَ فِيهَا لَوْنَ يَخَالَفُ مَعْظَمَ لَوْنِهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ اى بحق الوصف المبين و المعين فَذَبَّحُوهَا وَ مَا كَادُوا يَفْعَلُونَ إِمَّا لَغْلَاءٍ ثَمْنِهَا كَمَا يَرَوَى و اما لغير ذلك من الأسباب

سوره البقره (٢): الآيات ٧٢ الى ٧٤

وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِنَعْصِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٧٣) ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَ إِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَ إِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَ إِنْ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٧٤)

٧١ وَ إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا اى قتلها بعض منكم فسرت فيكم التهمه و الخصومه فصار كل منكم يريد ان يدفعها و يدرأها عنه وَ اللَّهُ مُخْرِجٌ بِقُدْرَتِهِ مِنْ سِرِّ الْخَفَاءِ اى العلم و الظهور ما كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ اى يكتمه القاتل منكم من القتل و سببه. و قد كان الأمر بذبح البقره و تعنتهم فى السؤال عنها و ثقافتهم عن ذبحها من متعلقات القتل و اتهام بعضهم بعضا و تدارئهم لها فيما بينهم و لكن أفرد الله تلك الأمور بالذكر تذكيرا لبنى إسرائيل بتباطى أسلافهم عن امتثال امر الله. و نسبه موسى الى الاستهزاء لما بلغهم امر الله بما يزيح علتهم. و شقاقهم بكثرة السؤال حتى انهم ما كادوا يفعلون. و امتنانا عليهم بالمجاراه لهم فى شقاقهم و تباطئهم عن أوامره لكى يرفع تخاصمهم و ينجى البرىء و يظهر البراءه بعلم اليقين.

ثم شرع فى تذكيرهم بمننه عليهم و اظهار الحق و فصل الخصومه بالنحو المعجز الذى يوضح لهم قدره الله و ربط أطراف القصة بقوله جلت آلاؤه ٧٢ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ

اى المقتول المذكور فى الآيه السابقه بِنَعْصِهَا

اى تلك البقره التى أمروا بذبحها فذبحوها. فضربوه ببعضها و رجع حيا و اخبر بقاتله و ظهر امر القتل بالمعجز حق اليقين و ارتفعت الخصومه و قد دل على هذا كله سياق الكلام و التذكير بما فيه من المنه عليهم مع قوله جلت قدرته كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَ يُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ

بالتدبر و الاعتبار بآيات الله و قدرته و احيائه الميت و رحمته لكم لكى تعرفوا رشدكم و تهتدوا الى سواء السبيل و ان تعقلهم احد الغايات و ان كان أشرفها و أكثرها لهم نفعاً. و جىء بلعل لأن تعقلهم غير لازم بل هو راجع الى حسن اختيارهم فى التفكير و حسن الاعتبار و التبصر و عدم التناسى و الانقياد الى وساوس الأهواء و ضلالها ٧٣ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ

فزاغت عن الاعتبار بآيات الله و التعقل لدلائل الرشد مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ اى من بعد كل ما ذكر من الآيات و أفرد كاف الخطاب فى «ذلك» باعتبار الجمع أو القوم لا الجماعه فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ فى قسوتها و ناهيك بها قسوه أو أَشَدُّ قَسْوَةً اى و ان شئت ان تصفها باعتبار الآثار فهى أشد قسوه من الحجاره وَ إِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَّا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ و من ذلك العيون الجاربه من الجبال الصخره وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَشَقُّ مِنْهُ الْمَاءُ و من ذلك ما يحدث عند الزلازل من الانشقاق و الانفجار وَ إِنَّ مِنْهَا لَمَّا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ و قد حدث هذا كله لبنى إسرائيل و شاهدوه رأى العين فى الحجر الذى انفجرت منه العيون و الجبل الذى تجلى له الله فجعله دكا. و اما أنتم يا بنى إسرائيل فلا تتأثر قلوبكم بالآيات و دلائل الحق بل تعملون بما يغريكم به الهوى المردى و الشيطان المضل و يحملكم عليه العناد للحق و التمادى على الطغيان وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ بل يمهلكم و يملئ لكم ثم اليه ترجعون

سوره البقره (٢): الآيات ٧٥ الى ٧٦

أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمِعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ تَمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضٍ مِنْهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَ تَحَدُّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ (٧٦)

٧٤ أَ تَطْمَعُونَ خُطَابَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه و آله) و المؤمنين أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ قُرْآنِهِ وَ يَجِيبُوا دَعْوَتَكُمْ لَهُمْ اى حقيقه الايمان و هم اهل العناد و الإصرار على الضلال على عمد وَ قَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمِعُونَ كَلِمَةَ اللَّهِ عِنْدَ خُطَابِهِ لِمُوسَى.

او من موسى و الأنبياء مع اعترافهم بنبوتهم زياده على دلالة المعجزات على ذلك تَمَّ يُحَرِّفُونَهُ يغيرونه و يبدلونه لا عن جهل بل عن عمد و ضلال مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَ فَهَمُوهُ حَقَّ الْفَهْمِ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ انهم محرفون كاذبون على الله. هذا حال سلفهم فى الغى. و اما هؤلاء الذين تطمعون ان يؤمنوا لكم بالحق فهم كما فى هذه الآيه ٧٥ وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغَضٍ مِنْهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَ تَحَدُّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ من علم التوراه و تخبرونهم بما فيها من صفه محمد (صلى الله عليه و آله) و رسالته و الأمر باتباعه لِيُحَاجُّوكُمْ بِهِ فَتكون الغايه من ذلك ان تقوم به

الحججه عليكم فيحاجوكم به عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ما يترتب على ذلك من الغايات.

و فى تبيان الشيخ الطوسى (فده) و روى عن أبى جعفر عليه السلام انه قال كان قوم من اليهود ليسوا من المعاندين المتواطئين إذا لقوا المسلمين حدثوهم بما فى التوراه من صفه محمد (صلى الله عليه و آله) فنهاهم كبراًوهم عن ذلك و قالوا لا تخبروهم بما فى التوراه من صفه محمد فيحاجوكم به عند ربكم انتهى

فتعسا لأوهمهم

سوره البقره (٢): الآيات ٧٧ الى ٨١

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ (٧٧) وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا- يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا- فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَ وََيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) وَ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَاطِبَةُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١)

٧٦ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ رَبِّهِمُ الَّذِي يَكْتُمُونَ الْحَقَّ حَذراً من محاجه المؤمنين لهم عنده هو الله الذى يعلم ما يسررون و ما يعلنون
٧٧ وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ الامى كما فى مجمع البيان من لا يحسن الكتابه و لا القراءه لا يعلمون الكتاب إلا أمانى استثناء منقطع بمعنى ليس لهم الا- الأكاذيب و الاختلافات التى يسمعونها من المدلسين. او ليس الا امانى العلم و إن هُم إلا يظنون ظنا بما يسمعونه فَوَيْلٌ مبتدأ لأنه نكره مفيده و للذين خبره و الويل الحزن و الهلاك و المشقه من العذاب للذين يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَنَّا قَلِيلًا من حطام الدنيا و الزعامه الكاذبه او ترويح الباطل

قال فى مجمع البيان انهم عمدوا الى التوراه و حرّفوا صفه النبى (صلى الله عليه و آله) ليوقعوا الشك بذلك للمستضعفين من اليهود و هذا هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ إذ يحرفون ذلك او لا- يعلمون بما يوجهه وَ وََيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ من الآثام و الكفر و اعمال الضلال او التحريف لأجل الإضلال و كتمان الحق ٧٨ وَ قَالُوا اى اليهود لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً اى قليله قُلْ لهم يا رسول الله أَتَّخَذْتُمْ عَلَى سَبِيلِ الاستفهام الانكارى عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا منه على ذلك فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ افتراء او تحكما على الله فى هذا الزعم الباطل ما لا تعلمون ٧٩ بلى رد لقولهم

و بيان لحقيقه الأمر و هو ان مَنْ كَسَبَ بسوء اختياره سَيِّئَةً وَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ اى لزمته و استولت عليه استيلاء الشىء المحيط به و لم يكفرها عنه الايمان و التوبه بعد الكفر فَأُولَئِكَ أَشِيرَ بِالْجَمْعِ باعتبار الجمع فى معنى من كسب أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ الى الأبد

سوره البقره (٢): الآيات ٨٢ الى ٨٤

وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨٢) وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ (٨٣) وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَ لَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٨٤)

(٨٠) وَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ دُونَ غَيْرِهِمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٨١ وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ اى و اذكروا إذ قلنا لهم أقوالا و اوصيناهم بها و أخذنا منهم العهد الموتى بالعمل بها لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وحده لا شريك له فى العباده و الإلهيه و الجملة خبريه يراد بها النهى و الخبريه فى مقام الطلب ابلغ من الانشائيه و هى و الجمل المعطوفه عليها معموله للقول المدلول عليه بأخذ الميثاق وَ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا مصدر نائب عن الفعل و هذا السبك ابلغ و أكد من ان يقال و أحسنوا وَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينِ عطف على الوالدين فى الأمر بالإحسان بهم وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا و هذه الوصايا غير مختصه ببني إسرائيل بل هى من أهم ما يقتضيه اللطف بكل امه أرسل إليها رسول.

روى فى الكافى بسند معتبر عن الصادق (عليه السلام) فى قوله تعالى وَ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا قال قولوا للناس حسنا و لا تقولوا الا خيرا حتى تعلموا ما هو

و روى ابن بابويه بسند معتبر عن الباقر عليه السلام قولوا للناس احسن ما تحبون ان يقال فيكم الحديث

وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ و ادبرتم فى المخالفه لذلك الميثاق إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَ أَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ عن الميثاق متمردون على أوامر الله و نواهيه ٨٢ وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ التفات الى خطاب اليهود اما باعتبار أخذ الميثاق على أسلافهم او باعتبار ان إيمانهم برسالة موسى و توراتهم التزام بالوصيه الشامله لهم و إعطاء للميثاق عليها كاسلافهم لا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ لا يسفك بعضكم دم بعض و لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ لا يخرج بعضكم بعضا من بلادكم

و عبر بالأنفس تأكيداً في النهي فإنهم أمه واحده و بنو أب واحد و الكلام في الجملة الخبرية في مقام الطلب و محلها من الاعراب كما تقدم ثم أقررتهم و أنتم تشهدون بأخذ الميثاق

سورة البقره (٢): الآيات ٨٥ الى ٨٧

ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوَانِ وَ إِنْ يَأْتُواكُمْ أُسَارَى فَفَادُوهُمْ وَ هُوَ مُحْرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٨٥) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ (٨٦) وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ قَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدْسِ أَ فَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ (٨٧)

٨٣ ثم أنتم هؤلاء القوم الذين أخذ عليهم الميثاق و أقرروا و شهدوا ذكر ذلك للتغليظ في التوبيخ تقتلون أنفسكم يقتل بعضكم بعضاً و تخرجون فريقاً منكم من ديارهم بغير حق بل تظاهرون عليهم بالإثم و العداوة و هم قومكم و منكم و إن يأتواكم أسارى مستعنيين بكم على فدائهم ففادوهم و تبدلون فداءهم عملاً بكتابكم فلما ذا تخرجونهم من ديارهم ظلماً و هو و الشأن انه مُحْرَّمٌ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ إِخْرَاجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِي الْقَتْلِ وَ الْإِخْرَاجِ. او التقلب الأهوائي في الايمان و الكفر إلا خزي في الحياة الدنيا و يوم القيامة يُرَدُّونَ بَيَانٌ لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ قَوْلِهِ وَ مَنْ يَفْعَلُ هُوَ الْجَمْعُ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَ مَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ فانه لا تخفى عليه خافية و قد اعد لكل عمل جزاءه ٨٤ أولئك اي المناقضون لميثاق الله هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة و ما أقبح خسرانهم بهذا الشراء اذن فلا يخفف عنهم العذاب و لا هم ينصرون و من ذا الذي ينصرهم على الله ٨٥ و لقد آتينا موسى الكتاب اي التوراه و قفينا من بعده اي اتبعناه بعد موته بالرسل

في الكافي في باب الفرق بين الرسول و النبي أن الرسول هو من يعاين الملك و يأتيه جبرائيل فيراه و يكلمه بالوحي كما في صحيحته زراره و الأحول عن الباقر (عليه السلام) و روايتي إسماعيل عن الرضا (عليه السلام) و بريد عن الباقر (عليه السلام) و الصادق (عليه السلام)

و الذين ذكرت أسماؤهم من الأنبياء بعد موسى هم داود و سليمان و الياس و اليسع و ذو الكفل و الظاهر انه حزقيال

و يونس و زكريا و يحيى و المسيح و رسول الله (صلى الله عليه و آله). و الذين نص القرآن على رسالتهم هم الياس و يونس و المسيح و رسول الله صلى الله عليه و آله و آتينا عيسى ابن مريم البينات من المعجزات و آيدناه بروح القدس جبرائيل. يا بني إسرائيل أ فكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم على دعوته الى الحق و جهدتم فى مضادته و معانده الحق ففريقاً من الرسل

سوره البقره (٢): الآيات ٨٨ الى ٩٠

و قالوا قلوبنا غلقت بل لعنهم الله بكفرهم فقليلاً ما يؤمنون (٨٨) و لما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم و كانوا من قبل يسهتفون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنه الله على الكافرين (٨٩) بنسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغياً أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤ بغضب على غضب و للكافرين عذاب مهين (٩٠)

كذبتم و فريقاً تقتلون ٨٦ و قالوا اى بنو إسرائيل قلوبنا غلقت اى فى غلاف لا نفهم ما يقول الرسول فى تبليغه و غرضهم العيب لما يقوله فى التبليغ كما حكى الله عن المشركين فى سوره حم السجده و قالوا قلوبنا فى أكنته ممّا تدعوننا إليه و فى آذاننا وقر و من بيننا و بينك حجاب و ليسوا لا يفهمون ما يقول رسول الله (صلى الله عليه و آله) فإنه أتى فى رسالته و تبليغه بما تقتضيه الفطره و بداهه العقول و لا يخفى صلاحه على احد بل تمردوا على الله و كفروا على عمد فحرمهم بركه التوفيق و لعنهم الله و ابعدهم عن رحمته بكفرهم و عنادهم فقليلاً ما يؤمنون الفاء للتفريع على حرمانهم من التوفيق و طردهم عن رحمه الله بعنوتهم فى كفرهم و «قليلاً» صفة للمصدر اى إيماناً قليلاً و «ما» لتأكيد القله بزياده الإبهام فى القليل. و الظاهر ان المراد بقله ايمانهم قله من يؤمن منهم ٨٧ و لما جاءهم كتاب من عند الله و هو القرآن الكريم بما فيه من دلائل الاعجاز و الحجج على انه من الله مصدق لما معهم من التوحيد و إرسال الرسل و إنزال الكتب و الشريعة و كانوا اى هؤلاء المردة المعاندون من قبل اى من قبل إنزال القرآن او مجىء الرسول الى المدينه يشتفون على الذين كفروا

روى فى الكافى فى الموثق عن الصادق عليه السلام ما ملخصه ان اليهود كانت تجد فى كتبها ان مهاجره محمد (صلى الله عليه و آله) ما بين غير واحد فخرجوا يطلبون الموضع و نزله قوم منهم ثم صاروا يقولون للأوس و الخزرج اما لو قد بعث محمد لنخرجنكم من ديارنا فلما بعث الله محمداً (صلى الله عليه و آله) آمنت به الأنصار و كفرت به اليهود و هو قول الله و كانوا من قبل يشتفون. و عن تفسير العياشى عن الصادق (عليه السلام) مثله. و فى صحيحه اسحق بن عمار

عن الصادق (عليه السلام) ما يقرب من هذا.

و كذا الحديث الأول و السابع و الثامن الذى صححه الحاكم مما رواه فى الدرّ المنثور. فيكون معنى يستفتحون يستنصرون بالتهديد او يطلبون فى كلامهم ما يأملون من الفتح و النصر فى المستقبل. و روى فى الدرّ المنثور ايضا ان اليهود كانوا عند محاربتهم للعرب يستنصرون الله فى الدعاء باسم النبى محمد (صلى الله عليه و آله) فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا مِنْ أَمْرِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه و آله) و رسالته و ان الله يجعل كلامه فى فمه كَفَرُوا بِهِ مَعَ مَعْرِفَتِهِمْ بِهِ كَكُفْرِ إِبْلِيسَ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ٨٨ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ فى مجمع البيان اكثر الكلام اشترت بمعنى ابتعت و ربما استعمل اشترت بمعنى بعت انتهى و لكن فيه هنا كما فى التبيان و الكشاف اشترى بمعنى باعوا أقول و يجوز إبقاء الاشتراء على معناه المتعارف و تكون الآية توبيخا و تسفيها لليهود فإن حق النفس ان تشتري بالإيمان و الأخلاق الفاضله و العمل الصالح فى هذه الحياه الدنيا لتكون كامله زكيه فائزه بالسعاده الأبدية. اذن فما بال هؤلاء السفهاء قد حملهم الحسد الذميم على ان يحفظوا لأنفسهم خرافات القوميه و الجامعه اليهوديه و جعلوا الثمن لاشرائها لهذا الغرض الوخيم هو الكفر بآيات الله حسدا و بغيا فبئس ما فعلوا و بئس الذى اشترى به أنفسهم او بئس شيئا اشترى به أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ أَيْ كَفَرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَ هُوَ الْمَخْصُوصُ بِالذَّمِّ مِثْلَ عَمْرٍو فى قولهم بئس الرجل عمرو و تزداد شناعه كفرهم بما انزل الله مع معرفتهم بأنه كلام الله المنزل الذى و عدوا به بأن كفرهم هذا كان حسدا و بَغِيًّا عَلَى ان يبعث الله من غيرهم رسولا- و أَنْ يُنَزَّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ كَلَامَهُ وَ آيَاتِهِ وَ وَحَى إِرْسَالَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَعْلَمُ أَهْلِيَّتَهُ لِلرِّسَالَةِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ فَبَأَوْ نَحْوِ مَعْنَى رَجَعُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ الْكُفْرِ مَعَ الْمَعْرِفَةِ وَ قِيَامِ الْحُجَّةِ وَ غَضَبِهِ مِنْ أَجْلِ حَسَدِهِمْ وَ بَغْيِهِمْ وَ عِنَادِهِمْ لِلرَّسُولِ لِكَوْنِهِ مِنْ غَيْرِهِمْ وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ يَذَلُّهُمْ وَ يَهِينُهُمْ

سوره البقره (٢): آيه ٩١

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَقُولُوا نَحْنُ نَكْفُرُ وَ مَا وَرَاءَهُ وَ هُوَ الْحَقُّ مُصِدًّا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩١)

٨٩ وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ كَلَامُ اللَّهِ الْمُنزَلِ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ

و انقادوا بإيمانكم الى اتباعه فقد عرفتم انه من الله و قامت به الحجج عليكم قالوا من غيرهم و بغيهم و ضلال عصبيتهم اليهوديه نؤمن بما أنزل علينا و مفهوم قولهم الكفر بغير ما فى كتبهم و يكفرون بما وراءه أى بما عداه مما أنزله الله على غيرهم كقوله تعالى و أحل لكم ما وراء ذلكم او ما بعده و الحال ان القرآن الذين يكفرون به إذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله هو الحق مصدقا لما معهم من صفه الرسول و ان الله يجعل كلامه فى فمه و انه من إخوانهم ولد إسماعيل لا منهم أى هو الحق الذى يكون به صدق تلك المواعيد ثم رد الله منطوق قولهم نؤمن بما أنزل إلينا مبينا كذبهم فى هذه الدعوى و تمادى أسلافهم على معانده الإيمان و القوم أبناء القوم و على وتيرتهم فقال جل اسمه لرسوله قل لهم فى ردهم فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين بما أنزل إليكم فإن أنبياء الله لم يدعوكم إلا إلى الإيمان و العمل بما أنزل إليكم

سوره البقره (٢): الآيات ٩٢ الى ٩٣

و لَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ (٩٢) وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٩٣)

٩٠ و لَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ و الآيات الباهره التى لا مجال بعدها للشك و الانحراف عن الإيمان ثم اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ و ارتددتم ذلك الارتداد القبيح و أشركتم و أنتم ظالمون ٩١ و اذكروا إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ على الإيمان و التوحيد و العمل بالتوراه وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اسْمِعُوا و هو معنى قوله تعالى فى الآيه الستين وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ أى انهم بسبب كفرهم و غيهم انهمكوا فى حب العجل حتى كأن العجل دخل فى اعماق قلوبهم كما يدخل المشروب الذى يقبل عليه الإنسان الى اعماق بدنه حتى صار العجل كالحبيب الحاضر فى القلب بحبه. و الذى اشربهم إياه فى قلوبهم هو الشيطان او غوايه الأهواء. ثم عاد الكلام على توبيخهم و ردهم فى قولهم الكاذب (نؤمن بما أنزل إلينا) بما معناه ان الإيمان يأمر و يحمل على اتباع ما آمن الإنسان به و العمل به. و الذى انزل عليكم يأمركم بتوحيد الله و مجانبه

الأوثان و عبادته وحده و طاعه الأنبياء و احترامهم و الإيمان برسول الله و كتابه. أفتقولون ان إيمانكم المزعوم الموهوم أمركم بما ذكر من أفعالكم القبيحة إذن قل بِسْمِ مَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ و اين منكم الإيمان و لكن قيل إن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ للمجاراه في خطابهم و التنازل من النفي الى صورته التشكيك و هذا من بديع الأساليب فى التقرير و التوييح. و من افحامهم بالحجه انهم يدعون انهم هم شعب الله و لهم الآخره و النجاه و النعيم و انهم أبناء الله و أحباؤه كما فى سوره المائده

سوره البقره (٢): الآيات ٩٤ الى ٩٦

قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ (٩٤) وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٩٥) وَ لَتَجِدَنَّهْم أٰحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَ مَا هُوَ بِمُرْحَرَ حِجِّهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٩٦)

و يذكرون فى توراتهم انهم ابن الله البكر فقال الله لرسوله ٩٢ قل لهم إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة مختصه بكم من دون الناس فتمنؤا الموت شوقا لما أعد فى الآخرة من النعيم العظيم الدائم و السعاده الكبرى لأهلها إن كُنتُمْ صَادِقِينَ فى زعمكم عارفين بصدقكم ٩٣ وَ لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ من موبقات الخطايا و الضلال و إن جحدوا ذلك فإنه لا يخفى على الله وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ٩٤ وَ زياده على انهم لا يتمنون الموت لتجدنهم أحرص الناس على حياه أى حياه ما و إن كانت قليلة وَ احرص على الحياه من الذين أشركوا الذين ينكرون المعاد و النعيم بعد الموت يودُّ أحدُهُمْ من حرصهم على الحياه لَوْ يُعَمَّرُ الظاهر ان «لو» بعد «ود». و يودُّ» مصدرية كما حكاه فى المعنى عن الفراء و أبى على و أبى البقا و التبريزى و ابن مالك. يؤتى بها بدل «ان» فيما كان مدخولها بعيد الحصول او ممتنعا فى نفسه او بحسب العاده. او يراد ابرازه بصورة البعيد او الممتنع. و ذلك كما فى الآيه و الآيه ١٠٣ و سور آل عمران ٢٨ و ٦٢ و النساء ٤٥ و ٩١ و ١٠٣ و الحجر ٢ و الأحزاب ٢٠ و القلم ٩ و المعارج ١١. و ما لا يكون كذلك تأتى فيه مكان «لو» أن المفتوحه المشدده المصدرية كما فى سورتي الأنفال ٧ و هود ٨٢. أو «ان» الساكنه المصدرية كما فى هذه السوره ٩٩ و ٢٦٨. أو «ما» المصدرية كما فى سوره آل عمران ١١٤ و ليس فى «لو» هذه معنى التمنى كما هو ظاهر و بدليل ان ما يقع بعد الفاء متفرعا على ما بعدها لم يجئ فى القرآن إلا

مرفوعاً كقوله تعالى في سورة النساء ٩١ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سِوَاءً وَ ١٠٣ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ وَ فِي سُورَةِ الْقَلَمِ ٩ وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ. وَ التى هى للتمنى جاء ما بعد الفاء بعدها منصوباً كما فى قوله تعالى ١٦٢ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ وَ فى سورة الزمر لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ بِنَصْبٍ أَكُونَ «فإن قيل» ان «لو» التى بعد يودُ و ودَّ كيف تكون مصدرية مع انها تقع بعدها اداة مصدرية كما فى قوله تعالى فى سورة آل عمران ٢٨ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا. وَ فى سورة الأحزاب ٢٠ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ «قلت» ان «لو» كيفما كانت لا تدخل على الجملة الاسمية بل لا بد فيها من تقدير فعل. فالتقدير إذن لو يمكن او لو يتيسر و نحوهما كما تقول تود أن يتيسر ان بينها و بينه أمدا و يودوا أن يمكن او يتيسر انهم بادون. و عبر بذلك التعبير لخصوصية «لو» و ظهور المقام و خصوص الجملة الاسمية فى مزايا الكلام كما لا بد من هذا التقدير على قول القائل انها للتمنى أَلْفَ سِنِينَ وَ ماذا ينفعه ذلك التعمير. هل يحط عنه شيئاً من ذنوبه او يدفع عنه العذاب ما لم يؤمن و يعمل صالحاً. كلا وَ ما هُوَ أى أحدهم بِمُزْحَازِحِهِ مُزْحَازِحِهِ خبر للضمير هو و الباء زائده لتأكيد النفي مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ المصدر فاعل لمزحازه أى و ما هو مزحازه تعميره وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ من السيئات و ان طول أعمارهم فى عمل السيئات هو الذى يركسهم فى درك العذاب

سورة البقرة (٢): الآيات ٩٧ الى ٩٨

قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧) مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ (٩٨)

٩٥ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى الْقُرْآنِ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الْحَقِيقِيهِ وَ معارف الحق وَ هُدًى حال ثان معطوف على مصدقا وَ بُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ أى ان الذى يهتدى و يصل به الى الحق و يكون القرآن له بشرى انما هم المؤمنون. و الآيه تشعر بان لها شأن و سبب نزول و السياق يقتضى ارتباطه باليهود. و قد روى فى ذلك شىء ذكره فى الدر المنثور و لكنه غير متصل الإسناد و لا سالم من الخلل. و روى فى تفسير البرهان شىء و فى مستنده ما فيه و ذكر القمى شيئاً و لم يذكر مأخذه و الله هو العالم بحقيقته الحال ٩٦ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ رُسُلِهِ

وَ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ اى لا يكون كذلك الا كافر و الله عدو للكافرين و كفى بذلك خزيا لهم و وبالا

سوره البقره (٢): الآيات ٩٩ الى ١٠٢

وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَ مَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (٩٩) أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٠) وَ لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَ اتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَ مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ مَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ يَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ وَ لَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٢)

٩٧ وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَا رَيْبَ فِيهَا وَ مَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ طَاعَةِ الْحَقِّ وَ الرِّشَادِ وَ اسْتَحَبُوا الْكُفْرَ ٩٨ أَوْ كَلَّمَا اسْتَفْتَاهُمُ لِلتَّبِيخِ وَ التَّقْرِيعِ عَلَى عَادَتِهِمُ الْقَبِيحَةَ مِنْ أَنَّهُمْ كَلَّمَا عَاهَدُوا اللَّهَ أَوْ رَسَلَهُ أَوْ أَنْبِيَاءَ عَهْدًا نَبَذَهُ وَ أَلْقَاهُ كِنَايَةً عَنْ نَقْضِهِ وَ مَخَالَفَتِهِ فَرِيقٌ مِنْهُمْ لَيْسَ الْفَرِيقُ الْقَلِيلُ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَ لَا يَثْبُتُونَ عَلَى عَهْدِهِمْ وَ مِنْهُمْ بَنُو قُرَيْضَةَ وَ النُّضَيْرِ وَ قَيْنِقَاعٍ وَ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ نَقَضَ عَهْدَهُ وَ مِيثَاقَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ وَ الْمُسْلِمِينَ أَقْبَحَ نَقْضَ بِأَقْبَحِ غَدَرٍ ٩٩ وَ لَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ هُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ مِنَ التَّوْحِيدِ وَ إِسْرَالِ الرِّسَالِ وَ أَنْزَالِ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ وَ صِفَاتِ الرِّسُولِ الَّذِي وَعَدُوا بِهِ وَ تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ هُوَ الْمَصْدَاقُ الْمَصْدُوقُ وَ جَاءَهُمْ بِالْكِتَابِ كَلَامَ اللَّهِ الْمَذْكُورِ فِي تَوَارِيهِمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ هُمُ الْأَكْثَرُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ كِتَابَ اللَّهِ الْقُرْآنَ الَّذِي قَامَتْ بِهِ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ وَ عَلِمُوا بِأَنَّهُ كِتَابُ اللَّهِ وَ رَمَوْهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كِنَايَةً عَنْ إِعْرَاضِهِمْ وَ كُفْرِهِمْ بِهِ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ كِتَابُ اللَّهِ الْمُبَشِّرُ بِهِ فِي كِتَابِهِمْ وَ قَامَتْ بِهِ الْحُجَّةُ الْبَيِّنَةُ ١٠٠ وَ اتَّبَعُوا مِنَ الْأَبَاطِيلِ وَ الْكُفْرِ مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ أَيْ عَلَى أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ وَ مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَ لَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَ مَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ

روى ابن بابويه فى العيون عن الرضا عليه السلام ان هاروت و ماروت علما الناس السحر ليحترزوا به عن سحر السحره و ييطلوا كيدهم

و ذكر مضمون

ص: ١١١

قوله تعالى وَ مَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَنْذِرَاهُ وَيَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ مِنْ جِهَةِ فِتْنَةٍ وَ ابْتِلَاءٍ وَ امْتِحَانٍ نَعْلَمُ النَّاسَ لَغَايِهِ صَاحِبَهُ فَلَا تَكْفُرْ وَ تَسْتَعْمَلُ مَا نَعْلَمُهُ فِي غَايَاتِ الضَّلَالِ فَيَتَعَلَّمُونَ أَى النَّاسِ مِنْهُمَا مِنْ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ وَ مَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ الْمَرَادُ مِنَ الْإِذْنِ عَدَمُ إِبْطَالِ اللَّهِ لِأَثْرِ السِّحْرِ أَى لَيْسَ أَثَرُ السِّحْرِ أَمْرًا لَازِمًا لَا يَقْدِرُ اللَّهُ عَلَى رَفْعِهِ وَ لَكِنْ لَمْ يَبْطُلْ بِلِ خَلَى بَيْنَهُ وَ بَيْنَ النَّاسِ فِي سُوءِ اخْتِيَارِهِمْ كَمَا خَلَى بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ سَائِرِ الْمَعَاصِي وَ أَنْوَاعِ الظُّلْمِ لِحُكْمِهِ قَدْرَهَا فِي الْعَالَمِ وَ يَتَعَلَّمُونَ مِنَ السِّحْرِ مَا يُضُرُّهُمْ وَ لَا يَنْفَعُهُمْ إِذْ لَا يَسْتَعْمَلُونَهُ فِي إِبْطَالِ سِحْرِ السِّحْرِ وَ دَفْعِ كَيْدِهِمْ.

روى القمى فى تفسيره ان الباقر (عليه السلام) سأله عطا بمكه عن هاروت و ماروت فذكر من أمرهما فى المعصيه

نحو ما يذكر الجمهور عن ابن عباس و ابن عمر و كعب الأخبار كما تراه مجموعا فى الدر المنثور و فيما ذكرنا روايته عن الرضا (عليه السلام) نحو معارضه لما روى عن الباقر عليه السلام و روايه عن الباقر محمد بن قيس و هو مشترك بين الضعيف و غيره و يمكن أن يكون الباقر (عليه السلام) بحسب حال الوقت و عطا حكى له ما يروونه عن ابن عمر و ابن عباس و كعب من دون ما يشعر بتصديقه. و الشيخ فى التبيان لم يشر الى هذه الروايه و يبعد أن يكون لم يطلع عليها. و القول بكونها منافع لعصمه الملائكه يمكن دفعه بأن يقال بأن المسلم من عصمتهم هو ما داموا مجردين عن الشهوه و الحرص لا ما إذا جعلوا فيهم كما تقوله الروايه و الله العالم بحقيقه الحال وَ لَقَدْ عَلِمُوا اللَّامَ لِلْقَسَمِ وَ الْجَمْلَةَ الَّتِي بَعْدَهَا جَوَابُهُ لَمَنْ اشْتَرَاهُ اللَّامَ لِلْإِبْتِدَاءِ وَ «مَنْ» مَبْتَدَأُ وَ الضَّمِيرُ يَعُودُ إِلَى السِّحْرِ وَ مَا تَلَوَهُ الشَّيَاطِينُ. وَ عِبْرٌ عَنِ اتِّبَاعِهِ وَ تَعَلُّمِهِ بِالشَّرَاءِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُمْ بَدَلُوا بِإِزَائِهِ وَ بَدَلًا عَنْ دِينِهِمْ وَ آخِرَتِهِمْ فَمَنْ اتَّبَعَهُ وَ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْمَآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ أَى نَصِيبٍ وَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ وَ جَمْلُهُ «مَالَهُ» خَيْرٌ «لِمَنْ» وَ الْجَمْلَةُ مِنَ الْمَبْتَدَأِ وَ الْخَبْرُ مَعْمُولُهُ «لَعَلَّمُوا» لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي أَفْعَالِ الْقُلُوبِ أَنْ تَتَعَلَّقَ فِي الْعَمَلِ بِالنَّسْبِ الْمَوْجُودِ فِي الْجَمَلِ وَ لَيْسَ مَا شَرَوْا

أى باعوا. و يمكن أن يراد به معنى الاشتراء المتعارف على نحو ما ذكرناه فى الآيه الثامنه و الثمانين بِهِ أَنْفُسِهِمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
فانه أقبح الأثمان و أخسها

سوره البقره (٢): الآيات ١٠٣ الى ١٠٤

وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (١٠٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَ قُولُوا انظُرْنَا وَ اسْمَعُوا
وَ لِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤)

١٠١ وَ لَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُمْ مما يريدونه بعمل السحر و تعلمه فضلا عن كمال الإيمان و التقوى و
خسه السحر و نقصه و اللام رابطة لجواب «لو» و مثوبه بمعنى ثواب مبتدأ و خير خبره و الجمله جواب لو. و نكرت «مثوبه» لبيان
ان فردا و اقل مصداق مما عند الله من الثواب خير لهم مما اتبعوه لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ وَ لو هنا بمعنى التمنى جريا على ما يستعمله
الناس فى المحاورات فى مثل المقام و الله يجل و يتقدس عن حقيقه التمنى ١٠٢ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

اخرج احمد فى مسنده عن ابن عباس و فى الدر المنثور اخرج ابو نعيم فى الحليه عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله
عليه و آله) ما أنزلت آيه فيها يا ايها الذين آمنوا إلا و على رأسها و أميرها. و فى الحليه ان الناس يروون هذا الحديث و فى
الينايع أخرجه موفق بن احمد عن مجاهد و عكرمه عن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) و قال موفق رواه جماعه
من الثقاف هم الأعمش و الليث و ابن أبى ليلى و غيرهم عن مجاهد و عكرمه و عطا عن ابن عباس عن رسول الله. و فى الصواعق
أخرجه الطيرانى و ابن أبى حاتم عن ابن عباس و اللفظ إلا و على عليه السلام أميرها و شريفها. و فى كشف الغمه من نحو هذا
كثير عن ابن مردويه بأسانيد عن ابن عباس و حذيفه.

و لا- معنى للروايه إلا- أن عليا (عليه السلام) رأس الذين آمنوا و أميرهم و شريفهم لا- تَقُولُوا رَاعِنَا وَ قُولُوا انظُرْنَا جاء فى الآيه
التاسعه و الأربعين من سوره النساء ان اليهود يحرفون الكلم عن مواضعه و يقولون راعنا ليا بألستهم و طعنا فى الدين.

و فى تبيان الشيخ قال ابو جعفر (عليه السلام) يعنى الباقر هذه الكلمه «يعنى راعنا» سبّ بالعبرانيه اليه كانوا يذهبون

قال الحسين بن على المغربى فبحثت عن ذلك أى عن السب الذى ذكره الباقر (عليه السلام) فوجدتهم يقولون راع على وزن
قال بمعنى الفساد انتهى أقول و قد تتبعت العهد القديم العبرانى فوجدت ان كلمه «راع» بفتح مشاله الى الألف و تسمى عندهم
«قامص» تكون بمعنى الشر او القبيح. و من ذلك ما فى الفصل الثانى و الثالث من السفر الأول من توراتهم و بمعنى الشرير واحد
الأشرار. و من ذلك ما فى الفصل الأول

من السفر الخامس. و في الرابع و الستين و الثامن و السبعين من مزاميرهم. و في ترجمه الأناجيل بالعبرانيه و «نا» ضمير المتكلم و في العبرانيه تبدل الفها واوا او تمال الى الواو فتكون راعنا في العبرانيه بمعنى شيرينا و نحو ذلك. و راعنا في العريه فسرهما في التبيان استمع منا و نسمع منك و في القاموس استمع لمقالى و في النهايه المراعا الملاحظه و نهى المؤمنون عن قولهم لرسول الله (صلى الله عليه و آله) راعنا لثلا- يتخذها اليهود في خطابهم لرسول الله و سيله لسبه و الطعن في الدين و اسيمعوا ما يقول الرسول و للكافرين الذين يسبون رسول الله او الذين لا يسمعون قوله

سوره البقره (٢): الآيات ١٠٥ الى ١٠٦

مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (١٠٥) مَا نَنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِخُهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٦)

عذاب أليم ١٠٣ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب و لا من المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم و الله يختص برحمته من يشاء على مقتضى المصلحه و الأهليه فإنه اعلم حيث يجعل رسالته و الله ذو الفضل العظيم لا يمنع فضله عن من هو اهل من أى قوم كان ١٠٤ ما ننسخ من آية قد سمى القرآن ما جاء في الكتب الإلهيه السابقه بالآيه و الآيات و مدح من يتلوها فى سوره آل عمران بعد ذم اهل الكتاب ١٠٩ ليسوا سواء من أهل الكتاب أمه قائمه يتلون آيات الله آناء الليل و هم يسجدون و فى سوره مريم بعد ذكر النبيين و الصالحين من السلف ٥٩ إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً و بكيًا فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة الآيه و فى سوره الزمر ٧١ ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم و النسخ و التبديل نظيران و الظاهر ان المراد تبديلها لا تبديل حكمها بالنسخ الاصطلاحى فإن فى الثانى تجوز لا قرينه عليه بل قد يمنع منه السياق و الضماير أو نسيها بضم النون الأولى و سكون الثانيه و كسر السين و حذف الياء حرف العله للجزم بالعطف على نسخ و هو من النسيان و أنسى بالألف اللينه حرف العله ينسى بالياء فى آخرها لا من النسيء و انسا ينسا بالهمزه فى الأواخر و لو كان من ذلك لكان جزمه بسكون الهمزه أو الياء إذا أبدلت ياء إذ لا يجوز حذفها لأنها ليست بحرف عله و ان مناسبه السياق فى الآيه التى قبلها لتشير الى ان المضمون هو انه و ان كبر على اهل

الكتاب نسخ كتب الأنبياء و آياتها بالقرآن و آياته في مقام التلاوه و الذكر و الصلاه و الشريعه و الهدايه و غير ذلك فضلا عن ان تلك الكتب و آياتها قد حرفت و بدلت حتى صارت حقيقتها نسيا منسيا فإن القرآن منزل من الله بحسب المصلحه التي اقتضت انزاله و انه ما ننسخ من آيه او ننسها نأتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا فِي الْأَثَرِ. أَوْ مِثْلِهَا و نسب الإنساء الى الله مجازا كما نسب الإضلال باعتبار تمرد المنتسبين الى كتابها حتى خرجوا عن أهليه اللطف و التوفيق فوكلهم الله الى أنفسهم الأماره فحرفوها و بدلوها الى ان صارت نسيا منسيا. و لا مصداق لهذه الآيه في آيات القرآن بعضها مع بعض. اما نسخ نفس الآيه القرآنيه بمعنى نسخ تلاوتها فلا- تكاد أن تعرف له مصلحه تقتضيه فضلا عما يختلج من وجوه المفسده مضافا إلى انه لا دليل على وقوعه و لئن روى في ذلك شىء فقد مرّ في الأمر الثاني و الثالث من الفصل الثاني من المقدمه ما يبطله و يكذبه و قد حكى عن مقالات الشيخ المفيد ان عدم هذا النسخ مذهب الشيعة و جماعه من اهل الحديث و غيرهم. و اما ما حكى عن العلامه في نهايه الأصول. و الكركى في طهاره جامعه و الطبرسى. في اقسام النسخ من القول بوقوعه. فقد استندوا له بما يزعم من آيه الرجم و قد أشرنا الى ما فيها مضافا الى ما ذكر. و الظاهر ان نسخه بهذا المعنى مناف لقوله تعالى إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ و اما انساؤها و نسيانها فهو مناف لآيه الحفظ المذكوره و لقوله تعالى سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى و لا تثبت بقوله تعالى إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ فَإِنِ حَمَلَ الْكَلَامَ عَلَى الْإِسْتِثْنَاءِ بِالْمَشِيئَةِ لَا يَبْقَى وَجْهًا لِلْإِمْتِنَانِ وَ الْوَعْدِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى سَيُنقِرُوكَ فَلَا تَنْسَى بَلِ انِ الْمَقْصُودُ مِنْهُ الْإِسْتِدْرَاكُ لِبَيَانِ انِ عَدَمِ النِّسْيَانِ إِنَّمَا هُوَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَ مَشِيئَتِهِ لَا لِأَمْرِ طَبِيعِي لِأَنَّهُ لَوْ اقْتَضَتْ الْمَصْلَحَةُ وَ شَاءَ اللَّهُ انِ يَتْرَكَهُ وَ بَشْرِيَّتَهُ لَنْسَى كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ هُودٍ ١١٠ وَ أَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَحْذُودٍ وَ قَدْ أَطْلَقْنَا الْكَلَامَ فِي الْمَقَامِ لِأَنَّهُ لَمْ يَعْطِ حَقَّهُ أَلَمْ تَعْلَمْ خُطَابَ وَ تَوْبِيخَ لِلْإِنْسَانِ بِدَلِيلِ مَا يَأْتِي أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ يَنْزِلُ الْخَيْرَ وَ يَرْسِلُ الرِّسَالَ وَ يَرْحَمُ وَ يَلْطَفُ بِهِمْ وَ يَأْتِ بِخَيْرٍ مِمَّا نَسَخَ وَ لَا يَخْصُ بِلُطْفِهِ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ وَ هُمْ أَهْلٌ لَهُ

سوره البقره (٢): آيه ١٠٧

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (١٠٧)

١٠٥ أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كُلُّ النَّاسِ عِبَادُهُ يُفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَ مَا يَقْتَضِيهِ لُطْفُهُ وَ رَحْمَتُهُ

سوره البقره (٢): الآيات ١٠٨ الى ١١١

أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَ مَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١٠٨) وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسِيدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٠٩) وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ وَ مَا تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١١٠) وَ قَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَاتِيهِمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١)

وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ ١٠٦ أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ كَافَهُ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ مِنْ طَلِبِهِمْ رُؤْيَاهُ اللَّهُ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ اقْتِرَاحَاتِ الْعِنَادِ وَ مَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ يُقَالُ ضَلَّ الطَّرِيقَ وَ ضَلَّ عَنْهُ ١٠٧ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا قَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ فِي «لَوْ» بَعْدَ «وَدَّ» فِي الْآيَةِ الرَّابِعَةِ وَ التَّسْعِينَ حَسِيدًا لَكُمْ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ الْأَمَارَةُ الزَّائِعَةُ الَّتِي اخْتَارُوا غَوَايَتَهَا عَلَى هَدْيِ عَقُولِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَ اصْفَحُوا عَنْ فَلَاتٍ حَسَدِهِمْ وَ مَحَاوَلَتِهِمْ لِاضْلَالِكُمْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ مِنَ الْأَمْرِ بِعِقَابِهِمْ مِنَ الطَّرْدِ وَ الْجَلَاءِ أَوْ الْقَتْلِ حِينَمَا يَتَظَاهَرُونَ بِالْغَدْرِ وَ الْعِدَاوَةِ لَكُمْ وَ لِلدِّينِ فَتَقُومُ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ وَ يُمْكِنُكُمْ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٠٨ وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ بِحُدُودِهَا وَ مَوَاقِيتِهَا وَ آتُوا الزَّكَاةَ فَإِنَّ ذَلِكَ خَيْرٌ يَعُودُ لِأَنْفُسِكُمْ وَ مَا تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ فِي دَارِ الْعَمَلِ وَ التَّكْلِيفِ لِدَارِ الْجَزَاءِ وَ النِّعَمِ مِنْ خَيْرٍ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ تَجِدُوهُ أَى تَجِدُوا جَزَاءَهُ وَ ثَوَابَهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ وَ إِنْ أُسْرْتُمْ بِهِ ١٠٩ وَ قَالُوا أَى أَهْلِ الْكِتَابِ الْمَذْكُورُونَ فِيمَا قَبْلَ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَى يَهُودِيَا قَالَتِ الْيَهُودُ ذَلِكَ وَ قَالَتِ النَّصَارَى لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ نَصْرَانِيَا وَ أَوْجَزَ الْكَلَامَ بِأَحْسَنِ إِيجَازٍ بِقَوْلِهِ تَعَالَى أَوْ نَصَارَى وَ مَغْزَى كَلَامِ كُلِّ مِنْهُمُ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ تِلْكَ أَى دَعْوَى كُلِّ فَرِيقٍ

منهم انهم يدخلون الجنة أمائهم الكاذبه التي يعللون بها أنفسهم انهم يدخلون الجنة قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ وَحُجَّتْكُمْ عَلَى هَذِهِ الدَعَاوَى وَتِلْكَ الْأَمَانِيُّ إِنَّ كُنتُمْ صَادِقِينَ فِيهَا فَإِنَّ الصَّادِقَ لَا بَدَلَ لَهُ مِنْ حُجَّةٍ وَبُرْهَانٍ

سوره البقره (٢): الآيات ١١٢ الى ١١٣

بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١١٢) وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١١٣)

١١٠ بلى رد و ابطال للنفي الذى قالوه على نحو قوله تعالى فى سوره التغابن زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ مَنْ أَسْلَمَ نَحْوَ اسْلَمَ أَمْرَهُ إِلَى اللَّهِ أَى وَ كَلَهُ وَ خَلَاهُ وَ لَمْ يَتَدَاخَلْ فِيهِ بِمَعَارِضِهِ الْمَشِيئَةِ فَالْمُرَادُ هُنَا كَمَا فِي سوره آل عمران ١٨ وَ النِّسَاء ١٢٤ وَ لِقَمَانَ ٢١ أَى وَ كَلَّ وَ خَلَا وَ جَهَّهَ الْوَجْهَ مَعْرُوفٌ وَ الْمُرَادُ الْكِنَايَةِ عَنْ إِقْبَالِهِ وَ تَوَجُّهِهِ فِي سَبِيلِ الْمَعْرِفَةِ وَ الْعِبَادَةِ وَ الطَّاعَةِ وَ طَلَبِ التَّوْفِيقِ وَ الْهُدَى وَ اسْلَمَهُ لِلَّهِ وَ لَمْ يَتَدَاخَلْ فِيهِ بِزَيْغِ الْأَهْوَاءِ وَ نَزَعَاتِ الضَّلَالِ وَ نَزَعَاتِ النَّفْسِ الْأَمَّارَةِ. وَ إِلَى هَذَا تَنَحُّوْا قَوْلَهُمْ فِي التَّفْسِيرِ.

أَخْلَصَ نَفْسَهُ لِلَّهِ. أَوْ وَجْهَهُ لَطَاعَةِ اللَّهِ. أَوْ فَوَّضَ أَمْرَهُ لَطَاعَةِ اللَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ فِي عَمَلِهِ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ أَفْرَدَ الضَّمَايِرَ بِاعْتِبَارِ لَفْظِ «مَنْ» وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ مِنْ أَجْلِ اسْتِحْقَاقِهِمْ لِلْعِقَابِ. قَالَ فِي الدَّرِ الْمَنْشُورِ فِي نَزُولِ الْآيَةِ الْآتِيَةِ أَخْرَجَ ابْنَ إِسْحَاقَ وَ ابْنَ جَرِيرَ وَ ابْنَ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ ذَكَرَ قِصَّةَ ذِكْرَتِ فِي التَّبْيَانِ وَ مَجْمَعِ الْبَيَانِ بِقَوْلِهِمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ أَوْرَدَهَا الْوَاحِدَى كَالْمَعْلُومَاتِ بِلَا رِوَايَةٍ وَ فِي الْقِصَّةِ أَنْ وَاحِدًا مِنْ نَصَارَى نَجْرَانَ قَالَ لِلْيَهُودِ مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ وَ جَحَدَ نَبُوهُ مُوسَى وَ كَفَرَ بِالتَّوْرَةِ. وَ يُوْهَنُ الْقِصَّةُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي النِّصَارَى مِنْ يَجْحَدُ نَبُوهُ مُوسَى وَ يَكْفُرُ بِالتَّوْرَةِ بِحَيْثُ يَنْسَبُ اللَّهُ كَلَامَهُ إِلَى النِّصَارَى بِقَوْلِهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى وَ مَا آفَهُ الْأَخْبَارُ إِلَّا رَوَاتُهَا ١١١ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى نَحْلَتِهِمْ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ لِأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى نَحْلَتِهِمْ وَ كُلٌّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ يُوْجِهُ قَوْلَهُ الْمَذْكُورَ إِلَى كُلِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى نَحْلَتِهِ حَتَّى إِلَى الْمُسْلِمِينَ يَقُولُونَ قَوْلَهُمْ هَذَا وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَى نَوْعِهِ وَ هِيَ الْكُتُبُ الَّتِي بِأَيْدِيهِمْ وَ يَنْسَبُونَهَا إِلَى الْوَحْيِ وَ النَّبُوهِ مَعَ أَنْ فِي تِلْكَ الْكُتُبِ كَلِمَاتٌ حَقٌّ وَ بَقِيَّةٌ مِنَ الْوَحْيِ الْحَقِيقِيِّ بِحَيْثُ يَدِينُونَ

به و في تلك الكلمات التي يتلونها ما حاصله ان الجنة و النجاه و دين الحق مقرونه بتوحيد الله حق التوحيد و عبادته و طاعته و التصديق بأبيائه و كتبه و آياته و ان في اليهود قبل زمان عيسى و في النصارى من خواص المسيح و اتباعه من كان على الصراط المستقيم من ذلك فكيف يقول كل فريق قوله المذكور و هم يتلون كتبهم و يعلمون ما هو الأساس في دين الحق و كذلك قال المشركون الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مَا هُوَ الْأَسَاسُ فِي دِينِ الْحَقِّ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ و يحكم لمن كان على حقيقه الدين الصحيح

سوره البقره (٢): الآيات ١١٤ الى ١١٥

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١٤) وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (١١٥)

١١٢ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ المسجد هو الذى تعتاد فيه عباده الله و السجود له و إن كان من المشاهد التى لا تسمى فى اصطلاح الفقهاء مسجداً أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ و يعبد فيها بالصلاه و تلاوه كتابه و سَعَىٰ فِي خَرَابِهَا و فى التبيان قيل المراد به مشركو العرب من قريش لأنهم صدوا رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن المسجد الحرام و هو المروى عن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) قلت و فى الدر المنثور اخرج ابن إسحاق و ابن أبى حاتم عن ابن عباس ما هو من هذا النحو و عليه فمعنى خرابه أن يبقى للعباده الباطله كالمكاه و التصديه و السجود للأصنام و طواف العراه من الرجال و النساء. و الظاهر ان ما روى بيان لمورد النزول الذى لا- يجعل العام خاصا و فى المقام تفاسير عجيبه غريبه منها ما ذكره الواحدى عن قتاده و ذكره غيره عن الحسن ايضا و هو ان يختنصر خَرَبَ بيت المقدس و أعانته على ذلك النصارى. و ليت شعرى اين يختنصر من النصارى و هو قبل المسيح بنحو ستمائه سنه و قريب منه فى الغرابه ما ذكره الواحدى. و روى عن كعب الأبحار أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا أى مساجد الله إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١١٣ وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ على سبيل المثال أى له جميع الجهات و كلها فى سلطانه بدليل قوله تعالى فيما يأتى لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فى تحويل القبلة من بيت

المقدس وجهه الشمال الغربى الى الكعبه وجهه الجنوب اى و لله كل الجهات ليس لوجهه من الجهات دون الأخرى خصوصيه ذاته طبيعیه تربطها بالتوجه الى عباده الله و دعائه فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ و حاشا لله أن تختص به جهه او مكان.

و فى صحيحه الفقيه عن إسحاق بن عمار عن أبى عبد الله (عليه السلام) و نزلت هذه الآيه فى المتحير اى فى صلاه الفريضة وَ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا الْآيَةُ.

و روى انه احتج الصادق (عليه السلام) بالآيه لصحة سجود التلاوه لغير القبلة كما فى روايه الصدوق فى العلل عن الحلبي عنه (عليه السلام). و لعدم القضاء لصلاه الفريضة إذا صليت خطأ لغير القبلة كما فى روايه التهذيب عن محمد بن الحصين الجعفى عنه (عليه السلام).

و روى الجمهور فى صحة الصلاه فى هذه الصورة انه اخبر رسول الله (صلى الله عليه و آله) بها او سئل عنها فنزلت الآيه.

ذكر فى الدر المنثور اسماء عشره اخرجوا هذا عن عامر بن ربيعه. و اسماء ثلاثه اخرجوه عن جابر الانصارى.

و رواها الواحدى فى اسباب النزول باسناده عن عامر و جابر. و فى الدر المنثور ان ابن مردويه اخرج نحوه بسند ضعيف عن ابن عباس.

و فى روايه الصدوق المتقدمه ان الصادق عليه السلام احتج بالآيه لصحة صلاه النافله على الدآبه أينما توجهت.

و فى الدر المنثور ذكر اسماء عشره منهم مسلم و الترمذى و النسائى اخرجوا ذلك عن ابن عمر. و اسماء اربعة منهم الحاكم و صححه عن ابن عمر ايضا. و فى الدر المنثور اخرج ابن جرير و ابن المنذر عن مجاهد قال لما نزلت اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ قَالُوا الى اين فأنزلت فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ. هذا و ان النظر الى مجموع هذا المروى و دلالة الآيه و حجتها يرشد بأن روايه نزولها فى مورد خاص إنما هو باعتبار انطباقها عليه و ارادته فى عموم تنزيلها. كما ان المروى و لسان الآيه و سوقها تشهد بأن مفادها قاعده عامه مبينه بالحجه التى يشهد بها العقل ايضا إلا ان الله خص بعض الأماكن تكريما لها بأن يستقبلها من يصلى الفريضة و قسما من النافله و يوجه إليها الميت و الذيحه حسبما يدل عليه الكتاب و السنه و ما عدا ذلك يبقى لحكم العموم فى هذه الآيه المحكمه و حجتها.

و يؤكد عمومها و يحكمه قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ فِي الرَّحْمَةِ وَ اللَّطْفِ عَلِيمٌ بمن يتوجه الى حضرته بالطاعه. و من العجيب قول الواحدى و مذهب ابن عباس ان هذه الآيه منسوخه بقوله تعالى وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ. أ فلا يعلم كل مسلم ان آيه فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا إن

كان نزولها قبل تحويل القبلة الى الكعبة فهي مخصصه من أول نزولها بالتوجه في الفريضة الى جهه خاصه و كانت إذ ذاك جهه بيت المقدس لأن صلاه الرسول إليها كان من أول وروده الى المدينة: و ما عشت أراك الدهر عجبا: فقد نشأ في بدع قوم في عصورنا يمنعون و يضربون من يتوجه في مسجد الرسول الأكرم عند دعائه و استشفاعه بالرسول الى جهه قبره الشريف في ناحيه المشرق كأن الله لم ينزل الآيه المتقدمه و لم يعرفوا من العاده ان المستشفع يقدم شفيعه بين يديه. و يحكم الله و هو خير الحاكمين

سوره البقره (٢): الآيات ١١٦ الى ١١٨

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (١١٦) يَدْعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (١١٧) وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ (١١٨)

١١٤ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا و القائل بذلك النصرارى بل و غيرهم ممن أخذوا عنه كاليونان و غيرهم و البراهمه و البوذيين إذ جعلوا زعماء ديانتهم آلهه مولودين من الله سُبْحَانَهُ تنزيها و تعظيما له عن ذلك بَلْ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ و الكل سواء في انهم مخلوقون لله و لله و ملكه كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ ذكروا من معانى القنوت الخشوع و الطاعه أى خاشعون او مطيعون بالانقياد لخالقيته و قدرته و إلهيته فأين الولديه و الإلهيه من المخلوق و جاء قانتون بالجمع المذكر السالم تغليبا ١١٥ بَدِيعٌ مبالغه في مبدع أى منشىء و مخترع السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآ- باحتذاء مثال قبلها و إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا أى خلق و صنع كقوله تعالى في سوره فصلت فَفَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ و قول أبى ذويب

«و عليهما مسرودتان قضاهما داود او صنع السوايح تبع»

و الأمر الشىء او الحادث فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ أى لا يحتاج الى تمهيد مقدمات و معدات يحتاج إليها وجوده و يتمتع بدونها. بل الأشياء طوع ارادته يريد فيكون و قوله تعالى يَقُولُ لَهُ كُنْ إنما هو كنايه عن ارادته بما يظهر به الناس إرادتهم و هو أمرهم فَيَكُونُ تفريع على يَقُولُ و ليس جزاء لقوله تعالى كُنْ لأن الكون بعد الفناء هو نفس الكون المأمور به لأجزائه المترتب عليه و توهم انه جزاء لذات الطلب او للكون مع الطلب مدفوع بأنه لو صح لوجب أن ينصب قوله تعالى فَيَكُونُ ١١٦ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ بمواقع حكمه الله و حجته و دلالة آياته لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ لَوْلَا- هنا بمعنى هلا- للعرض و الطلب و المراد تكليمه لهم بخصوصهم

أَوْ تَأْتِينَا آيَةً خَاصَةً بِهِمْ بِحَسَبِ اقْتِرَاحِهِمْ عَتَوَا وَاسْتَكْبَرُوا كَمَا حَكَاهُ اللَّهُ عَنْهُمْ فِي سُورَةِ الْإِسْرَاءِ الْمَكِّيَّةِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى ٩٢-٩٦ وَ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى حَتَّى تُنَزَّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فِي الْاِقْتِرَاحِ الْفَاسِدِ مَعَ انْهَمِ شَاهِدُوا مَا تَقْتَضِيهِ الْحُكْمَةُ مِنَ الْآيَاتِ وَالْدَّلَائِلِ حَيْثُ قَالَ الْيَهُودُ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً وَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا رَأُوا الدَّلَائِلَ عَلَى رِسَالَةِ مُوسَى كَأَيِّهِ الْعَصَا وَ شَقَّ الْبَحْرَ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ فِي الضَّلَالِ وَ الْكُفْرِ بِالْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ. وَ لَوْ جَرَتْ الْآيَاتُ عَلَى حَسَبِ اقْتِرَاحِ الْمُقْتَرِحِينَ مِنَ الْمُنْهَمِكِينَ بِالضَّلَالِ وَ الْمَمَارَاهِ لَخَرَجَتْ عَنْ كَوْنِهَا آيَاتٍ بَلْ صَارَتْ بِذَلِكَ أُمُورًا عَادِيَةً لَا- تَقُومُ بِهَا حُجَّةٌ فَضْلًا عَنْ أَنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ يَطْلُبُ الْمُسْتَحِيلَ عَقْلًا- كَقَوْلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً وَ هَلِ الْآيَاتُ إِلَّا مَا تَقْتَضِيهِ الْحُكْمَةُ بِحَسَبِ حَالِ الْمَدْعُوعِينَ إِلَى الْإِيمَانِ مِمَّا يَفِيدُ الْيَقِينَ وَ تَقُومُ بِالْحُجَّةِ وَ قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ «ص» بِذَلِكَ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ بِمَا يُوجِبُ الْيَقِينَ بِدَلَالَتِهِ الْكَافِيَةِ وَ لَا- يَمَارُونَ فِيهَا بِعِنَادِ الضَّلَالِ وَ تَحْكُمُ الْأَهْوَاءَ فَقَدْ نَزَلَ الْقُرْآنُ مَعْجَزًا عَلَى مَا تَقْتَضِيهِ الْحُكْمَةُ مِنْ وَجْهِ عَدِيدَةٍ فَاسْتَنَارَ بِيَقِينِهِ الْمَوْقِفُونَ وَ قَطَعَ الْمَعَازِيرَ عَلَى الْجَاهِلِينَ وَ الْمُرْتَابِينَ إِذْ تَحَدَاهُمْ بِالْإِتْيَانِ بِعَشْرِ سُورٍ أَوْ سُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ. قُلْتُ وَ قَدْ أَشِيرُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مِنَ الْمَقْدَمَةِ وَ لَا تَأْسُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ قَوْلِ هَؤُلَاءِ

سوره البقره (٢): الآيات ١١٩ الى ١٢٠

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَ نَذِيرًا وَ لَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ (١١٩) وَ لَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَ لَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَ لَنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ (١٢٠)

١١٧ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ وَ نَذِيرًا بِمَا أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ وَ الْمَعَانِدِينَ مِنَ الْعَذَابِ وَ الْهُوانِ وَ لَا تُسْئَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ الَّذِينَ اسْتَحَقُّوا بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ ١١٨ وَ لَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ وَ حَذَفَ ذَلِكَ لِدَلَالِهِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ لَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنِّي اتَّبَعْتُ الْهُدَى وَ أَيْنَ مِنْهُ أَهْوَاؤُكُمْ وَ تَقْلِيدُكُمْ فِيهَا وَ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَ لَنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ بِدِينِ الْحَقِّ وَ ضَلَالِ هَؤُلَاءِ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ اذْنُ مَا لَكَ وَ لَا لِكُلِّ أَحَدٍ قَامَتْ

عليه الحجة من عقله و تبليغك من الله متعلق بالمطلوب من الولي و النصير و هو الانقاذ و التخليص من ولي و لا نصير من زائده و ولي مبتدأ. و مالك خبره

سوره البقره (٢): الآيات ١٢١ الى ١٢٤

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٢١) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٢٢) وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ (١٢٣) وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤)

١١٩ الَّذِينَ مَبْتَدَأَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ الْقُرْآنَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ الْجُمْلَةَ حَال «لَا تِينَاهُمْ» لَا خَبْرَ فَإِنْ مَا كُلِّ مِنْ أَوْتَى الْقُرْآنَ تَلَاهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ.

و في مجمع البيان و عن العياشي عن أبي عبد الله (عليه السلام) ان حق تلاوته هو الوقوف عند ذكر الجنة و النار يسأل في الأولى و يستعيد من الأخرى.

و هذا ملازم في المعنى لما

عن الديلمي عن أبي عبد الله ايضا قال يرتلون آياته و يتفقهون به و يعملون بأحكامه و يرجون وعده و يخافون وعيده و يعتبرون بقصصه و يأترون بأوامره و ينتهون بنواهيها ما هو و الله حفظ آياته و درس حروفه و تلاوه سوره و درس أعشاره و أخماسه حفظوا حروفه و أضعوا احكامه و إنما هو تدبر آياته و العمل بأحكامه قال تعالى

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ جُمْلَةً «أُولَئِكَ» خَبْرٌ لِلَّذِينَ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ وَ ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانِ الْمَبِينِ ١٢٠ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ١٢١ وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ قَدْ مَرَّ الْكَلَامُ فِي الْآيَتَيْنِ بَعْدَ الْآيَةِ الثَّلَاثَةِ وَ الْأَرْبَعِينَ وَ قَدْ كَرَّرْتَ الْآيَتَانِ هَاهُنَا تَسْجِيلًا لِمَعْنَاهُمَا عَلَى الْيَهُودِ ١٢٢ وَ إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ فِي سِيَاقِ الْآيَاتِ الثَّلَاثِ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ الْآيَةِ وَ عَطْفُهُنَّ عَلَيْهَا يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ كَلِمَةُ «إِذِ» مَفْعُولًا «لِلذِّكْرِ» الْقَوْلِيَةِ الْمَقْدَرَةِ فَتَكُونُ الْآيَةُ وَ ارْتِبَاطُ كَلِمَاتِهَا وَ مَعَانِيهَا تَسْتَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ إِنِّي جَاعِلُكَ إِلَى آخِرِهِ تَفْسِيرًا لِلْكَلِمَاتِ وَ الْفَاعِلُ فِي أْتَمَّهُنَّ هُوَ اللَّهُ. وَ يَشْهَدُ لِذَلِكَ رَوَايَةُ ابْنِ بَابُوَيْهٍ فِي كِتَابِ النَّبُوَّةِ عَنِ الْمَفْضَلِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَ عَلَيْهِ جَرَى مَا حَكَاهُ

فى مجمع البيان عن قتاده و أبى القاسم البلخى و اختيار الحسين بن على المغربى. و فى الدر المنثور اخرج ابن جرير عن ابن عباس قال الكلمات إني جاعلك للناس إماماً و الآيات التى بعدها و اخرج ابن جرير و ابن أبى شيبه عن مجاهد نحوه. و إن كانت كلمه «إذ» ظرفاً معمولاً «لقال انى جاعلك» كانت الكلمات شيئاً آخر فيظن ان يكون الفاعل فى أتمهن هو ابراهيم.

و فى تفسير القمى قال هو ما ابتلاه الله بما أراه فى نومه من ذبح ولده فأتمها ابراهيم الخ. و لم يعلم ان القائل هو القمى أو الإمام. و روى فى الدر المنثور عن ابن عباس فى هذا النحو خمس روايات متدافعه نحو ما ذكره فى مجمع البيان و على ما ذكرناه أولاً يكون المعنى ابتلى ابراهيم بكلمات إمامته و امامه الأئمه و تحمل اعبائها و أداء شكرها للناس إماماً و مرجعاً و مقصداً و زعيماً فى امور الدين و الدنيا.

و قد استفاض الحديث عن الأئمه عليهم السلام ان امامه ابراهيم كانت بعد نبوته و رسالته كما فى الكافى عن جابر عن الباقر (عليه السلام). و عن زيد الشحام و عن هشام و درست عن الصادق (عليه السلام). و فى العيون عن عبد العزيز بن مسلم عن الرضا (عليه السلام).

و يدل على ذلك ايضا ان نبوه ابراهيم كانت قبل ان يولد له ولد و قبل شيخوخته و مقتضى الآيه ان قول الله له بجعله اماماً كان بعد ان صار له أولاد يرجو ان يكون له منهم ذريه و أما قبل ذلك فلم يكن له رجاء فإن القرآن فى سوره الحجر يخبر انه لما بشر باسحاق قال أ بشرتُمونى على أن مسنى الكبر فبم تبشرون. و لا يكون جاعل هنا بمعنى جعلت فى الماضى لأنه عامل بالمفعول و هو اماماً و قوله تعالى «لنناس» متعلق «بجاعل» و فيه اشاره إلى الامتنان على الناس و ان الإمامه لطف من الله و من اكبر المصالح لأموهم و يجوز ان يكون متعلقاً بقوله «إماماً» و قدم للاهتمام بعموم الإمامه للناس و ارتباطها بمصالحهم العامه و الخاصه قال ابراهيم و من ذريتي الظاهر ان هذا عطف على «جاعل» فى جاعلك اى و جاعل من ذريتي و يكون بمنزله الاستفهام التقريرى لمزيد الاستبشار و الابتهاج و نحو من الشكر إذا علم من الكلمات و الأسماء ان الأئمه من ذريته. او للاستفهام ان لم يعرف انهم من ذريته. و قيل ان المعنى و اجعل من ذريتي.

و فيه تكلف فى التقدير الزائد على دلالة السوق خصوصاً مع النظر إلى روايه الفضل الداله على معلوميه اسماء الأئمه فى ضمن الكلمات فإنه يبعد من مقام ابراهيم ان يطلب الزيادة على

ما أخبره الله بتقديره (قال) الله جل اسمه فى بيان ما لهذه الإمامه من الفضل لا ينال عهدى الظالمين بيانا لشرف الإمامه فى فضيلتها العظمى و فضل الإمام فإن الإمامه بجعلى و عهدى فى الدلاله على الإمام بحسب أهليته لهذه الكرامه فى كماله و قيامه بمصلحه الناس على ما يقتضيه اللطف فى صلاحهم و أهليته لانقيادهم اليه و هذا العهد الكريم من نحو الوصيه و الدلاله على التعيين و نظير ذلك قولهم ولى العهد. و الظالم يعم من ظلم نفسه بمخالفته للحق و كيف يليق من لا رادع له من كماله عن الظلم لنفسه او لغيره لأن يعهد الله اليه بإمامه الناس و إصلاح أمورهم و إرشادهم أ فمن يهدى إلى الحق أحق أن يتبع أ ممن لا يهدى إلا أن يهدى

و فى روايه البرهان عن الكافى و المفيد عن هشام بن سالم و درست عن الصادق عليه السلام فى تفسير الآيه من عبد صنما أو وثنا أو مثالا لا يكون اماما.

و عن امالى الشيخ مسندا و ابن المغازلى فى المناقب مرفوعا عن عبد الله بن مسعود عن النبى (صلى الله عليه و آله) فى الآيه عن قول الله لإبراهيم من سجد لصنم دونى لا اجعله اماما.

و قال (صلى الله عليه و آله) فانتهدت الدعوه إلى و إلى أخى على لم يسجد أحدنا لصنم قط.

و عن الكافى مسندا و الشيخ المفيد مرفوعا عن الصادق عليه السلام لا يكون السفیه امام التقى.

فيكون ذكر عباده الصنم من باب النص على احد المصاديق من موانع الإمامه و هى ما تنافى العصمه التى يدل العقل على اعتبارها فى هذه الإمامه. و من شواهد ذلك و رشحاته ان الفطره و حكم العقل بعثت جميع الحكومات المتمدنه على ان تجعل من قوانينها الأساسيه ان من حكم عليه بجريمه توجب العقوبه و لو بسجن مده قليله يكون ساقطا باصطلاحهم عن الحقوق المدينه اى لا تكون له وظيفه فى الحكومه يتسلط فيها على غيره و لا تنفعه فى ذلك توبه. أليس الله بأحكم الحاكمين

سوره البقره (٢): آيه ١٢٥

وَ إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَ أَمْنًا وَ اتَّخَذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُضِلًّا وَ عَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ (١٢٥)

١٢٣ وَ إِذْ عَطَفَ عَلَى إِذْ ابْتَلَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةَ جَعَلْنَا الْأَجِيَّتَ الْحَرَامَ وَ هُوَ الْكَعْبَةُ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ مَرْجِعًا لَهُمْ وَ التَّاءُ لِلْمَبَالِغَةِ لِأَنَّ مَرْجِعِيَتَهُ لِّلنَّاسِ جَعَلَتْ دَائِمَةً فَإِنَّكَ تَرَى مِنْ يَتَحَمَلُ الْمَشَاقَ فِي زِيَارَتِهِ يَشْتَأِقُ إِلَى الرَّجُوعِ إِلَيْهِ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَ هَذَا سِرٌّ غَرِيبٌ وَ آيَةٌ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَ أَمْنًا يَأْمَنُ مِنْ حَلِّ فِي حِمَاةٍ مِنَ النَّاسِ مَعَ وَحْشِيَةِ الْأَعْرَابِ وَ تَعَادِيهِمْ وَ عِدَاوَتِهِمْ. وَ هَذَا أَيْضًا مِنْ آيَاتِ الْبَيْتِ وَ يَأْتِي لَهُ إِنْشَاءُ اللَّهِ مَزِيدٌ بَيَانٌ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الثَّانِيَةِ وَ التَّسْعِينَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ وَ اتَّخَذُوا عَطَفَ عَلَى إِذْ كَرَّمْنَا إِبْرَاهِيمَ

مُصَلَّى مقام ابراهيم يسمى به الآن محل يصلى فيه باعتبار ان فيه الصخره التى قام عليها ابراهيم (عليه السلام) فصار فيها اثر قدميه.
و قال فيه ابو طالب

و موطئ ابراهيم فى الصخر وطأه على قدميه حافيا غير ناعل

و فى الكافى فى الحسن كالصحيح عن أبى عبد الله مقام ابراهيم حيث قام على الحجر فأثرت فيه قدماه.

و فى مجمع البيان عن ابن عباس قصه فيها ان المقام صخره وضعتها زوجه إسماعيل تحت رجلى ابراهيم لما غسلت رأسه فأثرت فيها قدماه. و فيه ايضا ان عليّ بن ابراهيم روى مسندا عن ابان عن الصادق عليه السلام هذه القصة بعينها.

و فى الدرّ المنثور ان الازرقى اخرج عن المطلب بن أبى وداعه. و آخر ان سيل ام نهشل فى ايام عمر احتمال المقام من محله فسأل عمر عن محله فزعم المطلب ان عنده مقياس محله فوضع فى محله الآن. و فيه اخرج البيهقى فى سننه عن عائشه ان المقام كان فى زمن رسول الله «ص» و زمان أبى بكر ملتصقا بالبيت ثم أخره عمر بن الخطاب.

و فى الكافى و الفقيه فى الموثق كالصحيح عن الباقر «ع» كان موضع المقام الذى وضعه ابراهيم عند جدار البيت فلم يزل هناك حتى حوله أهل الجاهليه إلى المكان الذى هو فيه اليوم فلما فتح النبى «ص» مكة رده إلى الموضع الذى وضعه ابراهيم «ع» إلى ان ولى عمر بن الخطاب فسأل الناس من منكم يعرف المكان الذى كان فيه المقام فقال بعض انا قد كنت أخذت مقداره بنسع فهو عندى فأتاه به فقاسه ثم رده إلى ذلك المكان.

و ذكر نحوه فى المسالك عن سليمان بن خالد عن أبى عبد الله عليه السلام و ذكر ان المقام هو العمود من الصخر الذى كان ابراهيم يقف عليه حين بنائه للبيت. و كان فى زمن ابراهيم ملاصقا للبيت بحذاء الموضع الذى هو فيه اليوم.

و فى تفسير القمى فى سوره الحج ان المقام كان فى زمن ابراهيم يلصق بالبيت و عليه نادى ابراهيم بالحج. و فى مضمرة ابن مسلم و صحيحه ابراهيم بن أبى محمود عن الرضا (عليه السلام) المرويتين فى الكافى ما يدل على ان محل المقام على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) غير محله فى ايام الأئمه إلى الآن. أقول و الظاهر ان المراد من مقام ابراهيم فى الآيه هو جهه موقفه و محل قيامه لا خصوص موطئه فى قيامه او نفس الصخره فإنه لا يمكن ان يتخذ منه مصلى.

و قد روى فى الوسائل عن أئمتنا عليهم السلام اكثر من

اثني عشر حديثاً في ان صلاه الطواف خلف المقام بحسب موضعه في زمانهم عليهم السلام و الآن خمس منها استشهد فيها بقوله تعالى وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَ ست نصت على الخلف.

و على ذلك يحمل ما كان لفظه عند المقام و التعبير بعند فيه أيضا تقييد لإطلاق الخلف و كذا ما كان لفظه ارجع إلى المقام أو ائت المقام. و هذا مما يشهد لاراده الجهمه و مقدار سعتها. و لعل و جوب تقديم المقام بحسب موضعه الثاني لأجل احترامه عن الاستدبار أو لأجل الستر على الشيعة و الحصر في روايه زراره بالمقام المعروف ظاهر في انه بالاضافه إلى الصلاه لطواف المتطوع في انها حيث شاء المتطوع من المسجد و يمكن ان تنزل على ذلك مرسله صفوان كما يمكن ان تنزل صحيحه ابراهيم بن أبي محمود و سائر الروايات على الستر على الشيعة فتجوز الصلاه ما بين موضعي المقام أولا و ثانيا. و لكن الاحتمال لاحترام ذات المقام يرجح ظاهر الروايات و يمنع عن اليقين بالفراغ الا- بالصلاه خلفه وَ عَهَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ اى الطائفين به لعباده الله. و العكوف اللبث حوله للعباده و لو بذات اللبث بفنائه. و الركع جمع راع. و السجود جمع ساجد و المراد المصلين حوله.

و عن الصدوق في العلل و الشيخ في التهذيب بسندين صحيحين عن عمران و عبد الله الأخوين الحلبيين سألت أبا عبد الله (عليه السلام) أ يغتسلن النساء إذا اتين البيت قال نعم ان الله عزّ و جل يقول أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَ الْعَاكِفِينَ وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ فينبغي للعبد ان لا يدخل إلا و هو طاهر قد غسل عنه العرق و الأذى و تطهر و المراد من إتيان البيت التوجه اليه للطواف و نحوه. و عن الكليني بسند معتبر عن محمد الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) نحوه بإسقاط السؤال و فيه فينبغي للعبد ان لا يدخل مكة إلا و هو طاهر «الروايه»

و هذا يفسر متعلق الدخول في روايتي أخويه. و من المعلوم ان طواف الناس و عكوفهم و ركوعهم و سجودهم العاديين انما هي خارج البيت و حوله. و هكذا يدل على أن المراد تطهير فناء البيت من حيث حرمة البيت المضاف إلى الله و الذي جعله يطاف حوله و يعكف و يركع و يسجد و يكون بالاعتبار الثانوى العرضى مراعاة لحال الناسكين حوله و به جرى التعليل بالآيه الكريمة لأنه يدل على الاعتبار الاولى الذاتى دلالة واضحه. و المراد من التطهير هو ما يقتضيه إطلاقه بمعناه اللغوى و هو التنزيه

عن كل ما ينافى حرمة البيت من القذارات الصوريه و المعنويه عرفيه كانت او بكشف الشارع كما يشهد لها روايه الحلبيين و الأمر فى طهرا بمنزله الخبر لبيان الوظيفه و الغرض كقوله اغتسل للجنبه و الجمعه كما يشير إلى ذلك قوله تعالى وَ عَهْدُنَا فَلَا يَمْتَنِعُ شَمُولَهُ لِلْوَجِبِ وَ النَّدْبِ وَ يَسْرَى التَّكْلِيفِ الْمَفْهُومِ مِنْهُ إِلَى غَيْرِ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ

سوره البقره (٢): الآيات ١٢٦ الى ١٢٨

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَ مَنْ كَفَرَ فَأُمْتِعْهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ (١٢٦) وَ إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٢٧) رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَ تَبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٢٨)

١٢٤ وَ اذكر إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا اى فناء البيت و حرمة الذى هو مكه بَلَدًا آمِنًا اى يأمن أهله و من فيه من اذى الناس وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ سَكَانَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ لِأَنَّ كُلَّ سَكَانَةٍ بَلَّ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ لَمْ يَقُلْ بِكَ مَحَافِظُهُ عَلَى تَخْصِيصِ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ بِالنَّصِّ عَلَى اسْمِهِ الْعَظِيمِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ اللَّهُ جَلَّتْ أَلَاؤُهُ مَا حَاصِلُهُ اِنِّى اسْتَجَبْتُ دَعَاءَكَ وَ لَا أُخْصِرُ رِزْقِى فِى هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ بِالْمُؤْمِنِينَ بَلْ أَرْزُقُ فِيهَا الْمُؤْمِنَ وَ الْكَافِرَ وَ مَنْ كَفَرَ وَ اصْرَرَ عَلَى كُفْرِهِ فَأُمْتِعْهُ فِى الدُّنْيَا قَلِيلًا اى مده حياته القصيره بالنسبه إلى ما وراءه و أمهله و أقيم عليه الحجه و املى له ثُمَّ أَضْطَرُّهُ اى آخذه قهرا بالموت و الحشر إلى عَذَابِ النَّارِ الَّتِى أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَ بئْسَ الْمَصِيرُ مصيره ١٢٥ وَ اذكر إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ قَاعِدَةَ الْبَيْتِ أُسَاسَهُ وَ رَفَعَ الْقَوَاعِدَ هُنَا هُوَ الْبِنَاءُ عَلَيْهَا وَ جَعَلَهُ مَرْتَفَعًا مِنَ الْبَيْتِ أَى الْكَعْبَةِ وَ إِسْمَاعِيلُ حَالِ كَوْنِهِمَا مُتَقَرِّبِينَ قَائِلِينَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا طَاعَتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ لِلدَّعَاءِ الْعَلِيمُ بِنَاتِنَا فِى طَاعَتِكَ ١٢٦ رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا بِتَوْفِيقِكَ مُسْلِمِينَ لَكَ الظَّاهِرُ أَنَّ الْإِسْلَامَ فِى الْأَصْلِ هُوَ الدَّخُولُ فِى السَّلْمِ بِكَسْرِ السِّينِ وَ سَكُونِ اللَّامِ مِثْلُ الْإِنْجَادِ وَ الْإِتِهَامِ وَ الْإِقْحَاطِ وَ السَّلْمِ هُوَ عَدَمُ الْمَحَارَبَةِ وَ الْمَحَادَةِ. وَ بِالنَّسْبَةِ لِلَّهِ يَتَحَقَّقُ بِالْإِذْعَانِ بِأَلْهِيَّتِهِ وَ تَوْحِيدِهِ وَ رِسَالِهِ رَسَلُهُ وَ كَتَبَهُ. وَ قَدْ اخْتَصَّ فِى الْإِسْتِعْمَالِ بِهَذَا الْمَعْنَى فَصَارَ هُوَ الظَّاهِرُ مِنْ لَفْظِ إِسْلَامٍ وَ أَسْلَمَ وَ اسْلَمَ وَ مُسْلِمٌ. وَ بَعْدَ رِسَالِهِ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) صَارَ الْمَتَدَاوِلُ فِى الْإِسْتِعْمَالِ هُوَ مَا ذَكَرْنَاهُ مَعَ الْإِذْعَانِ بِرِسَالَتِهِ وَ أَنَّ قُرْآنَهُ وَ شَرِيعَتَهُ مِنَ اللَّهِ وَ الْإِسْلَامُ الْحَقِيقِىُّ هُوَ الْإِذْعَانُ فِى النَّفْسِ الْمَسَاوِقِ لِلْإِيمَانِ وَ هُوَ الْمُرَادُ هُنَا أَى اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ مَدَّةَ عَمْرِنَا بِمَعْنَى

ثبتنا بهدايتك و توفيقك على الإسلام كما هديتنا له و اجعل بتوفيقك و لطفك من ذرّيتنا أمّة مُسَلِّمَةٌ لَكَ لم يسألا ذلك لكل ذريتهما لما سبق من قول الله لإبراهيم لا- يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ لما قال ابراهيم و مِنْ ذُرِّيَّتِي او لما يعرفانه من حال البشر في اختيارهم للايمان و ان الكثير منهم من يستحب العمى على الهدى. فطلبنا أن تكون من ذريتهما أمه مسلمه لا خصوص الإمام و أَرْنَا يَحْتَمِلُ أَنْ يَرَادَ بِالضَّمِيرِ مَا يَعْمُ الْأُمَمَ الْمُسْلِمَةَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مَنْاسِكَنَا النَّسِكَ الْعِبَادَةَ وَ النَّاسِكَ هُوَ الْعَابِدُ. و للنسك هو الموضوع المعد للعباده الخاصه. فتكون الرؤيه المطلوبه على حقيقتها وَ تُبِّ عَلَيْنَا طلب التوبه باعتبار دخول الامه المسلمه فى الدعاء. و يحتمل أن يختص الضمير بإبراهيم و إسماعيل فيراد من التوبه عليهما الرجوع و العود عليهما بالرحمه و اللطف فإن المعنى الاصلى للتوبه هو الرجوع و العود. و يحتمل أن يريدنا بالتوبه نحوا من معناها المعروف تصاغر الله و استصغارا لأعمالهما فى جنب جلال الله كما هو شعار الأولياء المخلصين

سوره البقره (٢): الآيات ١٢٩ الى ١٣٠

رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) وَ مَنْ يَزْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَ لَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠)

إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ١٢٧ رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ اى الأمه من ذريتهما رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُزَكِّيهِمْ بإرشاده و جهاده فى الدعوه إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ فى تنفيذ ارادتك و نصر رسولك فى تبليغه و اجراء أحكامك و تعليمه و تزكيته لعبادك الْحَكِيمُ فيما تفعل. و مصداق هذا الدعاء هو رسول الله صلى الله عليه و آله برسالته العامه فهو رسول الله فى ذريه ابراهيم و إسماعيل و بهم ابتدأت دعوته و هو (صلى الله عليه و آله) ايضا من ذريتهما.

و فى تفسير القمى قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) انا دعوه أبى ابراهيم. و فى البيان روى انه (صلى الله عليه و آله) قال ذلك. و رواه فى الدر المنثور عن جماعه

١٢٨ وَ مَنْ اسْتَفْهَمَ يَرْجِعْ إِلَى الْإِنكَارِ وَ النَّفَى يَزْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ فى التوحيد و المعرفه و الأخلاق الفاضله و الحنيفيه إِلَّا مَنْ الذى سَفِهَ نَفْسَهُ السفه و السفاهه و السفيه معروفه. و سفه بالضم من افعال السجايا لا يتعدى. و سفه بالكسر متعد و المعنى إلا من أضر نفسه بسفاهته و نحو ذلك فإن مله ابراهيم جاريه فى معارفها و أخلاقها على النهج الفطرى الواضح المعقول فلا يرغب

عنه إلا السفية و لقد اضبطناهُ أى ابراهيم و اخترناه رسولا و إماما و هاديا فى الدُّنيا وَ إِنَّهُ فى الآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ أى معدود من الذين كانوا فى الدنيا صالحين هادين

سوره البقره (٢): الآيات ١٣١ الى ١٣٤

إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلِمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَ يَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٤)

١٢٩ إِذْ قَالَ ظَرْفٌ لاصطفيائه لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ وَ هذا القول لمثل ابراهيم يكون قبل زمان البلوغ و قد ذكرنا معنى الإسلام قريبا قال أَسْلِمْتُ وَ أشار الى معرفته و ان إسلامه عن حجه و بصيره بقوله لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ١٣٠ وَ وَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ أى وصاهم بالمله الحنيفيه مله ابراهيم وَ يَعْقُوبَ أى و وصى بها يعقوب بنيه و قال كل منهما لبنيه فى مقام التوصيه و التحريض على اتباع المله حتى الممات و ان لا تلعب بهم الأهواء فيغتنم إبليس منهم الفرصه عند الموت فيردهم عن الحنيفيه و الإسلام يا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ المعهود دين الحنيفيه و الإسلام و اختاره لكم صافيا مصفى فالزموه و اثبتوا على اتباعه حق الاتباع وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ على الدين الحنيف ١٣١ أَمْ كُنْتُمْ اضْرَابَ وَ انكار و هو يناسب أن يكون خطابا لأهل الكتاب و إنكارا على دعوى ليس لهم بها علم و لا حضروا و لا شهدوا ما يسندون الدعوى اليه شُهَدَاءَ حضورا إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ وَ ذلك لم يجر فيه ما تزعمون بل إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قال ما تعبدون لأن معبودات اهل الضلال أكثرها مما لا يعقل كالحيوان و التماثيل قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ أدرج إسماعيل فى تفسير الآباء بنحو من التغليب عليه و لأنه عم ليعقوب و العم كالأب إِلَهًا وَاحِدًا لا شريك له وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ١٣٢ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ وَ مضت و الظاهر ان المراد من الأمة بنو إسرائيل لَهَا مَا كَسَبَتْ من خير وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ بل كل مسئول عن تكليفه و ما قامت

سوره البقره (٢): الآيات ١٣٥ الى ١٣٦

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٣٥) قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦)

١٣٣ وَقَالُوا أَى اهل الكتاب اليهود و النصارى كل من الفريقين يدعو الى نحلته كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى او لتقسيم قولى الفريقين تَهْتَدُوا قُلْ يا محمد بَلْ نَتَّبِعُ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا الحنيف هو الموحد التابع لدين الحق. و لا حاجة الى بيان المآخذ لاستعمال اللفظ فى هذا المعنى وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ و لعله تعريض باليهود و النصارى فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ و فى قوله مله ابراهيم الى آخره احتجاج لوجوب اتباعها فإن قَدَرْنَا نتبع يكون مفاد الاحتجاج و عليكم أن تتبعوا ذلك. و ان قدر اتباعوا يكون مفاد الاحتجاج كما اتبعنا نحن. يا اهل الكتاب لا تأخذنكم أهواء القوميه و عصبية اليهوديه او النصرانيه فإن الحق أحق ان يتبع بل ١٣٤ قُولُوا عن إيمان حقيقى و اعتقاد و اتباع للحجه آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا باعتبار النزول على أنبيائهم و رسلهم كالتوراه و الإنجيل و الزبور وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ و هى صحف ابراهيم التى جرى عليها بنوه الى زمان موسى و بهذا الاعتبار قيل و إِسْمَاعِيلَ و إِسْحَاقَ و يَعْقُوبَ و الْأَسْبَاطِ إذ لم يعهد نزول كتاب الى خصوص المذكورين.

و عن الكافى باسناده عن سدير عن أبى جعفر ان أولاد يعقوب أى ما عدا يوسف لم يكونوا أنبياء و نحوه عن العياشى.

و الأسباط جمع سبط و هو ولد الولد. و منه سمي الحسنان عليهما السلام بالسبطين و سميت قبائل الاسرائيليين باعتبار انتسابهم الى أولاد يعقوب أسباطا. و القبيله الواحده منهم سبط. و عليه استعمال القرآن الكريم. و قد سموا بذلك ايضا فيما بأيديهم من التوراه و العبرانيه و كتاب يوشع و غيرهما (١) و ان سموا فيها ايضا بغير ذلك وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى من المعجزات او كرامه النبوه وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ من كرامه النبوه و الوحي مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ من أى قبيله كان إذا دلت الدلائل على نبوته وَ نَحْنُ لَهُ أَى لِلَّهِ مُسْلِمُونَ

ص: ١٣٠

فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣٧) صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ (١٣٨) قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ (١٣٩) أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٠)

١٣٥ فَإِنْ قَالُوا ذَلِكَ وَآمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا بِكُفْرِهِمْ فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ وَمَعَانِدُهُ لَا فِي طَلَبِ الْحَقِّ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَيَمْنَعُكَ مِنْ كَيْدِ شِقَاقِهِمْ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ لِدَعَائِكَ أَوْ لِمَا يَقُولُونَ الْعَلِيمُ بِمَا فِي الضَّمَائِرِ ١٣٦ صِبْغَةَ اللَّهِ مَنْصُوبَةٌ بِدَلَا مِنْ مَلَةِ إِبْرَاهِيمَ. وَعَنْ الْكَافِي مَسْنَدًا عَنِ الصَّادِقِ أَوْ أَحَدِهِمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِأَسَانِيدِ ثَلَاثَةِ اثْنَانِ مِنْهَا مِنَ الْمَوْثِقِ كَالصَّحِيحِ. وَعَنِ الصَّدُوقِ فِي الصَّحِيحِ عَنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ). وَعَنِ الْعِيَاشِيِّ بِسَنَدٍ آخَرَ أَنَّ الصَّبْغَةَ هِيَ الْإِسْلَامُ وَهُوَ مَلَةُ إِبْرَاهِيمَ. وَفِي الدَّرِ الْمَنْثُورِ أَخْرَجَ ابْنَ جَرِيرٍ وَابْنَ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ دِينَ اللَّهِ. وَسُمِّيَتْ صِبْغَةً بِاعْتِبَارِ الْأَثَرِ الْكَرِيمِ الظَّاهِرِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَزِينَةِ الشَّرِيعَةِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً بِمَا يَهْدِي إِلَيْهِ مِنَ الدِّينِ الْقِيمِ. وَيُوفَّقُ لِاتِّبَاعِهِ وَنَحْنُ لَهُ وَحْدَهُ عَابِدُونَ لَا نَشْرِكُ فِي الْإِلَهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ غَيْرَهُ ١٣٧ قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا وَتَجَادِلُونَنَا فِي اللَّهِ زَاعِمِينَ أَنْكُمْ الْمُوَحِّدُونَ وَفِيكُمْ النَّبُوَّةُ. وَكَيْفَ تَحَاجُّونَنَا بِذَلِكَ مَعَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَحَابِي بِلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ الْوَاسِعَةِ قَبِيلًا دُونَ قَبِيلٍ.

بل يراعى بها الأهلية وهو اعلم حيث يجعل رسالته ولا يمنع لطفه وتوفيقه الا- عمن تمرد عليه بالشرك والعصيان. فكيف يحابيكم ويخص بكم ما تزعمون والحال هو ربنا وربكم وكلنا عباده ولطفه عام ورحمته واسعه لكل عباده ولنا أعمالنا فقد آمننا بالله ووجدناه وعبدناه وان الله لا يضيع اجر من احسن عملا ولكم أعمالكم ان عملتم خيرا من الايمان الخالص والعبادة ونحن له مخلصون في عبادته وإلهيته لا- نشرك به شيئا. وفي ذلك حسن التعريض بهم فتعالى الله عما يشركون ١٣٨ أَمْ تَقُولُونَ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ وَتَزْعُمُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى أَوِ التَّرِيدِ بَيْنَ قَوْلِي الْفَرِيقَيْنِ الْيَهُودِ يَقُولُونَ كَانُوا يَهُودًا وَالنَّصَارَى يَقُولُونَ كَانُوا نَصَارَى قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ مَعَ أَنْكُمْ ادْعَيْتُمُ الْمُحَالَ.

این كانت اليهودیه و النصرانیه فی زمان هؤلاء أم الله الذی اخبر بان ابراهیم كان حنیفا مسلما و ما كان من المشركین. و انه اسلم لرب العالمین و وصی بها یعقوب بنیه. فقالوا نعبد الله إلهها واحدا و نحن له مسلمون كما تقدم قریبا و مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ اِذَا عَلِمَهُ بِالنَّسَبِ إِلَى عِلْمِهِمْ بِأَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ذَكَرُوهُمْ كَانُوا مُسْلِمِينَ عَلَى الدِّينِ الْحَنِيفِ أَوْ الشَّهَادَةِ بِرِسَالَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. فلا ينحصر الأمر باليهودیه و لا النصرانیه لو بقيتا على التوحيد و الشریعه. و قد أخبرهم الله فی التوراه ان الله یقیم لهم نبیا من إختهم و یجعل كلامه فی فیه.

و أخبرهم المسيح برسول یأتی من بعده اسمه احمد و ما الله بغافل عما تعملون و ما یفعلکم زعمکم و کذبکم على ابراهیم و إسماعیل و إسحاق و یعقوب و الأسباط مع قیام الحججه بإرسال الله رسله فی زمانکم بالآیات الباهرات فعلیکم بأنفسکم فلا تتعللوا زورا بمن مضی فان

سوره البقره (۲): الآيات ۱۴۱ الى ۱۴۲

تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (۱۴۱) سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۱۴۲)

۱۳۹ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَ لَا تُسْئَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ بل تسئلون عن اعمالکم و معاملتکم مع رسول الله و دين الحق ۱۴۰ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا وَ هِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ فَان رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه و آله) صلى اليه عند مقدمه الى المدينه مده.

و فی روايه التهذيب عن معاويه بن عمار عن أبي عبد الله الى ما بعد رجوعه من بدر.

و عن رساله الفضل بن شاذان كذلك و فيها و كان يصلى فى المدينه الى بيت المقدس سبعة عشر شهرا.

و عن قرب الاسناد عن الباقر تسعه عشر شهرا. و هو الذى ذكره فى الفقيه

و عن الشيخ المفيد فى مسار الشيعة فى النصف من رجب سنه اثنتين من الهجره حوّلت القبلة من بيت المقدس الى الكعبه.

و نحو هذا ما رواه فى الدرّ المنثور من روايات الجمهور.

و فى الكافى فى الحسن كالصحيح عن الحلبي عن أبي عبد الله (عليه السلام) سألته هل كان رسول الله صلى الى بيت المقدس قال نعم فقلت أ كان يجعل الكعبه خلف ظهره قال اما إذا كان بمكة فلا و اما إذ هاجر الى المدينه فنعم حتى حوّل الى الكعبه.

و ربما تشعر الروايه بانه (صلى الله عليه و آله) صلى فى مكه الى بيت المقدس بدون ان

يستدبر الكعبة.

و عن النعماني باسناده عن امير المؤمنين عليه السلام ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان يصلى فى اول مبعثه الى بيت المقدس جميع ايام مقامه بمكة «الروايه»

و فى الفقيه و صلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) الى بيت المقدس بعد النبوه ثلاث عشره سنه و تسعه عشر شهرا بالمدينه و فى الدر المنثور اخرج الطبراني عن عثمان بن حنيف. و فى الحديث كان رسول الله قبل ان يقدم من مكه و القبلة الى بيت المقدس

و يمكن الجمع بان رسول الله كان يجمع بين القبلتين فى مكه كما يومى اليه الاشعار المتقدم فى روايه الحلبي.

و فى الدر المنثور اخرج ابن ابي شيبه و ابو داود فى ناسخه و النحاس و البيهقى فى سننه عن ابن عباس ان النبى (صلى الله عليه و آله) كان يصلى و هو بمكة نحو بيت المقدس و الكعبه بين يديه الحديث

و الله العالم قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ اى جميع الجهات فإن تحويل القبلة كان من ناحيه الشمال الغربى الى نقطه الجنوب تقريبا. و ليس اعتراضهم هذا إلا- من السفه فهل يزعمون ان الله تحويه جهه خاصه او ان الذى له و فى ملكه جهه خاصه او ان لبعض الجهات استحقاق للاستقبال لازلزم لا يعقل التخلف عنه أ فلا يعقلون ان الاستقبال أمر تعبدى من الله يجريه بحسب الحكمه و المصلحه يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ مما تقتضيه الحكمه و يوصل الى الهدى و الحق

سوره البقره (٢): آيه ١٤٣

وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَّا لِنُعَلِّمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَ إِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ (١٤٣)

١٤١ وَ كَذَلِكَ أَى و كما هديناكم الى صراط مستقيم جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا الوسط خيار الشىء لأنه محمى عن الفساد.

و فى تفسير القمى وسطا أى عدلا. و هو المروى فى روايات الجمهور كما فى الدر المنثور لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا و من المعلوم ان الأمه كلها لا تتصف بالخيار و العدل و كونهم شهداء على الناس فإن فيهم الكثير ممن لا يخفى حاله. فهذه الصفات إنما تكون باعتبار البعض و الموجه اليه الخطاب هو ذلك البعض.

و قد روى فى أصول الكافى عن بريد عن أبى عبد الله (عليه السلام) نحن الأمه الوسط و نحن شهداء الله على خلقه. و فى الحسن كالصحيح عن أبى جعفر (عليه السلام) مثله. و عن الصفار بهذا السند نحوه. و روى نحوه ايضا بسند آخر صحيح.

و عن الحسكاني فى شواهد التنزيل عن سليم الهلالي عن على (عليه السلام) نحن الذين قال الله جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا.

و عن العياشى عن ابن أبى عمير الزبيرى عن أبى عبد الله (عليه السلام) فى هذه الآيه افترى ان من

ص: ١٣٣

لا تجوز شهادته فى الدنيا على صاع من تمر يطلب الله شهادته يوم القيامة و يقبلها منه بحضرة جميع الأمم

وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ظَاهِر قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ الَّتِي بَعْدَ هَذِهِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً أَنهَذَا نَزَلَتْ قَبْلَ تَحْوِيلِهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله) إِلَى الْكَعْبَةِ وَ ظَاهِرُ السُّوقِ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ قَبْلَ تَلَاكٍ مَعَ أَنَّ ظَاهِرَ قَوْلِهِ تَعَالَى فِيهَا كُنْتَ عَلَيْهَا كُنْتَ تَتَوَجَّهُ إِلَيْهَا فِيمَا مَضَى وَ صَرَفَتْ عَنْهَا.

فتشكل هذه الظواهر. و لأجل ذلك قال بعضهم أن كان تامه بمعنى أنت عليها. و قال فى الكشاف ان التى كنت عليها مفعول ثانى لجعلنا و المقصود من الموصول مكه أى و ما جعلنا القبلة مكه و فيه تعقيد و مخالفه للاعتبار مع ان الاشكال المذكور على حاله و يرتفع من أصله بأن قوله كنت عليها لا يختص بما بعد الانصراف عنها و انقطاع الكون. بل قيل باعتبار الكون الماضى و توجهه (صلى الله عليه و آله) الى بيت المقدس أشهراً عديده من دون نظر الى الانقطاع نحو وَ كَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً أى و ما جعلنا بيت المقدس قبله لك هذه المدة إلاً لِنَعْلَمَ اللام للعاقبه و الحصر انما هو باعتبار العاقبه لا حكمه التشريع مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ مَتَلَقَ بِنَعْلَمَ لِمَا فِي الْعِلْمِ بِأَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ التَّمْيِيزِ لَهُ عَنِ الْفَرِيقِ الْآخِرِ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَ مِثْلُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَ لِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ. وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا. لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ. وَ لِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ. لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحَزِينِينَ أَحْصَى إلاً لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ. وَ لِنَبْلُوَنَكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ. وَ الْوَجْهَ فِي كُلِّ هَذِهِ الْمَوَارِدِ وَ أَمْثَالِهَا وَاحِدٌ وَ هُوَ أَنَّ عِلْمَهُ التَّابِعَ جَلِّ شَأْنُهُ وَ أَنَّ كَانَ أَزْلِيًّا أَبَدِيًّا لَكِنْ لِمُقَارَنَتِهِ لَوْجُودِ الْمَعْلُومِ فِي الْخَارِجِ أَثَرٌ وَ وَقَعَ فِي الزَّجْرِ وَ التَّوْبِيخِ أَوْ الْبُشْرَى عِنْدَ النَّاسِ. وَ لِأَجْلِ هَذَا الْأَثَرِ وَ الْوَقَعِ جَرَى مَجْرَى التَّعْبِيرِ بِالْفِعْلِ الْمُسْتَقْبَلِ فِي هَذِهِ الْمَوَارِدِ بِاعْتِبَارِ تَلَاكِ الْمُقَارَنَةِ وَ الْعِلْمِ الْمُقَارَنِ وَ عَلَى هَذَا النَّهْجِ جَرَى التَّعْبِيرُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى يُرِيدُ اللهُ كَمَا وَرَدَ فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ مَوْرَدًا وَ أَنَّ كَانَتْ أَرَادَتُهُ أَزْلِيًّا وَ أَيْضًا لَوْ قِيلَ لِيَقَعَ ذَلِكَ لِأَوْهَمِ الْجَبْرِ مَعَ أَنَّهُ تَفُوتُ فَائِدَةُ الْإِعْلَامِ بِكَوْنِ اللهِ عَالِمًا بِهِ. وَ لَوْ قِيلَ لِيَقَعَ مَا هُوَ مَعْلُومٌ لِلَّهِ بِالْعِلْمِ الْإِزْلِيِّ لِثَارَتِ شَبْهِهِ الْجَبْرِ وَ قَالُوا أَذِنَ أَنَّ الْعَبْدَ لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّرَكِّ إِذْ يَلْزَمُ مِنْهُ أَنْ يَنْقَلِبَ عِلْمُ اللهِ جَهْلًا وَ لَمْ يَلْتَفِتُوا كَمَا لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ تَابِعٌ لَا أَثَرَ لَهُ فِي قَدْرِهِ الْعَبْدِ وَ إِنْ كَانَتْ

لَكَبِيرَةٍ إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ان هي المخففه و تلزمها اللام التي هي للتأكيد. و ظاهر السوق يقتضى ان الضمير في كانت يرجع الى القبلة التي كان عليها و هي بيت المقدس و هو الظاهر ايضا من

معتبره التهذيب عن أبي بصير عن أحدهما عليها السلام قال قلت له امره ان يصلى الى بيت المقدس قال نعم الا ترى ان الله تعالى يقول وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ وَ تَلَا جَمِيعِ الْآيَةِ الى قوله «رَحِيمٌ»

و كبيره ثقيله. و من اللازم ان يكون استقبال بيت المقدس ثقيلًا على قريش و العرب الا الذين هداهم الله الى الايمان برسول الله فيعلمون ان ذلك امر من الله الحكيم وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَوْفٌ رَحِيمٌ

في الكافي عن ابن أبي عمير الزبيرى عن أبي عبد الله (عليه السلام) في الآية ان الله سمي الصلاة ايمانًا.

و في الفقيه قال المسلمون صلاتنا الى بيت المقدس تضيع يا رسول الله فانزل ذلك. و ذكر انه اخرج حديثه في كتاب النبوه. و في روايه العياشى انه لما حولت القبلة قالوا ما حالنا اى في صلاتنا الماضيه و ما حال من مضى في صلاتهم الى بيت المقدس فانزل الله وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ. و في الدر المنثور عن ابن عباس نحوه و صححه الحاكم

سوره البقره (٢): آيه ١٤٤

قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)

١٤٢ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ قَدْ هُنَا لِلتَّكْثِيرِ

قد اترك القرن مصفرا أنامله كأن أنيابه مجت بفرصاد

و قول عمران الانصارى. او امرؤ القيس

قد اشهد الغاره الشعواء تحملنى جرداء معروفة للحين سرحوب

قال القمى في تفسيره ان اليهود كانوا يعيرون رسول الله و يقولون انه تابع لنا يصلى الى قبلتنا فاغتم رسول الله و خرج في جوف الليل ينظر آفاق السماء ينتظر امر الله إلخ. و في مجمع البيان نسبة الى روايه القمى عن الصادق (عليه السلام)

مع كلام ذكره القمى بعد ذلك. نعم ذكر في الفقيه نحو ما ذكره القمى و أحال روايته على كتاب النبوه. فتدل الآية على انه (صلى الله عليه و آله) كان له شأن في امر القبلة. فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا لأنها مرضيه بفضلها و سابقتها و حكمه دعوه العرب و هي أول بيت وضع للناس فيه آيات بينات فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ

المَسْجِدِ الحَرَامِ أى نحوه و القبلة هى الكعبة بالضرورة كما يلهج بذلك المسلمون فى تلقين موتاهم و فى تعقيباتهم و غير ذلك. و جاءت بذلك الأحاديث بنحو لا- يقصر عن التواتر. ففى جامع البخارى و غيره عن ابن عمر ان النبى ركَع ركعتين فى قبل الكعبة و قال هذه القبلة.

و فى جوامع البخارى و مسلم و أبى داود و النسائى و الموطأ عن البراء و انس و ابن عمر فى حديث تحول القبلة ان تحول المصلين كان الى الكعبة

و روى الفريقان ان الأرض زويت لرسول الله و رأى الكعبة فجعل محرابه بإزاء الميزاب.

و من طريق الاماميه أورد فى الوسائل نحو اربعة عشر حديثا فى ان الكعبة هى القبلة. و اكثر هذه الأحاديث تصرح بان الكعبة هى التى صرف إليها رسول الله فى هذه الآية. و لا مانع من ان تسمى الكعبة مسجدا باعتبار انها يسجد إليها.

او يقال ان الآية نزلت فى السنه الثانيه من الهجره فكان الخطاب بجعل الكعبة قبله عامه و متوجها لرسول الله و من معه من المسلمين و اهل المدينة و ضواحيها فجرى التعبير بالمسجد الحرام باعتبار سعه استقبالهم للكعبة باستقبال المواجهه و الاحترام و التعظيم مما يتحقق به ذلك عند الناس كما هو الظاهر من الآية. و ان استقبالهم للمسجد بهذا النحو يلزمه استقبال الكعبة بهذا النحو ايضا وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ أى نحوه بالنحو المتقدم دون الاستقبال الهندسى لان تكليف النائين به حتى مثل اهل المدينة بل ما كان عن مكه بمرحله مثلا يستلزم التكليف بما لا يطاق.

و لا شك فى انه كلما بعد المستقبل اتسعت وجهه استقباله للكعبة بالمواجهه الاحتراميه التعظيميه و قد استقصينا الكلام فى ذلك فى رسالتنا فى القبلة وَ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ اليهود و النصارى لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ أى التحويل الى الكعبة هو الحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ إما لأنهم يعلمون ان أمر القبلة و الاستقبال منوط بتشريع الله و أمره و إما لأنهم يعلمون ان الكعبة هى بيت الله من زمان ابراهيم. و فى مجمع البيان لأنه كان فى بشاره الأنبياء لهم انه يكون نبى صفاته كذا و كذا و انه يصلى الى القبلتين و نحوه فى الكشاف وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ من أقوالهم و أفعالهم عنادا على خلاف ما يعلمون

سوره البقره (٢): آيه ١٤٥

وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَ مَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَ لَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ العِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٤٥)

١٤٣ وَ لَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ و لم يوفقوا للإيمان بك

بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ أَى الكعبه وَ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ اتبَاعاً خصوصاً بعد ما أمرت بالتوجه شطر المسجد الحرام وَ مَا بَعْضُهُمْ
بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ فَان النصارى تتوجه الى المشرق و اليهود الى بيت المقدس وَ لَئِنْ أَتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ
إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ هَذَا تويخ لهم و تبكيت بأنهم اصحاب أهواء فاسده لا يتبعها الا الظالمون. و خوطب بذلك رسول الله
لقطع اطماعهم و لبيان فضله لأنه لا يتبع أهواءهم ابداً بدليل قوله تعالى

سوره البقره (٢): الآيات ١٤٦ الى ١٤٨

الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (١٤٦) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْتُمِينَ (١٤٧) وَ لِكُلِّ وَجْهٍ هُوَ مُوَلِّيُّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ (١٤٨)

وَ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ١٤٤ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ

اى يعرفون رسول الله على الصفات التى وصف بها فى كتبهم و الاسم الذى سمي به بنحو لا ينبغي الريب فيه كما فى تفسير
البرهان عن محمد بن يعقوب الكلينى بسند فيه رفع عن امير المؤمنين عليه السلام. و عن على بن ابراهيم فى الحسن كالصحيح
عن الصادق (عليه السلام).

و فى الآيه التفات من الخطاب الى الغيبه كما يعرفون أبناءهم و ان غابوا عنهم مده طويله و إِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ هُمْ
يَعْلَمُونَ به من كتبهم و هذا الفريق هم من عدى الأوباش الذين لا يعلمون شيئاً من كتبهم و من عدى الذين اسلموا او شهدوا
بالحق و أصروا على الغي ١٤٥ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ أَى هو الحق من ربك فلا- تَكُونَنَّ مِنَ الْمُكْتُمِينَ الشاكين فيما تقوم عليه الحججه
العلميه. و الخطاب فى النهى يراد به غير النبى كما فى قوله تعالى فى سوره الاسراء ٢٤ و ٢٥ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ- أَحَدُهُمَا أَوْ
كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَ لَا تَنْهَرُهُمَا- و قل- و اخفض- و قل ١٤٦ لِكُلِّ وَجْهٍ هُوَ مُوَلِّيُّهَا

لم أجد عن النبى و اهل البيت شيئاً فى ذلك. و يمكن تفسير الآيه بالنظر فى سوره المائده فى قوله تعالى لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً
وَ مِنْهَا جَاءَ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ لِيُنْزِلُكُمْ فِى مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ «الآيه» فالمعنى و الله العالم و لكل من
الأمم الذين شرع الله لهم احكاماً شريعته و لاه الله إياها و امره باتباعها ما لم تنسخها الشريعة و الوجهه التى بعدها فيولى الله الناس
إياها استبقوا الخيرات

و جاء قوله تعالى اسْتَبِقُوا

متعديا الى المفعول بنفسه هاهنا و فى آيه الانعام و فى سوره يوسف وَ اسْتَبَقَا الْبَابَ و فى سوره يس فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ و لو كانت بمعنى الاستباق و طلب السبق بكسر السين لوجب تعديتها بالى. و النصب بنزع الخافض فى مثل المقام بعيد من كرامه القرآن فى عربيته و فصاحته. فالوجه انها فى هذه الموارد من طلب السبق بفتح السين و الباء و هو ما يحصله السابق بسبقه و منه السبق المجعول فى رهان المسابقه و فى جعل الخيرات و الباب و الصراط فى الآيات سبقا بفتح السين و الباء كناية لطيفه عن انه هو الغايه المطلوبه و الفائده المقصوده فى المسابقه و حاصل المعنى و الله العالم لكل أمه شريعه أمرت باتباعها و قد نسخ بعض الشرائع فسارعوا الى الحق و اطلبوا ان تكون خيرات الأحكام و هى التى لم تنسخ و جاء بها الكتاب الذى يهدى للتى هى أقوم هذه اطلبوها سبقا لكم و الغايه الشريعه من مسارعتكم و ما هى إلا شريعه رسول الله و القرآن الكريم. و من ذلك

و أهم مصاديق الخيرات هى الولايه كما عن الكافى عن الباقر «ع»

كما فى آيه إِنَّمَا وَئِيكُمُ. و حديثى الغدير. و الثقلين و غير ذلك. يَنْ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

و باعتبار السياق يكون المعنى ان يجمعكم يوم القيامة للحساب و الجزاء من عذاب او نعيم و لا يعجز الله حشركم و جمعكم فإنه يأتى بكم أينما تكونوا. و اما باعتبار عموم اللفظ و كثره مصاديقه فقد روى فى تفسير البرهان نحو اثنتى عشر روايه عن الأئمه «ع» انهم استشهدوا بالآيه لجمع الله اصحاب الحجه المنتظر من أطراف الأرض الى النهوض مع الحجه عليه السلام.

سوره البقره (٢): الآيات ١٤٩ الى ١٥٠

وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَيِّقِ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩) وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَاخْشَوْنِي وَ لَأَنْتُمْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)

و للتأكيد فى امر استقبال الكعبه فى الصلاه و عمومه فى جميع الأحوال سفرا و حضرا قال الله تعالى ١٤٧ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ سواء كان الخروج من مكه الى المدينه او من المدينه الى الشام بحيث يكون الوجه فى المسير الى بيت المقدس على الانحراف اليسير او الاستقامه ام كان الى جهه مكه او المشرق او المغرب فَوَلِّ وَجْهَكَ فى جميع هذه الأحوال و جميع الجهات شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ نحوه و إِنَّهُ اى التوجه الى المسجد الحرام فى الصلاه على الإطلاق المنصوص عليه لِلْحَقِّ مِنْ امر رَبِّكَ و شريعته الجاربه على الحكمه و كرامه البيت و ان الله لا يضيع اجركم فى امتثال امره و مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ١٤٨ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ

الْحَرَامِ وَ هَذَا الْخَطَابُ لِلرَّسُولِ وَ ان كَانَ كَافِيَا فِي عَمُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَ التَّكْلِيفِ لِلْمُسْلِمِينَ لَكِنِ الْحِكْمَةُ تَقْتَضِي التَّأَكِيدَ بِالنَّصِّ وَ تَأَكِيدُهُ فَقِيلَ كَمَا سَبَقَ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ خَطَابُ لِلرَّسُولِ وَ أُمَّتِهِ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ ان كُنْتُمْ عِنْدَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَ فِي بَلَدِهِ لِنَّا أَي شَرَعَ لَكُمْ ذَلِكَ بِالْأَمْرِ الْمَذْكُورِ لِنَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ وَ ان كَانَتْ دَاحِضَةٌ (١) هَذَا يَقُولُ اتَّبِعْ قَبْلَتَنَا وَ هَذَا يَقُولُ تَرَكَوا كَعْبَتَهُمْ مَعَ افْتِخَارِهِمْ بِسَابِقَتِهَا وَ فَضْلِهَا وَ هَذَا يَقُولُ تَرَكَوا قَبْلَهُ اِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ.

او وَ هَذَا يَقُولُ مَكْتُوبٌ ان النَّبِيَّ يَصَلِي اِلَى الْقِبْلَتَيْنِ. وَ هَذَا يَقُولُ مَكْتُوبٌ انه يَصَلِي اِلَى الْكَعْبَةِ إِلَّا الَّذِيْنَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ اسْتِثْنَاءً مِنَ النَّاسِ فَان هُوَ لَاءِ الظَّالِمِينَ لَا يَقْطَعُونَ جِدْلَهُمْ وَ احْتِجَاجَهُمْ بِالْأَبَاطِيلِ حَسَبَ مَا تَغْرِيهِمْ اِهْوَاؤُهُمْ وَ ظَلَمَهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَ اخْشَوْنِي أَي وَ لَتَكُنْ خَشْيَتِكُمْ لِي وَ لِأُمَّتِي نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ بِتَشْرِيعِ الْاِسْتِقْبَالِ لِلْقِبْلَةِ الْمَرْضِيَّةِ قَبْلَهُ اِبْرَاهِيمَ وَ حَصْرِهِ بِهَا وَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ أَي وَ لِأَجْلِ ان تَهْتَدُوا اِلَى مَعْرِفَةِ لُطْفِ اللَّهِ بِاتِّمَامِ النِّعْمَةِ بِذَلِكَ عَلَيْكُمْ وَ قَطْعِ حُجَجِ الْمَجَادِلِينَ لَكُمْ. او وَ اِلَى اِقَامَةِ الصَّلَاةِ بِحُدُودِهَا اِلَى هَذِهِ الْقِبْلَةِ وَ لَكِنَ لَمَّا كَانَ الْاِهْتِدَاءُ مِنْ اِفْعَالِ الْاِنْسَانِ وَ نَاشِئًا عَنْ اخْتِيَارِهِ لِلتَّفَكُّرِ وَ مَجَانِبَتِهِ لِشُكُوكِ الْاَهْوَاءِ وَ عِنَادِهَا قِيلَ فِي تَعْلِيلِهِ لَعَلَّ وَ كَذَا كَلَّ غَايَهُ فِي الْقُرْآنِ هِيَ مِنْ اِعْمَالِ الْعِبَادَةِ وَ رَاجِعَةٌ اِلَى اخْتِيَارِهِمْ نَحْوَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ. تَتَفَكَّرُونَ لَمْ تَخْرُجْ مَخْرَجَ الْجِزْمِ فِي التَّعْلِيلِ.

سورة البقرة (٢): الآيات ١٥١ الى ١٥٢

كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَ يُزَكِّيْكُمْ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (١٥١) فَادْكُرُونِي أَدْكُمْ وَ اشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)

وَ قَدْ لُطِفَ اللَّهُ فِي اِمْرِ الْقِبْلَةِ بِعِبَادَتِهِ لِهَذِهِ الْغَايَاتِ الشَّرِيفَةِ ١٤٩ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ وَ كَوْنَهُ مِنْكُمْ اقْرَبَ اِلَى اِنْقِيَادِكُمْ لِلْاِسْلَامِ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَ يُزَكِّيْكُمْ بِدِينِهِ وَ شَرِيعَتِهِ وَ تَعَالِيمِهِ وَ يُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ يُعَلِّمُكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ مِمَّا يَهْمِكُمْ وَ يَزِينِكُمْ وَ يَهْدِيْكُمْ وَ ان تَعَدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ فِي ذَلِكَ لَا تَحْصُوهَا ١٥٠ فَادْكُرُونِي بِمَا فِيهِ سَعَادَتِكُمْ

ص: ١٣٩

١- فِي سُورَةِ الشُّورَى ١٥ حِجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ. وَ فِي الْجَاثِيَةِ ٢٤ وَ إِذَا تَلَّى عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا بَيِّنَاتٌ مَا كَانَ حِجَّتُهُمْ اِلَّا ان قَالُوا ائْتُوا بآبَائِنَا ان كُنْتُمْ صَادِقِينَ

و كما لكم من العباده و الطاعه و الشكر لنعمى أعد عليكم بالجزاء و اللطف و النعمه و المزيد.

و لأجل المقابله اللفظيه جرى التعبير عن ذلك بقوله تعالى أذْكُرْكُمْ وَ اشْكُرُوا لى نعمائى عارفين بها وَ لا تَكْفُرُونَ لا تكفرونى نعمتى لا تجحدونى كفره حقه جحده

سوره البقره (٢): الآيات ١٥٣ الى ١٥٧

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَ الصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (١٥٣) وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتٌ بَلْ أحياءٌ وَ لَكِنَّ لا تَشْعُرُونَ (١٥٤) وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ وَ رَحْمَةٌ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧)

١٥١ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا فى امر دينكم و عبادتكم و طاعتكم لله و اجتناب معاصيه و فى مصائبكم بالصَّبْرِ فانه نعم المطيه و مفتاح الفرج و وسيله البشرى بالصلوات من الله و الرحمه وَ الصَّلَاةِ عطف على الصبر فانها باب الله فى مناجاته و الاستعانه به و معراج السعاده و الناهيه عن الفحشاء و المنكر إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ و كفى بذلك بشرى ١٥٢ وَ لا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُم أَمْواتٌ بَلْ هُم أحياءٌ وَ لَكِنَّ لا تَشْعُرُونَ بحياتهم لأن عالمهم غير عالمكم. و قد اخبر الله جلت آلاؤه عما لحياتهم السعيده من الكرامه و الحبور كما فى الآيه الثالثه و الستين بعد المائه و اللتين بعدها من سوره آل عمران ١٥٣ وَ لَنَبْلُوَنَّكُمْ يا ايها الذين آمنوا كما يقتضيه سياق الخطاب. او يا ايها الناس بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ على ذلك رضى بما قضى الله و تسليمًا لحكمته فلا يصددهم ما ذكر عن شكر ما هم فيه من نعمه و لا عن عبادته و طاعته و الجهاد فى سبيله بل هم ١٥٤ الَّذِينَ إِذا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَ كَل ما هو لنا من حياه و نعمه إنما هو من عنده بدون استحقاق لنا فى أقل شىء من ذلك يفعل بحكمته ما يشاء وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ فى الآخره فيعاملنا بصبرنا او جزعنا الذى هو كفران لنعمه ١٥٥ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِّنْ رَبِّهِمْ ثناء جميل وَ رَحْمَةٌ بالثواب و الجزاء وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ الى الحق بصبرهم و تسليمهم لله

و علمهم و اعترافهم بأنهم لله و انهم اليه راجعون

سوره البقره (٢): آيه ١٥٨

إِنَّ الصَّفَا وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ
(١٥٨)

١٥٦ إِنَّ الصَّفَا وَ الْمَرْوَةَ مَوْضِعَانِ مَعْرُوفَانِ بِمَكَهٍ يَسْعَى بَيْنَهُمَا فِي الْحَجِّ وَ الْعَمْرَةِ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ مِنْ مَعَالِمِ أَعْمَالِ الطَّاعَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ فِي الْحَجِّ وَ الْعَمْرَةِ وَ انْ عَرَضَ انْ الْمُشْرِكِينَ جَعَلُوا عَلَيْهِمَا الْأَصْنَامَ كَمَا جَعَلُوهَا عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ إِلَى انْ أَلْقَاهَا عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ فِي فَتْحِ مَكَّةِ إِذْ أَصْعَدَ امِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى كَتِفِيهِ وَ رَمَى بِهَا إِلَى الْأَرْضِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا الْحَجِّ وَ الْعَمْرَةِ مَعْرُوفَانِ وَ التَّطَوُّفُ الطَّوْفٌ. وَ سُمِّيَ السَّعْيُ تَطَوُّفًا بِاعْتِبَارِ تَكَرُّرِهِ فَيَكُونُ كَالطَّوْفِ الَّذِي يَرْجِعُ إِلَى مَبْتَدَئِهِ وَ طَافَ بِهِ أَعْمٌ مِنَ الطَّوْفِ حَوْلَهُ وَ جَعَلَهُ فِي وَسْطِ الْمَطَافِ كَالطَّوْفِ بِالْبَيْتِ وَ مِنَ الْمُرُورِ بِهِ فِي الطَّوْفِ كَمَا تَسْمَى الْكَثِيرَةَ الْخُرُوجَ مِنْ دَارِهَا طَوَّافَهُ بِالْبَيْتِ. وَ قَدْ اتَّفَقَتْ الرِّوَايَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى انْ قَرِيْشًا جَعَلُوا مِنْ أَصْنَامِهِمْ عَلَى الصَّفَا وَ الْمَرْوَةِ فَتَوَقَّفَ الْمُسْلِمُونَ مِنَ الطَّوْفِ بِهِمَا لِمَكَانِ الْأَصْنَامِ فَرَفَعُوا تَوَهُمَ التَّحْرِيمِ بِقَوْلِهِ لَا جُنَاحَ لَهَا مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ وَ ذَلِكَ لَا يَنَافِي الْوَجُوبَ كَمَا ثَبَتَ مِنَ السُّنَنِ وَ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْإِمَامِيَّةِ وَ أَكْثَرُ الْجُمْهُورِ.

ففى تفسير البرهان عنه أى عن محمد بن يعقوب فى الكافى فى الحسن كالصحيح عن أبى عبد الله «ع» فى حديث حج النبى «ص» و ان المسلمين كانوا يظنون ان السعى بين الصفا و المروه شىء صنعته المشركون فأنزل الله تعالى إِنَّ الصَّفَا وَ الْمَرْوَةَ الْآيَةُ. قلت و لم أجد هذا الكلام فى مظانه فى الكافى.

و عن العياشى قال ابو عبد الله فى خبر حماد بن عثمان انه كان على الصفا و المروه أصنام فلما ان حج الناس لم يدروا كيف يصنعون فأنزل الله هذه الآيه فلما حج النبى رمى بها.

و فى الكافى فى باب السعى فى المرسل المعتبر عن أبى عبد الله «ع» ان رسول الله «ص» شرط على قريش فى عمره القضاء ان يرفعوا الأصنام من الصفا و المروه فجاءوا اليه و قالوا يا رسول الله ان فلانا لم يسع بين الصفا و المروه و قد أعيدت الأصنام فأنزل الله عَزَّ وَ جَلَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَ ذَكَرَ الْقُمِيَّ فِي تَفْسِيرِهِ نَحْوَهُ.

و فيه ايضا ان عمره القضاء كانت سنه سبع من الهجره. و ذكر الآيه من أولها و لم ينسب شيئا من ذلك الى روايه وَ مَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا تَجِيءُ صِيغَةً تَفْعَلُ لِلاتِّخَاذِ وَ الْجَعْلِ نَحْوِ تَوَسُّدِ الْحَجْرِ.

و قد يتجلى عليها معنى الطلب و الرغبة و التحصيل نحو تعرّفت و تعلمت و تبصرت من البصيره فى

غير المطاوعه. و من ذلك قول امرؤ القيس فى معشوقته:

«تورتها من أذرعات و دارها بيثرب أدنى دارها نظر على»

فالمعنى و من اتخذ الخير المشروع طاعه بطلب لها و رغبه. و لا- دليل من اللغه و لا- من هيئه التطوع او مادته على اختصاصه بالمستحبات. بل ان المقام يأبى ذلك فإن السعى حق فى الحج و العمره المندوبين يجب بالشروع فيهما. و حاصل الآيه ان التطوف بالصفاء و المروه خير لأنه تعظيم لشعائر الله و طاعه له فى ذلك من تطوع خيرا فإن الله شاكراً عليم بالطاعه لا يخفى عليه شىء منها و مجاز عليها. و إن كان الشكر مختصاً بالنعمة و اليد فنسبته الى الله مجاز

سوره البقره (٢): الآيات ١٥٩ الى ١٦٣

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ (١٥٩) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا وَ بَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (١٦٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (١٦١) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ (١٦٢) وَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣)

١٥٧ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ الْوَاضِحَاتِ فِي الْإِرْشَادِ وَ الْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ وَ أَوْضَحْنَا دَلَالَتَهُ فِي الْكِتَابِ وَ الْعَمُومِ فِي الْكِتَابِ لِلْقُرْآنِ وَ غَيْرِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَنْسَبَ بِعَمُومِ التَّوْبِخِ وَ قِيَامِ الْحُجَّةِ وَ اسْتِحْقَاقِ اللَّعْنَةِ. وَ لِذَلِكَ مُصَادِقٌ كَثِيرٌ. وَ مِنْهَا مَا رَوَاهُ فِي الْبُرْهَانِ عَنِ الْعِيَاشِيِّ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ يَطْرُدُهُمْ عَنِ رَحْمَتِهِ وَ يَلْعَنُهُمْ أَى يَدْعُو عَلَيْهِمْ بِالطَّرْدِ عَنِ الرَّحْمَةِ اللَّاعِنُونَ ١٥٨ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَ أَصْلَحُوا أَعْمَالَهُمْ وَ بَيَّنُّوا مَا كَانُوا يَكْتُمُونَهُ وَ غَيْرِهِ مِمَّا يَنْبَغِي بَيَانَهُ مِنَ الْحَقِّ فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَ أَنَا التَّوَّابُ عَلَىٰ مِنْ تَابَ حَقُّ التَّوْبَةِ الرَّحِيمِ ١٦٠ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ طْرُدُهُمْ عَنِ رَحْمَتِهِ وَ لَعْنَةُ الْمَلَائِكَةِ أَى دَعَائِهِمْ بِاللَّعْنَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ بَلْعَنَهُمْ لِلظَّالِمِينَ وَ الْجَاهِلِينَ لِلْحَقِّ. وَ مِنْ طْرُدِهِ اللَّهُ عَنِ رَحْمَتِهِ فَهُوَ مُعَذِّبٌ ١٦٢ خَالِدِينَ فِيهَا أَى فِي اللَّعْنَةِ فَهَمُ خَالِدُونَ فِي الْعَذَابِ لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ مِنَ النَّظَرِ وَ الْإِمْهَالِ فِي الْعَذَابِ وَ الْإِمْهَالِ لِلإِعْتِزَارِ وَ التَّوْبَةِ ١٦١ وَ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فِي الْإِلَهِيَّةِ وَ صِفَاتِهَا لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهَا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

و هذه العبارة فى توحيد الله فى الإلهيه و نفى ما عداه فيها أوضح من ان تشوش بقواعد الإعراب الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ و قد مر تفسير الكلمتين فى بسمله الفاتحه. و لعمر الحق ان مضمون هذه الآيه الكريمه فى وجود الإله و وحدانيته فى الإلهيه و إبداع العالم بحكمته و ارادته و رحمانيته و رحمته امر تجلوه الفطره للعقول الحره بأوضح المجالى. و لكن الله جلت آلاؤه شاء بلطفه ان يستلقت العقول الى ذلك بالحجه القيمه بنحو يكتفى منه العامى بنظرته البسيطة و يستنبط العالم لها بحسب استعداده فى العلوم من كل شىء يجلوه العلم برهانا كافيا.

سوره البقره (٢): آيه ١٦٤

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٦٤)

فذكر هنا جلت الطافه بعض الآيات المشاهده من خليقته و قال ١٦٢ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ ما يرى فيها من الكواكب الثابته و السيارات المرتفعه بعضها عن بعض على مدار مخصوص و المستمره كل على سيره المنتظم على منطقه البروج فضلا عما يعرف بالعلم من فوائد سير السيار على تلك المنطقه وَ الْأَرْضِ وَ ما فيها من الجبال و حكمها الباهره. و منها تفجر العيون من أعاليها و إخراج النار من براكينها.

و من انواع المعادن. و من البحار و تياراتها و ما فى ذلك من الحكم وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ على نظام موزون مستمر متماثل فى ايام السنين يزيد النهار فى كل محل من نصف الأرض الشمالى بمقدار ما ينقص فى ذلك اليوم من مثل ذلك المحل فى العرض من النصف الجنوبى. و تجرى نقيصه الليل و زيادته على عكس النهار فى المحال المتماثله فى العرض من النصفين وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ من تجاره البلدان النائيه و الوصول الى البلاد البعيده و كيف سخرت لها الرياح المسماه بالتجاربه. فترى السفن تجرى فى زمان واحد و بحر واحد كل الى مقصدها شمالا او جنوبا او شرقا او غربا وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بِالنبات و الشجر و النمو بَعِيدَ مَوْتِهَا بكونها قاحله ماحله و أوجد فيها روح قوه الإنبات لا تحصل بالدوامل (١) العاديه. و لا الماء الجارى نعم قد يحصل من القوه شىء باطيان الفيضان المتشبعه بروح المطر وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ بيركه إحيائها وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ التى يسمونها استوائيه

ص: ١٤٣

١- الدوامل ما يداوى بها ضعف الأرض فى الإنبات من سماء و نحوه

و قطبيه و موسميه و تجاريه. و ما فى استقامتها و هدوها فى البحر المسمى بالمحيط الهادئ أى الساكن و هو الواقع ما بين آسيا و امريكا مع ان مساحه قطره من المشرق الى المغرب تزيد على سبعة آلاف ميل و من الجنوب الى الشمال اكثر من ذلك. و استقامه أنواعها ايضا فى البحر المسمى بالمحيط الأطلسى و هو الواقع بين أوروبا و امريكا و ربما يبلغ عرضه اربعة آلاف ميل فلا يكون فى هذين المحيطين العظيمين و الطريقين الموصولين ما بين الدنيا القديمه و الدنيا الجديده خطر العواصف و الأعاصير التى تكون فى بحر الصين و الهند و بحر انتيله المقابل لأمريكا الوسطى وَ السَّحَابِ الْمُسَيَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ يجرى حيث توجهه القدره و الحكمه تراه فى محل واحد ينزل مطره قطرات و سحا و هكذا و تتخلل بين ذلك فترات و احوال مختلفه فى نزوله و بينما هو واقف إذ اقلع مسرعا او على تأن. هذا و فى كل أمر من هذه الأمور و كل حال من هذه الأحوال المنتظمه بأحسن نظام يجد العقل الحر دلالة واضحة على ان كلا من ذلك إنما هو من إيجاد إله قادر عليم حكيم و تدبيره بحسب ارادته و حكمته و رحمته. و دلالة جليه على انه وحده لا شريك له فى الإلهيه و هذا الخلق العجيب و التدبير المنتظم و لو كان معه إله لاختل هذا النظام و فسدت المخلوقات كما قال جل شأنه فى سورة الأنبياء لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا و فى سورة المؤمنون وَ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلَّا بَغْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ و قد جرى الكلام بأكثر من هذا الشرح فى مضامين هذه الآيات فى الجزء الثانى من المدرسه السياره فى صفحه ١١٦- الى ١٢٥ و ١٥٥ الى ١٦٠ و فى الجزء الثالث فى صحيفه ١٧ و ١٨ و أنى يبلغ الشرح و البيان معشار ما فى هذه الآيات من اسرار القدره و الحكم الداله على الإله و توحيده. و على الإجمال ان فيما ذكر فى الآيه الكريمه آيات باهرات و دلالات نيره لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ و كلما تفكروا فيما ذكر ظهرت لعقولهم من الآيات و الدلالات اضعاف ما عرفوه

سوره البقره (٢): آيه ١٦٥

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ (١٦٥)

١٦٣ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَاداً قد مر الكلام فى الند فى الآيه الثانيه و العشرين. و اتخاذا الأنداد أعم من تأليههم و اتباعهم على ظلمهم و باعتبار القسم الثانى جاءه الروايه عن الباقر عليه السلام كما فى التبيان و البيان. و عن العياشى مرفوعه عنه

(عليه السلام) و في البرهان عن الكافي و اختصاص الشيخ المفيد مسنده. و قيل في هذه الآيه من دون الله باعتبار ان اتخاذ الأنداد حتى بالمعنى العام المذكور انما هو نكوص عن معرفه الله و حقيقه إلهيته و قدس توحيده و عبادته او نكوص عن طاعته و اتباع شريعته و من امر باتباعه يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ لصدق عرفانهم له في إخلاصهم في توحيده و يقينهم بأن الخلق و الأمر بيده و هو الرحمن الرحيم وَ لَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا بِاتِّخَاذِهِمُ الْاَنْدَادِ وَ تَعْدِيهِمْ حُدُودَ اللَّهِ فِي الْعَدْلِ إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ وَ يَشَاهِدُونَ اَهْوَالَهُ وَ انه ليس من دونه نصير أَنْ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا جملة ان القوه أى مصدرها مفعول ليرى وَ أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ عطف على مفعول يرى.

و في الآيه توبيخ شديد و تسفيه لهؤلاء بالإشاره الى انهم لا- يهتدون بعقولهم و دلالة العقل على وحدانيه الله في الإلهيه و انحصار القوه الإلهيه به. و لزوم اتباع أوامره فيمن امر باتباعه.

و اتباع نواهيه فيمن نهى عن الضلال باتباعه. و لا يهتدون الى اليقين بما توعد الله به من انواع العذاب الأليم في يوم القيامة. و انه ليس من دونه ولّى و لا- نصير. بل هؤلاء كالبهائم لا تلتفت إلا الى ما تراه و تحسه. فلو ان هؤلاء الظالمون حينما يرون بالحس عذاب القيامة و ما تذكره الآياتان بعد هذه الآيه من أهوالها و يرون انحصار القوه الإلهيه بالله و شدة عذابه لأقلعوا عن غيرهم و اتخذهم الأنداد و أنابوا الى توحيد الله و طاعته. و حذف جواب «لو» لدلاله المقام عليه اختصارا. و يقدر بكل نحو يناسب المقام. قال امرؤ القيس

«فلو أنها نفس تموت سويه و لكنها نفس تساقط أنفسا»

و قد مرّ بعد الآيه السابعه و العشرين شىء من شواهد الحذف لدلاله المقام

سوره البقره (٢): آيه ١٦٦

إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَ رَأَوْا الْعَذَابَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ (١٦٦)

١٦٦ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا فِي التَّبَيُّانِ وَ الْبَيَانِ الْعَامِلِ فِي إِذْ قَوْلِهِ تَعَالَى شَدِيدُ الْعِقَابِ وَ الْأَظْهَرُ اِنْهَا بَدَلٌ مِنْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَوْ عَطْفٌ بَيَانِ فَالْعَامِلِ فِيهَا «لَوْ يَرَى» وَ رَأَوْا الْعَذَابَ جَمِيعًا التَّابِعُونَ وَ الْمُتَبَوِّعُونَ وَ تَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ السَّبَبُ هُوَ الْحَبْلُ الَّذِي يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الصُّعُودِ فَإِذَا انْقَطَعَ بِالشَّخْصِ الْمُتَعَلِّقِ بِهِ آيِسٌ مِنْ نَجَاتِهِ مِنْ وَرَطَّتْهُ. كُنِيَ بِذَلِكَ عَنْ انْقِطَاعِ

وَ قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَّرَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤْنَا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسِيرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ
(١٦٧) يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٦٨)

١٦٥ وَ قَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً لَوْ لَتَمَنَى وَ التقدير لو يمكن ان لنا كره كما تقدمت الإشارة اليه فى الآيه التسعين. و قيل انها لا تحتاج الى جواب كجواب الشرط. و قال بعضهم هى لو الشرطيه أشربت معنى التمنى و معناها انها تحتاج الى الجواب و لكن الغالب حذفه لدلاله سياق الكلام عليه. و احتجوا بقول مهلهل بن ربيعه

فلو نبش المقابر عن كليب فيخبر بالذنائب أى زير

بيوم الشعنين لقرّ عيننا و كيف لقاء من تحت القبور

فجاء بجوابها مقرونا باللام. و لا بأس بهذه الحجة و قولها. و ربما يكون بعض ما جىء بجوابها مع اللام فى القرآن الكريم هى «لو» التى للتمنى فَنَتَبَّرَ مِنْهُمْ من المتبوعين بنصب نبرأ لوقوعها فى جواب التمنى بعد الفاء كما تَبَرَّؤْنَا مِنَّا أى تبريا ينفعنا فى العمل و الجزاء فى دار لا فيها عمل و لا حساب كَذَلِكَ أى كما تبرأ بعضهم من بعض. و تقطعت بهم الأسباب و خابت آمالهم يُرِيهِمُ اللَّهُ فى الآخرة أَعْمَالَهُمْ فى الدنيا حَسِيرَاتٍ عَلَيْهِمْ أى اسباب حسراتهم على أنفسهم فيما فزطوا فيها و أقيم المسبب مقام السبب مبالغه و من مصاديق ذلك ما

فى التبيان و البيان. روى عن أبى جعفر «ع» قال الرجل يكسب المال و لا يعمل فيه خيرا فيرثه من يعمل منه عملا صالحا فيرى الأول ما كسبه حسنة فى ميزان غيره. و رواه ايضا فى تفسير البرهان عن أمالى الشيخ المفيد مسندا عن أحدهما عليه السلام. و عن الكافى نحوه مسندا ايضا عن أبى عبد الله «ع» كما رواه عن العياشى ايضا

وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ وَ ذَلِكَ معنى الخلود فيها و العياذ بالله ١٦٦ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا الْأَمْرَ هُنَا لِلإِبَاحَةِ مِمَّا فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْضِهِ مِمَّا أَحَلَّهُ اللَّهُ حَلَالًا فى نفسه طَيِّبًا فى مأخذه و فى ذلك بلاغ لكم تعيشون به من نعمه الله و رحمته فى هناء و سلامه فى الآخرة وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَ تقتفوا أثره فى غوايته و طريق ضلاله و وسوسته لكم فإنه لا يوسوس لكم إلا بما يضركم و لا يدعوكم إلا الى ما يوبقكم فى الدنيا و الآخرة إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ لعداوته و لو تبصرتم فيما يغوى به الكفار

و الفساق لعرفتم انه لا يتخفى بعداوته لكم و ارادته مضرتمكم فى الدارين.

و روى فى الكافى و التهذيب عن الصادق و الباقر عليهما السلام ان الحلف على ذبح الولد و الحلف بالطلاق و العتاق و النذر و ان يقول على الف بدنه و انا محرم بألف حجه او ان جميع مالى هدى و كل مملوكى حرّ ان كلمت فلانا ان هذا كله من خطوات الشيطان كما فى البرهان مسندا عن العياشى مرفوعا.

و روى فى الدر المنثور فيما أخرجه الرواه و صحح بعضه الحاكم شيئا من نحو هذا عن ابن عباس و ابن مسعود و الحسن و جابر بن زيد

سوره البقره (٢): الآيات ١٦٩ الى ١٧٣

إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالضَّرِّ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (١٦٩) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ (١٧٠) وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بُكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٧١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (١٧٢) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٧٣)

١٦٧ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ الشَّيْطَانُ بِغَوَايِهِ وَ وَسْوَته بِالضَّرِّ بِحيث تعرفون إذا نظرتم بعين البصيره انه سوء يزجر عنه العقل و الشرع و الفَحْشَاءِ و هو ما يستعظم قبحه و أَنْ تَقُولُوا كاذبين عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ انه منه ١٦٨ و إِذَا قِيلَ لَهُمْ أَى للضالين عن الحق اتَّبِعُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ من الدين و الشريعه قالوا لا نتبع ذلك بل نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا من الاعتقاد و العمل و يقلدون بذلك آباءهم على عمى و ضلال فسفها لهم أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ و هم كذلك إذ كانوا على غير ما يهدى اليه العقل و الشرع ١٦٩ و مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فى أقوالهم هذه التى لا- يتفكرون فى فساد معانيها و لا- يعرفون غلطها و ما يقولونه فيها كَمَثَلِ الأَصم الَّذِي يَنْعِقُ كنعاق الراعى فى غنمه بما لا يَسْمَعُ و لا يميز من مداليل نعاقه معنى معقولا إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً و صوتا بلا معنى و انهم فى ذلك صُمُّ بُكُمْ عُمَى فَهُمْ لَا- يَعْقِلُونَ كيف ينطقون ١٧٠ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ ما رَزَقْنَاكُمْ وَ اشْكُرُوا لِلَّهِ نعمه إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ليس المراد منه حقيقه الشرط و تعليق الشكر على عبادته. بل لبيان ان الشكر لنعمه ملازم لعبادته عن معرفه بأنه إله العالم و خالقه و مدبره ١٧١ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ و هى الحيوان الذى عرض عليه

الموت و المراد منها غير الحيوان المذكى بما شرعه الله له من اسباب التذكيه المحلله للأكل وَ الدَّم وَ لَحْمَ الْخِزْرِ نص على لحم الخنزير الشامل هنا لشحمه عنايه ببيان تحريمه و ان كان من الميتة المحرمه وَ ما أُهْلَ بِهِ وَ رفع الصوت عند ذبحه او نحره بالتسميه لِغَيْرِ اللَّهِ كالذى يذبح قربانا للصنم او الوثن و الشجر او الذى يذكر عليه اسم الصنم و الوثن و كلاهما مروى فإنه من الميتة.

و الحصر فى الآيه اضافى بالنسبه الى المأكول من الحيوان فَمَنْ اضْطُرَّ إِلَى أَكْلِ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ بمقدار ما يحفظ به حياته حال كونه غَيْرِ بَاغٍ وَ لا عَادٍ وَ قد جاء فى القرآن باغ و البغى و ما يشق منه فى اكثر من عشرين موردا على معنى واحد لا يتعدى بنفسه و إنما يعدى بعلی.

و اختلفت كلمات المفسرين و اللغويين فى تفسيره بحسب ما يتراءى لهم من مناسبات الموارد لاستعماله لا- لاختلاف فيه او اختلافه فى تلك الموارد. فقالوا انه الحسد او الظلم او الاعتداء او الفساد من بغى الجرح إذا فسد او مجاوزة الحد عن الحق او عن القصد كما فى تبيان الشيخ و النهايه و القاموس و المصباح و الكشاف و مجمع البيان و هذا غير معنى الباغى بمعنى الطالب.

و منه فى القرآن وَ يَنْغُونَهَا عِوَجًا وَ ابْتغى و يتبغى و نحوه مما يتعدى بنفسه.

و فى الكافى و معانى الأخبار عن البنزطى عن ذكره عن أبى عبد الله «ع» الباغى الذى يخرج على الإمام و العادى الذى يقطع الطريق.

و سندها صحيح باعتبار روايه الصدوق و كون البنزطى ممن اجمع على تصحيح ما يصح عنه و بذلك فسرته فى المبسوط و الشرائع و القواعد و الإرشاد و اللمعه.

و فى الروضه انه الأشهر.

و فى البرهان عن تفسير العياشى عن حماد بن عثمان عن أبى عبد الله عليه السلام الباغى الخارج على الإمام.

و عن محمد بن إسماعيل يرفعه الى أبى عبد الله «ع» الباغى الظالم و العادى الغاصب.

و فى التبيان و قيل غير باغ على إمام المسلمين و لا عاد بالمعصيه طريق المحقين. و فى البيان هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله عليهما السلام. و فيه نظر فإن روايته عن الباقر غير المذكوره و الروايه عن أبى عبد الله «ع» ليست منحصره بذلك.

ففى الكافى و التهذيب عن حماد بن عثمان عن أبى عبد الله «ع» قال الباغى باغى الصيد و العادى السارق.

و فى روايه الفقيه و التهذيب عن عبد العظيم الحسنى عن أبى جعفر الجواد (عليه السلام) الذى يبغى الصيد لهوا و بطرا.

و تفسير الباغى فى هذه الروايات باعتبار

ان ما ذكر فيها من مصاديق البغى و الباغى. اما الخارج على الإمام فظاهر و اما طالب الصيد لهوا و بطرا فباعتبار ان هذا النحو من التصيد مصداق من مصاديق البغى.

ففى الكافى و التهذيب عن أبى عبد الله (عليه السلام) ان الخروج الى الصيد صيد اللهو ليس بمسير حق.

و فى الكافى و التهذيب و عن المحاسن انه مسير باطل.

و عن الخصال عن الكاظم (عليه السلام) قال قال رسول الله اربعة يفسدن القلب و ينبتن النفاق و عد منها الصيد.

ثم ان كلا من الروايتين فى تفسير الباغى تكون قرينه على ان لا ينحصر تفسير الباغى بما ذكرته. بل هو احد المصاديق و لكن خرج فى نقل الروايه و السؤال و الجواب بهذا الأسلوب. اذن فكل من صدق عليه انه باغ او عاد لم يجز له ان يتناول من الميتة و ان اضطر إليها أخذها بإطلاق الكتاب المجيد فلا إثم عَلَيْهِ إِذَا أَكَلَ مِمَّا ذَكَرَ بِمَقْدَارٍ مَا يَحْفَظُ بِهِ نَفْسَهُ وَ مَا فَوْقَ هَذَا الْمَقْدَارِ مُحْرَمٌ لِأَنَّهُ غَيْرُ مُضْطَرٍ إِلَيْهِ

سوره البقره (٢): الآيات ١٧٤ الى ١٧٧

إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٤) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَىٰ وَالْعِزَابَ بِالمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ (١٧٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ (١٧٦) لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْكِتَابِ وَ النَّبِيِّنَ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ السَّائِلِينَ وَ فِي الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبُؤْسِ وَ الضَّرَاءِ وَ حِينَ الْبُؤْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (١٧٧)

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٧٢ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ أَي يَسْتَبَدِلُونَ بِهِ ثَمَنًا وَ مَهَا بَلَغَ ذَلِكَ الثَّمَنُ كَانَ قَلِيلًا بِالنَّسْبَةِ لِكْتُمَانِهِمْ لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ أُولَٰئِكَ خَبِرَ أَنَّ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ مِنْ هَذَا الثَّمَنِ الْخَسِيسِ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ فَلَا يَغْتَرُوا بِأَنَّ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا الْفَانِيَةَ يَكَلِّمُونَهُمْ وَ يَزَكُونَهُمْ فَإِنَّ لَهُمْ شَدِيدَ الْعِقَابِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٣ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ فِي عَمَلِهِمْ هَذَا قَدْ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَىٰ وَالْعِزَابَ بِالمَغْفِرَةِ ففَعَلُوا بِذَلِكَ فَعَلَ الصَّابِرُ عَلَى النَّارِ بِصَبْرٍ عَظِيمٍ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ١٧٤ ذَلِكُ وَ هُوَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ بَيْنَا هَدَاهُ كَافِيَهُ دَلَائِلُهُ وَ إِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ شِقَاقًا وَ نِفَاقًا لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ أَمَدَهُ ١٧٥ لَيْسَ الْبِرُّ أَيُّهَا النَّاسُ هُوَ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ فِيمَا اعْتَدْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ صُورِ عِبَادَاتِكُمْ الَّتِي لَا يَسْعَكُم

تركها بين الناس قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ اى نحوهما على سبيل المثال وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ حَقَّ الْإِيمَانِ وَ لَمْ يَشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَ لَمْ يَهْدَمْ إِيْمَانَهُ بِاتِّبَاعِ الْهَوَى وَ الشَّيْطَانِ فِي مَخَالَفِهِ أَوْ أَمْرِ اللَّهِ وَ نَوَاهِيهِ وَ الْيَوْمَ الْآخِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ بِهِ أَنْ يَظْهَرَ أَثَرُهُ عَلَى أَعْمَالِهِ وَ أَقْوَالِهِ وَ أَخْلَاقِهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْكِتَابِ الْقُرْآنِ وَ يَلْزِمُهُ الْإِيمَانُ بِمَا ذَكَرَ فِيهِ مِنَ الْكُتُبِ الْإِلَهِيَّةِ وَ النَّبِيِّينَ وَ رَأْسَ ذَلِكَ وَ أُسَاسُهُ هُوَ الْإِيمَانُ بِخَاتَمِهِمْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَإِنَّهُ بِالْإِيمَانِ بِهِ يَنْفَتِحُ بَابُ الْإِيمَانِ بِمَنْ سَبَقَهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لِأَنَّهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أَخْبَرَ بِهِمْ وَ ذَكَرُوا فِي الْقُرْآنِ الْمَنْزِلَ عَلَيْهِ وَ لَوْ لَا ذَلِكَ لَمَا وَجَدَ الطَّرِيقَ إِلَى مَعْرِفَتِهِمْ لِأَنَّ نَقْلَ مَعْجَزَاتِهِمْ وَ ادْعَاءِهِمْ النَّبَوَةَ مَنْقُطَعٌ مَرِيبٌ وَ آتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ اى حُبَّ اللَّهِ خَالِصًا لَوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ذَوِي الْقُرْبَى قَالَ فِي التَّبَيُّنِ وَ الْبَيَانِ أَرَادَ بِهِ قَرَابَةَ الْمَعْطَى. أَقُولُ وَ هُوَ أَقْرَبُ مِنْ حَيْثُ اللَّفْظُ وَ فِيهِمَا أَيْضًا وَ يَحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ قَرَابَةَ النَّبِيِّ.

أَقُولُ وَ هُوَ أَقْرَبُ فِي الْعَادَةِ إِلَى إِيْتَاءِ الْمَالَ عَلَى حُبِّ اللَّهِ خَالِصًا لَوَجْهِهِ فَإِنَّهُ أَبْعَدُ عَنِ الدَّوَاعِي الْفَسَانِيَةِ وَ حُبِّ الْأَقْرَبَاءِ وَ فِي الْبَيَانِ وَ هُوَ الْمَرْوِيُّ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ وَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ. قُلْتُ وَ لَمْ أَجِدْ الرَّوَايَةَ بِالنَّسْبِ لِهَذِهِ الْآيَةِ وَ الْإِيْتَامَى الْمَحْتَاجِينَ وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ الْمَسَافِرِ الْمَحْتَاجِ فِي سَفَرِهِ وَ أَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ وَ السَّائِلِينَ مِنْهُ مَالًا وَ فِي عِتْقِ الرِّقَابِ وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ بِحُدُودِهَا وَ آتَى الزَّكَاةَ وَ الْمُؤَفُّونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ذَكَرَ الشَّرْطَ لِبَيَانِ هَذَا النَّحْوِ مِنَ الْعَهْدِ وَ هُوَ الَّذِي يَصْدُرُ مِنْهُمْ وَ جِيءَ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ لِلإِشَارَةِ إِلَى الْعَهْدِ الَّتِي تَقَعُ بَيْنَ الْجَمَاعَاتِ مِنَ النَّاسِ وَ لِلتَّعْرِيزِ بِغَدْرِ بَنِي النَّضِيرِ وَ قَرِيضِهِ وَ أَمْثَالِهِمْ مِمَّنْ لَمْ يَرِعْ فِي الْعَهْدِ إِلَّا- وَ لَا- ذِمَّةً وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبُؤْسِ الْفَقْرِ وَ نَحْوِهِ وَ الضَّرَّاءِ الْمَرَضِ وَ نَحْوِهِ وَ حِينَ الْبُؤْسِ الْحَرْبِ وَ شِدَّتِهَا وَ نَصَبِ الصَّابِرِينَ عَلَى الْمَدْحِ لَمَا فِي صَبْرِ هَؤُلَاءِ الصَّابِرِينَ مِنَ الْفَضِيلَةِ الْكُبْرَى إِذْ عَلَيْهِ يَبْتَنِي الثَّبَاتُ عَلَى الدِّينِ وَ الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَ شُكْرِ نِعْمِهِ وَ الشَّدَةِ وَ الْإِقْدَامِ فِي نَصْرِهِ الْحَقِّ وَ السَّلَامَةِ مِنْ

الضلال و الارتداد أولئك الذين صدقوا و أولئك هم المتقون و من المعلوم انه لم يجمع هذه الصفات من صحابه رسول الله (صلى الله عليه و آله) الا امير المؤمنين على عليه السلام و استقراء الأحوال. و منها يوم أحد و الأحزاب و خيبر و حين يعرفك اختصاصه (عليه السلام) بهذه الفضيله. فهو معنى بهذه الآيه يقينا و اما غيره فلا أقل من الشك في جامعته لها. و في مجمع البيان عن الزجاج و الفراء انها اي هذه الصفات و جامعيتها مخصوصه بالأنبياء المعصومين و ليت شعري ما ذا نقموا من أبي الحسن.

و اما قوله (تعالى) وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ فَهُوَ أَسْلُوبٌ فَائِقٌ مِنَ الْبَلَاغِ يَخْرُجُ الْكَلَامُ بِهِ مِنْ صُورِهِ الْفَرَضِ الَّذِي لَا يَهْمُ فِي الْبَيَانِ إِلَى صُورِهِ الْوُقُوعِ وَ الْحُجَّةِ بِالْعَيَانِ. قال الحارث بن حلزه اليشكري

و العيش خير في ظلال النوك ممن عاش كذا

و قال النابغه الجعدى

كأن غديرهم بجنوب سلى نعام قاق فى بلد قفار

و قال الحطيئه

و شر المنايا ميت وسط اهله كهلك الفتى قد اسلم الحى حاضره

فالغرض من الآيه هى الإشارة الى الذين اتصفوا بهذه الصفات و أشرفت الأرض بنورهم و الاحتجاج و المقابله بهم لا مجرد المقابله بين توليه الوجه قبل المشرق و المغرب و بين حقيقه البر. و لو قيل و لكن البار من آمن الى آخره لخرج الكلام الى الفرض لا الوقوع. و كذا لو قيل و لكن البر بر من آمن

سوره البقره (٢): آيه ١٧٨

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بِغَدٍّ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٨)

١٧٦ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ فِي الشَّرِيعَةِ رَعَايَةُ لِحَقِّ الْمَقْتُولِ وَ أَوْلِيَاءُ الْقِصَاصِ فِي الْقَتْلِ الْقِصَاصُ أَخَذَ الْجَانِي بِمِثْلِ جَنَايَتِهِ وَ اتَّبَاعِ أَثَرِهِ فِيهَا وَ هَذَا خَاصٌّ بِالْعَمْدِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النِّسَاءِ وَ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَ دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِ الْآيَةِ. وَ عَلَى ذَلِكَ إِجْمَاعُ الْمُسْلِمِينَ وَ أَحَادِيثُهُمْ وَ مَا كَلَّ الْمُسْلِمِينَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَ تَتَسَاوَى. بَلِ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ يَقِيدُ إِطْلَاقَ جِنْسِهِمَا فِي شَمُولِهِ لِلذِّكْرِ وَ الْأُنثَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى وَ الْأُنثَى بِالْأُنثَى كَمَا يَتَّقِدُ إِطْلَاقَ هَذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ فَإِنَّ أُمَّةَ الْمُسْلِمَةِ لَا تَتَكَافَى الْمُسْلِمَةَ الْحَرَّةَ. وَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِهَذِهِ الْآيَةِ مَبْحَثَانِ «الأول» فيما خرج من إطلاقها و فيه مسائل.

«الأولى» لا يقتل مسلم بكافر و ان كان ذميا. و عليه إجماع الإماميه و كثير من الجمهور.

و لم يعرف الخلاف فيه منهم الا عن الشعبي و النخعي و أبي حنيفة و صاحبيه. و يردهم قوله تعالى فى

سوره النساء وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا نَعَمْ تَثَبَتِ الدِّيَةُ لِلذَّمَى بِنَصِّ الْآيَةِ الرَّابِعَةِ وَ التَّسْعِينَ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ.
فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ مَنَافِيًا لِظَاهِرِ نَفْيِ السَّبِيلِ كَانَ تَخْصِيصًا لَهُ وَ يَبْقَى مَا عَدَاهُ لِحُكْمِ الْعُمُومِ. وَ يَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ أَيْضًا بِمَا

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَ الْبُخَارِيُّ وَ مُسْلِمٌ وَ التِّرْمِذِيُّ وَ النَّسَائِيُّ بِأَسَانِيدِهِمْ عَنْ أَبِي جَحِيْفِهِ عَنْ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الصَّحِيْفَةِ الَّتِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لَا يَقْتُلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ.

وَ أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَ النَّسَائِيُّ وَ أَبُو دَاوُدَ بِأَسَانِيدٍ صَحِيْحَةٍ عِنْدَهُمْ عَنْ أَبِي حَسَّانٍ تَارَهُ وَ عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ أُخْرَى عَنْ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي الصَّحِيْفَةِ الَّتِي عَاهَدَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ. الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأَ دِمَاؤُهُمْ - لَا يَقْتُلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ الْحَدِيثُ»

وَ الْمُرَادُ مِنْ تَكَافَأَ دِمَائِهِمْ أَنَّ الصَّغِيرَ يَكْفِي الْكَبِيرَ وَ الْوَضِيْعَ الشَّرِيْفَ. وَ عَنْ أَحْمَدَ وَ ابْنَ مَاجَةَ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) مِثْلَهُ. وَ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ فِي ذَلِكَ عِدَّةُ أَحَادِيثٍ. نَعَمْ الْمَشْهُورُ عِنْدَ الْإِمَامِيَّةِ وَ لَعَلَّهُ اجْتِمَاعُ أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا اعْتَادَ قَتْلَ أَهْلِ الذَّمِّ قَتْلَ تَأْدِيْبًا وَ لَا كِرَامَةً لَهُ كَمَا نَطَقَتْ بِهِ أَحَادِيثُهُمْ. وَ فِي الْكَنْزِ عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي جَامِعِهِ وَقَّ عَنْ عَمْرٍ نَحْوَ ذَلِكَ «الثَّانِيَّةُ» لَا يَقْتُلُ الْأَبُ بَابْنَهُ بِاجْتِمَاعِ الْإِمَامِيَّةِ وَ أَحَادِيثِهِمْ الْكَثِيْرَةَ وَ هُوَ الْمَعْرُوفُ مِنْ فُقَهَاءِ الْجُمْهُورِ وَ رَوَاهُ فِي كَنْزِ الْعَمَالِ مِمَّا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَ ابْنُ مَاجَةَ وَ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ وَ ابْنُ عَسَاكِرَ وَ أَحْمَدُ فِي الْعِلَلِ وَ الدَّارِقُطْنِيُّ وَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي أَحَادِيثِهِمْ عَنْ عَمْرٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وَ أَسْنَدُهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عَمْرٍ وَ سَرَّاقَةَ بْنِ مَالِكٍ عَنْهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وَ قَالَ التِّرْمِذِيُّ أَنَّ الْعَمَلَ عَلَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ. وَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّ ذُبْحَهُ ذُبْحًا أَوْ شَقَّ بَطْنَهُ فَعَلِيْهِ الْقَوْدُ. وَ أَمَّا الْأُمُّ فَإِنَّهَا تَقْتُلُ بَوْلْدَهَا عَلَى أَصُولِنَا إِذْ لَمْ يَثْبُتِ الْمَخْرُجُ لَهَا «الثَّالِثَةُ» لَا يَقْتُلُ حُرٌّ بَعْدَهُ وَ لَا حُرٌّ بِأَمِّهِ سِوَاءَ كَانَ الْمَقْتُولُ مَلِكًا لِلْقَاتِلِ أَوْ لِغَيْرِهِ. وَ عَلَيْهِ اجْتِمَاعُ الْإِمَامِيَّةِ وَ أَحَادِيثُهُمْ. قِيلَ وَ هُوَ مَذْهَبُ الصَّحَابَةِ. بَلْ لَمْ يَعْرِفِ الْخِلَافُ مِنَ الْجُمْهُورِ إِلَّا مِنَ النَّخَعِيِّ حَيْثُ قَالَ يَقْتُلُ بَعْدَهُ وَ عَبْدٌ غَيْرُهُ. وَ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ يَقْتُلُ بَعْدَهُ غَيْرُهُ وَ يَحْتَجُّ عَلَيْهَا مِنْ حَدِيثِهِمْ بِمَا

أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) لَا يَقْتُلُ حُرٌّ بَعْدَهُ.

وَ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ عَبْدِ الرَّزَّاقِ فِي جَامِعِهِ عَنْ عَمْرٍ لَا يَقَادُ الْعَبْدُ مِنَ الْحُرِّ. وَ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَ الْقَزْوِينِيُّ أَنَّ أَبَا بَكْرًا وَ عَمْرًا يَقُولَانِ لَا يَقْتُلُ الْمَوْلَى بَعْدَهُ.

«المبحث الثاني» ان الآيه مسوقه لبيان التساوى و التكافؤ فلا- دلالة فيها على حصر القصاص و انحصاره بخصوصيات هذه المقارنات الثلاث بحيث لا يقتل كل الا بمن جعل في الآيه مقارنا

له. و لا بما إذا كان القاتل واحدا. و يشهد لذلك اجماع المسلمين و أحاديثهم على عدم الالتزام بهذه المقارنات و فى ذلك مسائل.

«الاولى» يعرف ما يحصل به التكافؤ و التساوى و الجبران فى القصاص بالنظر الى السنه فى التفرقه بين ديه الرجل و المرأه «الثانيه» إذا قتلت المرأه رجلا- او قتل العبد حرا كفى قتل الجانى بإجماع الإماميه و حديثهم بانه لا يجنى الجانى على اكثر من نفسه و لا- يحضرنى نقل خلاف فيه من الجمهور «الثالثه» إذا قتل جماعه واحدا بحيث لو انفرد كل منهم بجنايته كان بها التلف جاز أن يقتلوا به جميعا الا من كان لو انفرد لا يقتل به كالأب بالنسبه للولد و المسلم بالنسبه للذمى و الحر بالنسبه للعبد. و على كلى المسئله اجماع الإماميه و أحاديثهم. و الجمهور و منهم فى ملتقى الأنهر نقلوا عليه اجماع الصحابه و كأنهم لم يعتنوا بما يحكى من خلاف ابن الزبير و معاذ. بل لم يعرف الخلاف من فقهاءهم الا من ابن سيرين و الزهرى و ربيعه و داود و أصحابه اهل الظاهر. و الحججه ايضا على ما ذكرناه من القرآن الكريم اطلاق قوله تعالى كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ و الذى بعد ذلك إنما ينظر الى المساواه و المقابله لا الى التقييد. نعم كل واحد يردّ عليه من ديته بقدر ما على أصحابه من الجنايه. و ظاهر بعض الأصحاب ان قتل الولى لكل واحد يتوقف على أداء ما يرد عليه من ديته. و فى المسئله فروع تتكفل بها كتب الفقه «الرابعه» إذا قتل الرجل امرأه جاز ان يقتل بها بعد أن يردّ أولياؤها ما يفضل به عليها و هو نصف ديته. و من ذلك و المسئله السابقه يعرف الحكم فيما لو اشترك اكثر من واحد.

هذا و ان كتابه القصاص و شرعيته على المؤمنين بأن ينقادوا و يسلموا أنفسهم له إذا جنوا ليدل بالأولويه على كتابته على غيرهم من اهل الذمه و المستأمنين إذا قتلوا محترم النفس و لو بالعرض. و لا ينافى ذلك سقوطه بعفو الولى كل العفو. و جوار العفو و رجحانه بآيات العفو فى القرآن الكريم او بعفو بعض العفو كأن يعفو عن خصوصيه القتل و يصلحه على الديه كقوله تعالى فَمَنْ كَانَ مِنَ الَّذِينَ قَتَلُوا نَفْسًا مِّنْ آخِيهِ وَ يَبغَىٰ لِلأَخِ ان يرعى

لأخيه اخوته و يسامحه و يقيله عشرته شئى ء صفه للمفعول المطلق النائب عن الفاعل اى بعض العفو و شئى ء منه بأن رضى منه بالديه كما يدل عليه باقى الكلام فَاتَّبَاعُ اى فالمعامله المناسبه ان تكون بينهما بعد العفو و الشأن الذى ينبغى ان يكون بينهما فى هذا المقام هو اتباع من الولى للجانى الذى استقرت عليه الديه بِالْمَعْرُوفِ كالنظره إلى الميسره و أداءً من الجانى إِلَيْهِ اى الولى بِإِحْسَانٍ كما احسن اليه بالعفو عن القصاص ذَلِكَ اى شريعه العفو و الانتقال الى الديه بالاتباع بالمعروف تَخْفِيفٌ عَلَيْكُمْ ايها الجانين مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ وَ عاد الى القتل فَلَهُ عَذَابٌ فى الآخره

سوره البقره (٢): الآيات ١٧٩ الى ١٨٠

وَ لَكُمْ فى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧٩) كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَيِّتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (١٨٠)

أَلِيمٌ ١٧٧ وَ لَكُمْ فى الْقِصَاصِ المذكور حَيَاةٌ فانه احسن رادع للناس عن جرأتهم على قتل النفوس الذى ربما يجنى حربا يفنى فيها كثير من الناس فإن القصاص قتل لا يقدم عليه لما فيه من ذله الانقياد الى ما يعلمه من القتل صبورا حيث لا مانع و لا رادع. فهو فيه حياه للناس من حيث الأيمن من القتل ظلما و مما تجنيه عواقبه و حياه لمن يرتدع عنه بخوف القصاص فهب انه مات اتفاقا بحق القصاص انسان واحد ظالم لكن تحفظ بذلك حياه كثيرين كما لا يخفى ذلك عليكم يا أُولِى الْأَلْبَابِ و العقول الذين يعرفون الغلط فى قول بعض الناس ان القصاص محض نقصان فى حياه الإنسان. و قد كتب القصاص لغايه ان تتقوا قتل الناس خوفا منه او تتقوا الله فى ذلك و لكن لأجل ان الاتقاء و التقوى امر اختياري للإنسان لا إجاء فيه قيل فيه لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ١٧٨ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَيِّتُ اى قرب منكم بان ظهرت أماراته بالمرض و نحوه إِنْ تَرَكَ خَيْرًا اى مالا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ بما هما والدان لا- بقاء اجتماعهما فى الحياه و الوصيه نائب الفاعل لكتب وَ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ اقرب الأقرباء و قد يكونون اثنين او جماعه فى مرتبه واحده من القرابه و قد يكون الأقرب واحدا و جرى الجمع فى الآيه باعتبار الناس لا للتقييد بالجمع حَقًّا الظاهر انه حال من الوصيه عَلَى الْمُتَّقِينَ لله و فى هذا تأكيد لكتابتها. و لا يخفى ان المسلمين مجمعون على ان هذه الوصيه غير واجبه

بعد زمان من الهجره الى آخر الأمر. و أجمعت الإماميه على ان شرعيه الوصيه للوارث غير منسوخه و على ذلك أحاديثهم. و يمكن ان يكون الوجوب المذكور فى الآيه كان فى بدء التغيير بالشريعه لموارث الجاهليه فإنهم كانوا لا يورثون النساء و لا الأطفال و لا من يعجز عن حمل السلاح فاقتضت الحكمة ان يكون التغيير تدريجيا بنحو الوصيه أولا ثم بأحكام الموارث فإن تغيير الميراث الجاهلى صعب على الناس. و لذا ترى كثيرا من القبائل حتى فى هذه الأزمنه لا ينقادون للميراث الشرعى. بل يجرون على النحو الجاهلى

سوره البقره (٢): الآيات ١٨١ الى ١٨٢

فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَ مَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٨١) فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨٢)

١٧٩ فَمَنْ بَدَّلَهُ اى الإيضاء مطلقا المدلول عليه بذكر الوصيه لا خصوص الوصيه المتقدمه كما يدل عليه التذكير المتكرر لضميره اربع مرات كما يشهد له ما استفاضت روايته عن الأئمه عليهم السلام بهذه الآيه للوصيه بالمال فى سبيل الله و الحج بَعْدَ مَا سَمِعَهُ و علم به و لو بالبينه فَإِنَّمَا إِثْمُهُ اى الذى يترتب على مخالفه الإيضاء عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ فَإِن الموصى إذا لم يكن مقصرا بتأخير ما اوصى به خرج بالوصيه عن عهده و إثمه دينا كان او عينا و بقى الإثم كله على المبدل إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ لا يخفى عليه شىء من ذلك ١٨٠ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا ميلا عن الحق خطأ أَوْ إِثْمًا كالوصيه بما لا يخفى كونه معصيه. و ظاهر الآيه خوف ما وقع من الجنف أو الإثم لا خوف وقوعهما فى المستقبل او الخوف فى المستقبل كما لو قيل ان خاف او و من يخاف و مقتضى الخوف ان يكون ذلك فى مقام الابتلاء و العمل و هو ما بعد موت الموصى و خوفهما هو الخوف من تبعات العمل بهما او ترك ردهما الى الحق و لو من باب الأمر بالمعروف للقادر عليه كما تقول خفت الأسد إذا خفت من تبعات عاديته فَأَصْلَحَ أصلح عمله و عمل الصالح برد الوصيه الى الحق المشروع كقوله تعالى فى سوره المائده ٤٣ فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَ أَصْلَحَ و نحوه فى سوره المائده ٤٨ و ٥٤ و غير ذلك بَيْنَهُمْ ظرف لأصلح و الضمير يعود الى الوارث و الموصى لهم كما يدل عليه المقام. و فى مجمع البيان انشد الفراء فى مثله

«أعمى إذا ما جارتى خرجت حتى يوارى جارتى الخدر»

«و يصمّ عما كان بينهما سمعى و ما بى غيره وقر»

أى عما كان بينها وبين زوجها. وبما ذكرناه جاءت الروايه عن اهل البيت «ع» كما فى الكافى فى مرسل على بن ابراهيم المضممر و صحيح محمد بن سوجه عن الباقر «ع». و فى الفقيه فى مرفوعه يونس عن الصادق «ع». و رواه ابن جرير من الجمهور فى تفسيره عن ابن عباس و قتاده و الربيع و ابراهيم بل و السدى و لم يذكر خلافا صريحا إلا عن مجاهد فلا إثم عَلَيْهِ بيان للأمن من إثم التبديل المذكور فى الآيه و تخصيص عمومه و اكتفى برفع توهم الحظر لأن وجهه الوجوب فى هذا الإصلاح واضح و زياده التأمين قال تعالى إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ للمذنبين. فكيف يخاف من أصلح و رد جور الوصيه الى حق الشريعه

سوره البقره (٢): الآيات ١٨٣ الى ١٨٤

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤)

١٨١ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ وَفرض عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ وَهو فى اللغة الإمساك و الكف عن الشىء قيل و منه قول النابغه الذبياني

«خيل صيام و خيل غير صائمه تحت العجاج و خيل تعلقك اللجما»

و يراد به فى الشرائع إمساك مخصوص على حسب ما تقتضيه المصلحه فى تخصيصه و حدوده فى الشريعه و لا يخرج بإرادته الخصوصيه و لا بفهم الخاص بقرائن الشريعه عن كونه مصداقا للمعنى اللغوى كما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ أى ككتابتهم عليهم و حظيتم بفضلهم و اللطف به كما حظوا. و قيل المراد تسليه المؤمنين بذلك و قد دلت الآثار على انه مختلف بحسب الشرائع فى الحدود و الوقت.

ففى روايه العلل عن الإمام الحسن المجتبى عليه السلام عن جده «ص» ان الصوم على الأمم كان اكثر مما هو على المسلمين فى شهر رمضان.

و فى روايه الفقيه عن حفص بن غياث عن الصادق عليه السلام ان صوم شهر رمضان لم يفرض على الأمم قبلنا و إنما فرض على الأنبياء.

و قد اختلفت روايات الجمهور فى هذا المقام لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ بمعنى لتتقوا بلام الغايه و أبدلت بلعل لكون التقوى اختياريه و حصول التقوى بالصوم هى الغايه العامه للناس و ان اشتمل على غايات آخر لكسره للشهوات الباعثه على المعاصى ١٨٢ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ لا- تتجاوز مقدار الشهر الى الأشهر. و قوله تعالى بعد آيه شهر رمضان. فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ. و العامل فى أياما هو الصيام و هو كاف فى العمل فى الظرف فلا حاجه الى فضول التقدير فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً

يزيد الصوم مرضه او يبطئ بسببه برؤه أو على سَفَرٍ و بيان السفر و مقداره موكول الى السنه فَعَدَّةً بالرفع كما عليه مصاحف المسلمين و قراءتهم المتداوله حتى القراءات السبع. و التقدير فالذى كتب الصيام فيه فى الحالين كما يدل عليه اللفظ و السياق و لا دلالة على تقدير غيره هو عده من أيام أُخْرَ فى غير المرض و السفر و العده هى بمقدار الفأنت بالسفر و المرض كما يدل عليه قوله تعالى أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ و سوق الشرط و الجزاء يدل على ان الصيام فى المرض و السفر المذكورين غير مكتوب و لا مشروع كما انه فى الأيام الأخر هو المكتوب و الواجب المشروع و على ذلك اجماع اهل البيت «ع» و أحاديثهم وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ أى يأتون به جهد طاقتهم. قال فى النهايه الطوق اسم لمقدار ما يمكن ان يفعل بمشقه منه. و منه حديث عامر بن فهيره «كل امرء مجاهد بطوقه» أى أقصى غايته. و اخرج ابن جرير عن ابن عباس الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ يتكلفونه. و من طريق آخر عنه من لم يطق الصوم إلا على جهد. و فيما ورد من قراءته يطوقونه. اخرج ابن جرير كما عن الأنبارى عنه يتجشمونه و يتكلفونه. و قد كثرت الروايه فى الكتب ان ابن عباس كان يقرأ يطوقونه لهذا المعنى. و رويت هذه القراءه عن عائشه و عكرمه و عطا و مجاهد و سعيد بن جبير.

و اخرج ابن جرير عن على امير المؤمنين «ع» ان الآيه نزلت فى الشيخ الكبير

و كثرت الروايه بذلك عن ابن عباس و تصريحه بأنها غير منسوخه. و عن أنس بن مالك انه ضعف عن الصوم عاما قبل موته فأفطر فصنع جفنه من ثريد فدعا ثلاثين مسكينا فأطعمهم كما ذكر كل ذلك و نحوه فى تفسير الطبرى و الدر المنثور.

و فى الصحيح عن الباقر «ع» قوله تعالى وَ عَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ قال الشيخ الكبير و الذى يأخذه العطاش. و نحوها مرسله ابن بكير عن أبى عبد الله. و روايه العياشى عن أبى بصير و رفاعه عن الصادق «ع».

و الروايات فى نفس الحكم مستفيضه و فيها العجوز الكبيره و المرأه تخاف على ولدها و عليهم فِدْيَةٌ لكل يوم طَعَامُ مَسْكِينٍ و قدر فى الروايات بمد من حنطه فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا تقدم تفسير ذلك فى الآيه السادسة و الخمسين بعد المائة فَهُوَ أى التطوع خَيْرٌ حاصل لهُ و لا دليل على اختصاصه بزياده الإطعام بل هو عام و من موارد الصوم

المكتوب وَ أَنْ تَصُومُوا مصدره فى مقام المبتدأ و عدل الى الفعل ليتجلى منه الصدور من الفاعل و الترغيب فى اختياره فى المستقبل خَيْرٌ لَكُمْ خبر المبتدأ تعرفون انه خير لكم إِنَّ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ان التكليف لطف من الله بعبده و ان الطاعه و امتثال الفرائض معراج للسعاده و ان الصيام فيه فضل كبير و فوائد كثيره و قد تكرر الترغيب و التأكيد فى أمر الصيام بقوله تعالى لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا. وَ أَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ. و ذلك لأجل ما فى الصيام من الفضل العظيم و الكلفه فى إمساكه. و قال بعض ان قوله تعالى وَ أَنْ تَصُومُوا الآيه راجع الى من رخص له بالفديه. و يدفعه «أولاً» انه لا معين لرجوعه الى ما ذكر مع صلاحيته للرجوع الى غيره «و ثانياً» ان رجوعه الى ما زعموا لا يناسب التأكيد بقوله تعالى إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ «و ثالثاً» سياق الخطاب فى الآيه يقضى بأنه خطاب لمن خوطبوا بأنهم كتب عليهم الصيام. و الذى عليه الفديه إنما جاء بلفظ الغيبه. و قال بعض انه راجع الى الصيام فى السفر و يدفعه «أولاً» انه لا معين لرجوعه الى ذلك مع صلاحيته للرجوع الى غيره «و ثانياً» انه لا يناسب سوق الآيه بأن المكتوب فى السفر هو عده من أيام أخر. و ليس فى حكم السفر ذكرا و إشاره الى البدليه لكى يفضل احد البدلين على الآخر. بل الذى ذكر هو ان صوم العده من أيام آخر هو المكتوب و لو أراد الله الرجوع الى ما زعموا لما ساق كلامه المجيد بأسلوب يأباه «و ثالثاً» منافاته لما

صح عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) من قوله ليس من البر الصيام فى السفر. كما رواه احمد و البخارى و مسلم و ابو داود و النسائى و عن ابن حبان فى صحيحه عن جابر عنه (صلى الله عليه و آله). و ابن ماجه عن ابن عمر عنه (صلى الله عليه و آله) و احمد و النسائى و عن عبد الرزاق فى جامعه و الطبرانى و البيهقى عن كعب بن عاصم الأشعري عنه (صلى الله عليه و آله). و ما رواه ابن ماجه عن عبد الرحمن بن عوف عنه (صلى الله عليه و آله)

و النسائى عن عبد الرحمن موقوفا الصائم فى السفر كالمفطر فى الحضر.

و ما عن الديلمى فى الفردوس و عبد الرزاق فى جامعه عن ابن عمر عنه (صلى الله عليه و آله) ان الله تصدق بإفطار الصائم على مرضى امتى و مسافريهم أ فيحب أحدكم ان يتصدق على احد بصدقه ثم يظل يردها. و روى نحوه فى الكافى و الفقيه و العلل و التهذيب فى الصحيح عن الصادق عليه السلام عن رسول الله (صلى الله عليه و آله).

و ما أخرجه النسائى و الترمذى و نص على صحته

عن جابر ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) فى سفره إلى مكة عام الفتح دعا بقدر ماء فأفطر و أفطر بعض الناس و صام بعض فبلغه ان ناسا صاموا فقال أولئك العصاه.

و رواه فى الكافى و الفقيه فى الصحيح عن الصادق (عليه السلام) قال ان رسول الله الحديث.

و ما أخرجه احمد و الأربعة و جماعه عن انس الكعبى عن النبى (صلى الله عليه وآله) انه دعاه إلى الطعام فاعتذر بالصيام فقال له (صلى الله عليه وآله) ان الله وضع عن المسافر شطر الصلاه و الصيام. و اخرج النسائى ايضا عن عمر بن اميه الضمرى عنه (صلى الله عليه وآله) نحوه.

و ما فى كنز العمال عن الشافعى و البيهقى فى المعرفه عن سعيد بن المسيب مرسلا عنه صلى الله عليه و آله خياركم الذين إذا سافروا قصرُوا الصلاه و أفطروا و رواه فى الكافى و الفقيه فى الصحيح عن الباقر (عليه السلام).

و ما عن عبد الرزاق فى جامعه و ابن شاهين فى السنه و جعفر الفريابى فى سننه ان عمر أمر رجلا صام فى شهر رمضان فى سفره ان يقضيه. و ما قاله الترمذى رأى بعض اهل العلم من اصحاب النبى (صلى الله عليه وآله) ان الفطر فى السفر أفضل حتى رأى بعضهم ان عليه الإعادة إذا صام فى السفر. و حكى غير واحد هذا القول عن عمر بن الخطاب و ابن عباس و عبد الله ابن عمر و عبد الرحمن بن عوف و أبى هريره و عروه بن الزبير. هذا و اما ما يتشبهون به من الأحاديث فمنه ما هو وارد فى الصوم المستحب لحديث حمزه الأسلمى فإنه فيه كنت اسرد الصيام او كان كثير الصيام. و منه ما هو مردد بين الواجب و المستحب فلا تشبث بذلك أصلا.

و اما ما كان التخيير فيه صريحا بالصيام فى شهر رمضان فمع غصّ النظر عن سنده و مخالفته لأهل البيت و كثير من الصحابه و اجماع الإماميه و ابتلائه بما ذكرناه من المعارضات و عدم صلاحيته للتصرف بأسلوب الآيه و التى بعدها لا يخفى انه يلزم فى التشبث به ان يثبت ان مدلوله كان بعد نزول الآيه الشريفه و التى بعدها و انى بإثبات ذلك.

و عن العياشى عن محمد بن مسلم عن الصادق (عليه السلام) ان الآيه نزلت و رسول الله فى كراع الغميم عند صلاه الفجر فأفطر و امر الناس أن يفطروا و سمي من أراد الصيام بالعصاه.

فإن قيل ان سوره البقره كان نزول آيه القبله منها فى السنه الثانيه من الهجره فكيف يتأخر النزول لبعض آياتها الى عام الفتح قلت أى بعد فى ذلك و ان سوره البقره لم يحدد ختامها. و قد روى من طرقنا ما ذكر من ان آيه الصفا و المروه نزلت فى عمره القضاء فى السنه السابعه من الهجره و اخرج احمد و البخارى و مسلم و الترمذى و غيرهم عن كعب بن عجره انه نزل فى شأنه فى الحديث قوله تعالى من السوره فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ الْآيَةِ. و كانت عمره الحديبيه فى ذى القعدة من السنه

السادسه. و من المعلوم ان التمتع بالعمرة الى الحج لم يكن معهودا فى الشريعة قبل حجه الوداع.

بل يعرف من أحاديثه ان أمره شىء نزل على رسول الله فى ذلك الحين فكلما نزل فى سورة البقره فى شأن حج التمتع و هديه نزل فى حجه الوداع حتى قوله تعالى وَ أَتَمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ كَمَا هُوَ فِي رِوَايَتِنَا عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

سورة البقره (٢): آيه ١٨٥

شَهْرَ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَ الْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَ مَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَ لَتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَ لَتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥)

١٨٣ شَهْرَ رَمَضَانَ تَفْسِيرًا لِلْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ أَى وَ هِيَ شَهْرُ رَمَضَانَ.

و فى الكافى و الفقيه و غيرهما عن الباقر (عليه السلام) لا تقولوا جاء رمضان و ذهب رمضان فإن رمضان اسم من اسماء الله و لكن قولوا شهر رمضان. و عن امير المؤمنين (عليه السلام) ما يقرب من هذا.

و فى كنز العمال مثل قول الباقر (عليه السلام) عن ابن عمر و أبى هريره الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ

الى البيت المعمور فى السماء ثم صار ينزله جبرائيل نجوما على رسول الله (صلى الله عليه و آله) كما فى الكافى عن الصادق عليه السلام. و فى تفسير ابن جرير عن ابن عباس. و فى الدر المنثور فيما أخرجه جماعة و صححه الحاكم عن ابن عباس و فيه الى بيت العزه

هُدًى حَالٍ مِنَ الْقُرْآنِ أَى هَادِيًا لِلنَّاسِ وَ دَلَالًا بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَ الْفُرْقَانِ

فى الكافى و عن العياشى عن أبى عبد الله (عليه السلام) القرآن جملة الكتاب و الفرقان المحكم الواجب العمل به.

ثم قسم الله حال الناس فى وقت صومهم و مشروعيته و وجوبه تأكيدا لما سبق و رفعا للشكوك فقال جل شأنه فَمَنْ شَهِدَ أَى حَضَرَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ الشَّهْرَ مَنْصُوبٌ عَلَى الظرفيه أَى حضر فيه و هو غير مريض فَلْيَصُمْهُ فَإِنَّهُ الْوَقْتُ الْمَوْقُوتُ لَصِيَامِهِ وَ مَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ فَالْمَكْتُوبُ عَلَيْهِ وَ وَقْتُ صِيَامِهِ الْمَكْلُوفُ بِهِ عَدَهُ أَى عَدَهُ مَا لَمْ يَصُمْهُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ لَا يَكُونُ فِيهَا مَرِيضًا وَ لَا مَسَافِرًا فَفَصَلَ اللَّهُ بَيْنَ الْحَكَمِينَ وَ مَيَّزَ بَيْنَ الْمَوْضُوعِينَ فَجَعَلَ لَصُومِ الْحَاضِرِ وَقْتًا وَ لَصُومِ الْمَسَافِرِ وَقْتًا. وَ لَوْ كَانَ صُومُ الْمَسَافِرِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ رَاجِحًا عِنْدَ اللَّهِ لَمَا أَكَّدَ هَذَا التَّقْسِيمَ وَ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمَوْضُوعِينَ وَ الْوَقْتِينَ بِهَذَا السِّيَاقِ الْبَيِّنِ وَ لَكَانَ ذِكْرُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَوْلَى مِنَ التِّي قَبْلُهَا لَمَا فِيهِ مِنْ بَيَانِ الْفَضْلِ لِشَهْرِ رَمَضَانَ وَ صَوْمِهِ بَلْ إِنْ اللَّهُ جَلَّتْ آلَاؤُهُ ذَكَرَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَزِيدُ فِي الْبَيَانِ وَ يَعْزِزُ الْإِيضَاحَ فَقَالَ جَلَّتْ آلَاؤُهُ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ

النوعى يافطار المريض و المسافر و لا يُريدُ بِكُمْ العُسْرَ النوعى فالصوم فى السفر غير مراد لله لأن فيه عسرا نوعيا.

و فى الكافى و الفقيه عن عبيد بن زرارہ قال قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) قوله تعالى فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ قال (عليه السلام) ما أئينها من شهد فليصمه و من سافر فلا يصمه.

و عن العياشى عن زرارہ عن الباقر (عليه السلام) ما أئينها لمن عقلها.

و لأن قوله تعالى يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ فى مقام التعليل و بيان بعض الغايات فى كتابه الصيام على النهج المذكور فى الآيتين فباعبار جعل الصوم فى المرض و السفر فى أيام أخر علل بالتيسير كأنه قيل ليتيسر عليكم و لَتَكْمَلُوا الْعِدَّةَ عطفًا على المقدر فتفوزوا بفضل صوم الأيام المعدودات كامله العدد بخلاف ما لو لم يشرع ذلك و اضطر المريض و المسافر إلى الإفطار كما هما مظنه للاضطرار إلى ذلك نوعا.

و باعتبار الهدايه إلى شريعته الحق قال جل اسمه وَ لَتَكْبُرُوا اللَّهَ عَلَى ما هَدَاكُمْ على هدايتكم إلى الدين و الشريعة و هذا التكبير مستحب عندنا بالإجماع و لا يضر الخلاف النادر. و بذلك قال الشافعى و أحمد و ابو حنيفه على ما نقل عنه و نسبه فى الخلاف إلى الفقهاء. و وقته عندنا بعد صلاة المغرب من ليله شوال و العشاء و الصبح. و العيد بإجماع الإماميه و روايه الكافى و الفقيه عن سعيد النقاش عن الصادق (عليه السلام) و روايه الإقبال بسنده عن معاويه بن عمار عن أبى عبد الله (عليه السلام). و يقرب من مذهب الإماميه ما أخرجه ابن جرير فى تفسيره بسنده عن زيد بن اسلم و ابن عباس. و صوره التكبير المذكوره فى كتب الفقه و لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ اى و لتشكروا الله على نعمته عليكم بدين الحق و لطفه بتشريع الصيام و ما فيه من الفوائد و تيسيره عليكم و على نعمه الطعام و الشراب إذ تلتفتون إليها بجوعكم و عطشكم. و لا- يخفى ان الشكر المطلوب ليس من الأفعال الموقته المنقطعه التى يسوق إليها التكليف كإكمال العده و التكبير بل هو عمل نفسى دائم كالتقوى و الاهتداء يرجع إلى اختيار الإنسان ان يديم التفاته إلى نعم الله و معرفه قدرها و فقره إليها و عجزه عنها فيختار الشكر الثابت. و ذلك يحتاج إلى قوه فى الاختيار و ثبات عليه و على مجاهده الأوهام المعارضه. و لأجل هذه النكته جرى التعبير عن التعليل و الغايه بقوله تعالى وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ و كذا نظائره مما قيل فى تعليه «لعلكم» و أما مقدار

السفر الذى لا يصام فيه و صفته و صفة المرض فيبانه موكول إلى معرفته من السنه و الإجماع فى كتب الفقه

سوره البقره (٢): الآيات ١٨٦ الى ١٨٧

وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لِيُؤْمِنُوا بِبِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (١٨٦) أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَ عَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَ ابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتَمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَ لَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَ أَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٨٧)

١٨٤ وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي اى فأخبرهم انى و نحو ذلك و هو العامل فى إذا قَرِيبٌ باللفظ و الرحمه و الاجابه. لأنه يجل عن المكان أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ذكر الشرط مع انه معلوم مما قبله لأجل التنبيه على انه ما كل من يدعو الله لحاجته هو داع لله بحقيقه الدعاء لله من حيث الانقطاع و صدق التوجه إلى الله و معرفته. و من معرفته الإذعان بحكمته وسعه رحمته لعباده فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي فيما دعوتهم اليه مما فيه صلاحهم و سعادتهم و رشدهم. و كأن هذه الجملة فى مقام الشرط أى ان أرادوا أن أُجِيبَ دعوتهم فليستجيبوا لى وَ لِيُؤْمِنُوا بِبِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ اى ليرشدوا و قد سبق الكلام على مثله ١٨٥ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ الرفث هنا هو الإفضاء إلى النساء بالجماع هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ كناية عن شده ارتباط المرأة و الرجل فى التمتع عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ و توقعونها فى فعل الحرام فَتَابَ عَلَيْكُمْ مما فعلتم و عفا عنكم أى عن تحريم الجماع فى ليله الصيام من شهر رمضان فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ الأمر للاباحه و المباشره إيصال بشره إلى بشره و هى ظاهر الجلد كنى بذلك عن الجماع لأن المباشره من مقدماته اللازمه.

و المراد من الآن ما بعد نزول الآيه. و الآيه بنفسها تدل على ان الجماع كان محرما فى ليله الصيام مطلقا او فى حال خاص. و ان بعض المسلمين فعلوا المحرم و جامعوا فنسخ ذلك التحريم عفوا من الله.

و فى الكافى فى الصحيح مسندا عن الصادق عليه السلام ما حاصله كان الجماع و الأكل و الشرب محرمة فى شهر رمضان على من نام أى بعد العشاء فاتفق لرجل انه نام فلما عمل فى النهار فى الخندق صار يغشى عليه فنزلت الآيه.

و فى تفسير القمى عن أبيه مرفوعا عن الصادق (عليه السلام) نحوه و زاد و كان قوم من الشبان ينكحون بالليل سرا فأنزل الله الآيه. و روى نحو ذلك فى الدر المنثور من طرق متعدده. و زاد انه أخرج ابن جرير و ابن

المنذر في حديث عن ثابت و ابن جرير و ابن أبي حاتم في آخر عن ابن عباس.

و اخرج ابن جرير في ثالث عن ثابت ان من المجامعين بعد العشاء في زمان التحريم عمر بن الخطاب. و نحوه عن عبد الرحمن بن أبي ليلى. و عن كعب بن مالك عن أبيه و ابْنُ عَوْما ما كَتَبَ اللهُ لَكُمْ أَى لِنوعكم من الذريه و كَلُوا و أَشْرَبُوا الأمر فيهما للاباحه و يمتد أمدھا حَتَّى غايه الجواز ينقطع بها يَتَّبِعَنَّ لَكُمْ يوجد في الأفق و يلزمه عاده و نوعا ان يتبين لنوع الناس فالغايه ان يكون الصبح بحيث يراه الصائم لا استيلاؤه عليه كما يأتي في الليل. و هذه الغايه هي غايه الرفث ايضا بإجماع المسلمين لأن حله مقيد بالليل و هو ينقطع بالفجر الحَيْطُ الْأَبْيَضُ و هو الفجر الصادق المعترض و فيه قوه التبين لا الكاذب المستطيل كذنب السرحان المبتنى على الخفاء و الاضمحلال و على ذلك اجماع المسلمين و أحاديث الفريقين و قد جمع شطر منها في الوسائل و الدر المنثور.

و سمي بالخيط اشاره إلى ان الغايه ما يتبين حينما هو كالخيط مِنَ الحَيْطِ الْأَسْوَدِ و هو ما حول الفجر من الليل مِنَ الفَجْرِ بيان للخيط الأبيض ثُمَّ أَتَمُّوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ ثم اوجدوا الصوم قاما إلى الليل و عطف بتم لجريان العاده بالفصل و التراخي بين انقطاع الأكل و الشرب و بين الفجر محافظه على حدود جوازهما في الليل و حرمتها بأول الفجر. و الليل هو السواد و الظلام المعاقب للنهار و لذا يقولون ليل أليل أى شديد الظلام او السواد. و الغايه للصيام ان يغشى الليل الصائم و يصل اليه لا وجوده. فإنه موجود في كل زمان بحسب التناوب على البلاد و لا رؤيته و الا لقليل حتى يتبين و نحو ذلك كما قيل في الفجر فالغايه إذن ان تذهب الحمرة المشرقيه و يصل سواد الليل المعاقب لها إلى الصائم اى الى سمت رأسه فإن المشرق في جهه السماء مظل على المغرب فيكتسب من نور الشمس ما تظهر به الحمرة و يبقى به النهار إلى ان تحتجب الشمس شيئا فشيئا فيظهر الليل و يسرى على وتيره احتجابها حتى يصل إلى الرأس فلا يذهب النهار عن الصائم الا بذهاب الحمرة عن سمت رأسه. و على ذلك من روايات الإماميه روايه ابان عن الباقر (عليه السلام) و روايات ابان و عمار و ابن شريح. و مرسلتا ابن أشيم و ابن أبي عمير.

و مرفوعه المفيد عن الصادق (عليه السلام). و لا ينافيها ما عبر فيه بغيوبه الشمس و غروبها لما أشرنا

اليه. وهذا هو الذى يفقه مما

أخرجه البخارى و مسلم و الترمذى و ابو داود و ابن جرير و عن ابن أبى شيبه و النسائى عن عمر قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) إذا أقبل الليل من هاهنا و أدبر النهار من هاهنا و غربت الشمس فقد أفطر الصائم.

و اخرج البخارى و ابو داود و ابن جرير عن عبد الله بن أبى اوفى بعده أسانيد فى حديث قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) إذا أقبل الليل من هاهنا و ضرب بيده نحو المشرق أفطر الصائم.

و فى الدر المنثور اخرج أحمد و عبيد بن حميد و ابن أبى حاتم و الطبرانى فى حديث عن بشير بن الخصاصيه قول رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أتموا الصيام إلى الليل فإذا كان الليل فأفطروا

و لا يخفى انه عند وجود الحمرة المشرقيه لم يقبل الليل من ناحيه المشرق و لم يكن على الصائم ليل و لا تباشروهنَّ أى لا تمسَّ بشرتكم بشرتهن باللمس و التقبيل بشهوه و بالجماع مطلقا. و هذا مذهب الإماميه و عليه إجماعهم لإطلاق المباشره و دلالة المقام على ان المراد منها ما يرجع إلى التمتع و التلذذ و أنتم عاكفون فى المساجد العكوف الاقامه فى المكان و الملازمه له و اعتكف قصد العكوف و جعل نفسه عاكفا. و امر هذا العكوف و صفاته و شروطه الشرعيه موكول إلى السنه و يعرف مدلولها من كتب الفقه تلحك اى ما عرف فى هذه الآيات من حرمة ما يجب الإمساك عنه فى الصوم و حرمة قبل الليل و حرمة تضييع العده من الأيام الأخر و حرمة المباشره للنساء على المعتكف حُرِدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا مبالغه فى التحذير منها و امر بملازمه الواجبات المحدوده و عدم الميل عنها إلى جانب تلك الحدود كذلك البيان فى هذه الأمور يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ و دلالة للناس فيما فيه صلاحهم لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ اى ليتقوا و جى ء بلعل لما ذكرناه قريبا

سوره البقره (٢): آيه ١٨٨

وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَ تَدُلُّوْا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٨)

١٨٦ و لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمُ أَي لَا يَأْكُلُ بَعْضُكُمْ أَمْوَالِ بَعْضٍ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ

و غير المشروع و منه القمار كما رواه فى الكافى فى الصحيح عن الصادق عليه السلام

و روى فى الكافى ايضا عن الصادق (عليه السلام) ان من ذلك ان يكون عند المديون مال فينفقه على نفسه و لا يفى به دينه.

و منه ما فى مجمع البيان مرفوعا عن الباقر (عليه السلام) أكل المال باليمين الكاذبه

وَ تَدُلُّوْا بِهَا أَي ترسلوها رشوه إلى الْحُكَّامِ كمن يدلى دلوه ليستخرج الماء

لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِأَنْ ذَلِكَ مُحْرَمٌ عَلَيْكُمْ

سوره البقره (٢): الآيات ١٨٩ الى ١٩١

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٨٩) وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (١٩٠) وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُواكُمْ وَ الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَ لَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَيْثُ يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١)

١٨٧ يَسْأَلُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنِ الْأَهْلِ قِيلَ يَسْمَى هَلَالًا أَيْضًا فِي لَيْلَتِهِ الثَّانِيَةِ وَ قِيلَ فِي الثَّلَاثَةِ وَ قِيلَ حَتَّى يَسْتَدِيرَ بِخَطِّهِ دَقِيقَهُ وَ قِيلَ إِلَى اللَّيْلِ السَّابِعِ قُلْ لَهُمْ مَا تَدْرِكُهُ عَقُولُهُمْ مِنْ حِكْمَتِهَا هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ تَمِيزُ لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ فِي مَهْمَاتِهِمْ مِنْ مَقَادِيرِ الزَّمَانِ وَ أَوْقَاتِهِ بِحَسَبِ الْأَشْهُرِ وَ السَّنِينَ بِتَوْقِيتٍ مُحْسُوسٍ لِلْعَامَةِ. بَلْ إِنْ الدُّورَ الَّذِي تَتَكُونُ بِهِ الْأَهْلُ يَعْرِفُ النَّاسُ مِنْهُ سَاعَاتِ اللَّيْلِ بِتَدْرُجِ الْهَلَالِ فِي الطُّلُوعِ وَ الْغُرُوبِ إِلَى أَنْ يَصِيرَ بَدْرًا إِلَى أَنْ يَعُودَ هَلَالًا وَ الْحَجُّ أَيْ مَوَاقِيتُ لِلْحَجِّ وَ لَيْسَ الْبِرُّ وَ عَمَلُ الْخَيْرِ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا كُنَايَةُ عَنْ تَشْرِيعَاتِهِمُ الْجَهْلِيَّةِ الْأَهْوَائِيَّةِ وَ زَعَمَهُمْ إِنْ الْعَمَلُ بِهَا بَرٌّ وَ لَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى فَانظُرْ إِلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ أَخْلَصُوا لَهُ فِي طَاعَتِهِ وَ اتَّبَعُوا شَرِيعَتَهُ وَ اعْرِفُوا الْبِرَّ مِنْ أَعْمَالِهِمْ. وَ فِي آيَةِ الْخَامِسَةِ وَ السَّبْعِينَ بَعْدَ الْمَائَةِ ذَكَرْنَا الْوَجْهَ وَ الْفَائِدَةَ فِي جَعْلِ «مِنْ» الْمَوْصُولَةَ خَبْرًا لِلْبِرِّ وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَ الْأُمُورُ مِنْ وَجْهِهَا وَ أَعْمَالُ الْبِرِّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ وَ شَرَعَ.

وَ عَنْ مُحَاسِنِ الْبَرْقِيِّ مَسْنَدًا وَ الْعِيَاشِيِّ مَرْفُوعًا عَنْ جَابِرِ بْنِ الْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ أَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا قَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنْ يُؤْتَى الْأَمْرُ مِنْ وَجْهِهِ أَيْ الْأُمُورُ كَانَ.

وَ مِنْ هَذَا الْبَابِ مَا اتَّفَقَتْ عَلَيْهِ رَوَايَةُ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَ عَلَى بَابِهَا وَ اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَوْامِرِهِ وَ نَوَاهِيهِ فِيمَا شَرَعَهُ مِنَ الدِّينِ الْقِيمِ وَ هَذَا هُوَ الْبِرُّ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أَيْ لَتَفْلِحُوا ١٨٨ وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ نَصَرَ دِينَ الْحَقِّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ عِنَادًا لِلدِّينِ وَ لَا تَعْتَدُوا فِي الْقِتَالِ عَنِ الْحُدِّ الْمَشْرُوعِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَ مَا أَشَدَّ خَسْرَانَ الَّذِي لَا يَحِبُّهُ اللَّهُ ١٨٩ وَ اقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ أَيْ ظَفَرْتُمْ بِهِمْ وَ أَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُواكُمْ وَ هِيَ مَكَّةُ الْمُعْظَمَةُ. وَ لَا يَكْبُرُ فِي قُلُوبِ الضَّالِّينَ قِتَالَهُمْ وَ قَدْ عَدُوا عَلَى الْمُسْلِمِينَ يَقَاتِلُونَهُمْ لِأَنَّهُمْ اسْلَمُوا مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ وَ أَخْرَجُوهُمْ عَنْ دِيَارِهِمْ فِي مَكَّةَ وَ فَوْقَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ لَا زَالُوا يَجْهَدُونَ فِي أَنْ يَفْتِنُوا

المسلمين و يصرفوهم عن دينهم بالعذاب مره و بالقتال أخرى وَ الْفِتْنَةُ وَ صرف المؤمنين عن دينهم و اضلالهم أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ ضررا على نوع الإنسان فَإِنَّ الضال المضل جرثومه فساد في الأرض كما قال جلَّ اسمه في سورة البروج إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ لَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ وَ لَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ يشمل التحريم مكة و ما هو حريم للمسجد حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ أَى فى حرمه بقرينه قوله تعالى عند المسجد فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ فى اعتدائهم و هتكهم لحرمه المسجد الحرام

سورة البقره (٢): الآيات ١٩٢ الى ١٩٤

فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَ الْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)

١٩٠ فَإِنْ انْتَهَوْا قيل انتهوا عن كفرهم بالتوبه و الإسلام. و يحتمل أن يكون المراد فإن انتهوا عن قتالكم فاغفروا لهم نحو قوله تعالى فى سورة الأنفال وَ إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ١٩١ وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ

فى التبيان الفتنة الشرك و هو المروى عن أبى جعفر

أقول و لعله باعتبار انه يسبب الافتتان إذ يسبب الضلال و يصرف عن الحق كقوله تعالى فى سورة المائدة وَ اخذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَ يَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ أَى على الحقيقه المعقوله منه ليس فيه كفر و لا شرك و لا عبادات او ثانيه و لا شرائع أهواء جاهليه فإن الدين فى هذا المقام و أمثاله عباره عن روابط الإنسان مع مقام الإلهيه من حيث الاعتقاد بما يرجع للإله و رسله و كتبه و عبادته و الطاعه و الشريعه فَإِنْ انْتَهَوْا فى التبيان و مجمع البيان أى امتنعوا عن الكفر و أذعنوا للإسلام و يحتمل الانتهاء عن قتال المسلمين فلا- عُدْوَانَ عن حد السلم إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ المعتدين. و فى التبيان و البيان ان هذه الآيه مؤكده لمضمون الآيه الأولى لا ناسخه لقيودها فى القتال. و هذا هو الظاهر من سياق الآيات مع قوله تعالى ١٩٢ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ فَمَنِ قَاتَلَ الْمُسْلِمِينَ فى شهر حرام قاتله المسلمون فى شهر حرام كما ان من قاتلهم عند المسجد الحرام قاتلوه فيه وَ الْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ فإذا كان المشركون فى

عداوتهم للتوحيد و دين الحق و محاذتهم لله و رسوله لا يمنعهم عن عداوتهم و قتالهم للمسلمين حرمة للشهر الحرام و لا حرمة البيت الحرام فليس لهم أن يلودوا بالحرمت بل يحتج عليهم بقصاصهم بذلك و اما نفس الحرمت فلم تسقط و لا يقتصر منها بجنايه المشركين بل عارضتها حرمة الله في نصر توحيدده و رسوله و دين الحق و احترام الحرمت. و الأشهر الحرم هي رجب الفرد و ذو القعدة و ذو الحجة و محرم و لعل الأصل في حرمتها شريعة ابراهيم كحرمة البيت فاستمر العرب على ذلك و أمضاه الإسلام فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ حُدُودَ الْحَقِّ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ حُدُودَ السَّلَامِ وَ الْمَجَارَاهِ وَ أَفْرَدَ الضَّمِيرَ فِي «عَلَيْهِ» بِاعْتِبَارِ لَفْظِ «مَنْ» بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ وَ ناصرهم

سوره البقره (٢): الآيات ١٩٥ الى ١٩٦

وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٩٥) وَ اتَّمُوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَ لَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةَ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلَهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)

١٩٣ وَ أَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا تُلْقُوا أَنْفُسَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ هذا النهى عام لكل اقتحام في اسباب التهلكه و مظانها و لا بد من أن يكون النهى مقيدا بما إذا لم يكن في ذلك الاقتحام حياه الدين و نصرته كما في نهضه رسول الله (صلى الله عليه و آله) في أول دعوته و اقدام سيد الشهداء في امتناعه عن بيعه يزيد في مثل زمانه وَ أَحْسِنُوا اعملوا الحسن و اطلبوه في أفعالكم و تروككم على حد قوله تعالى في سوره الكهف إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَ غير ذلك إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ لأعمالهم و تروكهم و ما أعظم هذا التعليم الجامع للخير فإن احسان العمل و الترك غير خفى و ان غالطت فيه الأهواء بما لا يخفى على العقل من التدليس. و من مصاديق احسان العمل ما جاءت فيه روايه الكافى.

و عن العياشى عن أبى عبد الله (عليه السلام) لو ان رجلا أنفق ما فى يديه فى سبيل الله ما كان احسن و لا وفق أليس يقول الله وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَ أَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ أى المقتصدى.

فإن المقتصد هو الذى عمل الحسن و احسن عمله و ان معنى التهلكه. و مقام الإمام (عليه السلام) و

قوله ما كان احسن

و تفسيره المحسنين بالمقتصدى لا يدع مجالا للقول بأن مضمون الروايه قريب من تفسير التهلكه بالإسراف ١٩٤ وَ اتَّمُوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ العمره منصوبه بالعطف على الحج و الحج و العمره عبادتان معروفتان قد ذكرت اجزأوهما و شروطهما فى السنه

ص: ١٦٧

و نظمتها كتب الفقه و إتمامهما لله دليل على انها عبادتان يعتبر فيهما الإتيان بهما لله تقربا اليه و الظاهر من مراجعه الحديث و سبك اللفظ ان قوله تعالى وَ أَتَمُّوا الصَّحَّحَ وَ العُمْرَةَ أمر و إيجاب لإيجادهما تامين بأجزائهما و شروطهما المشروعه كقوله تعالى من احسن عملا- أى أوجده حسنا و كقولهم. ضيق فم الركى. و اطل جلفه القلم. و افرج بين سطورك. و كثير من ذلك فمن مدلول الآيه إيجاب العمره كما

فى صحيحه التهذيب عن زراره عن الباقر (عليه السلام) فى قوله العمره واجبه على الخلق بمنزله الحج و ذكر الآيه و نحو صحيحه الكافى عن معاويه بن عمار عن الصادق (عليه السلام) و صحيحه العلل عن معاويه عنه (عليه السلام) و صحيحه التهذيب عن الفضل أبى العباس عنه. و فى الدر المنثور اخرج ابن عيينه و الشافعى فى الأم و البيهقى عن ابن عباس و ذكر نحوه.

و اخرج الحاكم عن زيد بن ثابت عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) ان الحج و العمره فريضتان.

و فى الكافى فى الصحيح عن ابن أذينة فى حديث عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى وَ أَتَمُّوا الصَّحَّحَ وَ العُمْرَةَ قال يعنى بتمامهما أداءهما و اتقاء ما يتقى المحرم فيهما و نحوه عن العياشى عن أبى بصير عن الصادق عليه السلام

و قال فى الكشاف فى تفسير أتموا اتوا بهما تامين ثم بعد ذلك حملة على محض الأمر بإتمامهما أى بعد الشروع فيهما و اختار كون العمره غير واجبه و اغرب فى تأوله لحديثى ابن عباس و عمر. ثم قال بأن الأمر بالإتمام للجوب و الندب كما تقول صم شهر رمضان و سته من شوال تأمر بفرض و تطوع و قال فى سورة المائده فى آيه الوضوء ما معناه انه لا يجوز ان يكون الأمر للجوب و الندب لأن تناول الكلمه لمعنيين مختلفين من باب الألفاظ و التعميه أقول و فى هذا الذى نقلناه عنه من التذافع و الغرابه ما يعجب منه الناظر. و قد نبه عليه فى زبده البيان فَإِنَّ أُخْصِرْتُمْ فى المصباح قال ابن السكيت و ثعلب حصره العدو فى منزله حبسه و احصره المرض بالألف منعه من السفر. و قال الفراء هذا هو كلام العرب و عليه اهل اللغه انتهى. و نقل نحو ذلك ايضا عن الكسائى و أبى عبيده و عن الفراء أيضا انه يجوز ان يقوم أحدهما مقام الآخر و رده المبرد و الزجاج. و فى الخلاف عن الفراء احصره المرض لا غير و حصره العدو و احصره معا. و قد تكرر فى رواياتنا الصحاح و غيرها ان المحصور غير المصدود و انهما يختلفان فى بعض الأحكام كما

فى روايات زراره عن الباقر (عليه السلام) و ابن أبى نصر عن الرضا

عليه السلام و معاويه بن عمار عن الصادق عليه السلام. و فيها المحصور هو المريض و المصدود هو الذى يرده المشركون كما ردوا رسول الله ليس من مرض.

و فى الدر المنثور أخرج سعيد ابن منصور و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن أبى حاتم من طريق ابراهيم عن علقمه عن ابن مسعود فى الآيه يقول إذا اهل الرجل بالحج فأحصر إلى ان قال فإذا برء الحديث و قال ابراهيم ذكرت هذا الحديث لسعيد بن جبیر فقال هكذا قال ابن عباس فى هذا الحديث فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ اى فإن أحصرتم و منعكم المرض عن الإتمام فأرسلوا لأجل ان يسوغ لكم التحلل ما استيسر لكل بحسب حاله و وقته من الهدى من الإبل او البقر او الشاه و المشهور عندنا ان من ساق الهدى ثم أحصر كفاه ذلك لأنه مما استيسر. و الهدى هو ما يهدى من النعم للذبح فى مكه او منى و لا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ اى لا تحلوا فإن الحلق أول الإحلال حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ اى المحل المقرر له بالسنة فى نوع ذلك النسك فإن كان حاجا فمحل الهدى منى و إن كان معتمرا بالعمره المفردة فمحلها مكه او بفناء الكعبه أو بالحزوره. و اما رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أصحابه فى عمره الحديبيه فقد كانوا مصدودين عن المسجد الحرام لا محصورين فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ فى حال الإحرام مَرِيضًا يحتاج فى مرضه إلى الحلق أَوْ بِهِ أَذَى مِنْ رَأْسِهِ ففِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ

فى التهذيب بسنده عن عمر بن يزيد عن الصادق (عليه السلام) فمن عرض له أذى او وجع فتعاطى ما لا ينبغى للمحرم إذا كان صحيحا فصيام ثلاثه ايام إلى ان قال و النسك شاه يذبحها الروايه.

و الأذى ما يؤذى و منه القمل الكثير. فقد روى فى الكافى فى المعتمر و التهذيين فى الصحيح على الظاهر.

و عن العياشى عن الصادق (عليه السلام) ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) مرّ على كعب بن عجره الأنصارى و القمل تتناثر من رأسه فقال له رسول الله (صلى الله عليه و آله) أ تؤذيك هوامك قال نعم فأنزلت الآيه فأمر رسول الله بحلق رأسه و جعل عليه الصيام ثلاثه ايام او الصدقه على سته مساكين لكل مسكين مدان او النسك شاه و ذكر فى الفقيه و المقنع نحوه بقوله مر رسول الله الحديث.

و اخرج نحوه ذلك من الجمهور أحمد و أصحاب الجوامع و غيرهم و زادوا ان ذلك كان فى عام الحديبيه فَإِذَا أَمْتُمُ مِنَ الصَّدِّ و نحوه فَمَنْ تَمَتَّعَ اى أحل و تمتع بما يحرم

التمتع به على المحرم كالطيب و المخيط و النساء و نحو ذلك بِالْعُمْرَةِ بسبب الإتيان بالعمرة و إكمالها إلى الْحَجِّ أى إلى إحرام الحج. و قد شرع هذا التمتع فى حجة الوداع و هو اظهر من ان ينكر و لا بأس بالإشارة إلى شىء من حديثه.

فعن التهذيب و العلل فى الصحيح عن الصادق عليه السلام عن آبائه (عليه السلام) لما فرغ رسول الله (صلى الله عليه و آله) من سعيه بين الصفا و المروه أتاه جبرائيل عند فراغه من السعى فقال ان الله يأمرك ان تأمر الناس ان يحلوا إلا من ساق الهدى فأقبل رسول الله (صلى الله عليه و آله) على الناس بوجهه فقال أيها الناس هذا جبرائيل و أشار بيده إلى خلفه يأمرنى عن الله عزّ و جل أن آمر الناس بأن يحلوا إلا من ساق الهدى فأمرهم بما أمر الله فقام اليه رجل فقال يا رسول الله نخرج من منى و رؤوسنا تقطر من النساء. و قال آخرون يأمرنا بشىء و يصنع هو غيره فقال أيها الناس لو استقبلت من امرى ما استدبرت لصنعت كما صنع الناس و لكنى سقت الهدى فلا يحل من ساق الهدى حتى يبلغ الهدى محله فقصر الناس و أحلوا و جعلوها عمره و قام اليه سراقه بن مالك المدلجى فقال يا رسول الله هذا الذى أمرتنا به لعامنا هذا ام للأبد فقال بل للأبد إلى يوم القيامة و شبك بين أصابعه و انزل الله بذلك قرآنا فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ هذا الحديث جزء مما جاء فى الرواية الطويلة عن معاوية بن عمار عن الصادق عن الباقر عليهما السلام كما فى الصحيح فى الكافى و التهذيب. و رواها على طولها مسلم و ابو داود و النسائى و ابن ماجه فى جوامعهم و احمد فى مسنده و غيرهم عن الصادق (عليه السلام) عن الباقر (عليه السلام) عن جابر.

و اخرج اصحاب الجوامع الست و غيرهم ان الناس قد كانوا أهلوا بالحج لا يرون غيره كما عن جابر و انس و أبى سعيد و البراء بن عازب و ابن عباس و اسماء بنت أبى بكر.

بل و عائشه من طرق الأسود و عمره و محمد بن القسم. و قد كثرت الرواية فى أمر الإحلال و التمتع

لقوله (صلى الله عليه و آله) لو استقبلت من امرى ما استدبرت لما سقت الهدى و لفعلت كما فعلتم. او كما أمرتكم. او أحل كما أحلوا.

و فى بعضها انى لأبركم و أصدقكم و أتقاكم و لولا- انى سقت الهدى إلى آخره. أخرجه مسلم و النسائى و الحاكم فى مستدركه و ابن حبان فى صحيحه.

و فى روايه الطبرانى عن جابر أ تتهمونى و انا أمين أهل السماوات و الأرض اما انى لو استقبلت الحديث.

و ممن روى ذلك من طريق الجمهور جابر و البراء و انس و عائشه و حفصه.

و روى جابر فى

حديثه الطويل فى الحج و ابن عباس و ابن عمر و سراقه بن مالك و ابن أخ لجبير بن مطعم قوله (صلى الله عليه و آله) دخلت العمره فى الحج الى يوم القيامه كما فى جوامع مسلم و أبى داود و النسائى و الترمذى و مسند احمد و ابن عدى و الطبرانى و البغوى.

و قد تكررت هذه المضامين مجتمعه و متفرقه فى المسانيد و جوامع الحديث الستة و غيرها مرويه عن عده كثيره من الصحابه. و لا يخفى ان شرعيه هذا التمتع و الإحلال المطلق كما هو مدلول الأحاديث من الفريقين عليها اجماع الصحابه و عامه المسلمين فى جميع الأعصار و لم يقل احد بنسخها نسخا شرعيا. و قد استمر العمل عليها بفتيا جميع العلماء فى جميع الأعصار. نعم وقعت فى بعض الأحاديث بعض الشواذ فينبغى التنبيه عليها فى ضمن امور «الأول» ان هذه الآيه التى شرع بها حج التمتع و الإحلال مقيده بالأمن و ان المسلمين فى حجه الوداع كانوا على أعز جانب من القوه و الأمن و كانت جزيره العرب إذ ذاك خاضعه لسلطان الإسلام متمتعه بأمنه العام و سلطه عدله القاهره.

و اخرج البخارى عن حارثه ابن وهب الخزاعى صلى بنا رسول الله (صلى الله عليه و آله) و نحن اكثر ما كنا قط و أمنه بمنى ركعتين:

فمن الشواذ ما يروى

فى جوامع الجمهور عن بعض الصحابه انه منع من متعه الحج فاحتج عليه امير المؤمنين (عليه السلام) بأنها سنّه رسول الله التى سنّها فى حجه الوداع فاعتذر و قال نعم و لكن كنا خائفين كما أخرجه مسلم و احمد و ابو عوانه و الصحاوى و البيهقى

«الثانى» روى فى الجوامع الستة و غيرها ان اصحاب رسول الله كانوا فى حجه الوداع جميعا حتى عائشه قد أهلوا بالحج لا يرون غيره كما عن جابر و ابن عباس و أبى سعيد و ابن عمر و أنس و اسما بنت أبى بكر بل و عائشه من طرق الأسود و عمره و محمد بن القاسم. فمن الشاذ ما تفردت به الروايه عن عروه عن عائشه من ان الناس أهلّ بعضهم بالحج و بعضهم بالعمره و هؤلاء هم الذين أمروا بالإحلال و التمتع. و ان عائشه كانت مهله بالعمره.

«الثالث»

روى من طريق الإماميه عن اهل البيت و جابر ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال دخلت العمره فى الحج الى يوم القيامه. و رواه الجمهور فى جوامعهم و مسانيدهم كما تقدم.

و روى الإماميه عن اهل البيت و جابر ايضا ان سراقه بن مالك قال يا رسول الله هذا الذى أمرتنا به يعنى الإحلال بعد العمره الى الحج لعامنا هذا أم الى الأبد فقال بل للأبد الى يوم القيامه. و روى الجمهور فى جوامعهم و مسند احمد و غيره نحوه عن جابر و سراقه

و على ذلك

و اخرج مسلم و احمد عن ذكوان عن عائشه ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) دخل عليها و قد كان غضبان لأنه أمر الناس بالحل فتردد بعضهم. و اخرج احمد عن البراء و رواه كنز العمال عن النسائي عن البراء نحوه.

و اخرج البخارى و احمد و النسائي و غيرهم عن على امير المؤمنين ان المتعه سنّه رسول الله فلا يدعها لقول احد من الناس

و اخرج احمد و مسلم انه قيل لابن عباس فى الإحلال بعد العمره فقال سنّه نبيكم و ان رغتم. و فى حديث أخرجه احمد و البخارى و مسلم الله اكبر سنه أبى القاسم (صلى الله عليه و آله). و إذا أحطت بما ذكرنا عرفت انه من الشواذ ما أخرجه مسلم و غيره عن أبى ذرّ ان المتعه فى الحج كانت لأصحاب محمد خاصة و نحو ذلك كما أخرجه مسلم او للركب الذى كان مع رسول الله كما أخرجه ابو داود و النسائي نعم ان كان المراد من ذلك إخراج حاضرى المسجد الحرام من مشروعيه المتعه جرت الروايه على مقتضى الكتاب و السنه و اجماع المسلمين. و من الشواذ ايضا ما

أخرجه مسلم انه كان ابن عباس يأمر بالمتعه و كان ابن الزبير ينهى عنها. فذكرت ذلك لجابر فقال على يدى دار الحديث تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) فلما قام عمر قال ان الله كان يحل لرسول الله ما شاء بما شاء و ان القرآن قد نزل منازل و أتموا الحج و العمره لله كما أمركم الله و ابناؤا نكاح هذه النساء فلن أوتى برجل نكح امرأه الى أجل إلا رجتمه بالحجاره.

و ليت شعرى ما هو المراد بقول القائل ان الله كان يحل لرسول الله ما شاء بما شاء. و هل كان الأمر بالإحلال نقضا لأمر الله بإتمام الحج و العمره و مخالفه له و لئن كان نقضا فلما ذا لا يكون نسخا بهذا النحو خصوصا مع

قوله (صلى الله عليه و آله) لو استقبلت من أمرى ما استدبرت

و قوله دخلت العمره فى الحج الى يوم القيامة

و قوله (صلى الله عليه و آله) لسراقة الى الأبد.

و من الشواذ ايضا ما أخرجه احمد و البخارى و مسلم و النسائي و ابن ماجه و غيرهم عن سعيد بن المسيب ان عمر بن الخطاب نهى عن المتعه فى أشهر الحج و قال فعلتها مع رسول الله و انا أنهى عنها و ذلك ان أحدكم يأتى الى آخر الروايه. و لم تذكر فيها إلا آراء لا تروج فى الاستحسان فضلا عن مقاومه الشريعة. و مثل ذلك ما أخرجه احمد و مسلم و النسائي و ابن ماجه و غيرهم عن أبى موسى انه سئل عمر عن نهيه عن التمتع فقال قد علمت ان رسول الله فعله و أصحابه و لكن كرهت ان يظلوا بهن معرسين تحت الأراك ثم يروحون الى الحج تقطر رؤسهم. و ما أخرجه احمد و البخارى و مسلم و غيرهم عن أبى موسى ان عمر قال فى ذلك ان نأخذ بكتاب الله فإن الله قال وَ أَتَمُّوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ وَ ان أخذنا بسنه رسول الله «و فى

روايه من روايات البخارى و ان أخذنا بقول النبي (صلى الله عليه و آله) «فانه لم يحل حتى بلغ الهدى محله انتهى و قد سبق الكلام فى قوله تعالى وَ اتَّمُوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ. و اما السنه فيا سبحان الله هل سن رسول الله (صلى الله عليه و آله) لأمته إلا ما اتفق عليه حديث المسلمين و إجماعهم من التمتع و الحل و انه سنه الى الأبد. و ان العمره دخلت فى الحج الى يوم القيامة. و هذا الدخول مع الإحلال يبين ان كلا من العمره و الحج يقع تاما فى الشريعة بهذا الوجه و أما فعله (صلى الله عليه و آله) فقد كان موقتا مختصا بمن ساق الهدى فى تلك السنه كما يحدده

قوله (صلى الله عليه و آله) لو استقبلت من أمرى ما استدبرت. دخلت العمره فى الحج الى يوم القيامة

و قوله (صلى الله عليه و آله) لسراجه بل الى الأبد

فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ مِنَ الْبَدَنِ أَوْ الْبَقْرَةِ أَوْ الشَّاهِ وَ هُوَ نَسْكَ لَا جَبْرَانِ كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامًا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مَتَوَالِيَاتٍ فِي الْحَجِّ وَ هِيَ يَوْمُ التَّرْوِيهِ وَ مَا قَبْلَهُ وَ يَوْمُ عَرَفَةَ وَ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْإِمَامِيهِ وَ رَوَاهُ الْفَرِيقَيْنِ وَ لَوْ فَاتَهُ ذَلِكَ لَمْ يَصْمِهِ أَيَّامَ التَّشْرِيقِ. وَ فِي الْخِلَافِ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْإِمَامِيهِ أَنْتَهَى.

و على ذلك روايات كثيره و

فى صحيح ابن سنان ان الصادق (عليه السلام) استشهد لذلك بأن بديل ابن ورقاء أمره رسول الله بأن ينادى بمنى فى الناس ان لا يصوموا و نحوه صحيح سليمان بن خالد و ابن مسكان عنه (عليه السلام). و نحوه فى خبر عبد الرحمن بن الحجاج عن الكاظم عليه السلام كما فى التهذيبين و معانى الأخبار.

و اخرج احمد و مسلم عن نبيشه الهذلى قال قال رسول الله ايام التشريق ايام أكل و شرب.

و عن كعب بن مالك ان رسول الله أرسله و أوس بن الحدثان ايام التشريق فنادى ايام منى ايام أكل و شرب.

و اخرج احمد و النسائي عن حمزه الأسمى ان منادى رسول الله ينادى بمنى و رسول الله شاهد لا تصوموا هذه الأيام فإنها ايام أكل و شرب.

و اخرج احمد و الحاكم و صححه على شرط البخارى و مسلم عن بديل بن ورقاء ان النبي بعثه على جمل أورق و أمره أن يتخلل الفساطيط و ينادى فى الناس ايام منى الا لا تصوموا فإنها ايام أكل و شرب و بعال.

و عن الطيالسى عن أنس و البيهقى عن أبى هريره نهى رسول الله عن صوم ايام التشريق.

و هؤلاء المنادون أعرف بما أمروا به و ما نادوا به فلا يعارضهم ما أخرجه البخارى و ابن جرير عن عائشه و ابن عمر من الرخصه فى صيامها لمن لم يجد الهدى مع انهما لم يسندا الرخصه الى النبي (صلى الله عليه و آله) بل هو أشبه بالاجتهاد كما اخرج البخارى ان

عائشه كانت تصومها و كان أبوه او أبوها يصومها وَ سَبَّعَهُ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَىٰ أَهَالِكُمْ وَ السَّرِّ فِي هَذَا التَّعْبِيرِ دُونَ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ إِذَا رَجَعَ هُوَ مِنْ أَقَامَ بِمَكَّةَ يَقْدِرُ لَهُ رَجُوعُ أَصْحَابِهِ إِلَىٰ بَلَدِهِ كَمَا عَلَيْهِ فَتَوَى الْإِمَامِيَّةَ وَ أَحَادِيثَهُمْ. وَ مِنْهَا صَحِيحَةُ التَّهْذِيبِ عَنْ مَعَاوِيَةَ بْنِ عِمَارٍ وَ فِيهَا أَنَّ الصَّادِقَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) رَوَى ذَلِكَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ). وَ يَحْتَمِلُ أَيْضًا النَّظْرَ إِلَىٰ اعْتِبَارِ الرَّجُوعِ بِالْفَرْجِ الْعَامِ فِي الثَّلَاثِ عَشَرَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ بِمَعْنَىٰ أَنَّ مَنْ رَجَعَ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِالْفَرْجِ الْأَوَّلِ لَمْ يَصِحَّ مِنْهُ صَوْمُ الثَّلَاثِ عَشَرَ عِنْدَ أَهْلِهِ تِلْكَ أَيُّ الثَّلَاثَةِ فِي سَفَرِ الْحِجَّةِ وَ السَّبْعَةَ عِنْدَ الرَّجُوعِ عَشْرَةَ تَعَدَّ عِنْدَ اللَّهِ نَسْكًَا وَاحِدًا لَا يَضُرُّ فِيهَا الْفَاصِلُ الطَّوِيلُ وَ لَا الْإِتْيَانُ بِالسَّبْعَةِ فِي غَيْرِ مَنَاسِكِ الْحِجَّةِ وَ غَيْرِ أَشْهُرِهِ وَ لَا الصَّوْمِ فِي السَّفَرِ كَامِلَةً فِي النَّسْكِ كَكَمَالِ الْأَضْحِيَّةِ وَ الْهَدْيِ ذَلِكَ أَيُّ التَّمَتُّعِ بِالْعَمْرِهِ إِلَىٰ الْحِجَّةِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ بِاعْتِبَارِ وَطْنِهِ وَ مَسْكَنِهِ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنَ الْحَضَرِ بِفَتْحَتَيْنِ وَ الْحَضَارَةِ الْمُخَالِفِينَ لِلْبَدْوِ وَ الْبَدَاوَةِ أَيُّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ وَ قَرَاهَا وَ مَا يَنْسَبُ عَرَفًا إِلَيْهَا بِحَيْثُ لَا يَعُدُّ الْقَاطِنُ هُنَاكَ مِنَ الْبَادِيَةِ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بَلْ مِنْ أَهْلِ حَضْرَتِهِ وَ حَاضِرِيهِ. وَ قَدْ اجْتَمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْحَرَمِ فَهُوَ مِنْ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ أَنَّ بَلْغَ مِنْ جِهَةِ الْمَشْرِقِ اثْنَيْ عَشَرَ مِيْلًا. وَ الْمَظْنُونُ أَنَّ الْمَيْلَ مِنْهَا ثَلَاثَةٌ أَلْفٌ وَ خَمْسَمِائَةٌ ذِرَاعٌ بِذِرَاعِ الْيَدِ لَكِنْ بَعْضًا مِنَ الْإِمَامِيَّةِ قَدَّرَ الْحَدَّ لِحَاضِرِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ مِنْ جِهَاتِهِ بِمَا لَا يَبْلُغُ اثْنَيْ عَشَرَ مِيْلًا وَ لَا دَلِيلَ عَلَيْهِ وَ الرِّوَايَاتُ الصَّحِيحَةُ صَرِيحَةٌ فِي خِلَافِهِ. وَ مِنْهَا مَا ذَكَرَ فِيهَا أَنَّ أَهْلَ مَرِّ الظُّهْرَانِ مِنَ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُ عَنِ مَكَّةَ بِمَرَحَلَةٍ. وَ الْمَرْوِيُّ الَّذِي لَا يَقْبَلُ التَّأْوِيلَ هُوَ مَا لَا يَبْلُغُ ثَمَانِيَةَ وَ أَرْبَعِينَ مِيْلًا. لِلنَّصِّ عَلَىٰ أَنَّ أَهْلَ عَسْفَانَ وَ ذَاتِ عَرَقٍ مِنَ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. وَ بَعْدَ الْمَكَانَيْنِ عَنِ مَكَّةَ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِينَ أَوْ أَرْبَعِينَ مِيْلًا. وَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ اقْرَبَ الْمَوَاقِيتِ خَارِجَ عَنِ هَذَا الْحَدِّ. وَ ذَهَبَ أَبُو حَنِيفَةَ وَ أَصْحَابُهُ إِلَىٰ أَنَّ حَاضِرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ مَنْ كَانَ دَاخِلًا فِي الْمَوَاقِيتِ وَ يَنْبَغِي أَنْ يَرِيدُوا بِهَا يَلْمَلُمُ وَ قَرْنَ الْمَنَازِلَ وَ مَا سَاوَاهُمَا فِي الْبَعْدِ دُونَ مَسْجِدِ الشَّجَرَةِ أَوْ الْجَحْفَةِ. وَ قَالَ الشَّافِعِيُّ مَنْ لَا يَبْلُغُ مَسَافَةَ قَصْرِ الصَّلَاةِ نَظْرًا إِلَىٰ أَنَّ مَسَافَةَ الْقَصْرِ تَكُونُ سَفَرًا عَنِ مَكَّةَ لَا حَضْرًا قَلَّتْ لَوْ أَخَذْنَا الْحَضَرَ فِي اللَّغَةِ

مقابل السفر لكانت مسافه عشره أميال و نحوها سفرا لغويا و عرفيا و ضربا فى الأرض و ما التحديد فى القصر إلا تحديدا لبعض اقسام السفر و قال بعضهم من كان فى الحرم وَ اتَّقُوا اللَّهَ بِطَاعَتِهِ فِيمَا أَمَرْتُمْ بِهِ او نهيتم عنه فى أمر الحج و احكامه وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ على مخالفه الشريعه فى ذلك فإنه شرع الحج بهذه الحدود لطفًا بكم فإنه غنى عن عبادتكم و من لطفه أن يشدد عليكم بالوعيد على المخالفه لما يعلمه من عبث الأهواء بكم

سوره البقره (٢): آيه ١٩٧

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَ مَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَ تَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَ اتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ (١٩٧)

١٩٥ الحجُّ أى وقت الحج و الذى يصح فيه أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ معينه و لئن كان المشركون ينسئونها الى أشهر آخر فإنما النسيء زياده فى الكفر. و هى شوال و ذو القعدة و ذو الحجه لا- غيرها. نعم كل ذى الحجه وقت ببعض الاعتبارات لبعض الاجزاء كشوال و ذى القعدة. قال فى التذكرة و عليه اكثر علمائنا. و هو الظاهر مما

روى فى الكافى و الفقيه و التهذيب عن سماعه و معاويه عن الصادق (عليه السلام) انها شوال و ذو القعدة و ذو الحجه. و نحوه ما رواه فى الكافى و التهذيب عن زراره عن الباقر (عليه السلام).

و فى الدر المنثور و غيره كالبيهقى و البخارى فى أحاديث مسندا عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) انها شوال و ذو القعدة و ذو الحجه كما فى أحاديث أبى امامه و ابن عباس و ابن عمر.

و صريح قول الكاظم (عليه السلام) كان جعفر «يعنى الصادق (عليه السلام)» يقول ذو الحجه كله من أشهر الحج. كما رواه فى التهذيب فى الصحيح عن عبد الرحمن بن الحجاج و روى نحوه فى تفسير البرهان أخذنا من تفسير العياشى

و كذا صريح

قول الصادق (عليه السلام) فى شمولها لما بعد ايام التشريق فى صوم الثلاثه فى بدل الهدى حينئذ انا اهل بيت نقول ذلك لقوله تعالى فَصِيحَاتٌ لِّأَيَّامٍ تَلَايَهِ فِي الْحَجِّ يقول فى ذى الحجه. كما رواه فى الكافى و التهذيب فى الحسن كالصحيح او الصحيح عن رفاعه عنه (عليه السلام). و يؤيده ما رواه فى الوسائل و البرهان أخذنا من تفسير العياشى عن حفص بن البختري عن الصادق (عليه السلام). و ربعى عن الكاظم (عليه السلام).

و المراد فى الآيه ان مجموع الوقت من الأشهر الثلاثه وقت للمجموع من افعال الحج أى يصح بعض الاجزاء فيها كالأحرام الذى هو جزء من أحد النسكين الحج و العمره و ان اختصت بعض الأفعال بيوم عرفه و ما بعده. فلا يجوز أن يقدم إحرام الحج على الأشهر المذكوره بإجماع الإماميه و حديث اهل البيت و بذلك قال عطا و مجاهد و طاووس و الشافعى. و فى الدر المنثور

ذكر جماعه رووا ذلك منهم الشافعى و الحاكم و صححه عن ابن عباس و ابن مردويه عن جابر عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) و الشافعى و غيره عن جابر موقوفا. و الإحرام جزء من الحج و الحج أشهر معلومات. و حكى فى التذكرة عن مالك و الثورى و النخعى و أبى حنيفة و إسحاق و احمد ان الإحرام ينعقد قبل الأشهر المذكوره فإذا بقى على إحرامه الى أشهر الحج جاز للحج. تشبثا منهم بقوله تعالى يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَ الْحَجِّ و يرده ان كون الأهل كلها مواقيت للناس و الحج إنما هو باعتبار مجموع الحوادث للناس و الحج فإنها إنما تكون مواقيت للحج و للناس فى حوادثهم و أمورهم إذا امتازت بعض الأهل عن بعض باعتبار الوقوع او البدايه او النهايه و إذا لم يمتز بعض الأهل عن بعض فى التوقيت كان الزمان كله ظرفا ليس فيه وقت و لا ميقات فلا تكون الأهل مواقيت. و لو تنزلنا لكان قوله تعالى الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ نصا على التعيين كنص السنه على تعيين التاسع و العاشر من ذى الحجه على بعض اعماله.

و عمره التمتع كالحج لا يقع شىء منها فى غير الأشهر المذكوره بإجماع الإماميه و

حديث اهل البيت و ما رووه عن جدهم (صلى الله عليه و آله) من قوله (صلى الله عليه و آله) دخلت العمره فى الحج الى يوم القيامه كما أسنده الجمهور فى جوامعهم و مسانيدهم عن خمسه من الصحابه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كما أشرنا اليه آنفا.

فإذا كانت داخله فيه كانت موقته بوقته. و ان الإحرام الذى جعله للعمره المتمتع بها الى الحج كان فى ذى القعدة و لم يرد ما يجوز تقديمه على شوال. و قد اجمع المسلمون على انه لا يجوز أن تقدم عمره التمتع على أشهر الحج بجميع اعمالها. لكن فى التذكرة عن ثانى قولى الشافعى إذا أحرم بالعمره فى شهر رمضان و أتى بباقي اعمالها فى شوال و حج من سنته كان متمتعا. و قال ابو حنيفة و يجوز ايضا ان يقدم من اعمالها على أشهر الحج الى ثلاثه أشواط من طوافها. و لعل أبا حنيفة يتشبه لتقديم إحرامها بما يتشبه به لتقديم إحرام الحج و قد عرفت ما فيه. و يبقى قول الشافعى هنا و تقديم الأشواط الثلاثه و نحوها ليس له ما يتشبه به فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ

اى جعل إتمامه فرضا واجبا عليه بسبب عقده للإحرام بالتلبيه او اشعار الهدى او تقليده كما فى صحيحه الكافى عن معاويه عن الصادق (عليه السلام)

و يدخل فى ذلك الإحرام من المواقيت فى حج التمتع لدخول العمره فى الحج فلا رَفَتْ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدَالَ فى الْحَجِّ اى ان الحج بطبيعته

و مصلحه تشريعه يابى هذه الأمور. و تقدير الكلام فمن فرض فيهن الحج فلا يأت في حجه برفث و لا فسوق و لا جدال لأنه لا رفت و لا فسوق إلى آخره فحذف جواب الشرط لدلاله هذه الجملة المذكوره عليه دلالة يكون ذكره معها من فصول الكلام. و جى ء بالجملة الخبريه.

و صرح باسم الحج فى قوله جل شأنه «فِي الْحَجِّ» لإيضاح ان الحج بذاته ينافر هذه الأمور. و ليعرف ان عدمها ليس تكليفا محضا يختص بمن فرض الحج بل هو غرض يريد الشارع تحصيله من المكلفين حتى فى مورد لا يكون فيه من غير هذه الجبهه منكر يجب النهى عنه و اثم تحرم المساعده عليه كما لو اكره المحل بحق الزوجيه زوجته على وطئها فى حجها الواجب أو المستحب بإذنه أو المولى أمته فى حجها باذنه. او طاوعت المحله زوجها غير البالغ على وطئها فى حجه و ما أشبه ذلك. فإنه بمفاد الآيه و الغرض يراد من كل مكلف عدم حصوله كمنعه ان كان لمنعه أثر و على ذلك جاءت صحيحه إسحاق بن عمار عن الكاظم (عليه السلام) فى ان المولى المحل إذا كان عالما بأنه لا- ينبغى له ان يطاء أمته فى حجها باذنه كان عليه الكفاره كما افتى الأصحاب على إطلاقها سؤالا و جوابا بل الظاهر انه لا يخفى عليه ان وطأها مع رضاها لا ينبغى له لأنه اعانه على الإثم. و لو قيل و لا جدال فيه لاحتمل عود الضمير إلى ذلك الحج المفروض من حيث انه فرضه على نفسه و ما يرجع إلى تكليفه الخاص به لا من حيث منافره ذات الحج لهذه الأمور و إن كان بعضها حلالا فى غيره كجماع الزوجين و قول لا و الله و بلى و الله فى مقام الصدق. هذا و فى التبيان و غيره الرفث عند أصحابنا كناية عن الجماع قلت و هو احدى روايات الجمهور عن ابن عباس عن رسول الله و رووه ايضا عن ابن عباس و ابن عمرو ابن الزبير موقوفا. و الحجه لأصحابنا فيه إجماعهم و ما

فى الكافى عن الصادق (عليه السلام) الرفث الجماع. و الفسوق الكذب و السباب. و الجدال قول الرجل لا و الله و بلى و الله و نحوه ما روى فى الفقيه عن الصادق (عليه السلام) إلا انه لم يذكر السباب. و نحوه ايضا ما روى فى التهذيب عن الكاظم (عليه السلام) الا انه ذكر المفاخره بدل السباب.

و لعل ذكر السباب و المفاخره كان رعايه لبعض الوجوه باعتبار الغالب من اشتمالها على الكذب و يشهد لذلك خلّو روايه الفقيه منهما و خلّو روايه الكافى من المفاخره و خلّو روايه التهذيب من السباب و كلها فى مقام البيان. و ايضا ان الجماع هو المتيقن من الرفث فى التفسير مع شهاده قوله تعالى فيما سبق أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ و لئن ذكر له فى كتب اللغه معان آخر فهى على سبيل الاحتمال. و الأصل فيه البراءه و ما تَفَعَّلُوا

مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيُوفِّكُمْ جِزَاءَكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الَّذِي لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ وَتَزَوَّدُوا مِنْ تَقْوَى اللَّهِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ. وَالزَّادُ مَا يَعْدُ مِنَ الطَّعَامِ لِحَاجَةِ السَّفَرِ كُنِيَ بِهِ هُنَا عَنِ الْإِسْتِعْدَادِ لِلْآخِرَةِ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ مَا يَعْتَنِي الْإِنْسَانُ بِتَزَوُّدِهِ وَبَعْدَهُ لِحَاجَتِهِ وَيَرَاهُ وَاجِبًا لِأَزْمَا لِحَاجَتِهِ إِنَّمَا هُوَ التَّقْوَى لِلَّهِ وَالْعَمَلُ بِأَمْرِهِ وَنَوَاهِيهِ. وَلِعَمْرَى إِنْ التَّفْرِيعَ بِالْفَاءِ لِيُوضِحَ الرَّدَّ لِمَا ذَكَرَ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ مِنْ أَنَّ قَوْمًا كَانُوا يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَيَتَسَمَّوْنَ بِالْمُتَوَكِّلِينَ فَقِيلَ لَهُمْ تَزَوَّدُوا مِنَ الطَّعَامِ وَلَا تَلْقُوا كَلِمَةَ عَلَى النَّاسِ. وَلِئِنْ ذَكَرْتَ بِذَلِكَ رِوَايَةً عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ كَمَا أَحْصَاهُ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوِرِ فَإِنَّ عَرْضَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ فِي تَفْرِيعِ الْآيَةِ بِالْفَاءِ يَعْرِفُكَ وَهَاهُنَا وَاتَّقُونَ عَطْفَ تَفْسِيرِ عَلَى تَزَوَّدُوا فَائِدَتَهُ الْبَيَانَ وَالتَّأَكِيدَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ يَعْرِفُونَ بِعُقُولِهِمْ حَاجَتَهُمْ إِلَى التَّزَوُّدِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَوَجُوبِ تَقْوَى اللَّهِ وَ مَا لِلتَّقْوَى مِنْ فَضْلِ الْغَايَةِ الْعَظْمَى

سورة البقرة (٢): آية ١٩٨

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفْضَيْتُمْ مِنْ عَرَافَاتٍ فَأذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَ اذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ (١٩٨)

١٩٦ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِي أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ

فِي تَفْسِيرِ الْبِرْهَانَ عَنْ تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِي عَنْ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ قَوْلُهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَعْنِي الرِّزْقَ فَإِذَا أَحْلَ الرَّجُلُ مِنْ إِحْرَامِهِ وَقَضَى نَسَكَهُ فليشتر وليبيع انتهى.

وَيَكُونُ وَجْهَ الْمُنَاسَبَةِ فِي السِّيَاقِ فِي هَذِهِ الْجُمْلَةِ هُوَ الْإِسْتِدْرَاكُ وَرَفْعُ مَا يَتَوَهَّمُ بِسَبَبِ تَحْرِيمِ الرِّفْثِ وَالْجِدَالِ وَالْأَمْرَ بِالتَّقْوَى وَ الْحَثَّ عَلَيْهَا فَلَا بَأْسَ فِي أَنْ يَكْتَسِبَ مَا هُوَ زَائِدٌ نَوْعًا عَمَّا أُعِدَّ مِنَ الْمَالِ لِسَفَرِ الْحَجِّ. وَ رَوَى فِي ذَلِكَ وَ نَحْوِهِ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوِرِ عِدَّةَ أَحَادِيثَ.

وَ فِي التَّبْيَانِ رَوَى عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) قَالَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ مَعْنَاهُ أَنْ تَطْلُبُوا الْمَغْفِرَةَ. وَ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ رَوَاهُ جَابِرٌ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ).

وَلَعَلَّ ذِكْرَ الْمَغْفِرَةِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهَا الْمَصْدَاقُ الْأَهْمُ لِنَوْعِ الْإِنْسَانِ مِمَّا يَبْتَغِي حَيْثُذُ مِنَ اللَّهِ. وَ وَجْهَ الْمُنَاسَبَةِ فِي السِّيَاقِ هُوَ أَنَّهُ بَعْدَ التَّرْغِيبِ فِي التَّقْوَى وَ مَلَازِمَةِ الْحُدُودِ فِي الْوَاجِبَاتِ وَ الْمَحْرَمَاتِ اقْتَضَى اللَّطْفَ أَنْ يَرْغَبَ فِي الْإِزْدِيَادِ مِنَ الْخَيْرِ وَ مِنْهُ طَلَبَ الْمَغْفِرَةَ بِأَسْبَابِهَا فَجَرَى التَّرْغِيبُ بِنَحْوِ الْإِحْتِجَاجِ بِثَبُوتِ الْمَقْتَضَى وَ عَدَمِ الْمَانِعِ فَإِنَّ الْمَقْتَضَى لِابْتِغَاءِ الْفَضْلِ مِنَ اللَّهِ بِدِيهِ عِنْدَ الْعَقْلِ وَ الْعَقْلَاءِ وَ لَيْسَ فِي ذَلِكَ مَانِعٌ وَ لَا عَلَى الْمَبْتَغَى جُنَاحٌ. وَ إِي جُنَاحٌ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ فَابْتَغُوهُ وَ اغْتَنِمُوا فِيهِ الْفُرْصَ فَإِذَا

أَفْضَتْكُمْ مِنْ عَرَافَاتِ الْإِفَاضَةِ جَعَلَ الشَّيْءُ فَائِضًا مِنْ فَيْضِ الْمَاءِ أَي إِذَا أَفْضْتُمْ جَمْعَكُمْ تَشْبِيهَا لِأَنْدِفَاعِ جَمْعِهِمُ الْكَثِيرِ فِي رَحِيلِهِمْ لِسَاعَتِهِمْ بَعْدَ الْعَصْرِ دَفَعَهُ بِفَيْضِ الْمَاءِ الْمُنْبَعِثِ فِي ابْتِدَائِهِ مِنْ عَرَافَاتٍ يُقَالُ أَفَاضَ الْحَدِيثُ أَي أَفَاضَ كَلَامَهُ فِيهِ. وَعَرَافَاتٌ هُوَ الْمَوْقِفُ الْمَعْرُوفُ وَفِيهِ نَسَكُ الْيَوْمِ التَّاسِعِ. وَفِي التَّعْبِيرِ بِالْإِفَاضَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَوْقِفَ فِي عَرَافَاتٍ لَهُ مَكَثٌ مُحَدَّدٌ الْوَقْتُ يَجْتَمِعُ فِيهِ النَّاسُ ثُمَّ يَرْحَلُونَ بِأَجْمَعِهِمْ كَالْمَاءِ الْفَائِضِ وَانْ عَرَافَاتٍ مَنشَأُ هَذِهِ الْإِفَاضَةِ وَفَيْضُ الْجَمْعِ. وَصَرَفَتْ عَرَافَاتٌ مَعَ الْعِلْمِيَّةِ وَالتَّأْنِيثِ لِأَنَّهَا بِصَيْغَةِ الْجَمْعِ فَحَمَلَتْ عَلَيْهِ فَادُّكُّرُوا اللَّهَ بِالصَّلَاةِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِطَاعَتِهِ فِي النَّسَكِ وَالْوُقُوفِ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَهُوَ الْمَزْدَلْفَةُ وَجَمْعٌ وَسَمِيَ مَشْعَرًا لِأَنَّهُ مَحَلٌ لِنَحْوِ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ. وَإِذَا جَعَلْتَ جَمْلَهُ فَادُّكُّرُوا لِيُبَيِّنَ الْوُضُوفَ بِمَنْزِلَةِ الْجَمْلَةِ الْخَبْرِيَّةِ جَازٍ أَنْ يَرَادَ بِالذِّكْرِ مَا يَعْمُ الْمَسْتَحَبُّ. ثُمَّ أَكَّدَ اللَّهُ التَّرْغِيبَ بِذِكْرِهِ وَالإِقْبَالَ عَلَيْهِ بِبَيَانِ الْإِحْتِجَاجِ وَالتَّذْكِيرِ بِاسْتِحْقَاقِهِ شُكْرًا لِنِعْمَتِهِ الْعِظْمَى فَقَالَ جَلَّتْ آلاؤُهُ وَادُّكُّرُوهُ كَمَا هَيَّدَاكُمْ وَأَنْعَمَ عَلَيْكُمْ بِالْهَدْيِ تِلْكَ النِّعْمَةُ الْجَلِيلَةُ وَإِنْ كُنْتُمْ الْوَاقِفِينَ لِلْحَالِ «وَإِنْ» مُخَفَّفَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ تَفِيدُ التَّأْكِيدَ بِمَعْنَى وَقَدْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ أَي مِنْ قَبْلِ الْهَدْيِ الْمَدْلُولِ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ هَدَاكُمْ لِمَنْ الضَّالِّينَ وَلا تَجْعَلُوا الْمَشْعَرَ سَبِيلَ عَابِرٍ مِنْ عَرَافَاتٍ إِلَى مَنَى كَمَا كَانَتْ قَرِيشٌ تَقْتَرِحُهُ بِتَشْرِيْعِهِمْ وَجَبْرُوتِهِمْ عَلَى سَائِرِ الْعَرَبِ بَلَّ قَفْوًا فِيهِ لِلنَّسَكِ بِحَيْثُ يَكُونُ أَنْدِفَاعُ جَمْعِهِمْ مِنْهُ بَعْدَ الْوُقُوفِ فِيهِ إِفَاضَةٌ مِنْهُ كَالْإِفَاضَةِ مِنْ عَرَافَاتٍ وَادُّكُّرُوا اللَّهَ فِيهِ

سورة البقرة (٢): آية ١٩٩

ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩)

١٩٧ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ الْعَامِلِينَ عَلَى شَرْعِهِ الْحَجَّ بِحَقِيقَتِهَا وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الَّذِي أَتَى بِشَرْعِهِ الْحَجَّ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَمَنْ كَانَ بَعْدَهُمْ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ لِهَذِهِ الشَّرْعِ. جَاءَ فِيمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ آتِفًا مِنَ الْكَافِي وَالتَّهْذِيبِ

فِي الصَّحِيحِ عَنِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنِ الْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنِ جَابِرٍ فِي ذِكْرِهِ لِحَجِّ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ). ثُمَّ غَدَا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أَي مِنْ مَنَى وَالنَّاسُ مَعَهُ وَكَانَتْ قَرِيشٌ تَفِيضُ مِنَ الْمَزْدَلْفَةِ وَهِيَ جَمْعٌ

«أَي لَا يَقِفُونَ فِي عَرَفَةَ فَتَكُونُ لَهُمْ مِنْهَا إِفَاضَةٌ بَلَّ يَقِفُونَ فِي الْمَشْعَرِ وَتَكُونُ مِنْهُ إِفَاضَتِهِمْ»

وَيَمْنَعُونَ النَّاسَ مِنْ أَنْ يَفِيضُوا مِنْهَا

«أَي مِنْ الْمَزْدَلْفَةِ يَعْنِي أَنَّهُمْ لَا يَدْعُونَ النَّاسَ بَعْدَ إِفَاضَتِهِمْ مِنْ عَرَافَاتٍ أَنْ يَقِفُوا فِي الْمَزْدَلْفَةِ لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مِنْهَا إِفَاضَةٌ أَيْضًا بَلَّ لَا يَكُونُ لَهُمْ

فأقبل رسول الله و قريش ترجو ان تكون إفاضته من حيث كانوا يفيضون

«اي لا يمضى الى عرفه بل يمكث في المزدلفه و تكون منها إفاضته (صلى الله عليه و آله)»

فأنزل الله عليه ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس و استغفروا الله يعنى ابراهيم و إسماعيل و إسحاق فى إفاضتهم و من كان بعدهم الحديث.

و لا ينبغى الريب فى ان مرجع الضمير فى منها هو المزدلفه إذ لم يسبق فى الحديث ادنى ذكر او إشاره الى عرفات. و فى تفسير البرهان آخذنا من تفسير العياشى ذكر خمس روايات تذكر ان المراد أفيضوا من عرفات: نعم فيها ما يؤيد حديث جابر فى ان قريشا منعوا الناس من أن يفيضوا معهم من المزدلفه اى منعوهم من أن يمكثوا فيها عند رجوعهم من عرفه لكى تتحقق لهم الافاضه من المزدلفه. و لكن فى تلك الروايات اختلاف فإن بعضها يذكر ان الأمور بالإفاضه من حيث أفاض الناس هم قريش و بعضها انه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و كذا ما أحصاه فى الدر المنثور فى رواياتهم و الكل لا- يقوى على المقاومه لحديث جابر المنتصر بروايه الصادق (عليه السلام) و الباقر (عليه السلام) له فإن ذلك تصديق منهما (عليه السلام) له. و ينافيها و يردّها أيضا سياق الآيه و العطف فيها بثم. و لا يجدى فى ذلك ما ذكره فى الكشاف و غيره بالقياس الواهى.

نعم فى مجمع البيان انه قد روى أصحابنا ان هاهنا تقديم و تأخيرا تقديره فليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله.

الآيه. و لم أجد الروايه عاجلا لنرى سندها و لو كانت عن إمام لذكره فى المجمع على عادته فالحكم لبيان روايه الصادق (عليه السلام) و الباقر (عليه السلام) عن جابر المعتضده بترتيب القرآن المتسالم عليه. و فى التبيان ذكر القول بأن الآيه خطاب لجميع الحاج ان يفيضوا من حيث أفاض ابراهيم (عليه السلام) من مزدلفه و قال انه شاذ و علل شذوذه بكلام مضطرب عهده اضطرابه على النساخ و حاصله الاعتراض على كون المراد بالناس ابراهيم (عليه السلام) وحده و قد عرفت ان روايه جابر ترفع هذا الاعتراض و اما دعوى الإجماع على خلاف هذا القول فلعلها ناظره إلى المروى عن ابن عباس و عائشه و عطا و مجاهد و الحسن و قتاده و بعض المفسرين و لا- حجه فيه و كيف كان فلا اجماع و بالنظر الى مجمع البيان يظهر ان نساخ التبيان خلطوا بين قولى الضحاك و الجبائى. و ظنى ان فى عباره التبيان سقطا

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٠

فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن خَلَقٍ (٢٠٠)

وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ١٩٨ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ أَتَيْتُمْ بِهَا وَ فرغتم

منها و المناسك هنا أفعال الحج لأنها ينسك بها لله فأذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكرًا ان من عادة الناس و خصوص العرب ان لا- يغيب آباؤهم عن ذكرهم بالافتخار بهم و الإطراء بمحاسنهم و إحسانهم أو القسم بهم و نحو ذلك. فالمعنى العام فى الآيه ان لا- تغفلوا عن ذكر الله بعد أداء المناسك. و اولى ما يحتج عليهم فى ذلك هو انهم لا يغفلون عن ذكر آباؤهم إذن فكيف يغفلون عن ذكر الله بما هو اهله و هو الإله العظيم و له المجد و الجلال و هو خالقهم و كل نعمه عليهم حتى التى من آباؤهم هى منه جلت آلاؤه. بل ينبغى ان يكون ذكرهم لله أشد من ذكر الآباء بنحو يناسب جلال الله و نعمائه. و جاء فى التفسير فى الروايات بيان بعض المصاديق العاديه فى ذكرهم لآباؤهم.

ففى صحيحه الكافى عن منصور بن حازم عن الصادق (عليه السلام) كانوا إذا أقاموا بمنى بعد النحر تفاخروا فقال الرجل منهم كان أبى كذا و كذا فقال الله فإذا قضيتُم مناسككم فأذكروا الله كذا ذكركم آباءكم. و نحوها ما رواه العياشى عن الباقر (عليه السلام) و الصادق (عليه السلام) و جملة مما رواه فى الدر المنثور.

هذا و ان ذكر الله حق الذكر يساوق ملازمه التقوى و لكن احوال الناس مختلفه يكونون فيها على اصناف ذكر فى الآيات بعضها فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَ قَدْ أَعْرَضَ عَنِ الْآخِرَةِ وَ نَسِيهَا وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ أَى من نصيب لأنه أعرض عنها و لم يعمل لها و لم يسأل شيئاً من خيرها

سوره البقره (٢): الآيات ٢٠١ الى ٢٠٣

وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ (٢٠١) أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٢٠٢) وَ اذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٠٣)

١٩٩ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا نِعْمَةً حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ نِعْمَةً حَسَنَةً وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ

و فى الكافى فى صحيحه جميل عن الصادق (عليه السلام) رضوان الله و الجنة فى الآخرة و المعاش و حسن الخلق فى الدنيا

٢٠٠ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا «من» فى «مما» بيانیه فإن ما سألوه لا ينال بمحض الدعاء وَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ لعباده من الصنفين المذكورين ٢٠١ وَ اذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ

و هى ايام التشريق كما فى صحيحتى الكافى عن محمد بن مسلم و منصور بن حازم و صحيحه التهذيب عن حماد بن عيسى عن الصادق (عليه السلام)

كصحيحته الوسائل عن قرب الاسناد عن حماد عنه (عليه السلام) و نحوه روايات العياشى و روايه الدر المنثور عن ابن عباس و ابن عمر و ابن الزبير.

و ذكر الله هو التكبير كما فى صحيحته محمد و منصور المشار إليهما. و صورته المتفق عليها بين المسلمين كما ذكره فى التبيان. الله اكبر.

الله اكبر لا اله الا الله و الله اكبر الله اكبر و لله الحمد. و زاد أصحابنا تبعا للروايات عن أئمتهم اهل البيت و جمعا بينها. الله اكبر على ما هداونا و الحمد لله على ما أولانا و رزقنا من بهيمه الانعام.

و هو مستحب على المشهور

لصحيحه على بن جعفر عن أخيه الكاظم قال سألته عن التكبير فى ايام التشريق أ واجب او لا قال (عليه السلام) مستحب و ان نسى فلا شئ عليه

فالأمر فى الآيه للاستحباب.

و وقته بعد كل فريضه من صلاه الظهر يوم النحر الى صلاه الصبح من اليوم الثالث عشر. فىكون خمسه عشر تكبيرا و لمن ينفرد بالنفر الاول بعد الزوال فىكون عشر مرات. و اختلف كلام الفقهاء من الجمهور فى عدده و لكن مالكا و الشافعى فى احد أقواله و افقا أصحابنا فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي ضَمَنِ يَوْمَيْنِ مِنْ تَعَجْلِ الدِّينِ اى تعجل مقامه بمنى فى ضمن يومين بتعجل غايته فنفر النفر الاول. و لو كان بمعنى استعجل و عجل او للمطاوعه كما فى الكشاف لدلت الآيه على جواز النفر فى اليوم الاول منها ايضا و هو باطل بإجماع المسلمين. و لأجل جعل التعجل فى ضمن يومين اشترط أصحابنا و فقهاء اهل السنه الا أبا حنيفه و أصحابه كونه قبل الغروب من اليوم الثانى فلو امسى حرم عليه النفر الاول فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَ مَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لهذه الجملة ظاهر لا حاجه الى بيانه لأذن فى روايه الكافى عن إسماعيل بن نجیح رد عليه و لأذن الأحاديث عن الفريقين جاءت على خلافه و هو ان المراد غفرت ذنوبه. منها صحيحه الحلبي فى قوله تعالى الْحَيُّ أَشْهَرُ مَعْلُومَاتٍ و صحيحه عبد الأعلى و روايه ابن عيينه و روايه ابن نجیح و روايه العياشى عن معاويه ابن عمار و عن أبى بصير عن الصادق (عليه السلام) و رواه فى الدر المنثور عن على امير المؤمنين (عليه السلام) و ابن مسعود و ابن عمر و ابن عباس فى احدى الروايتين فىكون حاصل المراد من الآيه الكريمة فمن أتم حجه بالتعجل او التأخر غفرت ذنوبه فإنه لا أثر لخصوص عنوانى التعجل و التأخر فى غفران الذنوب. و من هذا الوجه و كون التعجل إتماما للحج يعرف جوازه و انه لِمَنْ اتَّقَى النِّسَاءَ وَ الصَّيْدَ كما هو المشهور بين الإماميه باعتبار الاختصاص بالأمرين المذكورين و المجمع عليه

باعتبار الدخول في كل ما يحرم على المحرم كما عن ابن سعيد او ما يوجب عليه الكفاره كما عن ابن إدريس و أبي المجد كما ورد في خصوص النساء و الصيد صحيحه حماد بن عثمان و روايته الأخرى كما في التهذيب و صحيحه جميل و معتبره ابن المستنير عن الصادق (عليه السلام) و به جاءت احدى روايات الدر المنثور عن ابن عباس و المراد اتقاء المحرم و ما يحرم عليه في حجه مما يكون بين النساء و الرجال سواء كان رجلا- او امرأه. و هناك روايات أخرى من الفريقين لم يأخذ بمضمونها الإماميه و على ذلك إجماعهم مضافا إلى ان قوله تعالى ذلك لِمَنْ اتَّقَى لا يستقيم تفسيره بالتقوى المطلقه بعمومها لأن حصولها إلى حين النفر لا يتفق إلا للمعصوم فلا يبقى موقعا للامتنان بغفران الذنوب إذا كان ذلك قيذا له و كذا لا يبقى مورد للتخفيف على سائر الناس كما يعرف من روايات الفريقين بأجمعها إذا كان قيذا لجواز النفر كما لا يستقيم تفسيره بمطلق حصول التقوى و مصداقها في الماضى إذ لا فائده على ذلك في هذا القيد فإن كل من له حج قد حصل منه مصداق للتقوى فلا بد من ان يراد بذلك تقوى خاصه و هو ما بينته الروايات المتقدمه و بالنظر إلى هذا الذى ذكرناه يسقط كثير من الأحاديث وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ مقتضى سوق الآيه هو انه لا تتكلوا على غفران ما مضى من ذنوبكم بسبب الحج بل اتقوا الله فيما بقى من أعماركم و تحققوا و ليكن على علمكم و ذكركم دائما انكم الى الله لا- محاله تحشرون فيحاسبكم على اعمالكم و يجازيكم فاستعدوا لذلك بالتقوى و تزودوا منها فإنها خير الزاد

سوره البقره (٢): الآيات ٢٠٤ الى ٢٠٥

وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَ إِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ (٢٠٥)

٢٠٢ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ وَ تستحسنه في الحياه الدنيا متعلق ببعجبك أى يظهر الإيمان و الصفاء و حسن الصحبه و يقول ان ذلك في قلبى وَ يُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ بضم الياء من اشهد أى يقول اشهد الله على ذلك و لازمه دعوى ان الله عالم بذلك وَ الحال هُوَ خصم لك و للإيمان و أَلَدُّ الْخِصَامِ فى ذلك. و اللدد هو الشده فى الخصومه و الألد صفه مشبهه نحو أعمى العين و اعورها أى شديد الخصومه. يقال خصم ألد و خصوم لَدَّ كقوله تعالى فى سوره مريم وَ تُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ٢٠٣ وَ إِذَا تَوَلَّى من الولايه بأن تصير له ولايه

و تسلط سَعَى فِي الْأَرْضِ السَّعَى الْأَسْرَعَ فِي الْمَشَى قَيْلٍ وَالْعَمَلِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّجْمِ أَنَّ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى وَ فِي سُورَةِ الدَّهْرِ وَ كَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا. وَ ظَنَى أَنْ ذَلِكَ مِنَ الْمَعْنَى الْأُولَى وَ كُنِيَ بِهِ عَنِ الْعَمَلِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يُهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ الْمُرَادَ بِالْحَرْثِ هُنَا الزَّرْعَ لِأَنَّهُ تَحْرَثَ لَهُ الْأَرْضُ. وَ النَّسْلُ مَا يَتَوْلَدُ بِالتَّنَاسُلِ. وَ النَّاسُ نَسْلُ آدَمَ

و عن تفسير العياشى عن الحسين بن بشار عن الرضا (عليه السلام) قوله النسل هم الذرية و الحرث الزرع

و عن زراره عن الصادق و الباقر النسل الولد و الحرث الأرض

و هذا يرجع إلى تفسيره بالزرع

و فى مجمع البيان و روى عن الصادق ان الحرث فى هذا الموضع الدين و النسل الناس.

و أظن انه اخذه من تفسير القمى ففيه قال الحرث فى هذا الموضع الدين. و هذا الكلام لا دلالة فيه على انه رواه عن الصادق (عليه السلام) وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ وَ لَا يَعِينُ عَلَيْهِ وَ لَكِنْ يَمَهِّلُ ذَلِكَ السَّاعَى وَ يَمْلَى لَهُ

سوره البقره (٢): الآيات ٢٠٦ الى ٢٠٧

وَ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ لَهُ جَهَنَّمُ وَ لَبِئْسَ الْمِهَادُ (٢٠٦) وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ (٢٠٧)

٢٠٤ وَ إِذَا قِيلَ لَهُ أَي لَذَلِكَ الْمَفْسَدِ اتَّقِ اللَّهَ وَ لَا تَفْسُدْ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ الَّتِي يَرَاهَا لِنَفْسِهِ بِالْإِثْمِ وَ اجْتِمَاعِ اتِّبَاعِهِ مَعَهُ عَلَى الضَّلَالِ أَي اسْتَوْلَى عَلَيْهِ اعْتِرَازُهُ بِالْإِثْمِ أَي بِالتَّعَاوُضِ الْبَاطِلِ عَلَى الْبَاطِلِ وَ الْآثَامِ فَيَأْتِيهِ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ وَ فِي التَّبْيَانِ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ مِنْ أَجْلِ الْإِثْمِ الَّتِي فِي قَلْبِهِ مِنَ الْكُفْرِ. وَ قِيلَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ أَي دَعَتْهُ الْعِزَّةُ إِلَى الْإِثْمِ كَمَا تَقُولُ فَلَانَا بَأَنْ يَفْعَلَ أَي دَعْوَتِهِ إِلَى أَنْ يَفْعَلَ وَ نَحْوَهُ قَالَ فِي الْكُشَافِ فَحَسْبُ لَهُ جَهَنَّمُ أَي فليكن محسوبه فى عاقبه جهنم وَ لَبِئْسَ الْمِهَادُ الَّتِي مَهَّدَهُ لِنَفْسِهِ بِسُوءِ أَعْمَالِهِ هِيَ ٢٠٥ وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فِي التَّبْيَانِ شَرَى بَاعَ. وَ فِي الْكُشَافِ يَبِيعُهَا أَي يَبْذُلُهَا فِي الْجِهَادِ أَقُولُ وَ يُمْكِنُ أَنْ يَرَادَ بِهِ مَعْنَى الْإِشْتِرَاءِ الْمَتَعَارِفِ عَلَى نَحْوِ مَا ذَكَرْنَاهُ فِي الْآيَةِ الرَّابِعَةِ وَ الثَّمَانِينَ أَي يَشْتَرِي نَفْسَهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ابْتِغَاءَ لِمَرْضَاتِ اللَّهِ عَلَيْهَا وَ هِيَ سَعَادَتُهَا الَّتِي تَشْتَرِي لَهَا.

و فى التبيان و روى عن أبى جعفر يعنى الباقر (عليه السلام) انه قال نزلت فى على (عليه السلام) حين بات على فراش رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما أرادت قريش قتله (صلى الله عليه و آله). و رواه فى البرهان و غايه المرام عن تفسير العياشى باسناده عن ابن عباس و عن جابر عن الباقر (عليه السلام) و رواه الشيخ الطوسى

فى اماليه بأسانيده من رجال اهل السنه و غيرهم عن زين العابدين و ابن عباس و انس و أبى عمرو بن العلاء و عن أبى اليقظان
عمار عن رسول الله (صلى الله عليه و آله)

و فى مجالسه عن أبى ذر ان امير المؤمنين احتج فى الشورى بأن الايه نزلت فى شأنه.

و فى غايه المرام رواه ابن بابويه و ابن شاذان و الكلينى و الطوسى و ابن عقده و البرقى و ابن فياض و العبدكى و الصفوانى و
الثقفى بأسانيدهم عن ابن عباس و أبى رافع و هند بن أبى هاله. و رواه من أهل السنه الحافظ ابو نعيم عن ابن عباس. و الثعلبى
فى الجزء الأول من تفسيره. و رواه ايضا فى تفسيره و ابن عقبه فى ملحتمه و ابو السعادات فى فضائل العشره بأسانيدهم عن أبى
اليقظان عمار. و رواه الغزالى فى باب الإيثار من الاحياء بالنحو المفصل فى مباهاه الله لجبرائيل و ميكائيل بعلى و نزول الآيه فى
شأنه و كذا أورده الرازى و النيسابورى و الشيرازى فى تفاسيرهم و عن ابن الأثير فى الإنصاف فى جمعه بين الكشاف و الكشاف
و رواه فى الفصول المهمه عن الاحياء و رواه الثعلبى ايضا باسناده عن السدى.

و روى الحاكم فى مستدركه و الذهبى فى تلخيص المستدرك و اخطب خوارزم موفق فى مناقبه و الحموينى فى فرائده و
فضائل الصحابه بأسانيدهم عن زين العابدين (عليه السلام) قال أول من شرى نفسه ابتغاء مرضاه الله على بن أبى طالب عند ميته
على فراش رسول الله (صلى الله عليه و آله) و روى احمد فى مسنده بطريق صحيح و الحاكم فى مستدركه و صححه على شرط
البخارى و مسلم و ذكر روايته عن أبى داود و الطيالسى و غيره

و رواه النسائى فى خصائصه صحيحا و اخطب خوارزم فى مناقبه و الذهبى فى تلخيصه و صححه و الحموينى فى كفايه الطالب و
السمط الاول من فرائده عن ابن عباس فى حديث و شرى على نفسه و لبس ثوب النبى (صلى الله عليه و آله) و نام مكانه و قد
كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) البسه برده و كانت قريش تريد ان تقتل النبى (صلى الله عليه و آله) الحديث.

هذا و فى الكشاف لم يذكر هذه الروايه و فسر يشرى نفسه بقوله يبيعه و يبذلها فى الجهاد ثم ذكر الروايه فى صهيبي و انه
اشترى نفسه و افتداها من مشركى قريش بماله. و هذا لا يناسب تفسيره يبيعه و يبذلها و إنما يناسب ذلك ما روى فى شأن امير
المؤمنين (عليه السلام) فى بذل نفسه و ميته على فراش الرسول ليفديه بها. و العجب من السيوطى فإنه مع طول باعه فى الحديث
و استقصائه فى الدر المنثور للأحاديث المتعلقة بالتفسير حتى الشواذ و المناكير و مع ذلك لم يذكر ما استفاض من طرقهم فى
نزول هذه الآيه فى شأن امير المؤمنين و ميته على الفراش و روى نزولها فى شأن صهيبي او مع أبى ذر أو مع غيرهما. و ان ما

يرويه صهيبي من قول النبى (صلى الله عليه و آله) له ربح

لا- يناسب بذل ماله و لا- تناسب الآيه إفلات أبي ذر من أهله. فإن قيل ان الآيه مدنيه فكيف يكون نزولها فى مبيت على (عليه السلام) على الفراش فى مكه قلت ان حادثه المبيت كانت حين خرج رسول الله (صلى الله عليه و آله) من مكه مهاجرا فنزلت الآيه بعد ذلك فى تمجيد على (عليه السلام). و ايضا لم يكن بين ما يروونه من شأن صهيب مع قريش و بذل ماله و بين مبيت على (عليه السلام) على الفراش إلا يوم و نحوه فكيف ناسبت الآيه المدنيه شأن صهيب و لم تناسب شأن امير المؤمنين فى مبيته على الفراش وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ وَ هذه التتمه و امتنانها انما تناسب شأن امير المؤمنين (عليه السلام) و رأفه الله به فى حفظه بجبرائيل و ميكائيل من قتل قريش كما فيما أشرنا اليه من روايات أبي نعيم و الثعلبي و ابن عقبه و أبي السعادات و الغزالي و الرازى و غيرهم

سوره البقره (٢): آيه ٢٠٨

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَ لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ (٢٠٨)

٢٠٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً فيما حضرنا من كتب اللغه السلم بكسر السين و سكون اللام الصلح و المراد منه الملائمه و عدم الحرب لا عقد المصالحه الذى يؤثر السلم. و تؤنث حملا على نقيضها الحرب كقوله تعالى فى سوره الأنفال وَ إِن جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا. و قال العباس بن مرداس

السلم تأخذ منها ما رضيت به و الحرب يكفيك من أنفاسها جرع

و من الغريب ما رواه فى الدر المنثور من ان المراد بالسلم شرائع الإسلام و ما ذكره من سبب النزول. و ان المخاطبين هم اهل الكتاب. أو ان المراد بالسلم الإسلام. كما اغرب من نقل عنه فى الكشاف ان المخاطبين هم المنافقون كما اغربوا بتفسير السلم بالطاعه كيف و الآيه و التى بعدها يناديان بأنهم نوع المؤمنين بالله و رسوله محمد (صلى الله عليه و آله) و قد كانوا حين الخطاب بالآيه و مده حياه الرسول مستوسقين بأجمعهم للسلم فيما بينهم اذن فما ذا الذى أمروا بأن يدخلوا فيه ما هو الا عنوان يضمن لهم دوام السلم بعد الرسول (صلى الله عليه و آله) و يحكم انتظامه و لم نجد لهذا العنوان بيانا و تفسيراً معقولا إلا ما ورد عن اهل البيت (عليه السلام)

ففى الكافى بسنده عن عبد الله بن عجلان عن الباقر (عليه السلام) فى تفسير السلم فى الآيه قال (عليه السلام) فى ولايتنا. و كذا روايه سعد بن عبد الله القمى بسنده عن الفضيل عنه (عليه السلام) و روايه ابن شهر آشوب عنه (عليه السلام) و روايه العياشى عن الكلبي عن الصادق عنه (عليه السلام).

و فى امالى الشيخ بسنده عن محمد بن ابراهيم عن الصادق (عليه السلام) قال فى ولايه على بن أبى طالب و كذا روايه ابن شهر آشوب عن زين العابدين عليه السلام

و الصادق (عليه السلام) و رواه العياشى عن أبى نصير عن الصادق (عليه السلام). و فى معناها روايات أخر عن العياشى عن زراره و حمران و محمد بن مسلم عن الباقر (عليه السلام) و الصادق (عليه السلام). و روايته عن جابر عن الباقر (عليه السلام) و روايته عن مسعده عن الصادق عن أبيه عن جده عليهم السلام.

و لعمر الحق ان ولايه على (عليه السلام) و الأئمه من آل الرسول لهى اشرف انواع السلم و أعظمها برکه.

بها يستوسق السلم العام بين المسلمين بعد الرسول (صلى الله عليه و آله) و بها يستحكم نظامه و يقر قراره و لو تمسك كافه المسلمين بها لما حدثت الحروب الطاحنه كحروب البصره و صفين و النهروان و كربلاء و الحره و غيرها. و لما ذهب خيار المسلمين اضاحى لقساوه زياد و ابنه و الحجاج و أشباههم فإننا لله و انا اليه راجعون. و «كافه» بمعنى جميعا حال من ضمير الجماعه فى ادخلوا و لا محصل لكونه حالا من السلم خصوصا مع ما ذكرناه من حال المسلمين فى عهد رسول الله و لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ الخَطَاةَ جَمْعُ خَطْوَةٍ أَيْ لَا تَتَّبِعُوا أَثْرَهُ وَ تَخْطُوا عَلَى خَطَاةٍ فِي الضَّلَالِ وَ لَا تَنقَادُوا عَلَى أَثْرِهِ بَغْوَايْتَهُ إِنَّهُ لَكُمْ عِدُوٌّ مُبِينٌ لِعِدَاوَتِهِ. و هل تخفى عداوته. و ها أنتم بأقل التفات تعلمون انه يغريكم بكل قبيح و يوقعكم بغوايته فى كل شر و مكروه

سوره البقره (٢): الآيات ٢٠٩ الى ٢١٠

فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٠٩) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلْمٍ مِنَ الْغَمَامِ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٢١٠)

٢٠٧ فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعِيدٍ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ و منها قوله تعالى إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً. و تأكد بيانه بتواتر الأحاديث من الفريقين فى ان المراد من اهل البيت هم على و الزهراء و ذريتهما صلوات الله عليهم. و قوله تعالى قُلْ لَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى و غير ذلك من الآيات المأثوره تفسيرها فى فضل على (عليه السلام) و زعامته و ولائه كما مضى و يأتى ان شاء الله و ما تواتر لفظا او معنى من أحاديث الفريقين فى فضل على (عليه السلام) و ولايته و امرته على المؤمنين. فاعلموا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ فى إنفاذ امره و اظهار الحق بلا إلجاء ٢٠٨ هَلْ يَنْظُرُونَ أَى نوع الناس ان كان المقصود من الآيه أحوال القيامه و أهوالها. و ان كان المقصود أهوال أواخر الزمان فالمراد بعض الناس و اهل ذلك الحين إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلْمٍ مِنَ الْغَمَامِ نَسَبَهُ الْإِتْيَانِ إِلَى اللَّهِ مَجَازٌ أَى يَأْتِيَهُمْ آثَارُ قُدْرَتِهِ وَ عَظَمَتِهِ وَ سُلْطَانَهُ الْقَاهِرَ كَمَا

يقال لمن جاءه جيش الملك بسطوه سلطانه جاء ك الملك. و ظلل جمع ظله و هو ما اظلك. و الغمام معروف. و ظلل الغمام يحتمل ان تكون مجازا فى الشدائد التى تدهمهم و ظلمات الأحوال كما يظلم الجو بالغمام و الملائكهُ فاعل بالعطف لياتى و اسناد الآيتان إليهم لا مانع من حقيقته.

و فى روايات الدر المنثور فى الآيه ما يعسر تأويله و يستحيل مؤداه لأنه تجسيم و فيه نسبة التحين فى المكان إلى الله جل شأنه وَ قُضِيَ الْأَمْرُ فَإِنَّهُ لَا رَادَ لِقِضَاءِ اللَّهِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ وَ هُوَ وَلِيهَا يَرْجِعُهَا إِلَيْهِ سُلْطَانُ إِلَهِيَّةِ الْقَاهِرِ وَ وَجُوبِهِ وَ إِمْكَانِ مَا سِوَاهُ وَ حَاجَتِهِ فِى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ إِلَيْهِ جَلَّ سُلْطَانُهُ

سوره البقره (٢): الآيات ٢١١ الى ٢١٢

سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيْنَهُ وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢١١) زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ يَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ اللَّهُ يَزُوقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢١٢)

٢٠٩ سَلِّ يَا رَسُولَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى وَجْهِ التَّقْرِيرِ وَ التَّوْبِيخِ عَلَى تَمَرْدِهِمْ وَ كُفْرَانِ النِّعَمِ كَمَا آتَيْنَاهُمْ أَى أَظْهَرْنَا لَهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيْنَهُ وَاضِحَةٍ تَهْدِيهِمْ إِلَى الْحَقِّ وَ تَوْضِيحٍ لَهُمْ سَبِيلِ الرَّشَادِ فِي التَّوْحِيدِ وَ وَحَى التَّوْرَةِ مِنَ اللَّهِ وَ نَبُوهِ رَسُولِ اللَّهِ وَ وَحَى قُرْآنِهِ وَ حِطْوَاهُ مِنَ تِلْكَ الْآيَاتِ وَ بَيِّنَاتِ دَلَالَتِهَا وَ إِرْشَادِهَا بِالنِّعْمَةِ الْعَظْمَى وَ لَكِنْ بَدَلُوهَا وَ كَمِ قَابِلُوهَا بِالْإِرْتِدَادِ وَ الْجُحُودِ وَ الْعِبَادِ وَ كُفْرَانِ النِّعْمَةِ وَ مَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ كَمَجِيءِ تِلْكَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ فَبَشْرِهِ بِالْعِقَابِ الشَّدِيدِ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ٢١٠ زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا زِينَتِ الشَّيْطَانِ وَ أَهْوَاءِ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ كَمَا فِي قَوْلِهِ فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ وَ النَّحْلِ وَ النَّمْلِ وَ الْعَنْكَبُوتِ.

و قيل ان الله زينها لهم بأن خلق فيها الأشياء المرغوبه المعجبه. و ليس بشىء لأن خلق هذه الأشياء إنما هو للناس عامه لا لخصوص الذين كفروا. و فى الكشاف يجوز ان يكون الله زينها لهم بأن خذلهم حتى استحسَنوها أو لأنه أمهلهم قلت و على ذلك جاء قوله تعالى فى سورة الانعام كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ وَ فى سورة النمل زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَ لَكِنْ هَذَا مَجَازٌ لَا يَصَارُ إِلَيْهِ إِلَّا بِحَسَبِ اقْتِضَاءِ الدَّلِيلِ وَ يَسْحَرُونَ أَى الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا أَمَا لِأَجْلِ فَقْرِهِمْ أَوْ لِأَجْلِ إِيْمَانِهِمْ بِالْآخِرَةِ وَ رَجَائِهِمْ أَوْ لِأَجْلِ اقْتِدَامِهِمْ عَلَى تَحْمِيلِ الشَّدَائِدِ بِسَبَبِ الْإِيْمَانِ وَ الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ فِى الْكَافِرِينَ السَّخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَ رَفَعَهُ

الرضوان. و هل المراد بالذين اتقوا هم الذين آمنوا او الاشاره إلى أن ما كل الذين آمنوا ينالون الدرجات الرفيعه يوم القيامه كما ورد فى الحديث المستفيض المروى فى صحاح اهل السنه و غيرها عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) انه يؤخذ ببعض أصحابه يوم القيامه ذات اليمين و ذات الشمال فيقول أصحابى أصحابى فيقال له إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

الله هو العالم بالمراد و الله يَزُوقُ بالكرامه و رفعه الدرجات مَنْ يَشَاءُ من عباده بحسب الأهليه و استحقاق الكرامه بِغَيْرِ حِسَابٍ و لا حد محدود و الله ذو الفضل العظيم

سوره البقره (٢): آيه ٢١٣

كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٢١٣)

٢١١ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لا تفرق بينهم فيما يرجع إلى نحلته او شريعته.

و فى التبيان روى عن أبى جعفر «الباقر (عليه السلام)» انه قال كانوا قبل نوح امه واحده على فطره الله لا مهتدين و لا ضلالا فبعث الله النبيين انتهى

و المراد لا مهتدين كل الاهتداء فى المعارف لأن الفطره إنما تهدي إلى أصل الإلهيه و التوحيد و شىء من صفاته جل شأنه. و لا توصل إلى المعاد الجسمانى بالخصوصيات التى جاء بها القرآن الكريم و لا إلى الشريعته. و لا ضلالا بكل الضلال. إذن فهم ضلال فى مطلق القول لضلالهم عن كثير مما تراد منهم معرفته و الاهتداء اليه.

و فى روايه العياشى عن مسعده عن الصادق (عليه السلام) قلت أفضلالا كانوا قبل النبيين أم على هدى قال (عليه السلام) لم يكونوا على هدى بل على فطره الله التى فطرهم عليها.

و هذا كله ينطبق على ما

أسنده الكافى عن يعقوب بن شعيب عن الصادق (عليه السلام) فى الآيه قال كان قبل نوح أمه ضلال فبعث الله النبيين. و كذا فى روايه العياشى عن يعقوب عنه (عليه السلام)

و فى روايته عن محمد بن مسلم عن الباقر (عليه السلام) كان هذا قبل نوح كانوا ضلالا.

و روايته عن زراره و حمران و محمد بن مسلم عن الباقر (عليه السلام) و الصادق (عليه السلام) كانوا ضلالا.

و لم يرو عن أهل البيت انهم كانوا كفارا. نعم اضطربت الروايات كما فى الدر المنثور عن ابن عباس ففى بعضها قوله على الإسلام كلهم و قريب منه ما رواه عن أبى بن كعب و فى بعضها من طريق العوفى قال كانوا كفارا فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ

برضوان الله و جزائه و نعيم الآخرة لمن آمن بالله و اتقاه و عمل صالحا و مُنذِرِينَ لمن خالف كل ذلك او بعضه بغضب الله و نكاله و يوم القيامة و عذابه الأليم المهين وَ أَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ أَى نوع الكتاب الإلهى الذى

ص: ١٨٩

يجىء به الرسل من الأنبياء من عند الله فيحتمل ان يراد بالنبين خصوص الرسل الذين ينزل عليهم كتاب و يحتمل ان يراد بهم مطلق الأنبياء و عبر بانزال الكتاب معهم باعتبار انزاله على الرسل منهم فكان منزلا مع نوبه بعثتهم عليهم السلام أنزله الله بالحق أى لبيان الحق و يوضح للناس نهج الهدى فى دينهم و شرائعهم. و من غايات ذلك و فوائده ان يكون مرجعا و حكما فاصلا فى الاختلاف و باعتبار هذه الغايه الشريفه قال جلت آلاؤه لِيُحْكَمَ بَيَانَهُ بَيْنَ النَّاسِ أَيْ مطلق الناس لا خصوص أولئك المذكورون و لو كانوا هم المراد لقليل ليحكم بينهم فِيمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ و دعاهم إلى الاختلاف فيه جهلهم و اهوؤهم و مَا اِخْتَلَفَ فِيهِ أَيْ فى الكتاب إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ و اختلفوا فيه مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ من محكماته المعتضده بدلاله العقل و فى هذه الجملة دفع لما يتوهم من ان الكتاب كيف يحكم بين الناس مع ان كل فرقه من الأمم الواحده فى خصامها الدينى و المذهبى مع الفرقة الأخرى تحتج بالكتاب الجامع بين الأمم و تدعى دلالتة على ما تقول به فقال الله تعالى ما معناه ان الكتاب المنزل للأمم بحسب الحكمة بلسان البشر و لسان تلك الأمم و محاورتها و ان كان فيه صريح محكم و ظاهر بالوضع و مجاز ظاهر المعنى بالقرائن اللفظية او العقلية البديهية لكن صريحه و محكمه و بيناته لا تبقى مجالا للتوهم.

بل هى واقفه بالمرصاد لتلاعب الأهواء بظاهره و مجازاته فلم يختلفوا لخباء دلالتة و اشكالها بل وقع الاختلاف بغيًا حاصلًا بَيِّنُهُمْ و انحرافا من بعضهم عن الحق و زيغا إلى البغى ليموه الباغون أمرهم بالتشبه بالمتشابهات فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بحقيقه الإيمان و أوصلهم بتوفيقه لِمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ و تأييده باللفظ لأنهم اهل لذلك بإيمانهم و تدبرهم فى الكتاب وَ اللَّهُ يَهْدِي و يوصل إلى الحق مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ هُوَ اهل للطفه و توفيقه جلت نعمائه إلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ و يجوز ان تحمل الآيه على الاختلاف فى نفس الكتاب و كونه منزلا- من الله و يكون المراد من البيئات هى المعجزات و الدلائل على صدق الرسول و نزول الكتاب من الله

سوره البقره (٢): آيه ٢١٤

أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَ الضَّرَّاءُ وَ زُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (٢١٤)

٢١٢ أَمْ حَسِبْتُمْ أَيُّهَا الْمَسْلُومُونَ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ تَنَالُوا درجاتها الرفيعه جزاء و مكافاه

للأعمال الصالحة بدون إخلاص ثابت و صبر و ثبات على نصر الدين و شدائده و بدون تمحيص للصادق من الكاذب يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ الحجرات ١٧ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمِ الصَّابِرِينَ آل عمران ١٣٦ أى و لما يجاهد المجاهدون منكم و يصبر الصابرون فيكون الله قد علم بعلمه التابع فى الأزل انهم سيجاهدون و يصبرون باختيارهم رغبه فيما عند الله و نصرا لدين الحق و لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ أَنْصَارِ الْحَقِّ مِنَ الْأُمَمِ وَ الْمَثَلُ بِمَعْنَى مَثَلُ بِكُسر الميم اى تمتحنون و تبتلون و تصبرون كما امتحنوا و صبروا. و الذى أتاهم و صبروا عليه هو ان مَسْتَهُمُ الْبُاسَاءُ مِنَ الْبُؤْسِ ضِدَّ النِّعْمَاءِ وَ الضَّرَاءُ مِنَ الضَّرِّ ضِدَّ السَّرَاءِ أَصَابَهُمْ ذَلِكَ وَ مَسَهُمْ بِالْمَهْ لَآ مَجْرَدَ عَرُوضِ ذَلِكَ وَ زُلْزِلُوا بِهَيْجَانِ الْإِبْتِلَاءِ وَ الْمَحْنِ وَ اضْطْرَابِ الْأَحْوَالِ وَ لَكِنِ الصَّابِرِينَ مِنْهُمْ ثَبَتُوا عَلَى شِدَّتِهِمْ فِى أَمْرِ الدِّينِ وَ لَمْ يَهِنُوا بَلِ دَامَ بِهِمْ ذَلِكَ الْحَالُ وَ هُمْ عَلَى صَبْرِهِمْ وَ ثَبَاتِهِمْ حَتَّى يَفْرَعَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ إِلَى نَصْرِ اللَّهِ وَ يَسْتَنْزِلُونَ نَصْرَهُ وَ رَحْمَتَهُ وَ يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ دَعَاءَ وَ اسْتَنْصَارًا لِرَغْبَتِهِمْ فِى ظَهْوَرِ دِينِ الْحَقِّ. فَكُونُوا مِثْلَهُمْ وَ اصْبِرُوا وَ اثْبَتُوا أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ وَ لَكُمْ الْبَشْرَى بِالنَّصْرِ إِلَّا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبَ

سوره البقره (٢): آيه ٢١٥

يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢١٥)

٢١٣ يَسْئَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ فى جوابهم ما يعرفهم ما ينفقونه و هو ما كان خيرا نافعا يراد به الإحسان و وجه الله. و ما يبين مواضعه لثلا يكون إنفاقهم تضييعا للأموال و مستلزما للمفاسد ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّوَالِدَيْنِ النَّاحِيَتَيْنِ مِنَ الْوَالِدَيْنِ الْأَبِ وَ الْجَدِّ وَ الْأُمِّ وَ الْجَدِّهِ وَ الْأَقْرَبِينَ لِلْمَنْفِقِ وَ قَدِمُوا عَلَى مَطْلَقِ الْأَقْرَبِ مِمَّنْ فى اعطائهم صله الرحم بيانا لأهميتهم و تقديمهم عند مساواتهم للغير فى سائر المزيات و دوران الأمر وَ الْيَتَامَى الْيَتِيمُ هُوَ الصَّغِيرُ الَّذِى لَا أَبَ لَهُ وَ الْمَسَاكِينِ الْفُقَرَاءُ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ هُوَ الْمَحْتَجُّ فى سفره و ان كان له مال لا يصل اليه وَ مَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ وَ ان أسررتم به فإنه لا تخفى عليه خافيه و لا يضيع

سورة البقرة (٢): الآيات ٢١٦ الى ٢١٧

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢١٦) يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكَ حَتَّى يَزِدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا وَمَنْ يَزِدِدْ مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢١٧)

٢١٤ كُتِبَ و فرض عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ فرض كفايه لتنالوا فضيله الجهاد و نصر الدين و يحظى بعضكم بكرامه الشهاده و حياتها الحسنی و الحال هُوَ كُرْهُ لَكُمْ الكره بالضم مصدر بمعنى المكروه كراهه طباع و إن رغب فيه المخلصون في نصر الإسلام و عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ و أحسن أثرا و عاقبه في الدنيا أو في الآخرة أو في كليهما و عَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما هو خير لكم و ما هو شر و أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بذلك فيختار لكم بلطفه و توفيقه ما هو خير ٢١٥ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ذكر القمى في تفسيره في سبب نزولها ما حاصله ان سريه لرسول الله يرأسها عبد الله بن جحش وافوا بطن نخله عيرا لقريش فقتلوا عبد الله بن الحضرمي و غنموها و أسروا أسيرين و كان ذلك في أول يوم من رجب من الأشهر الحرم. و ذكر في الدر المنثور روايه عن جندب بن عبد الله و فيها ان اصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) شكوا أن ذلك اليوم من رجب او من جمادى و فيما ذكره عن ابن عباس انهم كانوا يظنون ان تلك الليله من جمادى و كانت أول رجب و لم يشعروا. و نحوه ما رواه عن أبي مالك الغفارى. و عن الزهرى و أبى مقسم. و اضطرب ما ذكر روايته عن عروه في ذلك و تدافع. و

في الكافي في الصحيح عن عمر بن يزيد عن الصادق (عليه السلام) في ان اليوم يتبع الليله الماضيه لا الآتيه قال (عليه السلام) لأن اهل بطن نخله حيث رأوا الهلال قالوا قد دخل الشهر الحرام انتهى

و الروايه تشير إلى القصه. و المعنى يسألك المشركون على سبيل الإنكار او المسلمون على سبيل الاستفهام عن الشهر الحرام قتال فيه. قتال بدل اشتغال من الشهر الحرام قُلْ ما معناه ان ترك القتال في الشهر الحرام إنما هو وسيله لنوع من احترام الناس و تسكين للشرك و اما إذا كان الناس هم الهاتكون للحرمات فأولئك لا حرمه لهم و لا كرامه فكيف يستنكر قتال المشركين في الشهر الحرام و هم الطواغيت المحادون لله و رسوله و المؤمنین دائما و في الشهر الحرام و لهم قتالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَ صَيَّدُ لِلنَّاسِ عَن سَبِيلِ اللَّهِ و لا يزالون على هذا

الصد منذ ظهرت دعوته الإسلام و التوحيد محاده لله وَ كُفِّرَ بِهِ وَ صد عن المَسْجِدِ الحَرَامِ فلا يخلون سبيل المسلمين اليه وَ إِخْرَاجِ أَهْلِهِ مِنْهُ وَ هم رسول الله و من آمن به من اهل مكة بذلك الإخراج المزعج عداوه لله و توحيدة و رسوله و دعوته إلى الصلاح أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ مما تحسبونه كبيرا من قتال المشركين فى الشهر الحرام. بل انهم لا يزالون يريدون أن يفتنوا المؤمنين عن التوحيد و دين الحق بالمخادعة أو ما تيسر لهم من انواع الإيذاء وَ الفِتْنَةُ عن الدين أَكْبَرُ مِنَ القَتْلِ مع ان غزوهم و قتالهم إنما كانا لأجل تهديدهم و إرهابهم و ردعهم عن أذى المؤمنين فإنهم لا يزالون مصرين على عداوه دين الحق وَ لا يزالون فى ضلالهم و غيهم يُقَاتِلُونَكُمْ هذا التفات إلى خطاب المسلمين و فيه مناسبه لأن يكونوا هم السائلين عن قتال المشركين فى لشهر الحرام حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ و هذا غرضهم من قتالهم لكم إِنْ اسْتِطَاعُوا ان يدوموا على قتالكم و فيه بشرى بأنهم لا يستطيعون و لا يدومون وَ مَنْ يَزِدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَ هُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ جَمَعَ باعتبار معنى «من» حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ و سقطت كأنها لم تكن فلا- اثر لها و لا كرامه و لا استحقاق مع الكفر و الارتداد فى الدُّنْيَا باعتبار افتخارهم بأعمالهم فى الإسلام او ترتيب آثار لها وَ الْمَآخِرَةَ فَإِنِ المَرْتَدِ الذى يموت على الكفر قد أسقط نفسه بكفره عن أهليته للجزاء و ان عمل العمل فى حينه على وجهه وَ أَوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ فى التبيان و المبسوط روى أصحابنا انه «اي قتال المشركين فى الأشهر الحرم» باق على التحريم فيمن يرى لهذه الأشهر حرمه و افتى بذلك فى النهايه و لم يحضرنى كتاب الجهاد من خلافه و الروايه هى مضمرة تهذيبيه و تفسير العياشى عن العلاء بن فضيل و فى طريقها محمد بن سنان. و فى المنتهى انه قول أصحابنا و فى الجواهر لا خلاف فيه عندنا و جعل المضمرة مجبوره بذلك. و لا يعارضه قتال الرسول (عليه السلام) عام الفتح لهوازن فى شوال و الطائف فى ذى القعدة لأن الذين قاتلهم ممن هتكوا حرمه الشهر و بدأوا بالقتال بل يدل عليه قوله تعالى فى سورة براءه فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ

و التعليق على ذلك ليس من حيث مهله العهد فانها خاصه و هذه الآيه عامه و تلك اربعة أشهر و هذه نحو خمسين يوما

سوره البقره (٢): الآيات ٢١٨ الى ٢١٩

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَ جَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢١٨) يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢١٩)

٢١٦ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا حق الايمان و يحتمل ان يراد بهم المؤمنون الذين لم يستطيعوا الهجره حينئذ و بالمعطوف المهاجرون المجاهدون و يحتمل ان يراد المهاجرون و كرر لفظ الذين للعنايه بهجرتهم و جهادهم وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا من بلادهم لأجل الإسلام و نصرته. و الهجره مأخوذ من الهجر و اختصت شرعا بمن هجر بلاد الشرك في سبيل الإسلام و اتباع الرسول (صلى الله عليه و آله) قبل الفتح وَ جَاهِدُوا بذلك جهدهم و طاقتهم و اختص ذلك بالحرب الشرعيه في سبيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ جمله أولئك خبر للذين و كفى برجائهم لرحمه الله معرفه بالله و ازديادا للخير من فضله و رحمته وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ فكأنه قيل ان الله يرحمهم لأنه رحيم فكيف بمن يرجو رحمته بنيته و عمله بل و يغفر لهم ما سلف و يقبل توبتهم ٢١٧ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ فِي التَّيْبَانِ قال جمهور أهل المدينة كل ما أسكر كثيره فهو خمر انتهى و اشتقاقها اما من الاختمار و هو لازم لنوع المسكرات المائعه و اما من مخامرتها للعقل. و استفاض من رواياتنا عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) و الأئمه من اهل البيت

انها اسم لكل مسكر كما في صحيح ابن الحجاج عن الصادق (عليه السلام) و روايه القمى في تفسيره عن الباقر (عليه السلام) و المرسل من طريق و المسند المعتبر عن عامر بن السمط عن زين العابدين (عليه السلام) و روايه الهاشمى عن الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) و روايه الامالى للطوسى بسنده عن النعمان بن بشير عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) (آله)

كما أحصاه فى الوسائل فى الباب الأول من الأشربه و فى الباب الخامس عشر ايضا

عن الباقر (عليه السلام) قال قال رسول الله كل مسكر حرام و كل مسكر خمر

و استفاضت الروايه

عن الصادق و الكاظم و الرضا عليهم السلام فى ان الفقاع خمر

وَ الْمَيْسِرِ هو القمار و اخطأ فى المصباح فى قوله الميسر قمار العرب بالأزلام و لم يلتفت إلى قوله تعالى فى سوره المائده ٩٠ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ. و لو كانت الأزلام و المقامره بها عين الميسر لما صح عطفها على الميسر مع الفاصل لكنها عطف عليه من باب عطف الخاص على العام لما فيه من الأهميه.

و فى الكافى مسندا عن الكاظم الميسر هو القمار.

و بإسناده عن الباقر عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قيل يا رسول الله ما الميسر

ص: ١٩٤

قال كل ما تقامر به حتى الكعاب و الجوز قيل فما الأزلام قال (صلى الله عليه و آله) قداحهم التي يستقسمون بها

و فى روايه العياشى عن الكاظم (عليه السلام) عن الصادق (عليه السلام) النرد و الشطرنج من الميسر

و فى الكشاف عن النبى (صلى الله عليه و آله) إياكم و هاتين اللعبتين المشومتين فإنهما من ميسر العجم

و عن على (عليه السلام) ان النرد و الشطرنج من الميسر

و فى الدر المنثور بسنديه عن ابن عباس و ابن عمر الميسر القمار و قد خبط الكشاف هاهنا بقوله أولا الميسر القمار و قوله بعد هذا فإن قلت ما صفه الميسر قلت كانت لهم عشره أقداح و هى الأزلام إلى آخره و قوله بعد هذا و فى حكم الميسر انواع القمار من النرد و الشطرنج انتهى هذا و ان أسلوب الجواب فى هذه الآيه و النظر إلى قوله تعالى فى سورة المائدة إِنَّمَا الْخَمْرُ وَ الْمَيْسِرُ وَ الْأَنْصَابُ وَ الْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ وَ الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا ليشعر بأنهم سألوه (صلى الله عليه و آله) و هم يذكرون منافعهما للناس فى شرب الخمر و ربح القمار و نحو ذلك مما يسوله الهوى فجاء الجواب على سبيل التساهل و التأكيد فى الحجة على تحريمهما قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ بِالتَّنْكِيرِ اِشَارَةً إِلَى مَجْهُولِيَّتِهَا وَ هَوَانِهَا لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُمَا فِي الدُّنْيَا فِي الصَّحَّةِ وَ الشَّرْفِ وَ الْمَعِيشَةِ وَ السَّلَامِ مَعَ النَّاسِ وَ فِي الْآخِرَةِ أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَ حَقِيقٌ فِي لَطْفِ اللَّهِ وَ رَحْمَتِهِ وَ نَظَرِهِ إِلَى مَصَالِحِ عِبَادِهِ وَ تَكْمِيلِهِمْ وَ تَهْدِيهِمْ فِي شَرِيعَةِ الْحَقِّ اِنْ يَحْرِمُهُمَا لِأَجْلِ إِثْمِهِمَا الْكَبِيرِ وَ يَسْتُلُوْنَكَ مَا ذَا يُنْفِقُوْنَ عِنْدَ فَقْرِهِمْ وَ غَنَاهُمْ قُلِ الْعَفْوَ كُلِّ بِحَسَبِ حَالِهِ

ففى الكافى مسندا عن الصادق (عليه السلام) العفو الوسط

اى المقدار المتوسط بين ما يكون إسرافا و ما يكون من البخل بحسب حال الشخص. و نحوه روايه العياشى عن جميل عنه (عليه السلام) و فى روايته

عن عبد الرحمن عنه (عليه السلام) قال

الذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا و كان بين ذلك قواما.

و عن يوسف عن الصادق و الباقر عليهما السلام قال الكفاف

و فى روايه أبى بصير القصد

و لا يخفى انه لم يقيد الإنفاق بكونه فى سبيل الله بل هو مطلق الإنفاق و قال اسماء بن خارجة الفزارى لزوجته

خذى العفو منى تستديمى مودتى و لا تنطقى فى سورتى حين اغضب

كَذَلِكَ خُطَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ جَمْعَ الضَّمِيرِ بِاعْتِبَارِ اِنْ الْبَيَانِ يَشْمَلُ الْاِمَّةَ الْاَيَاتِ فِي اَمْرِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ وَ النِّفَقَةِ وَ غَيْرِهَا لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ لِغَايَةِ اِنْ تَتَفَكَّرُوا بِاخْتِيَارِكُمْ فَتَأْخُذُوا

سورة البقره (٢): الآيات ٢٢٠ الى ٢٢١

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٢٠) وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبِيدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِآذَنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٢١)

٢١٨ فى امور الدنيا و الآخرة لتتبعوا رشدكم و تعملوا بما فيه صلاح الدارين و يسئلونك عن امر اليتامى فى مخالطتهم فى أموالهم

ففى تفسير القمى فى الصحيح عن الصادق (عليه السلام) انه لما نزل قوله تعالى فى سورة النساء إِنْ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصِفُونَ سَعِيرًا أخرج كل من كان عنده يتيماً و سألوا رسول الله عن إخراجهم فأنزل الله و يسألونك عن اليتامى. و فى معناها روايه الدر المنثور المصححه عن ابن عباس

قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ بتولى أمرهم و حفظ أموالهم و الإنفاق عليهم منها و حسن تربيتهم و تأديبهم و تعليمهم خَيْرٌ من إخراجهم و ضياع أموالهم و أدبهم و إِنْ تُخَالِطُوهُمْ فى المأكَل و المال فإِخْوَانُكُمْ فى الدين أو فى القبيله او فى النسب القريب و لا بأس بمخالطتهم إذا صافيتموهم مصافاه الاخوان و اصلحتهم و الله يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ الذى يأكل اموال اليتامى ظلماً او يضيعها مِنَ الْمُصْلِحِ الذى يخالطهم بالإحسان و الإصلاح فاطلبوا الجزاء و احذروا العقاب ممن لا تخفى عليه خافيه. و قد روى فى الكافى و التهذيب و غيرهما شىء من وجوه مخالطتهم فليراجع و لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ أى حملكم على ما فيه مشقه عليكم و كلفكم به من إصلاح امر اليتامى و عدم مخالطتهم إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ فى ارادته حَكِيمٌ فى شريعته يجريها على حكمه العدل و التيسير ٢١٩ و لا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ فى الدر المنثور مما أخرجه البخارى و غيره عن ابن عمر انه كان إذا سئل عن نكاح النصرانيه و اليهوديه استشهد لتحريمه بهذه الآيه. و فى التبيان و هذه الآيه على عمومها فى تحريم مناكحه جميع الكفار و ليست منسوخه و لا مخصوصه.

و تبعه فى مجمع البيان على هذه العبارة إلى آخرها و زاد بقوله و هى عامه عندنا و أكد ذلك فى آخر كلامه بقوله و هو مذهبنا. و فى هذا شك فإن الإجماع الذى ادعاه فى الانتصار على حظر نكاح الكتابيات يمكن تأويله ككثير من إجماعاته لأن القمى قال فى تفسيره إن الآيه منسوخه بقوله تعالى وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ. و نص على الحل و النسخ فى تفسير هذه الآيه و هى السابعة من سورة المائده و فى المبسوط نسب التحريم إلى المحصلين من أصحابنا

او إلى بعضهم و قال و قد أجاز أصحابنا كلهم التمتع بالكتايات و وطأهن بملك اليمين. و تبعه على ذلك فى المجمع فى تفسير قوله تعالى وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ. و قد حكى جواز الدوام ايضا عن الحسن و الصدوقين من القدماء. و وجه للكلام هنا ان هذه الآيه و كذا قوله تعالى فى سورة الممتحنه ١٠ وَ لَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ. هل هما منسوختان بقوله تعالى فى سورة المائده ٧ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ - وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ. أم هذه هى المنسوخه. و قد اختلفت الروايات فى هذا الشأن و تحرير الكلام فى ذلك موكول إلى مباحث الفقه. و يمكن أن يقال ان آيه المائده مختصه بتحليل الكتايات بنكاح المتعه و ذلك لاشتراطه بقوله تعالى إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَإِنْ هَذَا الشَّرْطُ مَخْتَصٌ بِنِكَاحِ الْمُتَعَةِ. لا يقال ان هذا منقوض بورود هذا الشرط فى الآيه العاشره من سورة الممتحنه فى نكاح المؤمنات المهاجرات. لأننا نقول ان ذلك فى آيه الممتحنه يمكن كما هو الراجح ان يكون بيانا لأن لا يسقط المسلمون مهورهن بالمره اكتفاء بما أمروا به من إعطاء أزواجهن الأول من المشركين ما أنفقوا عليهن من المهر و حاصل ذلك ان تزوجهم للمهاجرات يكون على عاده الزواج النوعيه بدون مقاصه لهن بما اعطى لأزواجهن الأول من أجلهن و لا إسقاط لمهورهن وَ لَأَمَّهُ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ لَكُمْ فِي الزَّوْجِ مِنْ حُرِّ مُشْرِكَةٍ مَهْمَا كَانَتْ وَ لَوْ أَعْجَبْتُمْكُمْ وَ رَغِبْتُمْ فِيهَا وَ لَا تَنْكِحُوا نِسَاءَ كُمُ الْمُشْرِكِينَ قِيلَ ذَلِكَ نَظْرًا إِلَى الْعَادَةِ مِنْ أَنْ الْمَرْأَةَ يَزُوجُهَا الْوَالِي فَيُحْرِمُ أَيْضًا عَلَى الْمُؤْمِنَةِ أَنْ تَزُوجَ نَفْسَهَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَ لَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ حُرِّ مُشْرِكٍ وَ لَوْ أَعْجَبْتُمْكُمْ أُولَئِكَ يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ نِسَاءً وَ رَجَالًا يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ انْ وَسُوسَةُ الْخَلِيطِ مِنْ نَحْوِ الزَّوْجِ أَوْ الزَّوْجَةِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ لَهَا أَثَرٌ سَيِّئٌ مَخُوفٌ يَجِبُ التَّحْذِرُ مِنْهُ وَ اللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّبَعُوا عَنْ وَسُوسَةِ الْخَلِيطِ الْمُشْرِكِ وَ يَدْعُوَكُمْ إِلَى نَيْلِ الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ فِى ذَلِكَ بِسَبَبِ هِدَايَتِهِ وَ إِرْشَادِهِ لَكُمْ وَ تَوْفِيقِكُمْ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَ يُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ بِمَا فِيهِ هِدَايَتُهُمْ وَ إِرْشَادُهُ إِلَى الْحِكْمَةِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ أَى لَغَايَهُ أَنْ يَتَذَكَّرُوا

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (٢٢٢)

٢٢٠ وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ الْمَحِيضُ مصدر لحاضت المرأة إذا أخذها الدم المعروف المعتاد للنساء و يجىء المحيض اسما لزمان الحيض و مكانه قُلْ هُوَ أَذَىٰ اى قدر كما تقدم فى قوله تعالى أَوْ بِهِ أَذَىٰ مِنْ رَأْسِهِ ان الأذى القمل. و لا بد فى قوله قُلْ هُوَ أَذَىٰ من نحو من الاستخدام فإن الحيض بمعناه المصدرى ليس قدرا يجتنبه الرجال و إنما القدر و الأذى هو الدم. و يحسن هذا الاستخدام بشده الملابس و الاستغناء به عن التصريح باسم دم الحيض المستقدر فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ اى لا تأتوهن فى محل الحيض و القذاره و هو الفرج و يمكن حمل المحيض على اسم الزمان فيجب حمل الاعتزال على اعتزال مخصوص يسبق اليه الذهن من المقام و هو الجماع فى الفرج و يوضحه التنفير بكون دم الحيض أذى و قذاره. فرع عليه الأمر بالاعتزال. و اما مطلق اعتزال النساء فى زمان الحيض فهو مخالف لإجماع المسلمين و دعوى الأخذ بالإطلاق بعد التخصيص بما دل عليه الإجماع يلزمها تخصيص الأكثر و هو مستهجن. و اما اعتزال ما تحت المتزر كما يقول ابو حنيفه و ابو يوسف فلا يساعده وجه من وجوه الآيه الكريمة و حديثهم عن عائشه متعارض و لَا تَقْرَبُوهُنَّ بِالْجَمَاعِ و هو تأكيد للأمر بالاعتزال حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ بتخفيف الطاء كما هو الموسوم فى المصاحف المتداوله بين المسلمين يدا عن يد و عليه قراءتهم و لا عبره بما خرج عن ذلك من بعض القراءات كما ذكرنا فى الفصل الثانى من المقدمه. و المعنى حتى ينظفن من ذلك الأذى و القذاره بانقطاع الحيض و نقاء المحل الذى هو الغايه لوجوب الاعتزال و عدم القرب. و هذا هو المناسب لتفريع الأمر بالاعتزال على كون دم الحيض أذى و قذاره و تعليله به و على ذلك اجماع الإماميه و أحاديثهم.

و وافقهم ابو حنيفه و أصحابه إذا انقطع الدم على العشره دون ما قبلها و فى هذا التفصيل اضطراب ظاهر فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ لَا يلزم أن يكون هذا التفريع تكرارا فى بيان الغايه المذكوره فى حتى يطهرن بل اللازم فى قانون المحاوره بحسب النظر إلى يطهرن بالتخفيف و تطهرن بالتشديد ان يكون تفريعا لأمر آخر وراء تلك الغايه و هو ان الإباحه بالمعنى الأعم المضاد للحرمة تحصل عند غايه التحريم و وجوب الاعتزال و هو النقاء من الحيض. و ان الوطاء الذى يؤمر به و يطلب

لبقاء النوع و حسن الإلفه بين الزوجين أو يكون مباحا بالمعنى الأخص فهو إذا تطهرن من الأقدار بأن غسلن فروجهن من آثار الدم و لو بغسل الحيض و علق هذا على تطهرهن جريا على الغالب و الا- فالغرض يحصل و ان سقطن فى الماء مثلا بدون اختيارهن مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ فِي الْآيَةِ بِالْإِعْتِزَالِ عَنْهُ و عليه روايه الدر المنثور عن ابن عباس و هو المناسب لتعريف ما يؤتى منه. و لا يضر فى ذلك التعبير بلفظ من كما حكاه فى التبيان عن الفراء.

و حكى فى التبيان التفسير بقولهم من حيث ما أمر الله به من النكاح دون الفجور كما عن أبى حنيفه.

او من حيث أباحه الله دون إتيان الزوجه الصائمه او المحرمه مثلا كما عن الزجاج. و القولان بعيدان من وجوه. و لقد اغرب من قال ان الأمر فى أمركم الله هو الأمر التكوينى. هذا و ان إباحه الإتيان من الفرج بعد الأمر باعتزاله لا تدل على انحصار الإباحه بالوطء فيه بوجه من الوجوه إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ فى الفقيه و العلل و الخصال و الكافى و تفسير العياشى فى رواياتهم ذكر المتطهرين من الغائط بالماء و ان الآيه نزلت فى ذلك و لعله باعتبار بعض المصاديق

سوره البقره (٢): آيه ٢٢٣

نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ وَ قَدِّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (٢٢٣)

٢٢١ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ الحَرْثُ فى الأصل الكراب مصدر حرث الأرض اى كربها ثم استعمل فى الأرض التى تحرث كما فى هذه الآيه ثم استعمل فى نبات الأرض المسبب عن الحرث كما فى قوله تعالى يُهْلِكُ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ. و فى الآيه شبه تمتع الرجل بزوجه بحرث الأرض و الزوجه بالأرض التى تحرث فسميت حرثا اى محل تمتع لكم كما ان الأرض محل حفر و حرث و ليس المراد ان إتيان المرأة لا يحل الا حيث يكون إتيانها زرا للنسل حتى لو قلنا ان معنى انى شئتم هو اى وقت شئتم. او فى القبل سواء كان من أمام او من خلف فإن الآيه على هذين التقديرين ساكتة عن تحريم ما عداها حتى لو قلنا ان الأمر فى قوله تعالى فَأْتُوا حَرْثَكُمْ للوجوب (١) كيف و لا خلاف بين المسلمين فى جواز إتيان اليائسه و معلومه العقم و إتيان المرأة مطلقا فى أعكانها

ص: ١٩٩

١- فى الدر المنثور اخرج الحاكم عن ابن عبد الحكم ان الشافعى ناظر محمد بن الحسن فى ذلك اى فى حرمة إتيان الزوجه فى دبرها فاحتج عليه ابن الحسن بان الحرث إنما يكون فى الفرج فقال له فيكون ما سوى الفرج محرما فالتزمه فقال أ رأيت لو وطأها بين ساقها او فى أعكانها أ فى ذلك حرث قال لا قال أ فيحرم قال لا قال فكيف تحتج بما لا تقول به

و بين فخذيهما و ساقيهما حتى ما بين أليتيهما مثلاً فَأَتُوا الأَمْرَ لِلأَبَاحِ حَزَنُكُمْ أَنِّي شِئْتُمْ اين شئتم و قد أنكر بعضهم مجىء انى فى اللغه بمعنى كيف او بمعنى اى وقت و الأول متيقن فى اللغه و الأخرى ان شكك فيهما. و الظاهر ان انى الاستفهاميه مساويه فى المعنى للشرطيه و كلما جاء فى القرآن من الاستفهاميه صالح لأن يراد منه المكان و الوجه مع ان منها ما لا يصلح ان يكون بمعنى كيف كما فى قوله تعالى فى سورة آل عمران ١٥٩ قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ و ٣٢ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ و أما بمعنى أى وقت فليس فى القرآن ما يصلح له. و فى الدر المنثور فى ذكر القول الثانى من المسأله ذكر من اخرج عن أبى سعيد الخدرى ان رجلاً أصاب امرأه فى دبرها فأنكر الناس عليه ذلك فأنزلت نساءؤكم حَزَتْ لَكُمْ فَأَتُوا حَزَنُكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ و ذكر من اخرج اثنتى عشره روايه عن عبد الله بن عمر ان الآيه نزلت رخصه فى وطء النساء فى أدبارهن. و روى عن ابن عبد البر ان الروايه عن ابن عمر بهذا المعنى صحيحه معروفه مشهوره. و أورد عن مالك ما يكذب روايه الخلاف عن ابن عمر و صححه الدارقطنى عن مالك. و فى تهذيب الشيخ فى الصحيح عن الصادق (عليه السلام) انه استشهد للحل بهذه الآيه و لم يذكر انها نزلت فى ذلك. و كذا روايه العياشى عن زراره عن الباقر (عليه السلام) و الظاهر ان استشهادهما عليهما السلام انما هو بعمومها لا بنزولها فى هذا الشأن. و ملخص الكلام فى المسأله ان قول نافع بالجواز معروف و حكاة الطحاوى و حجاج بن ارطاه و عن مالك روايتان. و فى الخلاف عن المزنى قال بعض أصحابنا حرام و قال بعضهم حلال ثم قال و آخر ما قال الشافعى لا أرخص فيه. و ذكرت فى الدر المنثور و غيره روايه الجواز عن أبى مليكه.

و عن عبد الله بن القاسم قال ما أدركت أحدا اقتدى به فى دينى يشك انه حلال يعنى وطء المرأة من دبرها ثم قرأ نساءؤكم حَزَتْ لَكُمْ ثم قال و أى شىء أبين من هذا. و فيه اخرج الطحاوى و الحاكم فى مناقب الشافعى و الخطيب عن محمد بن عبد الله بن الحكم ان الشافعى سئل عنه فقال ما صح عن النبى (صلى الله عليه و آله) فى تحليله و لا- تحريمه شىء و القياس انه حلال. و فيه أيضا بعد ان ذكر روايات القول فى التحريم قال الحفاظ فى جميع الأحاديث المرفوعه «يعنى المسنده عن النبى (صلى الله عليه و آله)» و عدتها نحو عشرين حديثا كلها ضعيفه لا يصح منها شىء و الموقوفه يعنى ما وقف سنده

على الصحابي او التابعي هو الصحيح و قال الحافظ بن حجر فى المرفوع منكر لا يصح من وجه كما صرح بذلك البخارى و البزار و النسائى انتهى. أقول و ذهب أصحابنا الى جوازه على كراهيه شديده و هى المحصل من أحاديثنا و وجه الجمع بينها و بذلك يستنكر ان يكون نزول الآيه فى إباحته نعم لا بأس فى نزولها للعموم وَ قَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ اى هذه احكام ما يعود الى دنياكم و قدموا لآخرتكم من الخيرات و الأعمال الصالحه ما ينفعكم فيها وَ اتَّقُوا اللَّهَ فان خير الزاد التقوى وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ اى و ليكن عملكم عمل العالم المتيقن بأنه يموت و يحشر و يلاقى ربه يوم الحساب و الجزاء لا- عمل الغافل مع إقراره بالمعاد فى إسلامه وَ بَشِّرْ يا رسول الله الْمُؤْمِنِينَ حق الايمان و الثابتين عليه بحيث استحقوا الوصف بذلك

سوره البقره (٢): آيه ٢٢٤

وَ لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٤)

٢٢٢ و لا- تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ العرضه ما تكثر ملاقاته و مصادفته كما يقال الإنسان عرضة للبلاء فلا تكثرُوا أيمانكم بالله بحسب كل ما يسنح لكم و تميلون له فى الرضا و الغضب فتقولون فى ذلك و الله لا اعطى فلانا. و الله لا أنفق على الفقراء و الله لا أكلم اخى. و الله لا ازور امى و الله لا أصلح بين الناس.

و فى روايه العياشى عن منصور بن حازم عن الصادق (عليه السلام) و عن محمد بن مسلم عن الباقر (عليه السلام) فى الآيه يعنى الرجل يحلف ان لا يكلم أخاه و ما أشبه ذلك او لا يكلم امه

أَنْ تَبَرُّوا وَ تَتَّقُوا وَ تَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ اى لأن تبروا و تتقوا و تصلحوا تعليلا- و بيانا لبعض ما يكون وجهها و غايه للنهى فى لا تجعلوا و ان كان هناك وجه آخر لتعظيم الله و إجلاله

ففى الكافى فى صحيح الخزاز عن الصادق (عليه السلام) لا تحلفوا بالله صادقين و لا كاذبين فان الله عز و جل يقول

وَ لَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ.

و ربما كان هذا الوجه يدخل فى البر و التقوى. فىكون النهى عن الحلف المعارض للبر و التقوى و الإصلاح كناية عن عدم انعقاده فى هذه الموارد

ففى الكافى عن اسحق بن عمار عن الصادق (عليه السلام) فى الآيه قال إذا دعيت لتصلح بين اثنين فلا تقل على يمين ان لا افعل. و يشبه ذلك ما أورد روايته فى الدر المنثور عن ابن عباس.

و قيل المعنى لا تجعلوا الله بواسطه الحلف به مانعا و حاجزا عما حلفتكم على تركه بتسميه المحلوف على تركه يمينا. و هذا مرجع ما ذكره فى التبيان أولا و صريح ما اقتصر عليه فى الكشاف و الأول أظهر و انسب بالمروى و اجمع وَ اللَّهُ سَمِيعٌ لِأَيْمَانِكُمْ عَلِيمٌ

سوره البقره (٢): الآيات ٢٢٥ الى ٢٢٧

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٢٥) لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٢٦) وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٢٧)

٢٢٣ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ اى بسبب اللغو فى ايمانكم إذا خالفتم اليمين او لم يطابق الواقع. و اللغو ما لم يقصد به عقد اليمين بل يجرى على اللسان توكلوا فى الكلام كما ترى الرجل تقول له ماذا فعلت اليوم فيقول و الله جلست من النوم و الله خرجت الى المحل الفلانى بلا قصد لليمين و فى مجمع البيان و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله. و قد تنجز العاده فى الكلام الى لا و الله بلى و الله.

ففى الكافى عن مسعده عن الصادق (عليه السلام) فى الآيه اللغو قول الرجل لا و الله بلى و الله و لا يعقد على شىء

وَ لَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ مِنَ الْآثَامِ فِيمَا عَقَدْتُمْ عَلَيْهِ الْإِيمَانَ وَ كَذَبْتُمْ أَوْ حَنَثْتُمْ فِيهِ وَ اللَّهُ غَفُورٌ إِنْ تَبْتِمُ حَلِيمٌ لَا يِعَاجِلُكُمْ بِالْعُقُوبَةِ لَعَلَّكُمْ تَتُوبُونَ ٢٢٤ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ الْإِيْلَاءَ الْحَلْفَ مِنَ الْإِيْلَاءِ الْحَلْفِ وَ يَعْرِفُ مِنْ تَتْمَةِ الْآيَةِ وَ بَاقِي الْقِرَائِنِ أَنَّهُ الْحَلْفُ عَلَى تَرْكِ وَ طءِ الزَّوْجِهِ مَطْلَقًا أَوْ مَدَّةِ مَعِينِهِ وَ الْمَوْضُوعِ لِأَحْكَامِ الْآيَةِ هُوَ مَا يَزِيدُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ. وَ الْجَارُ وَ الْمَجْرُورُ خَبْرٌ مُقَدِّمٌ مُتَعَلِّقٌ فِي التَّقْدِيرِ بِحَاصِلِ وَ كَائِنِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ مِنْ نِسَائِهِمْ اى مِنْ جَانِبِ نِسَائِهِمْ وَ حَقُوقَهُنَّ فِي الْمَعَاشِرَةِ بِالْمَعْرُوفِ. وَ الْجَارُ وَ الْمَجْرُورُ مُتَعَلِّقَانِ بِحَاصِلِ وَ نَحْوِهِ تَرَبُّصٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ تَرَبُّصٌ مُبْتَدَأٌ مُؤَخَّرٌ فَلَا حَقَّ لِلزَّوْجَاتِ فِيهَا فِي الْمَطَالِبَةِ بِالْجَمَاعِ وَ لَهِنَّ الْمَطَالِبَةَ بَعْدَهَا فَإِنْ سَكْتَنَ أَوْ رَضِيَ فَلَا حَرَجَ عَلَى الزَّوْجِ لِأَنَّ الْأَمْرَ فِي جَمَاعَتِهِنَّ مِنَ الْحَقُوقِ لَا التَّكْلِيفِ فَإِنْ انْقَضَتِ الْأَرْبَعَةُ أَشْهُرُ وَ طَالِبِنَ أَوْ طَالِبِنَ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنْ فَاءُ اى رَجَعُوا عَنْ يَمِينِهِمْ اى جَمَاعَتِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ لَهُنَّ الْحَنْثَ وَ مَخَالَفَةَ الْيَمِينِ رَحْمَةً بِالزَّوْجِينَ فِي حَسَنِ اجْتِمَاعِهِمْ وَ نِظَامِ أَمْرِ الْأَوْلَادِ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٢٢٥ وَ إِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ أَوْ أَوْعَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لَمَّا يَقُولُونَ عَلِيمٌ بِنِيَاتِهِمْ. وَ الْآيَاتَانِ تَدْلَانِ عَلَى أَنَّ الْمُؤَلَى إِذَا طَالِبَتِ الْمَرْأَةَ بِحَقِّهَا بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ يَنْحَصِرُ أَمْرُهُ وَ يَدُورُ بَيْنَ أَنْ يَفَىءَ أَوْ يَطْلُقَ فَإِنْ فَاءَ وَ وَطَأَ لَزِمَتْهُ كَفَارَةُ حَنْثِ الْيَمِينِ الْمَذْكُورَةِ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ فِي الْآيَةِ الْحَادِيَةِ وَ التَّسْعِينَ. وَ لَيْسَتْ الْيَمِينُ بِالنِّسْبَةِ اى مَا بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ يَمِينًا عَلَى ظَلَمٍ لَكِي تَنْحَلُ حَيْثُ وَ تَسْقُطُ كَفَارَتُهَا وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ يُمْكِنُ لِلْمُؤَلَى أَنْ يَخْرِجَهَا عَنِ الظُّلْمِ بِأَنْ يَطْلُقَ. وَ عَلَى هَذَا كُلِّهِ جَاءَتْ

وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ
بُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
(٢٢٨)

٢٢٦ وَالْمُطَلَّاتُ بِالطَّلَاقِ الْمَشْرُوعِ يَتَرَبَّصْنَ جَمَلَهُ خَبْرِيهِ يَرَادُ بِهَا الْأَمْرُ وَ ذَلِكَ ابْلَغُ مِنَ الْإِنْشَاءِ فِي الطَّلَبِ وَالْإِجَابِ لَصَوْغُهُ
بِقَالِ إِنْ الْمَطْلُوبُ مِنْهُ يَقَعُ مِنْهُ ذَلِكَ وَ لَا يَكْذِبُكَ بِأَنْفُسِهِنَّ وَ يَمَسْكُنَهَا عَمَّا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ وَ طَبَاعِيَهُنَّ مِنَ الطَّمُوحِ إِلَى الزَّوْجِ وَ
مَقْدَمَاتِهِ وَ لَا يَخْرُجْنَ مِنْ رِعَايَةِ الزَّوْجِ وَ حَيْطَتَهُ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ الْقُرْءِ يَأْتِي لِلطَّهْرِ وَ الْحَيْضِ وَ هُوَ هُنَا الطَّهْرُ وَ عَلَيْهِ اجْتِمَاعُ الْإِمَامِيَّةِ وَ
حَدِيثُهُمْ وَ قَوْلُ الْمَالِكِيَّةِ وَ الشَّافِعِيَّةِ وَ الْمَرْوِيِّ عَنْ عَائِشَةَ وَ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ وَ ابْنِ عَمْرِو كَمَا فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوِرِ. وَ فِيهِ قَالَ ابْنُ شَهَابٍ
سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ بِنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ مَا أَدْرَكَتُ أَحَدًا مِنْ فَهَائِنَا إِلَّا وَ هُوَ يَقُولُ هَذَا أَنْتَهَى (١) وَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى فِي أَوَّلِ سُورَةِ
الطَّلَاقِ الْمَوْسُومَةِ بِأَنَّهَا مَكِّيَّةٌ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ أَيْ فِي عَدَّتِهِنَّ الَّتِي تَرَادُ لِاسْتِبْرَاءِ الرَّحْمِ وَ عِنْدَهَا كَمَا
يُقَالُ وَ لِدَ لَسْتِ خَلُونَ مِنَ الشَّهْرِ أَوْ لَسَبَعِ بَقِيْنَ مِنْهُ وَ قَدْ انْعَقَدَ الْإِجْتِمَاعُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى إِنْ طَّلَاقِ السَّنَةِ هُوَ مَا كَانَ فِي الطَّهْرِ وَ بِهِ
جَاءَ

قول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) لابن عمر حين طلق امرأته و هي حائض ما هكذا أمرك الله انما السنه ان تستقبل
الطهر استقبالا

و قوله (صلى الله عليه وآله) فإن بدا له ان يطلقها طاهرا قبل ان يمسه فذاك الطلاق للعهده كما انزل الله عز و جل.

او فتلك العده التي امر الله ان تطلق لها النساء كما في جوامع الجمهور و جوامعنا في الحديث و اطلاق حكم المطلقات هنا مقيد
بحكم الآيه الثامنه و الأربعين من سورة الأحزاب و الرابعه من سورة الطلاق مع تأكيدها برواياتنا في اليائس بغير ريبه و لا يحل
لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يَعْنِي إِنْ مِنْ كَانَتْ تَوْمَنَنَّ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ

ص: ٢٠٣

١- قال الأعشى في خطابه لكثير الغزو «لما ضاع فيها من قروء نساءكا» يريد ان أطهار نساءه ضاعت لما فات فيها من الجماع و
الجبيل. و من الغريب تأويل الكشاف للقروء في شعر الأعشى بالعهده: و في المصباح عن ابن فارس و يقال انه اى «القرء» للطهر
«اى بحسب الوضع» و ذلك ان المرأه الطاهره كان الدم اجتمع في بدنها و امتسك: و في لسان العرب قال ابو اسحق ان الذى
عندى فى حقيقه هذا ان القرء فى اللغه الجمع - فإن القرء اجتماع الدم فى الرحم و ذلك انما يكون الطهر. و أقول ان المحصل
من معناه بحسب موارد الاستعمال هو ما يناسب الجمع و الاحتواء و الضم. ففى معلقه عمر بن كلثوم «ذراعى عيطل ادماء بكر
هجان اللون لم تقرء جنينا» اى لم تضم جنينا و لم تحتو عليه. و فى لسان العرب «و لم تقرء جنينا و لا دما» و منه قولهم أقرأت
النجوم إذا غابت اى دخلت فيما يضمها عن الظهور. و يكون استعمال القرء بالحوض مجازا بعلاقه ان الدم الخارج فيه كان

مقروءا فى الجسم او الرحم. و اما ان معنى القرء الوقت فلم يعرف له شاهد. و حمل الآيه عليه تعسف و شذوذ

لا تجترئ على كتمان ما خلق الله في رحمها. وهذا الزجر الشديد يناسب ان يكون على كتمان الحمل اما لأن تخرج من العده في ظاهر الحال عاجلا او لأن تكتمه لكرهيه انتسابه لأبيه او لغير ذلك من اسباب الكتمان و اما كتمان الحيض في ايام العده و بعد آخرها لأجل الازدياد من مده العده لتأكل النفقه و تأمل الرجعه بعد انقضاء العده الواقعيه فهو بعيد لاستلزامه ان تكون صله الموصول و هي خَلَقَ اللهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ وارده باعتبار ما مضى عن زمان الكتمان كما سيأتي في الجمع بين المعنيين. إذا فالمناسب لأسلوب اللفظ و ظاهره و ذلك الزجر الشديد هو كتمان الحمل. و يؤيده

روايه البرهان و الوسائل عن العياشى عن أبي بصير عن الصادق (عليه السلام) في الآيه لا يحل لها ان تكتم الحمل إذا طلقت و هي حبلى و الزوج لا يعلم:

و لا يمكن الجمع بين المعنيين من هذا اللفظ كما ذكر في الدر المنثور روايته عن ابن عمر و مجاهد و ذلك لأن كتمان ما خلق الله في أرحامهن من الحيض إنما هو باعتبار خروجه من الرحم و يكون المراد من خلقه في أرحامهن إنما هو باعتبار ما مضى بالكلام على هذا بمعنى ان يقال و لا يكتمن ما خرج من أرحامهن مما خلق فيها قبل ذلك. و كتمان الحمل إنما هو باعتبار استقراره في الرحم. و اللفظ الواحد لا يصلح للجمع بين هذين اللحاظين و الاعتبارين. و في تفسير القمى في الآيه قال لا يحل للمرأة ان تكتم حملها أو حيضها أو طهرها و قد فوض الله تعالى إلى النساء ثلاثه أشياء الطهر و الحيض و الحمل انتهى و لا يظهر من المقام كونها روايه وارده عن امام في بيان المراد بما خلق الله في أرحامهن ان لم يظهر خلاف ذلك فضلا عما بيناه من انه لا يمكن الجمع بين الأمرين في اللفظ الواحد.

و في مجمع البيان نسب ما ذكرناه من تفسير القمى إلى الروايه عن الصادق (عليه السلام) و لم نجد لها أثرا و لعله اعتمد على تفسير القمى وَ بَعُولَتُهُنَّ جمع بعل و التاء لتأنيث الجمع و معنى البعل الزوج مع معنى التمتع بزوجه و ملاعبتها و مباشرتها و البعال و المباعله مباشره النساء و ملاعبتهن و لعل العدول عن التعبير بالأزواج إلى التعبير بالبعوله لإخراج غير المدخول بها و للإيماء إلى الوجه في انهم أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ نظرا إلى حاله التي قبل الطلاق من الزوجيه و لا- حق للمرأة في معارضة البعل في ردها في ذَلِكَ التربصِ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا لا مضاره. او جى ء بلفظ «ان» لذكر الحاله التي يتحقق بها الرد و ارادته كما في قوله تعالى و لا تكرهوا فتياتكم على البغاء ان أردن

تحصنا. و هذا الحكم فى الرد مقيد بحكم المختلعه كما فى الآيه الآتية و حكم المطلقه ثلاثا كما فى التى بعدها وَ لَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْنَهُنَّ من حسن المعاشره بِالمَعْرُوفِ وَ لِلرِّجَالِ عَلَيْنَهُنَّ دَرَجَةٌ فى الفضل و التفوق. و جىء بلفظ الرجال دون الأزواج اشاره إلى وجه التفوق و كمال الرجوليه و فضل قيام الرجل بأمرها. و إنفاقه عليها وَ اللَّهُ عَزِيزٌ فى حكمه حَكِيمٌ فى احكامه

سوره البقره (٢): آيه ٢٢٩

الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٢٩)

٢٢٧ الطَّلَاقُ للزوجه الواحده الذى شرع فيه الرد المذكور و لم يجعل الله زاجرا عنه بتعليق المراجعه بعده على نكاح المرأه زوجا غيره مَرَّتَانٍ

و لأن الطلاق هو ان يقطع الزوج علقه الزوجيه بينه و بين امرأته و يطلق سراحها من قيد زوجيته يكون من البديهي انه لا يتحقق بدون الزوجيه و علقتها العاديه التى يتوقف عليها تحقق موضوعه كما روى هذا المعنى فى الكافى و غيره عن الباقر و الصادق عليهما السلام

و عليه مذهب اهل البيت و اجماع الإماميه و مذهب ابن عباس.

و فى الدر المنثور أخرج البيهقى عن ابن عباس ان ركانه قال لرسول الله (صلى الله عليه و آله) طلقته ثلاثا فى مجلس واحد قال (صلى الله عليه و آله) نعم انما تلك واحد.

و اخرج عبد الرزاق و مسلم و ابو داود و النسائى و الشافعى و الحاكم و البيهقى عن ابن عباس كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أبى بكر و سنتين من خلافه عمر طلاق الثلاثه واحده «أى الثلاثه فى مجلس واحد و نحوه» فقال عمر ان الناس قد استعجلوا فى امر لهم فيه انا فلو أمضينا عليهم فأمضاه عليهم. و نحوه من طريق طاوس. فإذا طلق الرجل طلاقا صحيحا فقد انقطعت من زوجيتها تلك العلقه التى يقطعها الطلاق فلا يقع منه طلاق لتلك المطلقه الا بأن تكون تلك العلقه قد رجعت اما برجعته و اما بتزويج بعقد جديد. و ان كان ما وقع لفظه أولا ليس صحيحا و لا طلاقا لم يكن ما يقع بعده طلاقا ثانيا بل هو أول و كذا الكلام فى الثالث فإذا وقع الطلاق المذكور فإمْسَاكٌ أى فحكم الله فى ذلك اما ان تردوهن بالرجعه إلى الزوجيه و تمسكوهن على ذلك بِمَعْرُوفٍ فى المعاشره أَوْ تَسْرِيحٌ بأن تتركوا الطلاق على رسله إلى ان تنقضى العده بِإِحْسَانٍ

فى أداء النفقه و الإسكان و المعامله. قال فى التبيان و هو المروى عن أئمتنا و قال فى مجمع البيان و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

أقول و لم أجد ذلك مرويا بعنوان التفسير للتسريح

يكون المراد بالتسريح بالإحسان هى التطليقه الثالثه كما رواه فى الكافى و التهذيب عن أبى عبد الله (عليه السلام) و فى الفقيه عن الرضا (عليه السلام) و عن تفسير العياشى عن الباقر (عليه السلام) و الصادق (عليه السلام) و فى الدر المنثور عن النبى (صلى الله عليه و آله)

وَ لَا يَجِبُ لَكُمْ فِى مَطْلَقِ الطَّلَاقِ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ وَ لَا مِنْ غَيْرِهِ شَيْئاً وَ خَصَّ الْأَخْذَ مِمَّا أُوتِيْنَ نَظراً إِلَى الْغَالِبِ مِنْ أَنْ الزَّوْجَ عِنْدَ تَفْرُقِهِ مِنْ زَوْجَتِهِ أَوْ نَفَرِهِ الزَّوْجَهُ مِنْهُ يَنْظُرُ فِى أَمْرِ طَلَاقِهَا إِلَى اسْتِرْدَادِ مَا آتَاهَا مِنَ الْمَهْرِ إِلَّا أَنْ يَخَافَ أَى الزَّوْجَانَ بِسَبَبِ كِرَاهِيَةِ الزَّوْجِهِ لَهُ وَ تَهْدِيدِهَا لَهُ بِالْإِثْمِ إِنْ لَمْ يَطْلُقْهَا فَيَكُونُ كُلُّ مِنَ الزَّوْجَيْنِ مَعْرُضاً لِمُخَالَفَةِ اللَّهِ فِى أَوْامِرِهِ وَ نَوَاهِيهِ وَ مُحَرَّمَاتِهِ فَيَخَافُ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فِيمَا بَيْنَ الْأَزْوَاجِ لِدَوَاعِ خُصُوصِيَّتِهِ. وَ عَدَلَ مِنَ الْخُطَابِ إِلَى الْغَيْبِ تَكْرِيماً وَ تَبْعِيداً مِنَ الْخُطَابِ بِمَا يَرَادُ هُنَا مِنْ عَدَمِ الْإِقَامَةِ لِحُدُودِ اللَّهِ فَإِنَّ خِفْتُمْ بِحَسَبِ مَا عَرَفْتُمْ مِنْ حَالِهِمَا وَ مَقَالِهِمَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ وَ لَا إِثْمَ عَلَيْهِمَا بِحَسَبِ الْبَدْلِ وَ الْأَخْذِ فِيمَا أَفْتَدَتْ بِهِ نَفْسَهَا مِنْ زَوْجِهَا. وَ يَفْهَمُ مِنَ الْآيَةِ أُمُورٌ «الاول» يَجُوزُ إِنْ تَكُونُ الْفِدْيَةُ فِى مَوْرَدِ الْآيَةِ تَمَامَ مَا آتَاهَا أَوْ أَكْثَرَ مِنْهُ كَمَا لَا خِلَافَ فِيهِ عِنْدَنَا نَصّاً وَ فَتْوَى لِأَنَّ عَدَمَ الْجُنَاحِ انِيطَ بِمَا أَفْتَدَتْ بِهِ مَطْلَقاً وَ لَوْ أُرِيدَ الْبَعْضُ مِمَّا أُوتِيَتْ أَوْ الْكُلُّ لَا غَيْرَ لِقِيلِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِى أَخْذِهِ «الثانى» إِنْ تَكُونُ مِنَ الزَّوْجِ نَفَرَهُ بِحَيْثُ يَخَافُ لِأَجْلِ نَفَرَتِهَا إِنْ لَا تَقِيمُ حُدُودَ اللَّهِ كَمَا يَدُلُّ أَيْضاً قَوْلُهُ تَعَالَى أَفْتَدَتْ بِهِ «الثالث» يَعْرِفُ مِنْ لَفْظِ الْإِفْتِدَاءِ أَنَّهُ لَا رَجْعَ لِلزَّوْجِ فِى الْعِدَّةِ وَ إِلَّا لَمْ يَتَحَقَّقِ الْإِفْتِدَاءُ «الرابع» إِنْ مَوْرَدُ هَذِهِ يَغَايِرُ مَوْرَدَ الثَّلَاثَةِ وَ الْعِشْرِينَ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ لِأَنَّ تِلْكَ اقْتَصَرَتْ عَلَى اسْتِثْنَاءِ مَوْرَدِهَا مِنَ الذَّهَابِ بِبَعْضِ مَا أُوتِيَتْ حِينَمَا تَأْتِي بِالْفَاحِشَةِ الْبَيْنَهُ بَلْ يَجُوزُ لِلزَّوْجِ عِنْدَنَا إِنْ يَعْضَلُهَا حِينَئِذٍ «الخامس» إِنْ صَوَّرَهُ مَا ذَكَرَ مِنَ الْفِرَاقِ بِإِفْتِدَاءِ الزَّوْجِ هُوَ بِحَكْمِ سِيَاقِ الْآيَةِ مِنَ الطَّلَاقِ الَّذِى جَرَى الْبَيَانُ فِى أَحْكَامِهِ فَلَا يَفْتَرِقُ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ وَقُوعِ الثَّلَاثِ كَمَا عَلَيْهِ نَصُوصٌ أَحَادِيثُنَا وَ هُوَ الْمَشْهُورُ بَلْ عَلَيْهِ الْإِجْمَاعُ وَ كَذَا وَقُوعِ التَّحْلِيلِ بِهِ وَ إِنْ وَقَعَ بِلَفْظِ خَلَعْتِكِ بَدُونَ لَفْظِ الطَّلَاقِ كَمَا هُوَ الْمَنْصُوصُ عَلَيْهِ فِى أَحَادِيثُنَا تِلْكَ إِشَارَةٌ إِلَى مَا ذَكَرَ مِنَ الْأَحْكَامِ لِلطَّلَاقِ وَ الْأَخْذِ

حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوا مَا عَدَى الْحُدُودَ وَمَنْ يَعْتَدِ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ لغيرهم. بل ولأنفسهم بإيقاعها في وبال المعصية

سورة البقرة (٢): الآيات ٢٣٠ إلى ٢٣١

فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٢٣٠) وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِنَعْتِدُوا وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ مَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَ الْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٣١)

٢٢٨ فَإِنْ طَلَّقَهَا ثَلَاثًا وَ لَا تَنْسُ ان الطَّلَاقَ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا إِذَا وَرَدَ عَلَى زَوْجِيهِ فَلَا تَحِلُّ لَهُ لَا بِالرُّجُوعِ وَ لَا بِالنِّكَاحِ مِنْ بَعْدِ أَى بَعْدِ الطَّلَاقِ الثَّلَاثِ مَهْمَا طَالَ الْأَمَدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ وَ تَكُونُ لَهُ زَوْجِيهِ بِشَرِيحِهِ بِخُصُوصِ الْعَقْدِ الدَّائِمِ فَإِنْ طَلَّقَهَا ذَلِكَ الْغَيْرِ طَلَاقًا صَحِيحًا. وَ الْمُرَادُ مِنْ ذَلِكَ الْمِثَالِ لَانْقِطَاعِ عِلْقَةِ النِّكَاحِ الدَّائِمِ فَإِنَّ الْمَوْتَ مِثْلَ الطَّلَاقِ فِي التَّحْلِيلِ بِاجْتِمَاعِ الْأُمَةِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِي أَنْ يَتَرَاجَعَا بِأَنْ يَسْتَأْنِفَا عَقْدَهُ النِّكَاحِ بِرِغْبِهِ مِنْهُمَا وَ ثَبَاتِ عَلَى حَسَنِ الْعِشْرَةِ وَ تَأْدِبِ بِمَا تَحُلُّ مِنْ نِكَاحِ الثَّانِي عَنْ الْمَسَارِعَةِ إِلَى الشَّغْبِ وَ خَزَاةِ الطَّلَاقِ إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَ قَدْ ثَبَتَ فِي السُّنَنِ مِنْ طَرِيقِ الْفَرِيقَيْنِ أَنَّ طَلَّاقَ الْآيَةِ فِي نِكَاحِ الثَّانِي مُقِيدٌ بِوَطْئِهِ لَهَا وَ عَلَيْهِ اجْتِمَاعُ الْأُمَةِ وَ لَا يُعْتَبَرُ فِي الْوَطْءِ الْانْزَالُ لِإِطْلَاقِ السُّنَنِ وَ أَمَا ذَوْقُ عَسِيلَتِهِ فِي أَحَادِيثِ الْفَرِيقَيْنِ فَالْمُرَادُ مِنْهُ لَذَةُ الْجَمَاعِ لَا التَّذَاذُهَا بِمَاءِ الرَّجُلِ وَ يُوَضَّحُ ذَلِكَ أَنَّ فِيهَا ذَوْقَ عَسِيلَتِهَا وَ مِنْ الْمَعْلُومِ أَنَّهُ لَا يُعْتَبَرُ لِنُزُولِ مَاءِ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّهُ لَا لَذَةَ لِلرَّجُلِ بِمَاءِ الْمَرْأَةِ لِيَكُونَ لَهُ كَذَوْقِ الْعَسِيلَةِ بَلِ الْمُرَادُ حَتَّى تَذُوقَ لَذَةَ جَمَاعِهِ وَ يَذُوقَ لَذَةَ جَمَاعِهَا فِي الْقَبْلِ لِأَنَّهُ مَجْمَعُ الْعَسِيلَتَيْنِ غَالِبًا دُونَ غَيْرِهِ.

نعم يقتضى ذلك عدم الاكتفاء بمقدار الحشفه فما دون ولا بأس بالأخذ بما هو أحوط وَ تِلْكَ عَطْفٌ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ «تِلْكَ» حُدُودَ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ فَيَعْرِفُوا وَجُوهَهَا عَلَى حَقِيقَتِهَا وَ يَعْلَمُوهَا عَلَى التَّفْصِيلِ لِلْجَاهِلِينَ بِهَا ٢٢٩ وَ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ أَى أَشْرَفْنَ عَلَى الْوَصُولِ إِلَى آخِرِ عِدَّتِهِنَّ كَمَا يُقَالُ بَلَغْتَ الْبَلَدَ أَى أَشْرَفْتَ عَلَى الْوَصُولِ إِلَيْهِ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِسَبَبِ الرَّجْعِ بِمَعْرُوفٍ فِي مَعَامَلَتِهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النِّسَاءِ ٢٣ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ أَوِ الْمَعْنَى فَرَاغُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ وَ اَتْرَكُوهُنَّ عَلَى حَالِهِنَّ إِلَى أَنْ تَنْقُضَى عِدَّتِهِنَّ

بِمَعْرُوفٍ فِي الْمَعَامَلَةِ وَالنَّفَقَةِ وَالِإِسْكَانِ بِدُونِ إِضْرَارٍ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَلَا تُمَسِّكُوهُنَّ بِالرُّجْعَةِ أَوْ لَا تَرْجِعُوهُنَّ ضِرَارًا هُوَ مَصْدَرٌ ضَرَهُ يَضُرُّهُ نَائِبٌ عَنِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ أَيِ إِسْكَانِ ضِرَارًا لِتَعْتِدُوا عَلَيْهِنَّ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ بِظُلْمِهِ لِلْمَرْأَةِ الضَّعِيفَةِ وَأَوْقَعَ نَفْسَهُ فِي وَبَالٍ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ وَمَخَاصِمِهِ الضَّعِيفِ الَّذِي ضَرَّهُ وَاعْتَدَى عَلَيْهِ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ بِمَا بَيْنَ فِيهَا مِنْ أَحْكَامِكُمْ فِي صَلَاحِكُمْ وَنِظَامِ اجْتِمَاعِكُمْ هُزُوعًا بَلْ خُذُوا حِظَكُمْ وَرَشْدَكُمْ مِنَ الْعَمَلِ بِهَا فَإِنْ مِنْ لَمْ يَسْعُدْ بِالْعَمَلِ بِهَا كَانَ كَالْمُسْتَهْزِئِ أَوْ مُسْتَهْزَأٍ بِهَا وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِعِظَائِمِ النِّعَمِ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَعِيشَةِ وَالْإِسْلَامِ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ بِاعْتِبَارِ النُّزُولِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ لِتُبَلِّغَكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَهُوَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لِهَدَايِكُمْ فِي الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ وَالِدَعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ الَّتِي اشْتَمَلَتْ عَلَيْهَا حَالُ كَوْنِ الْكِتَابِ يَعْظُمُكُمْ اللَّهُ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا شَرَعَهُ مِمَّا أَمَرَكُمْ بِهِ أَوْ نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانَّهُ الْمَطْلُوعُ عَلَيْكُمْ وَاعْلَمُوا أَيُّ وَعَمَلُوا عَمَلَكُمْ حَالُ كَوْنِكُمْ تَعْلَمُونَ

سورة البقرة (٢): آية ٢٣٢

وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُمُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحَنَّ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَمَ أَرْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٢٣٢)

أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ٢٣٠ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ وَأَشْرَفْنَ عَلَى انْقِضَاءِ الْأَجْلِ فَلَا تَعْضُمُوهُنَّ أَيُّهَا الْمَطْلُوقُونَ. وَالْعَضْلُ الْمَنْعُ أَوْ الْحَبْسُ مِنْ أَنْ يَنْكِحَنَّ مَنْ يَكُونُونَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَذَلِكَ بِأَنْ يَرَاغِبَهَا الْمَطْلُوقُ قَرِيبَ انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ لَا لِرَغْبَةٍ فِيهَا بَلْ لِأَجْلِ أَنْ يَمْنَعَهَا عَنِ الْأَزْوَاجِ وَقِيلَ أَنَّ الْمُرَادَ أَنْ لَا يَمْنَعُهَا الْوَلِيُّ الْعَرْفِيُّ مِنْ أَنْ تَنْكِحَ مَنْ كَانَ زَوْجَهَا بَعْدَ انْقِضَاءِ عِدَّتِهِ كَمَا رَوَى فِي الدَّرِ الْمَثُورِ نَزُولُهَا فِي شَأْنِ مَعْقَلٍ وَأَخْتِهِ أَوْ جَابِرٍ وَابْنِ عَمِّهِ وَيَلْزِمُهُ التَّجَوُّزُ فِي طَلْقَتُمُ النِّسَاءِ بِحَمْلِهِ عَلَى تَطْلِيقِ نَوْعِ الْإِنْسَانِ فَإِنَّ الْوَلِيَّ غَيْرَ مَطْلُوقٍ وَفِي هَذَا الْمَجَازِ بَعْدَ إِذَا صَرْنَا إِلَيْهِ فَالْأُولَى جَعَلَ الْخَطَابَ لِمَطْلُوقِ الْعَاضِلِ وَإِنْ كَانَ الْمَطْلُوقُ. أَوْ أَنَّ الْمَطْلُوقَ يَعْضَلُ زَوْجَتَهُ وَيَمْنَعُهَا بَعْدَ الْعِدَّةِ مِنْ أَنْ تَتَزَوَّجَ وَهُوَ فَرَضٌ نَادِرٌ إِذْ قَلَّ مِنْ يَكُونُ مِنَ الْمَطْلُوقِينَ مِنْ لَهْ هَذِهِ السَّلْطَةِ وَالْأَقْرَبُ الْأَوَّلُ وَلَفْظُ أَزْوَاجَهُنَّ مَجَازٌ أَمَا مِنْ حَيْثُ كَوْنُ الزَّوْجِيَّةِ

فى الماضى كما فى الثانى او من حيث كونها فى المستقبل كما فى الأول و الثالث ذلِكَ خطاب للنبي (صلى الله عليه و آله) يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ أَى من المسلمين يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ فَإِنَّهُ هُوَ الْأَهْلُ لِأَن يوعظ فتنتفعه الموعظه و يقف عند نواهى الشريعة ذلِكَ خطاب للمسلمين و المشار اليه ترك العضل المذكور أَرْكَى لَكُمْ وَ أَطَهَّرَ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِيهِ صَلاَحِكُمْ

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٣

وَ الْوَالِدَاتُ يُرْضِينَ عَنْ أَوْلَادِهِنَّ حَوْلِينَ كَامِلِينَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَارُّ وَالِدَهُ بَوْلِدِهَا وَ لَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَ عَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَ تَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَ إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٣)

وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٢٣١ وَ الْوَالِدَاتُ مطلقا مطلقا و غير مطلقا يُرْضِينَ عَنْ أَوْلَادِهِنَّ اخبار عن الوظيفة المقرره لهن فى الشريعة جمعا لانحاء المصلحه على ما يأتى حَوْلِينَ كَامِلِينَ لا تنقص عن اربعة و عشرين شهرا لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ و يعطى ما يازائها من اجره و هو الأب و من بيده أمر الطفل بعده و من أراد ارضاعه دون الحولين فله ذلك وحده احد و عشرون شهرا كما نقل عليه اتفاقنا و عليه روايتا سماعه و عبد الوهاب عن الصادق (عليه السلام) وَ عَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَ كِسْوَتُهُنَّ الظاهر عدم الخلاف فى ان الرزق و الكسوه كناية عن الأجره المذكوره فى الآيه السادسه من سوره الطلاق. و الملحوظ فى تقريرها حالتا السعه و الضيق كما فى السابعه منها ايضا. و لعل اجره المثل تقارب مالىه الرزق و الكسوه و لكن عنوانهما اقرب إلى الحشمه من عنوان الأجره و التماكس فيها. و جرى التعبير هنا عن الأب بالمولود له بيانا لوجه الحكمة فى كون الأجره للرضاع عليه لأن الولد بعضه و نماء مائه و ان الأم تربي برضاعها من ولد له بِالْمَعْرُوفِ و من دون إجحاف بأحد الأبوين و لا يضيق بذلك على الأب فوق وسعه بحسب حاله و ما يراد منه فى أمر معيشته و من تجب نفقته عليه لا تُكَلِّفُ نَفْسٌ فى جهه إِلَّا وُسْعَهَا فى تلك الجهه لا تُضَارُّ وَالِدَهُ بَوْلِدِهَا وَ لَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ القراءه المعمول عليها بين الناس و عليها رسم المصاحف هى فتح الراء من «تضار» على انه مجزوم بلا- النهايه و حركت لالتقاء الساكنين بالفتحه لمشاكلتها للألف التى قبلها. و الكلمه صالحه لأن تكون مبنيه للفاعل و مبنيه للمفعول باعتبار ان

الراء المدغمه مكسوره فى التقدير او مفتوحه. و لكن الظاهر من الصحيح المروى فى الكافى عن الصادق (عليه السلام) انها مبنيه للفاعل

لقوله (عليه السلام) نهى الله ان تضار المرأة الرجل و ان يضار الرجل المرأة و ان الوارث نهى ان يضار الصبى أو يضار امه بالرضاعه.

هذا و النهى عن المضاره بسبب الولد مطلق سواء كانت المضاره من جهه الأجره و ما أشبه ذلك فى امر الرضاع ام من جهه منع الوالده لزوجهها الوالد عن جماعها لخوفها من الحبل و ضرره للرضيع او من حيث امتناع الوالد عما يجب للوالده من الجماع لخوفه من حبلها و ضرره للرضيع كما استشهد عليه السلام بالآيه للأمرين و جاء بكل من المعنيين روايات أخر. و فى التبيان ذكر روايه الجبهه الثانيه عن أبى جعفر و أبى عبد الله عليهما السلام و كذا فى مجمع البيان. و كان عليهما ان يذكر روايه الجبهه الأولى كالصحيح. و لم أجد ما أشار اليه من الروايه عن أبى جعفر (عليه السلام) وَ عَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ

فى صحيحه الحلبي و روايتى الكنانى و أبى بصير عن الصادق (عليه السلام) انه نهى ان يضار بالصبى او يضار امه فى رضاعها.

و فى الدر المنثور عن ابن عباس ان لا يضار فمّن الغريب مع ذلك ما فى كثر العرفان فى تفسير الوارث بالصبى. و فى التبيان و قد روى فى اخبارنا ان على الوارث كائنا ما كان النفقه. و أشار فى الخلاف و المبسوط ايضا إلى الروايه. و الظاهر كونها

روايه غياث عن الصادق (عليه السلام) أتى امير المؤمنين (عليه السلام) بيتيم فقال خذوا بنفقته اقرب الناس منه من العشيره كما يأكل ميراثه.

و الروايه ان لم يكن الوارث فى واقعتها الخاصه هو الجدد أمكن تنزيلها فى واقعتها على الإلزام لشيوع الفتوى بذلك حيثئذ فإن مذهب الإماميه حتى الشيخ فى كتبه ان النفقه انما تجب على العمودين فهو اجماع منا فالوارث فى الآيه اما وارث الطفل بمعنى كون الطفل ارثا اى بقيه له فى القيام بأمره فهو وارثه بهذا المعنى كالجد و الوصى و الحاكم و ليس فى ذلك مجاز بحسب اللغه و ان كان الدائر فى المحاورات هو وارث المال. و اما انه جار مجرى الغالب فى كون من له الولايه بنفسه او بالوصايه وارثا كالجد و الأخ و الوصى مثلا او المولى من قبل الحاكم و لا دلالة من القرآن الكريم على اكثر مما فى الروايات المتقدمه من ان الذى على الوارث هو ان لا- يضار فإن أراد المرضعه و الوالد و ان كان جدا فصلاً للطفل عن الرضاع قبل الحولين عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَ تَشَاوُرٍ بِالنَّظَرِ إِلَى صِلَاحِ الطِّفْلِ

لا مجرد تراضيهما مراعاة لأهوائهما فلا جُنَاحَ عَلَيَّهِمَا و يحتمل ان يشمل ذلك ما بعد الحولين حينما يكون تعجيل الفطام مضرا بالطفل كما إذا كان مريضاً مثلاً في المده التي يجوز التأخير فيها وَ إِنِ أَرَدْتُمْ عِنْدَ عَدَمِ الْإِضْرَارِ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا الْمُرَاضِعَ أَوْلَادَكُمْ مَفْعُولٌ ثَانٍ لَتَسْتَرْضِعُوا فَلَا جُنَاحَ عَلَيَّكُمْ إِذَا رَاعَيْتُمْ مَصْلَحَةَ الْوَلَدِ بَعْدَ مِمَاتِهِ الْمَرْضَعَةِ بِاجْتِرَافِهَا وَ سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ وَ قَرَّرْتُمُوهُ فِي الْأَسْتِرْضَاعِ بِالْمَعْرُوفِ بِلَا مَدَافِعِهِ وَ لَا مَعَاسِرِهِ وَ اتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَ نَهَاكُمْ عَنْهُ وَ اعْمَلُوا أَيْ وَ اعْمَلُوا عَلَى مَقْتَضَى عِلْمِكُمْ أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فَخَافُوهُ

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٤

وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٣٤)

٢٣٢ وَ الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ أَيْ يُؤْخَذُونَ وَافِينَ وَ يَرَادُ بِذَلِكَ الْأَخْذِ بِالْمَوْتِ كَمَا مَرَّ مَشْرُوحًا فِي الْمَقَامِ الْأَوَّلِ مِنَ الْفَصْلِ الرَّابِعِ مِنَ الْمَقْدَمَةِ وَ يَذَرُونَ يَتْرَكُونَ أَزْوَاجًا الَّذِينَ مَبْتَدَأَ وَ جَمَلُهُ يُتَوَفَّوْنَ صِلَتُهُ وَ جَمَلُهُ «يَذَرُونَ» مَعْطُوفُهُ عَلَيْهَا وَ جَمَلُهُ يَتَرَبَّصْنَ وَ هِيَ خَبْرٌ يَرَادُ بِهِ الْأَمْرُ الْمُؤَكَّدُ تَكُونُ خَبْرًا لِلْمَبْتَدَأِ وَ الرَّابِطُ بَيْنَهُمَا هُوَ الضَّمِيرُ الَّذِي يَجْلُوهُ الْمَقَامُ وَ السِّيَاقُ بِمِثْلِ جَلْوِهِ الْمَذْكُورِ لَوْضُوحِ أَنْ فَاعِلُ التَّرَبُّصِ تِلْكَ الْأَزْوَاجُ اللَّائِي يَتْرَكُهَا الْمَتَوَفَّوْنَ. فَقَدَّرَ لِذَلِكَ مَا يَنَاسِبُ تَقْدِيرَهُ بِأَنْفُسِهِنَّ وَ يَمَسْكُنَهَا عَنِ الزَّوْجِ وَ الزَّيْنَةِ وَ نَحْوِهَا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا أَيْ وَ عَشْرَ لَيَالٍ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ بِاتِّمَامِ ذَلِكَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنَ الْخُرُوجِ مِنَ الْبُيُوتِ وَ طَلَبِ الْأَزْوَاجِ وَ تَرْكِ الْحِدَادِ مِمَّا يَكُونُ بِالْمَعْرُوفِ الْمَشْرُوعِ الْمَوْافِقِ لِلْإِسْتِقَامَةِ وَ الْعَفْهِ وَ فِي تَفْسِيرِ الْقَمِي وَ التَّبْيَانِ وَ مَجْمَعِ الْبَيَانِ وَ غَيْرِهَا أَنْ هَذِهِ الْآيَةُ نَاسَخَةٌ لِحُكْمِ الْآيَةِ السَّابِقَةِ بَعْدَهَا وَ عَلَى ذَلِكَ رَوَايَاتُ الدَّرِّ الْمُنْتَوَرِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ ابْنِ عَمْرٍو أَقُولُ وَ رَبَّمَا كَانَ تَقْدِيمُهَا فِي تَرْتِيبِ الْقِرَاءَةِ عَلَى تِلْكَ لِكَيْ تَنْتَظِمَ فِي نَسْقٍ وَاحِدٍ مَعَ الْآيَاتِ الْمَحْكَمَةِ فِي الطَّلَاقِ وَ الْعَدَدِ وَ رَبَّمَا يَشِيرُ إِلَى النِّسْخِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ بِأَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ مِنْ خُرُوجِهِنَّ وَ تَعَرُّضِهِنَّ لِلْأَزْوَاجِ قَبْلَ الْحَوْلِ مِمَّا كَانَ يَجِبُ عَلَيْكُمْ النَّهْيُ عَنْهُ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٥

وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (٢٣٥)

٢٣٣ و لا- جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ نظم الآيات و سياق الآية و قوله تعالى فيها حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ تدل على ان المراد من النساء المعتدات للوفاه و عليه الاتفاق و الآية صالحه للعموم لبعض المعتدات ايضا و تفصيل ذلك موكول إلى كتب الفقه.

و التعريض هو خلاف التصريحات بما يسعه مجال الخطبه من وجوه الكلام و هو تضمنين الكلام دلالة على شىء ليس فيه ذكر له و الخطبه هو الكلام الدال على طلب المرأة للتزويج و لعل الأصل فيه ان الطلب كان يصاغ كثيرا بكلام ينشئه خطيب القوم ثم استعمل فى مطلق الطلب فتعدى و يقال خطبها و هو خاطب أو أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ بأن خطر فى أنفسكم الرغبة فى نكاحها و العزم عليه و اسررتموه عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ لسانا بابداء الرغبة فى نكاحهن و لا يدل ذلك على التويخ لجواز ان يقصدوا فى ذكرها وجها راجحا خصوصا فى عصر الرسول (صلى الله عليه و آله) كتطيب قلوب المؤمنات المهاجرات المنقطعات ذوات الأيتام لكى تطمئن قلوبهن بوجود الكافل وَ لَكِنْ لَا تُؤَاعِدُوهُنَّ سِرًّا

فى صحيحه الحلبي عن الصادق (عليه السلام) ان يقول لها أواعدك بيت آل فلان و نحوها روايه عبد الله بن سنان عنه (عليه السلام)

و فى روايه على بن حمزه عنه (عليه السلام) أواعدك بيت آل فلان يعرض لها بالرفث و يرفث الروايه

اى يرفث قولاً بأن يذكر لها الجماع و ما يرجع اليه صريحا على خلاف الكنايه و الاحتشام. فإن الجماع يعبر عنه بالسر كقول امرء القيس

الا زعمت بسباسه اليوم اننى كبرت و ان لا يشهد السر أمثالى

و قول الأعشى

و لا تقربن جاره إن سرها عليك حرام فانكحن او تأبدا

و قول الفرزدق

موانع للأسرار الا من أهلها و يخلف ما ظن الغيور التعفف

إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا الاستثناء منقطع لرفع ما يتوهم من المنع عن كل ما يدل على التزويج لأن التزويج يثول إلى الجماع. بل يجوز القول بالمعروف الموافق للحياء والحشمه و كريم الخطاب كقوله لا- تسبقتني بنفسك إذا انقضت العده او انى مكرم للنساء او لو انقضت عدتك لا تفوتيني و نحو هذا من معارض الكلام و به جاءت روايات الدر المنثور عن ابن عباس ٢٣٤ و لا تَغْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ و لا توقعوها و توجبوها و بذلك جاءت روايه الدر المنثور

ص: ٢١٢

عن ابن عباس و اما العزم على العقد بعد العده فهو مرخص فيه في الآيه خصوصا في قوله او اكنتم في أنفسكم حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ في التبيان معناه انقضاء العده بلا خلاف. و مقتضى اللفظ حتى يبلغ القرآن باعتبار فرض العده اجله في انقضائها او حتى يبلغ الفرض من كتب بمعنى فرض و كلاهما في وجه التجوز ببلوغها الأجل سواء و اعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم مما يبعث على الأعمال الخارجيه و منها ما هو محرم عليكم و المقصود تنبيههم على ما يعرفونه من علم الله زياده في التحذير فأخبروه من ان تخالفوه و تعملوا بالمعاصي و اعلموا مع ذلك أن الله غفورٌ ان تبتم فبادروا إلى التوبه و لا تقنطوا من رحمه الله و احذروه من ترك التوبه كما تحذرونه من المعصيه حَلِيمٌ لا يعاجلكم بالعقوبه بل يمهلکم لأن تتوبوا اليه فيقبل عليكم بحلمه كأن لم تذنبوا

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٦

لا- جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَ مَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَ عَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ (٢٣٦)

٢٣٥ لا- جُنَاحَ عَلَيْكُمْ اى لا- اثم و هذا دفع لما يتوهم من الإثم في الصورتين المذكورتين لأنهما فراق قبل النتيجة المحبوه المطلوبه شرعا من النكاح و قطع لما كان يؤمل من الفه الزواج و افراجه دون ان يصدر سوء صحبه خصوصا مع مجامله المرأه و أهلها بعدم المعاسره في تقديم الصداق و فرضه في العقد. و في الكشاف فسر لا جناح بقوله لا تبعه عليكم من إيجاب مهر و يدفعه انه لم يعرف من اللغه و القرآن مجىء الجناح بغير معنى الإثم فلما ذا يفسره هنا بتبعه المال إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ ما اى فى مده و حال انكم لَمْ تَمْسُوهُنَّ بالوطء و كان ذلك على جارى العاده فى فرض الصداق لهن فى العقد أَوْ تَفْرِضُوا توجبوا و هو مجزوم بالعطف على تمسوهن لهنَّ فَرِيضَةً و هو الصداق و المراد رفع الجناح فى كل من الحالين حال عدم الوطاء مع فرض الصداق و حال عدمه مع عدم الفرض. و عطف بكلمه «أو» كما فى قوله تعالى فى سوره الدهر وَ لا تُطْعَمُنَّ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا لثلا يتوهم اشتراط اجتماعهما. و لعله إلى هذا ينظر ما فى التبيان و مجمع البيان ان التقدير ممن فرضتم لهن او لم تفرضوا. و ان النظر إلى نظم هذه الآيه مع التى بعدها لزعيم بما ذكرناه وَ مَتَّعُوهُنَّ وجوبا لظاهر الأمر. و ان الآيه الاخرى بحسب سوقها و نظمها مع هذه كالصريحه فى ان نصف المهر هو تمام ما تستحقه التى فرض

لها الصداق فتختص المتعه الواجبه بمن لم تمس بالوطء و لم يفرض لها مهر و على ذلك إجماعنا و صحيحه الكافي عن الحلبي و صحيحته عن أبي بصير و روايته عنه ايضا و روايه الفقيه عن الكنانى عن الصادق (عليه السلام) و روايه الدر المنثور عن ابن عباس و فى الخلاف عليه اجماع الصحابه. و يكون مفاد الآيتين فى نظمهما تشريك القسمين من غير المدخول بهن فى عدم الجناح بطلاقهن ثم التقسيم باختصاص نصف المهر بمن فرض لها و اختصاص المتعه بمن لم تفرض لها فريضه. و على هذا التقسيم و التقييد يحمل اطلاق الآيه الثانيه و الأربعين بعد المائتين من السوره و الثانيه و الأربعين من سوره الأحزاب و ليس المقام من النسخ لكى يتوقف على معرفه المتقدم و المتأخر بل هو من حمل المطلق على المقيد سواء كان الكلام تفصيلا بعد إجمال أو اجمالا مبنا على التفصيل. و المتعه عَلَى الموسع اى ذى السعه فى المال مثل المثرى قَدْرُهُ أى المقدار الذى يليق بسعته من المال وَ عَلَى الْمُقْتِرِ أى المقل من المال قَدْرُهُ و ما يناسب اقلاله و كأنه بذكر الأمرين قيل على كل ما يناسب حاله. و فى الفقيه روى ان الغنى يمتع بدار او خادم و الوسط بثوب و الفقير بدرهم أو خاتم

و فى روايه أبي بصير عن الباقر (عليه السلام) ان ادنى المتعه على المعسر خمار و شبهه

و فى روايه الحلبي و عبد الله بن سنان و سماعه عن الصادق (عليه السلام) ان الموسع يمتع بالبعد و الامه و يمتع الفقير بالحنطه و الزبيب و الثوب و الدراهم

و لعل الكل على سبيل المثال و مناسبه الحال متاعاً المتاع ما يتمتع به فيكون مفعولاً لمتعوهن و قد يجىء بمعنى التمتع. و فى التبيان انه حال من «قدره» و العامل فيه الظرف و كأنه لما فى كلمه «على» من معنى الإيجاب. و فى الكشاف انه تأكيد لمتعوهن و المآل واحد بالمعروفِ صفه للمتاع على الاولى و متعلق به على الأخيرين و المآل فى الكل واحد حَقًّا صفه للمتاع عَلَى الْمُحْسِنِينَ بيان لكون المتعه بالمعروف احسان يرغب فيه المحسنون و يرونها حقا عليهم فى شريعه الإحسان

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٧

وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَ أَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَ لَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٣٧)

٢٣٦ وَ إِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَ قَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً بَيَانٌ لِحُكْمِ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ وَ حَقُّهُ فَيَعْرِفُ مِنْهُ اخْتِصَاصُ الْقِسْمِ الثَّانِي بِالْمَتْعَةِ فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ وَ هُوَ حَقُّ لِهِنَّ يَجِبُ إِعْطَاؤُهُ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ عَنْهُ كَلَامًا أَوْ بَعْضًا إِذَا كُنَّ بِالْغَاثِ جَائِزَاتِ التَّصَرُّفِ فِي أَمْوَالِهِنَّ سِوَاءِ كَانِ الْعَفْوُ مِنْهُنَّ مُبَاشِرًا أَمْ مِنْ

وكيلهنّ على العفو ام الوكيل المأذون له فى كل تصرف فى أموالهن أم فى خصوص هذا الطلاق مثلا أو يَغْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدُهُ
النِّكَاحِ وَهُوَ ولى الصغيره الذى جعل الله بيده ان يعقد عقده نكاحها و ليس ذلك عندنا إلا الأب و الجد اعنى أبا الأب او أباه

ففى صحيحه التهذيب عن عبد الله بن سنان عن الصادق (عليه السلام) هو ولى أمرها

و عن رفاعه عنه (عليه السلام) الولى الذى يأخذ بعضا و يترك بعضا

و فى بعض أحاديثنا ما جمع فيه من يعفو بحسب الولاية او بحسب الوكاله العامه

ففى معتبره التهذيب بإرسال ابن أبى عمير عن الصادق (عليه السلام) الأب و الذى توكله المرأه و توليه أمرها من أخ أو قرابه او
غيرهما

و فى الصحيحه المرويه فى الكافى و الفقيه و التهذيب عن الحلبي و أبى بصير و سماعه عنه (عليه السلام) هو الأيب و الأخ و
الرجل يوصى اليه و الذى يجوز امره فى مال المرأه فيبتاع لها و يتجر و نحوها صحيحه التهذيب عن أبى بصير و محمد بن مسلم
عن الباقر (عليه السلام)

فأما الموصى اليه فى الصحيحتين فهو من اوصى اليه الأب و الجد بالقيام بأمر الصغيره إذا رأى المصلحه فى العفو كما فى عفو
الأب و الجد و اما الأخ فيعرف امره من مرسله ابن أبى عمير و الظاهر ان عدم ذكر الجد هنا لدخوله فى عنوان الأب وَ أَنْ تَغْفُوا و
عفوكم ايها الناس أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ربما تجد المرأه الضعيفه النفس فى نفسها شيئا إذا رجح الله لها العفو بخطاب خاص فلفظ الله
بها بما معناه انه لا يرجح العفو لها من حيث انها امرأه و لا من حيث انه مهر بل ان كل عفو هو حسن راجح من جميع الناس و
هذا المقام منه و ان الزوج لم ينتفع بلذو او خدمه بإزاء ما له فيكون طلب العفو بهذا النحو أطيب لقلب المرأه المطلقه و ادعى لها
لأن تعفو فإن لمطلق عفو الإنسان عن حقه فضلا و فضيله و هو بفضيلته اقرب الى فضيله التقوى وَ لَا تَسْأُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ايها
الناس و اسمعى أيتها المطلقه و لا- تحملكم حزازات النفوس على ترك ما فيه الفضل إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيكم على
إحسانكم

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٨

حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ (٢٣٨)

٢٣٧ حَافِظُوا ايها الناس عَلَى الصَّلَوَاتِ فى إقامتها فى أوقاتها بحدودها و شرائطها و إخلاصها و إقبالها عموما وَ الصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ و
هى صلاه الظهر و عن الخلاف ان عليه اجماع الفرقه

و المروى فى أحاديثنا انها صلاه الظهر كصحيحه معانى الأخبار عن أبى بصير و روايتى العياشى عن عبد الله بن سنان

و محمد بن مسلم عن الصادق (عليه السلام) و صحيحه زراره عن الباقر (عليه السلام)

و ان ورد فيها بعد ذلك كما فى الكافى و الفقيه ما صورته و قال فى بعض القراءات حافظوا على الصلوات و الصلاه الوسطى صلاه العصر. و بناء على هذه الروايه فلا- يخفى ان الإمام لا- يتعلل ببعض القراءات إلا محاذره من الوقت و اهله فذكر الروايه الرائجه عن مصحف عائشه و روايتها و احدى الروايات عن مصحف حفصه و روايتها عن قراءه ابن عباس و أبى بن كعب و السائب بن يزيد إسكاتا عن بيانه الأول للحكم الواقعى. و إذا نظرت إلى ما أحصاه الدر المنثور من روايات المقام ترى فيها من الاضطراب و التعارض شيئاً مهولاً- ففى بعضها الفجر و فى بعضها الظهر و فى بعضها العصر و فى بعضها المغرب و كثيرا ما تتعارض الروايه عن الشخص الواحد «و ما آفه الأخبار إلا روايتها» وَ قَوْمُوا فى الصلاه لِلَّهِ قَانِتِينَ

عن العياشى عن الصادق (عليه السلام) طائعين

و فى روايه سماعه هو الدعاء و منه قوله تعالى فى سوره الزمر أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا

و فى التبيان قيل أصله الدعاء فى حال القيام أى فى الصلاه و فى مجمع البيان و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله أقول

و لم أجد عنهما (عليه السلام) فى تفسير الآيه نعم فى صحيحه زراره عن الباقر (عليه السلام) و نزلت هذه الآيه فى يوم الجمعة و رسول الله فى سفره ففقت فيها. نعم كثر استعمالهم عليهم السلام للفظ القنوت بالدعاء فى الصلاه فى حال القيام و هو القنوت المعروف كما فى رواياتنا و هو معروف فى لسان الصحابه و غيرهم كما فى روايات الدر المنثور و غيره فى الآيه

سوره البقره (٢): آيه ٢٣٩

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ (٢٣٩)

٢٣٨ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا جمع راجل و هو الماشى على رجله مثل قيام جمع قائم كما فى سورتي الفرقان ٦٥ و الزمر ٦٨ اى فإذا خفتم فحكمتكم فى صلاتكم ان تتركوا ما ينافى التحذر من الوقوف و الركوع و السجود بحسب ما يقتضيه الخوف و الحذر و على رسلكم حال كونكم رجالاً أَوْ رُكْبَانًا جمع راكب و يبقى ما لا ينافى الحذر على حاله كالقراءه و التسبيح و التشهد و التسليم نعم قد تخفى دلالة الآيه على الإيماء للركوع و السجود إلا بالنظر إلى انه ميسور من خضوعهما و اتضاح قاعده الميسور فى هذا المورد للعقل و العقلاء كغيره من الموارد.

و فى الكافى فى صحيح عبد الرحمن قال سألت أبا عبد الله فى الآيه ما تقول إذا خاف من سبع أو لص كيف يصلى قال يكبر و يومى إيماء برأسه

اى للركوع و السجود فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم

بلطفه في الصلاة وغيرها ما لم تكونوا تعلمون من اذكار الصلاة واحكامها وغير ذلك

سوره البقره (٢): الآيات ٢٤٠ الى ٢٤٢

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّهًا لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٤٠) وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ (٢٤١) كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٢٤٢)

٢٣٩ وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ أَى يشرفون على الوفاه وَيَذَرُونَ بعدهم أَزْوَاجًا كتب الله عليهم وَصِيَّهًا تأتي الوصيه بمعنى الموصى به لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا بدل من «وصيه» بمعنى الموصى به و إذا جعلنا الوصيه هنا بمعنى الإيصاء كان التقدير جعل الله لهم ما يوصى به في الإيصاء متاعا و نحو ذلك و الأول أظهر إِلَى الْحَوْلِ من حين وفاته في مؤنتها غَيْرَ إِخْرَاجٍ صفه المتاع ليعم السكنى. و ربما لم يكن هذا أجلا لعدده الوفاه على كل حال بل ان شاءت ان تبقى في بيت زوجها فلها الإنفاق و الإسكان بحسب الوصيه حولا فَإِنْ خَرَجْنَ من قبل انفسهن مطلقا أو من بعد أن تقضى اربعة أشهر و عشرا او ابعد الأجلين إذا كانت حاملا فقد أسقطت حقها. و قيل ان الحول كان عدتها فنسخ و المراد من الآية خرجن بعد الحول فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَّعْرُوفٍ من حيث الزواج الشرعى أو اختيار ما يوافق حالها و صلاحها في الخروج. اما وجوب الوصيه ان كان فهو منسوخ بالاتفاق و أما جوازها فعن مجمع البيان انه باق عندنا لم ينسخ و الله عَزِيزٌ فِي احكامه حَكِيمٌ فِي شريعته ٢٤٠ وَالْمُطَلَّقاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ بحق حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ان كان المراد من الآية تأكيد ما تقدم من متعه من لم تمس و لم يفرض لها فريضه كان إطلاقها جاريا على ذلك التقييد و هذا هو المناسب لقربها من تينك الآيتين و لظاهر قوله تعالى حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ و لما أشرنا اليه آنفا من الإجماع و الروايات. و يمكن ان تحمل هذه الآية على الاستحباب في مطلق المطلقات بالنظر إلى صحيحه الحلبي و روايته و صحيحه عبد الله بن سنان و سماعه كما في الكافي و روايه أبي بصير كما عن العياشى و فيه شك ٢٤١ كَذَلِكَ خطاب لرسول الله يُبَيِّنُ اللَّهُ بلطفه لَكُمْ آيَاتِهِ خطاب للناس لاحتياجهم في نظام أمرهم إلى بيان هذه الأحكام لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ لغايه

ان تعقلوا إذا أقبلتم باختياركم على التدبر لهذه الآيات و العمل بها

سوره البقره (٢): الآيات ٢٤٣ الى ٢٤٥

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (٢٤٣) وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٤٤) مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَ اللَّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٤٥)

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَى أَلَمْ تَعْلَم بِأَمْرِهِمْ وَ نَزَلَ عَلَيْهِمْ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) بِمَا فِيهِ مِنَ الْإِيمَانِ وَ الْيَقِينِ بِمَنْزِلَةِ الرَّؤْيَةِ بِالْبَصْرِ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ أَى خَرَجُوا حَذَرًا مِنَ الْمَوْتِ وَ فَرَارًا فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا وَ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ فَعَبَّرَ عَنْ أَرَادَتِهِ التَّكْوِينِيَّةِ بِالْأَمْرِ بِالْمَوْتِ وَ بِالْكَوْنِ إِشَارَةً إِلَى أَنَّ قُدْرَتَهُ لَا تَحْتَاجُ إِلَى عَمَلٍ وَ مِمَارَسَةٍ مَقْدَمَاتٍ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ.

رَوَى فِي رِوَايَةِ الْكَافِي عَنْ الْبَاقِرِ وَ الصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ قِصَّةَ هَؤُلَاءِ وَ هَرَبَهُمْ مِنَ الطَّاعُونَ وَ مَوْتَهُمْ وَ بَقَاءَهُمْ بِأَلَّا دَفَنَ حَتَّى صَارُوا عِظَامًا فَجَمَعَهَا الْمَارَهُ وَ نَحَوَهَا عَنْ الطَّرِيقِ فَمَرَّ عَلَيْهَا حَزَقِيلُ النَّبِيِّ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَدَعَا اللَّهَ فِي أَحْيَائِهِمْ فَأَحْيَاهُمْ. وَ عَنْ الْعِيَّاشِيِّ وَ سَعْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ حَمْرَانَ عَنْ بَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَخْتَصِرًا فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ. وَ رَوَى فِي ذَلِكَ فِي الدَّرِّ الْمُنْثُورِ عِنْدَهُ رِوَايَاتٌ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ بَعْضِ التَّابِعِينَ (١)

إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ يَعْرِفُهُمْ قُدْرَتَهُ وَ يَبْصُرُهُمْ بِمَوَاعِظِهِ وَ يَحُوطُهُمْ بِأَلطَافِهِ وَ يَجْلَلُهُمْ بِرَحْمَتِهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ٢٤٣ وَ قَاتِلُوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا تَخَافُوا مِنَ الْمَوْتِ فَإِنَّ الْأُمُورَ بِيَدِ اللَّهِ وَ لَكُمْ الْمَوْعِظَةُ بِفَرَارِ هَؤُلَاءِ مِنَ الْمَوْتِ وَ مَوْتِهِمْ وَ أَحْيَائِهِمْ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ لِدَعَائِكُمْ وَ اسْتَنْصَارِكُمْ وَ مَا تَقُولُونَهُ فِي أَمْرِ الْجِهَادِ وَ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَ دِينِ الْحَقِّ عَلِيمٌ بِنِيَّاتِكُمْ فِي جِهَادِكُمْ ٢٤٤ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا

ص: ٢١٨

١- و لهذه القصة شؤون. فقد ذكر نظيرها في العهد القديم في كتاب حزقيال من العدد الاول إلى الحادى عشر من الفصل السابع و الثلاثين. فجاءت جمعيه المرسلين الامريكان في الجزء الثانى من كتابهم الذى سموه «الهدايه» و اعترضوا على القرآن المجيد و أنكروا مضمونها و الاحياء و جعلوا ما ذكر فى كتاب حزقيال رؤيا مناميه غايتها البشرى بانتعاش بنى إسرائيل بعد السبى و رجوعهم إلى قوميتهم و حالتهم السياسيه. دع جمعيه الأمير كان و هلم الخطب فى بعض مفسرى المسلمين المعاصرين من المصريين إذ كتبوا و طبعوا انكار الأمر الذى ذكره القرآن الكريم بالمحاوره الصريحه الدائره بين العقلاء فى بيان الحقائق و فسروا الآيه بأن موت أولئك القوم هو ان العدو نكل بهم فأفنى قوتهم و أزال استقلال أمتهم حتى صارت لا تعد أمه. و معنى حياتهم هو عود الاستقلال إليهم. إلى آخره. و يا ليت النزعه العصريه و اللهجه السياسيه لم يمدأ أيديهما إلى القرآن الكريم.

حَسِينًا قَدِ اقْتَضَتْ حُكْمَهُ اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ فِي شَأْنِ الْإِنْسَانِ وَنِظَامِ مَدِينَتِهِ وَتَشَابُكِهِ فِي الْاجْتِمَاعِ أَنْ يَجْعَلَ بَعْضَهُمْ مَحْتَاجًا إِلَى بَعْضٍ فِي شُؤْنِ التَّعِيشِ وَالْأَمْوَالِ. كَمَا اقْتَضَتْ حُكْمَتَهُ وَرَحْمَتَهُ فِي كَمَالِ الْإِنْسَانِ وَنَيْلِهِ كِرَامَةِ الْفَضِيلَةِ وَحَسَنِ الْجَزَاءِ بِأَنْ يَجْعَلَهُ مَخْتَارًا فِي أَعْمَالِهِ وَأَحْوَالِهِ فِي الْإِيمَانِ وَالْكَفْرِ وَالطَّاعَةِ وَالْمَعْصِيَةِ. وَاقْتَضَتْ حُكْمَتَهُ وَرَحْمَتَهُ وَلَطْفَهُ أَنْ يَأْمُرَ بِالْتِعَاوُنِ عَلَى الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ وَأَنْ يَعُودَ الْغَنَى عَلَى الْفَقِيرِ بِشَيْءٍ مِمَّا هُوَ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَخَلْقَهُ وَيَنْفِقُ شَيْئًا مِنْ مَالِ اللَّهِ فِي نَصْرِ الْحَقِّ وَاهْلِهِ وَدِفَاعِ الْبَاطِلِ وَاهْلِهِ. وَاقْتَضَتْ رَحْمَتَهُ وَلَطْفَهُ أَنْ يَرْغَبَ الْإِنْسَانُ فِي الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْخَيْرِ فِي الْفُقَرَاءِ وَالْجِهَادِ وَيَنْصُرَهُ بِهَذَا التَّرْغِيبِ عَلَى شَحِّ نَفْسِهِ وَنَزَعَاتِ حِرْصِهِ وَمَا يَسُؤِلُهُ لَهُ فَقْرُ إِمْكَانِهِ. فَجَاءَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ عَلَى أَحْسَنِ وَجْهِ فِي التَّرْغِيبِ وَحَاصِلِ مَا يُشِيرُ إِلَيْهِ وَيُنَوِّهُ بِهِ هُوَ أَنْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ لَا بَدَلْ لَكُمْ مِنْ أَنْكُمْ تَعْرِفُونَ أَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ عِنْدَكُمْ إِنَّمَا هِيَ مِنَ اللَّهِ وَخَلْقَهُ لِلْعَالَمِ وَمَا فِيهِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ بِحَسَبِ حُكْمَتِهِ وَلَطْفِهِ يَنْدَبُكُمْ إِلَى أَنْ تَنْفِقُوا شَيْئًا مِمَّا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكُمْ فِي طَرِيقِ صَلَاحِكُمْ وَسَعَادَتِكُمْ وَأَنْ الَّذِي يَنْفِقُ فِي ذَلِكَ شَيْئًا مِنْ مَالِهِ وَهُوَ يَرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ يَجْعَلَهُ اللَّهُ قَرْضًا عَلَيْهِ إِذَا كَانَ قَرْضًا وَإِنْفَاقًا حَسَنًا مِنَ الْمَالِ الْحَلَالِ فَاقْدَا لِمَا يَشِينُهُ مِنَ الرِّبَا وَالْمَنِّ وَنَحْوِ ذَلِكَ فَيُضَاعِفُهُ لَهُ بِنَصَبِ «يُضَاعِفُهُ» جَوَابًا لِلِاسْتِفْهَامِ بَعْدَ الْفَاءِ وَفِي الْحَقِيقَةِ هُوَ جَوَابٌ لَطَلَبِ الْقَرْضِ الْمَوْكَدِ بِأَسْلُوبِ قَوْلِهِ تَعَالَى مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً.

رَوَى الصَّدُوقُ فِي مَعَانِي الْأَخْبَارِ فِي الصَّحِيحِ عَنِ الْخَزَّازِ وَالْعِيَّاشِيِّ عَنِ عَلِيِّ بْنِ عِمَارٍ عَنِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) لَمَّا نَزَلَ مِنْ جَاءِ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانزَلَ اللَّهُ مِنْ جَاءِ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا فَقَالَ رَبِّ زِدْنِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً فَعَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ الْكَثِيرَ مِنْهُ لَا يَحْصِي وَلَيْسَ لَهُ مَنْتَهَى

وَ اللَّهُ يَقْبِضُ وَ يَبْصُطُ

فِي تَفْسِيرِ الْبَرْهَانَ عَنِ الصَّدُوقِ مَسْنَدًا عَنِ الصَّادِقِ يَمْنَعُ وَيُعْطَى

وَالْمُرَادُ اسْتَلْفَاتِهِمْ إِلَى أَنْ أَمَرَ الرَّزْقُ بِيَدِ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ فَلْيَغْتَنِمِ ذُو السَّعَةِ فَرِصَةَ الْإِنْفَاقِ وَقَرْضِ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ يَضِيقَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَتَبْقَى لَهُ الْحَسْرَةُ. وَلَا يَخْفَى فِي إِنْفَاقِهِ فَقْرًا فَإِنْ بِيَدِهِ بَسَطَ الرَّزْقَ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ فَيُوفِيكُمْ جِزَاءَ مَا أَنْفَقْتُمْ وَ تَشْتَدُّ حَسْرَاتُ الْحَرِيصِ الشَّحِيحِ عَلَى مَا فَرَطَ

سورة البقرة (٢): آية ٢٤٦

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعِيدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦)

٢٤٥ أَلَمْ

ص: ٢١٩

تَرِ الرَّؤْيِيَه كَمَا تَقْدَم قَرِيْبًا كَنْيَاهِ عَنِ الْعِلْمِ إِلَى الْمَلَأِ أَيْ الْأَشْرَافِ وَالْأَعْيَانِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لِهْمُ

فِي تَفْسِيرِ الْقَمِي فِي الصَّحِيْح عَنِ الْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَام) اَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَمَلُوا الْمَعَاصِي وَغَيَرُوا دِيْنَ اللّٰهِ وَعْتُوا عَنِ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَكَانَ فِيهِمْ نَبِيٌّ يَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ فَلَمْ يَطِيعُوهُ وَرَوَى اَنْ اسْمَهُ اَرْمِيَا النَّبِيَّ

أَقُوْلُ هَذَا وَ مَا بَعْدَهُ لَيْسَ مِنَ الصَّحِيْحِ بَلْ هُوَ إِرْسَالٌ مِنَ الْقَمِي وَ فِيهِ مَا هُوَ خِلَافُ الصَّحِيْحِ فَإِنَّ نَفْسَ الْقَمِي سَيَرَوِي فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْحَادِيَةِ وَ السَّتِيْنَ بَعْدَ الْمَائَتِيْنَ فِي الصَّحِيْحِ عَنِ الصَّادِقِ اَنْ اَرْمِيَا النَّبِيَّ مَعَاصِرَ لِبَحْتِ نَصْرِ وَ سَبِيِّ بَابِلَ كَمَا هُوَ مُقْتَضَى التَّارِيْخِ وَ بَيْنَ ذَلِكَ الْعَصْرُ وَ عَصْرُ طَالُوْتِ نَحْوِ اَرْبَعِمَائَةِ سَنَةٍ وَ تَسْعَةِ اَحْيَالٍ.

وَ فِي التَّبْيَانِ وَ مَجْمَعِ الْبَيَانِ وَقِيلَ هُوَ اَشْمُوئِيلُ وَ هُوَ الْمُرُوِيُّ عَنِ أَبِي جَعْفَرٍ يَعْنِي الْبَاقِرَ (عَلَيْهِ السَّلَام)

وَ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ وَ هُوَ بِالْعَرَبِيَّةِ إِسْمَاعِيْلُ وَ فِيهِ مَنَعٌ فَإِنَّ إِسْمَاعِيْلَ فِي الْعِبْرَانِيَّةِ «يَشْمَعُ اَيْل» اَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلُ مَعَهُ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ قَالَ لَهُمْ نَبِيَّهُمْ هَلْ عَسَيْتُمْ عَسَى مَعْنَاهَا التَّرَجِيُّ فِي الْمَحْبُوْبِ وَ الْإِشْفَاقُ فِي الْمَكْرُوْهِ اِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوْا الْمَطْرِدَ فِيمَا بَعْدَ عَسَى اَنْ يَأْتِيَّ مَقْرُوْنَا بِكَلِمَةٍ «اَنْ» النَّاصِبَةُ وَ لَكِنْ لِأَجْلِ اَنْ الْمُؤَكِّدِيْنَ بَعْدَ اِخْتِلَاطِ اللِّسَانِ ضَاعَتْ عَلَيْهِمْ مَزَايَا اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَعْدَ اَنْ كَانَتْ مَعْرُوْفَةً لِأَهْلِهَا فَقَالَ بَعْضُ النَّحْوِيِّيْنَ اَوْ جَمْهُوْرُهُمْ اَنْ عَسَى مِنَ الْأَفْعَالِ النَّاقِصَةِ وَ الْمَنْصُوْبِ بِأَنْ خَبَرَهَا عَلَيَّ حَذْفِ الْمُضَافِ مِنْهُ اَوْ مِنْ اِسْمِهَا قَالُوْا مَا مَوْدَاهُ مَاذَا يَمْنَعُنَا مِنَ الْقِتَالِ وَ مَا لَنَا مِنَ الْفَائِدَةِ فِي أَلَّا الْاِهْيَ اَنْ الْمَصْدَرِيَّةِ وَ لَا النَّفِيَّةِ تُقَاتِلُ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ وَ قَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَ اَبْنَانِنَا بِالْحَرْبِ وَ الطَّرْدِ عَنِ الْاَوْطَانِ وَ هَلْ بَعْدَ هَذَا مَانِعٌ نَفْسَانِيَّ عَنِ الْقِتَالِ اَوْ فَائِدَةٌ تَدْعُوْ اِلَى تَرْكِهِ. مُضَافًا اِلَى اَنْهُ قَاتَلَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ وَ دَفَعَ عَنِ الدِّيْنِ وَ التَّوْحِيْدِ. وَ مَعَ هَذَا الْبَيَانِ مِنْهُمْ فَلَمَّا بَعَثَ لَهُمْ طَالُوْتَ مَلِكًا وَ كُتِبَ وَ فَرَضَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ مَعَهُ تَوَلَّوْا وَ تَخَاذَلُوْا اِلَّا قَلِيْلًا مِنْهُمْ وَ اللّٰهُ عَلِيْمٌ بِالظَّالِمِيْنَ يَعْلَمُ حَالَهُمْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٧

وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ اِنَّ اللّٰهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوْتَ مَلِكًا قَالُوْا اَنْتَ اَنْتَ يَكُوْنُ لَهٗ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَ نَحْنُ اَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَ لَمْ يُؤْتِ سَبْعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ اِنَّ اللّٰهَ اَضْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَ زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَ الْجِسْمِ وَ اللّٰهُ يُؤْتِيْ مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَ اللّٰهُ وَاسِعٌ عَلِيْمٌ (٢٤٧)

٢٤٦ وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ اِنَّ اللّٰهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوْتَ مَلِكًا قِيلَ سَمِيَ طَالُوْتَ لِطَوْلِهِ وَ فِي

كتب اليهود انه كان أطول من كل بنى إسرائيل من كتفه فما فوق قالوا أنى من أين يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه وفي تفسير القمى أو روايته أنه كان من سبط بنيامين (١) قلت و تاريخ اليهود يذكر في أواخر سفر القضاة ان سبط بنيامين قد صدرت من بعضهم بادره قبيحه فأراد بنو إسرائيل ان يؤدبوا هؤلاء فحماهم سبطهم فحاربهم باقى الأسباط حتى نكلوا بهم فصار سبط بنيامين بعد ذلك سبطا قليلا مستحقرا فيما بين بنى إسرائيل و لم يؤت سعه من المال ليؤسس به ملوكيته و ادارتها قال لهم نبيهم إن الله اصطفاه عليكم و زاده بسطه أى سعه فى العلم و الجسم يدير بعلمه المملكة و شؤون القتال و يملأ بسطه جسمه الأبصار هيبه تناسب الملوك و مخائل القوه و الشجاعه و الله يؤتى ملكه من يشاء فلا اعتراض لكم فى ذلك و الله واسع فى فضله و رحمته أى واسع الفضل و الرحمه عليهم بما تقتضيه الحكمة فى كل مقام ٢٤٧

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٨

وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَ بَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَ آلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ (٢٤٨)

وَ قَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ فى مقام الاحتجاج و الدلاله على ان طالوت يكون ملكا عليهم و ذلك باصطفاء الله له إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ و الحججه التى تعرفون بها ذلك أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ الصندوق

فى مجمع البيان انه كان فى ايدى اعداء بنى إسرائيل غلبوهم عليه لما مرج امر بنى إسرائيل و حدث فيهم الأحداث ثم انتزعه الله من أيديهم و رده على بنى إسرائيل تحمله الملائكه و روى ذلك عن أبى عبد الله

فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ

فى تفسير القمى عن الرضا (عليه السلام) انها ريح

ص: ٢٢١

١- قال الطنطاوى فى الجزء الأول من تفسيره صفحه ١٩٠ فى كلام بنى إسرائيل مع نبيهم فى هذا المقام «قالوا ان طالوت ليس من بيت لاوى بيت النبوه و منه موسى و هارون و لا من بيت يهوذا بيت الملك و منه داود و سليمان»- إلى ان قال فأجابهم و أقول يا للعجب متى كان من قبل ان يملك طالوت لبيت يهوذا ملك و مملكه و متى كان قبل طالوت داود و سليمان ملكين لكى يذكر بنو إسرائيل ملوكيتهما لنبيهم و كيف و الذى يعرف من القرآن هو ان داود لما قتل جالوت كان رعيه فى جند طالوت و انظر إلى كلام المفسر فى صفحه ١٩١ و يقول الله فى سوره النمل و ورث سليمان داود و لم يذكر ان الاشراف من بنى إسرائيل احتجوا بسبطين من اسباطهم بل قالوا نحن أحق بالملك منه. و هل كان ذكرهم لملك يهوذا و داود و سليمان تنبئا عن المستقبل؟! إذن اى مؤرخ ذكر هذا التنبؤ منهم و ما هى قيمته التاريخيه؟!

من الجنة لها وجه كوجه الإنسان و نحوه فى مجمع البيان و الدر المنثور عن امير المؤمنين

و فى روايه معانى الأخبار عن يونس عن الرضا (عليه السلام) روح الله

لكن فى اصول الكافى فى صحيح محمد ابن مسلم عن الباقر (عليه السلام) السكينه الايمان. و نحوه فى صحيح حفص و هشام عن الصادق و نحوه فى صحيح أبى حمزه عن الباقر و زاد فى قوله تعالى وَ أَيْدُهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ قَالَ هُوَ الْإِيمَانُ وَ نحوه فى صحيح جميل عن الصادق (عليه السلام)

و الظاهر ان هذه التعبيرات تشبيهات و إشارات بحسب حال المورد و الخطاب و المخاطب فلعل السكينه أمرا يوجب الامنه و الطمأنينه جعله الله فى التابوت ليسكن اليه بنو إسرائيل فقد كان لهم بمنزله اللواء الأعظم فى الحروب و فى التبيان انه الأولى و استظهر نحو ذلك فى مجمع البيان و هو احدى روايات الدر المنثور عن ابن عباس وَ بَقِيَّتُهُ مِمَّا تَرَكَّ آلُ مُوسَى وَ آلُ هَارُونَ مِنْ آثَارِ النَّبِيِّ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ الْجَمَلَةُ حَالاً مِنْ يَأْتِيكُمْ وَ

فى روضه الكافى فى معتبره عبد الله بن سليمان (1) عن الباقر (عليه السلام) فى التابوت ما لفظه «و الملائكه كانت تحمله على صوره البقره»

أقول و على تقدير صدور هذا المروى عن الإمام (عليه السلام) يكون ما فى كتب اليهود صورته لما ذكره (عليه السلام) من الحقيقه. ففى الفصل السادس من كتاب صموئيل الاول فى الآيه و خرق العاده فى رجوع التابوت و هو ان المشركين لما انتهبوا التابوت من بنى إسرائيل أصابهم بلاء من الموت و الأمراض فأرادوا أن يردوا التابوت و يستعلموا من حاله و كرامته انه هل هو الذى سبب عليهم ذلك البلاء من الله فتبانوا على ان يجعلوه فى عجله و يربطونها ببقرتين مرضعتين صعبتين لم يعلمها نير و بعد ذلك يرجعون عنهما و لديهما إلى البيت فإن سارت البقرتان بالعجله على الهدو و الاستقامه عرفوا ان هذا الأمر الخارق للعاده من حال البقرتين إنما هو من آيات الله لبيان كرامه التابوت فسارت البقرتان بالتابوت و العجله على أحسن استقامه و معرفه للطريق إلى أن اوصلتا التابوت إلى بلاد بنى إسرائيل و بمقتضى الآيه الكريمه و الروايه الشريفه ان الملائكه كانت تتولى حمل التابوت بهذا الحمل الخارق للعاده فى تلك الصوره الظاهريه من تسخير البقرتين و فى مجمع البيان ذكر شيئاً فيه شبه لهذا و لم ينسبه إلى ء

ص: ٢٢٢

١- فإن الكافى يرويها بالسند الصحيح عن يحيى الحلبي عن عبد الله بن سليمان و قد شهد النجاشى و ابن أبى داود و العلامه بأن يحيى ثقة صحيح الحديث و قد ذكره عبد الله من اصحاب الباقر و لم يחדش فيه بشى ء

إمام. و ذكر في شرح روضه الكافي شيئا من تاريخ ابن الأثير وغيره من المفسرين و أقول ان تفاسير هذه الأمور اما ان تؤخذ عن النبي (صلى الله عليه و آله) او الإمام و إلا فلا لأن المؤرخين بل و المفسرين كما ذكرناه في المقام الثالث من الفصل الرابع من المقدمة ان منهم من يأخذ من النقل الافواهي المتقلب بالتحريف من اهل الكتاب الراجع إلى كتبهم من العهد القديم و هي التي كانت في ازمته المفسرين و المؤرخين باللسان العبراني و البابلي و اليوناني و هي ممنوعه عن غير اليهود و النصارى و يحرم في مذهب الفريقين ان يمكنوا منها حتى العوام منهم لكن بعد ان ظهرت في النصارى فرقه الانجيليين ترجموها بكل لسان و نشروها في البلاد فهذه الكتب على ما فيها من التحريف أقل تحريفا من الأنتقال المأخوذه عنها بالنقل الافواهي الذي لم يبين على الحفظ و الأمانه إن في ذلك أى فى اخبارى ياتيان التابوت حال كونه تحمله الملائكه لآيئه لكم تعرفكم نعمه الله و قدرته لتطيعوه و تعرفكم صدقى و إن طالوت جعله الله ملكا عليكم كل ذلك إن كنتم مؤمنين بالله و آياته و دلالتها حق الإيمان

فى تفسير القمى بسند صحيح عن الرضا (عليه السلام) كان إذا وضع التابوت بين المسلمين و الكافرين فإن تقدم التابوت رجل لا يرجع حتى يقتل أو يغلب فأوحى الله إلى نبيهم ان جالوت «و هو رئيس المشركين و شجاعهم» يقتله من يستوى عليه درع موسى اسمه داود بن اسى «و فى كتب اليهود فى العبرانيه «يسى» و كان اسى راعيا و كان له عشر بنين أصغرهم داود فلما جمع طالوت بنى إسرائيل للحرب بعث إلى اسى ان احضر ولدك فلما حضروا دعا واحدا واحدا منهم فألبسه درع موسى فمنهم من طالت عليه و منهم من قصرت عنه فقال لأسى هل خلفت من ولدك أحدا قال نعم أصغرهم تركته فى الغنم فبعث اليه فلما دعى أقبل و معه مقلاع فناداه ثلاث صخرات فى طريقه يا داود خذنا فأخذها فى مخلاته فلما جاء إلى طالوت ألبسه درع موسى فاستوت عليه ففصل طالوت بالجنود

سوره البقره (٢): آيه ٢٤٩

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اعْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهَ كَمَ مِنْ فَتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتْنَهُ كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)

٢٤٨ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ اى فلما ملك و جند جنوده فى معسكره و فصل بمعنى انفصل بجنوده عن المعسكر و محل التجمع و سار إلى محل الحرب قال لجنوده إن الله مَبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فى طريقكم ليتبين مطيعكم من عاصيكم فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي اى من اصحابى

المطيعين و لا من حزب الله و مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ أَى يذوقه فَإِنَّهُ مِئى اى من اصحابى و من حزب الله إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً وَاحِدَةً بِيَدِهِ فَإِنَّهُ مَسَامِحٌ فِى ذَلِكَ فَشَرِبُوا مِنْهُ وَ عَصُوا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ

و فى تفسير القمى عن الصادق (عليه السلام) ان الذين لم يشربوا و لم يعترفوا كانوا ثلاثمائة و ثلاثة عشر رجلا و نحوه عن تفسير العياشى عنه (عليه السلام) و ذكر فى الدر المنثور روايه ذلك عن البراء و ابن عباس

فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَ هُم جُنْدُهُ الَّذِينَ شَرِبُوا وَ الَّذِينَ لَمْ يَشْرَبُوا لِأَنَّهُمْ كُلُّهُمْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ غَيْرَ مُشْرِكِينَ وَ ان عَصَى بَعْضُهُمْ قَالُوا أَى قَالَ نَوْعُهُمْ لَا كُلُّهُمْ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ

و فى روضه الكافى فى الصحيح عن الباقر (عليه السلام) كما روى فى تفسير القمى عن الصادق (عليه السلام) ان الذين اغترفوا قالوا هذا القول و الذين لم يعترفوا هم الذين قال الله فيهم

قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ أَى الَّذِينَ لَمْ يَلْهَمُ الْأَمَلَ بَلْ قَرَبُوا الْمَوْتَ فِى كُلِّ حِينٍ إِلَى ظَنِّهِمْ شَوْقًا إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ بَرَفِ الْحِجَابِ الشَّهَوَانِى كَمَا قَدَمْنَاهُ فِى الْآيَةِ الثَّلَاثَةِ وَ الْأَرْبَعِينَ قَالُوا مِنْ قُوهِ إِيمَانِهِمْ وَ ثَبَاتِ عَزْمِهِمْ وَ حَسَنِ ظَنِّهِمْ بِاللَّهِ. وَ الْمُؤْمِنُ يَنْظُرُ بَعِينَ اللَّهِ كَمَنْ مِنْ فِتْنَةٍ أَى جَمَاعِهِ وَ فِرْقَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فَتَهُ كَثِيرَةٌ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ نَصْرِهِ

سوره البقره (٢): الآيات ٢٥٠ الى ٢٥١

وَ لَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَ تَبَّتْ أَعْدَامُنَا وَ انصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَ لَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَ لَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢٥١)

وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ٢٤٩ وَ لَمَّا تَهَيَّأُوا لِلْقِتَالِ وَ بَرَزُوا فِى مَوْقِفِ الْحَرْبِ لِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ لَمْ يَعْتَمِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَهْمَا بَلَّغُوا مِنَ الطَّاعَةِ وَ التَّفَانِى فِى سَبِيلِ اللَّهِ بَلْ قَالُوا فِى التَّجَائِهِمْ إِلَى اللَّهِ وَ دَعَائِهِ بِالتَّوْفِيقِ وَ التَّسْدِيدِ وَ النِّصْرِ لِإِظْهَارِ دِينِ الْحَقِّ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا الْإِفْرَاقِ الصَّبِّ شَبَّهُوا الصَّبْرَ بِالمَاءِ الَّذِى يَعْصِبُهُمْ عَلَيْهِمْ فَطَلَبُوا مِنَ اللَّهِ التَّوْفِيقَ لِلصَّبْرِ الْكَثِيرِ الْمَجْدِى بِحَيْثُ يَكُونُ كَمَا يُصَبُّ عَلَيْهِمُ الصَّبْرُ صَبًا وَ تَبَّتْ أَعْدَامُنَا عَلَى الْحَقِّ وَ الْجِهَادِ فِى سَبِيلِكَ وَ انصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ إِعْلَاءً لِدِينِ الْحَقِّ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ الْمَأْثُورِ ان هَزِيمَةَ الْكُفَّارِ كَانَتْ بَعْدَ ان قَتَلَ دَاوُدَ جَالُوتَ

و لكن آخر ذكر القتل ليجرى ما ذكر لداود من الفضائل على نسق واحد فإن ذلك ابلغ فى تمجيده و اظهر بيانا لعظمه النعمه عليه و قَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ الْمَهِيْبَ وَ الْحِكْمَةَ وَ عَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ كَفَصْلِ الْقِضَاءِ وَ النُّبُوهِ وَ الزُّبُوْرِ وَ عَمَلِ السَّابِغَاتِ وَ لَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ عَنِ الطُّغْيَانِ وَ الْإِفْسَادِ الْعَامِ بَعْضُهُمْ بِدَلٍ مِنَ النَّاسِ بَعْضٌ آخَرَ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ فَإِنَّ اللَّهَ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ خَلَقَ النَّاسَ مُخْتَارِينَ فِي أَعْمَالِهِمْ وَ مِنَ الْغَايَاتِ أَنْ يَتَمَتَّعُوا فِي الْأَرْضِ وَ يَحْصُلَ مِنْهُمْ النَّسْلُ وَ يَلِدَ الْكَافِرُ الْمُؤْمِنَ وَ الْفَاجِرُ الصَّالِحَ وَ قَدْ عَلَّمَ اللَّهُ أَنَّهُ يَكُونُ فِي النَّاسِ أَمْثَالُ يُزِيدُ وَ مُسْلِمٌ بِنِ عَقْبِهِ وَ الْحِجَااجُ وَ إِذَا خَلَّى السَّبِيْلَ لِأَمْثَالِ هَؤُلَاءِ مَلَأُوا الْأَرْضَ فَسَادًا وَ أَفْسَدُوهَا وَ أَنْ إِهْلَاكَ الْمَفْسُدِ وَ الْإِنْتِقَامُ مِنْهُ فِي الدُّنْيَا لَا يَرْتَدِعُ بِهِ مِنْ يَرِيدُ الْفِسَادَ الْعَامَ بَلْ يَعْذُونَ كُلُّ ذَلِكَ مِنْ سُنَنِ الْكُوْنِ وَ مَقْتَضِيَاتِ الْأَسْبَابِ الْعَادِيَةِ كَالْمَوْتِ الَّذِي لَمْ يَرْدِعِ النَّاسَ عَنْ غِيْهِمْ وَ أَنْ قَارِبُوهُ بِالشَّيْخُوخَةِ وَ الْمَرَضِ فَكَانَ مِنَ الرَّادِعِ لَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ لِلْمُؤْمِنِينَ بِدِفَاعِ الْمَفْسُدِينَ وَ وَجُوْدِ الْمُنَازَعِينَ مِنَ النَّاسِ لِلْمَفْسُدِينَ فِي أَغْرَاضِهِمْ فَكَانَ ذَلِكَ وَ مَا وَقَعَ مِنْ مَغْلُوْبِيَةِ الْمَفْسُدِينَ وَ مَقْهُورِيَّتِهِمْ عِنْدَ النَّزَاعِ دَافِعًا مِنَ اللَّهِ لَشُمُوْلِ الْفِسَادِ وَ كَانَ حِذْرُ الْمَفْسُدِينَ مِنْ صَوْلَةِ الْقُوَّةِ وَ ثَوْرِهِ النَّزَاعِ وَ فَوْزِ الْخِصْمِ رَادِعًا نَوْعِيًّا فِي الْغَالِبِ يُوْقِفُ الْفِسَادَ عَنْ طُّغْيَانِهِ الْعَامِ وَ لَكِنَّ اللَّهَ تَفَضَّلَ عَلَى الْعَالَمِينَ بِأَنْ مَنَعَ عُمُوْمَ الْفِسَادِ فِي الْأَرْضِ بِدِفْعِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ مَعَ بَقَاءِ الْحُكْمِ عَلَى مَوَاقِعِهَا فَاللَّهُ جَلَّتْ آلَاؤُهُ

سوره البقره (٢): الآيات ٢٥٢ الى ٢٥٣

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوْهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ (٢٥٢) تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَ رَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيْدِنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَ لَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَتَلُوا وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (٢٥٣)

ذُو فَضْلِ عَلَى الْعَالَمِينَ ٢٥١ تِلْكَ أَى قِصَصِ الْأُمُوْر الْمَذْكُوْرَةِ آيَاتُ اللَّهِ تَنْتَلُوْهَا عَلَيْكَ يَا رَسُوْلَ اللَّهِ بِالْحَقِّ وَ عَلَى حَقِيْقَتِهَا بِالْوَحْيِ الْإِلَهِيِّ وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ مِنَ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ لِتُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّوْرِ ٢٥٢ تِلْكَ الرُّسُلُ انْتِثَ الْإِشَارَةُ بِاعْتِبَارِ الْجَمَاعَةِ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ إِيَّاهُ وَ فَضَّلَهُ بِتَكْلِيمِهِ لَهُ كَمُوسَى وَ رَسُوْلَ اللَّهِ

فقد ورد مستفيضا عن الصادق (عليه السلام) ان التغير الذى يعتره (صلى الله عليه و آله) عند الوحي انما هو عند تكليم الله له بدون توسط جبرائيل كما روى

بل ان أحاديث المعراج عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) ناطقه بأن الله كلمه و ناجاه و ناداه كما فى تفسير القمى و بصائر الدرجات و علل الشرائع و امالى الصدوق و امالى الشيخ بأسانيدهم عن الكاظم و الصادق و الباقر و امير المؤمنين و ابن عباس كما روى اهل السنه ذلك فى حديث المعراج وَ رَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَ آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْمِعْجَزَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَ أَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ جِبْرِئِيلَ وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ ان يلجئ عباده على عدم الكفر و العصيان له و وافق ذلك حكمته لفعل فانه هو القادر القاهر و مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ أُمَّمِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِأَجْلِ خِفَاءِ الْحَقِّ عَلَى أَحَدِ الْفَرِيقَيْنِ وَ لَكِنْ اخْتَلَفُوا بِسَبَبِ اتِّبَاعِ الْهَوَى مِنْ بَعْضِهِمْ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ بِمَا جَاءَهُ مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ فَاقْتَتَلُوا وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَ لَكِنْ لِيَجْزِيَ الْمُؤْمِنِينَ جِزَاءَ الْمَجَاهِدِينَ فِي نَصْرِ الْحَقِّ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ مما يقتضيه اللطف و الحكمة

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٤

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَ لَا خُلَّةَ وَ لَا شَفَاعَةَ وَ الْكَاْفِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٥٤)

٢٥٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ ان أريد الإنفاق الواجب كما هو ظاهر الطلب فهو الزكاه إذ لا يعهد انفاق عام واجب غيرها و لا تخافوا الفقر فى انفاقكم فإن ما عندكم انما هو من رزق الله و هو رازقكم فاغتنموا الفرصه فى أموالكم فى دار الدنيا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ وَ هو يوم القيامة لا بَيْعَ فِيهِ فتبتاعون ما ينفعكم فيه وَ لَا خُلَّةَ تجدىكم فيه ان لم تكونوا من الذين اتقوا الله فيما أمرهم به و نهاهم عنه و قدموا لأنفسهم الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ كما فى سوره الزخرف وَ لَا شَفَاعَةَ إِلَّا لِمَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا وَ الْإِذْنَ بِاللَّهِ وَ لِمَنْ ارْتَضَى كما أشرنا اليه فى سوره الفاتحه فى الشفاعه وَ الْكَاْفِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ لأنفسهم إذ لم يتركوا لأنفسهم لذلك اليوم وسيله تؤهلهم لرحمه الله لهم و نجاتهم

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (٢٥٥)

٢٥٤ الله اسم و علم لواجب الوجود آله العالمين جل و علا- لا- إله إلا هو الإله هو الذات المقدسه المتصفه بصفات الإلهيه كوجوب الوجود و العلم و القدره و الخالقيه و غيرها فلا شىء متصفا بصفات الإلهيه و يستحق ان يسمى إلهها و له تحقق الا الله الحى الثابته له صفه الحياه و الدائمه بدوام ذاته و وجوب وجوده لذاته و معنى الحى واضح ظاهر القىوم مبالغه فى من قام بالأمر فإنه جلت آلاؤه هو القائم بإيجاد العالم و تدبيره و المبالغه باعتبار العموم و الدوام لا تأخذه لا تغلبه و تستولى عليه سنه بل و لا نومه السنه من الوسن و هو النعاس الذى لا يبلغ النوم و لكنه يغلب و يوجب الدهول و الغفله عن القيام بما يقام به من الأمور. و النوم معروف و يجوز ان لا تغلب السنه و لا تستولى بل يطرء النوم فيغلب و لكن الله جل شأنه زياده على انه لا تأخذه و لا تغلبه سنه لا- يأخذه و لا- يغلبه على قيوميته نوم و ان كان أقوى من السنه بكثير له ما فى السماوات من الموجودات و ما فى الأرض جميعا حتى السموات و الأرض كما تقول الملك له و تحت نفوذ ملوكيته ما فى العراق اى حتى ارض العراق و حدودها كما اكتفى القرآن فى هذا المعنى المتعارف فى المحاوره العرفيه بقوله له ملك السماوات و الأرض.

و لله ملك السماوات و الأرض كما فى نحو ثمانيه عشر موردا من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه فإن كل ما فى السموات و الأرض له و من خلقه فليس هناك من يتوهم كما يقول المشركون ان له استحقاقا طبيعيا للشفاعه و التأثير لتوهم تأليهه مع الله بأحد الوجوه التى يتوهمونها و منها الولاده و المظهرية تعالى الله عما يقولون لا إله الا هو و انما تكون الشفاعه لعبد مقرب بإذن الله له بها تشريفا له و إعلاء لقدرة عباده الصالحين المطيعين له و ترغيبا للناس فى الطاعه و ما لها من علو الدرجات يعلم ما بين أيديهم و ما خلفهم اى الملائكه و الجن و الإنس من العقلاء الذين يصح نفى الشفاعه عنهم و إثباتها لهم بوجه و المراد مما بين أيديهم و ما خلفهم ما مضى و ما هو آت و لا يحيطون بشىء من علمه اى مما يعلمه إلا بما شاء و علمه لعباده و فتح لهم باب إدراكه وسع

روى الصدوق فى توحيده بسنده عن المفضل عن الصادق (عليه السلام) ان العرش هو العلم الذى اطلع الله عليه أنبياءه و حججه و الكرسي هو العلم الذى لم يطلع عليه أحدا

و بسنده عن حفص بن غياث عنه (عليه السلام) عن الكرسي فى الآية قال (عليه السلام) علمه

و بسنده عن عبد الله بن سنان عنه (عليه السلام) فى الكرسي او العرش هو العلم الذى لا يقدر احد قدره و فى مجمع البيان ان هذا مروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام) و فى التبيان و هو مروى عنهما

و فى الدر المنثور ذكر جماعه أخرجه عن ابن عباس و ذكر جماعه أخرجه عن أبى الاشعري قال الكرسي موضع القدمين و له اطيح كاطيح الرحل.

و جماعه اخرجوا عن ابن مسعود عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى المقام المحمود قال ذلك يوم ينزل الله على كرسيه يأت منه كما يأت الرحل الجديد من تضايقه.

و جماعه اخرجوا عن عمر عن رسول الله انه قال ان كرسيه وسع السموات و الأرض و ان له أطيحا كاطيح الرحل الجديد إذا ركب من ثقله ما يفضل منه اربع أصابع.

هذا و لما بين الله جل شأنه ان له ما فى السموات و الأرض شاء ان يبين احاطه علمه و سلطه تدبيره بجميع ما هو له و ملكه فناسب التقريب لادراكنا القاصر بالتمثيل بالجسمانيات المألوفه لنا فشبّه الإحاطه و السلطه بما لو كانت بحسب التخيل فى كرسي الملك. و على ذلك جرى تعبير الأئمه عليهم السلام فى السموات و الأرض انها فى الكرسي و لا- يَزُودُهُ يثقله و يشق عليه حِفْظُهُما اى النوعين من السموات و الأرض و كيف وَ هُوَ الْعَلِيُّ فى شأنه و قدرته و علمه الْعَظِيمُ فى سلطانه و جلاله

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٦

لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)

٢٥٥ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قد مر تفسير الدين فى الآية التاسعه و الثمانين بعد المائة و ليس الدين بشىء يخفى على الناس مجد حقيقته و كرامه كماله لكى يراد منهم بالإكراه كيف و هو دين الفطره مستقيم صراطه واضح منهجه مشرقه ارجاؤه منيره اعلامه بينه آياته هاديه دلائله قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ بدلاله العقل و الفطره و تتابع المعجزات و توارد الحجج و ان تعامى عنها المعاند له حتى أعمى عناده قلبه و عين بصيرته فَمَنْ يَخَالَفُ هَوَاهُ و يتبع عقله و بينات فطرته و يَكْفُرُ بِالطَّاغُوتِ الطَّاغُوتِ مأخوذ من الطغيان. و قد ذكر هذا اللفظ فى القرآن الكريم ثمان مرات ففى بعضها يكون مسماها خبرا للجمع و يعود عليه ضمير الجمع كما فى أَوْلِيَائِهِمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ

فى الآيه. و فى بعضها الضمير المؤنث الظاهر فى الجماعه كما فى يَعْْبُدُوهَا فى التاسعه عشره من سوره الزمر. و فى بعضها ضمير المفرد كما فى الثالثه و الستين من سوره النساء. و فى بعضها أشير اليه بهؤلاء كما فى الرابعه و الخمسين من سوره النساء. و فى النهايه و القاموس تكون للواحد و الجمع و ذكر اللغويون انه يقال طاغوت للصنم و الشيطان و رأس كل ضلال. و الطاغوت مأخوذ من الطغيان اما باعتبار كونه سببا كبيرا لطغيان الضلال كالأصنام. و فى النهايه و منه

الحديث هذه طاغيه دوس و خثعم اى صنمهم و معبودهم

و أما باعتبار طغيانه فى اغوائه و تمرده و دعوته الى الضلال كالشيطان و رؤساء الضلال. ففى كل مقام من القرآن الكريم يراد من الطاغوت ما يناسب سوقه. و المناسب للمقام هو الأصنام او دعاه الشرك او الشياطين و معنى يكفر بالنسبه لكل من الأخيرين يخالفه فى اغوائه بالشرك و يتبرأ منه و من اتباعه وَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ اى احكم تمسكه بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى التى هى أوثق العرى فإنها لما انفصام لها ابداء و ليس فى الإيمان بالله منشأ تردد او ريب او وهن فى الحجه وَ اللَّهُ سَمِيعٌ لَأَقْوَالِكُمْ فى الإيمان به عَلِيمٌ بنياتكم

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٧

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٥٧)

٢٥٦ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا اى هو المدبر الأولى و الاحق بتدبيرهم فيما هو الأصلح لهم بلطفه و ان كان لطفه جلت آلاؤه بالدلاله و الإرشاد عام لكل البشر و لكن خص الذين آمنوا بالذكر لأنهم لم يعاندوا الحق و لم يخرجوا أنفسهم عن الأهليه لتوفيق الله لهم الى الحق و الإيصال الى المقام السامى فهو يُخْرِجُهُمْ بتوفيقه مِنَ الظُّلُمَاتِ ظلمات الضلال و المعاصى إِلَى النُّورِ نور الهدى و الطاعه ٢٥٧ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا و عاندوا الحق و اخرجوا أنفسهم عن الأهليه للطف الله و ولايته فى تدبير شؤونهم بالتوفيق و التسديد و قد تولوا الطاغوت فهم اذن أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمُ الظاهر من الضمير اراده المغوين على الكفر و المغرين بالضلال كالشياطين و رؤوس الضلال فإنهم يخرجونهم مِنَ النُّورِ نور التوفيق و الوصول الى الحق إِلَى الظُّلُمَاتِ ظلمات الخذلان و الكفر و الضلال أُولَئِكَ الكافرون أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٢٥٨)

فيها خالطون ٢٥٨ أَلَمْ تَرَ المراد الم تعلم كما ذكرنا قريبا إلى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ المحاجه تشمل الجدل وإن كان داحضا. و الظاهر ان المحاج هو النمرود الملك. و

في مجمع البيان ان هذه المحاجه. كانت قبل إلقاء ابراهيم في النار عن الصادق

قلت و لم أجد روايتها.

و في تفسير القمى لا بعنوان الروايه و الدر المنثور عن السدى انها بعد ذلك. و قد جرّاه على محاجه ابراهيم بالباطل طغيانه و عتوه و بطره أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ اى لأن الله أتاه الملك في الدنيا و املى له فحاج ابراهيم إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ و الهى هو الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ نمرود أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ قيل انه صرف الكلام عن وجهه حيث قال له ابراهيم كيف تحيى و تميت قال اعمد الى رجلين قد وجب عليهما القتل فأخلى عن واحد و اقتل الآخر فأكون قد أحييت و أمت قال القمى في تفسيره لا بعنوان الروايه و أورد نحوه في الدر المنثور روايه عن ابن عباس أقول مقتضى الآيه و محاجه نمرود لإبراهيم في ربه هو انه لم يدع كونه شريكا لله ليقول انا ايضا احيى و أميت مثل الله و يغالط في ذلك بان يقتل احد الشخصين و يستحيى الآخر بل انه ينكر رب ابراهيم و يدعى الإلهيه لنفسه فيكون قوله أنا احيى و أميت مصادر جزافيه يريد بها الاحياء و الموت اللذين قالهما ابراهيم فأراد ابراهيم ان يسد باب المصادر بالدعاوى السخيفه الباطله و لذا قال إِبْرَاهِيمُ ان كنت قادرا على الاحياء و الإماته كما تزعم فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ و القادر على الاحياء و الإماته قادر على التصرف بالشمس فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ اى نمرود الكافر بالله أو نوع الذى كفر من الحاضرين نمرود و اذنايه و بهت بالبناء للمفعول فهو مبهوت وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي اى لا يوفق و لا يوصل بلطفه الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ بل يتركهم و أهواءهم. و من المعلوم ان القرآن الكريم لا- تتعلق أغراضه الكريمه في نهجه المجيد بالقصص من حيث تاريخيتها و إنما يذكرها للموعظه و ضرب المثل و غير ذلك من الأغراض الحميده فكأنه قيل أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ إِلَى آخر الآيه فإن من

الناس من يكون في عناده و ضلاله و مكابرتة للحق الواضح كهذا

سوره البقره (٢): آيه ٢٥٩

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَ انظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَ انظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٥٩)

٢٥٩ أو يكون في غفله عما يعتقد به بإيمانه كالذي مرَّ على قَرْيَةٍ

روى القمى في تفسيره و الطبرسى في احتجاجه عن الصادق (عليه السلام) انه ارميا النبي

و في تفسير البرهان عن امير المؤمنين (عليه السلام) انه عزيز

و في الدر المنثور عن امير المؤمنين و صححه الحاكم و عن ابن عباس بعده طرق انه عزيز

فلا مساغ لصاحب الكشاف في اختياره ان صاحب القصة كافر و قد كفانا ابن المنير في حاشيته مؤنه الرد لما استند اليه الكشاف في دعواه وَ هِيَ خَاوِيَةٌ أى ساقطه أعاليها كقوله في سوره الحاقه فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صِرَعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ عَلَى عُرُوشِهَا أى سقوفها و يقال العرش للسرير و ارادته هنا ممكنه. و قيل معنى خاويه خاليه و فى المصباح و القاموس خوت الدار خلت من أهلها لكن يكون على هذا فى اعراب على عروشها تكلف بعيد عن كرامه القرآن قَالَ أَنَّى كَيْفَ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا

فى روايه القمى فى تفسيره عن الصادق فنظر إلى السباع تأكل الجيف فقال

أنى يحيى الله هذه بعد موتها. و فى روايه الدر المنثور عن ابن عباس فى ذكر القرية قد باد أهلها و رأى عظاما فقال أَنَّى يُحْيِي الآيه و لا يخفى ان الظاهر من لفظ يحيى و موتها و قصه موت القائل و احيائه و الاحتجاج عليه بذلك هذه كلها تشير و تومى إلى المشار اليه بكلمه «هذه» و هى الأجساد او العظام و استغنى عن ذكرها بدلاله المقام و إشارات الآيه كما فى قوله تعالى قبل آيات فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ و كثير من نحو ذلك فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ لا يخفى ان الظاهر من الآيه هو المعنى الحقيقى للموت مع ان روايه القمى عن الصادق (عليه السلام) و روايه الدر المنثور التى صححها الحاكم عن امير المؤمنين و رواياته الأخر عن ابن عباس و الحسن و وهب هذه كلها صريحه فى ان هذا الشخص قد مات و تلاشت اجزأوه و تفرقت فأحياه الله بأن جمعها و كسا عظامه. و لكن المفسر المصرى المعاصر قال ما حاصله ان الإمامته و الموت هنا عباره عن فقد الحس و الإدراك و هو المسمى بالسبات لا مفارقه الروح للبدن و لم يحضرنى الجزء الأول من تفسيره لكى أراه ماذا يقول فيما مر من قوله تعالى ٥٣ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ فى موتك هذا قال

لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتُ مِائَةَ عَامٍ وَ قَدْ أَظْهَرْتَ الْمَشِيئَةَ الْإِلَهِيَةَ لَكَ شَيْئًا مِنْ خَارِقِ الْعَادَةِ وَ دَلَائِلَ الْقُدْرَةِ عَلَى أَحْيَاءِ الْمَوْتَى وَ ان تفرقت أوصالهم فَأَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ لَمْ يَتَأَثَّرْ بِالسِّنِينَ الْمَتَطَاوِلَةِ فَإِنْ مَقْتَضَى الْعَادَةَ ان تَتَابَعِ عَلَيْهِ تَغْيِيرَاتِ السِّنِينَ إِلَى ان تَلَاشِيهِ فِي أَثْنَاءِ الْمِائَةِ عَامٍ فِيهِذِهِ الْقُدْرَةَ يَحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَ أَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ تَكَرَّرَ الْأَمْرُ بِالنَّظَرِ يَشِيرُ إِلَى انْتِقَالِ الْكَلَامِ إِلَى وَجْهِهِ أُخْرَى تَدُلُّ عَلَى طَوْلِ لَبْثِهِ فِي الْمَوْتِ وَ هِيَ ان حِمَارَهُ قَدْ أَفْنَتْهُ السِّنِينَ وَ بَادَتْ اجْزَاؤُهُ وَ تَفَرَّقَتْ عِظَامُهُ كَمَا صَرَحَتْ بِهِ الرِّوَايَاتُ الْمَشَارِإِلَيْهَا وَ لِنَجْعَلَنَّكَ آيَةً لِلنَّاسِ إِي امْتِنَاكَ وَ بَعَثْنَاكَ بَعْدَ الْبَلَاءِ لِتَرَى بِالْعَيَانِ كَيْفَ يَحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَ لِنَجْعَلَنَّكَ آيَةً وَ مَوْعِظَةً لِلنَّاسِ فِي أَحْيَاءِ الْمَوْتَى وَ قُدْرَةِ اللَّهِ. وَ هَذَا ظَاهِرٌ مِنْ وَجُودِ وَائِ الْعَطْفِ وَ سِيَاقِ الْكَلَامِ وَ أَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنَشِّرُهَا بِالزَّائِ الْمَعْجَمَةِ وَ ضَمِّ النُّونِ الْأُولَى إِي نَجْعَلُهَا بَعْدَ تَفَرُّقِهَا بِالْبَلَاءِ يَرْتَفِعُ وَ يَنْشِزُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضِ الْبَلْتَرَكِيبِ. وَ قَدْ نَصَّتِ الرِّوَايَاتَانِ الْمَشَارِإِلَيْهِمَا عَلَى عِظَامِهِ وَ عِظَامِ حِمَارِهِ. وَ إِمَّا عِظَامَ أَهْلِ الْقَرْيَةِ فَلَمْ يَعْرِفْ أَحْيَاؤَهَا ثُمَّ نَكَّسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ مَا ذَكَرَ قَالَ أَعْلَمُ يَعْرِفُ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يَقُلْ الْآنَ عَلِمْتَ أَنَّهُ عَالِمٌ بِذَلِكَ وَ أَنَّهُ يَعْلَمُ بِالْعِلْمِ الْمُسْتَمِرِّ وَ بِهِذِهِ الْمَشَاهِدَاتِ تَأَكَّدَ عِلْمَهُ

سورة البقرة (٢): آية ٢٦٠

وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَ لَكِنْ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ إِيَّاكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٢٦٠)

أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٣٦٣ وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى جَرَتْ فِي ذَلِكَ شُؤُونَ وَ يَدُلُّ عَلَى تِلْكَ الشُّؤُونَ وَ يَفْسِرُهَا مَا فِي الْآيَةِ وَ هُوَ قَالَ اللَّهُ لَهُ بِالْإِسْتِفْهَامِ التَّفْرِيرَى أَوْ لَمْ تُؤْمِنْ بِقُدْرَتِي عَلَى أَحْيَاءِ الْمَوْتَى وَ إِي أَحْيَاهَا وَ قَالَ إِبْرَاهِيمَ بَلَى إِي مَوْمِنٌ بِذَلِكَ وَ لَكِنْ لِلْعَيَانِ أَثْرٌ كَبِيرٌ فِي الْإِطْمِئْنَانِ وَ رَسُوخِ الْعِلْمِ فِي الْقَلْبِ فَطَلَبْتُ الرَّؤْيَةَ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي

وَ يَزِدَادُ يَقِينِي بِسَبَبِ الْمَشَاهِدَةِ بِمَا آمَنْتُ بِهِ كَمَا فِي رِوَايَةِ الْكَافِي فِي أَوَّلِ بَابِ الشُّكِّ مِنْ أَصُولِهِ وَ الصَّحِيحَةِ عَنِ الْمُحَاسِنِ

قَالَ اللَّهُ لَهُ وَ إِذَا كُنْتَ تَطْلُبُ الرَّؤْيَةَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ إِيَّاكَ بِضَمِّ الصَّادِ وَ سُكُونِ الرَّاءِ بِمَعْنَى اْمَلْهُنَّ وَ اجْمَعْهُنَّ إِيَّاكَ. وَ قِيلَ مَعْنَاهُ فَفَقَطْعُهُنَّ وَ لَكِنْ لَا مَعْنَى لِتَعْلِيقِ إِيَّاكَ بِهِ وَ إِمَّا

تعلقها بقوله تعالى فَخُذْ مَعِ وجود الفاصل الكثير و التفرع بالفاء فلا مساغ له فى فصيح الكلام.

و الأخذ ليس مساوقا للإماله و الضم اليه بل هو أعم ثمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا و هذا كاف فى الدلاله على سبق الأمر بالتقطع. و قد تعددت الروايات الصحاح

و المعتبره عن الباقر و الصادق و الرضا عليهم السلام فى ان الجبال كانت عشره كما احصى غالبها فى الوسائل فى باب الوصيه بالجزء

ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا تَيْنَكَ سَيِّغًا و قد اكتفى بذكر هذا الوعد عن ذكر الوقوع لما هو معلوم من قدره الله و انه لا خلف لوعده و اعلم اي و ليتأكد علمك أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ بِقَدْرَتِهِ حَكِيمٌ فى اعماله

سوره البقره (٢): الآيات ٢٦١ الى ٢٦٢

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَ لَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٦٢)

٣٦٠ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ اى ان المثل الذى يضرب لهؤلاء فى جزائهم المضاعف من الله و نتيجه إنفاقهم المباركه هو كمثل حَبَّةٍ اى كالمثل الذى يضرب بحبه أَنْبَتَتْ من اسناد الفعل الى بعض أسبابه سَبْعَ سَنَابِلَ فى كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٍ و ليس ذلك فرضا موهو ما كأنياب الأغوال بل هو كثير مشاهد مرئى و إن كان قليلا بالنسبه إلى نوع الزرع الكثير و كثيرا ما يشاهد ان الحبه يخرج منها اكثر من سبع سنابل بل و عشر و عشرين و كثيرا ما شوهد فى قطرنا فى السنبل القوى الجيد من الحنطه و الشعير تبلغ الثمانين حبه وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ بحسب نيته و إخلاصه و إقباله على الخير وَ اللَّهُ وَاسِعٌ فى رحمته و قدرته و جزائه عَلِيمٌ بأعمال عباده و نياتهم فيها و وجوها و لا يخفى ان سبيل الله غير مختص بالجهاد.

و فى مجمع البيان ان الآيه عامه فى النفقه فى أبواب البر و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

قلت و إن قوله تعالى وَ اللَّهُ وَاسِعٌ مع سوق الآيه يعطى

ان الجزاء المضاعف غير مختص بالإنفاق بل يعم اعمال الخير كلها كما روى فى محاسن البرقى فى صحيحه عمر بن يزيد و عن امالى الشيخ و تفسير العياشى فى معتبره الواشى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

٢٦١ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبَعُونَ مَا أَنْفَقُوا بعد إيصاله لمن أعطوه إياه مَنًّا المن معروف

و هو ان يتناول المعطى على من أعطاه بأنه أعطاه و منه قوله ألم أعطك ألم أحسن استطاله عليه لا فى مقام ما يرجح من التنصل من القطيعه و البخل و لا أذى بسبب الإعطاء لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ بيان لأن الجزاء المضاعف المذكور فى الآيه السابقه هو اجر للمنفقين على إنفاقهم و ذلك هنا فى نفوس العامه و فيه ترغيب لهم و ان كان تفضل الله هنا عند الخواص و أقرب الى الكرامه

سوره البقره (٢): الآيات ٢٦٣ الى ٢٦٤

قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صِهْلًا لَا يَحْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٢٦٤)

و لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ ٢٦٢ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فى الاعتذار غير منكر و لا مستوحش كأن يتلطف بالكلام فى رد السائل و الاعتذار منه و الدعاء له و مَغْفِرَةٌ لما يصدر منه من الحاف أو إزعاج فى المسئله خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ يعنى السائل من سعته و لكنه لأجل مصالحكم فى الدنيا و الآخره استقرضكم فى الصدقه و إعطاء السائل حَلِيمٌ فعليكم يا عباده بالحلم و الغفران لما يبدر من السائل. و قد أكد الله إرشاده فى امر الإنفاق و الصدقه فقال جلت آلاؤه ٢٦٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى و تكونوا قد أنفقتم أموالكم و لم تبقوا لكم عند الله شيئا من الأجر و الثواب فإن مفسده المن و الأذى و رذيلتها تذهب بفضيله صدقاتكم و إن قصدتم بها القربه فى حينها فأنتم فى ذلك كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ الرِئَاءِ و الرياء و المرءاه مأخوذه من الرؤيه و هو ان يعمل الإنسان العمل لا- لحسنه و لا- لوجه الله بل لأن يراه الناس تباها به و لا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ لكى يطلب ما عند الله فَمَثَلُهُ اى مثل المرائى المنافق الذى لا- يؤمن بالله فى انه لا- خير فيه و لا- فى إنفاقه كَمَثَلِ صَفْوَانٍ الصَّفْوَانِ كالصفا هو الصخر الأملس عَلَيْهِ تُرَابٌ يخيل انه ارض نافعه صالحه للنبات فَأَصَابَهُ وَابِلٌ اى مطر عظيم القطر شديد الوقع فجرف ذلك التراب عن ذلك الصفوان فَتَرَكَهُ صَفْوَانًا مجردا صِهْلًا اى صلبا أملس لا يصلح لنتيجته لا يَقْدِرُونَ اى المراءون بانفاقهم الذى أشير اليه بالآيه على شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا على فائده

مما أنفقوه و كان مما كسبوه و تعبوا فى كسبه و جمعه فلا يقدرولن لا على شىء من عينه و لا من ثوابه فذهب عليهم بريائهم و نفاقهم هدرا و ذلك أشد لحسراتهم و الله لا يهدى و لا يوصل إلى الهدى بتوفيقه القوم الكافرين فإنهم أخرجوا أنفسهم بنفاقهم عن اهليتهم للتوفيق

سوره البقره (٢): الآيات ٢٦٥ الى ٢٦٦

وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ تَثْبِيثًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٢٦٥) أَيْ يُوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَ لَهُ ذُرِّيَّتُهُ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ (٢٦٦)

٢٦٤ وَ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَ تَثْبِيثًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَى و لَأَن يَثْبِتُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَ طَلَبِ رِضَاةِ اللَّهِ. فَإِنَّ بَذْلَ الْمَالِ عِنْدَ نَوْعِ النَّاسِ صَعْبٌ وَ أَنَّ سَهْلَةَ عَلَيْهِمُ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ وَ يُقَالُ إِنَّ نَوْعَ الْأَعْرَابِ كَانُوا يَسْتَصْعِبُونَ الزَّكَاةَ وَ يَعِدُونَهَا كَالْآتَاوَةِ فَالَّذِينَ يَسْمَحُونَ بِأَمْوَالِهِمْ وَ يَنْفِقُونَهَا ابْتِغَاءَ رِضَاةِ اللَّهِ يَكُونُ لَهُمْ مِنَ الْغَايَاتِ الْحَمِيدَةِ تَثْبِيثٌ أَنْفُسَهُمْ عَلَى الطَّاعَةِ وَ عَمَلِ الْخَيْرِ. وَ دُخُولُ «مِنْ» الْجَارِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مَعَ أَنَّهَا مَفْعُولٌ لِلتَّثْبِيثِ مِثْلُهُ شَائِعٌ فِي اللَّغَةِ كَقَوْلِهِمْ رَوْضٌ مِنْ عَرِيكَتِهِ وَ هَزَمِنْ عَطْفِهِ وَ لَعَلَّ السَّرَّ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَذَا الْمَنْفِقُ يَنْفِقُ مِنْ نَفْسِهِ قَدْ رَوْضَهَا وَ ثَبَّتَهَا فِي الْجُمْلَةِ عَلَى الطَّاعَةِ حَتَّى سَمَحَتْ لِلَّهِ بِالْمَالِ الْعَزِيزِ عِنْدَهَا فَهُوَ يَجْعَلُ مِنْ مَقْاصِدِهِ فِي الْإِنْفَاقِ تَثْبِيثًا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَ ابْتِغَاءَ رِضَاةِ اللَّهِ بِالنِّسْبَةِ لِلْمُسْتَقْبَلِ مِنَ الْأَزْمَانِ وَ الْحَالَاتِ وَ بِهَذَا الْاِعْتِبَارِ يَكُونُ هَؤُلَاءِ الْمَنْفِقُونَ الْكِرَامَ كَأَنَّهُمْ يَثْبِتُونَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بَعْضَهَا فَمِثْلَهُمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بَسْتَانٍ بِرَبْوَةٍ أَرْضٌ مَرْتَفَعَةٌ لِأَنَّهَا تَكُونُ أَزْكَى شَجَرًا وَ أَحْسَنَ ثَمَرًا وَ أَتْقَى هَوَاءَ لِسَلَامَتِهَا مِنْ وَخَامَةِ الْمُسْتَنْقَعَاتِ وَ نَزْ الْأَرْضِ وَ إِضْرَارِ ذَلِكَ بِالشَّجَرِ وَ الثَّمَرِ أَصَابَهَا وَابِلٌ تَقْدِمُ تَفْسِيرَهُ وَ مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ سَقَى الْمَطَرِ لِلْبَسْتَانِ بَلْ كُلِّ زَرْعٍ أَحْسَنَ لِنَتْمِيتِهَا وَ جُودَهُ تَرْبِتِهَا مِنْ كُلِّ سَقَى فَآتَتْ أُكُلَهَا أَى ثَمَرَهَا الْمَأْكُولَ ضِعْفَيْنِ لَمَّا تَوْتِيَهُ إِذَا سَقِيَتْ بِغَيْمِ الْمَطَرِ فَإِنَّ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ يَكْفِيهَا فِي ذَلِكَ لِحُجُودِهِ مِنْبَتِهَا وَ أَنَّ كَانَ مَطَرًا صَغِيرًا الْقَطْرَ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ وَ مِنْهُ انْفِاقُكُمْ بِحَسَبِ نِيَاتِكُمْ بِصِيْرَةٍ ثُمَّ كَرَّرَ الْمَثَلَ فِي الزَّجْرِ عَنِ ابْطَالِ الصَّدَقَةِ بِالْمَنْ وَ الْأَذَى بِقَوْلِهِ تَعَالَى ٢٦٥ أَيْ يُوَدُّ أَحَدُكُمْ وَ كَيْفَ يُوَدُّ مِنْ ذَا الَّذِي يُوَدُّ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنَابٍ وَ مِنْ حَيْثُ بِهِجَهُ مَنْظَرُهَا وَ دَوَامَ سَقِيَّتِهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

حال كونه لهُ فيها زياده على النخيل و الأعناب الذين تكون ثمراتهما فاكهه و غله و قوتا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ التي يستغل و يتفكه بها وَ هو في زمان و حال يكون فيهما احرص ما يكون على هذه الجنه حيث انه أَصَابَهُ الْكِبَرُ و الشيخوخه و انقطع عن الكسب و شب فيه الحرص وَ لَهُ زياده على ذلك دُرِّيَّةٌ ضِعْفَاءُ يحرص على الإنفاق عليهم و على توريثهم فَأَصَابَهَا أَى تلك الجنه العزيزه إِعْصَارٌ فِيهِ نَارُ الْعِصَارِ رِيحٌ تَرْفَعُ بَتْرَابَ فِتْلَتِهَا وَ تستدير و تقلع الشجر و النخل بقوتها فَاحْتَرَقَتْ تلك الجنه العزيزه بالنار و تلاشت بالاعصار. و إذا كان أحدكم لا- يود ذلك بل هو عليه من أعظم المصائب فلما ذا يسلط نار المن و الأذى في اعصار جهله و يحرق بها إنفاقه و يبطله مع ان الحاجه إلى ثمراته أشد من الحاجه إلى تلك الجنه من ذلك المحتاج كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ أَى لغايه ان تتفكروا فتعرفوا رشدكم

سوره البقره (٢): آيه ٢٦٧

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (٢٦٧)

٢٦٦ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ بِالتَّجَارَةِ وَ نحوها وَ مِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ

من المعادن و بالزراعه و الظاهر ان المراد مطلق الإنفاق في سبيل الله سواء كان في الزكاه أم في غيرها و المراد بالطيب هو غير الردى في ذاته او بحرمة كما فسر بالأمرين المذكورين في روايات الكافي عن أبي بصير عن الصادق (عليه السلام) و روايات العياشى عن عبد الله بن سنان و أبي بصير و رفاعه عن الصادق (عليه السلام) و عن زراره و أبي الصباح عن الباقر (عليه السلام) و نحوها روايات الدر المنثور

و من ذلك يتأكد ظهور الآيه في المعنى الأعم من الطيب بالحل و الجوده او بالجوده المقابل للرداءه و الخبث و لا تَيَمَّمُوا و لا تقصدوا الْخَبِيثَ و تعدلوا اليه عن الطيب مع خبثه بالرداءه أو بالحرمة بالمعنى المقابل للطيب بالمعنى العام المتقدم مِنْهُ تُنْفِقُونَ و تجعلون انفاقكم منه مع وجود الطيب و اما من لم يعدل عن الطيب إلى الخبيث بل كان كل ماله رديا قبل منه في الزكاه و شكر على الإنفاق منه وَ لَسْتُمْ بِآخِذِيهِ الْوَاوِ لِلْحَالِ و الجملة لرفع المغالطه في مصداق الخبيث أَى انكم لا- تأخذونه في حقوقكم و هداياكم و صلاتكم إِلَّا ان تنازلوا و تتساهلوا في

رداءته وخبثه و أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ كِنَايَه عَنِ التَّنَازُلِ الْمَذْكُورِ كَمَنْ يَغْمِضُ عَيْنَيْهِ لثَلَاثِ يَرَى خَبْثَهُ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَيْبٌ عَنِ انْفِاقِكُمْ عَلَى عِبَادِهِ وَ هُوَ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ وَ إِيَاهُمْ وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ حَمِيدٌ أَيْ مَحْمُودٌ عَلَى نِعْمَائِهِ وَ آيَاتِهِ الْعَامَّةِ وَ لَكِنَّهُ شَرَعَ لَكُمْ الْإِنْفَاقَ وَ طَلَبَهُ مِنْكُمْ لِأَجْلِ مَصَالِحِكُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ فَلَا يَجْرِمُكُمْ الشَّيْطَانُ بِإِغْوَائِهِ عَظِيمٍ فَضَّلَ الْإِنْفَاقَ

سوره البقره (٢): الآيات ٢٦٨ الى ٢٦٩

الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَ اللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلًا وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦٨) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٢٦٩)

(٢٦٧) الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَخُوفُكُمْ بِهِ لثَلَاثًا تَنْفَقُوا وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ الَّتِي لَا يَخْفَى عَلَيْكُمْ كَوْنُهَا فَحْشَاءً فَاعْرِفُوا بِهَذَا عِدَاوَتَهُ لَكُمْ وَ خَبْثَهُ وَ خِدَاعَهُ فِيمَا يَعِدُكُمْ وَ يَخُوفُكُمْ بِهِ وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ لَكُمْ فِيمَا فَرَطْتُمْ بِهِ وَ فَضْلًا أَيْ زِيَادَةً فِي نِعْمَتِهِ وَ رَحْمَتِهِ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ فِي فَضْلِهِ وَ رَحْمَتِهِ أَيْ وَاسِعَ الْفَضْلِ وَ الرَّحْمَةِ عَلَيْهِمُ بَانْفَاقِكُمْ وَ نِيَاتِكُمْ فِيهِ (٢٦٨) يُؤْتِي الْحِكْمَةَ فِي التَّبَيُّانِ وَ مَجْمَعِ الْبَيَانَ فِي مَعْنَى الْحِكْمَةِ. وَ

قيل و هي القرآن و الفقه و هو المروى عن أبي عبد الله (عليه السلام) انتهى

و الذي وجدته

عن تفسير العياشي عن الصادق (عليه السلام) ان الحكمة المعرفة و التفقه في الدين.

و في تفسير البرهان عن الصادق (عليه السلام) الحكمة ضياء المعرفة و ميزان التقوى و ثمره الصدق.

و في الكافي في باب معرفة الإمام في الصحيح عن الصادق طاعه الله و معرفه الإمام و عن المحاسن نحوه

و عن الكافي أيضا عن الصادق (عليه السلام) معرفة الإمام و اجتناب الكبائر

و في روايات الدر المنثور عن ابن عباس ان الحكمة النبوه او فقه القرآن أو المعرفة به ناسخه و منسوخه و محكمه و متشابهه و مقدمه و مؤخره و حلاله و حرامه و أمثاله. أقول و لعل ذلك باعتبار ما هو أعم نفعاً و أعظم من مصاديق الحكمة فانها ما ينفع من العلم بالحقائق. و من المؤلم و المؤسف ان اسم الحكمة شاع استعماله «مثلاً سمي اللديغ سليماً» بالفلسفه اليونانيه و منها مزاعم العقول العشره تلك المزاعم التي جحدت مقام الله الجليل في الإلهيه بنحو لم تجرأ عليه الوثنيه بل هي عباره مموهه عن الطبيعه إذ لم تسمح لله إلا بأنه علل العقل الأول بالتعليل الطبيعي بلا اراده منه و لا اختيار فلا اراده و لا خلق و لا مشيئته له ايضاً في غير العقل الأول من الموجودات و لا سنخيه و لا ربط خلافاً لدلاله العقل و القرآن الكريم على ان الله خالق الخلق بمشيئته و ان العالم صادر عن خلق و اراده ان التشبثات

لهذه المزاعم مردوده بالحل و النقض و لزوم التناقض و سخافه ابتنائها فى عدد العقول على موهومات الهيئه القديمه فى الأفلاك و حصر عددها بالتسع و قد أشير إلى شىء من ذلك فى فصول العقائد لنصير الدين الطوسى قدس سره و آخر الجزء الثانى من المدرسه السياره و مع هذا كله يسمى القائلون بمزاعم العقول بالعرفاء و اهل الوصول و المكاشفات «مثلما سمي اللديغ سليما» تعالى الله عما يقولون مَنْ يَشَاءُ من عباده بحسب جده و ما حصله باختياره من كونه أهلا لهذه الرحمه و النعمه و التوفيق لها وَ مَنْ يُؤْتِ بالبناء للمفعول و الجزم باداه الشرط الْحِكْمَهُ مفعول ثانى فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَ مَا يَذَّكَّرُ بما ذكر به من آيات القرآن الكريم فى الإنفاق و غيره من الأخلاق و الأحكام و يكون له نصيب من الحكمة إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ الظاهر فى اللب القلب و القرآن ينسب التعقل و التفهم إلى القلب و المراد هنا من لم يعم قلبه بالتمادى على الضلال و غفله الجهل البسيط و ضلال المركب و هو اقبحه فإنه كأنه لا قلب له و لا لب و ربما فسر اللب هنا بالعقل و كأنه تفسير بما يثول اليه المعنى المكنى عنه

سوره البقره (٢): الآيات ٢٧٠ الى ٢٧١

وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقِهِ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٢٧٠) إِنَّ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَ تُوْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ وَ يُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١)

٢٦٩ وَ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقِهِ «ما» موصوله متضمنه معنى الشرط صلته أنفقتم و عائدها ضمير محذوف يفسره و يبينه «من نفقه» سواء كان الإنفاق فى الطاعه ام فى المعصيه مقرونا بالإخلاص ام بالرياء أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ عطف على أنفقتم. و النذر المشروع ان يقول لله على ان افعل أو أترك كذا. أو لله على ان كان كذا ان افعل أو أترك كذا و يشترط ان يكون المنذور طاعه لله. و قد يكون النذر للطاغوت او فى معصيه فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ على ما هو عليه و يجازى عليه بجزائه. و الجمله خبر للموصول و الرابط هو الضمير فى «يعلمه» و الخبر ساد مسد الجزاء للشرط و لذا دخلت عليه الفاء وَ مَا لِلظَّالِمِينَ فى إنفاقهم او نذرهم للطاغوت أو فى المعصيه او فى مخالفتهم للنذر الصحيح لله مِنْ أَنْصَارٍ ينصرونهم على الله و يعارضونه و يمنعونهم بالقوه من عقابه ٢٧٠ إِنَّ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ التى يراد بها وجه الله من الواجبه و المنذوبه فَنِعِمَّا هِيَ اى فإن الصدقه نعم شيئا هى فى ذاتها و لا يذهب إلا بداء لها بفضلها إذا لم يعرض عليها بسببه شىء من الرياء أو إذلال المتصدق عليه. و اماما ذكره

فى مجمع البيان و الكشاف من ان المعنى فنعم شيئاً ابداءها و حذف المضاف و أقيم المضاف اليه مقامه و اعطى اعرابه فهو تكلف لا- يناسب جلاله القرآن الكريم وَ إِنَّ تُخْفُوها وَ تُؤْتُوها الْقُرَّاءِ أَى و تمكنتم مع اخفائها من إيصالها إلى مستحقيها من الفقراء بحسب الحاجة و الأولويه فهو أَى الإخفاء خَيْرٌ لَكُمْ لأنه ابعده عن الرياء و أقرب إلى الإخلاص و حفظ عزه الفقير و حرمة المتعفف وَ يُكْفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ أَى و يكون الإخفاء سبباً لأن يكفر الله عنكم بعض سيئاتكم وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ مما تبدونه او تخفونه تراؤون فيه او تخلصون به له خَيْرٌ لا يخفى عليه شىء

سوره البقره (٢): الآيات ٢٧٢ الى ٢٧٣

لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ لَا تُظَلِّمُونَ (٢٧٢) لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافاً وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٢٧٣)

٢٧١ لَيْسَ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هُدَاهُمْ أَى إيصالهم إلى الحق و لا أنت مسئول عن ذلك فإنما عليك البلاغ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي أَى يوصل بتوفيقه إلى الحق و العمل الصالح مَنْ يَشَاءُ ممن هو أهل للتوفيق وَ مَا تُنْفِقُوا يَا أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ خَيْرٍ مِنَ الْمَالِ أَوْ طَيْبِهِ وَ خَيْرِهِ أَوْ سَمَى خيراً لأنه يقصد به وجه الله و سبيل الخير فَلَأَنْفُسِكُمْ يعود النفع من إنفاقه وَ مَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ أَى الوجه الذى يتوجه به إلى الله و فى التبيان ابتغاء مرضاه الله و فى الكشاف و طلب ما عنده انتهى و ما ذكره إنما هو غايه يقصدها الغالب فى عملهم لوجه الله و قد تكون الغايه للأولياء هو

ان الله اهل للعباده كما يروى عن زين العابدين (عليه السلام)

تصريحه بذلك و إذا لم يثبت ما ذكر فى الدر المنثور و غيره من ان السبب فى نزول هذه الجملة هو الرخصه لمن امتنع عن الإنفاق على أرحامه المشركين فالظاهر انها خبريه يراد بها تأكيد النهى عن ان ينفقوا إلا ابتغاء وجه الله خالصاً من الرياء وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُؤَفِّ إِلَيْكُمْ أَى يوصل إليكم جزاء تاماً و افياء وَ أَنْتُمْ لَا تُظَلِّمُونَ بنقصه و لا- تأخير إيصاله عن محل الحاجة فإنه يصل إليكم فى حال أنتم فيه فى أشد الحاجة إلى ذلك الجزاء ٢٧٢ لِلْفُقَرَاءِ قال فى التبيان و مجمع البيان و الكشاف تقديره «النفقه للفقراء» و يدل على ذلك تعدد ذكر الإنفاق فى الآيات و كونها مسوقه له و أما تعليق الجار و المجرور بكلمه «و ما تنفقوا» فى أول الآيه فلا يصح لأن

الإِنْفَاقِ إِنَّمَا يَعْدَى بَعْلَى لَا بِاللَّامِ مِضَافًا إِلَى بَعْدِهِ مِنْ حَيْثُ الْفِصْلُ الطَّوِيلُ وَ عَدَمُ الْإِنْسِجَامِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ يَعْنِي الْبَاقِرَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نَزَلَتْ فِي أَصْحَابِ الصَّفَةِ وَ رَوَاهُ الْكَلْبِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنْتَهَى

وَ فِي الدَّرِ الْمَشْهُورِ ذَكَرَ أَنَّهُ أَخْرَجَهُ ابْنُ الْمُنْذِرِ مِنْ طَرِيقِ الْكَلْبِيِّ وَ أَخْرَجَهُ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ . وَ لَفْظُ الْآيَةِ عَامٌ وَ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ الصَّفَةِ بِمَقْتَضَى الرَّوَايَةِ مُورِدَ النُّزُولِ . وَ الْإِحْصَارُ هُوَ الْمَنْعُ أَوْ الْحَبْسُ الَّذِي يَكُونُ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَحْصَرِ . أَيْ مَنَعُوا أَنْفُسَهُمْ وَ حَبَسُوهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبَبِ مَعَادَاتِهِمْ لِلْمُشْرِكِينَ أَوْ لِأَنَّهُمْ وَقَفُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى التَّجَنُّدِ فِي سِرَايَا رَسُولِ اللَّهِ وَ حُرُوبِهِ فَحَبَسُوا أَنْفُسَهُمْ عَلَى أَنْتِظَارِ ذَلِكَ أَوْ عَلَى خِدْمَةِ الدِّينِ أَوْ طَلَبِ الْعُلُومِ الدِّينِيَةِ فَهَمُّ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ لِلتَّكْسِبِ وَ الْإِحْتِرَافِ لِلرِّزْقِ بِالتَّجَارَةِ وَ نَحْوِهَا يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ بِحَالِهِمْ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ وَ تَرْوِيضِ أَنْفُسِهِمْ عَلَى الْعِفَّةِ مَعَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ فَإِنَّ مَلِكَةَ الْعِفَّةِ قَدْ يَغْلِبُهَا الْفَقْرُ وَ دَوَامُ الْحَاجَةِ وَ لَكِنِهَا إِذَا كَانَتْ لَا تَزَالُ مُؤَيِّدَةً بِالتَّعَفُّفِ وَ تَرْوِيضِ النَّفْسِ كَانَتْ هِيَ الْغَالِبَةَ تَعْرِفُهُمْ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْفَقْرِ وَ الْحَاجَةِ بِسَيِّمَاتِهِمْ وَ مَخَائِلِهِمْ وَ دَلَائِلِ أَحْوَالِهِمْ عَلَى الْحَاجَةِ أَيْ أَنْ سَيِّمَاتِهِمْ كَافِيَةٌ فِي تَعْرِيفِ حَالِهِمْ لَا أَنْ مَعْرِفَتِهِمْ بِالْفَقْرِ مَنَحْصَرَهُ بِدَلَالَةِ السَّيِّمَاتِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ كَانُوا يَعْرِفُونَ حَالَ الْكَثِيرِ مِنَ الْمَذْكُورِينَ بِالْخَبْرَةِ وَ الْإِطْلَاقِ وَ الظَّاهِرِ أَنَّ الْخُطَابَ فِي تَعْرِيفِهِمْ لَيْسَ لِحَصْرِ الْمَعْرِفَةِ بِالرَّسُولِ بَلِ الْمَعْنَى يَعْرِفُ حَالَهُمْ بِسَيِّمَاتِهِمْ فَهَمُّ وَ أَنْ تَمَادَى بِهِمُ الْفَقْرُ لَا يَشِيئُلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا فِي نَهَائِهِ ابْنُ الْأَثِيرِ مِنْ سَأَلَ وَ لَهُ أَرْبَعُونَ دَرَاهِمًا فَقَدْ سَأَلَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَ قَالَ الزَّجَاجُ الْحَفَّ شَمَلَ بِالْمَسْأَلَةِ وَ هُوَ مُسْتَعْنٌ عَنْهَا . وَ نَحْوُهُ فِي أُسَاسِ الزَّمْخَشَرِيِّ . وَ فَسَّرُوا الْإِلْحَافَ أَيْضًا بِاللِّحَاحِ فِي الْمَسْئَلَةِ وَ مَعْنَى الْآيَةِ لَا يُسْأَلُونَ نَوْعَ النَّاسِ مَهْمَا أَحْتَاجُوا وَ لَا يُشْمَلُ سَوْأَلُهُمْ كُلُّ مَنْ يَحْتَمِلُونَ اسْتِعَاظَهُ لَهُمْ فَيَكُونُوا بِذَلِكَ مُلْحَفِينَ وَ مُلْحِنِينَ بِنَوْعِ السَّوْأَلِ وَ إِنْ لَمْ يَلْحَوْا فِي أَفْرَادِهِ وَ لَا يَلْزَمُ فِي فَضْلِ الْمَذْكُورِينَ أَنْ لَا يُسْأَلُوا أَحَدًا أَبَدًا فَلَا يَخْدَشُ فِي تَعَفُّفِهِمْ أَنْ تَلْجَأَهُمُ الضَّرُورَةُ إِلَى أَنْ يَذْكُرُوا حَالَهُمْ اتِّفَاقًا لِمَنْ هُوَ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَوْ مِنْ يَنْوِبُ عَنْهُ . وَ لَا يَبْعَدُ أَنَّهُ لَا يَنْفَكُ أَحَدٌ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَهُ وَ لَوْ مِنْ خَوَاصِهِ بَلْ قَدْ يَجِبُ ذَلِكَ أَوْ يَنْدُبُ وَ لَكِنْ فِي

مجمع البيان قيل معناه انهم لا يسألون الناس أصلا عن ابن عباس و هو قول الفراء و الزجاج و اكثر ارباب المعاني و استشهد له بقول الأعشى «لا يغمز الساق من اين و من و صب» اى ليس بها اين و لا و صب ليغمز ساقها و استشهد فى التبيان لذلك بقولهم ما رأيت مثله يريدون بذلك انه ليس له مثل كما استشهدوا لذلك بقول امرئ القيس «على لا حب لا يهتدى بمناره» اى ليس فيه منار يهتدى به أقول و هذه الشواهد لا تشبه الآيه و لو كان المراد انهم لا يسألون أصلا لما صح من مثل كرامه القرآن ان يبين فضلهم بلفظ يظهر منه خلاف المراد و لا يقارب المراد الا بما ذكره من التأويل البعيد و ما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ يوفىكم جزاءه

سوره البقره (٢): آيه ٢٧٤

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٤)

٢٧٥ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَبِيدِهِ مِضَاعِفَتُهُ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ فِيمَا

رواه الصدوق فى العيون مسندا عن الرضا عن آباءه عليهم السلام انها نزلت فى على (عليه السلام)

و روى المفيد فى الاختصاص مسندا عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) انها نزلت فى على و ذلك لأنه كان عنده اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا و بدرهم نهارا و بدرهم سرا و بدرهم علانية. و روى فى التبيان مثله عن ابن عباس. و قال و هو المروى عنهما و فى مجمع البيان و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام). و رواه فى الكشاف و أسنده الواحدى فى اسباب النزول عن ابن عباس. و حكى العياشى و الواحدى روايته عن الكلبي و نحوه ايضا فى مناقب الخوارزمي و عن الحافظ أبى نعيم و الثعلبى فى تفسيره و الحموينى فى فرائده و ابن المغازلى

و ذكر ابن أبى الحديد فى شرح النهج ان شيخه الاسكافى احتج فى رد الجاحظ بنزول الآيه فى على (عليه السلام). و فى الدر المنثور اخرج عبد الرزاق و عبد ابن حميد و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و الطبرانى و ابن عساكر من طريق عبد الله بن مجاهد عن أبيه عن ابن عباس و ذكر نحوه و فى مناقب ابن شهر آشوب روى ذلك عن ابن عباس و السدى و مجاهد و الكلبي و أبى صالح و الثعلبى و الطوسى و الواحدى و الطبرسى و الماوردى و القشيرى و الثمالى و النقاش و القتال و على بن حرب الطائى و عبد الله بن الحسين فى تفاسيرهم قلت و كذا فى تنوير المقياس

و هو التفسير المنسوب لابن عباس: و ايضا عن الثعلبي روى جوير عن الضحاك عن ابن عباس انها نزلت في شأن عبد الرحمن بن عوف و على بن أبي طالب (عليه السلام) و كانت صدقه على أحب الصدقتين الى الله. و روى الواحدى و صاحب الدر المنثور ان الآيه نزلت في اصحاب الخيل الذين يعلفونها في سبيل الله و لكنك لا تكاد تجد بين هذا و بين الآيه مناسبة تليق بكرامه القرآن:

هذا و لا يخفى ما فى الصدقه و الإنفاق من الفوائد العظيمه فى المصالح الدينيه و الاجتماعيه و للمنفق فى تهذيب نفسه من رذيله الشح و فى قربه من الله و استحقاقه الجزاء المضاعف. كما لا يخفى ان الربا فى مضاره على عكس ذلك و يقابله بالصدية فى كل ما ذكرناه تمام المقابله و هل يخفى ضرره بايقافه سوق التجاره و تبادل المنافع و المساعدات بالمعروف بين الناس. الا ترى ان الرجل بينما هو متر إذا به قد استهلك الربا ثروته و تركه يعجز عن مؤنه عياله. فناسب ذلك فى لطف الله و إرشاده لعباده ان يتبع امره و ترغيبه فى الإنفاق و الصدقه بزجره و توبيخه على الربا فقال جلت آلاؤه

سوره البقره (٢): آيه ٢٧٥

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلَ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥)

٢٧٤ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا أَصْلُ الرِّبَا الزيادة و اشتهر استعماله فى خصوص الزيادة التى تؤخذ فى معاوضه بعض النوع بمثله من المكيل و الموزون سواء كان ذلك فى معامله او قرض. و حرمة فى الجمله معلومه من الكتاب و السنه و اجماع المسلمين بل لا يبعد كونها من ضروريات الشريعة و ان خفى بعض مصاديقه عن بعض الناس كما فى بعض المعاملات الربويه. و المراد من الربا اخذه و انتزاعه من مالكه كما فى قوله تعالى فى السوره و لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَ تَدُلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ وَ فى سوره النساء لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ الخبط هو الضرب على غير استواء و ضرب الشجر ليتناثر منه الورق. و خبطت الشجر أسقطت منه الورق. و اسم الورق المتساقط من الشجر خبط بفتح الخاء و الباء. و الظاهر ان تخبطه مثل تزوجها و تبناه اتخذه خبطا اى جعله كالخبط فى تتابع سقوطه بسبب مسه له

فى مجمع البيان من روايه الجمهور و فى تفسير القمى من رواياتنا ان رسول الله ارى حال هؤلاء ليله أسرى به الى السماء

و فى روايات

ص: ٢٤٢

الدر المنثور عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) و ابن عباس و ابن مسعود و انس و ابن سلام لا يقوم يوم القيامة الا كما يقوم الذى يتخطه الشيطان

و بذلك فسرهم مجمع البيان و هو ظاهر المقام و فى التبيان كأنه نسبة الى القيل ذلك اى حالهم فى القيام المذكور بأنهم اى عقوبه بسبب انهم قالوا فى باطل قياسهم و غلط اعتراضهم على الشريعة و حكمتها إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا فى انه يكون فى تعاطيه ربح و تكون المالىه فى احد العوضين اكثر منها فى الآخر مع ان البيع متداول بين الناس و قد غلطوا فى قياسهم فإن الله جل شأنه قد اجرى احكام شريعته على الحكم و كثيرا ما يظهر وجهها و أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ لِقِيَامِهِ بِنِظَامِ الْاجْتِمَاعِ و مصلحه المدينه فى تبادل المنفعة بأعيان الأموال و وجوه الحاجه الى خصوصياتها مع ابتناؤه على العدل فى تساوى العوضين فى المالىه بحسب الاعتبار عند المبايعه و انما تحصل الزيادة اتفاقا بحسب اختلاف الرغبه او الزمان او المكان وَ حَرَّمَ الرِّبَا لِبْتِنَائِهِ من أول الأمر على الزيادة فى العين و مالىتها و على الإجحاف و الإخلال بحسن الاجتماع بالمعروف لما أشرنا اليه من المفاسد و سد باب الإحسان و المعاونه فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ الْمُوعِظَةُ التذكير و التخويف من عقاب الله على معصيته و مخالفه نهيه عن الربا سواء كان ذلك بالتخويف الذى ذكره الله و خوفهم به من آى القرآن كما فى التبيان او بالتخويف الذى ينتهى الى وحى الله مما يخوف به الرسول (صلى الله عليه وآله) ثم الأئمه (عليه السلام) ثم الوعاظ نحو ما

روى فى الكافى و الفقيه و التهذيب فى الصحيح عن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) درهم ربا عند الله يعدل سبعين زنيه كلها بذات محرم

و فى حديث آخر فى بيت الله الحرام

و فيه ايضا مثل ان ينكح الرجل امه فى بيت الله الحرام

و مثل ما ورد من لعن النبى (صلى الله عليه وآله) لآكل الربا و فى روايات الدر المنثور و غيره نحو من ذلك فَاتَّهَى عَنْ الرِّبَا بسبب الموعظه و تاب فَلَهُ مَا سَيَلَفَ الظاهر منه الفعل السالف و هو أخذ الربا و تعاطى معاملته اى ان الله يتوب عليه و يغفره له و اما اراده انه يحل له ما اخذه فيما سلف إذا تاب فتححتاج الى تصرف فى اللفظ و قرينه داله على ذلك و

فى التبيان قال ابو جعفر «يعنى الباقر (عليه السلام)» من أدرك الإسلام و تاب مما عمله فى الجاهليه وضع الله عنه ما سلف و نحوه فى مجمع البيان.

و الروايه مع إرسالها لا يعلم كونها تفسيراً لهذه الآيه و لو كان موردها الربا و عرف

منها ان الذى وضعه الله هو المال الذى أخذ ربا فيما سلف لكنت من قبيل ان الإسلام يجب ما قبله و أمّره في توبه الله عليه و توفيقه للثبات عليها إلى الله بحسب علمه بصدق توبته و أهليته للتوفيق للدوام عليها فان المغفره ليست بلازم طبيعى لمحض اظهار التوبه. هذا من حيث الإثم و اما من حيث المال الزائد الذى هو ربا في الدين او أحد العوضين في المعامله الربويه الفاسده فالأمر موكول الى ما تقتضيه الأحكام الشرعيه في اموال الناس و ان أخذت في حال الجهل بحرمة الربا لا كما يظهر من كلامى الصدوق في الهدايه و الشيخ في النهايه من ان المأخوذ في حال الجهل بحرمة الربا لا يجب رده هو حلال لآخذه و اعتمده في الدروس و مال اليه بعض متأخرى المتأخرين استنادا الى روايات لا دلالة فيها على ذلك فإن ما روى في الكافي عن أبى المغرا و فى التهذيب عن الحلبي و فى الفقيه ما عدا صدره مرسلات جميعا عن الصادق (عليه السلام) فانما يدل صدره المروى فى الكافي و التهذيب على قبول التوبه من الربا و ان كانت حرمة شديده مغلظه و لفظ الجهاله فى الروايه مثل ما فى القرآن فى الوعد بالتوبه لمن يعمل السوء بجهاله كما فى سوره النساء ٢١ و الانعام ٥٤ و النحل ١٢٠ لا- الجهل بالحرمة ثم على حل المال الموروث المختلط بالربا و يحمل على الذى يطهره الخمس جمعا. و اما عجزه الذى انفرد به الكافي و الفقيه و

عن التهذيب فبالنظر الى قوله (عليه السلام) فأراد ان ينزعه

و قوله (عليه السلام) فما مضى فله و يدعه فيما يستأنف

لا- يدل الا- على انه يغفر له ما مضى من عمله بسبب توبته و نزع المال الربوى من ماله. و اما ما أسنده الكافي و التهذيب عن الحلبي و أرسله الفقيه عن الصادق (عليه السلام) فيمن أتى الباقر (عليه السلام) فانما يدل صدره على حل المختلط و يحمل على الذى يطهره الخمس جمعا او على ما يحتمل وجود الحرام فيه و ذلك

لقوله (عليه السلام) فإن المال مالك

و اما عجزه من

قوله (عليه السلام) فان رسول الله قد وضع

الى آخره فلا دلالة فيه على انه تعليل

لقوله (عليه السلام) فكله هنيئا فإن المال مالك.

و لم يجر فى السؤال ان مورثه كان جاهلا- حرمة الربا فغايه ما يظهر منه هو ان للجاهل بحرمة الربا إذا عمل به فهو معذور من حيث الإثم.

فالظاهر ان المراد منه تطيب قلب السائل بان العامل بالربا معذور إذا كان جاهلا بحرمة فأنت اولى بالاطمئنان من الإثم. و اما ما رواه فى التهذيب عن محمد بن مسلم عن الباقر (عليه السلام) فيمن عمل الربا حتى كثر ماله فهو شامل لصوره معرفته للربا و علمه بتحريمه ان لم يكن ظاهر الحال

و السؤال ذلك كما ان الظاهر من قول القائلين له ليس يقبل منك شىء الا- ان ترده على أصحابه هو انهم سدوا عليه باب المغفرة و قبول التوبه الا ان يرد الربا على أصحابه و ان جهلهم او تعذر عليه فيكون

قول الباقر (عليه السلام) مخرجك من كتاب الله

فمن جاءه موعظه الآيه ردا على تشديد هؤلاء و ان التوبه الصادقه و الانتهاء مخرج من اثم الربا الى المغفرة و اما مال الربا فقد يكفى فيه فى بعض الموارد رده الى الإمام او نائبه او الى الفقراء فلا- ينحصر قبول التوبه بخصوص رده على أصحابه على كل تقدير و

قوله (عليه السلام) و الموعظه التوبه

يريد به ان الذى يتعلق به الغرض فى قوله تعالى فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ إِلَى قَوْلِهِ فَأَنْتَهَى وَيَغْفِرُ بِهِ الذَّنْبَ انما هو التوبه و اما المال فله احكامه و مَنْ عَادَ إِلَى تَعَاطَى الرِّبَا مُسْتَحْلَا لَهُ بَعْدَ مَا نَزَلَ الْقُرْآنُ بِتَحْرِيمِهِ وَ بَلَّغَهُ ذَلِكَ أَوْ إِلَى الِاعْتِرَاضِ عَلَى الشَّرِيعَةِ بِقَوْلِهِ انما البيع مثل الربا او الى كل من ذينك كفرا و ارتدادا و أصروا على عودهم هذا حتى ماتوا كما هو ظاهر الآيه فَأُولَئِكَ أَشِيرُ بِالْجَمْعِ بِاعْتِبَارِ الْمَعْنَى فِي الْمَوْصُولِ

سوره البقره (٢): الآيات ٢٧٦ الى ٢٧٨

يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ (٢٧٦) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٢٧٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨)

أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ٢٧٥ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا الْمَحْقُ الْانْقَاصُ لِلشَّيْءِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ حَتَّى يَتْلَفَ فَاللَّهُ يَتْلَفُ الرِّبَا وَ ان املى لآخذه زمانا حتى يذهب منه او ممن جمعه لاجلهم كورائه و يُزِيلُ الصَّدَقَاتِ اى يزيدھا باعتبار الجزاء و الثواب المضاعف و اللَّهُ لَا- يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ صِيغَةً مَبَالِغَةً فِي الْكُفْرِ وَ الْأَظْهَرُ ان المراد هنا هو كفر النعمة و عدم الاكتفاء بما أنعم الله به عليه من الحلال حتى يتفحم ما حرم الله عليه من الربا لا- الكفر الشرعى و تحقق المبالغة بتكرار اخذه الربا و كفران النعم و فى التبيان و مجمع البيان حملا الكفر على الشرعى فيمن يستحل أكل الربا و الاول أعم فى الزجر و اظهر فى المقام أثيم متمادا على عمل الإثم ٢٧٦ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَ كَتَابِهِ وَ شَرِيعَتِهِ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ مِنْهَا كَفَّ النَّفْسَ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوُا الزَّكَاةَ نَصَّ عَلَيْهِمَا بِالذِّكْرِ تَعْظِيمًا لِسَانَهُمَا وَ ان كانا من نوع الأعمال الصالحة لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ

٢٧٧

ص: ٢٤٥

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَاَسْلَمُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَخَافُوهُ وَلَا تَخَالَفُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَذَرُّوا مَا بَقِيَ لَكُمْ عِنْدَ النَّاسِ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
على حقيقته الايمان فذروه

سورة البقره (٢): الآيات ٢٧٩ الى ٢٨١

فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ (٢٧٩) وَإِن كَانَ ذُو عُسْرِهِ
فَنظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرِهِ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ
هُم لَا يُظْلَمُونَ (٢٨١)

٢٧٨ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا و لم تذروه بل أصررتم على اخذه فَأَذَنُوا اى فاعلموا و كأنه مأخوذ من العلم بواسطه السمع بالاذن بِحَرْبٍ مِنَ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ عن الإصرار على اخذه او أخذتموه و تبتم بعد ذلك فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ دون الزيادة الربويه لا تَظْلِمُونَ
بأخذ الربا وَ لَا تُظْلَمُونَ بالنقص من رؤوس أموالكم ٢٧٩ وَإِن كَانَ حصل ذُو عُسْرِهِ او و ان كان ذو عسره غريما لكم و هو من لا
يجد ما يفي به من غير ما استثنى له فى الشريعة فَنظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرِهِ اى فعليكم فى امره او فالذى يحكم الله به فى امره هو نظره
منكم له الى حصول ميسره له

و من الميسره ان يصل خبره الى الإمام فيفى عنه من سهم الغارمين إذا كان أنفق الدين بالمعروف كما أسنده فى الكافى عن
الرضا (عليه السلام) و أرسله فى مجمع البيان عن الباقر (عليه السلام)

وَ أَن تَصَيَّدُوا عَلَيْهِ بِالدين كلاً او بعضاً خَيْرٌ لَّكُمْ اى و صدقتكم عليه بذلك خير لما فيها من ثواب الصدقه و تفريج هم المديون
و تسكين قلبه فى عسرتة إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما فى هذا التصدق من الفوائد التى لا غنى لكم عنها. و جاءت الجملة شرطيه لمزيد
الترغيب اى ان كنتم تعلمون ما فى التصدق المذكور من الخير فانكم ترغبون فيه بما انكم عقلاء فتصدقوا. و عبر عن المصدر
بالفعل ليكون اظهر فى اقدامهم على فعل الصدقه و اختيارها و فى تعلق التصدق بالدين على المعسر. و لا دلالة فى الآيه على
اختصاص حكمها بمن ذكر فى الآيه السابقه من المديونين بالمعامله الربويه فإن لفظها مطلق و حكمتها عامه بل لو كانت مرتبطه
لذكرت بالتفريع بالفاء فالظاهر هو

عمومها لكل دين و فى التبيان و هو قولهما و فى مجمع البيان و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام).

و ما روى فى الدر المنثور عن ابن عباس مما يوهم اختصاصها بدين الربا لا اعتبار لسنده فضلاً عن خلل متنه و اضطرابه و جعل
المقابل لدين الربا هو الأمانه ٢٨٠ وَ اتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ رجوع معاد و استسلام اتقوا ذلك اليوم و أهواله

العظمى بطاعه الله و الانزجار عن معاصيه ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ من خير و شر و توفيته باعتبار توفيه جزائه من ثواب او عقاب وَ هُمْ اى الناس المدلول عليهم بكل نفس لا يُظَلَّمُونَ بنقص الثواب عن قياس العمل او عدمه و زياده العقاب عن قياس الجرم أو ابتدائه بلا جرم

سوره البقره (٢): آيه ٢٨٢

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلْيُه بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْب الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَزْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَإِذَا شَهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَلَّحُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمَكُمْ اللَّهُ وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢)

٢٨١ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ اى تعاملتم بمعامله فيها دين إلى أَجَلٍ مُّسَمًّى و هذا بيان لأن الأجل لا بد من ان يكون معيناً لا جهاله فيه فَاكْتُبُوهُ اى فاجعلوه مكتوباً أعم من مباشره الكتابه او تسيبها و هذا الدين غير القرض المحض فإنه لا اجل فيه و لا- عبره بتأجيله. و لعل السرف فى تخصيص ذى الأجل بالذكر هو كون المؤجل فى الغالب معرضاً للوهم و النزاع فى الأجل و الشروط. و ان كانت حكمه عدم الارتياح جاريه فى القرض ايضا باعتبار نفس المال و مقداره كما يشير الى ذلك قوله تعالى إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا إِخ كما ان قوله تعالى ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمٌ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَزْتَابُوا يشير الى ان حكم الكتابه و الاشهاد للإرشاد لا للوجوب مضافاً إلى المعروف من عمل المتشرعه من عدم الكتابه فى موارد الاطمئنان كما فى قوله تعالى فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَ فى التبيان لإجماع عصرنا على ذلك اى على عدم الوجوب وَ لِيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ اى على حقيقه المعامله و الأجل و الشروط. و الأمر هنا للمتعاملين كقولك يا صاحب الضيعه لبيت فى ضيعتك حارس اى أبت حارساً و قد ذكرنا انه للإرشاد. و هذا أعم من ان يكون الكاتب بينهما هو أحدهما لحصول الغرض به او هو ناظر إلى الحال فى عصر النزول من كون الغالب من العرب لا- يكتبون وَ لَا يَأْب كَاتِبٌ اى من يحسن الكتابه فى مثل المقام أَنْ يَكْتُبَ وَ النهى هنا للكراهه إذ لا- يجب تسيب الكتابه على المتعاملين فكيف تجب على غيرهما. و لئن وجبت صنعه الكتابه كفايئاً أداء للوجوب فى نظام العالم لم يقتض ذلك ان يجب على كل كاتب ان يكتب فى كل مورد كما عَلَّمَهُ اللَّهُ وَ أنعم عليه بالكتابه فَلْيَكْتُبْ للناس فى محل حاجتهم شكراً لنعمة الله. و هذا هو المعنى التأسيسى و الظاهر لهذه الجملة و أسلوبه

ايضا يدل على ان الكتابه مستحبه وَ يُؤْمَلُ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَ الدين. يملل و يملى على الكاتب بمعنى واحد اى يذكر له الحال عند الكتابه ليكتب ما يذكره له المديون وَ لِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ فِي إِمْلَائِهِ فَإِنَّ اللَّهَ رَبُّهُ وَ العليم بالأمر و القادر عليه و من اليه مرجعه و بيده عقابه وَ لَا يَخْشَى فِي إِمْلَائِهِ مِنْهُ أَى من الحق الذى عليه شئناً و لو من شؤونه. و قد طلب الاملاء منه بهذا النحو استحباباً لأنه عارف بالحق و وجوهه فيكون املاؤه على الحقيقه اقرب إلى توطين نفسه على الوفاء و إلى اطمئنان الدائن بذلك و إلى المجاراه بينهما على المعروف، و يجوز بلا خلاف ان يملل غيره او يكتب الكاتب بحسب اطلاعه ثم يعترف المديون به و يشهد على اعترافه فَإِنَّ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَدِّ فِيهَا فِي تصرفاته بماله بحيث الغى الشارع معاملاتته و اعترافاته فيها و ارجع الأمر في ذلك الى وليه أَوْ ضَمَّ عَيْناً فِي عقله كالصغير و المجنون و الأبله و الخرف أَوْ لَا يَسْتِطِيعُ أَنْ يُمَلَّ هُوَ كالأخرس و نحوه او من لا يحسن ان يبين الخصوصيات التى جرت عليها المعامله فَلْيُؤْمَلِ وَ يُؤْمَلُ الَّذِي جعلت ولايته فى الشريعه بِالْعَدْلِ عَلَى حقيقه المعامله و خصوصياتها المطلوبه. و الولي على الصغير أبوه و جده لأبيه و ان لم يوجد فولى سائر المذكورين و هو النبى (صلى الله عليه و آله) او الإمام او النائب عن أحدهما و لو بعموم الجعل كالحاكم الشرعى او نائبه و لو فى خصوص تلك المعامله وَ اسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمُ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ لَمْ يَكُنَا اى الشهيدين الحاضران اللذان هما من المسلمين رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَ امْرَأَتَانِ أَى كالأذى يكتفى بشهادته رجل و امرأتان لكن لا مطلق الشاهد بل مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَى ممن يرضاهم النوع فى الشهاده و يركن إلى شهادتهم لأجل اتصافهم بالصلاح و العدالة الرادعه لهم عن الكذب و التساهل فى الشهاده. و جعل بدل الرجل امرأتان حذراً من أَنْ تَضَلَّ إِحْدَاهُمَا وَ تَبِيهٌ فِي أداء الشهاده لأن نوع النساء ابعدهن عن ضبط هذه الأمور من نوع الرجال فَتَذَكَّرَ اى فحين الضلال تذكر إِحْدَاهُمَا الأخرى فيتحاوران فى الأمر و كل منهما تذكر الأخرى بخصوصيه

أمر فتذكر الضالاه حقيقه الأمر بخصوصياته هذا فى مقام الأشهاد الكافى فى ثبوت الحق به فلا ينافى ما دل على ثبوته بالشاهد و
اليمين و لا يَأْبُ الشُّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا لِتَحْمَلِ الشَّهَادَةَ

و لا ينبغى ان يَأْبُ إِذَا دَعِيَ لَذَلِكَ كَمَا فِي صَحِيحِهِ التَّهْذِيبِ وَ رَوَيْتَهُ عَنْ أَبِي الصَّبَّاحِ وَ سَمَاعِهِ عَنِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ
رَوَيْتَهُ أَيْضًا عَنِ الكَاضِمِ وَ رَوَايَهُ الكَافِي عَنِ أَبِي الصَّبَّاحِ وَ صَحِيحَتِهِ عَنِ الحَلْبِيِّ عَنِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ نَحْوَهَا رَوَايَاتُ
العِيشِيِّ

و النهى للكراهه و يشهد لذلك سياق الآيه فى اوامرها و نواهيها و

قول الإمامين (عليه السلام) لا ينبغى

وَ لَا تَشْتَمُوا أَيْ لَا تَمْلُوا وَ لَا تَضْجُرُوا مِنْ أَنْ تَكْتُبُوهُ أَيْ الدِّينَ فِي شُؤْنِهِ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا فَإِنَّ التَّسَاهُلَ فِي كُلِّ مَنْ ذَلِكَ قَدْ يُوْجِبُ
النِّزَاعَ وَ ضِيَاعَ شَيْءٍ مِنَ الحَقُوقِ إِلَى أَجَلِهِ أَيْ الدِّينَ ذَلِكُمْ أَيْ مَا تَقْدَمُ مِنَ احْتِكَامِ الكِتَابَةِ وَ اشْهَادِ المَرْضِيِّينَ وَ عَدَمِ السَّامِ مِنَ
الاسْتِقْصَاءِ فِي الكِتَابَةِ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ أَيْ اءَدِلْ وَ اولى بِأَنْ تَكُونُوا مَقْسُطِينَ عَادِلِينَ وَ أَقْوَمَ لِلشَّهَادَةِ وَ أَدْنَى وَ اقْرَبْ إِلَى أَلَّا تَوْتَابُوا
بَعْدَ ذَلِكَ فِي مَبْلَغِ الدِّينِ وَ خصوصياته وَ اءَلِهِ. وَ هَذِهِ الأُمُورُ مَطْلُوبَةٌ لِحُصُولِ غَايَاتِهَا الحَمِيدَةِ الَّتِي رُبَّمَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا إِلَّا أَنْ
تَكُونَ المَعَامِلَةَ بَيْنَكُمْ تِجَارَةً حَاضِرَةً لَيْسَ فِيهَا دِينَ بَلْ تُدِيرُونَهَا أَيْ تَتَنَاقَلُونَ العَوْضَ وَ المَعْوَضَ بَيْنَكُمْ بِأَنْ يَأْخُذَ كُلُّ مَنْكُمْ عَوْضَ
مَا دَفَعَهُ فِي التِّجَارَةِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَيْ ضَيْقٌ وَ حَزَازَةٌ مِمَّا ارشَدْتُمْ إِلَى التَّخْلِصِ مِنْهُ فِي أَمْرِ الدِّينِ فَلَا ضَيْرَ فِي أَلَّا تَكْتُبُوهَا أَيْ
تَلْكَ التِّجَارَةَ وَ أَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَ عَلَى اسْتِحْبَابِ ذَلِكَ إِجْمَاعِنَا فِي الحَاضِرَةِ بَلِ الاتِّفَاقِ مِمَّا عَدَا أَهْلَ الظَّاهِرِ وَ هُوَ الصَّحِيحُ فِي
غَيْرِهَا وَ لَا- يُضَارُّ كَاتِبٌ وَ لَا- شَهِيدٌ الظَّاهِرِ بِسَبَبِ رَجْحَانِ التَّأْسِيسِ وَ مَا يَنَاسِبُ المَقَامَ مِنَ الاسْتِقْصَاءِ فِي الأَحْكَامِ الاجْتِمَاعِيَةِ
العَادِلَةِ وَ حَكْمِهِ النِّظَرُ مِنَ عِلَامِ الغُيُوبِ إِلَى حَوَادِثِ المَسْتَقْبَلِ هُوَ أَنْ يَكُونَ «يُضَارُّ» مَبْنِيًا لِلْمَفْعُولِ أَصْلُهُ يُضَارُّ بِفَتْحِ الرَّاءِ الأُولَى
فَسَكَتَ وَ حَرَكَةُ الثَّانِيَةِ بِالفَتْحِ حَذْرًا مِنَ التَّقَاةِ السَّاكِنِينَ بِسَبَبِ الجُزْمِ بِالنَّهْيِ أَيْ وَ لَا يَدْخُلُ عَلَى الكَاتِبِ بِسَبَبِ كِتَابَتِهِ وَ لَا عَلَى
الشَّاهِدِ بِسَبَبِ شَهَادَتِهِ صَرَّرَ مَا فِي ذَاتِ الكِتَابَةِ

و عواقبها و فى ذات الشهاده و أدائها و ليس عليه الا- أداؤها بلا ضرر. و على البناء للمفعول تفسير ابن عباس على ما فى تنوير المقياس و روايه الدر المنثور و روايته ايضا لقراءه عمر عند فكه لادغام الراءين وَ إِن تَفْعَلُوا وَ تَضْرُوهُمْ فَإِنَّهُ فُسُوقٌ اى خروج عن الطاعه و الاستقامه كائن بِكُمْ كما يقال به داء كذا. و انه لما به. و به جنون. و به جنه كما جاء فى سور الأعراف و المؤمنون و سبأ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ فَاشْكُرُوا فَضْلَهُ وَ اعْمَلُوا بِمَا عَلَّمَكُم مَّا فِيهِ صَلاَحُكُمْ وَ طَرِيقَكُمْ اى تقوى الله فإنكم جاهلون وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

سوره البقره (٢): آيه ٢٨٣

وَ إِن كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَ لِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَ لَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَ مَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٢٨٣)

٢٨٢ وَ إِن كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَ لَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا وَ أَرَدْتُمُ الاسْتِثْاقَ مِنْ دِينِكُمْ فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ اى فوثائقكم رهان مقبوضه. و الرهن مصدر رهن الشىء أرهنه. و يستعمل فى المرهون كاستعمال الوقف فى الموقوف. و هو فى النظم و النثر كثير و منه

ان يقتلوني فرهن ذمتى لهم بذات و دقین لا يعفو لها اثر

و جمعه رهان كثر و ثمار. و ربما يقال ان قيد القبض هنا انما هو لأجل توقف الاستيثاق فى السفر الذى ليس فيه كاتب و حصول هذه الفائدة فيه على القبض. و اما الرهن فى الحضر الذى هو مشروع بالسنة و الإجماع فلا يشترط فيه القبض كما هو مذهب مالک من الجمهور بل يكفى فى فوائده ان لا يتعلق الحجر لباقي الغرماء بالمرهون لكن فى التبيان و من شروط صحه الرهن ان يكون مقبوضا لقوله تعالى فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ و عن خلافه خلاف ذلك و فى مجمع البيان فإن لم يقبض لم ينعقد الرهن اجماعا و

فى روايه التهذيب عن الباقر (عليه السلام) لا رهن إلا ما كان مقبوضا و نحوه عن تفسير العياشى

لكن يكفى فى منع الإجماع ما فى السرائر و الغنيه من نقل عدم الخلاف فى صحته إذا استجمع شروطا ذكراها و ليس منها القبض و فى كنز العرفان ان المحققين على عدم الاشرط بل فى السرائر ان الأكثر من المحصلين على ان القبض ليس شرطا فى اللزوم و الروايه ضعفت بالاشتراك و تمام الكلام فى الفقه فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَ لَمْ يَطْلُبْ مِنْهُ وَثِيقَهُ بَلِ ائْتَمَنَ عَلَى دِينِهِ فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَ هُوَ الدِّينُ وَ يُمْكِنُ اِنْ تَعَمَّ جَمِيعُ الْأَمَانَاتِ حَتَّى الْوَدِيعَةِ نَظَرًا اى اشعارها بالتعليل و بكون هذا المورد من احد المصاديق للعام وَ لِيَتَّقِ بِذَلِكَ اللَّهَ رَبَّهُ

و مالك امره فى الدنيا و الآخرة و لا تكتموا الشهادة و من يكتمها فإنه آثم قلبه آثم خير إن و قلبه فاعل او خير مقدم و قلبه مبتدأ و الجملة خبر ان و نسب الإِثم الى القلب باعتبار انه آله الكتمان و لتغليظ الإِثم بيان فساد المبدء للأعمال فإن فساد القلب اصل الشر و البعث على الفساد. و قيل آثم و لم يعبر بالفعل ليدل على دوام الإِثم بدوام الكتمان

سوره البقره (٢): الآيات ٢٨٤ الى ٢٨٥

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٨٤) آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ آمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمْرًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)

و الله بما تعملون عليهم ٢٨٣ لله ما فى السماوات و ما فى الأرض و هو الخالق للكل و المدبر له و بيده امره و أنتم من جمله ذلك فهل يخفى عليه شىء من أموركم و إن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فى التبيان و مجمع البيان ان المراد بالآيه ما يتناوله الأمر و النهى من الاعتقادات و الإيرادات مما هو مستور عنا و على ذلك روايه العياشى عن رجل و عن أبى عمر الزبيرى عن الصادق (عليه السلام).

و قد أورد فى الدر المنثور فى هذه روايات كثيره مختلفه متعارضه و مضطربه. منها عن ابن عباس انها نزلت فى الشهاده و إقامتها و كتمانها و يرد على الروايه انه ما معنى الحساب على ابدائها و إقامتها. و منها عن ابن عباس و عائشه انها غير منسوخه و فسر ابن عباس ما يخفونه بالأعمال التى لم يطلع عليها الحفظه. و منها عن أبى هريره و ابن عباس انها نسخت بقوله تعالى لا يكلف الله نفساً إلّا وُسْرَها. و فى الروايه عن ابن عباس تفسيرها بوسوسه النفس و عنه تفسيرها تاره بحديث النفس و تاره بالتكذيب. و منها عن ابن مسعود و عائشه ان الناسخ لها هو قوله تعالى لها ما كسبت و عايتها ما اكتسبت. و لكن هذا غير مستقيم فإن ما لا يدخل فى وسع الإنسان لا يكلف الله به لأن التكليف به قبيح فلا يمكن ان يثبت لكى ينسخ بقوله تعالى لا يكلف الله نفساً إلّا وُسْرَها و لا تكون هذه الآيه نسخا لما هو داخل فى الوسع و اما قوله تعالى لها ما كسبت و عايتها ما اكتسبت فإنه لو اختص إثباته بالافعال الخارجيه لما كان فيه دلالة على النفى عن غيرها ليكون ناسخاً فيغفر لمن يشاء ممن يستغفر و يتوب ان كان أهلاً لأن يتاب عليه و يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٢٨٤ آمَنَ الرَّسُولُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ

فى تفسير القمى فى الصحيح عن الصادق و فى تفسير البرهان عن على امير المؤمنين (عليه السلام) و عن مقتضب الأثر مسندا عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) انه لما أسرى به الى السماء ناداه الله عز و جل آمن الرسول بما انزل اليه من ربه فأجاب رسول الله (صلى الله عليه و آله) عنه و عن أمته

وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لَّا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ لَعَلَّهُ اشاره الى من حملته العصبية القومية او الأغراض الفاسده على جحد الرسول بعد قيام الحجة على رسالته جحدته لأنه ليس من قومه او لأنه يعارض أغراضه الفاسده. و الى الذين قال لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا وَ يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ الْآيَةَ الْخَامِسَةَ وَ الثَّمَانِينَ وَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا اخبار من الله بفضلهم فى الطاعة و الايمان غُفْرَانَكَ منصوب بفعل من لفظه و هو اغفر و معناه نسألك غفرانك يا رَبَّنَا و فيه تطف فى المسأله بنحو من الاحتجاج على رحمته و معنى أنت ربنا و ولى أمرنا و الى اين يذهب العبد إلا الى مولاه. و لم يذكر متعلق الغفران لأن طلبه عام لكل من يحتاج الى الغفران و لم يخرج بسوء اختياره عن أهليته له وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ اى مصيرنا فى أمورنا فى الدنيا و الآخرة

سوره البقره (٢): آيه ٢٨٦

لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَّا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَ لَّا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِضْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَ لَّا تَحْمِلْنَا مَا لَّا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَ اغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٨٦)

٢٨٥ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ بِأَمْرِهِ أَوْ نَهْيِهِ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا الوسع ما تسعه قدره الإنسان و يدخل فى وسعها و نسب الوسع الى النفس بهذا الاعتبار و المعنى الا ما تسعه قدرتها. و قد تمجد الله بذلك دلالة على تقدسه فى كماله عن العبث و القبيح فى التكليف بغير المقدور و يجوز أن يكون من كلام الرسول و المؤمنين تمجيذا لله بعدله لها اى للنفس ما كَسَبَتْ من الخير يوفيهها الله إياه و لا يفوتها من فضيلته و جزائه شىء و عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ من الشر اى عليها وزره و نقصه لا على غيرها. و عبر فى الشر بالاكْتَسَابِ لأجل التوبيخ لفاعله و الاحتجاج عليه فإن الاكْتَسَابِ يدل على الاعتمال و المعالجه فى طلب الكسب يشير بذلك الى ان عمل الشر كان باختبار و معالجه من النفس فى طلبه مع انه شر قد زجرها العقل و الشرع عنه يا رَبَّنَا و مالك أمرنا و مفزعنا فى أمورنا لَّا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا من الخطأ ضد العمد و ان كثيرا

من النسيان و الخطأ ما يقع بسبب التساهل و التقصير فى التحفظ لتحصيل ما كلف به و هذا مما لا تقبح فيه المؤاخذة على مخالفه الواقع فطلبوا من الله ان لا يؤاخذهم فى ذلك رَبَّنَا وَ لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا اِثْرًا اِى عِثًا ثَقِيلًا من التكاليف الشاقه و لو لحكمه التأديب كَمَا حَمَلْتُهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا لَتَمْرُدَهُمْ رَبَّنَا وَ لَا- تُحْمَلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ من الابتلاء و الامتحان او العذاب فى دار الدنيا بل و الآخرة وَ اعْفُ عَنَّا العفو هو إسقاط الحق و المراد إسقاط حق العقوبه وَ اغْفِرْ لَنَا الغفران هو الصفح عن الذنب وَ ارْحَمْنَا و هو دعاء جامع أَنْتَ مَوْلَانَا و ولى أمرنا و ملجؤنا لا غيركَ فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ لنوفق لإظهار دينك و طاعتك فى دين الحق

سوره آل عمران

اشاره

مائتا آيه و هى مدنيه

سوره آل عمران (٣): الآيات ١ الى ٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١ الم علمها عند الله و أمناء و حيه الله لا إله إلا هو الْحَيُّ الْقَيُّومُ تقدم شىء من تفسيرها فى آيه الكرسي ٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَ هو القرآن الكريم بِالْحَقِّ حال كونه مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ اى ما تقدم عليه من الكتب الإلهيه. يشهد بصدق نسبتها الى الوحي الإلهي و صدق ما فيها من الحقائق. او انه بانطباقه فى مجده بعينه على اخبار الكتب الإلهيه السابقه به و وصفها و تمجيدها له يكون المصدق المصدق لها فى ذلك الاخبار و التمجيد وَ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَ هى الحقيقه المنزله على رسوله موسى وَ الْإِنْجِيلَ وَ هو الكتاب الواحد الحقيقى المنزل على رسوله عيسى مِنْ قَبْلُ حال كون التوراه و الإنجيل هُدًى لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ

فى تفسير القمى فى الصحيح عن عبد الله بن سنان عن الصادق (عليه السلام) فى الآيه الفرقان كل امر محكم. و الكتاب هو جملة القرآن الذى يصدقه من كان قبله من الأنبياء. و نحوه عن تفسير

و فى الكافى عنه (عليه السلام) القرآن جملة الكتاب و الفرقان المحكم الواجب العمل به.

و نحوه عن تفسير العياشى

٣ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ جحدوا كونها منزله من الله و ماتوا على كفرهم لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بما كفروا وَ اللَّهُ عَزِيزٌ فى جلال شأنه ذُو انْتِقَامٍ بعزته و قدرته من الكافرين

سوره آل عمران (٣): الآيات ٥ الى ٧

إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَ أُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَ الرَّاسِخُونَ فى الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَ مَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (٧)

٤ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُلِّ شَيْءٍ لا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فى السَّمَاءِ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فى الْأَرْحَامِ الرَّحْمِ هُوَ العضو الذى يتكون فيه الجنين من الأم الى حين الولادة كَيْفَ يَشَاءُ بحكمته الباهره و من آيات ذلك ان أعضاء الإنسان الظاهره مع انها معدوده يصورها بقدرته و حكمته بحيث يمتاز كل من البشر عن الآخر. و اما حكمه هذا التصوير و ما فى كل واحد من الأعضاء الظاهره و الباطنه من الحكم الباهره و الفوائد الكبيره و الأسرار العجيبه فهو أعظم من ان يوصف. و اما الذى وصلت اليه معرفه البشر فهو مما لا يسع هذا المقام بعضه. و فى التشريح الجديد ما يبهر العقول ببواهر حكمه و عجائبه. و ان الذى يظهر من أعضاء الإنسان و آليات حسه ليكفى فى بيان الحكم العجيبه لكل ذى رشد و ادراك. و كل ذلك جار فى حكمه و خلقه و تصويره على قوانين منتظمه. و فى هذا كفايه فى الحجه على ان ذلك من صنع إله عليم يخلق بإرادته و حكمته لا- إله إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ بقدرته و سلطانه الْحَكِيمُ فى خلقه و اعماله لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا وَ لَدَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَ لَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ٥ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ على ما اقتضته الحكمه الإلهيه من كونه على احسن نهج فى المحاورات. و ابرع أسلوب فى كلام العرب فيما يتسابقون به فخرا فى ميدان البلاغه و يتساجلون به فى مقام التفنن بمحاسن الكلام و مزايه الفائقه. ليكون بإعجازه ذلك حجه بينه عليهم فى انه تنزيل من رب العالمين. كما أشرنا الى شىء من وجه ذلك فى الفصل الاول من مقدمه. و على ذلك فلا بد من ان يشتمل أسلوبه الكريم على انواع الدلالات. و ملح الكنايات و لطائف الإشارات و النكت فى انواع المجاز كما هو الشأن فى الكلام البليغ. و قد تقتضى الحكمه

ان تجىء الآيه بلفظ عام او مطلق و المراد منها منحصر فى نوع او فرد هو مورد النزول و تدل عليه قرائن الأحوال و دلائلها كقولك هذا و هؤلاء حينما توجه الاشاره بالقرينه الى معين مخصوص. و لا ريب فى ان ما ذكرناه مما يقتحم التشابه بادئ بدء فى امره و ما يؤول اليه تفسيره. و ذلك اما من جهة خفاء القرينه و لو بواسطة القصور فى بعض الافهام. و اما من جهة المكابره فى امرها بحسب الأغراض و إن كانت عقليه بديهيه. او يدل عليها نفس القرآن الكريم او الحديث الصحيح او المستفيض او المتواتر. و لأجل ما ذكرناه من الحكمه صار الكتاب المجيد من حيث وجوه الدلاله فى ألفاظه على المراد منه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ قد أحكمت باقتضاء الحكمه عباراتها فى دلالتها على المراد بجريانها على النص و الصراحه مع التأييد لذلك بحكم العقل البديهى و اقتضاء السياق. فحفظت دلالتها بحسب اللغه و الاستعمال من خيال الاحتمال.

و خلجان التشابه عند المستقيمين فى الشعور و المعرفه لموازين الكلام، و المبرئين من فلتات الجهل و غوايه الأهواء و عبثها بالحقائق. و هذه الآيات المحكمات كل واحده منهن بالنظر الى ذاتها هى ام واصل و مرجع لما توضحه باحكامها من بيان حقيقه او تأسيس أساس، او تشريع حكم، او إيضاح لمتشابه و تأييد لدلالته و لكن بالنظر الى مجموعها فى القرآن المجيد، و كونها باعتبار احكامها مرجعا واحدا مبينا للمراد من حقائق الكتاب المجيد هُنَّ بمجموعهن و النظر اليه أُمُّ الْكِتَابِ و مرجعه الذى يتضح به المقصود من حقائق التنزيل و تتأيد به قرائن المتشابهات و يوضح دلالتها و يزيل عنها غبار الأوهام وَ مِنْهُ أُخِرُ مَتَشَابِهَاتٌ عَلَى مَا أشرنا اليه من أساليب الكلام البليغ و وجوه محاسنه فى المحاوره و ما تقتضيه الحكمه فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ اى استجبوا العمى على الهدى و اختاروا الضلال بأهوائهم و حرفوا قلوبهم و أمالوها عن نهج الحق و الإذعان به و اشعروها الزيغ و الانحراف التعميس فَيَتَّبِعُونَ بِأَهْوَائِهِمْ وَ نَزَعَاتِ ضَلَالِهِمْ، و نزعات اضلالهم ما تشابهة بالنحو الذى أشرنا اليه مِنْهُ اى من الكتاب المجيد فيبدلون مراده و يغالطون فى دلاله قرائنه، و يصرفونه عن موارد تنزيله تغاضيا عن واضحات قرائنه و بينات دلائلها و يتشبثون بالمتشابه اِبْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَ اِبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ اى طلبا لأن يجدوا سبيلا الى التلاعب

فى تأويلهم له بحسب أهوائهم. و صرفه عن مؤدى تنزيهه و طلبا لأن يفتنوا الناس بذلك و ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ اى تأويل القرآن كله إلا الله و الرَّاسِخُونَ فى العِلْمِ لا هؤلاء الذين لم تثبت لهم فى العلم قدم بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون فلم يسلكوا إلا دحض الجهل بزيف الأهواء و للناس فى هذا المتشابه الذى عنته الآيه خلاف كبير و إن خلط بعضهم فى محل النزاع فمن الناس من يقف فى الآيه على لفظ الجلاله و يستأنف قوله تعالى و الرَّاسِخُونَ فى العِلْمِ بأن يكون الراسخون مبتدأ و خبره يَقُولُونَ آمَنَّا فيخرج الراسخين فى العلم عن فضيله العلم بالتأويل و يحطهم عن رتبه استحقوها و نوه بها القرآن الكريم فى هذا السياق المشرق إذ وصفهم فى طرده بالرسوخ فى العلم. و من الناس من قال بعطف «الراسخون» على لفظ الجلاله. و أن الله جلت آلاؤه فتح للراسخين فى العلم باب العلم بالتأويل بلطفه، و كرمهم بهذه الرتبه بتعليمه.

و هذا الخلاف مما لا يكتفى فيه بالمصادرات، و لا لعل و لیت. بل لا بد فيه من إيراد الدلائل الرافعه لتشابه موارد الواو فى عطف المفرد او الجملة او الاستئناف. و غايه ما يحتج به للقول الأول هو ما جمع رواياته فى الدر المنثور. منها عن ابن عباس قال تأويله يوم القيامه لا يعلمه الا الله. و عنه ايضا فى بيان وجوه القرآن و تفسير يعلمه العلماء، و تفسير تعرفه العرب بلغتها، و تفسير لا يعلم تأويله الا الله و من ادعى علمه فهو كاذب. و فى روايه اخرى و تفسير تفسره العلماء و متشابه لا يعلم تأويله الا الله و من ادعى علمه سوى الله فهو كاذب و من طريق طاوس عن ابن عباس ايضا كان يقرأها و ما يعلم تأويله الا الله و يقول الراسخون فى العلم آمنا. و عن الأعمش قال فى قراءه عبد الله و ان حقيقه تأويله الا عند الله و الراسخون فى العلم يقولون آمنا. و ذكر فى الدر المنثور روايه هذا القول ايضا عن رأى عائشه و أبى الشعثاء و عروه و عمرو بن عبد العزيز و مالك و ذكر ايضا أحاديث تحذر من المجادله فى كتاب الله و اتباع المتشابه منها ما

أخرجه عبد الرزاق و سعيد و عبد بن حميد و الجوامع الستة و غيرهم عن عائشه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) انه قرأ الآيات و قال: فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عناهم الله فاحذروهم. و فى لفظ البخارى فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذروهم.

و جمع ابن جرير بين العبارتين - و يردّ هذا الاحتجاج بعد غض النظر عن الأسانيد و ما فيها هو ان يوم القيامه الذى فى حديث ابن عباس

خارج عن محل الخلاف و سوق الآيه و موضوعها من التأويل. بل ان محل الخلاف هو ما عناه بقوله و تفسير تعلمه العلماء، او تفسره. و

قوله فى حديث آخر ظهره التلاوه و بطنه التأويل فجالسوا به العلماء و جانبوا به السفهاء.

و أما ما روى من القراءه فيرده تواتر غيرها و اجماع المسلمين على عدم الاعتناء بها. و أما الآراء التى ذكرنا روايتها فهو اجتهاد فى محل النزاع بلا دليل و اما التحذير ممن يجادل و يتبع المتشابه فإنما هو تحذير من الضالين المضلين الذين وصفتهم الآيه الكريمه لا الراسخين فى العلم. هذا و اما القول الثانى فحجته دلالة العقل و النقل الصحيح من الفريقين و سياق القرآن الكريم، أما دلالة العقل فإن المتشابه الذى أشرنا اليه و الى وجوه تشابهه و الذى يتبعه و يطلبه الزائغون عن الحق ابتغاء الفتنة فى امر الدين و نظام المله و احكام الشريعه هو فى القرآن كثير جدا. و مما لا يصح فى العقل انه مع هذه الكثره يحرم الله من تأويله و العلم به رسوله الهادى الكريم و أمناءه على الوحى، و علماء الأمم. فيكون القسم الكبير من القرآن الكريم لا فائده فى تنزيهه للبشر مطلقا حتى الرسول الأكرم و لا اثر له إلا صدى ألفاظه و سواد حروفه. و اما الحديث من طريقنا

ففى تفسير القمى فى الصحيح عن الباقر (عليه السلام) قال: ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) أفضل الراسخين فى العلم قد علم جميع ما انزل فى القرآن من التنزيل و التأويل و ما كان الله لينزل عليه شيئا لم يعلمه تأويله و أوصيائه من بعده يعلمونه كله و عن العياشى مثله. و فى الكافى عن أحدهما عليهم السلام مثله.

و فى الكافى فى الصحيح عن الصادق (عليه السلام) نحن الراسخون فى العلم و نحن نعلم تأويله. و نحوه عن تفسير العياشى.

و فى نهج البلاغه و غيره قول امير المؤمنين على (عليه السلام) و لقد جئتهم بالكتاب مشتملا على التنزيل و التأويل:

و من طرق اهل السنه ما فى الدر المنثور اخرج ابن جرير و ابن المنذر و ابن الانبارى من طريق مجاهد عن ابن عباس قوله انا ممن يعرف تأويله. و

اخرج احمد و الطبرانى و ابو نعيم فى الحليه عن ابن عباس ان رسول الله قال: اللهم أعط ابن عباس الحكمة و علمه التأويل

و اخرج الحاكم فى مستدركه و ابن أبى شيبه اللهم فقهه فى الدين و علمه التأويل. و اخرج الحاكم ايضا اللهم علمه تأويل القرآن. و أخرج ابن ماجه و ابن سعد و الطبرانى اللهم علمه الحكمة و تأويل الكتاب. فانظر اقلا الى كثر العمال و مختصره فى كتاب الفضائل. و لو كان علم التأويل منحصرًا بالله و لم يعلمه رسوله و الراسخين فى العلم لما دعا به رسول الله (صلى الله عليه و آله) لابن عباس. و ما هو معنى الدعاء بما لا يرجى وقوعه.

و

اخرج الحاكم فى الصحيح على شرط البخارى و مسلم كما هى عادته فى المستدرک عن معقل بن

يسار عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) اعملوا بكتاب الله فما اشتبه عليكم فاسألوا عنه اهل العلم يخبروكم.

الحديث.

و الذى يشته عليهم هو المتشابه. و

اخرج احمد و ابو يعلى فى مسنديهما و البيهقى فى شعبه و الحاكم فى مستدركه و ابو نعيم فى الحليه و سعيد بن منصور فى سننه و ابن السكن عن الأخصر الانصارى. و الديلمى عن أبى ذر جميعا عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) ان عليا (عليه السلام) يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل هو (صلى الله عليه و آله) على تنزيله.

و مفاد الحديث ان امير المؤمنين (عليه السلام) كان عالما بتأويل القرآن على حقيقته فهو يقاتل دفاعا عنه و تثبيتا لحقائقه فى الدين و اساسياته كما قاتل رسول الله (صلى الله عليه و آله) دفاعا عن تنزيله: و اما دلالة سياق القرآن فإن تمجيد الراسخين فى العلم بهذا التمجيد السامى و الصفه الفائقة انما يناسب عطفهم فى مقام العلم بالتأويل و رسوخهم فيه و مجدهم فى الايمان بمؤداه على بصيره من أمرهم و اما قولهم آمنا فلو أريد به الإيمان بنزول لفظه من دون علم بمعناه و لا عمل به لكان المناسب له وصفهم بتصلبهم فى الايمان و التسليم لرسول الله فى التنزيل اذن فقوله تعالى يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ حال اى يعلمون تأويله حال كونهم يقولون آمنا اى بما عرفوه من مؤداه فإن الكثير منه هو اساسيات دينيه قد اقتضت الحكمة إبهامها حال التنزيل بالإطلاق او العموم او الكنايه او غير ذلك مع بيان تأويلها و خصوصيه المراد بقرائن الحال او السنه كما وقع مثله فى آيه الزكاه إذ أهمل مقدارها و وقت أخذها و مورد وجوبها الى سنه ترويضاً للناس فى أمرها و صعوبتها عليهم. و سيمر ان شاء الله لذلك موارد كُتِبَ من المحكم و المتشابه و التأويل مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا و لى أمرنا الحكيم فى بيانه لنا و هداانا إلى الحق وَ مَا يَذَكِّرُ من ارشاد القرآن الكريم و هذه الآيه الشريفه

سوره آل عمران (٣): آيه ٨

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨)

إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ٦ رَبَّنَا اى يا ربنا و مالك أمرنا و من بيده توفيقنا و خذلاننا. و مناسبه السياق تقتضى ان يكون ذلك دعاء من الراسخين فى العلم فى التوفيق للثبات على الهدى بما علمهم الله من التأويل لا تُزِغْ قُلُوبَنَا اى لا تخذلنا و تسلب عنا بسوء اعمالنا لطفك و توفيقك فتزيغ قلوبنا و تنحرف عن الحق و الاستقامه فنبغى الفتنة بالتلاعب بتأويل القرآن بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا بلطفك الى معرفه الحق، و النكته فى نسبه الإزاعه إلى الله هى النكته فى نسبه الإضلال اليه جل شأنه. و هى التنويه بما لتوفيقه من الأثر المحيى

و ما لخذلانه من الوبال المهلك كما ذكرنا فيما قبل الأخير من شواهد المقام الثاني من مقدمه فى نسيه الإضلال و أوضحنا امره فى تفسير الآيه السادسة من سوره البقره وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً بِاللطف و التوفيق

سوره آل عمران (٣): الآيات ٩ الى ١٠

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (١٠)

إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ٧ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَ الْحَشْرُ مِنَ الْقُبُورِ لِلْجَزَاءِ. كيف يكون فيه ريب و أنت أخبرت به فى كتابك الكريم بالصراحه المتكرره المؤكده و الحجه القاطعه إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ و عدل من الضمير الى الظاهر لأن لفظ الجلاله فيه اشاره الى الإلهيه و كمالها و قدسها فكأنه احتجاج على عدم الخلف للميعاد بمعنى أن الإله يجلّ عن ذلك فلنا اليقين و الثقة التامه بما وعد من المعاد و الجزاء.

٨ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا- أَوْلَادُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ كَمَا فِي التَّبْيَانِ، و مجمع البيان فى تفسير الآيه الثانيه عشره بعد المائه و فى الجلالين فى تفسير الآيتين او بلائه او انتقامه او غضبه او مطلق ما يخاف منه فتكون «من» للابتداء كقولك أغنيت عنك فى الحرب أهوالها من الميمنه شيئاً من الغناء فيكون فى مقام المفعول المطلق لتغنى و يحتمل أن يكون مفعولاً به لتغنى اى لن تغنى شيئاً من عذاب الله و لن تجزيه فتكون «من» للتبويض: ذكرت الأموال و الأولاد لأنها من أهم ما يعتمد عليه الإنسان الجاهل لما يخافه من النوائب و هى التى يبيع لها آخرته و دينه. و الغنى بالقصر و بالمد ككلام عدم الحاجه و اغنى فلان قام بالحاجه و كفى عن غيره و اليه يرجع قول التبيان. الاختصاص بما ينفى الحاجه. و كثر استعماله فيما كان الكافى او المكفى مما لا يعقل كاستعماله فى دفع ما لا يرد و التخليص منه كقوله:

إذا قال قدنى قال بالله حلفه لتغنى عنى ذا إنائك اجمعا

اى ما فى إنائك و قول عثمان للرسول بصحيفه امير المؤمنين على (عليه السلام) اغنها عنى. و لأجل ما ذكرناه صار اللغويون يجولون حول هذا المعنى ففسروا الإغناء بالنفع او كفايه المؤنه، او الاجزاء، او الصرف، او الكف. و كثيرا ما يترك المفعول للإغناء و المتعلقات به لعدم الحاجه الى ذلك فى مهم المقام كقول طرفه فى معلقته

و لا تجعليني كامرئ ليس همه كهمي و لا يغني غنائي و مشهدي

و قد يترك المفعول و تذكر المتعلقات المقصوده كما تقول ذبحت بالسكين و دفعت عنك بنفسى و أغنيت فى الحرب من هجماتى او من أبطالها أو من ميمنتها مثلا فتكون «من» فى هذا المثال كالأيه للابتداء كما عن المبرد و بعض. و ذلك لتضمن إغناء المحذور معنى التخليص منه. و قال فى الكشاف و المغنى ان «من» فى الأيه بمعنى «بدل» اى ان أموالهم و أولادهم لا تغنى عنهم بدل رحمه الله أقول و هذا التفسير لا يستقيم مع إبقاء الإغناء على معناه و كيف تكون رحمه الله مغنيه عن الكافرين بمعنى اغتناء المحاذير و اكتفائها و اجترائها بالرحمه بخلاف الأموال و الأولاد فإنهم لا يكونون كذلك بدل الرحمه. اللهم الا ان يدعى استعمال لفظ الإغناء هنا بمعنى النفع لكنه مجاز لو صح لكان محتاجا الى القرينه المفقوده هاهنا فإن معنى النفع غير معنى الإغناء.

تقول فى مثل هذا المقام أغنيت عنه و لا تقول نفعت عنه مضافا الى ان قوله تعالى لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ مانع عن استعمال لفظ الإغناء بمعنى النفع لأن المتعلقات و الحروف الجاره انما هى باعتبار المعانى لا باعتبار الألفاظ. إذا عرفت هذا فقل ما شئت فى تفسير صاحب المنار حيث قال و انما معنى «من» هنا البديله اى ان أموالهم و أولادهم لن تكون لهم بدلا من الله تغنيهم عنه. و أقول لماذا نسى هذا المفسر ان تنزيل الأيه الكريمة انما هو لن تغنى عنهم لا لن تغنيهم. و اين «من» من البديله و مثل ذلك ما حكى عن أبى عبيده من ان معنى «من» فى الأيه معنى «عند» و أولئك اى الذين كفروا هم و قود النار و سواه لهم و سحقا

سوره آل عمران (٣): الآيات ١١ الى ١٢

كَدَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١١) قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلِبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ (١٢)

٩ كَدَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ الدَّابُّ مصدر دأب يدأب إذا اعتاد الشىء و تمادى عليه اى حال هؤلاء المذكورين و دأبهم كدأب آل فرعون اى قومه وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ من الأمم كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا هذا تفسير لدأبهم اى كدأب المذكورين فى التكذيب فَآخَذَهُمُ اللَّهُ استولى عليهم بالعقاب بِذُنُوبِهِمْ اى بسببها وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ١٠ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلِبُونَ وَ تُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَ بِئْسَ الْمِهَادُ المهاد ما يمهده الإنسان لاستراحته و عبر عن جهنم بالمهاد تهكما بهم و بسوء اختيارهم و عاقبتهم، فى تفسير

القمى ان هؤلاء بنو القينقاع من اليهود لما نقضوا بعد وقعه بدر عهدهم مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) فغزاهم و خوفهم بما فعل الله بالمشركين فافتخروا برجالهم فانزل الله الآيه و غلبوا و اخرجوا من ديارهم و أموالهم الى الجلاء صاغرين خاسئين، و فى الدر المنثور أخرجه ابن إسحاق و ابن جرير و البيهقى فى الدلائل عن ابن عباس. و ذكر فى التبيان قولاً- بانه اخبار لليهود بان عبده الأوثان و منهم قريش سيغلبون و هو على هذه القراءه و هى خلاف المتواتر المتعارف و نقل فى الكشاف غير ذلك و الأول اقرب الى الصواب

سوره آل عمران (٣): آيه ١٣

قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ (١٣)

١١ قَدْ كَانَ لَكُمْ هَذِهِ الْآيَةُ ايضاً مما امر الله به رسوله ان يقوله لهم آيئه و دلاله و موعظه فى فِئَتَيْنِ فرقتين من الناس التقتا فى الحرب فِئَةٌ منهما تُقَاتِلُ فى سَبِيلِ اللَّهِ وَ فِئَةٌ أُخْرَى منهما كَافِرَةٌ يظهر من القمى انها فتتا المسلمين و المشركين فى وقعه بدر. و هى روايه الدر المنثور و ابن جرير عن ابن عباس و ذلك هو المناسب لخطاب بنى القينقاع يَرَوْنَهُمْ مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنِ المعروف أن المسلمين فى بدر كانوا ثلاثمائة و ثلاثه عشر رجلاً.

و المشهور فى الروايه ان المشركين كانوا نحو التسعمائه و خمسين. فيكون المعنى ان المسلمين كانوا يرون جمع قريش مثلهم بحسب رؤيه العين للجمع و صوره التجند لا- بحسب الـحراز للعدد و معرفه الكميّه. أراهم الله إياهم مثلهم لثلا- يستقلوهم و يتساهلوا فى حربهم استقلالاً و استضعافاً لهم و أراهم بدون عددهم فى المقدار لثلا- تهولهم كثرتهم فيحجموا عن مناجزتهم و يتخاذلوا فى لقاءهم كما قال الله تعالى فى سوره الأنفال وَ إِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَقُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَ يُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَ قِيلَ فى معناها ان المشركين بعد أن اشتبكت الحرب خذلهم الله فصاروا يرون المسلمين مثلهم و ان كانوا نحو ثلثهم. و الأول بلحاظ الآيتين اظهر و أقرب وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ الأيد القوه و التأييد التقويه و قد أيد الله المسلمين بذلك النصر الباهر إِنَّ فى ذَلِكَ لَعِبْرَةً و موعظه لأولى الأبصار يجوز أن يكون البصر هنا بمعنى البصيره كما ذكره اللغويون، و يجوز أن يراد به حسن العين فإن ارأه الشىء بالإرادته الإلهيه على غير العاده آيه و عبره لأولى الأبصار العارفين بعاده البصر. أو أن ذلك النصر بما عليه المسلمون

من القله و ضعف العده و ما عليه المشركون من قوه العده و كثره العديده عبره لمن رأى ذلك

سوره آل عمران (٣): آيه ١٤

زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبِّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤)

١٢ زَيْنَ لِلنَّاسِ بحسب النوع بالنسبه لجميع المذكورات حُبِّ الشَّهَوَاتِ اى المشتهيات كما يقال فلان طلبتى و هذا سؤلى و حاجتى و «من» بيانیه و لو كان لفظ الشهوات على حقيقته لعدى و ربط بما بعده باللام مِنَ النِّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ فى التبيان فى القنطار و

قيل هو ملء مسك ثور ذهباً و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) يعنى الباقر (عليه السلام) و فى مجمع البيان و أبى عبد الله يعنى الصادق (عليه السلام). و فى الدر المنثور أخرجه عبد بن حميد و ابن أبى حاتم و البيهقى عن أبى سعيد الخدرى.

قلت و ذلك احد الاحتمالات التى ذكرت فى كتب اللغة. و أورد فى الدر المنثور عن رسول الله روايات متعددة متعارضة انه الف و مائتان اوقيه و فى روايه انه الف اوقيه. و فى اخرى الف دينار و فى اخرى الف و مائتا دينار، و ينبغى ان تكون الروايه عن الباقر و الصادق و أبى سعيد فى مورد السؤال عن قنطار الذهب او سقط منها قولهم او فضه. و المقنطره المجموعه قناطر كقولهم ألوف مؤلفه وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ اى المرسله لأن ترعى سائمه لكثرتها وَ الْأَنْعَامِ وَ هى الإبل و البقر و الغنم بأصنافها وَ الْحَرْثِ وَ هو المغروس و المزروع. و لم يذكر فى هذه ما هو محرّم العنوان ليكون تزيين الله له أشد فى المنافاه لقدس الله من الأمر بالفحشاء و المنكر الذى تمجد الله و له المجد بتقديس جلاله و تنزهه عنه. فلا مانع من أن يكون الله تبارك اسمه هو المزين لحب المشتهيات المذكوره من طريق حلها كما تكفلت بيانه الشريعه المقدسه و حددته بحدوده، زين حبها لنوع البشر تمهيدا لحسن اجتماعهم و بقاء نوعهم و انتظام اقتصادهم، و تشابكهم فى عموم المنافع، و انتظام التبادل فيها، زين حب النساء و البنين لكى يسهل على الأزواج تحملهم لعشره النساء و نفقاتهن و نقصهن نوعا فى الأخلاق و الاستقامه فينتظم بذلك التحمل امر التوالد و التناسل. و زين حب البنين لكى يطلب البشر التناسل و يقوموا بالمشقات المعروفه فى نفقتهم و تربيتهم و حسن المداراه لهم فى تربيتهم و النظر الى إصلاح أمورهم و عواقبهم. و زين حب الأموال المذكوره لينهض الناس الى العمل و العمران فتتوفر نعم الله على عباده و ينالوا به اللذه و التنعم على حسب حبهم لمشتهياتهم و يعرفوا منها أنموذجا لنعيم

الآخره الدائم فيدفعهم الشوق اليه الى الأعمال الصالحه فلا يستولى على الناس او يغالطهم العجز بالتصوف البارد، وقد تكاثرت الأحاديث في ان الزهد في الدنيا هو الورع عن محارم الله و قد صرح امير المؤمنين على (عليه السلام) بانه يتعاطى التقشف في معيشته لأنه رئيس المسلمين و المنظور اليه في الاقتداء فيتسلى بحاله (عليه السلام) من الح الفقر عليه و مسته البأساء. و في سوره الأعراف ٢٩ يا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَ كُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ٣٠ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا يتنعمون بها بحسب ايمانهم الصادق على الحدود المشروعه و الجاريه على المصالح و الصلاح «خالصه» من تبعات العقاب و النكال «يَوْمَ الْقِيَامَةِ» كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ و ما هذا التزيين الا- للحكمه التي خلق الله بها للإنسان شهوه و قوى يتنعم بها في الحياه الدنيا بما أحله الله و جعل في الحلال كفايه في الحاجه و بلغه في التمتع و حدد حدوده بنهى العقل و الشريعه عن الفحشاء و المنكر و البغى و ما فيه المفسده للشخص و النوع و نظامه و وعظ في ذلك و انذر و توعده و حذر و أرسل في ذلك الرسل و انزل الكتب و شرع الشرايع و استحفظ على إقامتها الأئمه، و استخدم لها علماء الامه. نعم ان الذي يزينه الشيطان ليس هو القسم الذي يبقى به نوع الإنسان، و شرف العمران، و يقوم به نظام الاجتماع. بل هو خصوص المحرمات و ما فيه فساد النظام ذَلِكَ اى ما ذكر من المشتبهات متاع الحياه الدنيا الفانيه وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ و المرجع و هو المآب الذي لا فناء فيه و لا عناء و لا تكدير في نعيمه فهو الحسن المطلق

سوره آل عمران (٣): آيه ١٥

قُلْ أَ أُتْبِئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (١٥)

١٣ قُلْ يا رسول الله للناس أَ أُتْبِئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ مما هو لِلَّذِينَ اتَّقَوْا الله و رغبوا في رضاه و طلبوا ما عنده و ما أعد لهم عِنْدَ رَبِّهِمْ هى جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ اى مساقى أشجارها لا بنحو تكون به كلها من قسم المستنقعات و لا يخفى ما فى وصف القرآن من البهجه الفائقه الممتازه خالدين فيها اى فى الجنات لا فناء لهم و لا لنعيمها كما يفنى متاع الحياه الدنيا و أهلها و لا إخراج لهم منها وَ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ بما يرغب العقلاء فيه من طهاره الأزواج فى الخلق و الأخلاق

و فى ذلك النعيم الهنئى وَ رِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَ هُوَ الْغَايَةُ الْقَصْوَى لِأَوْلَى الْأَبَابِ فى النعيم وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ وَ مَا يَعْمَلُونَ وَ مَا يَسْتَحِقُّونَهُ مِنَ الْجَزَاءِ

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦ الى ١٨

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦) الصَّابِرِينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الْقَانِتِينَ وَ الْمُتَّقِينَ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَشْحَارِ (١٧) شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَ الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨)

١٤ الَّذِينَ فى هذا بيان لصفات الذين اتقوا. و ما أكرمها و أحسنها من صفات يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنا آمَنَّا اى يؤمنون و يعترفون لله بايمانهم و يجعلونه وسيله الى الله فى الدعاء لنجاتهم و غفران ذنوبهم فَمَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ ١٥ الصَّابِرِينَ عن المعاصى و على الطاعات و على نوائب الدهر تسليما لأمر الله و رضى بقضائه وَ الصَّادِقِينَ وَ أكرم بها صفه و احسن وَ الْقَانِتِينَ الدائبين فى العباده وَ الْمُتَّقِينَ كما أمرهم الله و ندهم اليه وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَشْحَارِ السحر هو الوقت الذى قبيل طلوع الفجر و هو احسن الأوقات نوعا لحضور القلب فى العباده و الإقبال على المناجاه و الدعاء، و أبعدها عن مداخلة الرياء شَهِدَ اللَّهُ اصل الشهاده من الشهود و الحضور و المعاينه ثم شاعت فيما ينشأ عن ذلك و نحوه من الاعلام بالأمر و الشىء لإثباته و منه المقام فيقال شهد بكذا أَنَّهُ اى بانه لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ و شهاده الله اعلامه بإلهيته و وحدانيته بالدلالات الجليه و الحجج القاطعه و من ذلك خلقه للعالم و دلائل الحكمه، و قوانين النظام الباهر فيه و دوام انتظامه على ذلك وَ شهد بذلك ايضا الْمَلَائِكَةُ وَ أُولُوا الْعِلْمِ وَ هم الذين لم يعمهم الجهل عن النظر اقلا الى نظام العالم و دوام انتظامه فشهدوا بذلك عن علم و بصيره و حجه قيمه يرشدون بها الجاهل و يقاومون بها المعاند قَائِمًا بِالْقِسْطِ فى التبيان و روى فى تفسيرنا ان فى الآيه تقديم و تأخيرا تقديره شهد الله انه لا اله الا هو قائما بالقسط و الملائكه الآيه اى على انه حال من الضمير «هو» انتهى و فيه ان مثل هذا الإرسال لا ينهض بإثبات شىء فضلا عن مصادمته بالمتواتر من القراءه و المصاحف، و فى الكشف جَوِّز كونه حالا- من الضمير ايضا على القراءه المتعارفه، أقول و الأنسب بكرامه القرآن الكريم فى سياقه و أسلوبه المجيد ان يكون حالا من لفظ الجلاله فإنه هو الذى له عنوان الكلام و وجهه الذى يقرب له البعيد من جملته و يوصل به المنفصل دون ضمائره فكل ما صلح ان يرتبط به من حال او غيره جره عنوان

الكلام ووجهه اليه و لا- يرتبط بغيره الا- بالقرينه كما هو الشأن فى كل كلام له حظ من البلاغه و الاستقامه. و فسروا القسط بالعدل. و الظاهر اراده التقارب فى المعنى لا الترادف و الاتحاد فى المفهوم. فان الاستعمال و ما ورد فى القرآن الكريم ينافيان ذلك لأنه يقال عادل و لا يقال قاسط الا للجائر و نحوه. بل يقال لما يجعلونه بمعنى العادل مقسط و ان اقسط يعدى يالى كما فى قوله تعالى فى سورة الممتحنه ٨ أَنْ تَبْرُوهُمْ وَ تُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ و العدل لا يعدى يالى و أظن ذلك منهم كتفسير الظلم بالجور مع ان الجور لا- يتعدى الا بعلى. و الظلم يتعدى بنفسه فإنهم يفسرون اللفظ بما يقاربه فى المعنى حيث لا يجدون له مرادفا. و من الظاهر فى التبادر ان الجور ابلغ فى العدوان من الظلم. و قد استفاض

فى حديث الفريقين فى المهدي (عليه السلام) يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا،

و فى سورة الحجرات ٩ فَأَضِيْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا و الظاهر من ذلك هو التأسيس لا التأكيد. و قال الله تعالى فى سورة المائده ١١ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ فاقسط انسب بالشهادة من العدل و القائم بالشىء هو محققه و مجريه و مديمه اى شهد الله و هو المجرى للقسط و الحق و مديمه فى الشهاده و غيرها. فما أعظمها و ما اكبر شأنها من شهاده لا إله إلا هو و هذا تأكيد للمشهود به بعد الاخبار به كما تقول اشهد بكذا و هو كذلك العزيم فى إلهيته و وحدانيته الحكيم فى اعماله

سوره آل عمران (٣): آيه ١٩

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩)

١٧ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ قد مر تفسير الإسلام فى الآيه الثانيه و العشرين بعد المائده، و تفسير الدين فى التاسعه و الثمانين بعد المائده من سوره البقره. و ان دين الإسلام هو دين الفطره الذى تجلت فيه ادله العقل و النظر فى ملكوت العالم و دعوه الأنبياء و الرسل و صراحه الكتب الإلهيه المشهود لها بدلاله المعجزات. و قد بقى ما يكفى فى ذلك فيما حرف من التوراه و الإنجيل و مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ فى هذا الدين و هم بنو إسرائيل و خصوص اليهود و النصرارى فتقلب الغالب من بنى إسرائيل فى الشرك من يوم مروا على عبده الأوثان و ذلك بعد ما اسلموا لموسى و رأوا الآيات النيرات فى مصر و انشقاق البحر لهم و عبورهم فيه على الأرض اليابسه فقالوا لموسى اجعل لنا إلهها كما لهم آلهه (١) و يوم عبدوا العجل و استمروا على القلب فى الشرك فى اجيالهم كما هو

ص: ٢٦٥

معروف في تاريخهم و كتبهم و ذهب الكثير من النصارى الى تثليث الالهة و تأليه المسيح و ابطال الشريعة بالرأى حتى استوعبهم ذلك أخيراً (١) إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بِالتَّوْحِيدِ وَ الدِّينِ الصَّحِيحِ مِنْ دَلَالَةِ الْعَقْلِ وَ الْفِطْرَةِ وَ الْمَعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، وَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ وَ صِرَاحِهِ كَتَبِهِمْ. كما بقى شىء من ذلك فيما حرفوه. و لكن حدث الاختلاف فيهم بغيّاً بينهم من الكافرين على الموحدين. او بغيّاً حاصلًا بينهم على الحق و تمردًا على ما يعلمون، و استمر ذلك البغى فيهم حتى جحدوا رساله رسول الله و قرآنه و ما فيه من معارف الحق و شريعته بعد ما دل على ذلك المعجز و كتبهم فى البشرى برسول الله و قرآنه وَ مَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَجْحَدْ دَلَالَتَهَا الْبَيِّنَةَ فَإِنَّ اللَّهَ مُحَاسِبُهُمْ وَ مَعَاقِبُهُمْ وَ مَجَازِيهِمْ عَلَى كُفْرِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَ نَرَاهُ قَرِيبًا (١) كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبُثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (١)

سوره آل عمران (٣): آيه ٢٠

فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَ مَنْ اتَّبَعَنِ وَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْأُمِّيِّينَ أَسَلَّمْتُمْ فَإِنْ أَسَلَّمُوا فَقَدْ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠)

١٨ فَإِنْ حَاجُّوكَ وَ جَادَلُوكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي التَّوْحِيدِ وَ مَا جِئْتُ بِهِ.

فَقُلْ لَهُمْ فِي الْحُجَّةِ الدَّامِغَةِ لَهُمْ أَنْكُمْ قَدْ وَافَقْتُمُونَا فِي بَعْضِ أَقْوَالِكُمْ وَ مَا عِنْدَكُمْ مِنَ الْكُتُبِ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ فِي الْإِلَهِيَّةِ وَ الْقُدْسِ وَ الْكَمَالِ. كما هو الحق و الحقيقه و هل عن ذلك من محيد فما ذا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ (١) إِنِّي أَسَلَّمْتُ وَ وَكَلْتُ وَ خَلَيْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ لَا أُصَدِّهِ بِضَلَالِ الْأَهْوَاءِ عَنِ اللَّهِ وَ تَوْحِيدِهِ، وَ طَاعَتِهِ وَ دِينَ الْحَقِّ وَ مَنْ اتَّبَعَنِي عَلَى الْحَقِّ الْوَاضِحِ أَيْضًا أَسَلَّمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ. وَ جَازَ عَطْفَ الْمَوْصُولِ عَلَى الضَّمِيرِ الْمَرْفُوعِ الْمَتَّصِلِ فِي «أَسَلَّمْتُ» لَوْجُودِ الْفَاصِلِ وَ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ بَعْدَ هَذَا النُّحُوِّ مِنَ الْإِحْتِجَاجِ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ وَ النَّصَارَى وَ الْأُمِّيِّينَ أَهْلَ أُمِّ الْقُرَى وَ هِيَ مَكَّةُ. أَوِ الْعَرَبِ لِأَنَّهِنَّ بِحَسَبِ النَّوْعِ وَ الْغَالِبِ لَا يَقْرَءُونَ وَ لَا يَكْتُبُونَ بَلْ هُمْ عَلَى مَا وَلَدَتْهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ مِنَ الْجَهْلِ بِذَلِكَ. فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْأُمِّيِّينَ مُعْتَرِفُونَ أَيْضًا بِاللَّهِ وَ إِلَهِيَّتِهِ وَ قُدْسِهِ وَ كَمَالِهِ أَسَلَّمْتُمْ وَ دَخَلْتُمْ

ص: ٢٦٦

١- و قد أشرنا إلى شىء من ذلك من صراحه كتبهم فى المقدمة الخامسة من كتاب الهدى فى الجزء الأول صفحه ١٩-٣٤

فى سلم الله فلا تحاربونه ولا تحادونه بالشرك و التمرد على آياته و رسوله و قرآنه فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا و ذلك هو الفوز العظيم وَ إِنْ تَوَلَّوْا عَنِ الْإِسْلَامِ و حادوا الله و رسوله فليس عليك من حسابهم من شىء و ليس عليك أن لا يتولوا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ و الدعوه الى الله و دين الحق وَ اللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ مِنْكُمْ و منهم و يوفق من هو اهل للتوفيق

سوره آل عمران (٣): الآيات ٢١ الى ٢٣

إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١)
أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٢٢) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنْ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)

١٩ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ حَقٍّ بِيَانٍ لِأَن قتل النبيين لا- يكون إلا- بغير الحق وَ يَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَ هو الحق و المعروف و قيل العدل مِنَ النَّاسِ مِنَ الْعِبَادِ الصَّالِحِينَ من غير النبيين فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ يَعْنِي الْقَاتِلِينَ الْكَافِرِينَ بِعَذَابٍ فِي الْآخِرَةِ أَلِيمٍ و عبر بالتبشير للسخرية بهم و التوبيخ لهم. و دخلت الفاء على بشرهم لأن الخبر هنا بمنزله الجزاء المتفرع على الكفر و قتل النبيين كما فى قوله تعالى السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا ٢٠ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَأَجَلَ مَا ذَكَرَ مِنْ كُفْرِهِمْ وَ قَتْلِهِمْ لِلنَّبِيِّاتِ وَ الصَّالِحِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ التى فيها حسن كالأحسان الى الفقير و العانى و نحو ذلك فلا أثر لها فى استحقاق الجزاء و التخفيف عنهم بل سقطت فى الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ينصرونهم على الله و ينجونهم من عذابه ٢١ أَلَمْ تَرَ أَى أَلَمٍ يَصِلُ عِلْمَكَ إِلَى حَالِ الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا أَى حِظًا و بعض الشىء مِنَ الْكِتَابِ لا يبعد أن يكون المراد هنا التوراه و الإنجيل أَى من جنس الكتاب و ان روى ان مورد النزول هم بعض اليهود. و عبر بالنصيب من الكتاب باعتبار ان التوراه و الإنجيل قد حَرَفَا و بدلا فى أكثرهما و لم يبق منهما على ما أنزل إلا البعض و هو النصيب الذى بقى من التوراه لليهود و النصارى المعاصرين لرسول الله و من الإنجيل الذى بقى للنصارى منهم. فقد بقى من التوراه إيمان ابراهيم و توحيده و تاريخه المبين انه كان قبل اليهوديه و النصرانيه و اقاويلها فى الدين و التوحيد. و بقى فيها البشرى لبنى إسرائيل

بأن الله يرسل نبيا من إخوانهم أى من ولد إسماعيل لا منهم و يجعل كلامه فى فمه كما فى الفقرة الخامسة عشره الى العشرين من الفصل الثامن عشر من سفر التثنيه. و بقى فيها حكم القصاص فى النفس و العين و السن و الجروح كما فى العدد الحادى و العشرين من الفصل التاسع عشر منه.

و بقى فى الإنجيل شىء من الدعوه الى الاعتراف بأن الله هو الإله الحقيقى وحده و ان عيسى رسوله كما فى العدد الثالث من الفصل السابع عشر من إنجيل يوحنا. و بقيت البشرى برسول الله احمد «بيركلوطوس» و ان حرفوه الى «بيراكليطوس» و عبروا عنه «فارقليط» و «المعزى» كما فى الفصل السادس عشر و السابع عشر من إنجيل يوحنا. و حال هؤلاء انهم يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ هُوَ الْقُرْآنُ الَّذِى قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ بِأَنَّهُ كِتَابُ اللَّهِ بِدَلَائِلِ اعْجَازِهِ وَ بَشَرِي كِتَابِهِمْ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَ هُمُ الْأَكْثَرُ وَ هُمْ مُعْرِضُونَ عَنِ الْقُرْآنِ وَ دَلَائِلُ حُجَّتِهِ. وَ مِنْهُمْ مَنْ وَفَّقَ لِلْإِسْلَامِ وَ الْخُضُوعِ لِأَحْكَامِ اللَّهِ فِي قُرْآنِهِ الْمَجِيدِ. وَ مَقْتَضَى رِوَايَتِي الدَّرِ الْمَثُورِ وَ مَجْمَعِ الْبَيَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِى يَدْعُونَ إِلَيْهِ هُوَ التَّوْرَةُ. وَ كَفَى بِذَلِكَ مَوْهِنًا لِلرِّوَايَتَيْنِ فَإِنَّ التَّوْرَةَ كَانَتْ حِينَئِذٍ مُحَرَّفَةً بِأَشَدِّ التَّحْرِيفِ كَمَا تَرَاهَا الْآنَ فَكَيْفَ يَسْمِيهَا الْقُرْآنُ «كِتَابَ اللَّهِ»

روى فى الدر المنثور عن ابن عباس ان رسول الله «ص» دعا اليهود الى حكم التوراه بأن ابراهيم لم يكن يهوديا،

و يوهن هذه الروايه بعد غض النظر عن سندها ان التوراه ليس فيها ان ابراهيم لم يكن يهوديا و غايه ما فيها ذكر التاريخ المضطرب و منه ان الله أوحى إليه أن نسله أى بنى إسرائيل يستعبدون و يذلون فى ارض غريبه أى ارض مصر اربعمائه سنه (١) و قالت التوراه ايضا فى الفصل الثانى عشر من سفر الخروج ان المده كانت اربعمائه و ثلاثين سنه هذا مع ان النسخه السامريه و النسخه السبعينييه قد زادت فى الاضطراب و جعلتا المده المذكوره مده لإقامه بنى إسرائيل و آبائهم فى ارض مصر و كنعان و قد تكلمنا على هذا الاضطراب فى الجزء الثانى من كتاب الهدى (١) فهل يدعوهم رسول الله الى لا شىء فى مثل هذا الكتاب المضطرب. و

فى مجمع البيان عن ابن عباس دعاهم رسول الله.].

ص: ٢٦٨

الى حكم التوراه برجم الزانى.

و هذه الروايه موهونه ايضا بمضمونها فضلا عن وهنها بإرسالها و بما ذكرناه فى موهن الروائتين. فإن الموجود فى توراههم ان الرجم على الفتاه التى لم يجد لها زوجها بكاره و على العذراء المخطوبه إذا زنت و على الزانى بها كما فى الفصل الثانى و العشرين من سفر التثنيه. و اما من يكون عليه الرجم فى شريعته رسول الله فلم تذكر فيه التوراه الموجوده الا القتل كما فى الفصل المذكور و الفصل العشرين من سفر اللاويين. إذن فلا- يحكم رسول الله «ص» بالرجم على خلاف شريعته و يحتج بالتوراه المحرفه و يسميها كتاب الله

سوره آل عمران (٣): الآيات ٢٤ الى ٢٦

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَ غَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (٢٥) قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَ تُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَ تُدْلِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٦)

٢٢ ذلِكَ أى توليهم و عنادهم لما يعرفونه من الحق اغترارا منهم بِأَنَّهُمْ قَالُوا أى بسبب انهم زعموا فى اعتقادهم الفاسد بأن عذابهم على مخالفه الحق هين قصيره مدته لا ينبغى أن يصددهم عن المحافظه على جامعه أهوائهم و عصيتهم القوميه لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ و لا نعذب بها إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ قليله وَ غَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ الذى يجب أن يدينوا به فخالفوه الى أهواء العصبية و ضلالها ما كَانُوا يَفْتَرُونَ بقولهم لن تمسنا النار إلا أياما معدودات فكفروا بدين الحق و رسول الله و كتابه و ضلوا و أضلوا ٢٣ فَكَيْفَ حالهم إِذَا جَمَعْنَاهُمْ فى الحشر بعد موتهم لِيَوْمٍ لا- رَيْبَ فِيهِ و هو يوم القيامة وَ وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ أى جوزيت بجزائه و افيا أى تاما وَ هُمْ أى اهل المحشر لا- يُظْلَمُونَ بنقص الثواب او بالعقاب. يا رسول الله لا تأس من تمرد اهل الكتاب على دين الحق و مظاهرتهم للمشركين على الكفر فإن الله يظهرك عليهم و يعزك و يذلهم و يجعل لك السلطه على اظهار دينه ٢٤ قُلِ اللَّهُمَّ معناه يا الله و كأن الميم المشدده المفتوحه فى آخر الكلمه عوض عن حرف النداء فإنهما لا يجتمعان. و شذ قول الراجز «أقول يا اللهم يا اللهم» مَالِكِ الْمُلْكِ الملك بضم الميم و سكون اللام هو التسلط و السلطنه. و الله مالكه و بيده أمره و هو الخالق لما تكون عليه السلطنه و لمن يكون سلطانا. له ملك السموات و الأرض تُؤْتِي الْمُلْكَ و السلطنه الموقته مَنْ تَشَاءُ من الناس أن تؤتیه. و إيتاء الله للملك يكون على

وجهين «أولهما» هو الإيتاء الخاص للممتاز من عباده بالصالح والأهليه لتكميل البشر وإصلاحهم في المعارف الدينيه، و الأخلاق الفاضله، و حسن الاجتماع، و الحصول على المستقبل الصالح السعيد. و هذا هو ملك الرسل و الأنبياء و أئمه الحق «و ثانيها» إيتائه لا بهذا النحو بل بحسب سير التقدير في العالم و اقتضاء الأسباب التي قدرها الله في هذا الكون نعمه في الحياه الدنيا محددًا لذلك بحدود الأخلاق الكريمه و الواجبات العقلية و الشرعية و النهى عن محرماتها كما أنعم على الإنسان بالقوى ليعتمتع بها في الواجب و الندب و المباح. فيستقيم على الجاده من يستقيم و يحظى من ذلك بالكمال، و حسن الجزاء. و يضل بسوء اختياره من يضل فيخسر حظه و يستوجب ما يستوجب. و لكل من إيتاء الملك و القدره و القوى اثر و غايه تحصل عن حسن اختيار الإنسان او سوءه. ففي سوره النمل في شأن سليمان النبي في تواضعه لله الناشئ من عصمته الاختياريه قوله في مسأله عرش بلقيس ٤٠ فَلَمَّا رَأَتْهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ و في سوره يونس ٨٨ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ الْآيَةَ اى و كانت عاقبتهم ان يضلوا عن سبيلك بسوء اختيارهم. و فصل الكلام بقوله «ربنا» لايضاح ان المراد من اللام هي العاقبه لا التعليل و في سوره البقره ٢٥٨ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْمُلْكُ وَ مَا يَنْبَغِي التَّنْبِيهِ عَلَيْهِ ان الشيخ في التبيان قال ان الهاء في آتاه الله الملك كناية عن المحاج لإبراهيم و نسب عودها الى ابراهيم الى القيل. ثم قال في تُوْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ ما ملخصه لا يجوز ان يعطى الله الملك الفاسق لقوله تعالى لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ فكأنه نظر في هذه الآيه الى الوجه الاول من وجهى إيتاء الملك و في آيه البقره الى الوجه الثانى و لعل صورته هذا التدافع نشأت من اختصار التبيان و لذا لم يقع مثله في مجمع البيان و في تفسير البرهان عن الكافي باسناده عن عبد الأعلى و عن تفسير العياشى عن داود بن فرقد جميعا عن الصادق (عليه السلام).

روايه تنزل على نظر السائل الى الوجه الاول من إيتاء الملك الذى ينبغى ان يسير من رسول الله الى الاثمه من اهل بيته و عترته احد الثقلين وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ ان تنزعه منه بموته

او بتحويله الى آخر وَ تُعَزُّ مِنْ تَشَاءُ ان تجعله عزيزا وَ تُذِلَّ مَنْ تَشَاءُ ان تجعله ذليلا- بان تجعل كلا- من الفريقين بحسب سير التقدير الجارى بحكمتك فى نظام العالم بتسيبك للأسباب و تصيره فى حاله تعد عزا او اخرى تعد ذلا و قد تجعل كلا منهما كذلك باراده خاصه من النصر و المعونه او الخذلان و الاهانهُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ اقتصر على ذكر الخير لان المقام مقام تعليم بالدعاء بالخير و النصر و تعريض بالبشرى بهما إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ و لك من مظاهر القدره و عجائب التصرف بالكون ما يبهر العقول. فإنك

سوره آل عمران (٣): آيه ٢٧

تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٢٧)

٢٥ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ الإيلاج إدخال شىء فى شىء ء يحتوى عليه و يستره و معنى إيلاج الليل فى النهار هو ان ما يكون فى دوره اليوميه ليلا او جزء من الليل فى بعض الفصول من السنه و الامكنه التى تبعد عن خط الاستواء يجعله نهارا فى فصل آخر او مكان آخر. و قد قدر الله نظام العالم بحكمته الباهره فى سير الأرض او الشمس على منطقه البروج و فى هذا النظام العجيب من الحكم العظيمه و آثار القدره و عموم الرحمه و العمران ما يبهر العقول و ان الليل و النهار على مدار خط الاستواء (١) متساويان و يتساويان ايضا تقريبا فى جميع الأرض و يوم دخولها او دخول الشمس فى برج الحمل او الميزان و يتفاوتان بالزيادة و النقصان بحسب الأزمان و المواقع من الأرض فى المدارات الشماليه و الجنوبيه بتفاوت منظم موزون لا محل لذكره هاهنا ففى المدارات الشماليه يأخذ الليل بعدا كمال طولهُ فى النقيصه المتفاوته على الانتظام من دخول الأرض او الشمس فى برج الجدى و يولج فى النهار. فيأخذ النهار بالطول بعد كمال نقصه او بوجوده متزايدا بعد عدمه و يستمر على ذلك الى الدخول فى برج السرطان فيشرع حينئذ بالزيادة. و فى المدارات الجنوبيه يأخذ الليل بعد نهايه طولهُ فى النقيصه و يستمر عليها و يولج ما ينقص منه فى النهار على ما أشرنا اليه من الميزان و الانتظام و ذلك من حين الدخول فى برج السرطان الى الدخول فى برج الجدى فيشرع حينئذ بالزيادة وَ تُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ أى تدخل النهار فى الليل فيأخذ النهار بالنقص فى المدارات الشماليه على نهج ما ذكرناه من حين الدخول فى برج السرطان الى الدخول فى برج الجدى. و فى المدارات

ص: ٢٧١

الجنوبيه من حين الدخول فى برج الجدى الى الدخول فى برج السرطان حتى يبلغ كل من الليل و النهار تحت القطبين فى وقت واحد تقريبا على التبادل نحو سته أشهر. فسبحان الحكيم القدير وَ تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ قِيلَ مِثْلَ إِخْرَاجِ الْبَيْضِ مِنَ الطَّيْرِ وَ إِخْرَاجِ الْفَرْخِ مِنَ الْبَيْضِ. او إِخْرَاجِ الْحَيَّوانِ مِنَ النُّطْفَةِ وَ النُّطْفَةِ مِنَ الْحَيَّوانِ. وَ

قِيلَ يَخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ وَ يَخْرِجُ الْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ وَ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ رَوَى ذَلِكَ عَنِ الْبَاقِرِ وَ الصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ. وَ فِي تَفْسِيرِ الْبِرْهَانَ قَالَ ابْنُ بَابُوَيْهٍ فِي حَدِيثٍ عَنِ الْإِمَامِ الْعَسْكَرِيِّ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ عَنِ جَدِّهِ الصَّادِقِ «ع» وَ ذَكَرَ ذَلِكَ. وَ فِي الدَّرِ الْمَثُورِ أَخْرَجَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ وَ ابْنُ جَرِيرٍ (١) وَ ابْنُ الْمُنْذَرِ وَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْأَسْمَاءِ وَ الصِّفَاتِ وَ أَبُو الشَّيْخِ فِي الْعِظْمَةِ عَنِ سَلْمَانَ فِي حَدِيثٍ نَحْوِ ذَلِكَ. وَ أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهٍ عَنِ سَلْمَانَ أَيْضًا نَحْوَ ذَلِكَ. وَ أَخْرَجَ ابْنُ مَرْدُويَهٍ أَيْضًا عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَوْ عَنِ سَلْمَانَ عَنِ النَّبِيِّ «ص» نَحْوَ ذَلِكَ.

وَ أَخْرَجَ عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَ ابْنُ سَعْدٍ وَ ابْنُ جَرِيرٍ وَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَ ابْنُ مَرْدُويَهٍ مِنْ طَرِيقِ الزَّهْرِيِّ عَنِ عَبْدِ اللَّهِ إِنْ رَسُولَ اللَّهِ «ص» فِي شَأْنِ خَالِدَةَ الْمُؤْمِنَةَ بِنْتِ الْأَسْوَدِ ابْنِ عَبْدِ يَغُوثِ الْمُشْرِكِ قَالَ سَبْحَانَ الَّذِي يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ. وَ أَخْرَجَ ابْنُ مَسْعُودٍ مِنْ طَرِيقِ أَبِي سَلْمَةَ عَنِ عَائِشَةَ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ «ص» نَحْوَهُ

وَ تَرَزَّقُ مَنْ تَشَاءُ أَنْ تَرزُقَهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَ مَرَاعَاهُ لِمَقْدَارِ الرِّزْقِ وَ مَدَاقِهِ فِي الْعَطَاءِ كَمَا يَفْعَلُهُ مَنْ يَخَافُ النِّقْصَ فِي مَلِكِهِ

سوره آل عمران (٣): آيه ٢٨

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاهُ وَ يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨)

٢٦ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ فِي النُّصْرَةِ وَ الْمُودَةِ لِقَرَابِهِ أَوْ مَحَبَّةٍ أَوْ صِدَاقِهِ أَوْ وِلَايَةٍ قَبْلَ الْإِسْلَامِ وَ الْآيَةُ نَهَى لِلْمُؤْمِنِينَ عَنِ أَنْ يَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ «مَنْ» لِبَتْدَاءِ الْغَايَةِ وَ «دُونِ» لِلْمَكَانِ الَّذِي هُوَ قَبْلَ الْمَكَانِ الَّذِي تَضَافُ إِلَيْهِ ثُمَّ شَاعَ اسْتِعْمَالُهَا فِي الْكُنْيَاةِ عَنِ عَدَمِ الْوُصُولِ بِالشَّيْءِ إِلَى مَا تَضَافُ إِلَيْهِ وَ جَعَلَهُ فِي غَيْرِهِ. فَالْمُرَادُ لَا يَعْدِلُ الْمُؤْمِنُ بِوِلَايَتِهِ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْكَافِرِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ مِنْ رِضَى مِنَ اللَّهِ أَوْ لَطْفٍ أَوْ تَوْفِيقٍ أَوْ وِلَايَةٍ أَوْ جِزَاءٍ أَوْ فَضِيلَةٍ إِيْمَانٍ وَ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَحْظَى بِهِ الْعَبْدُ الضَّعِيفُ الْمَحْتَاجُ

ص: ٢٧٢

١- عن عثمان النهدي عن سلمان او عن ابن مسعود و اكبر ظني انه عن سلمان

من الله ربه و مالك أموره. يقال هو من فلان في مقام و مكانه و حظوه او ليس منه في شىء من ذلك. و يفهم من مناسبات المقام ان هذا النهى و هذا التهديد جاريان في الموالاه الصوريه و يتوهم جريان النهى و التهديد فيها حتى لو كانت للدفاع عن النفس و اتقاء الشر في بعض الأحيان، فاستدرك ذلك بقوله تعالى إِيَّا أَنْ تَتَّقُوا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ أَيُّ مِنَ الْكَافِرِينَ تَقَاءَ مُصَدَّرٌ مَفْعُولٌ مُطْلَقٌ لِتَتَّقُوا الْإِتْقَاءَ وَ التَّقْوَى وَ التَّقِيهِ وَ التَّاءُ فِيهَا لِلْوَحْدَةِ وَ مَأْخُذُهَا الْوَقَايَهُ بِأَنْ تَقِي نَفْسَكَ مِنْ مَحْذُورٍ شَيْءٍ بِشَيْءٍ آخَرَ. كما يقال ضربه بسيفه فاتقاه بالدركه و وقى نفسه بها من محذوره. و تاء الوحده تفيد تحديد الاتقاء أى إلا ان تدفعوا شرهم عنكم و عن دينكم عند انتظار الفرصه فى نصره و إظهاره و تتقوا منهم تقاه موقته محدوده بأن تظهروا لهم ما يدفع شرهم من صورته الموالاه الموقته حيث لا مندوحة لكم إلى غير ذلك و لا فائده فى نصر الدين بقتل الرجل بل ينقص بقتله رجل من رجال الإسلام و أنصاره. و لا تسترسلوا فى ذلك و تجاوزوا به مقدار الضروره بحيث يرجع إلى الضعف فى الدين و التساهل فى امره و استظهار الكافرين فإن أمر الدين عظيم فاحذروا إذن من غضب الله و عقابه وَ يُحَذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ لَيْسَ الْمُرَادُ بِالنَّفْسِ مَا يَرَادُفُ الرُّوحَ الْمُرْتَبِطَةَ بِالْبَدَنِ. بل ذاته العظيمه فإنه العزيز الجبار الذى لا نصير عليه و هو استعمال شائع فى اللغه و القرآن الكريم و منه قوله تعالى قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَ الْحِجَارَةُ وَ مِنْهُ مَا جَاءَ مِنْ تَعْلِيقِ الظُّلْمِ بِالنَّفْسِ كَقَوْلِهِ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ وَ نحوه فى اكثر من عشرين موردا و منه ذكر الجهاد بالأموال و الأنفس نحو عشر مرات.

فاحذروا الله فإنه شديد النكال اليم العذاب و لا تتساهلوا فى أمر دينكم فإن الدنيا فانيه و ظل زائل وَ إِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ فَيُوفِي كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ

سورة آل عمران (٣): آيه ٢٩

قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ وَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٢٩)

٢٧ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَحْذَرًا إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ مِنْ نِيَاتِكُمْ وَ وَجْهِ أَعْمَالِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ فَاحْذَرُوا نِيَاتِ النِّفَاقِ وَ مَوَادِهِ مِنْ حَادِ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ كَيْفَ يَخْفَى عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَ هُوَ خَالِقُ نَفُوسِكُمْ وَ أَجْسَادِكُمْ وَ الْقَائِمُ عَلَيْهَا بِالتَّدْبِيرِ وَ الْإِبْقَاءِ وَ الشَّهِيدُ عَلَيْهَا يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْكُمْ وَ يُعَلِّمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ

اي جميع العالم لأنه خالقه و مدبره و الله على كل شئ قدير من العقاب و الجزاء و الأخذ للمصير اليه

سوره آل عمران (٣): آيه ٣٠

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ (٣٠)

٢٨ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ قِيل «يوم» معمول لقوله تعالى: يُحَذِّرُكُمُ و أقول لا يكون «يوم» مفعولا ليحذر كم لأن يحذر لا تتعدى إلا إلى مفعولين و قد استوفاهما و لا بدلا من أحدهما كما لا يخفى و لا ظرفا للتحذير لأن التحذير و فائدته إنما هما في الدنيا.

و لا ظرفا للتحذر لو صح في نظائره اعرابا لأن التحذر في ذلك اليوم لا فائده فيه و لا غايه و قيل ان «يوم» معمول لا ذكر مقدره. و يرد عليه انه ليس من شئ يدل على ذلك.

و لا يقاس على تقدير ذلك عند قوله تعالى و إذ أي و اذكر إذ. لأن السياق هناك يشير إلى ذلك. و تكرر في القرآن الكريم ذكره صريحا في السور المكيه سور مريم ١٦ وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ

و ص ٤٠ وَ اذْكُرْ عَجَبَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى وَ الْأَحْقَافَ ٢٠ وَ اذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ هَذَا مع ان المقام في أكمل الصلاحيه و المناسبه لكون يَوْمَ ظرفا للمصير. و الفاصل ليس باجنيبي ما عملت أي جزاء ما عملت و «ما» موصوله و العائد مقدر من خَيْرٍ «من» بيانيه و لو كانت «ما» مصدرية لقليل من الخير مُحْضَرًا بلا تسوييف و لا بعد منال بل هو حاضر أعده الله تكريما و تبجيلا للمحسنين و ما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ أي و تجد جزاء ما عملته من سوء محضرا اهانه لها و انتقاما حال كون ذلك الجزاء من شدة هوله و آلامه و خزيه تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا و الأمد بمعنى الغايه و المراد هنا البعد المكاني لثلاثا- تروعها أهواله و تقاسى آلامه و مكارهه. فإن البعد الزماني لا يجدى مع اليقين فإن كل آت قريب. و قيل ان الموصول في «ما عملت» مبتدأ و جمله تود خبره و جمله المبتدأ معطوفه على جمله تجد. و الأول اظهر في افاده المعنى المذكور الذى لا معدل عنه. و اقل حاجه إلى التقدير و التأويل. و اما ما فى الكشاف، و جمع الجوامع من ان «يوم» فى أول الآيه معمول لتود و الضمير فى «بينه» يعود إلى ذلك اليوم يوم القيامة. ففيه ان الآيه اخبار عن حال كل نفس و هل يخفى ان كثيرا من النفوس الزكيه إذا وجدت ما عملت من خير محضرا تود لو ان

يوم القيامة عجل لها من حين موتها لكي تفوز بسعادتها وَيَحِذِّرُكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رُؤُفٌ بِالْعِبَادِ و من رأفته تكراره للتحذير و الإنذار و الإرشاد إلى سبيل النجاه و السعاده و هداة إلى الصراط المستقيم

سوره آل عمران (٣): الآيات ٣١ الى ٣٢

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (٣٢)

٢٩ قُلْ لِلنَّاسِ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ كَمَا تَزْعُمُونَ فَأُولَ الْمُصَادِقِ لِهَذَا الْحَبِّ أَنْ تَسَارِعُوا إِلَى طَلْبِ رِضَاهِ، وَ الْاهْتِدَاءِ بِهِدَاةِ، وَ امْتِثَالِ أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ. وَ قَدْ أَوْضَحْتَ لَكُمْ الدَّلَائِلَ الْبَيِّنَةَ وَ الْحُجُجَ الْقَاطِعَةَ عَلَى أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَ بَابَ رِضَاهِ وَ نُورَ هِدَاةِ، وَ تَرْجِمَانِ أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ، وَ مَدْرَسَ تَعَالِيمِهِ، وَ وَسِيلَةَ تَكْمِيلِكُمْ وَ تَطْهِيرِكُمْ لِلْقُرْبِ مِنْهُ. إِذْنًا فَاتَّبِعُونِي فِي إِرْشَادِي لَكُمْ، وَ وَجُودِهِ تَقْرِيْبِكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ نَيْلِ السَّعَادَةِ الْأَبَدِيَّةِ. فَإِنِّي الْكِتَابُ النَّاطِقُ وَ مَا يَنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ وَ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ وَ نُوهِىَ بِفَضْلِهَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي أَكْثَرِ مِنْ عَشْرِينَ مَوْجِدًا. وَ

أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَ التِّرْمِذِيُّ وَ ابْنُ مَاجَةَ وَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَلَى شَرْطِ الْبُخَارِيِّ وَ مُسْلِمٌ وَ عَنِ ابْنِ حِبَّانَ فِي أَبْوَابِ السَّنَةِ وَ الْعِلْمِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ بِأَسَانِيدِهِمْ عَنِ أَبِي رَافِعٍ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قَالَ لَا أَلْفِينَ أَحَدَكُمْ مَتَكَّنًا عَلَى أَرِيكْتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبِعْنَاهُ.

وَ فِي رِوَايَةِ الْحَاكِمِ مِنْ طَرِيقِ اللَّيْثِ وَ الْإِسْحَاقِ. وَ أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ بِعِبَارَةٍ أُخْرَى. وَ أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي مُسْنَدِهِ وَ أَبُو دَاوُدَ وَ التِّرْمِذِيُّ فِي الْأَبْوَابِ الْمَذْكُورَةِ بِأَسَانِيدِهِمْ عَنِ أَبِي الْمُقَدِّمِ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) نَحْوُ هَذَا الْمَضْمُونِ. كَمَا أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَ ابْنُ مَاجَةَ وَ الْحَاكِمُ عَنِ أَبِي الْمُقَدِّمِ أَيْضًا عَنْهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) نَحْوَهُ. وَ كَذَا أَبُو دَاوُدَ فِي تَعَشِيرِ أَهْلِ الذَّمِّ عَنِ الْعَرَبِاضِ عَنْهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ). وَ كَذَا ابْنُ مَاجَةَ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ).

وَ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ الْمَوْصُوفَةُ بِالصَّحَّةِ وَ الْمُسْتَفِيضَةُ عَنْ أَرْبَعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مَتَّفَقَةٌ الْمَضْمُونِ فِي اتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فِي أَمْرِهِ وَ نَهْيِهِ. وَ أَنَّهُ لَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَرُدَّ ذَلِكَ وَ يَقُولَ فِي ذَلِكَ حَسْبُنَا كِتَابُ اللَّهِ يُحِبِّبُكُمْ اللَّهُ أَيْ أَنْ اتَّبَعْتُمُونِي يُحِبِّبُكُمْ اللَّهُ. وَ كَفَى بِذَلِكَ فَضْلًا وَ فَوْزًا وَ سَعَادَةً وَ يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ٣٠ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ وَ هَذَا تَأْكِيدٌ لِمَا سَبَقَ فَإِنْ تَوَلَّوْا عَنْ ذَلِكَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ وَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ

إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣)

٣١ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ الطاء فى اصطفى بدل من تاء الافتعال فى مثل اختار اى اختاره صافيا من الخليط و الاختلاط. فقد يكون الصفاء من حيث الاندماج و الاختلاط بالغير و المساواه له فيصطفى بالرساله كقوله تعالى فى شأن موسى فى سورة الأعراف ١٤١ إِنْى اصْطَفَيْتَكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَ بِكَلَامِي او للملك و نصره الدين كما فى سورة البقره فى شأن طالوت ٢٤٨ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ او على سائر الأمم الوثنيه باعتبار الانتساب إلى التوحيد و نبد الأوثان كما فى سورة فاطر ٢٩ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ او من الاختلاط بصنف آخر كما فى سورة الصافات ١٥٣ اصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ او من حيث التخليص عن الشركاء و تميزه عن المشترك من جنسه كاصطفاء الرسول من الغنائم ما يختار أو من حيث التخليص من الشرك و سفاهه الأهواء كما فى سورة البقره ١٢٦ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ او باعتبار التقدم فى اختيار الإيمان و الدعوة اليه كما فى سورة البقره فى شأن ابراهيم ١٢٤ وَ لَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَ كما فى سورة ص فى شأنه و شأن اسحق و يعقوب ٤٧ وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ فوجهه الاصطفاء و الصفاء تعرف من مقام الكلام و قرائنه و لأن الله لم يذكر بين آدم و نوح فى هذه الآيه «شيئا» هبه الله و «إدريس» الصديق النبى عرف ان هذا الاصطفاء فوق مقام الصلاح و النبوه بل هو فى أمر الدعوه العامه، و الإمامه للناس و زعامتها الكبرى. و لم يذكر ابراهيم فى هذه الآيه لأنه ذكر جعله الناس إماما و أن الله اصطفاه فى الدنيا أى لذلك كما فى سورة البقره ١١٨ و ١٢٤ و فى مجمع البيان فى قوله تعالى وَ آلَ إِبْرَاهِيمَ وَ آلَ عِمْرَانَ قيل أراد نفس ابراهيم و نفس عمران انتهى و فيه مع غرابته فى اللفظ و مخالفته للمأثور ان عمران سواء كان أبا موسى او أبا مريم ام المسيح ليس ممن له هذا المقام الخاص من الاصطفاء على العالمين. و فى الدر المنثور اخرج ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال هم المؤمنون من آل ابراهيم و آل عمران و آل يس و آل محمد (صلى الله عليه و آله) و

أخرج ابن سعد و ابن أبى حاتم عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام ان امير المؤمنين عليا (عليه السلام) أمر الحسن (عليه السلام) ان يخطب فخطب و نزل فقال (عليه السلام) ذُرِّيَّةَ بَعْضِهَا مِنْ

بَعْضٍ وَ اللّٰهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

و عن تفسير الثعلبي مسندا عن الأعمش عن أبي وائل قال قرأت في مصحف ابن مسعود ان الله اصطفى آدم و نوحا و آل ابراهيم و آل محمد على العالمين. و

في التبيان و في قراءه اهل البيت و آل محمد على العالمين. و قالوا ايضا ان آل ابراهيم هم آل محمد الذين هم اهله و كذا في مجمع البيان.

و تفصيل الكلام ان الشيخ الطوسي روى

في اماليه عن محمد بن ابراهيم قال سمعت جعفر بن محمد (عليه السلام) يقرأ و آل ابراهيم و آل عمران و آل محمد على العالمين.

و في تفسير القمي قال العالم نزل آل ابراهيم و آل عمران و آل محمد على العالمين.

و نحوه عن تفسير العياشى عن أيوب عن الصادق (عليه السلام). و عن أبي عمر الزبيرى عنه (عليه السلام) نحوه

و ايضا

عن هشام بن سالم سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَ نُوحًا فَقَالَ هُوَ آل ابراهيم و آل محمد على العالمين فوضعوا اسما مكان اسم.

أقول و هذه الروايه معارضه بما يرجح عليها مما دل على ثبوت آل عمران فى القرآن فلا بد من صرفها عن ظاهرها و يعارض ما تقدم

روايه العياشى عن سدير عن الباقر (عليه السلام) قال إِنَّ اللّٰهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَ نُوحًا وَ آل اِبْرَاهِيمَ وَ آل عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ قَالَ نحن منهم و نحن بقيه تلك العتره.

و عن أبى حمزه عن الباقر (عليه السلام) انه استشهد بالآيه و قرأها على ما هو المرسوم فى المصاحف

و فى العيون بسنده عن الريان بن الصلت ان الرضا (عليه السلام) قرأها كذلك محتجا.

و فى غيبه النعمانى بسنده عن جابر الجعفى عن الباقر (عليه السلام) ان صاحب الأمر عجل الله فرجه يحتج عند ظهوره بالآيه على ما هو مرسوم على انه أولى الناس بنوح و ابراهيم،

و عن الشيخ الطوسى بسنده عن يونس ابن حباب عن الباقر (عليه السلام) عن آبائه (عليه السلام) ان رسول الله فى خطابه لأمير المؤمنين تلا الآيه على النحو المذكور.

و هذه الروايات أوضحت سنداً من الأولى و اسلم من التعارض و التدافع فيما بينها و أولى بالترجيح. و يمكن الجمع بأن آل محمد (صلى الله عليه و آله) كانوا مقصودين فى التنزيل من آل ابراهيم بنص الوحي على الرسول فى ذلك. و ربما أثبت فى مصحف على امير المؤمنين (عليه السلام) و مصحف ابن مسعود بعنوان التأويل المقصود عند التنزيل كما ذكرناه فى المقدمة فى أواخر الكلام على روايات فصل الخطاب. و الظاهر ان موسى (عليه السلام) و رسول الله (صلى الله عليه و آله) و الأئمة الذين لهم الإمامة و الزعامه العامه الكبرى هم القدر المتيقن فى المراد من آل ابراهيم. و اما إسماعيل و إسحاق و يعقوب فلم يعلم ان مقامهم فى النبوه و الزعامه فوق مقام شيث (عليه السلام) و إدريس اللذين أهملنا من اصطفاه هذه الآيه كما ان الظاهر من عمران انه عمران ابو مريم أم المسيح و انه ذكر

ص: ٢٧٧

لخفاء الاشارة الى المسيح بعموم آل ابراهيم مع اقتضاء المقام للاشارة اليه بنحو جلى و يشهد له ايضا قوله تعالى بعد هذه الآية إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ إِلَىٰ آخِرِ قِصَّةِ الْمَسِيحِ

سوره آل عمران (٣): الآيات ٣٤ الى ٣٥

ذُرِّيَّهٖ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَدَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥)

٣٢ ذُرِّيَّهٖ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ لِدَعَاءِ الدَّاعِينَ وَ رَجَاءِ الرَّاجِينَ مُسْتَجِيبٌ لَهُمْ كَدَعَاءِ اِبْرَاهِيمَ بِقَوْلِهِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي عَلِيمٌ بِمَا تَقْتَضِيهِ الْمَصْلَحَةُ وَ مَوَاقِعُ اللَّطْفِ ٣٣ إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ جَدَّ الْمَسِيحِ. وَ دَعْوَى زِيَادِهِ «إِذْ» هُنَا مِنَ الْغَلْطِ. وَ جَعَلَهَا ظَرْفًا لِسَمِيعِ عَلِيمٍ لَا يَنَاسِبُ مَجِيئُهَا بِعِنْوَانِ الصِّفَةِ الدَّالَّةِ عَلَى الثَّبُوتِ الدَّائِمِ الْمَطْلُوقِ. وَ جَعَلَهَا مَفْعُولًا لِأَذْكَرِ مَقْدَرِهِ بَعِيدِهِ فِي السُّوقِ وَ السِّيَاقِ كَمَا ذَكَرْتَ هَذِهِ الْأَقْوَالَ فِي التِّيَّانِ وَ مَجْمَعِ الْبَيَانِ وَ ذَكَرَ الْأَخِيرَ فِي الْكَشَافِ وَ جَعَلَهَا ظَرْفًا لِاصْطِفَى الْمَذْكَورِ لَا يَصِحُّ إِذْ لَا تَكُونُ ظَرْفًا لِاصْطِفَاءِ آدَمَ وَ نُوحٍ. فَالْوَجْهَ جَعَلَهَا ظَرْفًا لِفِعْلِ مَقْدَرٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ. وَ هُوَ سَمِيعُ الدَّعَاءِ أَى اسْتِجَابَهُ إِذْ قَالَتْ. أَوْ اصْطِفَى آلَ عِمْرَانَ إِذْ قَالَتْ بِمَعْنَى أَنَّهُ لَاحَتْ مَظَاهِرُ الْاصْطِفَاءِ إِذْ قَالَتْ. وَ الْأَوَّلُ اقْرَبُ. وَ

فِي تَفْسِيرِ الْقَمِي فِي الْحَسَنِ كَالصَّحِيحِ عَنِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّ امْرَأَةَ عِمْرَانَ اسْمُهَا حَنَّةُ. وَ كَذَا فِي الدَّرِّ الْمَنْشُورِ مِمَّا أَخْرَجَهُ إِسْحَاقُ بْنُ بَشِيرٍ وَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَ أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَ فِي تَفْسِيرِ الْقَمِي فِي سُورَةِ مَرْيَمَ وَ طَرَدَ الرَّوَايَةَ عَنِ أَبِي الْجَارُودِ عَنِ الْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّ زَكَرِيَّا كَانَ رَئِيسَ الْأَحْبَارِ وَ امْرَأَتَهُ اخْتِ مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ بْنِ مَائِثَانَ وَ بَنُو مَائِثَانَ مِنْ وَلَدِ سَلِيمَانَ بْنِ دَاوُدَ.

وَ فِي الدَّرِّ الْمَنْشُورِ مِمَّا أَخْرَجَهُ الْبِيهَقِيُّ فِي سَنَنِهِ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ نَاسٍ مِنَ الصَّحَابَةِ أَنَّ زَكَرِيَّا كَانَ أَفْضَلَ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ التَّوْرَةَ وَ كَانَتْ اخْتِ مَرْيَمَ تَحْتَهُ. وَ فِي ضَمَنِ مَا أَخْرَجَهُ ابْنُ بَشِيرٍ وَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مَرْيَمَ كَانَتْ بِنْتُ إِمَامِ الْقُرَّاءِ وَ كَانَ إِمَامَ الْقُرَّاءِ مِنْ وَلَدِ هَارُونَ وَ كَانَ زَكَرِيَّا رَأْسَ الْأَحْبَارِ وَ كَانَتْ خَالَةَ مَرْيَمَ عِنْدَهُ انْتَهَى وَ اللَّهُ الْعَالِمُ.

وَ أَبُو الْجَارُودِ ضَعِيفٌ، وَ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ مِنْ إِنْجِيلِ لُوقَا أَنَّ زَكَرِيَّا مِنَ الْكَهَنَةِ أَى مِنْ وَلَدِ هَارُونَ سَدَنَهُ بَيْتَ الْمَقْدَسِ وَ أَنَّ زَوْجَتَهُ أُمُّ يَحْيَى هِيَ نَسِيبَةُ مَرْيَمَ أَى قَرَابَتُهَا وَ مَشَارَكَتُهَا فِي النَّسَبِ وَ أَنَّ حَمْلَهَا بِيَحْيَى قَبْلَ حَمْلِ مَرْيَمَ بِالْمَسِيحِ بَسْتَهُ أَشْهُرًا. وَ الْأَنْجِيلُ الرَّائِجُ لَمْ تَذْكَرْ نَسَبَ مَرْيَمَ وَ لَا نَسَبَ عَيْسَى مِنْ جِهَتِهَا. بَلْ ذَكَرَتْ نَسَبَ يَوْسُفَ النَّجَّارِ الَّذِي يَزْعُمُونَ أَنَّ مَرْيَمَ كَانَتْ مَخْطُوبَةً لَهُ. فَإِنْجِيلُ مَتَّى قَالَ وَ يَعْقُوبُ وَلَدُ يَوْسُفَ. وَ إِنْجِيلُ لُوقَا قَالَ أَنَّ يَوْسُفَ بْنُ هَالِي.

و النصارى من أجل هذا الاختلاف فى كتبهم التى ينسبونها الى الوحي تكلفوا و تعسفوا بدعواهم ان «هالى» هو ابو مريم. و قد تعرضنا لهذا المقام فى الجزء الأول من كتاب الهدى (1) رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا أَيِّ لَلْمَسْجِدِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ. و

فى تفسير القمى فى الحسن كالصحيح عن الصادق (عليه السلام) ان الله أوحى الى عمران انى واهب لك ذكرا مباركا يبرئ الأكمه و الأبرص و يحيى الموتى بإذنى و جاعله رسولا الى بنى إسرائيل فحدث بذلك امرأته حنه فلما حملت كان حملها عند نفسها غلاما، الروايه و نحوه عن العياشى عن جابر عن الباقر (عليه السلام)

فحسبت ان المبشر به ولدها الأدنى فَتَقَبَّلُ مِنِّي نذرى أى اجعله و اتخذه مقبولا عندك إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ لِلدَّعَاءِ أى نذرى و ما يثول اليه من الدعاء بسلامه الحمل و جعله ذكرا يقوم بما نذر له الْعَلِيمُ بنيتى

سوره آل عمران (3): الآيات ٣٦ الى ٣٧

فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَئِيسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٣٦) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٧)

٣٦ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا أَنْتِ الضمير باعتبار كون المولود أنثى قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ فإنه هو الذى خلقها و صورها. و فى روايه القمى المتقدم ذكرها يقول الله و الله اعلم بما وضعت و لَئِيسَ الذَّكَرُ الذى كان فى نيتى و بشرى عمران و مقصد نذرى كَالْأُنْثَىٰ فإنها لا تكون رسولا و لا تقوم بما يراد من المنذور المحرر و إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ و إِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَ ذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ المرجوم بالشهب او باللعن. و كأنها تشير بذلك الى ما معناه انك رب تدفع بلطفك شر الشيطان و غوايته كما جعلته رجيماً فأعذها و ذريتها بلطفك من شره ٣٥ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا و مولاها و جعلها و اتخذها مقبولة عنده بِقَبُولٍ حَسَنٍ كما سألته أمها و فوقه و أَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا النبات يكون اسم مصدر لنبت و يكون مفعولا مطلقا لأنبتها بدلا عن مصدره و يستعمل ايضا فيما ينبت كقوله تعالى فى سوره الأعراف. و طه. و عَمَّ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ أَرْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّىٰ لِنُخْرَجَ بِهِ حِجَابًا وَ نَبَاتًا فيكون المعنى أنبتها حال كونها

ص: ٢٧٩

نباتا حسنا. و المراد من كلا الوجهين حسن نشأتها و تربيتها في صلاحها و كمالها و كفلها زكريا أى جعل زكريا كفيها و القائم بأمرها بحسب التقدير او بجعل القرعه، بالأفلام له و أكرم به من كفييل صالح أمين رؤف كلما دخل عليها زكريا المحراب المسجد وجد عندها رزقا في روايه القمى المتقدمه يجد عندها فاكهه الصيف في الشتاء، و فاكهه الشتاء في الصيف. و نحوه ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس. و

في الدر المنثور أخرج ابو يعلى عن جابر حديث الزهرا (عليه السلام) و الجفنه التى ملئت خبزا و لحما ببركه الله و عطائه ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) سألها عن ذلك فقالت هو من عند الله فقال (صلى الله عليه و آله) الحمد لله الذى جعلك شبيهه بسيدته نساء بنى إسرائيل و روى الشيخ في أماليه عن حذيفه بن اليمان ما يشبه ذلك

قال يا مريم أنى لك هذا و من أين جاءك قالت هو من عند الله إن الله يزوق من يشاء بغير حساب لا فى الجريان على العاده و لا على مقدار الضروره

سوره آل عمران (٣): الآيات ٣٨ الى ٣٩

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَ هُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ سَيِّدًا وَ حَصُورًا وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (٣٩)

٣٦ هُنَالِكَ أى حين ما رأى زكريا المعجز بوجود فاكهه الشتاء فى الصيف و فاكهه الصيف فى الشتاء رجا ان يرزقه الله ولدا و إن صار شيخا كبيرا و كانت امرأته عاقرا. و دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة الذريه النسل و الولد. و الطيبه الصالحه. و هذا إجمال لما سبق نزوله فى سوره مريم المكيه من قوله فهب لى من لدنك وليا يرثنى و يرث من آل يعقوب و اجعله رب رضىيا إنك سميع الدعاء القادر على اجابته فنادته الملائكة أى نوعهم تميزا عن نداء نوع البشر و إن كان المنادى واحدا كما يقال قتله الجن و هو قائم يصلى فى المحراب ٣٧ أن الله يبشرك يحيى فكان ذلك بشرى بالولد الذكر مصدقا بكلمه من الله و هو المسيح رسول الله كما سيأتى إن شاء الله فى الآيه الثالثه و الأربعين و قوله تعالى فى سوره النساء ١٦٩ و كلمته ألقاها إلى مريم باعتبار أنه مخلوق بكلمه «كن» لا بالتناسل العادى. و ان التصديق برسالة المسيح من الكهنه الذين بيدهم الرئاسة الشرعيه على بنى إسرائيل

قد كان من أصعب الأمور على النفوس الأماره بالسوء. فالإخبار بتصديق يحيى لرساله المسيح مدح كبير له، و تمجيد له بطيبه و صلاحه و انه لا تأخذه في الحق لومه لائم، و لا نزعه نفس أماره و سَيِّدًا السِيَادَه الزعامه و ولايه الأمر و السيد من يسود غيره وَ حَصُورًا فِي رِوَايَةِ الْقَمِيِّ الْمُتَقَدِّمَةِ الْحَصُورِ الَّذِي لَا يَأْتِي النِّسَاءَ. و نحوه ما في الدر المنثور مما أخرجه عبد الرزاق و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و ابن عساكر عن ابن عباس. و ابن جرير و البيهقي في سننه عن ابن مسعود. و شرعيته و رجحانه و مدحه مختص به إذ لم تعهد شرعيته و رجحانه بنحو نوعي في شريعه إلهيه، و اما في شريعه الإسلام فقد تحقق

عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) قوله النكاح ستنى فمن رغب عن ستنى فليس منى

وَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ذَكَرَ ذَلِكَ تَنْوِيهَا بِفَضْلِ النَّبُوهِ فَإِنَّ كُلَّ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الصَّالِحِينَ

سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٠ الى ٤١

قَالَ رَبِّ أُنِّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَ امْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَ اذْكُرْ رَبِّكَ كَثِيرًا وَ سَبِّحْ بِالعَشِيِّ وَ الْبُكْرِ (٤١)

٣٨ قَالَ رَبِّ أُنِّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ فِي السِّنِّ. يقال بلغه الكبر و الهرم و أدركه الموت تنزيلا- لهما منزله الطالب الذى لا- مفر منه و امرأتى عاقرة لأنها لم تلد مده عمرها. و قال زكريا ذلك مع انه دعا الله أن يرزقه الذريه و الولي الوارث إما طلبا للاطمئنان بالبشرى لأن ذلك على خلاف العاده فى التناسل من مثلهما. و إما شكرا و اعترافا بنعمته فى اجابه دعائه على خلاف العاده الجاربه فى التناسل بمعنى انى و امرأتى فى مثل هذا الحال فمن اين يكون لى غلام لو لا قدرتك و رحمتك و عنايتك الخاصه الخارقه للعاده فى اجابه دعائى.

ذكر ذلك السيد الرضى «رضى الله عنه» فى حقائق التأويل قال كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ٣٩ قَالَ زَكْرِيَا طَلِبًا لِّزِيَادَةِ الْاطْمَئِنَانِ بِحُصُولِ ذَلِكَ فِي الْعَاجِلِ وَ مَعْرِفَةِ وَقْتِ الْحَمْلِ وَ إِنْ كَانَ مُؤْمِنًا بِصِدْقِ الْبَشْرِيِّ وَ قَدْرِهِ اللَّهُ رَبُّ اجْعَلْ لِي فِي الدَّلَالَةِ عَلَى حُصُولِ الْحَمْلِ وَ اجَابَهُ دَعَائِي عِلَامَهُ وَ آيَةً مِنْ آيَاتِكَ الْخَارِقَةَ لِلْعَادَةِ قَالَ اللَّهُ لَهُ آيَتُكَ الَّتِي تَطْلُبُهَا هِيَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ وَ لَا تَقْدِرَ عَلَى تَكْلِيمِهِمْ وَ إِنْ كَانَ لِسَانَكَ مُطْلَقًا فِي ذِكْرِ اللَّهِ وَ تَسْبِيحِهِ وَ الصَّلَاةِ لَهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بِلِيَالِيهَا وَ لِذَا جَاءَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا. وَ مِنْ الشَّائِعِ فِي الْعَرَبِيَّةِ وَ غَيْرِهَا فِي أَمْثَالِ هَذَا الْمَقَامِ دُخُولُ اللَّيْلِ فِي الْأَيَّامِ وَ النَّهَارِ فِي اللَّيَالِي يُقَالُ أَقَمْتُ فِي الْبَلَدِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ كَمَا يُقَالُ أَقَمْتُ

فيه ثلاث ليالٍ و شواهد ذلك حتى في اللغة العبرانية و كتب العهدين كثيره لا يسعها المقام إِلَّا رَمَزاً الرمز هو افهام المعنى بنحو من الإشاره. و الاستثناء هنا منقطع وَ اذْكَرُ رَبِّكَ كَثِيراً وَ سَبِّحْ تَسْبِيحَ اللَّهِ تَزْيِهُهُ وَ تَقْدِيسَهُ. أو وصل له النوافل فقد ورد في الحديث كثيرا من طرق الفريقين عن الرسول (صلى الله عليه و آله) و الصحابه و الأئمه (عليه السلام) تسميه صلاه النوافل بالسبحه بِالْعَشِيِّ وَ هو من زوال الشمس الى الغروب أو اخر النهار وَ الْإِنْكَارِ بِكَسْرِ الهمزه من حين طلوع الفجر الى وقت الضحى كما في التبيان و الكشاف و غيرهما

سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٢ الى ٤٣

وَ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَ طَهَّرَكِ وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (٤٢) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (٤٣)

٤٠ وَ اذكر إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ أَى هذا النوع و ان كان القائل واحد يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ قد ذكرنا معنى الاصطفاء و ان جهه الاصطفاء تعرف و تؤخذ من قرائن المقام. فالمعنى إذن اصطفاك بأن تقبلتك و قبلتك من نذر أمك في تحريرك لله وَ طَهَّرَكِ زياده على ذلك من الأدناس التي تلحق النساء وَ اصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ و قدمك عليهن بالولاده من غير فحل. هذا غايه ما يدل عليه المقام و القرائن من وجهتى الاصطفاءين و قد كرر ذكر الاصطفاء لأجل اختلاف الوجهه فيه. و ليس فى اللفظ و قرائن المقام دلالة على سيادتها على نساء العالمين. نعم ثبتت لها السيادة على نساء عالمها من السنه. و استفاض بل تواتر من حديث الفريقين عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) ان فاطمه بنته (عليه السلام) سيده نساء العالمين، و سيده نساء أهل الجنة. و من ذلك ما رواه احمد و البخارى و مسلم و الترمذى و النسائى و ابن ماجه و ابن حبان فى صحيحه و ابن أبى شيبه و الحاكم و ابو يعلى و الروبانى و العقيلى و الطبرانى و ابن عساكر و صاحب الاستيعاب و غيرهم عن حذيفه، و أبى سعيد الخدرى، و ابن عباس، و عائشه، و فاطمه (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) و الأحاديث بذلك من طريق الشيعة كثيره جدا ٤١ يا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَ اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ قد ذكر معنى القنوت فى الآيه العاشره بعد المائه.

و التاسعه و الثلاثين بعد المائتين من سوره البقره. و السجود معروف و الركوع يطلق على الانحناء المعروف. و قد يستعمل ركع و اركع و اركعى فى الإتيان بركعات الصلاه فيقال لمن صلى ركع ركعات خفيفه او ركع ركعات مطوّله أى و كونى فى زمرة المصلين الكثيرى الصلاه و لا

سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٤ الى ٤٥

ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥)

٤٢ ذلِكَ أى قصه امرأه عمران و مريم و زكريا و بشرى الملائكه لهما مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ و من ذلك اختصاصهم فى كفاله مريم و إلقاء أقلامهم للقرعه على كفالتهما وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلقُونَ أَقْلَامَهُمْ للقرعه لأخذ النتيجة منها و هى انه أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ فى ذلك حتى تراضوا على القرعه بالأقلام فلست تذكر للناس ما حضرته و رأته. و لا- هو مدوّن فى الكتب المتداوله عند اهل الكتاب فضلا عن انك لا- تقرأ كتابا و لم تمارس درسا و لا تعلمنا و لم يكن فى قومك و بلادك شىء من العلم و فى هذا حجه على انه وحى من انباء الغيب من الله. و قد روى فى الدر المنثور و غيره فى إلقاء الأقلام و كيفيته روايات لا تنهض حجه ٤٣ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ الظاهر ان «إذ» هنا بدل او عطف بيان لإذ المتقدمه فى الآيه الأربعين. فإن الظاهر هو ان قولى الملائكه فى الآيتين كانا عند كبر مريم فى زمان واحد او زمانين متقاربين يليق اعتبارهما حيننا واحدا كالسنه و نحوها. و اما إبدالها من إذ يختصمون فبعيد جدا لأن الاختصاص كان بحسب الظاهر فى صغر مريم و البشرى فى كبرها عند حملها بالمسيح و اعتبار الزمانين فى مثل ذلك حيننا واحدا بعيد يا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ سمي عيسى بالكلمه لأنه تكون فى رحم أمه من غير فحل بل بكلمه الله و هو قوله «كن» و ذلك كناية عن إرادته التكوينية بدون اسباب و معدات فالمسيح بمنشئه كلمه من عند الله. و لأنى المراد بالكلمه هو الذكر جىء بالضمير فى «اسمه» مذكرا باعتبار المعنى. و المسيح لقب لعيسى و ابن مريم نسبه له و لكن يصح فى التوسع أن يقال اسمه المسيح عيسى بن مريم. و لعل تسميته بالمسيح مأخوذه من العاده الاسرائيليه فى الزعيم الروحانى يمسخه للزعامة الروحانية من هو قبله من الزعماء فصار ذلك لقباً للزعيم الروحانى فكان المسح و سام الروحانية كالتتويج للملك. و نص على نسبهته لأمه لبيان ان نسبهته فى الولاده منحصره بأمه ردا على من يسميه ابن الله. و لعل من ذلك ما اتفقت عليه الأناجيل فى حكايتها عن كلام المسيح انه يعبر عن نفسه بابن الإنسان ليكون

ذلك ردا على من يزعم انه ابن الله بحسب الولادة وحيها أى ذا جاه فى الدنيا مستجاب الدعوة مختارا للرسالة قدوه للمؤمنين متبوعا للصالحين مظهرا للمعجزات والكرامات

سوره آل عمران (٣): الآيات ٤٦ الى ٤٩

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُبْرِئُ الْمَأْكَمَةَ وَ الْأَبْرَصَ وَ أَحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَ أُتَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (٤٩)

وَالْمَآخِرَةَ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ٤٤ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ بِالْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ وَ مَا يَنْفَعُهُمْ حَال كونه فِي الْمَهْدِ وَ جملته يكلم حاله معطوفه على «وجيها» كجمله و من المقربين، و من كلامه فى المهد ما ذكر من أول الآيه الحاديه و الثلاثين الى آخر الرابعه و الثلاثين من سوره مريم المكيه و يكلم الناس بالأمور الإلهيه و تبليغ الرساله حال كونه كهلاً و فى ذلك بشرى لمريم بأنه (عليه السلام) يبلغ زمان الكهوله و اشاره الى انه لا يبقى بين الناس الى زمان الشيخوخه. و المعروف انه (عليه السلام) أرسل الى الناس و هو ابن ثلاثين و رفع الى السماء بعد ثلاث سنين وَ مِنَ الصَّالِحِينَ ٤٥ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى وَ من أين يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ الحال انى لَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ لعل مرجع سؤالها الى ان ولادتها هل تكون على جارى العاده بالتزويج. و من هو زوجها الذى تلد منه لأن الولاده على غير العاده أمر غريب عجيب قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ أَي اللَّهُ كَذَلِكَ يَرْزُقُكَ عَلَى خِلافِ الْعَادَةِ الْمُقَدَّرَةِ وَ إِن لَمْ يَمْسَسْكَ بَشَرٌ فَإِنَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ كَيْفَ شَاءَ أَنه إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ قَدْ مَضَى الْكَلَامُ فِي هَذَا فِي الْآيَةِ الْحَادِيَةِ عَشْرَةَ بَعْدَ الْمَائَةِ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ٤٦ وَ يُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ الْوَائِ عَاطِفُهُ وَ جملته يعلمه للحال معطوفه فى نسق الأحوال على وجيها. و المراد بالكتاب اما مصدر كتب أى الكتابه بيده و اما كتاب غير التوراه و الإنجيل او نوع الكتب و ذكرت التوراه و الإنجيل لأهميتهما من باب عطف الخاص على العام وَ الْحِكْمَةَ وَ التَّوْرَةَ وَ هِيَ فِي الْأَصْلِ اسْمٌ لِلْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى مُوسَى (عليه السلام) وَ هُوَ فِي الْعِبْرَانِيَّةِ اسْمٌ لِلشَّرِيعَةِ. نَعَمْ جَرَى الْاصْطِلَاحُ آخِرًا عَلَى أَنَّ كِتَابَ الْيَهُودِ الَّتِي تَسْمَى بِالْعَهْدِ الْقَدِيمِ تَسْمَى بِالتَّوْرَةِ. وَ الظَّاهِرُ أَنَّهُ اصْطِلَاحٌ لَا اعْتِدَادَ بِهِ فِي هَذَا الْمَقَامِ وَ الْإِنْجِيلَ وَ هُوَ الْكِتَابُ الْوَاحِدُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ (عليه السلام). وَ يُقَالُ إِنَّ مَعْنَاهُ فِي الْيُونَانِيَّةِ الْقَدِيمَةِ «التعليم» وَ حَال كونه رَسُولًا مِنَ اللَّهِ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِاعْتِبَارِ ابْتِدَائِهِ بِهِمْ فِي

الدعوه أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ لما كانت دعوى الرساله تؤيد بالحجه عليها كان ذكر المعجز يجعل الكلام كالصریح بما معناه حال كونه يقول لهم حتى انى جئتمكم. و قد ذكرنا (١) ان الحذف لما يدل عليه الكلام بسياقه باب من أبواب البلاغه عند العرب بِآيِهِ مِنْ رَبِّكُمْ المراد نوع الآيه و ما يكون حجه على الرساله و إن كان ما جاء به آيات متعدده أَنِّي المصدر المنسبك من «ان» و جملتها بدل من آيه او خبر لضمير محذوف يعود على آيه و التقدير هى انى أَخْلُقُ و أَصُورُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ و ليس فى ذلك آيه فإن تصوير الطين مقدور للبشر فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا حَقِيقًا بِإِذْنِ اللَّهِ و خلقه له طبراً و الحجه بإظهار الله لهذا المعجز على يد المسيح و فى التبيان و مجمع البيان فى التفسير انه صنع من الطين كهيئته الخفاش و نفخ فيه فصار طائراً.

و رواه فى الدر المنثور مما أخرجه ابن جرير عن ابن جريح و ابو الشيخ عن ابن عباس و لا ينهض شىء من ذلك حجه وَ أُبْرِيءُ الْمَأْكَمَةَ و هو الذى يولد أعمى او مطلق الأعمى وَ الْمَأْبُورِصَ و هو معروف وَ أُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ و فعله و إنما نسب الإبراء و الاحياء اليه لأنه السبب ببركته و دعائه فى ظهور هذا المعجز من الله على يده. و فى جمع الموتى دلالة على تعدد صدور الاحياء من الله بسببه. و

فى الصافى فى الكافى و العياشى عن أبى عبد الله (عليه السلام) و ذكر احياء عيسى لصديقه.

و رواه ايضا فى الدر المنثور و القصة تشبه أن تكون قصه «اليعازر» المذكوره فى إنجيل يوحنا وَ أُتْبِتُّكُمْ مِنَ الْغَيْبِ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْخِرُونَ فى بُيُوتِكُمْ مما لا يدرى به غيركم إِنَّ فى ذَلِكْ لَمَآيَهَ لَكُمْ كَافِيَه فى إرشادكم بدلالاتها القاطعه الى الإيمان بأنى رسول الله إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ و انه بلطفه يرسل رسله لهدايه عباده الى الصلاح و دعوتهم الى السعاده. و انه جل شأنه يمتنع على قدسه اظهار المعجز على يد الكاذب. او ان كانت لكم ملكه الإيمان بما تقوم به الحجه و تشهد له الآيات. لا ممن استحوذ عليهم الشيطان و أضلهمين

ص: ٢٨٥

سورة آل عمران (٣): الآيات ٥٠ الى ٥٣

وَمُضِيْدًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِّ مِنَ التَّوْرَةِ وَ لِأَحْلَلْ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٥١) فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ أَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢) رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣)

وَ لَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَ حَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا- ١٢٤ وَ إِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ٤٧ وَ مُضِيْدًا أَى وَ جِئْتُكُمْ حَال كُونِي مُصَدَّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِّ أَى لَمَّا تَقَدَّمْنِي مِنَ التَّوْرَةِ «من» بِيَانِيهِ وَ لِأَحْلَلْ عَطْفَ عَلَى مُصَدَّقًا لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فِى التَّوْرَةِ مِمَّا زَالَ عَنْهُ مَقْتَضَى التَّحْرِيمِ. وَ لَعَلَّ مِنْهُ مَا فِى قَوْلِهِ تَعَالَى فِى سُورَةِ النَّسَاءِ ١٥٨ فَبَطَّلِمُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ كَرَّرَ ذِكْرَ الْآيَةِ تَأْكِيدًا فِى الْحِجَّةِ وَ تَمْهِيدًا لِقَوْلِهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ تَحذِرُوا مِنْ غَضَبِهِ وَ عِقَابِهِ بِمَا يَقِيكُمْ مِنْ ذَلِكَ كَطَاعَتِهِ وَ الْإِيمَانَ بِآيَاتِهِ وَ شَهَادَتِهَا لِرَسُولِهِ وَ أَطِيعُوا فِى أَدْعَاكُمْ إِلَى اللَّهِ وَ إِلَى سَبِيلِ سَعَادَتِكُمْ فِى الدُّنْيَا الْآخِرَةِ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ وَ إِلَهُنَا جَمِيعًا وَ خَالِقُنَا وَ مَدَبِرَ أُمُورِنَا وَ إِلَيْهِ مَرْجِعُنَا وَ إِنِّي وَ إِيَّاكُمْ عِبَادُهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاعْبُدُوهُ وَ اخْضَعُوا لَهُ خُضُوعَ الْعَبْدِ لِإِلَهِهِ. وَ مِنْ عِبَادَتِهِ أَنْ لَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا هَذَا أَى تَقْوَى اللَّهِ وَ عِبَادَتِهِ وَ طَاعَةَ الرَّسُولِ فِى دَعْوَتِهِ إِلَى اللَّهِ وَ تَوْحِيدِهِ وَ دِينَ الْحَقِّ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ لَا يَهْتَدِي مِنْ ضَلَّ عَنْهُ ٤٨ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ رِسَالَتِهِ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ أَى فِى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ بِالْإِيمَانِ بِهِ وَ بِآيَاتِهِ وَ مَا أُرْسِلَ بِهِ رَسُولُهُ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ

فِى الْعِيُونِ مَسْنَدًا عَنِ الرَّضَا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُمْ سَمَوْا حَوَارِيْنَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مُخْلِصِينَ فِى أَنْفُسِهِمْ وَ مُخْلِصِينَ لِغَيْرِهِمْ مِنْ أَوْسَاطِ الذَّنُوبِ بِالْوَعْظِ وَ التَّذْكِيرِ

نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فِى الدَّعْوَةِ إِلَى دِينِهِ وَ الْجِهَادِ فِى سَبِيلِ الْحَقِّ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ لَا نَكْفُرُ كَكْفَرِهِمْ وَ أَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ دَاخِلُونَ فِى سَلْمِ اللَّهِ لَا- نَحَادَهُ وَ لَا نَخَالِفُ أَوْامِرَهُ وَ نَوَاهِيَهُ وَ لَا نَعَانِدُهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مِنْ الدَّعْوَةِ إِلَى سَبِيلِهِ وَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. ثُمَّ التَّفَتُّوا إِلَى التَّشْرِيفِ بِخُطَابِ اللَّهِ وَ الْإِعْتِرَافِ لَهُ بِنِعْمَةِ الْإِيمَانِ وَ الدَّعَاءِ بِدَوَامِ تَوْفِيقِهِمْ لِذَلِكَ فَقَالُوا ٤٩ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَ اتَّبَعْنَا الرَّسُولَ عِيسَى فِيمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِكَ فَارْتَبِنَا بِتَوْفِيقِكَ وَ تَشْيِيتِكَ مَعَ الشَّاهِدِينَ

بالحق الدائنين على ذلك. ثم التفت القرآن الى حال الذين أحس عيسى منهم الكفر بقوله تعالى

سوره آل عمران (٣): آيه ٥٤

وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٥٤)

٥٠ وَ مَكَرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ بعض اللغويين فسر المكر بالخديعه. و فى التبيان «و المكر و ان كان قبيحا فإنما اضافه الله الى نفسه لمزواجه الكلام كما قال فَمَنْ اغْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ. و الثانى ليس باعتداء و إنما هو جزاء» و نحوه فى مجمع البيان. و كأنهم نظروا فى ذلك الى ان الكثير من استعمال الناس للفظ المكر هو فيما يساوق استعمالهم للفظ الخديعه من الإنسان لا يصال الضرر المحرم الى غيره و بذلك يكون قبيحا. و لكن استعمال القرآن الكريم و بعض الموارد يرشد الى ان المكر هو اعمال خفيه على الغير فى معاملته على غفله منه عنها. و قد جاء فى القرآن الكريم منسوبا الى الله بدون مزواجه كقوله تعالى فى سوره الأعراف ١٩٧ أ فَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ و قال الله هنا و فى سوره الأنفال ٣٠ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ فأطلق لفظ الماكر عليه جل شأنه و على غيره يعنى الظالمين بلفظ واحد و لا يجوز استعمال اللفظ الواحد فى المعنى الحقيقى و المعنى المجازى معا. و عموم المجاز يأباه المقام. و قد

ورد فى الدعاء فى خطاب الله «و لا تمكر بى فى حيلتك»

بدون مزواجه. و

فى نهايه اللغه «و فى حديث الدعاء اللهم امكر لى و لا تمكر بى».

و اما ما أسنده ابن بابويه عن الرضا (عليه السلام) من قوله ان الله لا يمكر و لكنه يجازى على المكر

فإن فى سنده جهاله و إهمال و يمكن أن يريد نفى المكر بالمعنى الذى يساوق الخديعه لا يصال الضرر القبيح كما ذكرناه. و الا فإن عرض الروايه على ما ذكرناه من القرآن كما أمرنا به اهل البيت يوجب الوثوق بعدم صدورها عنهم عليهم السلام. هذا و لعل المراد من مكرهم ما يذكر من انهم قالوا لملكهم ان عيسى يطلب الملك لنفسه فوافقهم على صلبه و قتله. و المراد من مكر الله هو إلقاء شبه المسيح على غيره و رفعه الى السماء.

و فى تفسير القمى مسندا عن الباقر (عليه السلام) ان المسيح قال لأصحابه أيكم يلقى عليه شبهى فيقتل و يصلب و يكون معى فى درجتى فقال شاب أنا يا روح الله فقال فأنت هوذا. و نحوه فى روايه الدر المنثور مما أخرجه عبد بن حميد و النسائى و ابن أبى حاتم و ابن مردويه عن ابن عباس.

و روى عن وهب بن منبه مما أخرجه عنه عبد بن حميد و ابن جرير ان الذى القى عليه شبه المسيح

و صلب هو الذى كان من أصحابه و أخذ من اليهود ثلاثين درهما فدلهم على المسيح ليقتلوه.

و نحوه فى التفسير الذى أبطنا نسبته للإمام العسكرى (عليه السلام). كما حكى نحو ذلك فى إنجيل برنابا و انه يهوذا الاسخريوطى. و الله العالم. و لعل السر فى هذا التشبيه هو انه لو غيب عنهم المسيح و رفع إلى السماء فى الخفاء لا تهموا اهله و المؤمنون به بإخفائه فعمهم البلاء و كثر فيهم القتل و التنكيل و فضيحة النساء طلبا لإظهاره. و لو رفع الى السماء ظاهرا بمرأى من الناس لاستحكمت شبهه أوهيته و سرت حتى إلى بعض المؤمنين و الله خير الماكرين فإن مكره و تدبيره الخفى لا يكون إلا جاريا على الحكمة لا يفوته اللطف بالعباد

سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٥ الى ٥٦

إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ إِنِّي فَاعِيكَ وَ رَافِعُكَ إِلَىٰ وَ مُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ جَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٥٥) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦)

٥١ إذ ظرف لمكر الله قال الله يا عيسى ابني فاعيك أي آخذك من بين الناس و من عالم الأرض و قد مضى الكلام على ذلك فى الفصل الرابع من المقدمه و رافعك إلى قال جل شأنه (الى) و هو لا يحويه مكان و لا يخلو منه مكان تكريما للمسيح و تفخيما لغايه الرفع من الأرض التى فيها الكافرون و الفساق الى السماء المحضه لتسيح الله و تقديسه فكنى عن ذلك برفعه إلى الله و مطهرك من الذين كفروا أى من رجس قربهم و الابتلاء بمجاورتهم و جاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا اما النصرى فليسوا ممن اتبع المسيح كيف و قد أشركوا بالله و ألهوا المسيح، و ثلثوا الآلهه و لم يبقوا لهم شريعته و أن أناجيلهم و كتبهم لتقول ان المسيح لم يبطل شريعته التوراه بل هم من بعده أبطلوها. و أن الذين اتبعوه على دين الحق مله ابراهيم انما هم المؤمنون الموحدون حق التوحيد من قومه و من بعدهم المسلمون بدعوه رسول الله. و عبر بالماضى باعتبار المؤمنين من قومه فإن جنس الذين اتبعوه قد مضى له التحقق باعتبار بعضه فهم فوق الذين كفروا مستمرين على ذلك إلى يوم القيامة ثم إلى مرجعكم بالحشر جميعا فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من التوحيد و الإيمان و شريعته الحق ٥٢ فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا فى الدنيا و الآخرة و ما لهم من ناصرين كما ابتلوا بذلك البلاء العظيم من القتل العام و الذله الشامله فى

حادثة طيطوس و بقوا بعد ذلك للقتل و الجزيه و ذله المحكوميه

سوره آل عمران (٣): الآيات ٥٧ الى ٦١

وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ (٥٨) إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (٦٠) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)

٥٣ وَ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ اللَّهُ وَ فِيهِ التَّفَاتِ مِنَ التَّكَلْمِ فِي مَقَامِ الإِرْهَابِ بِسُطُوتِهِ إِلَى الْغَيْبِ فِي مَقَامِ ثَقَةِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَزَاءِ أُجُورَهُمْ وَ ذَلِكَ أَشْرَفُ الْغَايَاتِ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ٥٤ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ بِالْوَحْيِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْآيَاتِ وَ الذِّكْرِ أَى الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. وَ لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ وَ لَادَهُ الْمَسِيحُ مِنْ مَرْيَمَ مِنْ غَيْرِ فَحَلَّ عَلَى خِلَافِ الْعَادَةِ. وَ قَدْ أَثَارَ الضَّلَالَةَ مِنْ ذَلِكَ شَبَهَتَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ إِحْدَاهُمَا تَهْمَةُ الْيَهُودِ لِمَرْيَمَ وَ الثَّانِيهِ زَعْمُ النَّصَارَى أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ. فَلِذَلِكَ أَحْتَجَّ عَلَى الْفَرِيقَيْنِ بِمَا يَعْرِفُونَهُ وَ يَعْتَرِفُونَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ آدَمَ فَمَا ذَا يَقُولُ الْيَهُودُ فِي آدَمَ. وَ مَاذَا يَقُولُ النَّصَارَى فِيهِ فَقَالَ جَلَّ وَ عَلا ٥٥ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى فِي تَصَرُّفِ الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَةِ بِوِلَادَتِهِ بِمَا هُوَ بَشَرٌ عَلَى خِلَافِ الْعَادَةِ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ وَ صُورَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ بَشَرًا حَيًّا فَيَكُونُ لَمْ يَقُلْ جَلَّ شَأْنُهُ «فَكَانَ» لِأَنَّ الْمَاضِي لَا يَدُلُّ عَلَى لُزُومِ تَرْتِبِ الْكُونِ عَلَى أَنْ يَقَالَ «كُنْ» بَلْ هُوَ يَعْمُ التَّرْتِبَ اتِّفَاقًا بَلْ هَذَا هُوَ الظَّاهِرُ وَ الْقَدْرُ الْمُتَيَقِّنُ مِنْهُ فَجَىءَ بِالْمُضَارَعِ لِيَدُلَّ عَلَى الْمَلَاذِمَةِ وَ أَنَّهُ جَلَّتْ قُدْرَتُهُ إِذَا قَالَ لَشَيْءٍ كُنْ فَإِنَّهُ يَكُونُ لَا مَحَالَةَ ٥٦ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ أَى الْإِخْبَارِ بِأَحْوَالِ الْمَسِيحِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ أَيُّهَا السَّامِعُ مِنَ الْمُؤْمَرِينَ الشَّاكِينَ. أَوْ يَكُونُ الْخِطَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) عَلَى النَّحْوِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ وَ الْأَرْبَعِينَ بَعْدَ الْمَائَةِ مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ٥٧ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ أَى فِي عِيسَى زَاعِمًا أَنَّهُ إِلَهٌ وَ ابْنُ اللَّهِ مُتَشَبِّهًا بِوِلَادَتِهِ مِنْ غَيْرِ فَحَلَّ.

وَ الْمُحَاجَّةُ تَبَادُلُ الْإِحْتِجَاجِ. وَ الْحُجَّةُ أَعْمُ مِنَ الْبُرْهَانِ الصَّحِيحِ وَ الْجَدَلُ الْفَاسِدُ كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ ١٤٤ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ الْمَعْقُولِ وَ الْمَحْسُوسِ وَ الْمَوْحَى بِهِ مِنْ أَنْ اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ وَاحِدٌ لَا يَكُونُ ثَلَاثَةً وَ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي الإِلَهِيَةِ وَ لَا يُلِدُ. وَ أَنْ الْبَشَرَ الْجِسْمَانِيَّ الْمُتَحَيِّزَ الْمُتَغَيِّرَ الَّذِي يَجُوعُ وَ يَتَأَلَّمُ وَ يَبْكِي وَ يَحْزَنُ وَ يَحْتَاجُ لَا يَعْقِلُ أَنْ يَكُونَ إِلَهًا. وَ أَنْ خَلَقَ اللَّهُ لِلْحَيَوَانَ

والإنسان لا- يتوقف على التولد من ذكر و أنثى كما هو المعروف فى الفار و الدجاج و تتم العيره بخلق آدم ففعل لهم قطعاً للمعاذير و حسماً لإصرارهم على الغى و الضلال بعد ما جئت به من الحق و الحجج القاطعه مما جاءك من العلم هلم الى المباهله و الدعاء بأن يلعن الله الكاذبين فى دعاويهم و يبطش بهم و يهلكهم و يخزيهم تعالوا ندع أنا و أنتم لهذه المباهله و عاقبتها المخوفه أهم من يحافظ الإنسان على سلامته و حفظ شرفه و صونه و مقامه فى الحياه أبناءنا و أبناءكم و نساءنا و نساءكم و المقصود أهم من ينسب الى الشخص من النساء فى مقام الاهليه و الرابطه العرضيه اللازمه كالأم و الأخت و البنت دون الزوجه التى تدنو بكلمه التزويج و تبعد بكلمه الطلاق و أنفسي أنا أى و ندع أنفسنا و لا بد من أن يكون الداعى غير المدعو و المراد هو الشخص الذى يرى داعيه ان وجوده فى الأثر و المزاي و الفضيله و الغايه بمنزله وجوده فى ذلك أو اقرب الناس إلى مقام وجوده و ما يطلبه من غايه وجوده و بذلك يقول هذا نفسى بتزويل صحيح و مجاز مقبول و أنفسيكم ثم نبتهل نحن أو نحن و هم أى ندعو باللعن فنجعل لعنت الله و المراد نكاله و عقابه الدينوى على الكاذبين و قد اتفقت الروايه فى شأن النزول ان نصارى نجران (١) و قد بعض من زعمائهم الروحانيين على رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى المدينه فاحتج (صلى الله عليه و آله) عليهم فى أمر عيسى و انه بشر رسول من الله و ليس ياله كما يزعمون فلم ينيبوا الى الحق بدلاله الحجج النيره فأمر الله رسوله أن يدعوهم الى المباهله فدعاهم بمقتضى الآيه الكريمه فقال بعضهم لبعض ان جاءنا بأهله و خاصته فهو على يقين من أمره فلا تباهلوه. فغدا (صلى الله عليه و آله) عليهم للميعاد و معه على و فاطمه و الحسن و الحسين صلوات الله و سلامه عليهم. و

فى حديث مسلم و الترمذى و الحاكم و ابن المنذر

ص: ٢٩٠

١- نجران من مخاليف اليمن من ناحيه مكه. و المخلاف فى لغه اليمن كالكوره و الصقع فى غيرها و كالرستاق فى العراق. و ذكرت لتنصر أهلها اسباب لا يعول على نقلها و لا تلائم الحقيقه بصحتها. و قد اسأفتهم على رسول الله (صلى الله عليه و آله) فدعاهم الى المباهله فلما صار الغد أبوا و صالحوه سنه عشره من الهجره و كتب لهم بذلك كتابا و يروى انه لما ولى ابو بكر أمضاه و لما ولى عمر اجلاهم و اشترى منهم أموالهم

و البيهقي عن سعد ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال اللهم ان هؤلاء اهل بيتي

فأبى أولئك أن يباهلوه و عاهدوه على الجزية. و فى روايه ابن اسحق و الثعلبي و الكشاف و الرازى و أبى السعود و غيرهم فى تفاسيرهم و المالكي فى الفصول المهمه ان اسقف نجران قال انى لأرى وجوها لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لأزاله فلا تبتهلوا. و

فى حديث جابر كما فى مستدرک الحاكم و اسباب النزول للواحدى و غيرهما «أبناءؤنا الحسن و الحسين. و نساؤنا فاطمه. و أنفسنا على بن أبى طالب»

و فى صواعق ابن حجر اخرج الدارقطنى ان عليا (عليه السلام) يوم الشورى احتج على أهلها فقال أنشدكم بالله هل فىكم أحد اقرب إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى الرحم منى و من جعله نفسه و أبناءه أبناءه و نساءه نساءه غيرى قالوا اللهم لا. الحديث

أقول و القدر المشترك فى الأحاديث هو ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) دعا عليا و فاطمه و الحسن و الحسين (عليه السلام) ليباهل بهم نصارى نجران رواه الفريقان بأسانيدهم عن جماعه من الصحابه و التابعين و أئمه أهل البيت. ففى كتب اهل السنه أخرجه مسلم و الترمذى فى جامعيهما و ابو نعيم فى الدلائل و البيهقى فى سننه و ابن أبى شيبه و سعيد بن منصور و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر و الحاكم فى مستدرکه و ابن مردويه و الثعلبي فى تفسيره و الواحدى فى اسباب النزول و ابن اسحق فى المغازى و موفق بن احمد و ابن المغازلى و الحموينى و المالكي فى فصوله و السيوطى فى الدر المنثور و غيرهم بأسانيدهم عن سعد بن أبى وقاص و جابر و ابن عباس و عليا اليشكرى وجد سلمه. و عن الشعبى و الحسن و السدى و مقاتل و الكلبي. بل ذكره جل المفسرين و قل ما يخلو من روايته كتاب تفسير.

و فى كتب الشيعة

أخرجه القمى فى تفسيره و المفيد فى اختصاصه و الصدوق فى العيون و الشيخ فى اماليه عن على امير المؤمنين (عليه السلام) و عن أبى ذر (رض) ان عليا (عليه السلام) احتج بذلك يوم الشورى. و سعد بن أبى وقاص و الحسن السبط (عليه السلام) وجد محمد بن المنكدر و الصادق و الكاظم و الرضا و الهادى عليهم السلام.

فهذا الحديث مروى بالأسانيد المتعدده عن تسعه من الصحابه و خمسه من التابعين و سته من أئمه اهل البيت (عليه السلام): و نتيجة الآيه الكريمة و الحديث القطعى هى ان الله عز و جل امر رسوله بأن يسمى على نفسه ليبين للناس انه ثانيه من أمته فى الفضيله و الغايه الكريمة و الولايه العامه و الزعامه الكبرى و القيام بأمر الأمة و الدين و سياسته و الإمامه التى هى دعوه ابراهيم فى قوله «و من ذريتى». و هل ترى غير الواجد لهذه المزاييا يأمر الله رسوله بأن يسميه نفسه. ألا ترى انه لا يصح لأحد يعرف كيف يتكلم ان يقول

عن شخص آخر انه نفسى إلا- إذا كان ذلك الشخص فى نظر القائل ثانيه فى مزاياه و الوجه المطلوب منه و ثقته فى ذلك. و
لعمر الحق ان هذا أمر جلى. و لقد تكرر من رسول الله صلى الله عليه و آله بيان هذا المعنى المتجلى من قوله «و أنفسنا» كما
أمره الله و شرحه بعبارات متناسبه فى الإيضاح و أقامه الحجة فهى «نور على نور»

كقوله (صلى الله عليه و آله) لعلى (عليه السلام) أنت منى بمنزله هارون من موسى إلا انه لا نبى بعدى

و قوله (صلى الله عليه و آله) فى ذلك المشهد العظيم فى غدِير خم مخاطباً للمسلمين «أيها الناس أ لست أولى بالمؤمنين من
أنفسهم» فلما قالوا اللهم بلى قال على النسق آخذاً بضبع على (عليه السلام) «من كنت مولاه فهذا على مولاه»

و غير ذلك مما يضيق عنه هذا المقام. و هو مدون فى كتب الفريقين كالشمس راد الضحى. هذا و ان ابن تيميه فى كتاب منهاج
السنه قد اعترف بصحة الحديث الدال على ان نفس رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى الآيه هو على (عليه السلام) و لكن
حاول ان يمنع ما أشرنا الى وجهه الوضاح من الدلاله على امتياز امير المؤمنين بالفضيله و مقام الإمامه فى الأمه و الزعامه الكبرى
فقال ما ملخصه ان المراد بالأنفس فى الآيه هو من يتصل بالقرابه و القوميه و استشهاد لذلك بقوله تعالى فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ. لا
تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ. تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ. فقل له ان اضافه النفس قد تقع باعتبار نوع
من الرابطة كالقرابه و الجامعه القوميه. فيقال أنفسكم و أنفسهم كما يقال رجالكم و رجالهم و انفس البلد و المملكه. و لكن
هل يخفى ان النفس إذا جعلت مقابله للأقرباء بل اقرب الأقرباء كما فى الآيه و فى قوله تعالى فى سورة التحريم ٦ قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ
أَهْلِيكُمْ نَاراً و فى سورتي الزمر ١٧ و الشورى ٤٣ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيَهُمْ فلا تكون النفس مستعمله إلا على وجه الحقيقه
فى نفس الإنسان الذى أضيفت اليه كما فى آيات التحريم و الزمر و الشورى. او على وجه المجاز و الاستعاره لمن ينزل بما
أشرنا اليه من وجوه الشبه بحسب كل انسان بمنزله نفس الإنسان الخاصه به كما فى هذه الآيه لما ذكرناه من الدعوه و الروايه
الصحيحه المستفيضه المتفق عليها. و من الظرائف ان ابن تيميه فطن إلى انه لو كان التعبير بالنفس ناظراً إلى القرابه لدعى العباس
عم الرسول و أولاده و أمثالهم من بنى هاشم فإنهم كانوا مسلمين مهاجرين فى المدينه لأن وفد نجران جاء فى السنه العاشره أو
التاسعه من الهجره و لأجل ما فطن له قال فى التخلص منه لأن العباس لم يكن من السابقين و لا كان له اختصاص بالرسول كعلى
و اما بنو عمه فلم يكن فيهم مثل على انتهى فانظر إلى اضطراب هذا الرجل فإنه

بعد الاطناب فى المغالطه و الغفله عن مقابله النفس بأقرب الأقرباء رجع إلى الاعتراف بأن المقام مقام امتياز فى الفضل الدينى و كرامه المقام الأرفع بحيث يناسب ان يأمر الله رسوله بأن يعبر عن على لأجل ذلك بأنه نفسه. و لا يخفى ان هذا ليدل على أقصى ما تسعه الاستعاره و وجه المجاز فى التفوق بالكمال و الولايه العامه بعد ما يختص بالرساله تفوقا تلزمه الإمامه بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) و ما عشت أراك الدهر عجباً فإن الشيخ محمد عبده مع تظاهره و رغبته بأن يعرف بحريه الضمير و النزعه. و نراه البحث كأنه التفت الى حقيقه النتيجة من الآيه الكريمه و الحديث و فطن الى ما يرد على شيخه ابن تيميه فيما قاله فأراد ان يسد بابا فتحه الله و رسوله على مصراعيه فقال فى درسه على ما ذكره صاحب المنار فى تفسيره. ان الروايات متفقه على ان النبى (صلى الله عليه و آله) اختار للمباهله عليا و فاطمه و ولديها و يحملون كلمه نساءنا على فاطمه و كلمه أنفسنا على على فقط و مصادر هذه الروايات الشيعه و مقصدهم منها معروف و قد اجتهدوا فى ترويجها ما استطاعوا حتى راجت على كثير من اهل السنه و لكن واضعيها لم يحسنوا تطبيقها على الآيه فإن كلمه «نساءنا» لا يقولها العربى و يريد بها بنته لا سيما إذا كان له ازواج و ابعده من ذلك ان يراى بكلمه «و أنفسنا» على (عليه السلام) أقول لماذا لا يقول العربى نساءنا نظرا إلى الجنس و مجانسه الجمع بالجمع فى اللفظ و هو يريد بها بنته لأن ذلك أقرب إلى الحشمه من التصريح بابنته أو لغير ذلك من وجوه الكلام و هل يقول ان النساء لا- تطلق إلا- على الأزواج. إذن فما ذا يقول بقول القرآن الكريم فَإِنَّ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ. وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ. وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَهُمْ. أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ.

وَ لا- نِسَائِهِنَّ. و كثير من مثل ذلك و لا حاجه إلى الاستشهاد بشعر العرب. و مما أشرنا اليه من وجوه الكلام هو بيان ان فاطمه (عليه السلام) هى الممتازه الوحيده من ناحيه الرسول من عنوان نساء الأهلين فى فضيلتها و اهميتها و لياقتها لهذا المقام و قد صح و استفاض عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) ان فاطمه سيده نساء العالمين كما أشرنا اليه فى تفسير الآيه الأربعين. و كذا الكلام فى التعبير بأنفسنا و اراده على (عليه السلام) وحده

و قد صح و استفاض عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قوله لعلى (عليه السلام) أنت منى و انا منك كما رواه البخارى و مسلم عن البراء و الحاكم عن على (عليه السلام) و الترمذى و الحاكم عن عمران بن حصين. و احمد و الترمذى و النسائى و ابن ماجه عن حبشى بن جناده.

و احمد و الحاكم عن بريده و أبى رافع و ابن أبى شيبه و ابن جرير عن بريده.

و انه (صلى الله عليه و آله) جعل

علياً كنفسه كما رواه احمد عن عبد الله بن حنطب من قوله (صلى الله عليه وآله) لو فد ثقيف.

و ما أخرجه ابن النجار من ان ابن العاص سأل النبي (صلى الله عليه وآله) عن حبه لعلي (عليه السلام) فقال ان هذا يسألني عن النفس.

و فى اللئالى المصنوعه عن ابن النجار ايضا عنه بسند آخر قال (صلى الله عليه وآله) على نفسى فمن رأيتة يقول فى نفسه شيئاً.

و عن أبى عمر الزاهد فى كتاب اليواقيت عنه ايضا بسند آخر فقال (صلى الله عليه وآله) ما ظننت أحدا يسأل عن نفسه.

لكن إذا ذكرنا هذه الروايات و أمثالها قيل ان مصادرها الشيعة و مقصدهم منها معروف إلى آخر الكلام المتقدم و يحكم الله و هو خير الحاكمين ..

و قد جاء الجمع و اراده الواحد منه فى القرآن الكريم. أفلا- يكفى من ذلك قوله تعالى فى سورة الشعراء كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ وَ نحوه كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ. إلى آخره. كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ. إلى آخره. كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ.

إلى آخره. كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ. إلى آخره. و المراد من المرسلين فى كل من الآيات هو واحد.

و من أين لنا أن يروى أحاديث المباهله و أمثالها فى فضل على و أهل البيت مسنده الى عصرنا عن أمثال عمران بن حطان، و لمازه بن زياد، و عبد الله بن شقيق، و نعيم بن هند و جرير بن عثمان، و أزهر بن عبد الله، و ابراهيم السعدى، و أمثالهم ممن شهد علماء رجالهم بنصبهم العداوه لأهل البيت (عليه السلام) و إن تساهل فى امر أحدهم بعض كابن حجر فى التقريب قال فيه «يرمى بالنصب»- و لیت شعرى ماذا أبقى هذا الشيخ من الشأن لحديثهم و جوامعهم و محدثيهم و تفاسيرهم و مفسريهم إذا كان يروج على عامتهم مثل ما زعمه من الوضع

سوره آل عمران (٣): آيه ٦٢

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَ مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢)

٥٧ إن هذا و هو ما ذكر من ولاده عيسى و خلق الله له و اعترافه بأن معجزاته إنما هى بإذن الله و ان الله ربه و رب الناس. و أمره بعباده الله. و غير ذلك مما يدل على ان عيسى بشر مخلوق لله و أمره بيده و طوع قدرته لهو القصص الحق و الذى يعترف النصرارى به و تذكره كتبهم التى ينسبونها الى الوحي و ما مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ و ابن المسيح عيسى من الإلهيه و قد جرى عليه من الاضطهاد ما جرى. و لم يزل يفزع بالدعاء و الخضوع و التضرع الى الله و إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ فِي إلهِيته و تقديره و تدبيره. و كل من عداه ذليل في مخلوقيته و حاجته فكيف يكون غير الله إلهاً معه

سوره آل عمران (٣): الآيات ٦٣ الى ٦٤

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (٦٣) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤)

٥٨ فَإِنْ تَوَلَّوْا عَنْ تصديقك و اتباع الحق فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ أى فإنهم مفسدون يريدون إغواء الناس و اضلالهم إفسادا فى الأرض و الله عليم بهم يجزيهم جزاءهم ٥٩ قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أى مستويه بيننا و بينكم فى تلاوتنا جميعاً لها فيما هو من كتب الوحي او ينسب الى الوحي كما يوجد فى توراتكم و أناجيلكم و سائر كتبكم التى تنسبونها الى الوحي من توحيد الله و انه هو الإله و الرب المدبر لخلقه وحده لا شريك له. و من جمله ذلك فى توراتكم عن قول الله «لتعلم ان يهوه (١) هو الإله ليس آخر سواه- ان يهوه هو الإله فى السماء من فوق و على الأرض من أسفل ليس سواه (١)» «انا أنا هو و ليس إله معى (١)» و نحوه فى التوحيد و نفى الشريك فى المزمور الثامن عشر ٣١ و فى كتاب اشعيا ٤٤: ٦ و ٨. و فى سفر التثنيه من التوراه ٦: ٤ و فى إنجيل مرقس ١٢: ٢٩ يهوه إلهنا يهوه واحد. و فى إنجيل يوحنا ١٧: ٣ و هذه هى الحياه الأبدية أن يعرفوك انك أنت الإله الحقيقى وحدك و يسوع المسيح الذى أرسلته- و هذه الكلمه هى أن لا نخضع خضوع العبد لإلهه من حيث انه إله كما هو معنى العباده و أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وحده وَ لا نُشْرِكَ بِهِ فى العباده و نسبه الإلهيه شَيْئاً وَ لا نقول لشيء غير الله انه إله وَ لا- يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فان الله إذا قال أنا هو الرب و الرب واحد. فإن قولكم ان البشر رب كما قلتم فى عيسى يرجع الى جحد ربوبيه الله و يكون جعلاً- للبشر الحادث و الخاضع للآلام و حاجه البشريه و كوارثها ربا من دون الله. او يكون المعنى أرباباً فى المرتبه النازله عن مرتبه الله كما هو رأى الوثنيين فى شركائهم بأى عنوان كان من التنزلات الموهومه. و لا مانع من ان يخاطب اليهود، و النصرارى بأمر مشترك بينهم و فى

ص: ٢٩٥

١- يهوه فى العبرانيه اسم علم لله جل اسمه كما تصرح به التوراه فى سفر الخروج ٣: ١٥ و ٦: ٣

الأثناء يذكر ما يخص النصارى. أو ان ذلك شامل لليهود باعتبار قولهم عَزِيْزُ ابْنِ اللّٰهِ تَعَالَى اللّٰهُ عَمَّا يُشْرِكُوْنَ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ. كما فى سورة التوبه. و الظاهر ان المراد يضاھون قول البراهمه و البوذيين و غيرهم فى نسبه الابن الى الله باعتبار التنزل فى الإلهيه.

و ربما يكون اتخاذ الأرباب هنا على حد قوله تعالى فى سورة التوبه ٣١ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَ رُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللّٰهِ

ففى الكافى و المحاسن عن أبى بصير عن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) انهم أحلوا لهم حراما و حرموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون. و عن المحاسن ايضا عن الصادق (عليه السلام) نحوه. و نحوه ما أخرجه الترمذى و جماعه ذكرهم فى الدر المنثور فى سورة التوبه عن عدى بن حاتم عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) و عن جماعه ايضا عن حذيفه

و عن المحاسن و ايضا بسند فيه إرسال عن الباقر (عليه السلام) ما صلوا لهم و لا صاموا و لكن أطاعوهم فى معصيه الله. و فى الدر المنثور ايضا اخرج ابو الشيخ و البيهقى عن حذيفه و ذكر نحوه. و عن العياشى برواياته عن الصادق و الباقر (عليه السلام) نحو ما ذكرناه عنهما (عليه السلام).

و فى مجمع البيان عن تفسير الثعلبى باسناده عن عدى بن حاتم فى آيه التوبه قلت أى لرسول الله انا لسنا نعبدهم فقال (صلى الله عليه و آله) أليس يحرمون ما أحله الله فتحرمونه و يحلون ما حرمه الله فتستحلونه قلت بلى قال (صلى الله عليه و آله) فتلك عبادتهم.

و قيل «كَلِمَةٍ سِوَاءٍ» أى عادله و ما ذكرناه ابلغ فى الدعوه و اظهر فى الحجه. لاستظهارها بالالزام بما فى كتبهم و اشارتها الى ان الاستواء فى هذه الكلمه يشير الى انها من أساسيات كتبهم و أوليات العقل و لباب المعقول، و بينات البدهاه فإن تَوَلَّوْا بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ وَ غِيهِمْ وَ لَمْ يَقْبَلُوا عَلَى هَذِهِ الدَّعْوَةِ الْوَحِيدَةِ فِي الْكِرَامَةِ فَقُولُوا لَهُمْ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَ الْمُسْلِمُونَ أَشْهَدُوا وَ اعْلَمُوا مِمَّا تَشَاهَدُونَهُ مِنْ حَالِنَا فِي التَّوْحِيدِ وَ أَشْهَدُوا عَلَيْنَا تَثْبِيْتًا لِاعْتِرَافِنَا بِالْحَقِّ وَ أَنَا عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِنَا بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ لِلَّهِ لَا نَحَادَّةَ بِالشَّرْكِ وَ لَا نَتَّخِذُ غَيْرَهُ رَبًّا

سورة آل عمران (٣): آيه ٦٥

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ مَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥)

٦٠ يا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ يَزْعَمُ الْيَهُودُ أَنَّهُ يَهُودِيٌّ وَ يَزْعَمُ النَّصَارَى أَنَّهُ نَصْرَانِيٌّ، وَ تَتَشَبَّثُونَ فِي حُجَّتِكُمُ الدَّاحِضَةَ بِمَجْرَدِ الدَّعَاوَى الْمُسْتَحِيلَةِ. وَ الْحَالُ أَنَّ غَايَةَ التَّشْبِيْهَاتِ لِلْيَهُودِيَّةِ تَرْجِعُوهَا إِلَى رِسَالَةِ مُوسَى وَ نَزُولِ التَّوْرَةِ عَلَيْهِ. وَ غَايَةَ التَّشْبِيْهَاتِ لِلنَّصْرَانِيَّةِ تَرْجِعُوهَا إِلَى رِسَالَةِ الْمَسِيْحِ وَ نَزُولِ الْإِنْجِيلِ فَضْلًا عَنْ أَنَّ الرَّائِجَ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَ النَّصْرَانِيَّةِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْبِدْعِ الَّتِي حَدَّثَتْ بَعْدَ مُوسَى

والتوراه و المسيح و الإنجيل. و أين ذلك من ابراهيم و ما أنزلت التوراه و الإنجيل إلا من بعده بقرون عديده أ فلا تعقلون كيف تتكلمون و كيف تدعون

سوره آل عمران (٣): الآيات ٦٦ الى ٦٩

ها أنتم هؤلاء حاجتكم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم و الله يعلم و أنتم لا تعلمون (٦٦) ما كان إبراهيم يهودياً و لا نصيرانياً و لكن كان حنيفاً مسلماً و ما كان من المشركين (٦٧) إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه و هذا النبي و الذين آمنوا و الله ولي المؤمنين (٦٨) و دت طائفه من أهل الكتاب لو يضلونكم و ما يضلون إلا أنفسهم و ما يشعرون (٦٩)

٦١ ها أنتم هؤلاء بعينكم أى لا أوجه الخطاب و التوبيخ إليكم باعتبار ما فعله اسلافكم بل أنتم بأنفسكم حاجتكم فيما لكم به علم أى أخذتم فى محاجتكم أمورا معلومه فصرتم تغالطون فيها و تشبثون بها و ذلك كرساله موسى و التوراه فصرتم تلصقون بها مزاعمكم الفاسده. و كولاده عيسى من غير فحل و بعض معجزاته فصارت النصرارى تزعم من ذلك ان عيسى المولود من مريم إله مع الله فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم بل هو من المستحيلات بلا مغالطه فيه بالتشبث الواهى بأمر معلوم و الله يعلم حالكم و الحقيقه واضحه و أنتم لا تعلمون ٦٢ ما كان إبراهيم يهودياً يقول فى الإله (الوهيم) بصيغه الجمع كما ملأوا منه توراتهم الرائجه. و كما كتبوا فى كتاب ارميا ٢٣:

٣٦ الوهيم حيتم يهوه صياؤت الوهينو» أى الآلهه الاحياء رب الجنود آلهتنا. و لا يقول بفلتات توراتهم فى الجراه على جلال الله. كما فى نهى آدم عن الشجره و حكايه برج بابل و مصارعه يعقوب و غير ذلك مما ذكر بعضه فى الجزء الأول من «المدرسه السياره» و لا نصيرانياً يثلث الآلهه و يأله البشر و ينسخ الشريعه بالكلية بمجرد الاستحسان و لكن كان حنيفاً موحداً بحقيقه التوحيد مسلماً أى داخل فى سلم الله فى توحيد و حقيقه عرفانه و طاعته و ما كان من المشركين ٦٣ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه على حنيفيته و إسلامه و ملته فى الدين من الأنبياء و الموحدين الصالحين من الناس و على الخصوص هذا النبي و الذين آمنوا معه فإن هذا النبي من اكبر الداعين الى الإسلام مله ابراهيم على حقيقتها و الله ولي المؤمنين ٦٤ و دت طائفه من أهل الكتاب لو يضلونكم و دت بمعنى تمت. و لو يضلونكم تفسير لها. و الاستقبال

إنما هو بالنسبه للتمنى لا للخطاب وَ مَا يُضْتَلَّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ إِذْ يَزِيدُ عَلَى ضَلَالِهَا بَضَالِهَا فِي مُحَاوَلِهِ إِضْلَالَ الْمُؤْمِنِ الْمُوَحَّدِ عَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ

سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٠ الى ٧٣

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (٧٠) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٧١) وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ جَهِ النَّهَارِ وَ كَفَرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَ لَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣)

وَ مَا يَشْعُرُونَ ٦٧ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ بِأَنَّهَا مِنْ اللَّهِ بِحَسَبِ مَا تَتْلُونَهُ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمٍ مِنَ التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ غَيْرِهِمَا فِي الْبَشَرِيِّ بِهَا وَ بِالرَّسُولِ الَّذِي يَأْتِي بِهَا بَحِيثٍ يَتَعَيَّنُ مِمَّا تَتْلُونَهُ إِرَادَهُ هَذِهِ الْآيَاتِ بِخُصُوصِهَا أَوْ الْمُرَادِ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ وَ تَعَايِنُونَ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا مِنْ اللَّهِ ٦٨ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ أَيْ تَجْعَلُونَ الْبَاطِلَ لِبَاسًا عَلَى الْحَقِّ تَغْطُونَهُ بِهِ مُحَاوَلَةً لِحُجْبِهِ وَ مَخَادَعَهُ فِي أَمْرِهِ لَتَمُوهُوا أَمْرَكُمْ وَ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ بِهِ ٦٩ وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ الظَّاهِرِ أَنَّهُمْ مِنَ الْيَهُودِ قَالُوا لِبَعْضِ قَوْمِهِمْ تَعْلِيمًا لَهُمْ بِمَخَادَعَةِ الْمُؤْمِنِينَ فِي مُحَاوَلَةِ إِضْلَالِهِمْ عَنِ الْحَقِّ آمَنُوا أَيْ تَظَاهَرُوا بِالْإِيمَانِ الصَّوْرِيِّ بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ جَهِ النَّهَارِ أَيْ فِي أَوَائِلِهِ وَ كَفَرُوا أَيْ وَ صَارِحُوا بِالْكَفْرِ وَ الْإِرْتِدَادِ آخِرَهُ فَلَعَلَّ الْمُسْلِمِينَ مِنْ هَذِهِ الْمَخَادَعَةِ يَحْسِبُونَ أَنَّ كَفْرَكُمْ بِهِ وَ إِرْتِدَادَكُمْ فِي يَوْمِكُمْ كَانَ عَنْ بَصِيرَةٍ وَ عِلْمٍ مِنْكُمْ بِانْكَشَافِ خَطَأِكُمْ فِي إِيْمَانِكُمْ بِهِ وَ جَهِ النَّهَارِ وَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ بِهَذِهِ الْخَدِيعَةِ عَنْ إِيْمَانِهِمْ وَ يَرْتَدُونَ عَنْ دِينِهِمْ، رَوَى الْقَمِي فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ أَبِي الْجَارُودِ عَنِ الْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي هَذَا الْمَقَامِ رَوَاهُ ضَعِيفُهُ بِأَبِي الْجَارُودِ بَعِيدَهُ الْإِنْطَبَاقَ عَلَى الْآيَةِ وَ قَالَتْ تِلْكَ الطَّائِفَةُ أَيْضًا لِقَوْمِهِمْ فِي إِغْوَائِهِمْ وَ إِغْرَائِهِمْ بِالْإِدْوَامِ عَلَى الضَّلَالِ وَ كِتْمَانِ الْحَقِّ ٧٠ وَ لَا- تُؤْمِنُوا أَيْ وَ لَا- تَبَدُّوا إِيْمَانَكُمْ بِمَا فِي كِتَابٍ وَ حِكْمٍ مِنْ أَنَّ اللَّهَ يُؤْتِي النَّبِيَّ وَالْوَحْيَ نَبِيًّا مِثْلَ مُوسَى بِنَحْوِ يَتَعَيَّنُ مِنْهُ نَبِيُّ الْمُسْلِمِينَ وَ لَا تَعْتَرَفُوا بِذَلِكَ إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ وَ كَانَ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ يَخْفِيهِ كَمَا نَخْفِيهِ قُلْ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْ تَحْسِبُونَ أَنَّ الْهُدَى إِلَى الْحَقِّ مَنْوُطٌ فِي حَصُولِهِ وَ عَدَمِهِ بِاعْتِرَافِكُمْ بِمَا فِي تَوْرَاتِكُمْ وَ كِتَابِكُمْ وَ إِظْهَارِكُمْ الْإِيْمَانَ كَلَّا بَلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِلُطْفِهِ مِمَّنْ لَمْ يَتَعْصَبْ عَلَى الْحَقِّ إِلَى سِوَاءِ السَّبِيلِ

وجمله «قل ان الهدى»، معترضه فى أثناء كلامهم فى الإغواء جيئ بها للتعجيل فى تفريعهم و تسفيه رأيهم فى غوايتهم أن يؤتى اى و لا تؤمنوا لغير من اتبع دينكم بان يؤتى أحد من غيركم مثل ما أوتيتم باعتبار انبيائكم و كتبكم من النبوه و الرساله و الكتاب و الشريعه و يكون على وفق ما طلبتموه من موسى فأخبركم بان يقيم نبيا من إخوتكم بنى إسماعيل كموسى و يجعل كلامه فى فيه أو تؤمنوا لهم بأنهم يُحاجُّوكم عنده ربُّكم بما أخبركم به فى شأن رسول الله و قرآنه كلام الله و ان لهم عليكم الحججه عند الله بما تعرفونه من الحق (١) او ان المعنى قل ان الهدى هدى الله بان يؤتى احد الى آخره فتكون جمله ان يؤتى متعلقه بما امر الله رسوله ان يقوله لهم و على هذا يكون قوله تعالى قل ان الفضل تكرر للأمر بالقول بدون توسط كلام اجنبى يقتضيه و الأظهر هو الوجه الأول. و قد نقل فى التبيان و مجمع البيان و جهان آخرا ان لا اعتداد بهما قل يا رسول الله فى تسفيه رأيهم فيما قالوه و تواصلوا إنَّ الفضلَ و منه الرساله و الشريعه و التوفيق لاجابه الدعوه إليهما و نصره الدعوه و إعلاء كلمتها و ظهور الهدى و فلج الحججه و شوكة دين الحق و انتظام جامعته بيد الله يؤتیه من يشاء و الله واسع فى فضله و لطفه و رحمته و قدرته عليم بمن هو اهل للرساله و إيتاء الفضل

سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٤ الى ٧٥

يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٧٤) وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥)

٧١ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ بِالْفَضْلِ وَ الهدى مَنْ يَشَاءُ اختصاصه بذلك من عباده لاهلته لذلك وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٧٢ وَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِقِنطَارٍ مر تفسير القنطار فى الآيه الثانيه عشره يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ تمسكا بحكم العقل و الفطره بقبح الخيانه فى الأمانه فإن قبولها عهد بحفظها و ردّها و قد نهت شريعه الحق عن الخيانه فيها وَ مِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ وَ هُوَ مِثْقَالُ شَرَعِيٍّ مِنَ الذَّهَبِ يساوى نحو نصف ليره عثمانيه لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا فى المطالبه و الحججه و القوه ذلك اى خيانتهم للأمانه بِأَنَّهُمْ فى مزاعم ضلالهم قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ فى الإثم و حرمة أموالهم

ص: ٢٩٩

قيل ان المراد من الأُميين نوع العرب باعتبار ان الغالب منهم لا يقرءون و لا يكتبون.

و يحتمل ان يراد منهم من عدى بنى إسرائيل فإنهم ينسبونهم الى الأمه و الأمم. و يحتمل ان يريدوا اتباع رسول الله الامى. و لعلمهم يغالطون لنفى السبيل بما فى توراتهم من انها نهتهم عن الانتقام و الحقد على أبناء شعبهم. و عن السعى و الوشايه بين أبناء شعبهم. و عن شهاده الزور على قريبيهم. فيزعمون من ذلك ان غير الاسرائيلى مهدور الحرمه فى الأحكام الاجتماعيه العقليه و من ذلك أداء الأمانه و يَقُولُونَ فى نفى السبيل و خيانه الأمانه عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ انه كذب منهم. فإنهم مع حكم العقل يقرءون مما بقى فى شريعته الحق فى توراتهم ان الأمانه يجب ردها مطلقا. و ان جحد الأمانه و الوديعه خطيئه و ذنب. و انهم منهيون عن السرقة و الكذب و الغدر من دون حصر لهذه الأحكام بالإسرائيلى. كما فى الفصل السادس و التاسع عشر من سفر اللاويين

سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٦ الى ٧٧

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَ اتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧٦) إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٧)

٧٦ بلى عليهم فى الأُميين سبيل و هم مسؤولون عن الأمانه و الوفاء بعهدها. و ما أحسن الوفاء بالعهد مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ فى كتب اللغه أوفى بمعنى وفى.

أقول و المستعمل فى القرآن الكريم هو أوفى. و أوفى. و أوفى. و أوفى. و أوفى. و أوفى. و أوفى و كلها من أوفى و الظاهر ان الضمير فى عهده يعود الى الموصول «من» و قيل يرجع الى لفظ الجلاله من قوله تعالى وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ. و هو بعيد مع ان قبول الأمانه لا- يتضمن عهدا مع الله و إنما يتضمن عهدا مع صاحبها. و ان نفس الوفاء بالعهد محبوب لله و لكن ما كل من أوفى بعهده محبوب لله، بل من أوفى وَ اتَّقَى اللَّهُ أى اتقى غضبه و عقابه بالأعمال الصالحه و طاعته فى أوامره و نواهيه و كانت له التقوى ملكه و مذهباً فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ الذين ديدنهم المحاذره من ان يعرض الله بوجهه الكريم عنهم و العياذ بالله ٧٣ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ أى بعهدهم مع الله وَ أَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا يتعلق بالثمن كما يتعلق بالمبيع. و الثمن فى الحقيقه احد المبيعين و العوضين قَلِيلًا مهما كان مما تحملهم اهوؤهم لأجله على الحنث و نقض العهد أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ أى لا نصيب و لا حظ لَهُمْ فى الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ لعله كناية عن مقته لهم

و سخطه عليهم و لا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَى لا يعطف عليهم برحمته و لا يَزَكِيهِمْ بالعفو و المغفره

سوره آل عمران (٣): الآيات ٧٨ الى ٧٩

وَ إِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَ مَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَ يَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (٧٨) ما كان لبشر أن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ وَ النَّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ كُونُوا رَبَّائِيِّنَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ (٧٩)

وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٤ وَ إِنَّ مِنْهُمْ أَى من اهل الكتاب لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ زياده على ما نابه من التحريف أى يفتلون ألسنتهم و يحرفونها فى قراءتهم الى ما ليس فيه لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَ مَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ مطلقا بل هو زياده و تحريف جديد منهم وَ يَقُولُونَ فى غلوائهم فى الضلال و الكذب على الله فيما لووا اليه ألسنتهم بالكذب منهم هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ انه كذب منهم و افتراء على الله ٧٥ ما كان لبشر أن يرسله الله هاديا لعباده الى الحق و يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَ الْحُكْمَ فى مجمع البيان أى العلم و فى الكشاف الحكمة. و لكن كل منهما بعيد عن اللفظ. فالظاهر انه سيطره الرساله و الدعوه و الإرشاد وَ النَّبُوَّةَ فى بيان الحقائق ثُمَّ بعد هذا كله يَقُولَ ذلك المبشر الرسول لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي و مما يدل عليه هذه الآيه أمور ثلاثه- الأول- ان البشر المتكون فى الرحم تدريجا جمادا بلا روح. ثم تتعلق به الروح. ثم يولد ضعيفا فقيرا فى جميع أحواله لا- علم له. ثم يتدرج فى المعرفة و الخروج من الجهل و مشابهه البهائم شيئا فشيئا. و يعيش على فقره و ضعفه فى جميع أموره يتألم و يجوع، و يعطش و يحزن و يخاف و يضطهد. هذا كيف يعقل و كيف يتوهم المتوهم أن يكون إلهها واجب الوجود خالقا- الثانى- انه و إن اتفق لبعض البشر الناقصين أن يطغى بفساده و نقصه و يدعى الإلهيه و يدعو الناس الى عبادته. و لكن ليس من السائغ و الممكن فى المعقول أن يكون البشر الموصوف فى الآيه يدعو الناس الى عبادته و يدعى الربوبيه و الإلهيه.

فإن الله هو الحكيم العليم بما يكون من عباده. فكيف و هو القدوس يخالف حكمته و علمه و يؤتى الكتاب و الحكم و النبوه لمن يعلم انه يدعو الى الشرك تعالى عن ذلك- الثالث- الإخبار بأن ذلك لم يقع و لا يقع لأنه من المستحيل على جلال الله. فتكون الآيه

الكريمه داله بيرهانها الواضح على بطلان دعوى من ادعى الإلهيه و الربويه للبشر. و بطلان الدعوه إلى عباده البشر وردا و توييخا على ذلك. و هذا كله بعمومه شامل للنصارى و يكون ردا و تكذيبا لهم فيما ينسبونه إلى المسيح فى إنجيل يوحنا ١٠: ٣٣-٣٦ من انه ادعى الإلهيه و استشهد بالعدد السادس من المزمور الثانى و الثمانين. و ما ينسبونه أيضا فى اناجيل متى ٢٢:

٤١-٤٦ و مرقس ١٣ (٣٥-٣٨ و لوقا ٢٠: ٤١-٤٥ من انه ادعى الربويه محتجا بقول داود فى أول المزمور العاشر بعد المائة «قال الرب لربى» مع ان فى الاستشهاد تحريفا معنويا ظاهرا و فى الاحتجاج الثانى تحريف لفظى لما فى المزامير العبرانيه فإن ترجمته الصحيحه «قال الله لسيدى» و ماذا تنفع المزامير إذا ذكرت مستحيلا فى المعقول لا ينطلى على العارف بالله و قد ذكرنا من ذلك شيئا فى الجزء الأول من كتاب «الهدى» صفحہ ١١٥ و ١١٦ و ١٩٨ و الجزء الأول من «المدرسه السياره» صفحہ ٧٣ من الطبعه الثانيه. و تكون الآيه أيضا توييخا لهم على تناقضهم فى قولهم ان المسيح بشر آتاه الله الكتاب و الحكمه و النبوه و تعمد أى اغتسل على يد يحيى بن زكريا غسل التوبه و نزل عليه الروح بشكل حمامه كما تصرح بهذا كله أناجيلهم.

و قولهم انه «و حاشاه» ادعى الإلهيه و الربويه. و معنى ذلك دعوه الناس لأن يكونوا عبادا له مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ دَعَا الْبَشَرَ إِلَى عِبَادَتِهِ جَحَدَ فِي الْحَقِيقَةِ لِمَقَامِ الْإِلَهِيَّةِ وَ تَحْوِيلَ لَوَاجِبِ اللَّهِ مِنْ الْعِبَادَةِ لَهُ إِلَى غَيْرِهِ مِنَ الْبَشَرِ وَ لَكِنَّ الْبَشَرَ الْمَنُوهَ بِفَضِيلَتِهِ فِي الْآيَةِ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا رَبَّائِيْنَ فِي النِّهَايَةِ الرَّبَّانِيَّ مَنَسُوبَ إِلَى الرَّبِّ بِزِيَادَةِ الْأَلْفِ وَ النَّوْنِ لِلْمُبَالَغَةِ. وَ فِي التَّبْيَانِ وَ الْقَامُوسِ وَ النِّهَايَةِ كَمَا يَقَالُ دَمُ بَحْرَانِيٍّ مَنَسُوبَ إِلَى الْبَحْرِ وَ هُوَ قَعْرُ الرَّحْمِ أَوْ الْبَحْرِ الْمَعْرُوفِ لِسَعْتِهِ. وَ كَمَا يَقَالُ رِقْبَانِيٍّ لِعَظِيمِ الرَّقْبَةِ كَمَا فِي التَّبْيَانِ وَ الْقَامُوسِ وَ لِحْيَانِيٍّ لِعَظِيمِ اللَّحْيَةِ وَ لَعْلَهُ إِلَى هَذَا يَرْجَعُ تَفْسِيرُ الرَّبَّانِيَّ بِالْعُلَمَاءِ الْفُقَهَاءِ أَوْ الْحُكَمَاءِ الْأَتْقِيَاءِ أَوْ الْحُكَمَاءِ الْعُلَمَاءِ وَ فَسَّرَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ أَيضًا بِمَدْبَرِيٍّ أَمْرَ النَّاسِ فِي الْوَلَايَةِ بِالْإِصْلَاحِ كَرَبَّانِ السَّفِينَةِ أَخْذًا مِنَ الرَّبَّانِ الَّذِي يَرْبُ أَمْرَ النَّاسِ بِتَدْبِيرِهِ لَهُ وَ إِصْلَاحِهِ إِيَّاهُ. وَ يَدْفَعُ هَذَا الْأَخِيرَ أَوْلَا أَنْ مَقْتَضَاهُ أَنْ يَقَالُ رَبَّانِيٍّ بِلَا نَسْبَةٍ «وَ ثَانِيًا» أَنْ الرَّسُولَ لَا يَقُولُ لِكُلِّ النَّاسِ كُونُوا مَدْبَرِينَ لِأَمْرِ النَّاسِ فِي الْوَلَايَةِ بِالْإِصْلَاحِ بَلْ أَنْ مَقَامَ الْوَلَايَةِ بِالْإِصْلَاحِ وَ التَّدْبِيرِ أَمَّا يَكُونُ لِأَحَادٍ مَخْصُوصِينَ مِنَ النَّاسِ وَ سَوْقَ الْآيَةِ

لا يناسب التخصص. و التفاسير المتقدمه لم ينظر فيها الى اللفظ و انما أخذت من مخايل معناه فالرباني هو المتعلق في أحواله و معارفه و اعماله بالانتساب الى الله مولاه رب العالمين فيما يحبه و يرضاه و هذا هو الجامع لدعوه الرسول للناس و إصلاحها بما كُتِبَ اى بمقتضى ما كنتم تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ في الدين و تعاليم الوحي

سوره آل عمران (٣): الآيات ٨٠ الى ٨١

وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠) وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمِهِ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١)

٧٦ وَلَا يَأْمُرُكُمْ عطف على يقول للناس المنفى بمفاد «ما كان» أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا من دون الله فإنه كفر بالله أَيَأْمُرُكُمْ و كيف يأمركم بِالْكُفْرِ و يدعوكم اليه بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ داخلون في سلم الله بالإيمان به و توحيده. و هو رسول الله العليم الحكيم و الداعى إلى الله فكيف يصدر منه ما يحيله العقل على رسل الله و أنبيائه ٧٧ وَإِذْ و اذكر في الكتاب. او تكون «إذ» ظرفا لقوله تعالى فيما بعد «قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ» أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ في الآيه و جهان و روايتان - أحدهما - ان يكون الميثاق للنبيين على قومهم كما تقول إذا عاهدت الله انى قد جعلت على عهد الله و ميثاقه. و يكون الميثاق للنبيين باعتبار تبليغه لأمرهم و توثيقه عليهم و ان كان الله آخذه بوحيه و امره للنبيين بأخذه على قومهم.

ففي التبيان روى عن أبي عبد الله يعنى الصادق (عليه السلام) انه قال (عليه السلام) تقديره و إذا أخذ الله ميثاق امم النبيين بتصديق نبيها و العمل بما جاء به و انهم خالفوهم فيما بعد و ما وفوا به و تركوا كثيرا من شريعته و حرفوا كثيرا منها و كذا في مجمع البيان.

و في تفسير صاحب المنار عن الصادق (عليه السلام) هو على حد قوله تعالى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَالْخَطَابَ لِلنَّبِيِّ و المراد أمته عامه. ثم ذكر عن شيخه محمد عبده نسبه ذلك إلى الصادق. أقول و لم أجد الروايه في العاجل مسنده. نعم في تفسير البرهان عن العياشى عن حبيب السجستاني عن الباقر (عليه السلام) ما يرجع إلى نحو ما ذكر في التبيان روايته.

و في الدر المنثور اخرج ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان اصحاب عبد الله (يعنى ابن مسعود) يقرءون و إذا أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب و نحن نقرأ ميثاق النبيين فقال ابن عباس انما أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم. و

اخرج ابن

ص: ٣٠٣

جرير عن علي امير المؤمنين (عليه السلام) في قوله تعالى قَالَ فَاشْهَدُوا يقول فاشهدوا على أممكم بذلك و أنا معكم من الشاهدين.

و علي هذا يكون الخطاب فيما بعد للأمم «و ثانيهما» أخذ الميثاق من النبيين و يكون الخطاب فيما بعد لهم كما هو مؤدى تفسير القمى و روايته عن الصادق (عليه السلام). و نحوها روايه البرهان عن سعد بن عبد الله عن الصادق «ع» و عن صاحب كتاب الواحد عن الباقر «ع». و روايه ابن جرير عن علي «ع» ايضا. و روايه ابن جرير و ابن المنذر عن ابن عباس ايضا. و عليه يكون الخطاب فيما بعد للنبيين و الترجيح بعد تدافع الروايات و النظر الى سوق الآيه الكريمة انما هو للوجه الأول. و الميثاق هو العهد الموثق. و هو كالنذر و القسم في دخول اللام على جوابه تقول عاهدت الله لئن كان كذا لأفعلن كذا. و نذرت أو لله على أو حلفت أو أقسمت أو والله لئن كان كذا لأفعلن كذا. و اللام الأولى كالثانيه في كونها لتلقى القسم و نحوه بالجواب يؤتى بها مع الشرط تثبيتا لدخول الشرط في حيز القسم و العهد و تقويه لتلقيهما بالجواب لأن الشرط قيد الجواب و من متعلقاته كقوله تعالى في سورة التوبه ٧٦ وَ مِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ. كما جرى ذلك في القرآن الكريم في العهد و القسم الظاهرين و المقدرين و من ذلك أَقْسَمُوا بِاللَّهِ فِي نَحْوِ خَمْسِينَ مَرَّةً. و يشبه دخول هذه الأولى على الشرط لتقويه الربط دخول همزه الاستفهام الافكارى على الشرط مع ان المستنكر عند الكفار بالبعث إنما هو جواب الشرط كما في سورة الاسراء ٥٢ أ إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا وَ نحوه الآيه المائه و غير ذلك. و قد يكتفى باللام الأولى عن الثانيه كقوله تعالى في سورة الحشر ١٢ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَ لَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ فَإِنَّمَا لَامُ الْقِسْمِ وَ مما يدل على ذلك قوله تعالى وَ لَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولِيَنَّ الْأَآذِبَارَ كَمَا يَكْتَفَى بدخول همزه الاستفهام على الشرط مع ان المستنكر هو جوابه كقوله تعالى في سورة مريم ٦٧ وَ يَقُولُ الْإِنْسَانُ أَ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا. و قد يكتفى باللام الثانيه كقوله تعالى في سورة المائدة ٧٧ وَ إِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا هَذَا وَ ان الذى أخذ به الميثاق هو قوله تعالى لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ وَ الصحيح ان اللام الأولى هى التى تدخل على اداه

الشرط لتلقى الميثاق و «ما» شرطيه نحو قوله تعالى فى سورة الأعراف ١٧ لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ أى كلما اتيتكم يا امم النبيين من كتاب يبشر بالنبوه اللاحقه و حكمه تعرفون بها حكمه إرسال الرسول و دلائل صدقه و صرتم بذلك على بصيره من الرساله اللاحقه ثم جاءكم بعد هذا رسول دلت الدلائل على صدقه فى دعواه الرساله من الله و هو مصدق لما معكم من البشرى اى يكون مصداقها الذى تصدق به باعتبار انطباقها التام عليه و وضوح الدلاله على رسالته. او مصدقا لما معكم من معارف الإلهيه و التوحيد و المعاد. و الميثاق فى الآيه هو قوله تعالى لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ أى ذلك الرسول. هذا:

و قيل ان اللام فى «لما» للابتداء و «ما» موصوله لا اداه شرط و هو مبتدأ و خبره لتؤمنن به و يدفعه- أولا- ان الميثاق كالقسم مما يعتنى بربطه بالجواب و تلقيه بروابط القسم فلا- ينقض هذا الغرض بلام الابتداء التى لها الصدر فى الكلام و لا- يجمع بين المتنافرين و هما ربط العهد و تلقيه مع قطعه بلام الابتداء- و ثانيا- ان الإيمان بما أوتوه من كتاب و حكمه يجب من أول ما يجيئهم به نبيهم إذن فلا معنى لترتبه بتم على مجىء رسول آخر. و كذا الكلام فى «لتنصرنه» ان أعيد ضميره على ما أوتوا من كتاب و حكمه- و ثالثا- لا- يصح افراد الضمير فى الخبر إلا- إذا كان المراد بالكتاب و الحكمه شىء واحد و هو بعيد و إلا فاللازم تشبيه الضمير- و رابعا- إذا جعلنا «لتؤمنن» خبرا لقوله تعالى لَمَّا آتَيْتُكُمْ و كذا «لتنصرنه» فما هى اللام فيهما فإنها حينئذ لا تصلح ان تكون رابطه لجواب العهد و الميثاق و لا مزحلقة لأن المزحلقة مختصه بخبر «ان» و- خامسا- لو قيل ان مساق الآيه هو للذى آتيتكم من كتاب و حكمه لتؤمنن به ثم ان جاءكم رسول لتنصرنه فتكون جمله جاءكم و ما بعدها فرد آخر من جنس الميثاق المأخوذ لقلنا- أولا- من أين لنا بالشرط فى «ثم ان جاءكم» و ليس هناك على قولكم شرط معطوف عليه- و ثانيا- ان القرآن الكريم يجبل عن مثل ما تفرضون من الكلام المعقد و المتداخل الأجزاء تداخلا يهون دونه قول الشاعر:

و ما مثله فى الناس إلا مملكا ابو امه حى أبوه يقاربه

فلا مناص عما ذكرناه من التفسير و يكون عموم الخطاب باعتبار من يدرك دعوه الرسول الثاني من الأمم و هكذا. و ان رسول الله محمد خاتم النبيين (صلى الله عليه و آله) هو اظهر افراد الرسل فى هذا الميثاق لتكرار البشرى به فى كتبهم بشرى تشرف على الصراحة فى تعيينه بأقرب ما يفهمه البشر الجاهل بالغيب فى تعيين من يأتى فى المستقبل. و لظهور الدليل على رسالته و كتابه و بقائه فى جميع الأزمان و هو القرآن الكريم و دلائل رساله فيه كما أشرنا اليه فى الفصل الأول من مقدمه. و من نصره (صلى الله عليه و آله) نصر من هو نفسه و وصيه فى أمته و من هو منه بمنزله هارون من موسى و صاحب عهد الغدير و وصيه الثقلين و غير ذلك على عليه السلام، و على هذا الوجه ينزل بعض ما جاء فى ذلك من الروايات قال أى الله جل اسمه للنبيين أقرزتم بذلك بين الأمم فى تبليغكم إياه لهم و أخذتم على أممكم على ذلكم إضري اى عهدى و ميثاقى قالوا أى النبيون أقرزنا بذلك بين امنا و باعتبار ان قولهم هذا جواب للاستفهام التقريرى ينحل إلى قولهم أيضا و أخذنا عليهم على ذلك عهدك و اصرك قال الله للنبيين فاشهدوا على أممكم بهذا الميثاق

سوره آل عمران (٣): الآيات ٨٢ الى ٨٣

فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٨٢) أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٨٣)

وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ٧٨ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ الْأُمَمِ عَنْ هَذَا الْمِيثَاقِ وَ اعْرَضَ عَنْهُ وَ كَفَرَ بِمَنْ يَأْتِي مِنَ الرِّسْلِ وَ خُصُوصَ خَاتَمِهِمُ الْبَيْنَةَ حُجَّجَهُ وَ السَّاطِعَ بَرَهَانَهُ وَ الْعَامَ الْبَاقِيَ مَعِجْزَهُ فَأُولَئِكَ الْمَتَوَلُونَ هُمُ الْفَاسِقُونَ الْخَارِجُونَ عَنْ حِجَابِ الْإِيمَانِ وَ الطَّاعَةِ ٧٩ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ بِتَوَلِيهِمْ عَنْ عَهْدِ اللَّهِ وَ دِينِ الْحَقِّ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ كِتَابِهِ وَ بِمُحَادَثِهِمْ لِلَّهِ بِهَذَا التَّوَلَّى وَ خُرُوجِهِمْ عَنْ طَاعَتِهِ وَ هَذَا الِاسْتِفْهَامُ انْكَارٌ عَلَيْهِمْ وَ تَسْفِيهِ لَهُمْ وَ الْحُجَّةُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَ لَهُ أَسْلَمَ أَيْ وَ الْحَالُ أَنَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ دَخَلَ فِي سَلْمِهِ وَ انْقَادِ إِلَيْهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ طَوْعًا وَ كَرْهًا بِفَتْحِ الْكَافِ قِيلَ أَنَّهُ مِنَ الْكِرَاهِيَةِ أَيْ طَائِعِينَ وَ كَارِهِينَ. وَ قِيلَ مِنَ الْإِكْرَاهِ أَيْ طَائِعِينَ وَ مَكْرِهِينَ. كَظَاهِرِ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّسَاءِ ٢٣ لَا يَجِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرْهًا أَيْ إِكْرَاهًا. وَ الثَّانِي هُوَ الْمُنَاسِبُ فِي الْآيَةِ لِلْمُقَابَلَةِ بِالطَّوْعِ وَ هُوَ مُقْتَضِي الرِّوَايَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي تَفْسِيرِ الْبَرَهَانِ وَ الدَّرِ الْمُنْتَوَرِ عَنْ

الصديق (عليه السلام) والكاظم و ابن عباس و ما ذكر في مجمع البيان انه المروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) و المراد من الكره ما كان في الابتداء فإن غالب الذين اسلموا كرها داموا على الإسلام على طوع و رغبة. و عطف الكره بالواو التي هي للجمع إنما هو باعتبار المجموع و إن اقتص قسم بالطوع و قسم بالكره و الأمر فيه ظاهر. لكن مع تفسير الإسلام بالاعتراف بالإلهية و التوحيد و التدين بدين الحق يكون ذكر من في الأرض انما هو باعتبار البعض و هو من دان بالإسلام فإن الكثير ممن في الأرض في كل زمان لم يسلم. و حينئذ قد يخفى وجه الحجة على الإنكار بقوله تعالى وَ لَهُ أَسْلَمَ فالظاهر ان الإسلام في الآيه بمعنى يعم الانقياد لله في معرفته و دينه و تكوينه و قضائه. و حينئذ لا ينفك عن مصداق ذلك من في السماوات و الأرض بل جميع المخلوقات من وجه او وجوه. و المراد من الإسلام كرها هو ما لا تكون اراده المسلم و رغبته عله كالانقياد للتكوين و القضاء و المعرفة التي تبعث إليها الفطره على حين غفله من ضلال الهوى فإنك ترى الإنسان حتى المادى المعطل إذا أصابته نائبه تنقطع فيها وسائله ان نفسه تفرغ في الخلاص من تلك النائبه إلى من يراه قادرا على دفعها عنه بقدرته القاهره رغما على الأسباب العاديه. و هذا هو الإله القادر، و هو الله جل شأنه. و كالدخول في دين الإسلام بالإكراه في أول الأمر. و يكون الحاصل ان الله الإله الذي انقاد له كل شىء و من ذلك الملائكة و الانس و الجن وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ في يوم القيامة بعد ان لا يبقى إلا هو. هذا الإله هل يصح لهم ان يبتغوا غير دينه. و على هذا يكون ما أشرنا اليه من الروايات الوارده في تفسير الآيه و ارده باعتبار بعض المصاديق من الإسلام

سوره آل عمران (٣): آيه ٨٤

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَ مَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ وَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (٨٤)

٨٠ قُلْ يا رسول الله أنت و من يجب عليه اتباعك لا نبغى غير دين الله بل آمَنَّا بِاللَّهِ الذى لا إله الا هو و بدينه دين الحق كما انزل في كتبه المقدسه على رسله وَ مَا أُنزِلَ عَلَيْنَا ببركه الوحي إليك و بركه رسالتك وَ مَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ هم قبائل بنى إسرائيل المنتسبين الى أولاد يعقوب فيمكن ان يكون المراد بالانزال عليهم باعتبار الانزال على أنبيائهم نحو قوله تعالى فى الآيه أُنزِلَ عَلَيْنَا و ٦٥ بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا و فى سوره البقره ٨٥ بما

أَنْزَلَ عَلَيْنَا» و معنى «على» فى على ابراهيم و على الأسباط واحد و انما الاختلاف بالاعتبار.

و يمكن ان يراد بالأسباط أنبيائهم كموسى و من بعده و ما أوتى موسى و عيسى و النبيون من ربهم من كتاب و حكمه و كرامه و معجزه لا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ فى الايمان و لا تصرفنا الأهواء و العصبية القومية عن الايمان ببعضهم و نحن لهُ أى لله مُسْلِمُونَ فى جميع ذلك

سوره آل عمران (٣): الآيات ٨٥ الى ٨٩

وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥) كَيْفَ يَهْدَى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَ اللَّهُ لَا يَهْدَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٨٩)

٨١ وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ لله دِينًا و من اظهر مصاديقه الانقياد لما جاء به رسول الله خاتم النبيين فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ غير الإسلام و كيف يقبل منه الضلال و هُوَ فى الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٨٢ كَيْفَ يَهْدَى اللَّهُ و يوصل الى الحق بلطفه و توفيقه قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَ شَهِدُوا معطوف على معنى الفعل فى «إيمانهم» أى بعد أن آمنوا و شهدوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَ جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ الواضحات الدلالة على رسالته و حقيقه الايمان فإن هؤلاء قد أخرجوا أنفسهم بتمردهم على الله عن أهليتهم للطفه و إيصالهم الى الهدى بتوفيقه وَ اللَّهُ جَلَّتْ حِكْمَتُهُ لَا يَهْدَى و لا يوصل بتوفيقه الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ المتمردين بظلمهم بل ٨٣ أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ أى طردهم عن رحمته وَ الْمَلَائِكَةِ بالدعاء عليهم باللعنة وَ كَذَا لعنه النَّاسِ أَجْمَعِينَ و فى هذا إذن للناس بلعنهم و طلب لذلك ٨٤ خَالِدِينَ فِيهَا أى فى اللعنة و طرد الله لهم عن رحمته لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ كناية عن انهم لا تنالهم الرحمة أو لا يمهلون يوم القيامة عن العذاب ٨٥ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا فى الدنيا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا اعمالهم أى عملوا الصالحات فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ أى فإن الله يغفر لهم ذنوبهم و يرحمهم بالرضا و الثواب لأنه غفور رحيم و أقيمت العلة فى التفرع مقام المعلول للتأكيد و لبيان ان هذه المغفرة ليست مما يرجى اتفاهه بل

هى لازمه فى رحمه الله و لطفه لأنه غفور رحيم لكل من هو أهل المغفرة و الرحمه.

قيل ان الآيات نزلت فى الحارث بن سويد رجل من الأنصار ارتد و تاب و تاب الله عليه. و فى مجمع البيان و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام).

أقول و لم أجد الروايه مسنده. و الروايات فى الدر المنثور فى هذا المقام متدافعه

سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٠ الى ٩١

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ (٩٠) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَا تَوَا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَ لَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٩١)

٨٦ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَقَالَ جَل شَأْنُهُ فِي سُورَةِ النَّسَاءِ ٢١ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ أَى بِمَقْتَضَى حِكْمَتِهِ وَ لُطْفِهِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَى الصَّلَاحِ وَ قَطْعِ مَادَةِ الْفَسَادِ وَ رَحْمَتِهِ بِعِبَادِهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّوْءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ مِنْ عَمْرِهِمْ لَا فِي آخِرِهِ عِنْدَ الْمَوْتِ الَّذِى كَانَ يَرُونَهُ بَعِيدًا فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا بِأَن تَوْبَتِهِمْ عَنْ اهْتِدَاءِ وَ نَدَمِ حَقِيقِي. لا- لانقطاع آمالهم من الحياه و شهواتها و اهوائها عند معاينه الموت و انكشاف الحقائق «حكيمًا» فى قبول التوبه ٢٢ وَ لَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ وَ عَايَنَ مَا عَايَنَ فَانْقَطَعَتْ عَنْهُ لَذَلِكَ دَوَاعِي الْهَوَى وَ نَزَعَاتِ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ إِلَى الضَّلَالِ «قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَ لَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ» وَقَالَ جَل اسْمُهُ فِي سُورَةِ يُونُسَ فِي شَأْنِ فِرْعَوْنَ ٩٠ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِى آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٩١ «الآن» يَا فِرْعَوْنَ حِينَما انْقَطَعَتْ عَنْكَ آمَالِ الطَّغْيَانِ الَّتِى سَوَّلَتْ لَكَ ادْعَاءَكَ لِلرَّبُّوبِيَّةِ فَعَصَيْتَ وَ أَفْسَدْتَ وَ كَفَرْتَ بِآيَاتِ اللَّهِ «وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ»: وَ الظَّاهِرُ اجْتِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ عَلَى قَبُولِ التَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ قَبْلَ حُضُورِ الْمَوْتِ وَ حِينَما تَكُونُ دَوَاعِي الْهَوَى وَ نَزَعَاتِ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ تَبْعَثُهُ عَلَى الْقَبِيحِ وَ يَصْدَحُهَا عَقْلُهُ وَ تَوْبَتُهُ وَ خَوْفُهُ مِنَ اللَّهِ وَ تَقْوَاهُ. فَتَكُونُ وَارِدَةً فِي تَوْبَةِ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ عِنْدَ مَعَايِنَةِ الْمَوْتِ أَوْ مَا تَوَا وَ هُمْ كُفَّارٌ، وَ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَحَاوِلُونَ التَّوْبَةَ. وَ رُبَّمَا يَرِشِدُ إِلَى ذَلِكَ الْعَدُولُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى لَا تَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ إِلَى قَوْلِهِ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ الَّذِى هُوَ نَصٌّ عَلَى النَّفْسِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ مَعَ انْقِبَاطِ التَّوْبَةِ مُقَارَنًا لَهَا. فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ تَوْبَتَهُمْ الْمُسْتَقْبَلَةَ الْمَتَأَخَّرَةَ عَنْ حَيَاتِهِمْ الْعَادِيَةِ وَ آمَالِهِمْ فِيهَا لَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ مَدَى حَيَاتِهِمْ قَبْلَ مَعَايِنَةِ الْمَوْتِ بَلْ وَ عِنْدَهَا ٨٧ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَا تَوَا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا

دخلت الفاء فى الخبر لخروج المبتدأ باعتبار صلته مخرج الشرط. و ذكر ملاً الأرض ذهباً لأنه غاية ما يعظم فى عين الإنسان نوعاً من المال و البدل و الوسيله للخلاص فلا ينفعه ذلك لو تصدق به و نحو ذلك لأن اعمال الكافر حابطه لا يستحق بها الجزاء ممن كفر به و لو افتدى به و قدمه بعنوان الفداء و هذا غاية ما يدخل فى تصور نوع الإنسان من التهويل و التخويف «و لَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدُّ» أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ عَلَى اللَّهِ. يا ايها المؤمنون

سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٢ الى ٩٣

لَنْ تَسْأَلُوا البرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢) كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلاًَّ لِيَنى إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٩٣)

٨٨ لَنْ تَسْأَلُوا البرَّ و يكون انفاقكم برا يرضاه الله بأن تنفقوا الشىء الزهيد الذى لا ترضونه بل حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ و ترغبون بماليته فإن قصدكم التقرب الى الله إنما يظهر ببذلكم لوجهه الكريم ما لا تستحقرونه و ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ لا يخفى عليه شىء منه و لا- من نياتكم فى إنفاقه و هو مجازيكم عليه و يضاعف لكم الجزاء كما وعدكم بذلك فى القرآن الكريم فلا- تخشوا أن يفوتكم من انفاقكم و إخلاصكم فى النية شىء ٨٩ كُلُّ الطَّعَامِ أى أصول المطعومات كَانَ حِلاًَّ لِيَنى إِسْرَائِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلَ أى يعقوب عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ متعلق بحرّم و قيل بتعلقه بقوله تعالى «حِلًّا» و يدفعه لزوم الفصل باجنبي و هو جملة «إلا ما حرّم» المشعره بتمام ما قبلها فيلزم التعقيد و الإيهام. نعم يفهم من قوله تعالى «كَانَ حِلًّا» انه من قبل أن تحرمه التوراه بتنزيلها أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ على موسى. و للتنبية على تفسير الآيه ثلاث مقدمات- الأولى- قال على بن ابراهيم القمى فى تفسيره هذا الكلام حكاية عن اليهود و لفظه لفظ الخبر. أى انه كلام اليهود و من دعاويهم الكاذبه. و هو فى الآيه فى مقام الاستفهام الانكارى و حذف منه اداه الإنكار لدلاله قوله تعالى فَأَتُوا بِالتَّوْرَةِ. فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ

. كما حذف اداه الاستفهام لدلاله المقام عليها فى قوله تعالى فى سوره البقره ٧٤ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ و قوله تعالى فى سوره الشعراء ٢١ وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بِنى إِسْرَائِيلَ على الصحيح من تفسير ذلك بإنكار موسى على فرعون و لو كان هذا

الكلام اخبارا من الله لما ناسبه تكذيب الله لهم- الثانيه- قيل فى تفسير ذلك ان يعقوب حرم على نفسه العروق و لحم الجمل فقالت اليهود ان لحم الجمل محرم فى التوراه اى انها تذكر ان إسرائيل حرمه على نفسه- الثالثه- ان تحريف التوراه الحقيقيه كان قبل رسول الله بقرون متطاوله منذ انقطع أثرها بارتدادات بنى إسرائيل و تتابع البلايا عليهم فادعى وجودها «حلقيا» الكاهن فى زمان «يوشيا» الملك و ذكروا تجديد كتابتها من عزرا بعد سبى بابل. كما أشرنا الى ذلك فى المقدمه الخامسه من كتاب الهدى (١) فراجعه. كما ذكرنا بعض الشهادات بتحريفها من كتابى «اشعيا» و «ارميا» و هما من كتب وحيهم (١) فالتوراه فى عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) هى نفس التوراه الموجوده فى عصورنا فإنها كانت إذ ذاك منتشره بين الاسرائيليين و السامريين و النصرارى فى الشرق و الغرب و الحبشه و غيرهم بلغات متعدده و منها اليونانيه السبعينيه و الحبشيه و لا يوجد بينها إلا اختلاف طفيف فالتوراه الرائجه فى عصورنا هى المحرفه التى جادلهم القرآن بها و قال فَأَتُوا بِالتَّوراهِ فَأَتْلُوهَا إِذْنِ فمعنى الآيه ان بعض اهل الكتاب قالوا كل أصول المطعومات كانت جلا لبنى إسرائيل قبل أن تحرم التوراه ما حرّمته منها ثم استثنوا من ذلك ما زعموا ان إسرائيل حرّمه على نفسه من قبل أن تنزل التوراه فنزلت التوراه بتحريمه. و هذا كله كذب و افتراء حتى ان توراتهم تكذبهم فيه و تذكر ان المحرمات من الحيوانات البريه و المائيه و الطيور إنما هى رجس فانها نهتهم عن أن يأكلوا كل رجس كما فى العدد الثالث من الفصل الرابع عشر من سفر التثنيه ثم نصّت فى الفصل المذكور على المحرمات كما نصت عليها فى الفصل الحادى عشر من سفر اللاويين. إذن فكيف يكون الرجس حلالا شرعيا قبل التوراه و ايضا لم تذكر التوراه ان إسرائيل حرم على نفسه شيئا. بل إنما نذكر ان إسرائيل ضرب على حق فخذة على عرق النساء لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النساء الى هذا اليوم. فتوراتهم تقول ان ذلك تشريع منهم لا من إسرائيل كما فى الفصل الثانى و الثلاثين من سفر التكوين. يا رسول الله ان هؤلاء لا- ينتهون عن الكذب إذن فجادلهم بتوراتهم و قلّ لهم فى اظهار كذبهم فَأَتُوا بِالتَّوراهِ فَأَتْلُوهَا فى هذه الموارد إن كُنتُمْ صَادِقِينَ فَإِنَّهُ

ص: ٣١١

قيل ان اليهود يقولون بامتناع النسخ فكيف يدعون الحل الشرعى قبل التوراه «قلنا» المعروف ان اليهود يزعمون ان الشرع فى التوراه منع من نسخ احكامها لأنها أبدية و هذا لا ينافى ادعاءهم هذا فيما قبل. و قد ذكرنا زعمهم و بطلانه فى الجزء الأول من كتاب الهدى صفحه ٢٨٨-٢٩١ و لو كان اليهود كبعض النصارى يزعمون امتناع النسخ عقلا و انه لا شريعته قبل التوراه لكانت دعواهم هذه باعتبار الحل العادى و عدم الحرمة الشرعية. و قد ذكرنا هذا الزعم و بطلانه فى الجزء الأول من كتاب الهدى صفحه ٢٣٥-٢٣٩ و ٢٤١-٢٤٣ و قيل فى تفسير هذه الآيه وجوها آخر مرجعها الى أن الآيه اخبار من الله بأن المطعومات كانت حلالا- لبنى إسرائيل و ذكروا لذلك وجوها «منها» ما فى الكشاف من ان الآيه رد عليهم فى دعواهم ان كل الذى حرم عليهم قد كان محرما على نوح و ابراهيم ليتخلصوا بهذه الدعوه الكاذبه مما ذكره القرآن انه بظلم من الذين هادوا حرمت عليهم طيبات أحلت لهم. كما فى سورة النساء ١٥٨ و بيغيهم كما فى سورة الأنعام ١٤٧: و يرد على هذا الوجه انه ليس فى الآيه ما يشير اليه. و ليس فى التوراه ما يدل على ان الذى حرم عليهم كان حلالا قبل ذلك و من الطيبات بل العدد الثالث من الفصل الرابع عشر من سفر التثنيه يبين ان المحرمات عليهم رجس فيه لا تأكلوا كل رجس ثم شرع فى ذكر المحرمات التى ذكرت فى الفصل الحادى عشر من سفر اللاويين.

و اما الإليه و الشحم و زياده الكبد و الكليتين فقد ذكرت التوراه انها توقد على المذبح طعام وقود للرب و ان كل الشحم للرب. و فى كل مساكنهم لا يأكلون شيئا من الشحم و الدم كما فى الثالث من سفر اللاويين فليس فى توراتهم ما يكذبهم فيما ذكر لهم من الدعوى و لا- ما يدل على انهم حرمت عليهم بظلمهم طيبات أحلت لهم «و منها» ما فى تفسير الرازى و غيره ان اليهود ينكرون وقوع النسخ فى الشريعته و يزعمون ان الذى هو الآن حرام كان حراما ابدا و ان الذى حرمه إسرائيل كان حراما من لدن زمان آدم (عليه السلام) فطلب رسول الله (صلى الله عليه و آله) ان يحضروا التوراه لأنها ناطقه بأن بعض انواع الطعام انما حرم بسبب ان إسرائيل حرمه على نفسه انتهى ملخصا:

و يرد على هذا الوجه أيضا انه ليس فى الآيه ما يشير إلى ورودها فى مسأله النسخ و لا يلتفت من مخالفتها إلى النسخ أصلا فتزيلها على ذلك يلحق بالمعميات مع انه ليس فى التوراه ان الذى حرم عليهم كان حلالا أو ان ما حرمه إسرائيل على نفسه هو محرم عليهم كما ذكرنا فلا يظهر كذبهم فى زعمهم من التوراه. فالوجهان مشتركان فى انه ليس لما ذكر فيهما عن

بنى إسرائيل قول او كلام صريح او مدلول عليه بإحدى الدلالات لكى يمتحنوا فيه بالإتيان بالتوراه و تلاوتها ليظهر كذبهم فيه او صدقهم

سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٤ الى ٩٦

فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٩٥) إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بَنَىكَ مَبَارَكًا وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦)

٩٠ فَمَنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٩١ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ٩٢ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ

شعارا لدين الحق و مشعرا لعباده الله و توحيدة هو الكعبه. كما يحتج لذلك من بعد الطوفان بالتاريخ المتسلسل بين الأجيال و ان بيت المقدس مما هو معروف التأخر.

و فى الدر المنثور اخرج ابن المنذر و ابن أبى حاتم من طريق الشعبى عن على (عليه السلام) قال كانت البيوت قبله و لكنه أول بيت وضع لعباده الله. و فى المستدرک للحاكم بسنده عن خالد بن عرعره عن على (عليه السلام) نحو هذا المضمون. و روى ابن شهر آشوب ايضا نحوه.

و اخرج ابن أبى شيبه و احمد و عبد بن حميد و البخارى و مسلم و ابن جرير و البيهقى عن أبى ذرّ قلت يا رسول الله أى مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قلت ثم أى قال (صلى الله عليه و آله) المسجد الأقصى.

و روى فى الكافى مسندا عن الباقر و عن الصادق عليهما السلام ان الأرض دحيت من تحت موضع البيت و نحوه عن العياشى عن محمد بن مسلم عن الباقر (عليه السلام).

و فى الدر المنثور اخرج البيهقى فى الشعب عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) أول بقعه وضعت فى الأرض موضع البيت. و اخرج ابن جرير و ابن المنذر و البيهقى فى الشعب و اخرج ابن المنذر عن أبى هريره و ذكر نحوه

لِلَّذِي بَنَىكَ

فى البرهان عن ابن بابويه فى العلل فى الصحيح عن الصادق (عليه السلام) قال موضع البيت «بكه» و القرية مکه. و نحوه عن العياشى عن الصادق (عليه السلام)

و لعل موضع البيت يشمل المسجد.

و عن العياشى عن الباقر (عليه السلام) بكه موضع البيت و مکه الحرم.

و فى الدر المنثور ذكر جماعه أخرجوا عن أبى مالک الغفارى بكه موضع البيت و مکه ما سوى ذلك. و عن ابن عباس مکه من

الفج الى التنعيم و بكه من البيت الى البطحاء. و

«بكه» مأخوذه من البك و هو الزحم و المدافعه.

و روى ان هذا وجه تسميتها كما فى الكافى عن الصادق (عليه السلام) و عن علل الصدوق بأسانيد صحيحه عن الباقر (عليه

السلام) و الصادق (عليه السلام) نحوه

مُبَارَكاً حال. و مظاهر البركه فى البيت من الوجهه

ص: ٣١٣

الدينيوه و الوجهه الدينيه اظهر من أن تخفى او تجحد. فإنه فى ارض ليس فيها ماده ثروه و لا تجاره و لا زراعه و لا صناعه و ترى مجاوريه فيها يبلغون عشرات الألوف و هم منذ القرون المتطاوله فى الجاهليه و الإسلام فى سعه من العيش و تمتع فى النعم و العز و الأمن فيما بين العرب الوحشيين الأشداء العتاه و يفد إليها الألوف العديده من الحجيج فلا يضيق عليهم العيش. و يذبح فى الموسم من كل سنه من أغنام ضواحيها ما يزيد على مائه الف فلا يظهر فيها النقص. و اما من الوجهه الدينيه فإنه المبارك وَ هُدًى لِّلْعَالَمِينَ هدى حال بمعنى هاد و لمزيد هداه قيل هدى كما يقال زيد عدل. و من برکه هداه ان العرب التفت بإسماعيل و تلقت منه دين ابراهيم و شريعته الختان و عباده الله بالحج و الطواف و ان مازج ذلك فيما بعد شىء من ضلال الوثنيه بل بقى فى حرمة شىء من الحقوق الاجتماعيه و المدينه مده الجاهليه على رغم ما فى محيطه من وحشيه الاعراب و ضلالهم. و كفى ببرکه هداه ان صارت مکه مولدا و مظهرًا لخاتم الأنبياء و صفوه الرسل و مهبطًا للوحى و مبدءًا للدعوه الصالحه الى دين الحق دين الفطره و الشريعته المقدسه و نظام الاجتماع و الصلاح و مشرقًا لأنوار القرآن الكريم

سوره آل عمران (٣): آيه ٩٧

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (٩٧)

فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ بدلالاتها الجليه على منزلته الساميه فى الشرف و كرامته عند الله مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ و هو و ما يذكر بعده بدل تفصيلي من الآيات المذكوره. فإن مقام ابراهيم من آيات البيت الباهره الخالده و هو الصخره التى قام عليها ابراهيم الخليل فأثرت فيها قدماء الشريفتان تأثيرا بينا كما تؤثر فى الطين الرطب و هذه الصخره و ذلك الأثر محفوظان الى الآن على رغم القرون المتطاوله و تتابع الحوادث و تقلب الأحوال و فى ذلك ايضا آيه كبيره. و قد تقدم شىء من الكلام على المقام فى الآيه التاسعه عشر بعد المائه من سوره البقره (١) وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا أى من دخل بلده

ص: ٣١٤

١- هذا و لصاحب المنار فى الجزء الرابع من تفسيره صفحه ١٣ كلام لم يسمح فيه بأن يكون الأثر فى الصخره أثر لقدمى ابراهيم فى الصخر على خلاف العاده بل نسب ذلك الى اعتقاد العرب و شعر أبى طالب فى لاميته المعروفه و موطأ ابراهيم فى الصخر و طئه على قدميه حافيا غير ناعل و المعروف سماعا و وجاده هو «وطئه» بالواو كما فى النسخ المعتمده و منها المكتوبه على نسخه كتبها عفيف بن أسعد فى المحرم سنه ثمانين و ثلاثمائه من نسخه كتبها الشيخ ابو الفتح عثمان بن جنى -

و حرمة المعروف. و الجملة من اقسام البدل التفصيلي من الآيات معطوفه على مقام ابراهيم أى و أمن من دخل فيه. و لعل «من» جىء بها لتغليب من يعقل على ما لا- يعقل. و فى الأمن آيات ظاهره. فإن العرب على فوضويتهم و وحشيتهم و تهوؤهم فى العدوان و النخوة الجاهلية و غلظتهم فى ذلك بحيث لا يمنعهم من ذلك و لا يردعهم شريعته و لا وازع روحى و لا سيطره و لا استقامه أخلاق قد كانوا خاضعين لاحترام من دخل الحرم منقادهم نفوسهم لذلك فى القرون العديده فى تلاطم أمواج الجاهليه. فضلا عن الإسلام. و ليس ذلك من طبع التربه و الهواء و لا- بنحو الجبر السالب للاختيار. بل لأن العنايه الإلهيه ألهمت الناس إكراما للبيت الحرام أن يحترموا الحرم و من فيه. نعم وقع التمرد من جيش يزيد و الحجاج و لعل الحكمة فى ذلك ان يعرف الناس ان هذا الاحترام ليس من قسر الطبعه و الإلجاء و إنما هو توفيق من الله شمل المشركين و لم يشمل من تمرد على الله و حاده و عاداه. و فى الصحيح او الحسن كالصحيح

عن الحلبي عن الصادق (عليه السلام) قال سألته عن قول الله و من دخله كان آمنا قال (عليه السلام) إذا أحدث العبد جنايه فى غير الحرم ثم فر الى الحرم لم ينبغ لأحد أن يأخذه من الحرم و لكن يمنع من السوق و لا يبايع و لا يطعم و لا يسقى و لا يكلم فإذا فعل ذلك يوشك أن يخرج فيأخذ و إذا جنى فى الحرم جنايه أقيم

-

- و عارضه بها و قرأها عليه كما هو مكتوب فيها بروايه أبى هفان المهزومى للقصيده عن عمه خالد بن حرب عن عبد الله بن العباس بن الحسين بن عبيد الله بن العباس بن امير المؤمنين عليه السلام و بدّل «وطئه» بقوله «رطبه» ليستتج من ذلك ان الصخره كانت عند ما وطأ عليها طينه رطبه لم تتحجر ثم تحجرت. مع ان الشعر المذكور لو كان على ما ذكره لما دلّ على انها كانت رطبه لم تتحجر بل الظاهر منه انه وطأ الصخره حال كونها رطبه عند الوطء و هى صخره إذ صارت كذلك كرامه لإبراهيم و تخليدا لذكره بالمعجز كما ينحوه ابو طالب فى شعره. فإن «رطبه» بمقتضى تبديله لو صحت و صح التأنيث فيها إنما هى حال من الصخر و وصف له لا حال من طين قبل استحجاره المحتاج إلى ألوف من السنين. و يا للعجب كيف لم يلتفت إلى ان الحال من «الصخر» لا يصح تأنيثه و الطنطاوى مع وضعه المشاهد فى تفسيره لم يزد هاهنا على قوله «أى الحجر الذى كان يقوم عليه عند بناء البيت» فلما ذا لم يبين محل «مقام ابراهيم» فى الآيه من الاعراب و بأى وجه صار بدلا مبينا لقوله تعالى «فيه آيات بينات» أ فلم يسمع من التاريخ و الحديث و شعر أبى طالب المشهور بآيه الأثر لقدمى ابراهيم فى الصخره التى هى مقام ابراهيم. أم صرنا كتاركه بيضها بالعرء و ملحفه بيض أخرى جناحا

عليه الحد لأنه لم يرع للحرم حرمة: ونحوها معتبره حفص. ورواه علي بن أبي حمزة عنه (عليه السلام) في السارق والجاني و نحوها صحيحه معاوية بن عمار عنه (عليه السلام) في القاتل. وفيها ولا يأوى: وفي الدر المنثور ان جماعه اخرجوا من طرق سعيد و طاوس و مجاهد و عكرمه و عطا عن ابن عباس في الآيه مثل ذلك.

ولا- ينافى ذلك ما روى من طرق الفريقين من انه آمن من سحق اللّه. أو في الآخرة. أو من النار. فإن ذلك يكون بيانا لبعض المصاديق المندرجه في عموم الأمن.

و بمقتضى الروايات المتقدمه قال علماء الإماميه من دون خلاف يعرف. و ابو حنيفه و صاحبا و زفر و اللؤلؤى وافقوا الإماميه في قصاص النفس و احتجوا بالآيه و يرد عليهم ان الأمن فيها مطلق فإذا قدم على دليل القصاص قدم على سائر أدله القصاص و الحدود لذلك الوجه حتى لو حملنا الخبر في الآيه على الأمر مع ان الآيه لا تحمل على ذلك و لا يتوقف عليه. بل الآيه تدل على جعل الأمن بنحو وضعى عام. و جعله من اللّه من حيث الشريعة هو اظهر الافراد و أولاها فإن الذهن لا يدعن بأن اللّه تبارك اسمه يمجد البيت بأن من آياته ان الناس يحترمونه بإلهام و توفيق منه و هو جل شأنه لا يشرع احترامه في حقوقهم و حقوقه نعم ان الجاني في الحرم قد هتك حرمة فيؤخذ بجنايته في ذلك لقوله تعالى في سوره البقره ١٨٧ وَ لَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ١٩٠ وَ الْحُرْمَاتُ قِصَاصٌ .. و ايضا ان طعام العرب نوعا مما يصطادونه من احناش الأرض و حيواناتها و لهم في الصيد ولع و عاده و مع ذلك يحرمون صيد الحرم و مكه. و من المستفيض نقله ان الحيوانات لا يقتل بعضها بعضها فيه. و لا تصطاد الكلاب و السباع فيه: و من آيات البيت ما استفاض نقله من ان الطير لا يعلو عليه في طيرانه بل يحيد عنه يمينا او شمالا وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيْلًا قَوْلَهُ تَعَالٰى «وَ لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ» الْآيَهُ جملته مستأنفه فلا يندرج في جملته الآيات البيئات للبيت. و الحج بالكسر و عن سيبويه انه مصدر و قيل اسم مصدر و معناه في اللغه القصد بالسفر و غلب على القصد بالسفر الى مكه لنسك الحج المعروف او نقل الى نفس المناسك المخصوصه. و من استطاع بدل من الناس.

و التقييد هنا بالاستطاعه يعرف منه انها غير الاستطاعه العقلية التي هي شرط في كل تكليف.

إذن فهي الاستطاعه العرفيه. و ذكر

في الدر المنثور عن جماعه كثيرين منهم الشافعى و الترمذى

و ابن ماجه و الحاكم قد اخرجوا بأسانيد متعدده عن علي (عليه السلام) و ابن مسعود و جابر و عائشه و أنس و ابن عمر و عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي (صلى الله عليه و آله) سئل عن السبيل في الآيه فقال الزاد و الراحله. و مثله عن عمر و ابن عباس.

و في روايه عن ابن عباس ان يصح بدن العبد و يكون له ثمن زاد و راحله من غير ان يجحف به و قد خالف في ذلك مالك فيمن يقدر على المشى و يمكنه الاكتساب في مسيره و لو بالسؤال. و المروى من طرق الإماميه عن الباقر و الصادق و الرضا عليهم السلام كما أحصاه في الوسائل في تفسير الاستطاعه في الآيه بحسب السؤال و ما يقتضيه المقام من البيان. بأن يكون له ما يحج به و من عرض عليه فاستحى فهو ممن يستطيع و بأن من كان صحيحا في بدنه مخلى في سربه له زاد و راحله فهو ممن يستطيع. و بالزاد و الراحله مع الصحه و بالصحه في بدنه و القدره في ماله. و بالقوه في البدن و اليسار في المال. هذا و الظاهر عدم الخلاف عندنا في ان من الاستطاعه أن يكون له ما يمون به عياله في طعامهم و كسوتهم و إسكانهم و ما يحتاجون اليه في معيشتهم الى رجوعه. و في التبيان و هو «أى السبيل» عندنا وجود الزاد و الراحله و نفقه من تلزمه نفقته و الرجوع الى كفايه عند العود اما من مال او ضياع او عقار أو حرفه مع الصحه و السلامه انتهى و الظاهر دخول ذلك في الاستطاعه العرفيه. و

روى المفيد في المقنع عن أبي الربيع الشامي عن الصادق (عليه السلام) في الآيه فقال ما يقول الناس فقيل الزاد و الراحله فقال سئل ابو جعفر (عليه السلام) عن هذا فقال هللك الناس إذن لئن كان من له زاد و راحله لا يملك غيرهما او مقدار ذلك مما يقوت به عياله و يستغنى به عن الناس فقد وجب عليه أن يحج بذلك ثم يرجع فيسأل الناس بكفه لقد هللك إذن فقيل له فما السبيل عندك قال (عليه السلام) السعه في المال و هو ان يكون معه ما يحج ببعضه و يبقى بعض يقوت به نفسه و عياله. و رواه في الكافي و التهذيب و الفقيه و العلل بنحو من ذلك

و الروايه معتبره في نفسها خصوصا إذا كان ابن محبوب من اصحاب الإجماع و معتضده بعمل الشيخين و جماعه من القدماء بها.

و روى الصدوق في الخصال بإسناد عن الأعمش عن الصادق (عليه السلام) قال: و حج البيت واجب على من استطاع اليه سبيلا و هو الزاد و الراحله مع صحه البدن و ان يكون للإنسان ما يخلفه على عياله و ما يرجع اليه بعد حجه:

فما ذكر في التبيان هو الأقوى و الظاهر من الاستطاعه. و تمام الكلام في الحج موكول الى كتب الفقه كما أو كل القرآن امره الى السنه وَ مَنْ كَفَرَ لَا يَخْفَىٰ اَنْ مَفَادِ الْآيَةِ هُوَ

التوبيخ لمن يترك الحج مع استطاعته و المسلمون من الموبخين بل هم اظهر الافراد فى هذا التوبيخ فيكون الكفر كناية عن شدة العصيان بترك الحج و تغليظا على تاركه فى تضييعهم لهذه الفريضة العظيمة الأثر فى الدين و الإسلام و ان المسلم المضيع للحج ليس بكافر حقيقه و لا تجرى عليه احكام الكافر حتى بعد موته بل تجرى عليه احكام المسلم بإجماع المسلمين. و

فى التهذيب فى الصحيح عن معاوية بن عمار عن الصادق (عليه السلام) فى حديث و من كفر يعنى من ترك.

و فى الفقيه عن الصادق عن آبائه عليهم السلام فى وصيه النبى (صلى الله عليه و آله) لعلى (عليه السلام) كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشره و عدّ تسعه من اصحاب الكبائر كالنمام و الزانى و العاشر من وجد سعه فمات و لم يحج.

و روى ذريح المحاربى فى الصحيح كما فى الكافى و المقنعه و التهذيب و المحاسن و الفقيه و عقاب الأعمال و المعتبر عن الصادق (عليه السلام) ان من استطاع و لم يحج حتى مات فليمت يهوديا او نصرانيا. و فى روايه الشيخ إن شاء يهوديا و إن شاء نصرانيا.

و مثلها روايه الدر المنثور مما أخرجه سعيد بن منصور و احمد فى كتاب الإيمان و ابو يعلى و البيهقى عن أبى امامه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله). و مما أخرجه الترمذى و ابن جرير و ابن أبى حاتم و البيهقى فى الشعب و ابن مردويه عن على امير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و آله). و مما أخرجه سعيد بن منصور و ابن أبى شيبه من قول عمر بن الخطاب. و ان عبارته

الروايه «فليمت إن شاء يهوديا و إن شاء نصرانيا»

لتدل بسوقها على انها للتغليظ فى سوء العاقبه و خسران التارك إذ فاته ما للحج من الفضل و اللطف على العباد بتعريضهم لثواب هذه الطاعه و اقامه هذه الشعائر الدينيه التى يعود نفعها الى الناس لفقرهم و حاجتهم الى ذلك و من عصى و ترك عاد الضرر و الخسران عليه فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ بأجمعهم لا تزيد فى ملكه طاعه المطيعين و لا تنقص منه معصيه العاصين

سوره آل عمران (٣): الآيات ٩٨ الى ٩٩

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ (٩٨) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبَعُونَهَا عَوَجًا وَ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (٩٩)

٩٤ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ من جملتها ما جاء به رسول الله و قرآنه المجيد و ما فى البيت الحرام من الآيات البينات وَ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ لا يغيب عنه شىء و لا تخفى عليه خافيه ٩٥ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ روى الواحدى فى اسباب النزول

و السيوطى فى الدر المنثور عن زيد بن اسلم ان الآيه نزلت فى شاس بن قيس اليهودى لما أمر يهوديا أن يجلس مع الأوس و الخزرج و يهيج الأضغان فيما بينهم و يذكرهم الحروب التى دارت فنما بينهم من يوم بغاث و ما قبله: و يدفع ذلك مع و هن السند ان ذلك ليس صدا عن سبيل الله و إنما يناسبه التويخ على القاح الفتنة و تهيج الشر بين الناس. فالآيه الكريمة على رسلها فى تويخ اهل الكتاب على دأبهم فى التصدى لإضلال الناس و صدهم عن الإسلام بأنواع الوسائل.

و السبيل كالطريق يذكر و يؤنث و الأكثر فى القرآن تذكيره. و جاء مؤنثا فى سورة يوسف ١٠٨ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي و فى هذه الآيه تَبَعُونَهَا أى السبيل قال فى التبيان و معناه تطلبون لها عوجا. و نحوه فى الكشاف. و حكاة الرازى فى تفسيره عن ابن الأنبارى و انه مثل وهبتك درهما أى وهبت لك. و صدتك ظيما أى صدت لك و أنشد:

فتولى غلامهم ثم نادى أظليما اصيدكم أم حمارا

و فى النهايه فى الحديث ابغنى أحجارا استطيب بها يقال ابغنى كذا بهمزه الوصل أى اطلب لى و ابغونى حديده استطيب بها. و فى لسان العرب قال واقد بن الغطريف كما فى ديوان الحماسه و غيره:

لئن لبن المعزى بماء مويسل بغانى داء إننى لسقيم

و قال الأعشى:

حتى إذا ذرّ قرن الشمس صبّحها ذوال نبغان يبغى قومه المتعا

أى يبغى لصحبه الزاد. و فى الصحاح «ليبغيه خيرا و ليس بفاعل» أى ليبغى له عوجاً مفعول لتبغونها و مثله فى سور الأعراف ٤٣ و ٨٤ و هود ٢٢ و ابراهيم ٣ و فى مجمع البيان فى سورة الأعراف و يجوز ان يكون منصوبا على المصدر نحو رجع القهقري و اشتمل الصمّاء و يدفعه ان العوج ليس من معنى يبغون و لا يدانيه فلا يكون مثل هذين المثالين. و المصدر لا ينصب على المصدريه إلا- بعامل من لفظه او معناه. و ذكر الرازى وجهها آخر و هو ان يكون عوجا فى موضع الحال و المعنى تبغونها ضالين يعنى حال كونكم معوجين. و يدفعه ان لا- قرينه و لا- حاجه الى تأويل عوجا بمعوجين مضافا الى ان الآيه معناها الإنكار على اضلالهم لاضلالهم و قد

فسرها بأنهم كانوا يحتالون لإلقاء الشبه بأنواع الحيل فلا موقع للتفسير بكونهم يطلبون سبيل الله حال كونهم ضالين والآية تقول
يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَاَنْظُرْ فِيهَا إِلَى آخِرِهَا وَتَدْرِبْهَا:

و في النهايه العوج بالكسر فيما ليس بمرئى كالرأى و القول. و في المصباح العوج بالكسر فى المعانى و استشهد بكلام أبى زيد.
و فى مجمع البيان فى سورة الأعراف ٨٤ العوج بالكسر فى الدين و كل ما لا يرى. أقول و كأن القائل بذلك لم يقرء قوله تعالى
فى سورة طه ١٠٥ وَ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ١٠٦ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَ لَا أَمْتًا و المعنى
تطلبون يا أهل الكتاب بصدكم عن سبيل الله بتزويركم و مخادعتكم و تحريفكم و كتمانكم لما فى كتبكم أن تجعلوا سبيل الله
عوجاء تطلبون لها العوج و هى الصراط المستقيم بينه الحجج نيره الأعلام و اوضحه الدلالة ساطعه البرهان وَ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ عَلَى
بشرى كتبكم برسول الله و قرآنه و دينه. أو أنتم شاهدون لدلاله المعجز و الآيات البينات على رسول الله و وحى قرآنه و حقيقه
دينه القيم وَ مَا لِلَّهِ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ من الصد عن سبيل الله و محاوله الإضلال و الله لا يفوته شىء و هو شديد الانتقام

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٠ الى ١٠١

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعِيدَ إِيْمَانِكُمْ كَافِرِينَ (١٠٠) وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَى
عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ مَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٠١)

٩٦ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِاعتبار إيتاء الكتاب الحقيقى لأسلافهم قبل تحريفه. و الفريق هم
المتصدون للإضلال و الإغواء و الصد عن سبيل الله و تنقادوا لضلالهم بالاتباع الأعمى يَرُدُّوكُمْ بِاغوائهم و اضلالهم بَعْدَ
إِيْمَانِكُمْ كَافِرِينَ ٩٧ وَ كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ قد غمرتكم الألفاف و وضحت لكم الحجج وَ أَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَ فيها الهدى
و الرشاد وَ فِيكُمْ رَسُولُهُ وَ هو نور الهدى و الصلاح و منار الحجه و إمام الإصلاح. و باب الله و وسيلته لخلقه وَ مَنْ يَعْتَصِم بِاللَّهِ
العصمه هو المنع و الحفظ مما يحذر. و العاصم هو الحافظ المانع بتسييه أو فعله. و المعتصم هو الملتجى الى العاصم و اللانذ به
ليمنعه و يحفظه مما لاذ و التجأ حذرا منه. و تختلف وجوه الحذر و محققاته باعتبار شأن المعتصم به و وجهه الحذر. فالاعتصام
بالله فى هذا المقام هو التجاء العبد

و انقطاعه اليه ليمنعه و يحفظه بهداه و توفيقه من محاذير الضلال و اتباع الهوى و النفس الأماره و موبقات المعاصى و الأخلاق الذميمة، و مهالك غضب الله، و حرمان لطفه و توفيقه و رضاه و المحقق لهذا الاعتصام بعد مخالفة الهوى و النفس الأماره هو اتباع دلالة العقل و الفطره و ما جاءت به رسل الله فى معرفته مع النظر فى آياته و اتباع مدلولها و الإيمان برسله و كتبه. و فى حال الخطاب هو الإيمان بخاتم النبيين و قرآنه و اتباعهما فيما جاء به و بلغه رسول الله حق الاتباع و من جرى على هذا الاعتصام فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ و ان هذا الاعتصام لصراط مستقيم يؤهل العبد الى توفيق الله له لسلوك الصراط المستقيم

سوره آل عمران (٣): آيه ١٠٢

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)

٩٨ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ أَي اتقوا غضبه و ما يخاف منه بطاعتكم له حَقَّ تُقَاتِهِ جاء فى سوره البقره ١١٥ يَتْلُوهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ. و الأنعام ٩١ و الحج ٧٣ و الزمر ٦٧ ما قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ. و الحج ٧٧ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ. و الحديد ٢٧ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا. فالمعنى ما يحق و يليق بجلاله من تقاته و يكون نصب «حق» على النيايه عن المفعول المطلق المضاف اليه لأنه من صفاته. و

فى تفسير البرهان عن معانى الاخبار و محاسن البرقى فى الصحيح عن الصادق (عليه السلام) يطاع فلا يعصى، و يذكر فلا ينسى، و يشكر فلا يكفر، و نحوه عن ابن شهر آشوب عن تفسير و كيع عن على (عليه السلام)

و فى الدر المنثور ذكر جماعه أخرجه منهم الحاكم و صححه عن ابن مسعود. و أخرجه الحاكم ايضا و صححه عن ابن مسعود قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) ان يطاع فلا يعصى و يذكر فلا ينسى،

و من المعلوم ان الله لا- يكلف العبد فى مفردات التكليف بما لا يقدر عليه و لا يجمع عليه منها ما هو فوق ما يقدر عليه و لا يستطيع الإتيان بجميعة. إذن فحق تقاه العبد لله أن يتقيه فى جميع ما لزمه به أو كما ذكرت الروايات المتقدمه. و ان التكليف الذى هو لطف بالعباد لتكميلهم لا يتنازل عن هذا المقدار و الإلزام لا يتساهل فيه. نعم قد يقتضى اللطف و التيسير أو عدم القدره و الاستطاعه من أول الأمر أن لا يكلف ببعض الأفعال او التروك و إن كانت من سنخ الواجبات. و عليه لا يكون الارتكاب لها مما ينبغى أن يتقى الله و يخاف من أجله.

و عن قتاده و السدى و الربيع ان قوله تعالى اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ منسوخ بقوله تعالى فى سوره التغابن ١٦ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ كما ذكر روايته فى الدر المنثور عن قتاده و الربيع. و ذكر

ايضا من اخرج روايه ذلك عن ابن عباس و ابن مسعود. كما ذكر من اخرج عن ابن عباس انها لم تنسخ. و فى التبيان فى النسخ قوله و هو المروى عنهما. و فى مجمع البيان و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و عن أبى عبد الله (عليه السلام). أقول و لم أجد الروايه عن الباقر (عليه السلام) نعم

عن العياشى عن أبى بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام) انها منسوخه بقوله تعالى فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ.

و العياشى لم يذكر الواسطه بينه و بين أبى بصير. و المعروف عن العياشى انه يعتمد على الضعفاء و على كل حال لا بد من طرح الروايه او تأويل النسخ فيها بنزول المفسر الذى يرفع ما يتوهمه البعض بالنظر السطحى من ان حق التقاه المكلف به ما فوق الاستطاعه. و العجب من الشيخ حيث أشار فى تبيانه الى الروايه فى مقام سنخ و هو العارف بحقيقه النسخ و اشتراط القدره و الاستطاعه فى التكليف و تنزيل الاستطاعه فى آيه التغابن على الاستطاعه العرفيه مع انه مخالف لسوق الآيه يوجب التهاون بأمر التقوى وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ يمكن أن يراد بالإسلام هنا حقّ التقاه و هو الدخول فى سلم الله بالطاعه و عدم المحاده له بالمعصيه دائما. و هو أمر يمكن أن لا يتصف به المؤمن بالله و الرسول و يوم القيامه فالمراد من الآيه دوام الاتصاف بهذه الصفه الكريمه حتى الموت و ان لا يموتوا إلا و هذه صفتهم الدائمه و سجيّتهم المستمره و من ذلك طاعه الرسول و من أمر الرسول بطاعته و موالاته و التمسك به كما اشارت اليه روايه البرهان عن العياشى عن الحسين ابن خالد عن الكاظم (عليه السلام). و يمكن أن يكون المراد من الإسلام ما يخالف الكفر و يساوق الإيمان فى المعنى فيكون المراد هو الاتصاف بهذه الصفه حتى الموت. و الأول اظهر بحسب السوق و الأمر بالتقوى حق التقاه. و الثانى أنسب بالمعنى المتداول للإسلام و يمكن توجيه التناسب فيه بكون المعنى لازموا التقوى حق التقاه ليندحر عنكم الشيطان و لا تعصوا الله فيطمع فيكم الشيطان و يصرفكم عن الإيمان و لو عند الموت. و فى هذا التخريج نوع تكلف

سوره آل عمران (٣): آيه ١٠٣

وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا وَ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)

٩٩ وَ اعْتَصِمُوا مِنَ السَّقُوطِ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً أى حال كونكم مجتمعين على الاعتصام بحبل الله و ما جعله الله سببا عاصما من سقوط الضلال و وباله. و قد دلنا رسول الله (صلى الله عليه و آله) على ما هو من مصاديق هذا السبب و الحبل الذى لا يضل من تمسك به

بقوله (صلى الله عليه و آله) فى حديث الثقلين «ما إن تمسكنم بهما لن تضلوا- كتاب الله و عترتى اهل بيتى»

و استعير لفظ الحبل فى

الآية للإشارة الى ان عدم الاعتصام به يوجب السقوط فى مهواه الضلال و الهلكه و لا تَفَرَّقُوا عن حبل الله و الاعتصام به و اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ أى و لتكن نعمه الله المذكوره على ذكركم دائما فإن لكم فيها موعظه و عبره تدعوكم الى الاجتماع على الاعتصام بحبل الله و تزرركم عن التفرق عنه. و ذلكم إذ كُنْتُمْ فى جاهليتكم أعْدَاءً بحسب قبائلكم بل و الكثير من آحادكم فَأَلَّفَ اللهُ بركة الإسلام و الرسول بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ عَلَيْكُمْ بهذا التأليف إخواناً كعاده الاخوان الاشقاء فى كونكم يدا واحده بقلوب مؤتلفه و كُنْتُمْ فى شرككم و عدوانكم و اعمالكم الجاهليه على شفا حُفْرِهِ مِنَ النَّارِ أى طرف الحفرة و حافظها مشرفين على السقوط فيها ما بينكم و بينه إلا الموت و هو قريب منكم فَأَنْقَذَكُمْ و أنجاكم مِنْهَا

فى الكافى عن الصادق (عليه السلام) فَأَنْقَذَكُمْ منها بمحمد (صلى الله عليه و آله) و نحوه عن العياشى عن الصادق (عليه السلام) ايضا و نحوه ما فى الدر المنثور عن الطستى عن ابن عباس

و هو تفسير جلى كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ و منها التأليف بين قلوبكم بعد تلك العداوات الشديده و الأحقاد المتوغله فى قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا و منها انقاذكم من تلك الضلالات المشرفه بكم على الخلود فى درك الجحيم بينها لكم لَعَلَّكُمْ تنتبهون

سوره آل عمران (٣): آيه ١٠٤

وَ لَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يُأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)

تَهْتَدُونَ ١٠٠ وَ لَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يُأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ اللام للأمر و «منكم» للتبعيض فالوجوب كفائى منوط بحصول الغرض كما فى التبيان. و الحكم فى الآية كسائر التكاليف لطف عام لجميع الناس و إن كان الخطاب متوجها الى المسلمين لأنهم حينئذ هم المصغون الى خطاب الوحي و المتلقون لشرائه بترحيب الإيمان. و فى التبيان و قيل «من» لتخصيص المخاطبين من بين سائر الأجناس مثلها فى قوله تعالى فَاجْتَبُوا الرَّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ. أقول يعنى ان «من» تفيد هنا ما يسمى فى الاصطلاح بالتجريد نحو رأيت منك أسدا و ليكن لى منك صديق، و كقول الزعيم لأصحابه لينهض منكم جيش و لينتظم منكم صفوف إذا أراد نهوضهم و انتظامهم بأجمعهم أى كونوا جميعا

أمه يدعون الآيه (و يدفعه أولاً) ان هذا خلاف الظاهر و المتداول من لفظ «من» و ليس فى المقام قرينه تصرفها من التبعض اليه و مما يشهد للتبعض او يدل عليه معتبره مسعده بن صدقه المرويه فى الكافى و الخصال و التهذيب و فيها ان الصادق (عليه السلام) استشهد للتبعض بالآيه- و ثانيا- ان هذا المعنى يصرف وجه الكلام عن الأمر لبعض المسلمين بالمعروف و نهيهم عن المنكر مع حاجتهم الى اللطف بهذا الإصلاح. بل يكون وجهه هو أمرهم و نهيهم لغيرهم. و هذا مما يباه عموم لطف الآيه و مجد إصلاحها و كرامه شريعتها. فالظاهر إذن من لفظ «من» و سوق الآيه هو التبعض. و لذكر الأمة جهتان- الأولى- بيان ان هذا المقام توصلى يراد منه حصول الغرض بمن يحصله و ليس بتعبدى واجب على كل احد على كل حال بل قد يسقط الوجوب عن كثير من الناس لعدم تأثيرهم او غير ذلك مما ذكر فى شروطه- الثانية- الاشاره الى ان هذا المقام يحتاج غالباً فى تأثيره الى التعاضد و التعاون و إذا ترك المتصدى وحده او شك أن تحول وحدته دون نهوضه و دون التأثير فيجب تحصيل الأثر بالمعاونه و الاجتماع «و الخير» معروف و هو ما هدى اليه العقل السليم أو دلّ على فضيلته الشرع. و قد تكفل الدين الحنيف و الشرع الشريف، و القرآن الكريم بالدلاله على كل خير كالإسلام و الإيمان و المعارف الدينيه.

و كرامه الطاعه و اتباع الحق و العدل و التزين بالأخلاق الفاضله، و اسباب التكميل و التهذيب و ترويض النفس و السعاده، و فضيله العلم، و نظام الاجتماع، و المدنيه، و الصلاح و الإصلاح، و انك إذا تتبعت القرآن الكريم و السنه الشريفه تجد الدعوه الى ذلك و الأمر بها جاريه على أحسن نهج و أعمه و أنفعه، و أوضحه و أوفقه بالحكمه. و «المعروف» هو ما يعرف العقلاء و المتشرعه رجحانه فى حسنه من دلالة العقل او الشرع، و «المنكر» ما أنكره و استبشعه العقلاء و المتشرعه لدلاله العقل أو الشرع على رداءته. و

فى الكافى و التهذيب مسندا عن الباقر (عليه السلام) فى حديث ان الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر سبيل الأنبياء و منهاج الصلحاء فريضته عظيمه بها تقام الفرائض و تؤمن المذاهب و تحل المكاسب و ترد المظالم و تعمر الأرض و ينتصف من الأعداء و يستقيم الأمر الحديث.

و قد شدد الإنذار فى السنه و النكير على ترك الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر. و هدد بعقاب الدنيا و وباله قبل الآخره. فمن ذلك ما

روى فى الكافى و عقاب الأعمال و التهذيب مسندا عن الرضا (عليه السلام) كان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول إذا أمتى تواكلت الأمر بالمعروف

و النهى عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله (١) و ذكر فى كتر العمال من اخرج نحو معناه عن حذيفه و أبى بكره و جرير عن رسول الله (صلى الله عليه و آله)

و عن الرضا (عليه السلام) ايضا لتأمرنّ بالمعروف و لتنهن عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم (١) فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم (١) و ذكر فى كتر العمال من اخرج هذا المعنى و نحوه عن ابن مسعود و حذيفه. و أبى هريره و عائشه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله).

و قد جمع فى الوسائل و كتر العمال فى باب الأمر بالمعروف جملة من الأحاديث فلتراجع. و فى المقام مسائل - الأولى - انه و ان كان الظاهر بحسب اللغة كون الدعوة و الأمر و النهى ما كان باللسان. و لكن المعلوم من مغزى الآية و فحواها و وجهه إصلاحها و قرائنها من الشريعة هو ان المراد ما يكون باعشا على الانقياد لفعل المعروف و رادعا عن المنكر من القول و الفعل و الوسائل المحصلة لذلك حتى الإلجاء لكن بعض الوسائل الفعلية تحتاج إلى الاذن من ولى الأمر سلطان الوقت او من ينوب منابه - الثانية - ذهب الشيخ فى التبيان و الحلى فى السرائر و حكى عن المرتضى و الحلبى و القاضى و الطوسى فى التجريد و العلامة و كثير من غيرهم و نقلت حكاية الشيخ له عن جماعه انهما يجبان على الكفايه بمعنى انهما يجبان على كل مكلف لم يفقد شرط الوجوب لكنهما يسقطان بقيام من به الكفايه او نهوضه لهما مع المراعاة بحصول الغرض. و هذا هو المفهوم من المقام و أمثاله مما يكون التكليف فيه لغرض يتعلق بغير المكلف. و هو الظاهر من الآية و روايه مسعده المشار إليها. و فى نهايه الشيخ و الوسيله و حكى عن بعض المتأخرين انهما من فروض الأعيان و ذكر فى المختلف احتجاج الشيخ له بالآيه و بعض الروايات الوارده فى الباب «و يدفعه» ان الآيه ظاهره فى فرض الكفايه و الروايات لا تنافى ذلك. هذا و إذا احتاج الواجب الى تعاون جماعه و جب على كل مكلف به أن يهيا نفسه للانضمام الى من يعاونه بل و يدعو الى ذلك - الثالث - يشترط فى وجوبهما جواز التأثير.

-

(٣) سموا خيارا بظاهر الحال فإنهم عصاه بتضييعهم لفريضه الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و لذا لا يستجاب دعاؤهم

ص: ٣٢٥

١- وقاع كوقائع جمع واقعه و هى النازله الشديده. و يحتمل أن تكون مصدر واقع بمعنى حارب كحراب بمعنى المحاربه. [.....]

و حكى على ذلك الإجماع بل يدل عليه العلم بأن وجوبهما إنما هو لتحصيل الائتمار و الانتهاء.

و على ذلك لا يجبان إلا أن يحرز إصرار الأمور على ترك المعروف و المنهى على فعل المنكر. بل ربما يصادف ذلك اهانه التائب و هى مفسده. و مع الشك فالأصل عدم الوجوب خصوصاً مع احتمال المفسده المذكوره و لزوم الاحتراز عن الإهانه للغير إلا بحق و من أجل ذلك يتوقف الأمر و النهى على معرفه المعروف او المنكر فإن كان الجهل من حيث الشرع و جب التعلم بوجوب تعلم الأحكام الشرعيه و إن كان من حيث الاشتباه الخارجى فالأصل البراءه مع لزوم الاحتراز عن اهانه الغير إلا بحق- الرابعه- أن لا تكون فيهما مفسده من نحو ما تقدم أو ضرر يرجح الحذر منه على مصلحتها بحسب المورد الخاص. و التفصيل موكول الى كتب الفقه و أولئك الواو للاستئناف و المشار إليهم هم الذين يدعون الى الخير و يأمرن بالمعروف و ينهون عن المنكر على النحو المطلوب

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٥ الى ١٠٦

وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٥) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَاَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦)

هُمُ الْمُفْلِحُونَ ١٠١ و لا- تكونوا كالَّذِينَ تَفَرَّقُوا عما يجب فيه الاجتماع مما فيه الصلاح و الفلاح وَاخْتَلَفُوا بحسب أهوائهم مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ الواضحات من أدله الحق فتولوا عنها بضلال أهوائهم وَاُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ و الواو يحتمل أن تكون للاستئناف و يحتمل أن تكون عاطفه على أولئك هم المفلحون. و فى العطف مناسبه المقابله و التقسيم فى النظم ١٠٢ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَاَسْوَدُّ وُجُوهٌ فى التبيان ما ملخصه ان العامل فى «يوم» عظيم- و يجوز أن نعمل فيه الجملة فى معنى يعذبون يوم. و تبعه على كلامه بحروفه فى مجمع البيان. و فى الكشاف نصب «أى يوم على الظرفيه» بالظرف و هو «لهم» او بإضمار «اذكر» أى على انه مفعول لا ظرف و تبعه على ذلك الرازى فى تفسيره.

و لكن ارتباط الآيات فى النظم و ذكر ابيضاض الوجوه و اسودادها على ترتيب الفلاح و العذاب فى الآيتين المتقدمتين يناسبهما ان يكون «يوم» ظرفاً لفلاح المفلحين و عاقبه المتفرقين.

و قيل ان ابيضاض الوجوه كناية عن رونق بشرها و اسودادها كناية عن حاله خزيها نحو قوله تعالى فى سوره النحل ٦٠ وَاِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ و هذا

القول كما فى مجمع البيان عدول عن حقيقه اللفظ بلا ضروره. بل يكون البياض بحقيقته و سنا نوره سيماء تكريم و بشرى للصالحين المقربين و يكون السواد باظلامه و تشويهه و سم خزى و نكال لأولئك البعداء فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ فى التبيان و مجمع البيان و الكشاف و تفسير الرازى ان جواب «اما» محذوف تقديره فيقال لهم أ كفرتم. أقول و يقرب عندى أن يكون الجواب من نحو فهم فى عذاب أليم و نقمه من غضب الله كما يدل عليه قوله تعالى فَذُوقُوا الْعَذَابَ و يناسبه قوله تعالى فى الآيه الاخرى «فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» و من نحو هذا الحذف فى القرآن الكريم كثير و فائدته التهويل بالجواب ليقدره السامع بكل نحو يشعر به المقام من الهول. و هو باب واسع فى البلاغه قد ذكرنا شيئا من شواهد فى الآيه الثامنه و العشرين من سوره البقره. ثم خوطبوا بنحو الالتفات فى التوبيخ و التقرير بقوله تعالى أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بسبب ما كنتم تكفرون

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٠٧ الى ١١٠

وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧) تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ (١٠٨) وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (١٠٩) كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (١١٠)

١٠٣ وَ أَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ و كفى بذلك فى رفعه النعيم و سعاده ١٠٤ تِلْكَ أى ما قدمناه من آيات المواعظ و الحجج و الإرشاد و النعيم و العقاب آياتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ الثابت من مضامينها و منه الوعيد و العقاب فإنه على الحق و العدل و استحقاق المجرم لارتكابه ما أرشده الله الى تركه أو تركه لما أرشده الله الى فعله بأنواع الإرشاد و الترغيب و التنفير. فإن الله يريد للإنسان صلاحه و سعاده بالاستقامه و الطهاره الاختياريه وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ١٠٥ وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ لأنه إله العالم و مدبره و خالقه و كل ما عداه محتاج اليه فى ذاته و أموره فكل أمر من شؤون العالم يرجع اليه. و كرر اسم الجلاله للإيماء الى وجه رجوع الأمور اليه لما فى اسمه المقدس من معنى الإلهيه و السلطان العام ١٠٦ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ الْجَمَاعَةِ و يقال

للمسلمين أمه محمد (صلى الله عليه و آله) باعتبار انهم جماعته الذين آمنوا به أَخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لِلْكَلامِ فِي الْآيَةِ مقامان- الأول- ان المترائي من الآيه ان «كان» ناقصه تدل على ان مضمون خبرها قد كان في الزمان الماضي و انقضى و انقطع. و من أجل ذلك ذكر في الدر المنثور عشره أكثرهم من اهل الصحه عندهم منهم الحاكم في مستدرکه اخرجوا عن ابن عباس في ذلك انه قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله الى المدينة. و اخرج بعضهم عن عمر قال تكون لأولنا و لا- تكون لآخرنا. و عن عمر ايضا لو شاء الله لقال أنتم فكننا كلنا و لكن قال كنتم في خاصه اصحاب محمد (صلى الله عليه و آله) و من صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمه أخرجت للناس. و في حقائق التنزيل و روى عن الحسن «أى البصرى» ان ذلك اشاره الى الصحابه دون من بعدهم ممن تغيرت حاله، و اختلفت أوصافه. و فيه ايضا روى عن الحسن انه كان يقول هكذا و الله كانوا مره و بعض المسلمين كان يقول أعوذ بالله ان أكون كنتيا (1) أقول و هذا كله ينظر الى مفاد كان الناقصه و لكن لم يعط معناها حقه فإنها لو كانت في الآيه ناقصه لكانت داله على انقطاع الصفه التى فى خبرها و تبدلها و باعتبار كون الخطاب فيها للمسلمين تكون من أشد التوبيخ و التقرع بسوء العقابه لمن كان موجودا من المسلمين حين نزول الآيه و خطابها و قد كان البارز منهم حينئذ جل الكبار من السابقين الأولين من المهاجرين و الأنصار. فكيف يخاطب القرآن هؤلاء الأكابر و غيرهم من الأمه فى وقت النزول بما يؤدى الى انهم منسلخون حينئذ من صفات الآيه قد انقطعت عنهم بعد ما كانوا حائزين لكرامتها. و لا»

ص: ٣٢٨

١- يضرب المثل لمن تبدلت حاله و صار يفتخر بما مضى و فقدته من صفاته و يسمونه كنتيا و كذا من أعجزه الهرم فصار يفتخر بأحواله فى شبابه و يقول كنت كذا و كنت كذا. و قد مرّ عليك قول لبيد بن ربيعه: «قالت غداه انتجينا عند جارتها أنت الذى كنت لو لا الشيب و الكبر» و انشدوا: «فأصبحت كنتيا و أصبحت طالما و شر خصال المرء كنت و طالم» أى أقول عند الهرم و العجز كنت كذا و كذا و طالما كان كذا و طالما فعلت كذا و كذا. و قد نصب طالما و رفع على اشتقاقه على سبيل الحكايه اسما من «طالما»

يقاس المقام بقوله تعالى وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا و أشباهه فإن «كان» فى هذه الموارد للإشارة الى انه كذلك منذ الأزل و من المعلوم ان صفاته الأزليه أبدية أيضا لا يعترىها انقطاع و انقضاء و هذا المعلوم البديهي يصرف «كان» عن مفادها بخلاف هذه الآيه و لا أقل من انه لا يساق للمدح و التمجيد ما يعطى بظاهرة الظم و التقرىع (1) فالوجه أن تكون «كان» فى الآيه تامه كقوله تعالى وَ إِنَّ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ. مأخوذه من الكون المطاوع للتكوين مثل قوله تعالى «كُنْ فَيَكُونُ». و خير أمه حال من الضمير و جملة أخرجت صفة للأمه بمعنى أظهرت للناس و أخرجت من العدم او الخفاء «المقام الثانى» ان كثيرا من الموجودين حال نزول الآيه لم يثبتوا على واجب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر. و ان الأحوال المذكوره فى مقتل عثمان و شؤونه و حربى البصره و صفين تجعل شطرا و افا من كبار المهاجرين و الأنصار على غير صفات الآيه و ان اعتذر عنهم بالخطأ فى الاجتهاد. و قد استفاض عن رسول الله صلى الله عليه و آله او تواتر ان أقواما من أصحابه فى يوم القيامة يحال بينهم و بين رسول الله و ورود الحوض و ينادى بهم الى النار فيقول رسول الله اصحابى فيقال انهم ارتدوا على اعقابهم القهقرى و فى حديث أبى هريره فلا أرى يخلص منهم إلا مثل همل النعم كما رواه بالأسانيد المتعدده و المعانى المتقاربه احمد فى مسنده و البخارى و مسلم و ابن ماجه فى جوامعهم و الحاكم فى مستدركهده

ص: ٣٢٩

١- و حكى السيد فى حقائق التأويل عن الذين أرادوا التخلص مما ذكرنا لزومه لمفاد كان الناقصه أقوالا متفرقه. فعن بعض ان كان زائده و استشهد بقول الشاعر «على كان المسومه الجياد» و قول الآخر «و جيران لنا كانوا كرام»: و عن بعض ان «كان» بمعنى صار. و استشهد بقوله: «قطا الحزن قد كانت فراخا بيوضها» أى صارت و قال السيد و الصحيح فى روايه هذا البيت «قد صارت فراخا بيوضها» أقول و ما أغرب حمل الآيه الكريمه و كرامه القرآن على هذين الوجهين الشاذين الواهيين: و عن بعض ان المعنى و كنتم إذ كنتم خير أمه نحو ما كنت منذ كنت إلا نبيا رئيسا. أقول و مع هذا التحذلق البارد رجع هذا القائل إلى كان التامه: و عن بعض ان المعنى كنتم فى اللوح المحفوظ أو فى كتب الأنبياء المتقدمه. أقول و مع هذا التحكم و التخرص فى تقدير الظرف لا- ينفك عن محذور كان الناقصه فهل خرجوا عن هذه الصفه من اللوح المحفوظ و كتب الأنبياء: و عن بعض انه يقال لهم ذلك يوم القيامة و لا يضر انقطاع الصفه حينئذ أى و أما الذين ابضت وجوههم فى رحمة الله هم خالدون، و يقال لهم حينئذ كنتم خير أمه. الآيه. و قال السيد فى هذا الوجه فضل تعسف و استكراه أقول و من ذا الذى يرضاه لكرامه القرآن و مجده

و الطبرانى و غيرهم رووه مسندا عن اثنى عشر من الصحابه و رواه البخارى فى باب الحوض بأسانيده عن سبعة منهم. هذا و اما إذا قلنا ان المراد من الأمة فى الآيه أمه رسول الله الى يوم القيامة و جرى الخطاب لهم باعتبار الموجودين منهم فما أوسع الخرق فى الأمة خصوصا إذا نظرنا الى ايام زياد و يزيد و الحجاج و آل مروان و أمثالهم. و الى هذا المقام الثانى ينظر ما روى عن ابن عباس و عمر و الحسن البصرى و إن لم يصادف بعضه محزه. و

فى تفسير القمى فى الحسن كالصحيح او الصحيح عن الصادق (عليه السلام) فى مقام الإنكار خير أمه تقتلون امير المؤمنين (عليه السلام) و الحسن و الحسين. الحديث.

إذن فلا- مناص من أن يكون الخطاب لجماعه مخصوصين ملازمين لواجب الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و الإيمان بالله حق الإيمان. و

فى الدر المنثور اخرج ابن أبى حاتم عن أبى جعفر يعنى الباقر (عليه السلام) انهم اهل بيت النبى (صلى الله عليه و آله).

و عن تفسير العياشى عن أبى عمر الزبيرى عن الصادق (عليه السلام) فى الآيه يعنى الأمة التى وجبت لها دعوه ابراهيم «أى قوله تعالى إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» فهم الأمة التى بعث الله فيها و منها و إليها و هم الأمة الوسطى و هم خير أمه أخرجت للناس.

و فى روايه العياشى عن الصادق (عليه السلام) هم آل محمد (صلى الله عليه و آله).

و عن أبى بصير عن الصادق (عليه السلام) إنما أنزلت هذه الآيه على محمد فيه و فى الأوصياء من بعده.

و فى بعض الروايات انها نزلت خير أئمه: و المراد ان هذا المعنى مراد فى التنزيل و إن كان اللفظ أمه كما تقدم مثله فى مقدمه فى الكلام على روايات فصل الخطاب و يشهد له هنا روايه الزبيرى وَ لَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ بِاللَّهِ وَ بآيَاتِهِ وَ رَسُولِهِ وَ قرآنه لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ يَفُوزُونَ بِسَعَادَتِهِ نَعَمَ مِنْهُمْ الْإِنْسَانُ الْمُؤْمِنُونَ وَ لَكِنِ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ وَ الخارجون بكفرهم من الحجاب و هؤلاء

سوره آل عمران (٣): آيه ١١١

لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَ إِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ (١١١)

١٠٧ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى بِاللِّسَانِ وَ التَّهْيِيجِ عَلَيْكُمْ وَ التَّجْمَعِ لِحَرْبِكُمْ فلا- يضرونكم فى ظهور دينكم و جامعكم و شوكتكم الإسلاميه و انتصاركم و فى هذا بشرى عظيمه غيبه قد تحقق مصداقها على أعز الوجوه وَ إِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ كما وقع ذلك كله مده وجود المخاطبين

سوره آل عمران (٣): الآيات ١١٢ الى ١١٣

ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقْفُوا إِلَّا- بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَ حَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَ بَأْوُ بَغْضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسِيكَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢) لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣)

١٠٨ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ فى قرون عديده (١) لما يذكر فى آخر الآيه من سوء اعمالهم أَيْنَمَا تُقْفُوا و أدركوا و ظفر بهم فلا منعه لهم من الذله إلا أن يعتصموا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ بأن ينقطعوا و يلتجؤا اليه بإخلاص فيغيثهم وَ حَبْلِ مِنَ النَّاسِ بأن يدخلوا فى عهدهم و ذمتهم او رعايتهم و حمايتهم. و سمي ذلك بالحبل لمنعته لهم من السقوط فى هاويه الذل وَ بَأْوُ بمعنى رجعوا و نحوه بَغْضَبٍ مِنَ اللَّهِ لسوء اعمالهم وَ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسِيكَةَ فى القاموس من معانى المسكين الضعيف الذليل. و فى المصباح عن ابن الاعرابى الذليل المقهور و فى النهايه مما يدور على المسكين و المسكنه من المعانى الخضوع و الذله. أقول و الظاهر هنا ان معنى المسكنه ما تدور حوله هذه المعانى و هو لازم لليهود لانكسار شوكتهم القوميه و السياسيه و انحلال جامعتهم فى ذلك مهما بلغ بعض الأفراد منهم فى الثروه و النخوه الجزئيه الصوريه الموقته ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ بتتابع ارتدادهم. و كفرهم بما أوتى المسيح منها وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ الْقَيْدِ للتوضيح و التسجيل لقبيح أفعالهم فإن قتل الأنبياء كله بغير حق ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ حدود الله. و كررت الاشاره تأكيداً لبيان الجهات التى يستحقون بها النكال العاجل و الانتقام. هذا شأن النوع من أهل الكتاب فى اجيالهم و ما كلهم كذلك فإنهم ١٠٩ لَيْسُوا سَوَاءً و على وتيره واحده فى الضلال

ص: ٣٣١

١- كما يذكر التاريخ من كتب العهد القديم و تاريخ يوسيفوس و غيره ما تمادوا عليه من تتابع الارتداد و الكفر من بعد سليمان و قتل الأنبياء و سوء الأعمال فى الشرك و ما جرى عليهم من آثار الحروب من ملوك آشور و مصر و بابل و طيطوس. و بقيت الآثار على ذلك. و القوم أبناء القوم فقد خلفوهم بالكفر بآيات الله للمسيح فقالوا الأقاويل و فعلوا الأفاعيل حتى اتبعوا ذلك بالكفر بآيات الله لرسوله خاتم النبيين و منها بشرى كتبهم به و بقرآنه فجهدوا فى الكفر و الغي جهدهم حتى ذاقوا وبال أمرهم

و الغيِّ بأجمعهم بل مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ وَ جَمَاعَةٌ قَائِمَةٌ لِلْعِبَادَةِ أَوْ كُنْيَاهُ عَنِ الْإِسْتِقَامَةِ فِي الْإِيمَانِ وَ الطَّاعَةِ وَ الْعِنَايَةِ بِوُضَائِفِ الْعِبَادَةِ يُتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ آنَاءَ الْجُمُعَاتِ جَمْعُ قِيلٍ إِنْ مَفْرَدُهُ «أَنِي» بِفَتْحِ الْهَمْزِ أَوْ كَسْرِهَا وَ سَكُونِ النَّونِ أَوْ «أَنُو» بِالْوَاوِ أَى فِي سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَ أَوْقَاتِهِ وَ هُمْ يَشْجُدُونَ فِي التَّبْيَانِ إِنْ الْوَاوُ لَيْسَتْ لِلْحَالِ بَلْ لِعُطْفِ جَمَلِهِ «هُمْ يَسْجُدُونَ» عَلَى جَمَلِهِ «يَتْلُونَ» أَقُولُ أَظُنُّ الدَّاعِيَ لِهَذَا التَّفْسِيرِ حَمَلَهُ لِلآيَةِ عَلَى مَنْ اسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ إِنْ الَّذِي يَتْلُونَهُ هُوَ آيَاتِ الْقُرْآنِ وَ لَيْسَ فِي سَجُودِ الْمُسْلِمِينَ تَلَاوُهُ. لَكِنْ فِيهِ أَوْلَا عَدَمَ ظُهُورِ الْفَائِدَةِ وَ الْمُنْشَأُ فِي الْعُدُولِ إِلَى الْجَمَلِ الْإِسْمِيَّةِ وَ الْإِتْيَانِ بِالضَّمِيرِ فَإِنْ الْحَصْرُ لَا مَحَلَّ لَهُ. وَ إِفَادَةُ الدَّوَامِ تَحْصُلُ مِنَ الْفِعْلِ الْمَضَارِعِ وَ ثَانِيًا لَمْ يَصْحَ إِنْ الْآيَةِ نَزَلَتْ فِي ابْنِ سَلَامٍ وَ أَمْثَالِهِ مِمَّنْ اسْلَمَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بَلْ لَمْ يَعْهَدْ مِنْ هَؤُلَاءِ اتِّصَافَهُمْ بِالصِّفَاتِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْآيَةِ وَ الَّتِي بَعْدَهَا. بِحَيْثُ يَسْتَحِقُّونَ التَّنْوِيَةَ بِهَا مَعَ إِنْ الْآيَةِ السَّابِقَةِ وَ خُصُوصَ قَوْلِهِ تَعَالَى وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ تَدُلُّ عَلَى إِنْ السِّيَاقُ هُوَ فِي أَحْوَالِ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ الْأَوَائِلِ فَالْمُنَاسِبُ أَنْ يَرَادَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْهُمْ لِيُبَيَّنَ فَضْلَهُمْ وَ إِخْرَاجَهُمْ مِنْ تِلْكَ الْمَذْمَةِ الْعَامَةِ. فَالْمَتْلُو لَهُمْ هِيَ آيَاتُ كِتَابِهِمُ الْحَقِيقِيَّةِ وَ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ يَمْتَنِعُ فِي شَرِيعَتِهِمْ إِنْ يَتْلَوْهَا فِي سَجُودِهِمْ. بَلْ يُمْكِنُ عَلَى الْوَجْهِينِ إِنْ يَتَجَهَّ كُونَ الْوَاوِ حَالِيَةً بِأَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ يَتْلُونَ فِيمَا بَيْنَ سَجُودِهِمُ الْمَتَّبَعِ فِي الْقِيَامِ لِلْعِبَادَةِ كَمَا يَقَالُ يَتَكَلَّمُونَ وَ هُمْ يَشْرَبُونَ وَ يَحْدِثُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَ يَخَاطَبُونَ بِالْمَوْعِظَةِ وَ الْحَثِّ عَلَى الْعِبَادَةِ وَ هُمْ يَصِلُونَ أَى فِيمَا بَيْنَ صَلَوَاتِهِمُ الْمَتَّبَعَةَ

سورة آل عمران (٣): الآيات ١١٤ الى ١١٥

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ أُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَ مَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (١١٥)

١١٠ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ صَفَهُ ثَانِيَةً لِأَسْمِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يَوْمَ الْمَعَادِ وَ يَعْمَلُونَ عَلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ بِهِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ بِتَقْوَاهُمْ وَ حُبِّهِمْ لِلْخَيْرِ وَ طَلِبِهِمْ لِرِضَا اللَّهِ بِإِجَابَتِهِ وَ لَمْ يَأْمُرُوا بِالْإِجَابَةِ وَ مَا أَوْضَحَ كَلِمَةَ «يُسَارِعُونَ» فِي الدَّلَالَةِ عَلَى اخْتِيَارِ الْإِنْسَانِ فِي أَعْمَالِهِ. وَ سَوَّقَ الْآيَةَ وَ تَمَجِيدَهَا يَدُلُّ عَلَى إِنْ هَذِهِ الصِّفَاتُ صِفَاتُ ثَابِتَةٍ لَهُمْ نَاشِئَةً عَنْ مَلَكَاتٍ رَاسِخَةٍ وَ أُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ١١١ وَ مَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ بَلْ يَنْوَهُ بِفَضْلِهِمْ فِيهِ وَ يُوْفِيهِمُ اللَّهُ جَزَاءَهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ مَهْمَا

أسروا اعمالهم الصالحه و تقواهم. و قد اقتضت مناسبه المقام و المقابله توبيخ الكافرين على كفرهم و سوء اعمالهم و بيان خسرانهم و خيبتهم و سوء عاقبتهم فقال عز و جل

سوره آل عمران (٣): الآيات ١١٦ الى ١١٧

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١١٦) مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧)

١١٢ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ و قد مرّ تفسير الآيه في الآيه الثامنه و زيد عليها هاهنا بيان الخلود في النار و ان دلت عليه بالاشاره في قوله تعالى وَ أُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ. و ان قيل ان هؤلاء الكافرين ربما ينفقون من أموالهم شيئاً في صله الرحم و نفع المحتاجين من الفقراء و المساكين و غير ذلك فلما ذا لا تغني عنهم أموالهم فلقد أراح الله عله هذه الشبهه بقوله ١١٣ تَلُّ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

و تضييعهم له فيها بكفرهم و ان قصدوا وجهها يزعمون انه وجه الله و لكنه ليس بوجه الله الذي كفروا بآياته و أشركوا به و وصفوه بما يجل عنه من الصفات مَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ

هذا من التشبيه المركب ليتبين منه حال كفرهم مع إنفاقهم في احباطه بما جنوه على أنفسهم و لذا صدر المثل ببيان المتلف للحرث ليروع الكافرين بعنوانه في صدر المثل. و الصر بكسر الصاد هو البرد الشديد او شدة البرد كما نص عليه جل اللغويين و المفسرين و ذكر في الدر المنثور جماعه أخرجه عن ابن عباس من طرق متعدده. و روى الطستي ان ابن عباس استشهد له بقول النابغه الذبياني:

لا يبردون إذا ما الأرض جللها صرّ الشتاء من الإمحال كالأدم

و أنشد في الكشف قول الشاعر:

لا تعدلنّ اتاويين تضربهم نكباء صرّ بأصحاب المحلات

و الحرث هو المزروع في الأرض. و الأنسب في فهم قوله تعالى ظلموا أنفسهم انهم ظلموها بزعره في غير أوان زعره بحسب الفصول او في غير بلاد زعره من الأرض ما ظلمهم الله

باحباط عملهم بكفرهم لَكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ

باختيارهم الكفر الملقى لهم في هلكه

سوره آل عمران (٣): آيه ١١٨

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ مَنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ
أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (١١٨)

١١٤ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةَ الْبَطَانَةِ خَاصَهُ الْإِنْسَانَ وَالَّذِي يَسْتَبْطِنُ أَمْرَهُ وَيَطَّلِعُ عَلَى سِرِّهِ مِنْ دُونِكُمْ أَيُّ مَنْ دُونَ
أَمْتِكُمْ وَقَوْمِكُمُ الْمُؤْمِنِينَ. وَمَا أَحْسَنَ التَّعْبِيرَ عَنْهُمْ فِي هَذَا الْمَقَامِ بِهَذَا الضَّمِيرِ لِيُبَيِّنَ أَنَّ إِخْوَانَكُمْ الْمُؤْمِنِينَ فِي اتِّحَادِ كَلِمَتِكُمْ فِي
الْإِيمَانِ وَاتِّحَادِكُمْ فِي نَصْرِهِ بِمَنْزِلِهِ أَنْفُسَكُمْ فَكَيْفَ تَعْدِلُونَ إِلَى غَيْرِهِمْ بِالِاخْتِصَاصِ الَّذِي تَطْلَعُونَهُمْ بِهِ عَلَى بَوَاطِنِ أُمُورِكُمْ وَ
حَرِيمِ اسْرَارِكُمْ فِي دِفَاعِ الْكَافِرِينَ. وَكَفَى بِهَذَا التَّعْبِيرِ بَيَانًا لِكُونَ الْمَنْهَى عَنْ اتِّخَاذِهِمْ بَطَانَةَ هُمْ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْآيَةِ الْآتِيَةِ
تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمُ الْمَنَافِقُونَ الَّذِينَ إِذَا لَقَوْهُمْ يَقُولُونَ آمَنَّا وَ«مَنْ» لِلابْتِدَاءِ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَوْلِهِ تَعَالَى «لَا تَتَّخِذُوا» أَوْ بِصِفَةِ الْبَطَانَةِ وَالْأَوَّلُ
أَظْهَرَ. لَا- لِلتَّبَعِيضِ أَوْ التَّبَيِّنِ كَمَا فِي التَّبَيِّنِ وَمَجْمَعِ الْبَيَانِ وَمَحْكَى تَفْسِيرِ الرَّازِي وَكَذَا قَوْلُ تَفْسِيرِ الْجَلَالِينِ وَالْمَنَارِ «مَنْ
غَيْرِكُمْ» فَإِنَّ يَلْزَمُ عَلَى ذَلِكَ أَنْ يُقَالَ مِمَّنْ دُونِكُمْ. وَقَدْ أَوْضَحَ جَلَّتْ آلاؤُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَجِهَ النَّهْيِ عَنْ اتِّخَاذِ هَؤُلَاءِ بَطَانَةَ بَأَنَّهُمْ لَا
يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا مَفْعُولًا ثَانًا وَالْجَمْلَةُ صِفَةٌ تَوْضِيحِيَّةٌ لِأَنَّهَا لِهَذِهِ الْبَطَانَةِ لَا تَقْيِيدِيَّةٌ. وَفَسَّرُوا «لَا يَأْلُونَكُمْ» بِقَصْرٍ وَهَذَا لَا
يُنَاسِبُ تَعْدِيلَهَا إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ فَضْلًا عَنِ الْمَفْعُولِينَ كَمَا هُوَ الْكَثِيرُ الْمَسْمُوعُ مِنْ اسْتِعْمَالِهَا فَيَلْزَمُ جَعْلُهَا بِمَعْنَى لَا يَنْقُصُونَكُمْ
كَقَوْلِهِ فِي سُورَةِ بَرَاءَةِ «ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُواكُمْ شَيْئًا». وَالْخَبَالُ فَسَادُ الرَّأْيِ أَوْ مَطْلَقُ الْفَسَادِ أَيْ يُوَفُّونَكُمْ الْفَسَادَ أَوْ فَسَادَ الرَّأْيِ بِدَسَائِسِهِمْ
وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ عَنَتٌ أَصَابَهُ الْعَنَتُ مِثْلُ مَاتَ وَرَض. وَمَا ذَكَرَهُ اللَّغَوِيُّونَ فِي الْعَنَتِ فِيمَا يُنَاسِبُ الْمَقَامَ هُوَ الضَّرْرُ وَالْهَلَاكُ. وَ
الْمَشَقَّةُ وَلِقَاءُ الشَّدَةِ. وَالْهَلَاكُ وَ لَعْلُ مَعْنَاهُ وَاحِدٌ يَنْطَبِقُ بِنَحْوِ وَاحِدٍ عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي أَيْ وَدُوا مَا أَصَابَكُمْ مِنَ الْعَنَتِ وَالظَّاهِرُ
أَنَّ جَمْلَةَ وَدُوا صِفَةٌ أُخْرَى لِلْبَطَانَةِ وَ لَوْ كَانَتْ مُسْتَأْنَفَةً لَقِيلَ قَدْ وَدُوا مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ بِغَضَائِهِمْ لَكُمْ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ
وَ فَلَئِنْ كَلِمَاتِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِمَّا يَسْرُونَهُ مِنَ الْبَغْضَاءِ لَكُمْ أَكْبَرُ مِمَّا يَبْدُرُ مِنَ أَلْسِنَتِهِمْ فَهَلْ يَصِحُّ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمُؤْمِنِ
الْمَدَافِعُ عَنِ دِينِ الْإِسْلَامِ وَالنَّاهِضُ لِإِعْلَاءِ دَعْوَةِ الْحَقِّ أَنْ يَتَّخِذَ هَؤُلَاءِ بَطَانَةَ مَنْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ وَالِدَلَالَاتِ
عَلَى شَأْنِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ

البيان و مرمى الإشارة و واجب العمل على البيان و الحذر من أن لا تتخذوا منهم و لا من أمثالهم بطانه

سوره آل عمران (٣): آيه ١١٩

هَا أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ وَ لَا يُحِبُّونَكُمْ وَ تُوْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَ إِذَا لَقَّوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١١٩)

١١٥ ها أَنْتُمْ أَوْلَاءُ تُحِبُّونَهُمْ «أنتم» مبتدا و الظاهر ان «أولاء» نداء يفيد هنا فائده الاختصاص تأكيداً للمهم في مقام التحريض على التباعد عن أولئك و أمثالهم وَ لَا يُحِبُّونَكُمْ الظاهر ان الجمله حالیه و العامل فيها «تحبونهم» و يجوز ان تكون خبراً ثانياً بالعطف وَ تُوْمِنُونَ بِالْكِتَابِ الْقُرْآنِ و لبعض المفسرين في تفسير الكتاب تكلفات كُلِّهِ و قد نهيتهم فيه قبل هذا عن الركون الى الذين ظلموا كما في سوره هود المكيه و فيه إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ كما في سورتى البقره و الأعراف المكيه. و الظَّالِمِينَ كما في سوره الشورى المكيه. و بِالْمُفْسِدِينَ كما في سوره القصص المكيه. و الْخَائِنِينَ كما في سوره الأنفال. و بِالْكَافِرِينَ كما في سوره الروم. فهل يسوغ و يحسن منكم ايها المؤمنون بالكتاب كله ان تحبوا من لا يحبه الله لأجل شره (١) و الظاهر ان الجمله معطوفه على الخبر أى ها أَنْتُمْ تحبونهم و تؤمنون بالكتاب كله و كيف تجمعون بين الأمرين و قد سمعتم من الكتاب انه ينهاكم عن الركون الى الذين ظلموا و يوعز لكم ان لا تحبوا هؤلاء و أمثالهم فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّهُمْ. و فى الكشاف ان الجمله حالیه. و يرد عليه وجود الواو و هى لا تدخل على الحالیه من المضارع المثبت. و تقدير الضمير لتكون اسميه لا داعى له وَ إِذَا لَقَّوْكُمْ قَالُوا بنفاقهم و مخادعتهم آمَنَّا بما آمنتم به و نحن معكم و منكم وَ إِذَا خَلَوْا و لم يكن معهم احد منكم عَضُّوا عَلَيْكُمْ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ من أجل إيمانكم و علو كلمتكم بظهور الإسلام. و عَضُّ الْأَنَامِلِ يكون عند شدة الغيظ بحيث لا يتمالك المغتاض عن ان يعض أنامله و يؤلمها كما قال ابو طالب «يعضون غيظا خلفنا بالأنامل» و الحرث بن ظالم المرى «يعضون من غيظ رؤوس الأباهم» و الأنامل أطراف الأصابع. و الأباهم جمع إبهام قُلْ لَهُمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَلْ كَلِمَةِ الْحَقِّ وَ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ وَ خَاذِلِكُمْ إِنَّ

ص: ٣٣٥

١- و ان الجهل بترتيب النزول ضيع علينا كثيرا مما نزل قبل هذه الآيه فى التحذير من موالاته أمثال هؤلاء فضلا عن اتخاذهم بطانه. و لعل من ذلك ما فى سوره الممتحنه و المجادله و النساء و غيرها

اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ لا يخفى عليه نفاقكم. و ذات الصدور كناية عن الخصلة او السريره او الحاله او العله المتعلقه بالصدور من نفاق او إيمان و نحو ذلك. على حد قولهم ذات الصدر و ذات الرئه و ذات الجنب. و على ذلك جاء قوله تعالى ١٤٨ وَ لِيَتَّبِعِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيَمْحُصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ فالآيتان مثل قوله تعالى فى سورة النمل ٧٦ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُعْلِنُونَ وَ نحوه الآيه التاسعه و الستين من سورة القصص. و التعبير بذات الصدور و ما تكن صدورهم إنما هو باعتبار ان الصدر وعاء للقلب الذى هو مرجع لهذه الأمور كما يدل عليه قوله تعالى وَ لِيَمْحُصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ. كما تقول علم بخبايا الدار أى بما فى صناديقها و نحو ذلك. و بما ذكرناه تعرف ما فى المصباح المنير من قوله «المعنى عليم بنفس الصدور» و على ما ذكرناه من معنى ذات الصدور فسروا قول الشاعر «لتغنى عنى ذا إنائك اجمعا» بإضافه «ذا» إلى الإناء أى ما يتعلق بإنائك مما فيه من لبن او غيره.

و عليه ايضا ما فى المصباح المنير انه أنشده ابن فارس فى متخير الألفاظ

و نعم ابن عم القوم فى ذات ماله إذا كان بعض القوم فى ماله كلبا

أى فيما يرتبط و يتعلق بماله و قال النابغه

مجلتهم ذات الإله و دينهم قويم فما يرجون غير العواقب

المجله الكتاب اى كتابهم هو ما يرتبط و يتعلق بالإله و وحيه

سوره آل عمران (٣): آيه ١٢٠

إِنَّ تَمَسَّسَكُمْ حَسْبَهُ تَسْوُهُمْ وَ إِنَّ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَ إِنَّ تَصْبِرُوا وَ تَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (١٢٠)

١١٦ إِنَّ تَمَسَّسَكُمْ حَادِثُهُ حَسْبُهُ مِنْ حَوَادِثِ الدُّنْيَا تَنَالُونَ مِنْهَا خَيْرًا وَ لَوْ بِمَسِيئَتِهَا كَنَاهِهِ عَنْ قَلْبِهِ نَفَعَهَا لَكُمْ تَسْوُهُمْ لِحَسَدِهِمْ وَ بَغْضِهِمْ لَكُمْ وَ لِدِينِ الْحَقِّ وَ إِنَّ تُصِيبَكُمْ سَيِّئَةٌ بِمَعْنَى تَصِيبِكُمْ فَادْحَهُ أَصَابَهُ لا بِمَجْرَدِ الْمَسِيئَةِ يَفْرَحُوا بِهَا وَ لا تَأْخُذُهُمْ لِدَلِكِ رَقِهِ الْجَوَارِ أَوْ الْقَرَابَةِ وَ الْإِتِّصَالِ بِالْقَبِيلَةِ.

وَ إِنَّ تَصْبِرُوا عَلَى مَا يَحْمَدُ الصَّبْرَ عَلَيْهِ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَ نَصْرِ دِينِهِ وَ جِهَادِ عَدُوِّهِ وَ عِدَاوَةِ هُوْلَاءِهِ وَ إِذَاهِمُ وَ تَتَّقُوا اللَّهَ فِي أَوْامِرِهِ وَ نَوَاهِيهِ لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً بِضَمِّ الرَّاءِ وَ تَشْدِيدِهَا لِأَنَّ هَذَا الْمَدْعَمُ لا يَظْهَرُ عَلَيْهِ الْجَزْمُ بِالسُّكُونِ إِلاَّ بِفِكَ ادْغَامِهِ نَحْوُ «إِنَّ يَمَسَّسَكُمْ» وَ فِي هَذَا وَعْدٌ لِلْمُؤْمِنِينَ بِحِمَايَةِ اللَّهِ لِجَمَاعَتِهِمْ مِنْ ضَرَرِ الْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ فَيَحْمِيكُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ

التي يكيدونكم بها. و القراء المتداوله فى المصاحف و بين المسلمين حتى القراء السبعه «يعملون» بالياء المثناء من تحت و لم تذكر بالتاء المثناء من فوق إلا عن الحسن و أبى حاتم و مع ذلك قال فى الكشاف «بما تعملون من الصبر و التقوى محيط

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٢١ الى ١٢٢

وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢)

١١٧ وَ إِذْ فى التبيان و المجمع و الكشاف ان العامل فى «إذ، اذكر» غَدَوْتَ فى النهايه الغدوّ هو أول النهار غدا يغدو غدوا. و فى المصباح غدا بمعنى انطلق. و المراد مجموع السير الواقع فى أول النهار و صدره مِنْ أَهْلِكَ و محل إقامةك. و

فى المجمع انه الخروج الى احد (١) عن ابن عباس و هو المروى عن أبى جعفر يعنى الباقر (عليه السلام). و فى الدر المنثور ذكر من اخرج ذلك عن ابن عباس و من أخرجه عن عبد الرحمن بن عوف.

و هذه الآيه و التى بعدها بمزاياهما و خصوصياتهما تعينان ذلك تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ تبوء المكان بمعنى استقرّ فيه. و بؤاه المقعد أقره فيه. و جمله «تبوء» حال من «غدوت» لأن مجموع السير و البعد عن الأهل فى أول النهار و صدره كان من مقارناته و أحواله التبوء للقتال بأن جعل رسول الله (صلى الله عليه و آله) مقاعد للقتال فى سفح أحد و جعله فى ظهورهم. و جعل فى الشعب عبد الله بن جبير مع خمسين من الرماه لثلا يدهمهم المشركون من ناحيته. و أمر الرماه أن لا يبرحوا من مكانهم مهما تطورت الحرب و عواقبها وَ اللَّهُ سَمِيعٌ لِمَا قِيلَ فى ذلك الغدوّ فى أمر الحرب من كلام المنافقين و كلام الرسول المؤمنين عَلَيْهِمُ بالنيات و ما جرى من الأعمال فى تلك الحرب و مقدماتها ١١٨ إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا الفشل هو الجبن و ضعف القلب. و

فى الدر المنثور ذكر جماعه منهم مسلم و البخارى اخرجوا عن جابر ان الطائفتين هم بنو سلمه و بنو حارثه من الأنصار و أخرجه ابن جرير عن ابن عباس و أرسله فى مجمع البيان عن الباقر و الصادق (عليه السلام).

و فى تفسير القمى نزلت فى عبد الله بن أبى و قوم من أصحابه اتبعوا رأيه فى القعود عن نصره رسول الله (صلى الله عليه و آله). و يدفعه ان الآيه تقول همت ان تفشلا و من المعلوم ان عبد الله و أصحابه قد فشلوا و قعدوا و نافقوا كما يأتى حالهم من الآيه

ص: ٣٣٧

الستين بعد المائة حتى الثانيه و الستين من السوره (١) و قد قال الله تعالى فى الطائفتين وَ اللَّهُ وَبَيْنَهُمَا وَ فى ذلك دلالة على ان الله عصمهما عما همتا به. و قد ذكر فى الآيات المشار إليها من ذم الله لعبد الله و أصحابه و مقتته لهم شيئا كثيرا و انهم للكفر يومئذ اقرب منهم للإيمان و قوله تعالى «إِذْ هَمَّتْ» بدل من «إِذْ غَدَوْتُ» وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ فإنه وليهم و ناصرهم و لا يهنوا عن نصر الدين بنفاق البعض و خذلانه. كيف

سوره آل عمران (٣): آيه ١٢٣

وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)

١١٩ وَ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ ذلك النصر الباهر على أعدائكم ذوى العدد المناهز للألف و العده الكامله من الخيل و النعم و السيوف و الدروع وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ بقله عددكم إذ كان جميع جيشكم ثلاثمائة و ثلاثه عشر رجلا و بوهن عدتكم «و المأثور ان معظم سلاحهم جريد النخل و ليس معهم من الخيل إلا فرسان.

و إبلهم أباعر معدوده يتعاقب عليها بعضهم و بعضهم مشاه و لم يخرجوا باهبه حرب و لا عزه محارب فَاتَّقُوا اللَّهَ فى نصر دينه و التوكل عليه و عدم التخاذل بنفاق المنافق لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أى لغايه ان تشكروا الله على ما يمنحكم من عظام النعم و النصر الباهر «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ»

ص: ٣٣٨

١- قال الطنطاوى فى تفسيره ٢ ج ص ١٤٣ س ٢٠ (عليم) بنياتكم و ما يصيبكم بتركم مراكز القتال لما انهزم عبد الله بن أبى سلول فهمت بنو سلمه من الخرج و بنو حارثه من الأوس و هما كانا جناحى العسكر انتهى و من معلوم التاريخ ان المسلمين ما تركوا مراكز القتال لانهم لم يهزموا عبد الله بن أبى سلول بل لم يكن عبد الله و أصحابه معهم فجاهدوا و غلبوا المشركين و هزموهم فتركوا مراكزهم لانكبابهم على الغنائم من رحال المشركين او كما يزعم هو فى الصفحه المذكوره لاتباعهم مدبرى المشركين و انظر صفحه ١٥٣- و من المعلوم ايضا ان ابن سلول لم يهزم هو و أصحابه بل رجعوا من بعض الطريق قبل ان يصل النبى (صلى الله عليه و آله) و أصحابه إلى احد و قبل ان ينظم عسكره و معسكره و ييؤ المؤمنين مقاعد للقتال او يكون لعسكره ترتيب و جناحان. فابن أبى سلول و أصحابه من القاعددين عن الجهاد و التوجه إلى ميدان الحرب لا من المنهزمين .. و من المعلوم من سياق القرآن الكريم و اتفاق التفسير كما ذكره هذا المفسر ايضا صفحه ١٥٦ ان ابن أبى سلول و أصحابه هم الذين حكى الله قولهم بقوله تعالى فى الآيه ال ١٦٠ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبِعْنَاكُمْ- ١٦٢ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعِدُوا: فهم القاعدون الذين لم يتبعوا الجيش للقتال لا من المنهزمين

إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُعِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ (١٢٤) بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فُورِهِمْ هَذَا يُعِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦)

١٢٠ إِذْ تَقُولُ قَالَ فِي التَّبْيَانِ التَّقْدِيرِ اذْكَرْ إِذْ، وَفِي الْكَشَافِ ظَرْفٌ لِنَصْرِكُمْ أَقُولُ وَهُوَ أَوْلَىٰ وَ أَظْهَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ فِي الثَّبَاتِ وَالِاطْمَئِنَانِ بِالنَّصْرِ أَنْ يُعِدَّكُمْ رَبُّكُمْ وَوَلِي أَمْرِكُمُ الْقَادِرُ وَيَبْعَثُ لَكُمْ مَدَدًا لِنَصْرِكُمْ بِثَلَاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ١٢١ بَلَىٰ رَدٌ لِمُضْمُونِ النَّفْيِ فِي جَمَلِهِ «أَلَنْ يَكْفِيكُمْ» إِنْ تَصْبِرُوا وَتَثَبْتُوا وَتَتَّقُوا اللَّهُ فِيمَا تَلْزَمُ فِيهِ التَّقْوَىٰ وَمِنْهُ الثَّبَاتُ لِنَصْرِ دِينِ الْحَقِّ وَ يَأْتُوكُمْ أَيُّ الْأَعْدَاءِ الْمُشْرِكُونَ مِنْ قَرِيْشِ الْعَادُونَ بَعْدَ مَا نَجَتْ قَافِلَتُهُمْ بِإِتْيَانِهِمْ لِحَرْبِكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا قَالَ فِي التَّبْيَانِ وَمَجْمَعُ الْبَيَانِ مِنْ وَجْهِهِمْ هَذَا وَرَوَاهُ فِي الدَّرِ الْمَنْثُورِ عَنِ الْحَسَنِ وَعُكْرَمَةَ وَالرَّبِيعِ وَقَتَادَةَ وَالسُّدِّيَّ وَ لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْمَعْنَى أَثْرًا فِي النِّهَايَةِ وَالْمِصْبَاحِ وَ لَمْ أَعْهَدْهُ فِي اللُّغَةِ نَعَمْ فِي الْقَامُوسِ أَتَوْا مِنْ فُورِهِمْ أَيُّ مِنْ وَجْهِهِمْ وَقَبْلَ أَنْ يَسْكُنُوا.

وَرَوَى فِي الدَّرِ الْمَنْثُورِ عَنِ عُكْرَمَةَ وَمُجَاهِدٍ وَأَبِي صَالِحٍ وَالضُّحَّاكِ «مِنْ غَضَبِهِمْ» مَأْخُوذٌ مِنَ الْفُورَانِ وَ فُورُهُ الْغَضَبُ وَ هُوَ غَرِيبٌ وَ اِغْرَبَ مِنْهُ مَا عَنِ الضُّحَّاكِ مِنْ قَوْلِهِ مِنْ وَجْهِهِمْ وَ غَضَبِهِمْ وَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مِنْ سَفَرِهِمْ هَذَا. وَ هُوَ غَرِيبٌ. وَ مِنْ فَسْرِهِ بِالْغَضَبِ قَالَ إِنْ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي غَزْوِهِ أَحَدٌ وَ الْمُرَادُ غَضَبُهُمْ مِنْ يَوْمِ بَدْرٍ أَقُولُ وَ الْمُنَاسِبُ لَوْ صَحَّ فِي اللُّغَةِ إِنْ يُقَالُ مِنْ فُورِهِمْ ذَلِكَ مَعَ إِنْ ظَاهِرُ الْآيَةِ وَ مُنَاسِبُهُ اللَّتَيْنِ قَبْلُهَا وَ بَعْدَهَا وَ رَوَايَاتُ الْكَافِي وَالْعِيَّاشِيِّ بِأَسَانِيدِهِمَا عَنِ الْبَاقِرِ وَالصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي شَأْنِ غَزْوِهِ بَدْرٍ. وَ فِي الْكَشَافِ جَعَلَهُ مِنَ الْفُورِ ضِدَّ التَّرَاخِي أَيُّ مِنْ وَقْتِهِمْ هَذَا الْقَرِيبِ. وَ هَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ وَ الْمُنَاسِبُ وَ الْمَتَبَادِرُ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ يُعِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ مِنَ السِّيْمَاءِ وَ هِيَ الْعِلَامَةُ. وَ لَعَلَّ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ اتَّخَذُوا سِيْمَاءَ الْبَشَرِ وَ لَمْ يَبْقُوا عَلَىٰ صُورَتِهِمْ الْأَصْلِيَّةِ لَكِنْ

فِي صَحِيحِهِ الْكَافِي عَنِ أَبِي الْحَسَنِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ رَوَايَتُهُ عَنِ الْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي تَفْسِيرِ الْمُسَوِّمِينَ قَالَ «الْعَمَائِمُ» وَ نَحْوُ مَا فِي الدَّرِ الْمَنْثُورِ مِمَّا أَخْرَجَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَ الطَّبْرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ

١٢٢ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ أَيُّ الْأَمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ لِأَنَّ نَصْرَهُ لِلْمُسْلِمِينَ مَتَوَقَّفٌ عَلَى الْمَلَائِكَةِ. كَلَّا. بَلْ لِأَنَّ أَوْلَثَكَ الْمُسْلِمِينَ مَا عَدَا الْخَوَاصَّ بَشَرٍ ضَعْفَاءَ بِبَشَرِيَّتِهِمْ لَا يَسْتَحْكُمُ اسْتِبْشَارَهُمْ وَ اِطْمَئِنَانَهُمْ إِلَّا بِالْمَحْسُوسَاتِ الْجَارِيَةِ عَلَى الْعَادَاتِ ككَثْرَةِ الْعَدَدِ

و شوكة المدد فشاء الله برحمته أن يجارى بشريتهم بما تتحقق لهم به البشرى والاطمئنان فى حربهم بل والاطمئنان بأنهم على الحق اليقين وان الله معهم فما جعله إلا بشرى لكم ايها المسلمون المجاهدون وَ لَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ أى بسبب الأمداد المذكور وَ مَا النَّصِيرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ فى أمره الْحَكِيمِ فى اعماله و نصره و تطيب قلوب المؤمنين و ليس النصر من الملائكة و لا من غيرهم

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٢٧ الى ١٢٨

لَيَقْطَعَنَّ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتُهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨)

١٢٣ لَيَقْطَعَنَّ تعليل للنصر لا لقوله تعالى فيما سبق «نَصَرَ كُمْ اللَّهُ بِبَدْرٍ» كما ذكر فى التبيان و مجمع البيان قوله و ذكره فى الكشاف أول التفسيرين فإنه لا يلايم التريد و التقسيم فى قوله تعالى (ليقطع او يكبت) بل الذى يناسبه هو النصر المطلق الذى يقطع به طرفاً أى بعضاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا و يهلكهم كما فى يوم بدر و خيبر و نحوهما أَوْ يَكْبِتُهُمْ كما فى يوم الأحزاب و أمثاله. فى المصباح كبتة اهانه و أذله و كبتة لوجهه صرعه. و فى النهاية أذله و صرفه و صرعه و خيبه. و فى القاموس صرعه و أخزاه و صرفه و كسره و ردّ العدو بغیظه و أذله.

و عن الخليل الكبت صرع الشىء على وجهه و حقيقه الكبت شدّه الوهى الذى يقع فى القلب و ربما صرع الإنسان لوجهه للخور الذى يدخله. و فى التبيان الكبت الخزى و نسب ما عن الخليل الى القيل. و فى الكشاف يخزيهم و يغيظهم بالهزيمة أقول و المراد من الكبت فى الآيه معنى تحوم حوله هذه المعانى التى يأخذونها مما تسنح لهم من مناسبة المقام او موارد الاستعمال و لعله نحو مجاز مما ذكر عن الخليل فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ الخيبه معروفه و فسرت بالانقطاع عما امل و هو انسب مما ذكر لها من التفسير، ١٢٤ لَيْسَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنَ الْأَمْرِ فى شؤون الخلق من حيث الإيصال إلى الهدى و التوبه و التعذيب و نحو ذلك شَيْءٌ مما يرجع إلى قدره الله و لا داخل تحت قدرتك فإنك بشر مخلوق و انما الأمر فى ذلك لله أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ بنصب يتوب أى إذا تابوا و أصلحوا أَوْ يُعَذِّبُهُمْ بالنصب أيضا إذا لم يتوبوا فيتوب عليهم فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ اختار فى الكشاف ان نصب يتوب و يعذبهم بالعطف على «ليقطع» و جمله ليس لك من الأمر معترضه و نسب غيره إلى القيل. و ذكره قبله فى التبيان أول الوجهين

و فى مجمع البيان احد الوجهين. و يدفعه زياده على و هن اعتراض الجملة ان التوبه و العذاب لا مناسبه لكونهما غايه للنصر لكى يقال بعطفها على «ليقطع او يكبت» و نقل فى الكشاف قولاً حاصله ان يتوب و يعذبهم منصوبان بان مضمرة بعد او. و المصدر فى محل الجر بالعطف بأو على الأمر أى ليس لك من الأمر و التوبه عليهم او عذابهم شىء. او فى محل الرفع بالعطف على شىء أى ليس لك من الأمر شىء او التوبه عليهم او تعذيبهم. و فى التبيان و مجمع البيان ذكرا وجها آخر نسبة الكشاف الى القيل و هو ان او بمعنى إلا. و ذلك كقول زياد الأعجم

«و كنت إذا غمزت قناه قوم كسرت كعوبها او تستقيما»

بمعنى ليس لك من الأمر شىء إلا- توبه الله عليهم او عذابهم فيكون أمر ك تابعا لأمر الله لرضاك بتدبيره كما فى التبيان و مجمع البيان و أقول ان الأمر فى توبه الله عليهم او تعذيبه لهم إنما هو لله وحده فلا يصح استثناءه و إثباته للرسول بالاستثناء المتصل و لا يجدى فى ذلك التفرع بقولهما فيكون أمر ك تابعا لأمر الله مع انه لا دلالة على هذا التفرع. فالوجه ان تكون «او» الأولى بمعنى «الا» التى هى للاستدراك مثل «لكن» المخففه كما فى الاستثناء المنقطع الرافعه لما يتوهم من الكلام السابق عليها فإن سياق قوله تعالى لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ بعد ذكر الذين كفروا فى الآيه السابقه قد يتوهم منه انه لا يقع شىء مما يرجوه الرسول من صلاحهم و إسلامهم فجرى الاستدراك بما يؤدى إلا ان رجاء الرسول لا ينقطع بالنفى المتقدم بل يتوب الله على من يتوب و ينيب الى الإسلام و يعذب الذين لا يتوبون لأنهم ظالمون بكفرهم و سوء اعمالهم.

و روى فى الدر المنثور فى نزول الآيه روايات لا تكاد أن تنطبق. منها عن احمد و البخارى و الترمذى و النسائى و غيرهم عن ابن عمر ان رسول الله قال يوم أحد اللهم العن أبا سفيان و ذكر ثلاثه معه فنزلت الآيه. و يدفعه ان الدعاء باللعن ليس من الأمر المنفى عن رسول الله بل دعاء جعله الله لرسوله و لسائر المؤمنين بقوله تعالى اذْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ. و قد لعن الله الظالمين و الكافرين. و كذا الكلام فيما أخرجه البخارى و مسلم و جماعه عن أبى هريره ان النبى قنت بعد الركوع و دعا بنجاه اشخاص و لعن بعضا فنزلت الآيه. مضافا الى ان الآيه لا تناسب الدعوه بالنجاه مع ان هاتين الروايتين و أمثالهما متنافيه بالتعارض فى سبب النزول

سوره آل عمران (٣): آيه ١٢٩

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١٢٩)

١٢٥ و لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ و الأمر بيده يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ كقوله تعالى فى سوره ط

المكيه ٨٤ وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى وَ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ مَن لَّمْ يَحْسِنْ تَوْبَتَهُ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ لِّمَن تَابَ وَ أَنَابَ

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٠ الى ١٣٤

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَ اتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) وَ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣) الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤)

١٢٦ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً هذا بيان لنحو من جهات المفسده فيه و ذلك انه بحسب طبعه و جوره يستهلك اموال المديون و يكون ما يأخذه منه أضعافا مضاعفه بالنسبه لما استدانه فإياكم و باب هذا الجور وَ اتَّقُوا اللَّهَ فَإِنَّ التَّقْوَى هِيَ الَّتِي يَقُومُ بِهَا النِّظَامُ وَ يَسْتَقِيمُ الْجَمَاعُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أى لغايه ان تفلحوا ١٢٧ وَ اتَّقُوا النَّارَ جَهَنَّمَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ وَ مَا أَوْخَسَ مَقَامُهَا وَ أَعْظَمَ عَذَابُهَا بِهَذَا الْإِعْدَادِ الْمَشُومِ وَ مَا أَوْخَسَ الْمُسْلِمَ الَّذِي يَلْقَى نَفْسَهُ بِسُوءِ أَعْمَالِهِ وَ أَكَلِهِ الرِّبَا فِي هَذِهِ النَّارِ ١٢٨ وَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أى لغايه ان ترحموا إذا ثبتتم على الطاعه الكامله ١٢٩ وَ سَارِعُوا بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ وَ حَسَنِ تَوْبَتِكُمْ وَ لَا تَسُوفُوا فِي فُتُوحِكُمْ حَظَّكُمْ إِلَى مَغْفِرَةٍ لِّكُمْ مِّن رَّبِّكُمْ وَ ولى أموركم وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ لَا بَدَ مِنْ أَنْ يَكُونَ طَوْلُهَا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا شَاءَ اللَّهُ. وَ أَنْ أَوْهَامَ الْهَيْئَةِ الْقَدِيمَةِ فِي أَفْلاكِهَا وَ مَحْدَدِ الْجِهَاتِ لِتَشِيرَ هَاهُنَا سِوَالَا وَ لَكِنْ مِنْ يَعْرِفُ قُدْرَةَ اللَّهِ وَسَعَةَ مَلَكُوتِهِ لَا تَعْتَرِضُ هَذِهِ الْأَوْهَامَ إِيمَانَهُ. وَ ذَكَرْتَ سَعَةَ الْجَنَّةِ لِيُطْمَئِنَّ الْإِنْسَانُ بِأَنَّ لَهُ مَا تَشْتَهِيهِ نَفْسُهُ مِنَ الْمَحَلِّ الْوَاسِعِ وَ لَعَلَّ هَذَا التَّقْدِيرَ لِلْعُرْضِ جَارٍ عَلَى مَا يَنَالُهُ تَصَوُّرُ نَوْعِ النَّاسِ مِنَ التَّمَثِيلِ بِالْمَوْجُودِ فِي الْخَارِجِ وَ هَذِهِ الْجَنَّةُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ لِلَّهِ وَ كَانَتْ التَّقْوَى لَهُمْ مَلَكَةً ثَابِتَةً. وَ إِلَيْكَ شَيْئًا مِنْ صِفَاتِهِمُ الْكَرِيمَةِ ١٣٠ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ لَوْجَهُ اللَّهُ فِي السَّرَّاءِ وَ الضَّرَّاءِ فِي الدَّرِّ الْمُنْتَوِرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي حَالَتِي الْيَسْرِ وَ الْعُسْرِ. وَ فِي التَّبْيَانِ وَ قِيلَ فِي حَالِ السَّرْوَرِ وَ الْإِعْتِمَامِ أَيْ لَا يَقْطَعُهُمْ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنِ الْإِنْفَاقِ فَيَدْخُلُ فِيهِ الْيَسْرُ وَ الْعُسْرُ أَنْتَهَى وَ يَنْبَغِي أَنْ يَرَادَ اسْبَابُ الْإِعْتِمَامِ نَوْعًا مِنْ أَنْوَاعِ الضَّرَّاءِ وَ هَذَا اقْرَبُ وَ ادْخُلْ بِعَمُومِهِ فِي الْمَدْحِ وَ الْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ كَظْمِ غَيْظِهِ حَبْسَهُ

ورده بالصبر عن هيجان آثاره من الكلام او الانتقام. و كظم البعير امسك عن الجره. قيل واصله كظم القربه أى شد رأسها عند ملئها أقول كان المراد كظم مائها عن أن يطفح و كظم البعير ما فى كرشه عن ان يخرج لاجترار و العافين عَنِ النَّاسِ و العفو اقرب للتقوى. و ان كظم الغيظ و العفو عن الناس من محاسن الأخلاق و آثار الفضيله التى تعين على السلم و الهدو و حسن الاجتماع و راحه البشر فى الجملة. و صفات هذه الآيه من أهم موارد الإحسان و اللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ و كفى بذلك فخرا و فوزا

سوره آل عمران (٣): آيه ١٣٥

وَ الَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَتَعَفَوْا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَ لَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَ هُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥)

١٣١ وَ الَّذِينَ قِيلَ إِنَّهَا مجروره بالعطف على المتقين و «أولئك» فى الآيه الآتية اشاره إلى الجميع و ذكرت المغفره لأن كل من عدا المعصوم محتاج إليها. و قيل الذين مبتدأ و جمله أولئك خبره و القول الاول انسب ببيان الجزاء للمتقين و بقوله تعالى فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ فان الاستغفار و ان كان عملا صالحا لكنه يبعد ان يترك التنويه باعمال المتقين و يقتصر فى التنويه على استغفار أولئك المستغفرين هذا و إذا قيل ان خصوص ما ذكر من اتفاق فعل الفاحشه و ظلم النفس مع ذكر اللّهِ و استغفاره و عدم الإصرار لا ينافى كونهم من المتقين قبل ذلك و بعد ذكر اللّهِ و الاستغفار و إن تضععت فيهم ملكه التقوى عند الذنب فعليه تكون كلمه «الذين» معطوفه على «العافين» فى طرد صفات المتقين و فيه نوع اشكال و اللّهُ الْعَالِمُ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً فى النهايه الفاحشه كل ما اشتد قبحه من الذنوب و المعاصى و كثيرا ما ترد بمعنى الزنا. و فى المصباح فحش مثل قبح و كل شىء تجاوز الحد فهو فاحش و منه غبن فاحش. و فى القاموس الفاحشه الزنا و كل ما يشتد قبحه من الذنوب أقول و أظن ان اراده الزنا من الفاحشه فى بعض الموارد إنما هو باعتبار كونه من الافراد الظاهره فى الفحشاء فالأظهر فى الآيه استعمال الفاحشه فى مطلق المعصيه الفاحشه فى قبحها أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ بما دون ذلك من الذنوب ذَكَرُوا اللَّهَ قِيلَ ذَكَرُوا و عبدوا اللّهِ. و الأقرب ان يكون المراد انهم بعد ان اغفلهم الشيطان و النفس الأماره حين الذنب و أنساهم ما يجب له من الطاعه و عدم المخالفه ذكروا اللّهِ و ماله من الجلال و انه ربهم العظيم و مالك أمرهم و مرجع خوفهم و رجائهم و تنبهوا الى زللهم فَاسْتَتَعَفَوْا اللّهُ لِذُنُوبِهِمْ فيكون السر فى ذلك تمييزهم عن

كان الله على ذكركم حين المعصية ففعلوها محاده له و عنادا فإن هؤلاء بعيدون- و العياذ لله- عن التوبه و الاستغفار و مَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ و هل يلتجأ العارف بالله لغفران ذنبه إلا- الى الله و لئن استشفع الى الله بمن جعلت له الشفاعة فإن ذلك مما يؤكد الفزع و الالتجاء الى الله.

و لعل في هذا الإنكار اشاره الى من يطلب المغفره من الأوثان او من القسوس و يعتمد على غفرانهم كما هو المتعارف عند فرقه «الكاثوليك» من النصرى حتى في هذه الأزمنه. و من يغفر الذنوب إلا- الله و لَمْ يُصَيِّرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا مِنْ ذُنُوبِهِمْ و لم يقيموا عليها تماديا على المعصيه وَ هُمْ يَعْلَمُونَ الجملة حاله أى لم يصروا حال كونهم عالمين بأن فعلهم معصيه فإن هذا هو الإصرار الموبق و اما من أصر على ما يجهل كونه معصيه فليس بمصر على معصيه

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٦ الى ١٣٧

أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ (١٣٧)

١٣٢ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم و جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها و نعيم أجر العاملين و المخصوص بالمدح في «نعم» هي المغفرة و الجنات المذكوره باعتبار ان ذكر الله و استغفاره عمل صالح جلت آلاء الله و أطافه ١٣٣ قد خلت و مضت من قبلكم يا ايها الناس أو يا ايها الذين آمنوا سُنَنٌ منها سنن المؤمنين المصدقين للأنبياء و المجاهدين في سبيل الله و الجارين على ما ارشدوا اليه من العمل الصالح و الاستعداد لسعاده الآخره و طلب ما عند الله فجعلوا الدنيا دار رحله و تزود، و مع ذلك قد تنعموا فيها بالرضا بما قسم الله بأحسن من نعيم غيرهم المكدر المنغص بالحرص و طموح الشهوات و جماع الأنفس في الطمع. و منها سنن الكافرين المكذبين مع قيام الحجه عليهم و وضوح البيئات لهم كل ذلك لانهما كهم بالضلال و الشهوات و قصر نظرهم على الدنيا فسيروا في الأرض لزياده الاعتبار و التبصر فأنظروا كيف كان عاقبه المكذبين للرسول و آيات الله إذ قطعت الدنيا آمالهم و كدرت عيشهم و تركت ديارهم للخراب او لسكنى الأعداء و نعيمهم للبور و جمعهم للشقات. فانظروا الى آثار عاد و ثمود و قوم لوط. بل و انظروا الى الملوك المكذبين للأنبياء من بنى إسرائيل و اتباعهم من

تلك الأمم الطاغية كيف قد صارت عاقبتهم للفناء و الشتات و الجلاء من الديار و ذله الأسر و القتل و لم يبق في ديارهم إلا الاسم

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٣٨ الى ١٣٩

هذا بيانٌ لِلنَّاسِ وَ هُدًى وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَ لَا تَهِنُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩)

١٣٤ هذا الظاهر ان الآيات من قوله تعالى «وَ إِذِ عَدَوْتُمْ» الى هنا سابقه على هذه الآيه فى نسق التنزيل فتكون الإشاره راجعه إلى مضامين تلك الآيات الكريمة و ما احتوت عليه من المطالب العاليه. او إلى مضمون الآيه السابقه.

و لأجل الشك من بعضهم فى ترتيب النزول قال ان الاشاره إلى القرآن أقول و هو بعيد.

إذ لو كانت الإشاره إلى القرآن لقل هذا القرآن و نحو ذلك كما قيل فى أمثال ذلك بيانٌ لِلنَّاسِ حتى من لا يهتدى و لا يتعظ وَ هُدىً موصلا الى الحق وَ مَوْعِظَةٌ تدعو الى الاعتاض لِلْمُتَّقِينَ لله فان البيان يؤثر فيهم الاهتداء و الاعتاض ١٣٥ وَ لَا تَهِنُوا ايها المسلمون بسبب ما أصابكم فى يوم احد. و فى كتب اللغه الوهن الضعف. لكن المترائى من موارد الاستعمال انه نحو خاص من الضعف. و فى القاموس و تبعه صاحب المنار انه ضعف فى العمل. فإن أراد ضعف العامل فى عمله بأن يكون الوهن صفه للعامل فقد نسيا قوله تعالى إِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعُنْكَبُوتِ و ان أراد ضعف العمل او ضعف المعمول بأن يكون الوهن صفه للعمل او للمعمول من حيث انه معمول فقد غفلا عن هذه الآيه و عن قوله تعالى فَمَا وَهَنُوا كما سيأتى قريبا ان شاء الله. و المراد لا- يظهر عليكم اثر الضعف و الخور وَ لَا تَحْزَنُوا مما أصابكم وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ و فى هذه الجملة وجوه «أولها» فى التبيان و مجمع البيان و الكشاف انها حاله فتكون كالاحتجاج عليهم فى النهى عن الوهن و الحزن بمعنى انكم رأيتم نصر الله لكم و علوكم على عدوكم فقد كنتم نحو ربع المشركين فهزتموهم و أنختم فيهم القتل فى أول الحرب. و مع انكم طمعتم فى الغنيمه و اخلتتم مراكزكم فى الحرب و شعبكم الذى يحمى ظهوركم و انهزتم تلك الهزيمه من الله و أنعم عليكم برسوله و ثبات الصادقين فى جهادهم فتراجعتم و انخذل المشركون و أحجموا عن قتالكم فإنكم الأعلون فى هذا الحرب و خاتمتها مهما أصابكم بما كسبت أيديكم «ثانيها» احتمل فى التبيان و المجمع ان تكون جمله «و أنتم الأعلون» ابتدائية أى لا تهنوا و لا تحزنوا ان كنتم مؤمنين و أنتم الأعلون فتكون

متضمنه للبشرى بالعلو المطلق حتى فى المستقبل «ثالثها» ان يراد أنتم الأعلون مطلقا بحسب ما ذكر فى الوجه الأول و بحسب علمكم بما وعد الله رسوله و بشراه لكم بعلو أمر الدين و بوار المشركين فيصح عليه كون الجملة حالیه. و يكون قوله تعالى إِنَّ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ قيدا للتصديق بالبشرى أو للبشرى و على الوجهين الأولين تكون مبينه ان انتهاءهم عن الوهن و الحزن تابع لإيمانهم بالله. و يجوز ايضا على الوجه الأول ان تكون قيدا لإذعانهم و ايمانهم بأن ما ذكر فيه من علوهم فى أول الحرب و خاتمتها كان من نصر الله لهم. و الأظهر هو الوجه الثالث

سوره آل عمران (٣): آيه ١٤٠

إِنَّ يَمْسَسِيكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠)

١٣٦ إِنَّ يَمْسَسِيكُمْ قَرْحٌ لعل التعبير بالمس لتهوين ما أصابهم بيان انه مس لا نكايه و القرع بفتح القاف فسره فى التبيان و مجمع البيان و الكشاف بالجرح و عن مجاهد جراح و قتل.

و يجوز ان يكون واحد القروح كناية عما أصابهم و هو الأظهر فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ المشركين قَرْحٌ مِّثْلُهُ قيل ان ذلك اشاره الى ما أصاب المشركين يوم بدر و هو المروى عن الحسن البصرى. و لكن الأظهر و المناسب للمقام و أسلوبه و تسليته و تشجيعه ان يراد ما أصاب المشركين يوم احد فقد قتل منهم يومئذ خلق كثير من شجعانهم و اهل نجدتهم فقد عدّ فى التاريخ عشره و عشره و فلانا و فلانا بحيث لا يقل عن شهداء المسلمين بكثير. و أما قوله تعالى فى الآيه التاسعه و الخمسين بعد المائة «قَدْ أَصَابَكُمْ مِثْلُهَا» فيمكن ان يراد به القتلى و الأسرى من المشركين فى يوم بدر و يمكن ان يراد به قتلى المشركين فى بدر واحد و لكن هون على المشركين يوم احد انهم أدركوا فيه شيئا من ثار بدر و لم يصدموا بصدمة. و شدد على المسلمين ما لقوه انه على خلاف ما يرجونه من نصر الله لهم و لدين الحق و انهم أذنبوا بفرارهم فنالهم بعض الخذلان و لذلك صارت حربهم بانثيالهم على اطماع الغنائم و فرارهم حربا عاديه لم تستمر معها روح النصر الأول فجرت على سنه الحروب المبتنيه غلبتها على الاقدام و الفرار و الكثره و القله و ما يعرض من الأحوال الحرييه و التقدير الإلهى المنوط بالأسباب العاديه فى عالم التكوين من مداوله الأيام بحسب التقدير لأسبابها. و على هذا الوجه قال الله جل اسمه وَ تِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ بمقتضى التقدير على الأسباب. و الأيام عطف بيان «لتلك» اى ايام الحرب او ايام الدنيا.

و نداولها خبر. و جرى ما جرى على مقتضى أحوال الناس من نفاق عبد الله بن أبي و أصحابه و رجوعهم من الجيش و من مخالفه من خالف كالكثير من اصحاب عبد الله بن جبير و من فرار من فر و كان ما كان من جرى الأمور على أسبابها لإجراء الأمور على مقاديرها وَ لِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَى و لتكون العاقبه ان يتحقق فى الخارج ايمان الذين آمنوا و اتبعوا الرسول إلى الحرب و جاهدوا و يعلمهم الله فى الأنزل بعلمه التابع و يقارن ذلك فى استمراره عملهم فى الإيمان و الجهاد وَ يَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ اى و لتكن العاقبه ان يفوز بعضكم بالشهادة. و فى التعبير بقوله تعالى «وَ يَتَّخِذَ» تكريم عظيم للشهداء إذا كان استشهادهم باتخاذهم لهم و اختياره لهم الحسنى وَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ و لكنكم فررتم و خالفتم فتسلط عليكم الظالمون بحسب مجرى الأسباب و المقادير و احوال الحرب

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٤١ الى ١٤٢

وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ يَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَ يَعْلَمِ الصَّابِرِينَ (١٤٢)

١٣٧ وَ لِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَى و لتكن العاقبه ايضا تمحيص المؤمنين من غيرهم. و التمهيص التخليص اما من شين الخليط بتمييز المؤمن بإيمانه من غيره. و اما بتخليص المؤمن من الذنوب و الأظهر الأول وَ يَمْحَقَ الْكٰفِرِينَ بنقصهم شيئا فشيئا حتى يضمحلوا ١٣٨ أَمْ حَسِبْتُمْ أَمْ مَنْقُطُهُ فى مقام الاستفهام الانكارى أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ جملة «و لما يعلم» حال من «تدخلوا» و كلمه «لما» تفيد النفي المستمر إلى زمان الخطاب او متعلق الحال لما هو فى مقام الوقوع.

اى حسبتم ان تدخلوا الجنة حال عدم علم الله التابع من الأنزل إلى أوان دخول الجنة بجهاد المجاهدين. و حاصل المعنى أَمْ حسبتم ان تدخلوا الجنة و لما يجاهد المجاهدين منكم فذكر علم الله لأنه لازم للوقوع و فى ذلك اشاره الى وقوع الجهاد و حصول المجاهدين و الصابرين وَ يَعْلَمِ الصَّابِرِينَ بنصب يعلم بان مضمرة و الواو بمعنى مع أى يعلم الذين جاهدوا مع علمه بالصابرين. كما يقال لا تأكل السمك و تشرب اللبن بنصب تشرب أى لا تأكله مع شريك اللبن و يكون العلم بالصابرين قيذا لاثر العلم بالمجاهدين و حاصله ان دخولكم الجنة منوط بجهاد المجاهدين مع صبر الصابرين الثابتين مده الجهاد فى مركز الحرب و احتدام لظاها. فلا تظنوا انكم تدخلون الجنة

لولا هذين العمادين الذين قام بهما الدين و انتظمت جامعه الإسلام و الهدى و بصبر الصابرين فى ذلك و صادق جهادهم و ثباتهم حفظت فى ذلك اليوم شوكة الإسلام فتيسر رجوعكم إلى الرسول الأكرم بالكره و توبتكم من الفرار من الزحف فتأهلتهم لدخول الجنه ببركه الإسلام و صالح الأعمال. هذا و المحصل من واقعه أحد بحسب التاريخ و الحديث ان عليا (عليه السلام) قتل طلحه من بنى عبد الدار صاحب لواء المشركين و اكثر الحديث و التاريخ و أصححه انه عليه السلام قتل تسعه تعاقبوا على حمل لواء المشركين من بنى عبد الدار و عاشرهم صواب مولاهم و اشتدت الحرب فانهم المشركون فانثال المسلمون على الغنيمه و طمع فيها اكثر اصحاب عبد الله ابن جبير و لم يصغوا إلى نهى عبد الله عن مبارحه الشعب و لم يحفظوا وصيه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و امره بذلك فلم يبق مع عبد الله إلا عشره فما دون فاغتنم ذلك خالد بن الوليد و هجم عليهم بخيل المشركين فقتلهم ودهم المسلمين من ورائهم و هم غارون بالغنائم ففر المسلمون بهزيمه مهوله و الذى اتفق التاريخ على انه ثبت فى ذلك فى حومه الحرب و الدفاع عن رسول الله هو امير المؤمنين على و اختلف فى غيره و ربما تذكر لبعضهم اعمال بغد ان فاء المسلمون إلى رسول الله من فرارهم فيحسب انه كان من الثابتين الذين لم يفروا.

روى الطبرانى فى الكبير كما فى كنز العمال و منتخبه مسندا عن أبى رافع لما أقبلت على على يوم احد اصحاب الأولويه قال جبرائيل يا رسول الله ان هذه لهى المواساه فقال النبى (صلى الله عليه و آله) انه منى و انا منه فقال جبرائيل و انا منكما يا رسول الله،

و روى ابن جرير فى تاريخه مسندا برجال الصحه عندهم عن محمد ابن عبيد الله بن أبى رافع عن أبيه عن جده لما قتل على اصحاب الأولويه ابصر رسول الله جماعه من مشركى قريش فقال لعلى احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم و قتل عمرو الجمحى ثم ابصر رسول الله جماعه من مشركى قريش فقال لعلى احمل عليهم فحمل عليهم ففرق جمعهم و قتل شيبه بن مالك فقال جبرائيل يا رسول الله ان هذه لمواساه فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله) «انه منى و انا منه» فقال جبرائيل و انا منكما قال فسمعوا صوتا «لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا على».

و ذكر نحوه ابن الأثير فى تاريخه

إلا انه لم يذكر المقتولين فى الحملتين. و فى اللئالى المصنوعه

عن ابن عدى مسندا برجال الصحه عندهم عن محمد المذكور عن أبيه عن جده قال كانت رايه رسول الله (صلى الله عليه و آله) يوم احد مع على (عليه السلام) و رايه المشركين مع طلحه بن أبى طلحه فذكر خبرا طويلا و فيه و حمل رايه المشركين سبعة و يقتلهم على (عليه السلام) فقال جبرائيل يا محمد هذه المواساه

فقال النبي (صلى الله عليه وآله) انا منه و هو منى ثم سمعنا صائحا فى السماء يقول «لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا على» (١).

و عن ابن المغازلى الشافعى فى المناقب مسندا عن أبى رافع نادى ملك من السماء يوم احد لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا على.

و روى ابن عدى مسندا عن ابن عباس قال صاح صائح يوم احد لا سيف الا ذو الفقار و لا فتى إلا على.

لكن قالع.

ص: ٣٤٩

١- ثم ذكر عن ابن عدى قوله عبيد رافضى يحدث بالموضوعات. أقول و لعل ذلك و هم من الناسخ او الطابع و ان الذى ذكره ابن عدى و رماه بالرفض هو محمد بن عبيد الله فان عبيد الله من رجال الجوامع الست و الظاهر اتفاقهم على انه ثقة. و محمد روى عنه الترمذى و ابن ماجه فى جامعيهما و ذكره ابن حبان فى الثقاه. لكن عن البخارى و أبى حاتم انه منكر الحديث. أقول و ذنبه الذى لا يغفره بعض هو تشيعه و روايته للفضائل و يكشف عن ذلك قول ابن عدى هو فى عداد شيعه اهل الكوفه و يروى من الفضائل أشياء لا يتابع عليها أقول و هذا هو السبب فى عده منكر الحديث و ذاهبا. و من ذلك ان الذهبى غمز عليه بأنه روى عن أبيه عن جده قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلى (عليه السلام) أول من يدخل الجنة أنا و أنت و الحسن و الحسين و ذرياتنا خلفنا و شيعتنا عن ايماننا و شمائلنا. و قد ذكرنا فى صفحه ٤٥ عن ابن عدى انه يعد ما عليه اهل الكوفه من التشيع ميلا عن الحق. و لا يخفى ان التشيع فى الاصطلاح و استعمال اصحاب الرجال من اهل السنه هو غير ما يسمونه رفضا بل هو عباره عن مجانبه معاويه و اتباعه و ولاء على و اهل البيت عليهم السلام و مودتهم أخذا بقوله تعالى قُلْ لاَ أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى لكن هذا التشيع عند بعض ذنب لا يغفر. ففى ميزان الذهبى فى ترجمه عبد الله بن ابراهيم الأنصارى عن أبى بكر القطيعى قوله فيه انه متماسك لكنه من شيوخ الشيعة لارعوا. و فى ترجمه يحيى بن عبد الحميد الحماني انه وثقه ابن معين و غيره و ان ابن عدى ارتضاه و لكنه شيعى بغيض: و قد سرى هذا الداء للذهبي من العصور السابقه ففى اللئالى عن ابن معين انه قال فى أبى الصلت الهروى انه ثقة صدوق إلا- انه يتشيع. و ان العباس بن محمد الدورى و صالح بن محمد بن حبيب و عبد الخالق بن منصور و غيرهم اعترضوا على يحيى بن معين فى توثيقه لأبى الصلت بأن أبا الصلت يروى حديث «انا مدينه العلم و على بابها» فقال لهم يحيى قد رواه الفيدى ايضا. فانظر إلى ما تغلغل فى الصدور من ان روايه هذا الحديث تفتح باب الطعن على راويه و يكون بسببه منكر الحديث. و فى تهذيب التهذيب فى ترجمه على بن غراب عن ابن معين لم يكن به بأس و لكنه كان يتشيع. و عن الخطيب أظنه طعن عليه لأجل مذهبه لأنه كان يتشيع.

ابن عدى ان فى سنده يحيى بن سلمه بن كهيل و هو متروك (١). و

قال ابن ابي الحديد فى أواخر الجزء الثالث من شرحه للنهج روى ابو عمر الزاهد و محمد بن حبيب فى اماليه قال لما فرّ معظم اصحاب النبى (صلى الله عليه و آله) يوم احد كثرت عليه كتائب المشركين و ذكر نحو ما ذكره ابن جرير و زاد ان عليا (عليه السلام) قتل من الكتيبه الأولى عشره و زاد فى قول جبرائيل لقد عجت الملائكه من مواساه هذا الفتى. و ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) سئل عن المنادى فقال (صلى الله عليه و آله) هذا جبرائيل.

ثم قال ابن ابي الحديد و قد روى هذا الخبر جماعه من المحدثين و هو من الأخبار المشهوره و وقفت عليه فى بعض نسخ مغازى ابن اسحق و رأيت بعضها خاليا عنه و سئلت شيخى عبد الوهاب بن سكينه عن هذا الخبر فقال خبر صحيح فقلت فما بال الصحاح لم تشتمل عليه فقال او كلما كان صحيحا تشتمل عليه كتب الصحاح فلکم أهمل جامعوا الصحاح من الاخبار الصحيحه و عن السمعانى فى كتاب فضائل الصحابه بسنده عن الباقر (عليه السلام) و ذكر نحو هذا النداء. و

عن ابن المغازلى انه روى بسنده عن الباقر (عليه السلام) انه نودى بهذا النداء يوم بدر

و روى ابن عدى بسنده عن الباقر (عليه السلام) نادى مناد من السماء يوم بدر يقال له رضوان «لا سيف الا ذو الفقار و لا فتى إلا على» (١).

و عن سبط الجوزى انه نودى فى يوم خيبر و صححه لا سيف إلا ذوه.

ص: ٣٥٠

١- فى التقريب متروك و كان شيعيا أقول هو من رجال الترمذى و روى عنه احمد فى مسنده حبه العرنى و قواه الحاكم و اخرج عنه فى المستدرک و أخذ عنه جماعه و ذكره ابن حبان فى الثقاہ و قال ان فى حديث ابنه عنه مناكير انتهى و ما ادعى كونه متروكا إلا من يأخذ على ظنه التشيع و يثقل عليه حديثه فى الفضائل. و قد غمز عليه الذهبى بذلك فى ميزانه بأنه روى بسنده عن ثوبان عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قوله: «النظر إلى عليّ (عليه السلام) عباده» و قال العجلي كان يغلو فى التشيع. أقول و لك العبره بأن عمران بن حطان و أمثاله من الخوارج المبغضين لأمير المؤمنين (عليه السلام) يحتج بحديثهم فى الجوامع. و الذين يصفونهم بالنصب يصفونهم بأنهم ثقات و يسمون بعضهم أئمه. و ان عمر بن سعد قاتل الحسين (عليه السلام) و تاركة بالعراء بلا دفن و ناهب رحله و سابى عياله يقول الذهبى فى ميزانه فيه انه فى نفسه غير متهم و عن العجلي روى عنه الناس تابعى ثقه و هو الذى قتل الحسين. و فى التقريب صدوق لكنه مقته الناس لكونه كان أميرا على الجيش الذى قتلوا الحسين. فانظر إلى نسبة القتل إلى الجيش مع ان عمر هو الأمر و المثابر و فاعل الأفاعيل.

و ذكر ايضا انه مما روى به النداء ايضا يوم بدر أقول و لا تنافى بين هذه الروايات إذ يمكن صدور هذا النداء فى بدر واحد و خير فإن امير المؤمنين (عليه السلام) قد امتاز فى تلك الأيام بالمواقف العظيمة. فإن قلت الحديث عن أبى رافع مختلف فى لفظه أ فلا- يعد هذا من الاضطراب الموهن للروايه قلت ان الاختلاف انما هو بالنقيصه و هذا ليس من الاضطراب بل تحمل النقيصه على النسيان أو دواعٍ آخر و قد ابتلى الحديث بالاختلاف الذى هو أشد من هذا فإن جل ما تكرر من الحديث فى مسند احمد و الجوامع الست و غيرها او كله لا ينفك عن مثل هذا الاختلاف و ما هو اكثر منه و اكثر فانظر إلى كتب الحديث و اعتبر، «ظريفه» قال الطنطاوى فى صفحه ١٤٣ من الجزء الثانى من تفسيره «فانهزم المسلمون و بقى رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى جماعه من أصحابه كأبى بكر و على و العباس و طلحه و سعد» قلت ربما روى ما يترأى منه ان أبا بكر من الثابتين و لكن المعروف فى الحديث و التاريخ انه ليس ممن دام ثباته فى أول الحرب إلى آخرها و فى صحيح ابن حبان مسندا عن عائشه قالت قال ابو بكر لما كان يوم احد انصرف الناس كلهم عن رسول الله فكنت أول من فاء اليه دع هذا و لكن قل الطنطاوى اين كان العباس يوم احد و العباس لم يدخل فى جامعه المسلمين و يأتى المدينة إلا بعد فتح مكه و أى عباس هذا و لقد تخيلت ان كلمه «و العباس» من غلط المطبعه فنظرت إلى جدول التصحيح فرأيتة صحح من الصفحه المذكوره غلظتين لفظيتين دون هذا المعنوى الكبير نعم ذكر فى صفحه ١٥٤ ان الذين ثبتوا يومئذ مع النبى (صلى الله عليه و آله) من المهاجرين سبعة لم يذكر منهم العباس «فظن خيرا» و ان كان له فى تاريخ الشرق غرائب و أحوالا.

سوره آل عمران (٣): آيه ١٤٣

وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣)

١٣٩ وَ لَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ تَمَنُّونَ فحذفت احدى التائين و مثله شايح كثير فى العرييه و التمنى معروف الموت من قبل أن تلقوه

فى تفسير القمى و فى روايه أبى الجارود عن الباقر (عليه السلام) ان المؤمنين لما أخبرهم بالذى فعل بشهادتهم يوم بدر و منازلهم فى الجنة رغبوا فى ذلك و قالوا اللهم أرنا قتالا نستشهد فيه فأراهم الله إياه يوم احد فلم يثبتوا إلا من شاء الله منهم. و فى الدر المنثور اخرج

-

و فى اللئالى كلا بل هو ثبت ثقه من الأبدال. و فى التقريب صدوق يخطى أقول و لعل نسبته إلى الخطأ جاءته من روايته لهذا الحديث و أمثاله

ابن جرير و ابن المنذر عن ابن عباس و ذكر نحو من ذلك.

و لئن لم تنهض الروايات حجه في ذلك فالآيه ناطقه بما هو نحوه. و مقامها يقتضى ان يكون المراد من الموت المتمنى هي الشهاده فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ قِيلَ رَأَيْتُمْ أَسْبَابَهُ مِنَ الْحَرْبِ وَ الْقِتَالِ أَقُولُ وَ ان الشهاده و القتل و بقاء الأبدان بلا أرواح امر مرئى و لا مانع من ان يراد ذلك مع انه اظهر و اولى. و الرؤيه هي الاحساس بالباصره وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ وَ النظر غير الرؤيه المتعديه إلى مفعولها بل هو اعمال الباصره لأجل الرؤيه و يكفى في بيان المغايره انه لا يتعدى إلا بكلمه «إلى» كما عليه اللغه و استعمال القرآن الكريم اى رأيتموه لا صدقه و أنتم تعملون باصرتكم لأجل رؤيه الحال و القتال و الشهاده و موت الشهداء. و لا ضير في تمنى الشهاده بعد العلم العادى بأن الدفاع في نصره الدين لا بد فيه من ان ينال بعض المسلمين سعادته الشهاده و حياتها الأبدية خصوصا بعد ما يروى من ان النبى (صلى الله عليه و آله) أخبرهم بأنهم يستشهد بعدد اسرى بدر و اين هذا من تمنى تسلط الشرك و نقص عدد المسلمين كما يذكر في الاشكال الواهى

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٤٤ الى ١٤٥

وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَ مَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥)

١٤٠ وَ مَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سلم إِلَّا رَسُولٌ مِنَ الْبَشَرِ الْمَقْدَرِ عَلَيْهِ الْمَوْتُ بِلَوْغِ أَجَلِهِ قَدْ خَلَتْ وَ مضت و سلفت مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ دَعَاهُمْ اللَّهُ فَأَجَابُوا وَ هو مثلهم امره بيد الله يدعوه إلى دار السعاده و الزلفى فيجيب أ فَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ ناكصين عن الطاعه او الدين. و الاستفهام للإنكار عليهم. و قد روى البخارى في باب الحوض و غيره في غيره و لعله من الحديث المعلوم بين الفريقين ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) اخبر بانقلاب ناس من أصحابه وَ مَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى الطاعه او الدين عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَ إنما يهلك نفسه فإن الله غنى عن العالمين وَ سَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ لنعمته عليهم بالإيمان و الشريعة إذ عرفوا ما لهذه النعمه من القدر العظيم فثبتوا عليها ١٤١ وَ لا- تحسبوا ان الموت يأتيكم مصادفه و اتفاقا من عروض العوارض بلا- تقدير من الله فتوهموا انه ينجيكم منه الحذر و الفرار و القعود عن الجهاد بل ما كان و لم يثبت بل و لا يثبت لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ مشيئته و تقديره كتاباً في التبيان و المجمع

و الكشاف انه مصدر منصوب بفعل من لفظه أى كتب ذلك كتابا أقول و يجوز ان لم يكن الظاهر ان يكون بمعنى المكتوب و هو حال مفسره من الاذن مُؤَجَّلًا اى كتبت فيه الآجال بحدودها وَ مَنْ يُرِدْ مِنَ اللَّهِ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَ الْجَزَاءِ فِيهَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا أَى مِنَ الدُّنْيَا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ وَ مَا أَعَدَّهُ اللَّهُ لِطَالِبِيهَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا بِحَسَبِ عَمَلِهِ وَ إِخْلَاصِهِ وَ سَيَنْجِزِي الشَّاكِرِينَ لِلَّهِ عَلَى نِعْمِهِ وَ أَعْظَمَهَا تَوْفِيقَهُمْ لَطَاعَتِهِ وَ طَلَبَ مَا عِنْدَهُ. هذا هو الظاهر من الآيه و ذكر فى التبيان و مجمع البيان أقوالا لا حجه عليها و لا بها

سوره آل عمران (٣): آيه ١٤٦

وَ كَأَيُّنْ مِنْ نَبِيِّ قَاتَلَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرًا فَمَا وَهِنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ مَا ضَعُفُوا وَ مَا اسْتَكَانُوا وَ اللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦)

١٤٢ وَ كَأَيُّنْ الظاهر من المعنى و شرح الكافيه للشيخ الرضى اتفاق النحويين و أمثالهم على انها مركبه من كاف التشبيه و «أى» الموصوله و رسمت النون للمحافظه على التنوين فى الأصل و انها صارت بعد التركيب اسما يفيد معنى «كم» الخيره و التكثير و ان خالفتها من وجوه و ان محلها الابتداء و ما بعد تمييزها خبرها و على ذلك جرى مجمع البيان بل و ظاهر التبيان و أما الكشاف فلم يتعرض فى تفسيره لشيء من ذلك أقول ان لم يجدوا منها فى موارد استعمالها معنى كاف التشبيه و معنى «أى» فمن أين جاؤوا بحديث تركيبها و أصلها و صيرورتها بالتركيب اسما فإن العرب لا يتحدثون و لا يحدثون بمثل ذلك و إنما يستعملون ما فى لغتهم بمقتضى غريزتهم العربيه و على رسلهم بدون تحليل.

و إذا كانوا يجدون منها معنى جزءيها فلما ذا يقولون انها صارت اسما و لماذا لا يجرون على مقتضى جزءيها. و قد جاءت فى القرآن الكريم سبع مرات كما فى الآيه و سور يوسف ١٠٥ و الحج ٤٤ و ٤٧ و العنكبوت ٦٠ و محمد (صلى الله عليه و آله) ١٤ و الطلاق ٨ قال حسان

كأين قد أصيب غداه ذاكم من ابيض ماجد من سر عمرو

و قد تسهل همزتها و تكون على وزن فاعل كقول زهير فى معلقته:

و كائن ترى من صامت لك معجب زيادته او نقصه فى التكلم

مَنْ نَبِيٍّ تَمِيِيزُ وَ بِيَانِ قَاتَلَ خَبَرَ مَعَهُ رَبِّيُونَ كَثِيرًا «رَبِّيُونَ» فاعل لقاتل و فى الكشاف و مجمع البيان جواز ان يكون الفاعل ضمير يعود للنبي و «معه رببون» جمله حالیه

لقاتل و يدفع ذلك ان الجملة الاسميه تحتاج فى كونها حالا إلى ربطها بالواو او بها مع الضمير.

و اما الاكتفاء بالضمير وحده فهو من الضعيف الذى يجلب عنه قدر القرآن الكريم. و الزمخشري يصرح بالضعف فى نحوه. اما الربيون فى الكشاف ان الربى كالربانى هو المنسوب إلى الرب و كسرت الراء من تغيير النسب. يعنى ان النسبه تكون معها تغييرات كثيره فى بناء الكلمه حتى فى أولها كما يقال فى المنسوب إلى الدهر دهرى بضم الدال. و بصريّ بكسر الباء و توافقه احدى الروايتين عن ابن عباس. و قد اختلفت الروايه فى تفسير الربى فى الدر المنثور عن ابن عباس علماء كثير و عنه ايضا جموع. و الجموع الكثيره. و عن ابن مسعود ألوف. و

فى التبيان الربى عشره آلاف و هو المروى عن أبى جعفر يعنى الباقر (عليه السلام)

و لم أجد الروايه و كأنها من روايه أبى الجارود فى تفسيره و هو ضعيف. و

عن العياشى عن منصور بن الصيقل عن الصادق (عليه السلام) ألوف الألوف.

و منصور مجهول الحال و روايه العياشى عنه مرسله. و فى تفسير القمى الربيون الجموع الكثيره و الربوه الواحده عشره آلاف. و فى القاموس الربوه بالكسر عشره آلاف و الربى واحد الربيين و هم ألوف من الناس. و عليه فسبه الربى الى الربوه يحتاج إلى تصرف زائد بقلب الواو ياء ثم حذف الياء مع ان ظاهر الآيه توييح اصحاب النبى (صلى الله عليه و آله) فى احد لأجل و منهم بفرارهم و عدم صبرهم فى الجهاد فى سبيل ربهم و حمايه الدين مع ان اصحاب النبيين قاتلوا معهم فما عراهم ذلك فإذا كان اصحاب كل نبى ينسبون إلى الربوه و الجموع الكثيره و عشرات الألوف لم يأخذ التوييح موقعه من الحجه لأن الجموع الكثيره و عشرات من الألوف فما زاد إلى ألوف الألوف يعتزون بحسب العاده بكثره جموعهم و عدد ألوفهم مضافا إلى كون و صفهم بالكثيرين لا فائده فيه و بهذا تزداد الروايه ضعفا و استيجابا للاطراح اللهم إلا ان يقال انهم ينسبون إلى الربوه و عشرات الألوف فما زاد باعتبار تكرر المعارك الكثيره مع ذلك النبى و تناوب المجاهدين و فى جميعها يشنون. و فيه بعد. و عليه يكون المعنى و كم من نبى قاتل معه فى جهاده كثيرون فثبتوا و صبروا على ما أصابهم فما لكم لم تصبروا و لم يثبت منكم إلا- اثنان و نحو ذلك. و على قول الكشاف ايها المنتسبون إلى الرب و الجهاد فى سبيل ربهم لماذا فررتم و لم تصبروا كما صبر الكثيرون من المنتسبين بالإيمان و الطاعه إلى ربهم الذين جاهدوا فى سبيل ربهم مع الأنبياء فما وَهَنُوا لِمَا آى لأجل ما أصابَهُمْ من شدائد

الحرب و الجهاد في سبيل الله و ما ضَعُفُوا و هذا يدل على ان معنى الوهن اما ما هو قريب في المعنى من الضعف او هو قسم خاص منه فإن محض التأكيد بالمترادفين بعيد فيمكن ان يراد فما اختل نظام اجتماعهم و لم يعرض لهم الهلع و خمود العزائم و ما ضعفت أبدانهم لكونهم استسلموا للرب و الخوف و روعه الحرب و ما استتكانوا الاستكانه الذل و الخضوع. و يحتمل ان يكون ذلك تعريضا بما يروى من ان بعضا هموا بأن يوسطوا عبد الله بن سلول ليطلب لهم الأمان من قريش. بل ان الربيون صبروا صبر الكرام في حروبهم و الله يُحِبُّ الصَّابِرِينَ و كفاهم بذلك فضلا و فخرا

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٤٧ الى ١٤٩

و ما كان قولهم إلا أن قالوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا و إِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا و تَبَّتْ أقدامنا و انصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا و حَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ و اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُزِدُواكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَقْلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩)

١٤٣ و ما كان قولهم في شذائد الحروب و أمثالها إلا أن قالوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا و إِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا قول المستصغر لعمله الخائف من هفوات الزلل و الطالب من الله التسديد و المغفره لما سلف و تَبَّتْ أقدامنا في الجهاد في سبيلك و طاعتك قول الصابر الموطن نفسه على الثبات و الطالب من الله التوفيق و التسديد و انصُرْنَا في جهادنا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ١٤٤ فَآتَاهُمُ اللَّهُ جزاء بما عملوا ثَوَابَ الدُّنْيَا من النصر و الفتح و سائر النعم و حَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ و في ذكر الحسن بيان لعظمه ثوابهم في الآخرة و ان كان كله حسن و اى حسن جزاء لإحسانهم و اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ١٤٥ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا بالطاعه العامه أو في أمر الجهاد و الدين. و قيل ان الآيه نزلت في عبد الله بن أبي سلول الذي رجع من جيش النبي (صلى الله عليه و آله) عن حرب احد بثلاثمائة من أصحابه و صار يخذل المسلمين عن رسول الله. و

في الكشف و مجمع البيان و تفسير البرهان مرسلا عن علي (عليه السلام) نزلت في قول المنافقين أى للمسلمين عند الهزيمه ارجعوا إلى إخوانكم و ادخلوا في دينهم

و عليه يكون مورد النزول من احد المصاديق و الآيه على عمومها يُزِدُواكُمْ عن دين الحق و الإيمان و الجهاد إلى الوراء و الضلال عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَقْلِبُوا بردهم إلى الضلال خاسرين و كفى بذلك هلكه

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٥٠ الى ١٥٢

بَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) سَيُنْفِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١) وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعَدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَتِنْتُمْ وَ تَنَارَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَ عَصَيْتُمْ مَنْ بَعْدَ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَ لَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢)

١٤٦ يَلِ اللَّهِ مَوْلَاكُمْ وَ ولى أمركم و هو لكم و ناصركم وَ هُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ١٤٧ سَيُنْفِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ قَدِ اسْتَفَاضَ الْحَدِيثُ بِأَنَّ الْمَشْرِكِينَ رَجَعُوا مِنْ حَرْبِ أَحَدٍ إِلَى مَكَّةَ مَرْعُوبِينَ وَ الْآيَةَ عَامَةً فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) مَنْصُورًا بِرُعْبِ أَعْدَائِهِ مِنْهُ كَمَا يَشْهَدُ بِهِ الْحَدِيثُ وَ التَّارِيخُ وَ أَحْوَالُ الْمَشْرِكِينَ وَ حُرُوبُهُمْ لِلْمُسْلِمِينَ بِمَا أَشْرَكُوا أَى بِسَبَبِ إِشْرَاكِهِمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ فِي إِلَهِيَّتِهِ وَ اسْتِحْقَاقِهِ لِلإِشْرَاكِ مَعَ اللَّهِ فِي الإِلَهِيَّةِ سُلْطَانًا وَ حِجَّةً مِنْ عِنْدِهِ فَإِنَّ كُلَّ هَؤُلَاءِ الْمَشْرِكِينَ قَدْ أُسِّسُوا شِرْكُهُمْ عَلَى الإِعْتِرَافِ بِاللَّهِ وَ إِلَهِيَّتِهِ وَ مَا لَهُ مِنْ كَمَالِ الإِلَهِيَّةِ. وَ لَكِنْهُمْ يَزْعُمُونَ فِي الشَّرْكَاءِ أَنَّهُمْ آلُهُ صِغَارٌ بِحَسَبِ مَا صَوَّرَهُ لَهُمْ ضَلَالَهُمْ مِنَ الْوِلَادَةِ مِنَ اللَّهِ أَوْ تَنْزِلَاتِ الإِلَهِيَّةِ وَ نَحْوِ ذَلِكَ فَتَقُومُ الْحِجَّةُ عَلَى الْمَشْرِكِينَ بِأَنَّ اللَّهَ جَلَّ شَأْنُهُ كَيْفَ يَهْمَلُ شَأْنَ الإِلَهِ الْمَتَوْلَدِ مِنْهُ أَوْ الَّذِي هُوَ مِنْ تَنْزِلَاتِهِ وَ لَا يَنْزِلُ سُلْطَانًا عَلَى إِلَهِيَّتِهِ وَ مَقَامِهِ فِيهَا وَ اسْتِحْقَاقِهِ لِلْعِبَادَةِ كَمَا يَزْعُمُونَ فَإِنَّهُ جَلَّتْ أَلْيَؤُهُ لَمْ يَتْرِكْ نَبِيًّا يَبِيعُهُ بَدُونَ إِقَامَةِ الْحِجَّةِ عَلَى نُبُوَّتِهِ لِثَلَاثِ مَقَامِهِ وَ تَضْيِيعِ الْفَائِدَةِ مِنْ نُبُوَّتِهِ فَكَيْفَ يَضْيِيعُ الْفَائِدَةَ وَ يَبْطُلُ الْحُكْمُ فَلَا يَقِيمُ حِجَّةً وَ لَا يَنْزِلُ سُلْطَانًا بِإِلَهِيَّةِ مَنْ تَوْلَدَ مِنْهُ أَوْ صَارَ مِنْ تَنْزِلَاتِهِ. دَعِ عَنْكَ هَذَا التَّقْرِيرَ وَ لَكِنْ مِنْ أَيْنَ لَهُمُ الْحِجَّةُ عَلَى إِلَهِيَّةِ شُرَكَائِهِمْ وَ هَلْ نَزَلَ اللَّهُ بِذَلِكَ سُلْطَانًا يَحْتَجُّونَ بِهِ فَإِنَّ مَرْجِعَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَى أَوْهَامِ الضَّلَالِ. وَ هَذِهِ حِجَّةُ الزَّامِيَّةِ عَلَى الْمَشْرِكِينَ زِيَادَةً عَلَى الْحِجَّةِ الْعَقْلِيَّةِ عَلَى وَحْدَةِ الإِلَهِ وَ بَطْلَانِ الشَّرْكِ وَ إِنْ كُلُّ مَا يَشْرُكُونَ مَعَ اللَّهِ مَلْزُومٌ بِلُؤَامِ الْمَخْلُوقِيَّةِ وَ الْحُدُوثِ وَ امْتِنَاعِ إِلَهِيَّتِهِ وَ مَأْوَاهُمْ النَّارُ وَ بِيئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ الْمَأْوَى هُوَ الْمَحَلُّ الَّذِي يَعْدُ وَ يُؤْتَى لِيَسْتَرَاخَ وَ يَحْتَمِيَ بِهِ. وَ الْمَثْوَى هُوَ الْمَحَلُّ الَّذِي يَطُولُ الْمَكْثُ فِيهِ. وَ جَرَى التَّعْبِيرُ بِالْمَأْوَى تَبْكِيتًا بِسُوءِ عَاقِبَتِهِمْ. وَ إِنْ النَّارُ مَثْوَاهُمْ وَ مَحَلُّ مَكْتِهِمْ وَ بِيئْسَ الْمَثْوَى الْمَعْدُ لِلظَّالِمِينَ ١٤٨ وَ لَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعَدَهُ لَكُمْ بِالنَّصْرِ وَ ظَهَرَ لَكُمْ مَصْدَاقُهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ أَى تَقْتُلُونَهُمْ بِنَصْرِ اللَّهِ وَ مَشِيئَتِهِ. وَ فِي التَّبْيَانِ الْحَسُّ هُوَ الْقَتْلُ عَلَى وَجْهِ الإِسْتِئْصَالِ. وَ فِي النِّهَايَةِ حَسُومٌ بِالسَّيْفِ حَسَا اسْتَأْصَلُوهُمْ قَتْلًا. وَ فِي الْكِشَافِ تَقْتُلُونَهُمْ قَتْلًا ذَرِيعًا. وَ عَلَى هَذَا يَدُورُ كَلَاءُ

اللغويين فى كتبهم. قال عتبه الليثى:-

نحسهم بالبيض حسا كأننا نفلق منهم بالجماجم حنظلا

و الحسيس القتيل. قال صلاءه بن عمرو كما فى لسان العرب و غيره

نفسى لهم عند انكسار القنا و قد تردوا كل قرن حسيس

و قد كان فى قتل المسلمين للمشركين فى أول الحرب يوم احد قتل استئصال فقد استأصلوا حملة اللواء بنى عبد الدار و سرى القتل الذريع فى المشركين حتى انهزموا و أكب المسلمون على رحالهم للغنائم و كان ذلك القتل و الانهزام بإذن الله و نصره على خلاف الموازنه الحربيه و مصادمه القوه بالقوه و كثره عدد المشركين و عدتهم فقد كانوا نحو اربعه أمثال المسلمين المجاهدين. و فى التبيان إذ تحسونهم يوم بدر حتى إذا فشلتم يوم احد. و فى مجمع البيان أكثر المفسرين على ان المراد بالجميع يوم احد و نقل ما ذكره التبيان عن أبى على الجبائى.

و ما ذكرناه مقتضى سوق القرآن فهو الظاهر و عليه روايتا ابن عباس فى الدر المنثور و ان كان فيما صححوه منها ظهوره فى حضور ابن عباس يوم احد و هو خلاف المعروف من التاريخ من ان ابن عباس لم يكن حينئذ مهاجرا بل لم تعرف هجرته إلا بعد فتح مكه حتى إذا فشلتكم أى ظهر مصداق وعد الله لكم بالنصر و صرتم تقتلونهم قتلا ذريعا و دام ذلك حتى إذا فشلتم انقطع ذلك بسبب فشلكم و ما جرى منكم. و فسر الفشل بالجبن اى جبنهم حينما كر عليهم المشركون بعد فرارهم. و على هذا يكون العطف بعد ذكر الفشل على خلاف الترتيب و هو سائغ مع الواو و تنازعتم فى الأمر و من ذلك ما وقع من الرماه اصحاب ابن جبير فى الشعب حيث رغب أكثرهم فى الغنيمه و خالفوا امر الرسول و فارقوا الثابتين الأمرين لهم بالثبات فى مركزهم و عَصَيْتُمْ بِالذَّهَابِ مِنَ الشَّعْبِ إِلَى الْغَنِيمَةِ وَ فَرَارَكُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ اللَّهُ مَا تُحِبُّونَ مِنَ النَّصْرِ وَ قَتَلَكُمْ لَهُمْ وَ هَزَمْتَهُمْ ١٤٩ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا فَآثَرَ الْغَنِيمَةَ عَلَى طَاعَةِ الرَّسُولِ أَوْ آثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْفِرَارِ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ فَثَبَّتْ وَ جَاهَدَ جِهَادَ الصَّابِرِينَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ عَطْفَ عَلَى صَدَقْتُمْ اللَّهَ اى صرفكم

بما اقتضاه التقدير في احوال الحرب و التخاذل فيها فوكلكم إلى أنفسكم لِيَتَّبِعِكُمُ اللَّامُ لِلغَايَةِ أَى و من غايات ما جرى ان يمتحنكم و تظهر اعمالكم فيرفع الله درجات الصابرين وَ لَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ أَى عمن خالف و لم يصبر و هذا العفو من فضل الله ببركه ايمانكم

سوره آل عمران (٣): آيه ١٥٣

إِذْ تُصَيِّدُونَ وَ لَا تَلُؤُونَ عَلَى أَحَدٍ وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا مَا أَصَابَكُمْ وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣)

وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ١٥٠ إِذْ تُصَيِّدُونَ «إذ» ظرف لصرفكم و المراد فرارهم و «تصعدون» بضم التاء من «اصعد» بمعنى دخل و أخذ في الصعود إلى الجبال مثل «انجد و اتهم» او دخل في الصعود في الأرض اى السير فيها قال حسان: «يبارين الأعداه مصعدات» و قال الآخر «هواى مع الركب اليمانيين مصعد» و لا تلتفتون في فراركم و اصعداكم وَ لَا تَلُؤُونَ أَبْدَانَكُمْ عَلَى أَحَدٍ سواء كان داعيا منكم للثبات أو مستجيرا بأحدكم او عدوا محاربا وَ الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ إِلَى نصره و جهاد المشركين.

قيل و كان دعاءه صلى الله عليه و آله إلى عباد الله ارجعوا انا رسول الله

فِي أُخْرَاكُمْ أُخرى القوم الجماعه التى هى آخرهم و الظاهر ان الجار و المجرور متعلق بیدعوكم كما يقال نادى فى الناس. و هذا يقتضى بأن أوائلهم قد أمعت بالفرار و بعدت فيكون الدعاء و النداء فى أخراهم. و يجوز ان يكون حالا من الفاعل فى «يدعوكم» أى حال كونه فى الجماعه التى هى اخراكم من ناحيه العدو و القتال و المراد منها الثابتين فَأَثَابَكُمْ اللَّهُ وَ هُوَ عَطْفٌ عَلَى صَرْفِكُمْ أَى جزاكم. و الثواب الجزاء على الطاعه و المعصيه و ان كثر استعماله فى الطاعه غَمًّا بِغَمٍّ فى التبيان غما على غم و قيل مع غم. و فى تفسير القمى و الدر المنثور فى تفسير غما بغم بيان السبب للغم روايات لا تنهض حجه للتعويل عليها خصوصا مع التعارض فى روايات الدر المنثور. و فى الكشاف غما بسبب غم أذقتموه رسول الله بعضيانكم انتهى و لا حجه على ما قال و قال بعد ذلك ما حاصله يجوز ان يكون فاعل اثابكم هو رسول الله (صلى الله عليه و آله) أى كما اغتمتم لما اصابه غمه ما نزل بكم و آساكم بغمه لتسليتكم لِكَيْلَا- تَحْزَنُوا الْآيَةِ انتهى و هو اجنبى عن سوق الآيات و حال الواقعه. و الغم معروف و ان فسر بالحزن لكن الاستعمال و التبادر يشهدان بأنه عباره عن حاله معروفه تعرض على الإنسان عند المصائب و الحزن بضيق بها صدره و هى اقرب إلى معنى الكرب من الحزن لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ من

الظفر بعدوكم و انتصاركم عليه و ما أصابكم من اثم المعصية لله و المخالفه لرسوله و الهزيمه و وبالهما الدينوى من الانكسار و الوهن و الخوف و الرعب من كره العدو عليكم و على بلادكم و أهليكم هذا هو الظاهر من السياق أى و اثابكم غما بغم و الغايه من تراكم الغموم عليكم ان تذهلوا عن الحزن المذكور و الله خير بما تعملون لا تخفى عليه من اعمالكم و وجوهها خافيه

سوره آل عمران (٣): آيه ١٥٤

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَهُ مِنْكُمْ وَ طَائِفَهُ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَيْلَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)

١٥١ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَى طَائِفَهُ مِنْكُمْ أى يشغلهم و يغفلهم عن الخوف فتساوى حالتهم حاله الآمن كقوله تعالى فى سورة الأنفال فى ذكر وقعه بدر ١١ إِذِ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَ هَذَا نَحْوُ مِنَ اللَّطْفِ بِهَذِهِ الطائفة الذى عراهم فى جملة غمومهم غم المعصية بالفرار خوفا من الله و ندما على الذنب و طائفة أخرى منكم و هم الذين لم يكونوا أهلا لهذا اللطف بل هم مرتكسون فى همومهم و غمومهم قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ فى امر الحياه الدنيا و قد يسوا من النصر «طائفة» مبتدأ و جملة قد أهتمهم خبر يظنون بالله غير الحق فى وعده لرسوله بالنصر و ان يظهره على الدين كله ظن الجاهلية و الجملة خبر ثان يَقُولُونَ حال من ضمير «يظنون» او خبر ثالث هيل لنا من الأمر من شىء أى من النصر و ان لم يكن خطابا لرسول الله بل فيما بينهم فيحتمل ان يريدوا من الأمر الحق و يكون استفهامهم إنكاريا كما يومى اليه ما يأتى قُلْ لهم يا رسول الله فى جواب سؤالهم منك أو محاورتهم فيما بينهم إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ و بيده ازمه الأمور يُخْفُونَ فى أَنْفُسِهِمْ عليك ما لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ فى أنفسهم او فيما بينهم فى محاورتهم لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ يا رسول الله للناس فى بيان الحقيقه ما يكون جوابا لما أخبرتك به مما يخفيه عليك هؤلاء ان امر القتل تابع للتقدير و القضاء ليفوز الشهداء بسعاده الشهاده و يهلك المنافق و المشرك. لَوْ كُنْتُمْ يا ايها الناس فى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ فى الشهاده او الهلاك على حكم قضاء

اللَّهِ. و من غايات ذلك ان يفوز السعيد بسعادته و يشقى الشقى بهوانه وَ لِيَتَّبِعِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ و يظهر مكنونها من الطاعه و النفاق. و التعليل بلام الغايه معطوف على غايه مقدره كما ذكرناه و نحوه مما يدل عليه السياق وَ لِيَمْحَصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ و يخلص ما فى قلب المؤمن المجاهد الصابر من النيات الصالحه و الإيمان الثابت و يميز ذلك عما فى قلوب غير الصابرين و قلوب المنافقين و الكافرين وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ و ما فيها و لكن الابتلاء و التمحيص لظهور ذلك فى الخارج بعروض المحركات

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٥٥ الى ١٥٦

إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَ مَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦)

١٥٢ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ مِنْهَزِمِينَ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فى احدٍ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ و أوقعهم بالزله بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا اى بسبب انقيادهم اليه بما كسبوه من الذنوب التى سهلت له استزلالهم بمثل هذا الذنب الكبير وَ لَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ بسبب توبتهم و بركه الرسول الأكرم إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لَمَنْ يَحْسِنُ التَّوْبَةَ حَلِيمٌ فلم يعاجلهم بالعقوبه ١٥٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ فَيُنْسِبُونَ حَوَادِثَ الْكُونِ إِلَى صُدُوفِهَا الْعَادِيهِ دُونَ تَصَرُّفِ اللَّهِ فِي الْعَالَمِ وَ جَرِيَانِ الْأُمُورِ بِمَشِيئَتِهِ وَ تَقْدِيرِهِ وَ قَضَائِهِ وَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ مِنْ قَبِيلِهِمْ وَ قَوْمِهِمْ أَى فى شَأْنِ إِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ سَفَرًا عَادِيًّا أَوْ كَانُوا غُزًى وَ مَاتَ بَعْضُهُمْ أَوْ قُتِلَ. وَ الْغُزَى جَمْعُ غَازٍ كَشَهْدٍ وَ عَوْدُ جَمْعٍ شَاهِدٍ وَ عَائِدٍ. وَ جِءَ بِكَلِمَةِ «إِذَا» لِأَنَّ هَذَا الْقَوْلَ مِنْهُمْ كَلِمَةٌ وَ ظَرْفُهُ كَلِمَةٌ بِالنِّسْبَةِ لِلسَّفَرِ وَ الْغُزَى وَ لَيْسَ الظَّرْفُ وَقْتًا شَخْصِيًّا لَكِي يُقَالُ «إِذَا» لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا وَ لَمْ يَسَافِرُوا وَ لَمْ يَغْزُوا مَا مَاتُوا وَ مَا قُتِلُوا يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ بِكُفْرِهِمْ وَ سُوءِ رَأْيِهِمْ وَ يَقُولُونَ لِيَجْعَلَ اللَّهُ أَى وَ مِنْ غَايَاتِ ذَلِكَ ان يَجْعَلَ بِتَقْدِيرِهِ ذَلِكَ الْعَقْدَ وَ ذَلِكَ الْقَوْلَ حَسْرَةً فى قُلُوبِهِمْ اى سبب حسره إذ يأسفون و يقولون فى اسفهم و حسراتهم لماذا تركناهم يسافرون. لماذا تركناهم يغزون وَ اللَّهُ يُحْيِي وَ يُمِيتُ

بيده أمر الحياه و الموت لا- كما يزعمون بكفرهم. فكم من حاضر و هو فى صحه و دعه قد أماته الله و كم من مسافر و غاز يقاسى الشدائد و الأهوال و يرده الله سالما و الله بما تَعْمَلُونَ يا ايها الذين آمنوا أو يا ايها الناس بَصِيرًا لا يخفى عليه شىء منها و لا من وجوهها فاتقوا الله فى اعمالكم و منها أقوالكم

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٥٧ الى ١٥٩

وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٍ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِيَالِي اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنَّ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتُمْ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩)

١٥٤ وَ لَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَكَانَ لَكُمْ الْجِزَاءُ الْعَظِيمُ وَ وَقَعَ اجْرَكُمْ عَلَى اللَّهِ وَ مِنْ اجْرِكُمُ الْمَغْفِرَةُ وَ الرَّحْمَةُ وَ مِنْ ذَا الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِمَا وَ لَمَغْفِرَةٌ مِنْ مَصَادِقِ الْمَغْفِرَةِ مِنَ اللَّهِ وَ رَحْمَةٌ مِنْ مَصَادِقِ الرَّحْمَةِ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ مِنْ حَطَامِ الدُّنْيَا ١٥٥ وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ لِيَالِي اللَّهِ تُحْشَرُونَ وَ عَدَا مَوْكِدًا بِلَامِي الْقِسْمِ وَ لَا تَفُوتُونَهُ بَلْ يَجَازِيكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ أَنْ خَيْرًا مِنْهَا فَخَيْرٌ أَنْ شَرًّا فِشْرًا. أَوْ وَ لَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِلَّهِ تَحْشَرُونَ وَ عَلَيْهِ تَقْدِمُونَ فَيُوفِيكُمْ أَجْرَكُمْ ١٥٦ فِيمَا رَحِمَهُ قَالَ فِي التَّبْيَانِ أَنْ «مَا» زَائِدَةٌ جَاءَتْ مَوْكِدَةً لِلْكَلَامِ وَ زَادَ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ بِاجْمَاعِ الْمَفْسَرِينَ. وَ دَعَا الْإِجْمَاعَ فِي غَيْرِ مَحَلِّهَا فَقَدْ حَكَى فِي التَّبْيَانِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ الْمَغْرِبِيِّ أَنْ «مَا» بِمَعْنَى «أَيُّ» أَيْ بِأَيِّ رَحْمَةٍ. وَ حَكَاهُ ابْنُ هِشَامٍ عَنِ جَمَاعَةٍ وَ أَنْ أُورِدَ عَلَيْهِ مَا لَا يَرُدُّ وَ فِي حَوَاشِي الْمَعْنَى لِلشُّمْنِيِّ عَنِ أَبِي الْبَقَاءِ عَنِ الْأَخْفَشِ وَ غَيْرِهِ وَ حَكَى نَقْلَهُ أَيْضًا عَنِ ابْنِ كَيْسَانَ. وَ قَالَ السَّيِّدُ الرَّضِيُّ فِي حَقَائِقِ التَّأْوِيلِ وَ لِأَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ مَذْهَبًا أَنَا أَذْهَبُ إِلَيْهِ وَ هُوَ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الْحُرُوفِ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ إِلَّا لِمَعْنَى مَفِيدَةٍ وَ قَالَ الرَّضِيُّ أَيْضًا أَنْ «مَا» مَعْنَاهَا تَفْخِيمٌ قَدَّرَ الرَّحْمَةَ الَّتِي لَا يَنْبَغُ بِهَا لَهُمْ. وَ مَرَجَعَهُ إِلَى مَا قَالَهُ الْحُسَيْنُ وَ إِلَيْهِ يَرْجِعُ اخْتِيَارُ الرَّازِيِّ أَنْ الْمَعْنَى بِأَيِّ رَحْمَةٍ. وَ الْمَقْصُودُ أَيْ الْمَفِيدَةُ لِلتَّفْخِيمِ كَمَا تَقُولُ أَيُّ رَجُلٍ هَذَا. وَ كَثِيرٌ مِمَّنْ ذَكَرْنَا مُتَقَدِّمُونَ عَلَى مَجْمَعِ الْبَيَانِ وَ هُمْ أَسَاطِينُ الْفَنِّ وَ صِيَارِفُهُ اللَّغَةِ وَ الْمَرْجِعُ فِي أَمْثَالِ ذَلِكَ. وَ قَالَ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ قَالَ الْمُحَقِّقُونَ دَخُولَ اللَّفْظِ الْمَهْمَلِ الْوَضْعَ فِي كَلَامِ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ غَيْرِ جَائِزٍ: وَ قَالَ عَنَّا فِي مَعْلَقَتِهِ

يَا شَاهَ مَا قَنَصَ لِمَنْ حَلَّتْ لَهُ حَرَمَتْ عَلَى وَلِيَّتِهَا لَمْ تَحْرَمْ

فَإِنْ مَعْنَى «مَا» مَعْنَى «أَيُّ» التَّعْجِيبُ لِمَنْ غَرَضَ التَّفْخِيمَ وَ كَرَامَةُ قَنَصِهَا بِكَرَامَتِهَا ظَاهِرٌ مِنْ

الشعر و قال الفند الزمانى:

أيا طعنه ما شيخ كبير يفن بال

إلى ان قال: تفتيت بها إذك ره الشكه أمثالى

فإن قوله تفتيت بها يدل على ان «ما» للتعجب بتعظيم أمر الشيخ فى طعنه و قال الفرزدق:

ناديت انك ان نجوت فبعد ما يأس و قد نظرت إليك شعوب

أى بعد أى يأس شديد. هذا و الذين رأيناهم يقولون بزياده «ما» فى الآيه يقولون انها زيدت للتأكيد. أ فلا قائل يقول لهم على أى وجه يكون التأكيد و لماذا يؤكد. نعم يجدون لها معنى لا تنطبق عليه قواعدهم القاصره المستحدثه فيلتجئون إلى تسميته بالتأكيد من الله عليهم بل على سائر البشر لنت لهم و صرت تحتلمهم و تعطف عليهم فى اختلاف آرائهم و أحوالهم و مما يصدر منهم مما لا يرضى لكى ينضموا إليك و يهتدوا بهداك فيقام عمود الدين و تنتظم جماعه الإسلام و تنقمع شوكة الكفر و الضلال و لو كنت فظاً غليظاً القلب فسره فى التبيان و الكشف بالجافى قاسى القلب و هو نحو من أنحاء ما ذكره اللغويون لأنفسوا من حولك و تفرقوا عنك و لكنك على خلق عظيم و بالمؤمنين رؤوف رحيم فأعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم فى الأمر الذى يعرض أى و استصلحهم و استمل قلوبهم بالمشاوره. لا لأنهم يفيدونه سدادا او علما بالصالح. كيف و ان الله مسدده و ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيى يوحي فإذا عزمت على ما أراك الله بنور النبوه و سدذك فيه فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين عليه

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٠ الى ١٦١

إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) وَ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ وَ مَنْ يَغُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١)

١٥٧ إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَ إِنْ يَخْذُلْكُمْ وَ يَكَلِّمُكُمْ إِلَى أَنْفُسِكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ شَبَهَ جَلْ شَأْنَهُ فِي خَذْلَانِهِ لَهُمْ بَاسْتِحْقَاقِهِمُ الْخَذْلَانَ بَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُمْ وَ جَاوَزَهُمْ وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَ إِلَيْهِ يَكُونُ التَّجَائِهُمُ ١٥٨ وَ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَغُلَّ بِفَتْحِ الْيَاءِ وَ الْغُلُولُ هُوَ الْخِيَانَةُ فِي الْغَنِيمَةِ. وَ الْمَعْنَى لَا يَقَعُ الْغُلُولُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَ مَا وَقَعَ هَذَا مِنْ أَحَدِهِمْ

لأنهم معصومون و أمناء الله. و أورد

فى الدر المنثور روايات عن ابن عباس و فى تفسير البرهان عن الصدوق بسند فيه جهاله عن الصادق (عليه السلام) ان الآيه نزلت فى شأن قطيفه حمراء فقدت من الغنيمه يوم بدر فقال بعض الناس أخذها رسول الله «ص».

و فى الروايه عن الصادق «ع» فأظهر الله رسوله على القطيفه و نزلت هذه الآيه.

و فى الروايات عن ابن عباس تعارض و مَنْ يَغْلُلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ و يفضحه الله به من أول حشره ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ أى توفى جزاء ما كسبت عند ما يكون الحساب و الجزاء فيوفى جزاء ما كسب من الغلول و غيره كما توفى كل نفس جزاء ما كسبت ان خيرا فخير و ان شرا فشر تجزاه و افايا أى تاما ما لم يتب المذنب فى الدنيا و يتوب الله عليه فيكون كمن لا ذنب له وَ هُمْ لَا يُظَلَّمُونَ بجزاء المسىء بغير ما كسب و لا ينقص جزاء المحسن

سوره آل عمران (٣): آيه ١٦٢

أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَ بئسَ الْمَصِيرُ (١٦٢)

١٥٩ أَمَّنِ اتَّبَعَ فى اعماله و أقواله و تروكه و دينه و انقياده بالطاعه و الاقتداء و الاهتداء و الاتباع لمن جعل الله ولى امره و فى معاملته مع الناس و مداخلته فى أمورهم الخاصه و ما يعود إلى الهيئه الاجتماعيه رِضْوَانَ اللَّهِ بأن نظر فى كل أمر من هذه إلى رضا الله فيه بحسب ما يدل عليه دين الحق و شريعته الله. و نور الحق المبرأ من الأهواء. و رشاد الفطره و حاسب نفسه فيه و جعل رضوان الله مقصوده الأصلى و متبوعه الوحيد الذى يسير به فى نهج الحق و الصراط المستقيم و السعاده العظمى. قال من رأينا كلامه من اللغويين و المفسرين الرضوان كالرضا مصدر رضى: لكن الظاهر من موارد الاستعمال كونه اسم مصدر و ان معناه أوفر من معنى الرضا. و هل يكون المتبع لرضوان الله على ما ذكر كَمَنْ بَاءَ أى رجع بسوء اعماله و معاصيه و نكوصه عن النهج القويم بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ و صار بذلك عضوا فاسدا و بيئا فى المجتمع البشرى وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَ بئسَ الْمَصِيرُ و لعمر الحق ان هذا التعليم الفائق على إيجازه ليضمن اتباعه و سلوك نهجه فضيله الصلاح و فوز السعاده الفرديه و الاجتماعيه و ان كل تخلق بالأخلاق الحسنه لا تقوم حياته بروح الاتباع لرضوان الله انما هو كصوره المرآه و ظل زائل، و سراب خادع، و لئن راقى صورته المموهه فإنما هو للهيئه الاجتماعيه كالسم فى

الردم: و حكى فى التبيان و مجمع البيان و الدر المنثور حمل الآيه على موارد خاصه و لا مستند لذلك فى مخالفه ظاهر الآيه فى العموم الا أقوال سعيد بن جبير، و الضحاك و ابن جريح و مجاهد و

فى تفسير البرهان عن الكافى بسند فيه ضعف و عن العياشى مرسلًا عن عمار عن الصادق «ع» ان الذين اتبعوا رضوان الله هم الأئمه عليهم السلام.

و الروايه لا تنهض حجه على الحصر.

نعم هم صلوات الله عليهم فى هذه الأمه اظهر الأفراد و أعلاهم درجه

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٣ الى ١٦٤

هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤)

١٦٠ هُيْمَ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ فى التبيان و المجمع تقدير الآيه هم ذووا درجات. المؤمنون ذووا درجات رفيعه و الكفار ذووا درجات خسيسه و فى الكشف نسب هذا إلى القيل «و قال قبله و لم يبين مرجع الضمير أى هم متفاوتون كما متفاوت الدرجات»: يعنى انهم شبهوا فى تفاوتهم بالدرجات فأخبر عنهم بها على نحو الاستعاره كما يقال زيد اسد بالنظر إلى الشجاعه و هو باب من أبواب البلاغه و اولى من التقدير و أظهر و الرازى فى تفسيره جعل عود الضمير على خصوص من اتبع رضوان الله اولى و استدل لذلك بوجوه اربعة لا تنهض حجه نعم فى روايه عمار المشار إليها ما يقتضى ذلك بوجه آخر لو كانت حجه و الله بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ١٦١ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ و أنعم عليهم بالنعمه العظيمه إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ لِيَتَدَيَّ بِهَم بِحَسَبِ الْحِكْمَةِ فى الدعوه العامه لجميع البشر رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ اضافه الأنفس إليهم باعتبار العرييه و القوميه و النشأ معهم بحيث يكونون مطلعين على أحواله و وجوه كماله و ملكاته الفائقه فى الصدق و الأمانه و نحو ذلك مما يقتضى ركون النفس اليه و يدعو إلى تصديقه و الإقبال على الإيمان به. و يعرفون بكونه منهم لسانه و محاوراته و ينقادون اليه و لا تمنعهم نخوه العرييه و عصبية القوميه من ان ينقادوا اليه لو كان من غير العرب. فكان من عظيم اللطف بالعرب و المنه عليهم ان سهل عليهم طريق الإيمان برسول الله بجعله منهم فرفع بذلك ما يقتضيه جهلهم و نخوه القوميه و العرييه من المعائر.

و من منه جلت آلاؤه ان جعل الدليل على رساله و معجزها بلغتهم كما ذكرنا ذلك فى مقدمه فى حكمه كون المعجز للعرب هو القرآن الكريم. فصار الرسول «ص» يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ آيات الله من القرآن فيفهمون معانيها و اشاراتها بدون ترجمه تعسر عليهم وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمْ بِتِلَاوَتِهِ

و تبليغه و خطبه و مواعظه و بيانه الكتاب و الحكمة و إن كانوا الواو للحال و «ان» المكسوره مخففه من المثقله تفيد التأكيد و التحقيق لأنهم من قبل أى من قبل ان يبعث فيهم و يؤمنوا به لفي ضلال مبين من حيث المعارف و الشريعه و الأخلاق و الصلاح و العدل و المدنيه: يا ايها المسلمون من اصحاب احد بحسب نوعكم

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٥ الى ١٦٧

أ و لَمَا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) وَ مَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانِ فَيَاذَنْ لِلَّهِ وَ لِيُعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَ لِيُعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧)

١٦٢ أ و لَمَا خَالَفْتُمْ أَمْرَ الرَّسُولِ وَ اخَلَيْتُمْ مَرَكَزَكُمْ لِلْجِهَادِ وَ انْهَمَكْتُمْ بِالْغَنِيمَةِ وَ فَرَرْتُمْ ذَلِكَ الْفِرَارِ وَ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ لَمْ تَكُنْ أَصَابَتْكُمْ فِي أَوَّلِ جِهَادِكُمْ وَ ثَبَاتِكُمْ مَعَ عَافِيَةِ الْمُشْرِكِينَ الْمُحَارِبِينَ لَكُمْ بَلْ قَدْ أَصَبْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِثْلَيْهَا فَقَدْ قَتَلَ مِنْهُمْ فِي بَدْرٍ وَاحِدٍ مِثْلِي مَا قَتَلَ مِنْكُمْ فِي يَوْمٍ أَحَدٍ. أَوْ إِنْ مَصِيبَةُ الْمُشْرِكِينَ فِي يَوْمِ بَدْرٍ بِقَتْلِهِمْ وَ اسْرَاهِمِ مِثْلًا مَصِيبَتِكُمْ فِي يَوْمٍ أَحَدٍ قُلْتُمْ جَوَابَ لَمَّا أَنَّى هَذَا الَّذِي أَصَابَنَا وَ مِنْ أَيْنَ جَاءَنَا تَقُولُونَ ذَلِكَ اسْتِيحَاشًا وَ اسْتِعْظَامًا قُلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي جَوَابِهِمْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِذْ خَالَفْتُمْ الرَّسُولَ وَ أَسْرَعْتُمْ إِلَى الْغَنِيمَةِ. أَوْ إِذْ خَالَفْتُمْ الرَّسُولَ كَمَا رَوَاهُ فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. أَوْ

إِذْ طَمَعْتُمْ فِي وَقْعِهِ بَدْرٍ بِفِدَاءِ الْأَسْرَى وَ أَنْذَرَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ أَنَّهُ يَقْتُلُ مِنْكُمْ بَعْدَهُمْ فَرَضِيْتُمْ كَمَا فِي الدَّرِّ الْمَنْثُورِ أَنَّهُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَ التِّرْمِذِيُّ وَ حَسَنَةُ وَ ابْنُ جَرِيرٍ وَ ابْنُ مَرْدُودِيهِ عَنْ عَلِيِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ وَ هُوَ الْمَرْوِيُّ عَنِ الْبَاقِرِ (ع).

إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْصُرَكُمْ كَنْصَرِ بَدْرٍ وَ أَعَزُّ مِنْهُ كَمَا رَأَيْتُمْ مَظْهَرَ النَّصْرِ فِي أَوَّلِ الْحَرْبِ يَوْمَ إِذْ قَالَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٦٣ وَ مَا أَصَابَتْكُمْ يَوْمَ التَّتَى الْجَمْعَانِ مِنْ قَتْلِ وَ جِرَاحِ فَيَاذَنْ لِلَّهِ وَ تَقْدِيرِهِ لِلْحَرْبِ وَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ لِيُنَالِ الشَّهَادَةَ مِنْ فَازِهَا وَ فِيهِ غَايَةُ أُخْرَى وَ هِيَ تَمْيِيزُ الطَّيِّبِ بِجِهَادِهِ مِنَ الْخَبِيثِ بِنَفَاقِهِ وَ رَجُوعِهِ مِنَ الْجَيْشِ لِيُعْلَمَ لِيُثَبِّتَ عِلْمَهُ الْأَزْلِيَّ التَّابِعِ وَ يَقَارَنَ فِي اسْتِمْرَارِهِ وَ جُودِ الْمَعْلُومِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا رَسُولَ اللَّهِ لِلْجِهَادِ ١٦٤ وَ لِيُعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَ هُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنِ أَبِي سَلُولٍ وَ اتِّبَاعُهُ وَ قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ اذْفَعُوا عَنْ قَوْمِكُمْ وَ بِلَادِكُمْ وَ حَفَائِظِكُمْ إِنْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ رَغْبَةٌ فِي

الجهاد فى سبيل الله قالوا فى التعلل و النفاق مع ان العدو نزل بعدته و عديده بساحتهم و هو يتغيط حنقا. و القتال معلوم بمجارى العاده و احوال العرب لو نعلم قتالنا لاتبعناكم و كذبوا هم للكفر يومئذ بنفاقهم اقرب منهم للإيمان يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم من النفاق و التحيز للكفر

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٦٨ الى ١٧٠

الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعِدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨) وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠)

وَ الله أعلم بما يكتمون ١٦٥ الذين نافقوا قالوا لإخوانهم أى فى شأن إخوانهم بحسب القبيله و القوميه و قعدوا الجملة اما حاله باضمار «قد» على رأى البصريين و الفراء او بعدم الإضمار على رأى الكوفيين و الأخفش. و اما معطوفه بالواو التى هى لمطلق الجمع أى قعدوا عن القتال و رجعوا من الجيش إلى المدينه لو أطاعونا بالقعود و عدم الذهاب إلى الحرب ما قتلوا و قولهم هذا يرجع إلى جحودهم لكون أمر الموت او القتل بيد الله و بتقديره و قضائه بل ينسبونهما إلى اسباب يمكن دفعها و التحرز عنها. فكأنهم لا ينظرون إلى انه كم شجاع يقذف نفسه فى وطيس الحرب و لهوات الموت ثم يرجع إلى اهله باذن الله سالما. و كم من صحيح وادع فى اهله قد طرقة الموت باذن الله فى مأمنه قل يا رسول الله لهم فى رد زعمهم ان كان الموت مما يستدفع و يتحرز منه فادروا و ادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين فى زعمكم و مغزى قولكم لو أطاعونا ما قتلوا ١٦٦ و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا على ما يتوهم المتوهمون من بطلان ادراكهم و صيرورتهم كالجمادات. و الخطاب صورته للرسول الأكرم و منحاه تعليم الناس بل هم أحياء عند ربهم القادر الرحيم يرزقون ما يتنعمون به فى تلك الحياه السعيده و العالم الحميد حال كونهم ١٦٧ فرحين بما آتاهم الله من فضله من النعيم و يعرفون احوال اهل الدنيا و يسرون بصلاحتهم و نجاتهم به من استحقاق العقاب و يستبشرون عطف على فرحين بالذين لم يلحقوا بهم من

خَلْفِهِمْ بِالْمَوْتِ أَوْ الشَّهَادَةِ أَوْ يَسْتَبْشِرُونَ بِسَعَادَتِهِمْ بِصَلَاحِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ أَوْ بِأَنْ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
فِي يَوْمِ الْجَزَاءِ

سورة آل عمران (٣): الآيات ١٧١ إلى ١٧٢

يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ
لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢)

١٦٨ يَسْتَبْشِرُونَ بِحَالِ آخِرِ كَفْرِهِمْ مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَفَضْلِهِ وَبِأَنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ يُوَفِّيهِمْ
جَزَاءَهُمْ ١٦٩ الَّذِينَ مَبْتَدَأُوا اسْتِجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ إِذْ دَعَاهُمْ الرَّسُولُ إِلَى اتِّبَاعِ جَيْشِ الْمُشْرِكِينَ فِي رَجوعِهِمْ مِنْ حَرْبِ أَحَدِ أَرْهَابِهَا
لَهُمْ فَلَبُوا دَعْوَتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ بِتَلْكَ النَّكْبَةِ وَكَثْرَةِ الْجِرَاحِ فَتَبَعُوهُمْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى حِمْرَاءِ الْأَسَدِ وَهُوَ سَوْقٌ لِلْعَرَبِ
عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَرَجَعُوا وَلَمْ يَلْقَوْا حَرْبًا (١) لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا أَعْمَالَهُمْ فِي الْحَيَاةِ

ص: ٣٦٧

١- و على هذا اكثر ما وجدناه من حديث الفريقين كما هو المحكى عن اكثر المفسرين. و المأثور ان وقعه أحد كانت في السنه
الثالثه من الهجره في يوم الأحد السادس عشر من شوال و خرجوا باستجابتهم إلى حمراء الأسد يوم الاثنين و مكثوا فيها إلى
الأربعاء ثم انقلبوا على وجههم هذا إلى المدينه و قد تكرر في الأحاديث انهم خرجوا و هم جرحى من حرب احد «و الوجه
الثاني» ما في الدر المنثور عن ابن شهاب و مجاهد و عكرمه في احدى روايته ان الآيه نزلت في خروج رسول الله بمن معه
لموعد أبي سفيان في غزوه بدر الصغرى في السنه الرابعه. و في التبيان روى ذلك عن أبي جعفر (عليه السلام) و في مجمع
البيان رواه ابو الجارود عن الباقر (عليه السلام). و ابو الجارود ضعيف. و الذى اعتمد عليه القمى في تفسيره هو الأول و كذا
الشيخ في التبيان و نسب الثانى إلى القليل. و كانت غزوه بدر الصغرى في السنه الرابعه للهجره في شعبان في روايه الدر المنثور
عن مغازى ابن عقبه و دلائل البيهقى و فى تاريخ ابن جرير عن ابن إسحاق. و فى ذى القعدة رأس الحول من وقعه احد عن
الواقدى. و قد كان ابو سفيان جعل الموعد مع رسول الله يوم احد لاعاده الحرب هو بدر فى العام المقبل كما عن ابن إسحاق. و
عن مجاهد قال ابو سفيان موعدكم بدر حيث قتلتم إخواننا. و سميت غزوه بدر الصغرى غزوه السويق لأن أبا سفيان و جيشه
خرجوا من مكه للحرب فلما سمعوا باستعداد رسول الله (صلى الله عليه و آله) للقائهم فى الموعد فشلوا و رجعوا من «مجنه» من
ناحيه مر الظهران أو مما فوق-

الدنيا و دار العمل أى جعلوا أعمالهم حسنه نحو قوله تعالى مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا مِنْهُمْ وَ اتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ الجمله خبر «الذين» و كم و كم ينبغى للإنسان ان يتحذر و يلازم التقوى، و يراقب عاقبته، و يحاسب نفسه فى ايام عمره و يتحرى الإخلاص لله فى اعماله فإن هؤلاء الذين استجابوا لله و الرسول فى تلك الشده و ذلك القرح لم يجر شكر الاستجابه و الوعد بالأجر لجميعهم على رسله بل قسمهم مفاد الآيه فى تبعيضا إلى اللذين أحسنوا منهم و اتقوا و إلى غيرهم و خص الوعد بالأجر بالقسم الأول. فيكون الثناء و الأجر فى حقيقه الأمر فى هذه الآيه و اللتين بعدها إنما هو للبعض و ان كانت صورته جاريه على نوعهم. كما جرى مثل ذلك فى الآيه الأخيره من سوره الفتح فى قوله تعالى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ وَ ذَكَرَ الثَّناءَ الْجَمِيلَ إِلَى أَنْ قَالَ جَلَّ وَ علا وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا فقسمهم بكلمه «منهم» ايضا ذلك التقسيم المرعب و كشف بتقسيم هاتين الآيتين عن حال الإطلاق او العموم فى غيرهما و ابان ان جريانه فى نفس الأمر إنما هو على البعض لا- الكل و يا للأسف و فى الكشاف ان «من» فى «منهم» للتيين مثلها فى قوله تعالى فى آخر سوره الفتح وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً لِأن الذين استجابوا لله و الرسول قد أحسنوا كلهم و اتقوا. و حكى ابن هشام فى المغنى نحوه عن ابن الأنبارى. و من الغريب ممن يعد من النوايح فى النحو و العربيه و الخبره بكرامه القرآن الكريم فى فصاحته و بلاغته و كيف يخفى عليه انه يلزم فى «من» التى لبيان الجنس ان يكون ما تبينه فيه إبهام فى جنسه و يكون فى مجرورها بيان يرفع ذلك الإبهام و يتكفل بإيضاح المراد و يصح ان يحمل على ما يبينه حملا مفيدا ببيانه. إذن فما ذا فى قوله تعالى «منهم» من الإيضاح الجديد الراجع للإبهام و ما هى الفائده فى البيان فى قول القائل الذين أحسنوا منهم و اتقوا: و حكى فى تفسير المنار عن استاذة اختياره لكون «من» فى الآيه للتبعيض لأن من المؤمنين الصادقين من لم يخرج إلى حمراء الأسد يعنى ان الضمير فى «منهم» يعود إلى المؤمنين فى آخر الآيه السابقه أقول و هذا

-

- «عسفان» على نحو مرحلتين من مكه فسامهم اهل مكه جيش السويق و يقولون لهم انما خرجتم تشربون السويق. [.....]

لا يصح إذا كان الموصول و هو «الذين» فى أول الآيه مبتدأ لأن خبره و هو جملة «للذين» يبقى بلا رابط و لذا بنى التلميذ صحه ما قاله استاذة على نصب «الذين» على المدح و أقول ان النصب على المدح مبنى على ان يكون الموصول و هو «الذين» صفه للمؤمنين نحو قول الخرنق بنت عفان من بنى قيس:

لا يبعدن قومى الذين هم سم العداه و آفه الجزر

النازلين بكل معترك و الطيبون معاقد الأزر

و ليس فى هذا النصب على المدح عطف يدل على المغايره. بل لو كان هناك عطف لما اقتضى المغايره بل جرى على نهج قوله تعالى فى سورة البقره ١٧٢ وَ الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَ فى سورة النساء ١٦٠ وَ الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ إِذْ نَفَسُوحًا وَ التَّقْوَى وَ التَّقْوَى وَ التَّقْوَى إِلَى الَّذِينَ اسْتَجَابُوا وَ من أين يعرف؟ ان «الذين» هنا منصوب على المدح فيتأمل فى كلام صاحب المنار و استاذة فى هذا المقام. و ليت شعرى ما هذا التكلف فى تفسير الآيه مع اجماع الأمة على انه ليس كل الصحابه معصومين

سوره آل عمران (٣): آيه ١٧٣

الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣)

١٧٠ الَّذِينَ بَدَلُ مِنَ «الَّذِينَ» الَّتِي هِيَ مَبْتَدَأٌ بِاعْتِبَارِ الْبَعْضِ أَوْ مِنَ الْمَجْرُورِ بِاللَّامِ بِاعْتِبَارِ الْكُلِّ وَ هُوَ الْأَظْهَرُ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ أَى بَعْضَهُمْ. قِيلَ رَكِبَ مِنَ التَّجَارِ وَ

قِيلَ نَعِيمُ بْنُ مَسْعُودٍ الْأَشْجَعِيُّ (١) وَ فِى التَّبْيَانِ وَ الْمَجْمَعِ وَ هُوَ قَوْلُ أَبِي جَعْفَرٍ وَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ أَى الْبَاقِرِ وَ الصَّادِقِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ

إِنَّ النَّاسَ أَى الْمَشْرِكِينَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ جُنْدًا لِحَرْبِكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ ذَلِكَ الْقَوْلَ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَ دِينَ الْحَقِّ وَ وَجُوبَ نَصْرِهِ وَ الْجِهَادِ فِى سَبِيلِهِ أَوْ بوعده بالنصر وَ قَالَوا حَسْبُنَا اللَّهُ نَاصِرًا عَلَى جَمُوعِهِمْ وَ نِعْمَ الْوَكِيلُ عَلَيْهِمْ وَ فِى التَّبْيَانِ وَ الْمَجْمَعِ وَ الْكَشَافِ الَّذِى يُوَكِّلُ إِلَيْهِ الْأَمْرَ. وَ

فِى الدَّرِّ الْمَنْشُورِ أَخْرَجَ ابْنَ مَرْدُويهَ عَنِ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وَجَّهَ عَلِيًّا (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِى نَفَرٍ مَعَهُ فِى طَلَبِ أَبِي سَفِيَانَ فَلَقِيَهُمْ أَعْرَابِيٌّ مِنْ خَزَاعَةَ

ص: ٣٦٩

١- قبل إسلامه و هو الذى القى التخاذل بين بنى قريضة و بين جيش الأحزاب من قريش و غطفان و اتباعهم فى السنه الخامسة فى شوال و بعد ذلك اظهر إسلامه كما هو ماثور فى تاريخ غزوه الأحزاب و الخندق.

فقال ان القوم قد جمعوا لكم فقالوا حسبنا الله و نعم الوكيل فنزلت فيهم هذه الآيه

أقول و يمكن ان يكون امير المؤمنين (عليه السلام) مع النفر كانوا فى مقدمه الطلب أو طلبوهم من حمراء الأسد

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٧٤ الى ١٧٥

فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللّٰهِ وَ فَضْلِ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللّٰهِ وَ اللّٰهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ
أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَ خَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (١٧٥)

١٧١ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مِّنَ اللّٰهِ وَ فَضْلِ وَ لا تخفى دلالة التفريع بالفاء على ان هذا الانقلاب بالنعمة و الفضل كان من المسير الذى استجابوا به لله و الرسول كما ذكر فى الآيتين السابقتين فلا وجه و لا صحه لجعل المراد بالاستجابة هو المسير إلى حمراء الأسد و المراد من الانقلاب بالنعمة و الفضل هو الرجوع من غزوه بدر الصغرى فى العام الثانى كما فى الروايه التى ذكر فى الدر المنثور انها أخرجها النسائى و ابن أبى حاتم و الطبرانى بسند صحيح من طريق عكرمه عن ابن عباس و جرى تفسير الكشاف على نهجها فى التفريق على خلاف التفريع فى الآيه الكريمة لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ مِنْ حَرْبٍ أَوْ نَكْبَةٍ وَ اتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللّٰهِ فى استجابتهم هذه. و هنيئا لمن دام على الإحسان و التقوى كما شرطه الله ففاز بسعاده الأجر العظيم وَ اللّٰهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ وَ من فضله و فقوا لهذه الاستجابة و انقلبوا بنعمه منه و فضل ١٧٢ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ هَذَا تَشْجِيعٌ لِلْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْاِقْدَامِ عَلَى الْجِهَادِ وَ حاصله ان الذين أرادوا ان تخافوا المشركين بقولهم ان الناس قد جمعوا لكم انما نشأ من تسويل الشيطان و دسائسه فى ترويح الضلال فإنه يخوف المؤمنين أولياءه الضالين حمايه منه للكفر و الضلال يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ تَعْدَى خَافَ إِلَى مَفْعُولٍ وَاحِدٍ تَقُولُ خَفْتُ الْكَلْبَ وَ تَعْدَى بِالتَّشْدِيدِ إِلَى مَفْعُولٍ ثَانٍ كَمَا تَقُولُ خَوَّفَنِي عَمْرُو الْكَلْبِ وَ قَدْ يَحْذِفُ الْمَفْعُولُ الثَّانِي كَمَا تَقُولُ خَوَّفَنِي عَمْرُو وَ قَدْ يَحْذِفُ الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ كَمَا تَقُولُ خَوْفَ عَمْرُو الْكَلْبِ وَ كَمَا فى الآيه فهى كما إذا قيل يخوفكم أولياءه كما يروى من قراءتى ابن عباس و ابن مسعود و لكن لفظ «يخوف» فى القراءه العامه أعم و أتم من الفائده فى مقام الذم لابليس و عموم تخويفه للناس أولياءه و عموم أوليائه فى النهى عن خوفهم بنحو يفيد البشرى بالأمن من شرهم لا خصوص قريش فَلَا تَخَافُوهُمْ أَى أَوْلِيَاءِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّ اللّٰهَ نَاصِرَكُمْ كَمَا وَعَدَكُمْ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْتَسِبُهُمْ فَيُنْقَلِبُوا خَائِفِينَ وَ خَافُونَ فَإِنَّ السَّعَادَةَ فى خوف العبد ربه

و تقواه إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ و وعده بالنصر و انه يجب ان يطاع فى امره و نهيه و انه مالك أمر النفع و الضر، شديد العقاب و اليه يرجعون: يا رسول الله

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٧٦ الى ١٧٨

و لا- يَحْزُنُكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا- يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ (١٧٨)

١٧٣ وَ لَا يَحْزُنُكَ بفتح الياء و ضم الزاى يجرى ء «يحزن» بفتح الياء و الزاى للقاصر و بضم الزاى للمتعدى و فى المصباح و هى لغه قريش أقول و عليها استعمال القرآن الكريم كما فى هذه الآيه و ثمانية موارد من سائر السور و على هذه اللغه جاء محزون فى اسم المفعول فى اللغه العامه. و الحزن معروف الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ و يقتحمون جامحين فى وجوه ضلاله و نزغات غيه من دون تريث فى اتباع الهوى و محاده الله و التمرد عليه و لا ترو للنظر فى حجج الإيمان و دلائل الحق، و لا إصغاء إلى داعى الهدى. و من المعلوم ان هؤلاء و أمثالهم قد خرجوا بتمردهم عن اهليتهم للطف الله و رحمه الرسول فلا- يحزن الرسول رحمه لهم بل يحزن لمحادتهم لله و تمردهم على الإيمان به و لذا كانت تسليه الله لرسوله بقوله جل اسمه إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا فَإِنَّ اللَّهَ غَنَىٰ عَنِ الْعَالَمِينَ و «شيئا» واقع موقع المصدر أى شيئا من الضرر و لوقوعه فى حيز النفي يفيد العموم. و لأجل ما ذكر من تمردهم و مسارعتهم فى الكفر خرجوا عن اهليه اللطف و حرموا أنفسهم خيره فلاجل ذلك يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا أى نصيبا من الخير فى الْآخِرَةِ أى يريد حرمانهم و عبر بالاراده تأكيداً لبيان وقوع الحرمان بأنه تعلقت به اراده الله و ما ربك بظلام للعبيد وَ لَهُمْ فوق ذلك عَذَابٌ عَظِيمٌ جزاء بما كانوا يكفرون ١٧٤ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ بعد ما اتضحت حجج الحق و براهين الإيمان من الفطره و الآيات و دعوه الرسول و نور الدلاله فكان الإيمان بعد ذلك كأنه فى حوزتهم فرغبوا فيه و تركوه و اختاروا الكفر كما يرغب المشتري عن الثمن و يستبدل به المبيع الذى يرغب فيه. و يحتمل ان يراد منهم فى هذه الآيه أولئك المسارعون فى الكفر فتكون الآيه تأكيداً للتي قبلها فى الأمر الذى يناسب الحال تأكيداً. و يحتمل ان يكون المراد من يعم أولئك المسارعين و من هو دونهم فى التمرد فتفيد الآيه عموماً و تأكيداً فى ضمنه و لعله اظهر لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٥ وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ

فى أعمارهم و ترخى لهم فى آجالهم لا- نعالجهم بالعقوبه و الإهلاك خَيْرٌ لِّأَنْفُسِهِمْ اى لكل واحد بحسب نفسه التى هى أعز الأنفس عليه و أولاهما بطلبه الخير لها. و ليجرى الكلام على هذا النص فلا يوهم ان الخير و ازدياد الإثم يرجعان إلى المجموع كما لو قيل «لهم» إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيُزِدُوا إِثْمًا اللام فى «لizardوا» للعاقبه مثلها فى قوله تعالى فى سوره القصص ٧ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا» و الحصر فى «إنما» إنما هو باعتبار العاقبه و ان الاملاء لهم ليس فى عاقبته ما داموا على الكفر خير وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ يرون به هوانهم بما كفروا

سوره آل عمران (٣): آيه ١٧٩

ما كان الله ليذّر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب و ما كان الله ليطلعكم على الغيب و لكنّ الله يجتبي من رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩)

١٧٦ ما كان الله فى الآيه بحسب الأقوال وجوه «الاول» فى الدر المنثور اخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس ان الخطاب فى هذه الآيه للكفار و ذكر احتمال ذلك فى التبيان و كذا فى مجمع البيان بنحو تشويش. و لم يذكره فى الكشاف و تفسيرى الرازى و المنار من اسناده فكأنهم لم يعتنوا به. و مقتضى تفسير أبى السعود ان مختار المحققين غيره. و عليه يكون المعنى يا ايها الكافرون ما كان الله بحسب لطفه بعباده ان يتركهم بلا إرسال رسول و لا دعوه حق و يذّر المؤمنين على ما أنتم عليه من الكفر بل يقيم الحجه و ينير البرهان فيؤمن الطيبون و ان عاند أشقياء الضلال و طواغيت الكفر فيميز بذلك الخبيث بضلاله من الطيب الذى يختار هدى الإيمان و ربما يستشهد لهذا الاحتمال بقوله تعالى فى الآيه الثانيه فى طرد الخطاب فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ و لكن لا- شهاده فى ذلك إذ قد جرى أمثاله فى خطاب المؤمنين كما فى سوره النساء ٥٨ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ... إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ١٣٥ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ وَ مُحَمَّدٌ (صلى الله عليه و آله) بعد خطاب الذين آمنوا فى الآيه الثانيه و ثلاثين ٣٥ وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَ الْأَنْفَالُ فى خطاب المؤمنين بخمس الغنائم إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا وَ غير ذلك. مضافا إلى ان الظاهر فى خطاب القرآن كونه خطابا للمؤمنين و حملة على غيرهم يحتاج إلى قرينه و هى مفقوده فضلا عن كون السياق فى الآيات المتقدمه لخطاب المؤمنين «الوجه الثانى» ان يكون الخطاب للمؤمنين و المراد بالخبيث هم المنافقون كما حكاه فى التبيان و المجمع و قال به فى الكشاف و بعض

كتب التفسير «و عليه» فإن أريد من المنافق هو من يظهر الإسلام و يبطن الكفر من حينه لم يوافق ذلك اصطلاح القرآن الكريم فإنه يجعل المنافقين قسما مقابلا للمؤمنين لا قسما منهم كما في قوله تعالى في هذه السوره ١٦٦ وَ لِيُعَلِّمَ الْمُؤْمِنِينَ وَ لِيُعَلِّمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَ سوره العنكبوت ١٠ وَ لِيُعَلِّمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ لِيُعَلِّمَنَّ الْمُنَافِقِينَ وَ الْأَحْزَابَ ٧٢ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ وَ الْمُشْرِكِينَ وَ الْمُشْرِكَاتِ وَ يُتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَ الْحَدِيدَ ١٣ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا. «الثالث» و هو الأظهر الأقرب ان يراد بالخبيث هو من تشرف حينئذ بالإيمان ثم يتمرد بكبائر المعاصي و العظائم لأنه كان سلس القياد للهوى و الشيطان فيسرع إلى موبقات الآثام و الارتداد و الانقلاب على الأعقاب و البغي و الفساد في الأرض و المروق من الدين فينشأ خبثه عن الامتحان فيكون معنى الآية. ما كان الله و ليس من شأنه الكريم و حكمته و لطفه لِيُدْرَ الْمُؤْمِنِينَ مطلقا و هم المتشرفون بصفه الإيمان على ما أنتم ايها الموجودون حين الخطاب من المؤمنين عَلَيْهِ من اشتباه الحال في الظاهر حَتَّى تصدر أوامره و نواهيه بلطفه و حكمته بالشريعة و أساسياتها في سعادته البشر و إكمال الدين و إتمام النعمة و النظام الصالح و يجرى مقاديره بحسب الحكمة فيما يكون عاقبته الابتلاء و الامتحان فتسرع النفوس الأماره التي لم تروض الى اختيارها خبث التمرد و الجماع في الغي. و من آثار ذلك ان يَمِيزَ الْخَبِيثَ باسراعه في اختياره لما أشرنا اليه من موبقات الآثام: يميز بفتح الياء و كسر الميم و سكون الياء مضارع ماز بمعنى فرق و بين مِنَ الطَّيِّبِ الدائب على طاعه الله و اتباع الحق و مخالفه الهوى. و يؤيد هذا الوجه ما في تفسير البرهان عن العياشي عن عجلان بن صالح عن الصادق (عليه السلام) وَ مَا كَانَ اللَّهُ وَ لَا يَلِيقُ بِحُكْمَتِهِ وَ لُطْفِهِ وَ جَلَالِ شَأْنِهِ لِيُطَّلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ فِي شُؤْنِ الشَّرِيعَةِ وَ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنْ أُسَاسِيَّاتِهَا وَ مَوَارِدِ الْامْتِحَانِ لِأَنَّ ذَلِكَ مَقَامٌ كَبِيرٌ لَسْتُمْ أَهْلًا لَهُ بَلْ يَخِلُ ذَلِكَ بِجَامِعَتِكُمْ وَ شُؤْنِ الْإِسْلَامِ وَ انْ أَعْلَامَ بِهَذَا الْغَيْبِ إِنَّمَا يَلِيقُ بِحَسَبِ الْحُكْمَةِ بِمَقَامِ الرَّسُولِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ مِمَّنْ هُوَ أَهْلٌ بِكَمَالِهِ الْاِخْتِيَارِي لَهَا وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ بِحَسَبِ أَهْلِيهِ الرَّسُولِ وَ اقْتِضَاءِ الْمَصْلَحَةِ وَ حُكْمَتِهِ

جلت آلاؤه

لا بالجبر على اجتناء من لم يكن أهلا ولا تقتضى الحكمة اجتناءه. قال فى التبيان و «من» هنا لتبيين الصفه لا للتبعيض لأن الأنبياء كلهم مجتوبون انتهى يريد بذلك انها لتبيين جهه الاجتناء بتبيين جنس المجتوبى كما فى قوله تعالى ما يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ ما نَسْخُ مِنْ آيَةٍ و كما فى قولك عندى عشرون من الدراهم إذا قصدت بالدراهم جنسها المعروف للجمع و العدد

دون ما إذا قصدت بها دراهم معينه هى اكثر من عشرين كما أوضحه الشيخ الرضى فى شرح الكافيه. و لم أجد عاجلا من صرح بالتبيين هنا فى غير التبيان و إن لاح من كلام بعضهم.

و ان كانت «من» للتبعيض يكون الاجتناء إنما هو بما يفضل به بعض الرسل على بعض لا بأصل الرساله و يكون المعنى و الله يجتوبى من بين رسله من يشاء منهم و يفضله بمقام ممتاز من علم الغيب و الكرامه و لكن هذا المعنى لا- يناسب السياق و لا التفريع بقوله تعالى فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ فيما جاؤا به عند الله لأن الله اجتباهم لذلك

سوره آل عمران (٣): آيه ١٨٠

وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)

وَ إِنْ تُؤْمِنُوا وَ تَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ١٧٧ وَ لَا- يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ فيما أوجه الله من الإنفاق بما آتاهم الله مِنْ فَضْلِهِ و فى ذلك احتجاج على الباخلين فيما فرضه الله بأن ما يبخلون به إنما هو من عطاء الله و الفاضل الزائد على حاجتهم الفعلية هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ «خيرا» مفعول ثان ليحسبن و المفعول هو البخل المدلول عليه بقوله تعالى «يَبْخُلُونَ» أو الذى بخلوا به مما آتاهم الله و على كل تقدير يجلوه لمقام مفعوليته و تقديره ضمير الفصل «هو» فلا يقولوا انا حفظنا أموالنا لخيرنا و منافعنا بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ لما فى ذلك من خسه المعصيه و رذيله الشح و سوء الظن بالله و وبال العقاب و حرمان الثواب و خسران فضيله الطاعه و حسن السماحه و الرحمه و الاعانه فى المجتمع. و

فسر ذلك بمنع الزكاه كما رواه فى تفسير البرهان عن الكافى فى صحيحه محمد بن مسلم و عن الكافى و مجالس الشيخ فى معتبره أيوب ابن راشد عن الصادق (عليه السلام). و عن تفسير العياشى عن محمد بن مسلم عن الباقر (عليه السلام) و عن ابن سنان عن الصادق عن آبائه عن رسول الله عليهم السلام و عن يوسف الطاهرى عن الصادق (عليه السلام). و رواه فى الدر المنثور مما أخرجه البخارى عن أبى هريره عن رسول الله (صلى الله عليه و آله). و أخرجه احمد و عبد بن حميد و الترمذى، و صححه. و ابن ماجه و النسائى و ابن جرير و ابن خزيمة و ابن

المنذر و ابن أبي حاتم و الحاكم و صححه عن ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه و آله) و ما أخرجه جماعة و صححه الحاكم أيضا من الحديث الآخر عن ابن مسعود عن النبي (صلى الله عليه و آله).

و روى فى الدر المنثور أيضا روايات أخر تفسير الآية بغير هذا المعنى و لا- اعتداد بها خصوصا ما كانت فى البخل على ذى الرحم فإنها لا تناسب التشديد و الإنذار بقوله تعالى سَيُطَوَّقُونَ ما بَخِلُوا به يَوْمَ الْقِيَامَةِ و فيما أشرنا إليه من أحاديث الفريقين ما معناه ان الله يجعل عقاب ذلك ثعبانا فى عنقه مطوقا به ينهش به. و ما هو من نحو هذا المعنى. فلما ذا يبخلون و لماذا يدخرون و هم عن قريب فانون و تاركون لما بخلوا به

سوره آل عمران (٣): آيه ١٨١

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ ما قَالُوا وَ قَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بَغَيْرِ حَقٍّ وَ نَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْخَرْبِ
(١٨١)

و لله ميراث السماوات و الأرض و الله بما تعملون خبير ١٧٨ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ فى الدر المنثور عن ابن عباس من طريق عكرمه ان القائل لذلك «فناص» قال ذلك لأبى بكر لما دخل بيت المدارس على اليهود.

و عن ابن عباس أيضا من طريق سعيد بن جبير ان اليهود أتوا رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما أنزل الله «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» فقالوا أ فقير ربنا يسأل عباده القرض. فأنزل الله الآية. و بين الروايتين تعارض و فيهما جهات أخر. و فى تفسير القمى قال «رأوا اولياء الله فقراء فقالوا لو كان الله غنيا لأعنى أولياءه» و لا تعرف نسبه هذا النقل الى إمام و الله العالم نعم يعرف مما بعد الآية ان القائلين من اليهود سَنَكْتُبُ ما قَالُوا أى سنحفظ فى الثبوت ما قالوا ليلاقوا نكال جزائه. و هذا أبلغ فى الوعيد من أن يقال «كتبنا ما قالوا» لأن الكتابه فى الماضى ربما تحتل العفو و التفكير و نكتب قَتَلَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ بَغَيْرِ حَقٍّ نسبه قتل الأنبياء إليهم اما باعتبار القبيله أى و نحفظ على قومهم الذين هم مثلهم فى التمرد قتلهم الأنبياء و القوم أبناء القوم. او باعتبار رضا هؤلاء بقتل أسلافهم للأنبياء فيحفظ عليهم إثمهم و نسب إليهم القتل باعتبار القبيله و الأسلاف.

ففى الكافى بسند عن مروك عن رجل عن الصادق (عليه السلام) ان بين القائلين ان الله عهد إلينا و هم الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ و بين القائلين للأنبياء خمسمائه عام

«و أظن ان هذا التقدير على سبيل المثال فى الكثره أو ان الأصل الف و خمسمائه عام»

فألزمهم الله القتل برضاهم بما فعلوا ونحوه روايات العياشى عن سماعه و عن معمر و عن محمد بن هاشم عن حدثه عن الصادق (عليه السلام). و فى الدر المنثور ذكر من اخرج عن الشعبي مثل ذلك و عن العلاء بن بدر انه سأل عن نسيه قتل الأنبياء إليهم و هم لم يدركوا ذلك فقال بمولاتهم من قتل أنبياء الله و نقول لهؤلاء

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨٢ الى ١٨٣

ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (١٨٢) الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالذِّكْرِ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٨٣)

ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ١٧٩ ذَلِكَ بِمَا اى بسبب ما قدّمت أيدىكم و أنّ الله بفتح الهمزه و تشديد النون لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ اى و بأن الله لا- يظلم عباده بعد ان اقتضت حكمته و رحمته ان يخلقهم مختارين فى أفعالهم بأن لا يجعل لهم رادعا نوعيا عن الشر من النهى و الوعيد و الجزاء. او بأن الله لا- يظلم من له الحق بل لا بد من ان يجعل له ما يتشفى به من عقاب الجانى او يعوضه عنه لكن الجانى هنا ليس أهلا للتعويض عنه. او بأن الله ليس بظلام يساوى بين الأنبياء و قتلهم فى السلامه يوم القيامة و النجاه ١٨٠ الَّذِينَ بَدَلْ مِنْ «الَّذِينَ» فى الآيه المتقدمه قالوا كذبا و افتراء إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ الظاهر ان مرادهم من يدعى الرساله لا من يعترفون برسالته و يعلقون الإيمان به على ما قالوه.

بل قالوا «برسول» مداهنه و مغالطه فى الكلام حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ليدل ذلك باعجازه على صدقه فى دعواه الرساله. فى تفسير القمى كان عند بنى إسرائيل طست كانوا يقربون قربان فيضعونه فى الطست فيجىء نار فتقع فيه فتحرقه. و فى الدر المنثور عن ابن عباس فى حديث فاذا تقبل منه أنزلت عليه نار من السماء فأكلته. و هذا و ان كان قاصرا عن الحجية لكن ظاهر الآيه يقارب الصراحه بأن أكل النار للقربان إنما هو من نحو المعجز الخارق للعاده لا من إحراق البشر له بالنار. و

فى صحيح الكافى بسنده عن الباقر (عليه السلام) فى قصه ابنى آدم المذكوره فى الآيه الثلاثين من سوره المائده كما عن العياشى فى تفسيره قوله عليه السلام كان القربان تأكله النار.

و فى الدر المنثور اخرج ابن جرير عن ابن مسعود عن ناس من الصحابه فى حديث فنزلت النار فأكلت قربان هاييل. و اخرج ابن جرير ايضا عن ابن عباس فى حديث فجاءت النار فنزلت فأكلت الشاه: أقول و هذا غير مستحيل عقلا و ان كان

١- لكن صاحب المنار عدل عما ذكرناه من ظهور الآيه المقارب للصراحه و فسرهما بما حكاه عن استاذه من قوله يجوز و هو الأظهر ان يكون المعنى ان يفرض «أى فى شريعته» علينا تقرب قربان يحرق فقد كان فى احكام الشريعه عندهم أن يحرقوا بعض القربان بالنار انتهى و التلميذ قبل ذلك فى استشهاد ذكر التسعه اعداد الأول من الفصل الأول من سفر اللاويين الى ان قال فمن هنا تعلم انهم كانوا يوقدون النار بأيديهم و يحرقون بها القرايين و لكن اليهود كانوا يلقون إلى المسلمين اخبارا من خرافاتهم او مخترعاتهم ليودعوها «يعنى المسلمين» فى كتبهم و يمزجوها بدينهم و لذا تجد فى كتب قومنا من الإسرائيليات ما لا أصل له فى العهد القديم و لا يزال يوجد فينا من يقدس كل ما روى عن اوائلنا فى التفسير و غيره و يرفعه عن النقد و التمحيص و لا يتم تمحيص ذلك إلا لمن اطلع على كتب بنى إسرائيل انتهى فلينظر من الجزء الرابع من تفسيره فى الصفحه ال ٢٦٧ و ٢٦٨ و ليت شعرى إذا كانت التوراه الرائجه تعلم منها الأمور و يستشهد بها كما استشهد و أن تمام التمحيص يكون لمن اطلع على كتب بنى إسرائيل فلما ذا لم يمحص آراء التجدد و يرفعها إلى النقد بما صرحت به هذه التوراه و كتب العهد القديم من نزول النار من السماء او خروجها من الصخره بالنحو المعجز الخارق للعاده فتحرق القربان و تأكله كما تذكر انه جرى هذا الخارق للعاده لموسى و هارون كما فى العدد الرابع و العشرين من الفصل التاسع من سفر اللاويين. و لجدعون كما فى العدد الحادى و العشرين من الفصل السادس من سفر القضاة. و لداود كما فى العدد السادس و العشرين من الفصل الحادى و العشرين من سفر الأيام الاول. و لسليمان كما فى العدد الأول من الفصل السابع من سفر الأيام الثانى. و لا يليا كما فى العدد الثامن و الثلاثين من الفصل الثامن عشر من سفر الملوك الأول. و مما يلزم الالتفات اليه هو ان الآيه و التى بعدها لا يخفى من سوقهما كما يقتضيه حال هؤلاء الكاذبين المكذبين المتمردين القائلين «ان الله عهد إلينا ان لا- نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار» انهم يريدون بقولهم هذا ان يتعللوا و يستريحوا من دعوه الرسول بأن يعلقوا إيمانهم على أمر يعتقدون بعنادهم انه بعيد إذن فكيف يعلقونه على تشريع إحراق القرايين. فإنهم ان كانوا يعرفون انه رسول الله و يعاندون دعوته تعصبا لم يأمنوا ان يأتى فى شريعته بإحراق القرايين و ان كانوا يكذبونه لم يأمنوا ان يشرع بزعمهم كذبا و مصانعه لهم. و ايضا ان الذى جاءهم و فرض عليهم تقرب قربان يحرق إنما هو موسى على ما تقول التوراه الرائجه و لم يقتل. و القرآن يقول ان الذين جاؤوا بقربان تأكله النار و قتلوهم هم رسل متعددون فلا مساغ لصراف الآيه عن ظهورها

الذى يأتيهم بما قالوه ودع كذبهم بأن الله عهد إليهم ما زعموه قد جاءكم رسل من قبلى بالمعجزات بالبينات الداله على صدقهم فى ادعائهم الرساله و دعوتهم الصالحه و بالذى قُلْتُمْ من القربان الذى تأكله النار فلم قتلتموهم أى قتلهم اسلافكم و القوم أبناء القوم إن كُنتُمْ صادقين فى زعمكم ان الله عهد إليكم و انكم تجرون على عهد الله و تتبعون البينات و عهد الله فى الإيمان. هذا و لم اعرف من الحديث من هم الرسل الذين جاؤوا بقربان تأكله النار و قتلهم بنو إسرائيل

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨٤ الى ١٨٦

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (١٨٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (١٨٥) لِكَيْتَلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٨٦)

١٨٢ فَإِنْ كَذَّبُوكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الْحُجُجِ الْبَاهِرَةِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ فَهَذَا دَابُّ الضَّالِّينَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ فِي حُجُجِهِمْ وَالْمُعْجَزَاتِ وَالزُّبُرِ قِيلَ إِنَّهَا الْكُتُبُ الْمَشْتَمَلَةُ عَلَى الْحُكْمِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ بِشَرَائِعِهِ وَمَعَارِفِهِ وَحُكْمِهِ ١٨٣ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَفِي ذَلِكَ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ دُنْيَا هَؤُلَاءِ الضَّالِّينَ فَانِيَةٌ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ مِنْ أَوْزَارِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْخُطَابُ لِلْمُؤْمِنِينَ كَمَا يَتَضَحُّ مِنَ الْآيَةِ الْآتِيَةِ وَفِيهِ بَشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ التَّوْفِيقَ بِالْجَزَاءِ التَّامِ إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَجْرِ وَامَّا جِزَاءُ مَا يَتَّفِقُ مِنَ السَّيِّئَاتِ فَهُوَ مَعْرُضٌ لِلْمَسَامَحَةِ وَالتَّكْفِيرِ وَالْغُفْرَانِ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ أَيْ نَحِيَ عَنْهَا وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ وَلَيْسَ الْإِدْخَالَ فِي الْجَنَّةِ قِيدًا زَائِدًا إِذْ لَا وَاسِطَةَ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ بَلِ الْمُرَادُ أَنَّهُ مَنْ يَزْحَازِحُ عَنِ النَّارِ يَكُونُ مِنَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ قَبْلَ الْمَوْتِ إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ أَيْ مَتَاعٌ زَائِلٌ يَغْتَرُّ بِهِ الْمَغْتَرُونَ ١٨٤ لِكَيْتَلَوْنَ بَلَاءَ وَابْتِلَاءَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَيَجِيءُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ كَمَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ ١٦٧ وَالْأَنْبِيَاءِ ٣٤ وَالنَّمْلِ ٣٩ وَالْفَجْرِ ١٤ وَ ١٦ وَمَعْنَاهُ أَنْ يُوْرَدَ عَلَيْهِمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا تَكَالِيفٌ

-

الواضح. رقد الجاني الحال إلى ذكر هذا و أمثاله فإنى رأيت بعض الناس يمشون فى خوارق العاده وراء النزعه العصريه فتنبت من كلماتهم بذور سيئه فى منابت السوء

ص: ٣٧٨

على مقتضى المصالح و تعريضهم للسعادة و مقادير على حسب ما اقتضت الحكمة ان يقدر فى هذه الدنيا الفانيه من الأسباب. و يكون من غايات ذلك ان تظهر فى الوجود اعمالهم فى الطاعه و الكمال أو فى المعصيه و الشقاء فى أموالكم و أنفسكم و لتسمعن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم و من الذين أشركوا أى مشركى العرب أذى كثيراً من شر كلامهم كما يؤثر من كلام بعض اليهود و بعض المشركين و تحريضهم على حرب المسلمين و إن تصبروا و تتقوا و تمسكتم بالطاعه لله و لم تجزعا جزعا يبلغ الإثم و الأظهر ان يراد مطلق التقوى اللازمه كمطلق الصبر فيما يرد عليهم من التكاليف و المقادير و ما يسمعونه من الأذى فإن ذلك من عزم الأمور يقال عزم الأمر بنصب الأمر على المفعوليه كقوله تعالى فى سورة البقره ٢٢٧ عَزَمُوا الطَّلَاقَ و ٢٣٥ و لا تَعَزُّوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ، و العزم يرجع إلى عقد الضمير و الجزم فى العمل و الظاهر انه فى الآيه من اضافه المصدر إلى مفعوله و ان المراد ان الصبر و التقوى يحتاجان إلى حزم و بصيره و قوه فى الإراده و رسوخ فى الفضيله و ثبات فى الكمال تؤدى إلى العزم و الجزم و العمل

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨٧ الى ١٨٨

وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ (١٨٧) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّ لَهُمْ بِمَفَازِهِ مِنَ الْعَذَابِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٨٨)

١٨٥ وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لَا تَكْتُمُونَهُ و من ذلك بشراه برسول الله و قرآنه كما أشرنا اليه مرارا فَنَبَذُوهُ القوه و طرحوه وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كناية عن انهم اعرضوا عنه و تركوه و لم يعملوا به و لم يبينوه و عملوا به ما هو أشد من الكتمان وَ اشْتَرَوْا بِهِ و استبدلوا به ثَمَنًا قَلِيلًا من حطام الدنيا أو نزعات الأهواء فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ إياه ذلك الثمن الخسيس ١٨٦ لَا تَحْسَبَنَّ الضلال المضلين الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا بِهِ وَ يُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا و هذه الصفه منهم تدل على انهم كانوا يفرحون بما أتوا به مما هو رياء أو تشريع فيزيدون على فساده برذيله العجب. و روى فى الدر المنثور فى اسباب النزول و معنى الآيه ما الله أعلم به. و المفعول الثانى ل «تحسين» محذوف للتهويل و لأن يقدره

السامع بما يليق بهؤلاء من ذمهم. وهذا باب من أبواب البلاغه ذكرنا شواهد صفحه ٨١ و ٨٢ ثم فرع على ما أشير اليه من خستهم في الدنيا بعاقبتهم السيئه في الآخره بقوله تعالى فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازِهِ مِنَ الْعَذَابِ فسر المفازه في التبيان و مجمع البيان و الكشاف بالمنجاه و ذكر اللغويون في معاني الفوز النجاه وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ تأكيد في الأخبار بعذابهم و الوعيد لهم

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٨٩ الى ١٩١

وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٨٩) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ عَلَى جُنُوبِهِمْ وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)

١٨٧ وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أى و ما فيها من الموجودات و ذلك يعم جميع العالم وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٨٨ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ الذين يلتفتون بقلوبهم و عقولهم إلى ما فى ذلك من وجوه الحكم الداله على انها من صنع الإله الحكيم الواحد القادر و قد تقدم شىء من الإشاره إلى ذلك فى الصفحه ١٤٣ و ١٤٤ و فى تفسير الآيه السادسه و العشرين من هذه السوره ١٨٩ الَّذِينَ صفة لأولى الألباب يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا جمع قائم و هو حال وَ قُعُودًا جمع قاعد و هو حال ايضا وَ مضطجعين على جُنُوبِهِمْ إلى الدائنين فى ذكر الله فى جميع أحوالهم فعن امالى المفيد و أمالى الشيخ عنه بسند جيد

عن الباقر (عليه السلام) لا يزال العبد فى صلاه ما كان فى ذكر الله قائما او جالسا او مضطجعا ان الله يقول و تلا الآيه.

و فى الكافى عن الباقر ايضا قال فى الآيه الصحيح يصلى قائما و قعودا «أى بالقيام و القعود كالقعود بين السجدين و للتشهد و التسليم» و المريض يصلى جالسا و على جنوبهم المريض الذى يكون أضعف من المريض الذى يصلى جالسا انتهى

و المراد من ذلك بيان بعض المصاديق لكن فى الدر المنثور مما أخرجه الفريابى و ابن أبى حاتم و الطبرانى عن ابن مسعود فى الآيه إنما هذا فى الصلاه إذا لم يستطع قائما فقاعدا و إن لم يستطع قاعدا فعلى جنبه و يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ ما فى ذلك من عجائب الصنع و آثار القدره و الحكم الباهره معتبرين بذلك و موقنين انه من صنع الإله القادر الحكيم شاهدين و معترفين لله

و عابدين له بشهادتهم و اعترافهم قائلين رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا الْمَخْلُوقَ بَاطِلًا و أنت العليم الحكيم سُبْحَانَكَ تَقْدِيسًا و تَنْزِيهَا لَكَ
فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ و لعل ذلك من أجل ما يشاهدونه من الحكمه و آثار العظمه و عظيم النعمه على الإنسان فيأخذهم الخوف من
التقصير فى طاعه الإله و عبادته و شكر نعمه فيسألون منه التوفيق الذى يقيهم عذاب النار معترفين بأن فى دخول النار خزيا و
فصيحه تكشف عن خبث و سوء اعمال

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٩٢ الى ١٩٤

رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (١٩٢) رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا
رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَ تَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (١٩٣) رَبَّنَا وَ آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَ لَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا
تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (١٩٤)

١٩٠ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ فى الكشاف أى أبلغت فى اخزائه و نحوه فى كلامهم من أدرك مرعى الضمان فقد
أدرك. و من سبق فلانا فقد سبق. و هو حسن. و عليه يخرج ما أخرجه ابن جرير و الحاكم عن جابر قوله «و ما أخزاه الله حين
أحرقه بالنار و إن دون ذلك خزيا» بأن يكون المراد ما أحدث اخزاه حين أحرقه بالنار بل الاخزاء بدخولها أشد أقسام الاخزاء و
أفطعها و ما لِلظَّالِمِينَ اى هؤلاء الذين يدخلون و يخزون و أشير إليهم بهذه الصفه بيانا لأنهم ظلموا أنفسهم إذ أوقعوها بكفرهم و
عصيانهم فى استحقاق النار مِنْ أَنْصَارٍ و من ذا الذى ينصرهم على الله ١٩١ رَبَّنَا إِنَّنا سَمِعنا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلإِيمَانِ اى سمعنا ما
نادى به و هو معنى قوله أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ خالقكم و مرببكم و مدبر أموركم فَمَا مَنَّا فى مجمع البيان عن ابن عباس و ابن مسعود
المنادى هو رسول الله (صلى الله عليه و آله) و بذلك فسر القمى. و فى الدر المنثور عن محمد بن كعب القرطى «هو القرآن
ليس كل الناس يسمع النبى «ص» و كأنه رأى منه فهو مردود عليه بأن المسموع ما نادى به و هو ما يعم حكاية دعوته كقوله فى
سوره التوبه ٦ حَتَّى يَشِيعَ كَلَامَ اللَّهِ و لو أبقى المنادى على إطلاقه لينطبق على جميع الرسل و تشمل الآيات كل ما تنطبق عليه
من مؤمنى الأعمم لكان انصب بسياق الآيات و ربما يشهد له قوله تعالى فى الآيه الآتية «عَلَى رُسُلِكَ» رَبَّنَا فَاعْفُرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَ كَفِّرْ
عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَ تَوَفَّنَا اى و لنكن عند أخذك لنا مَعَ الْأَبْرَارِ و فى زمريهم ١٩٢ رَبَّنَا وَ آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا اى وفقنا للإيمان و التقوى و
العمل الصالح لنكون أهلا لما وعدتنا

به ان آمنة و اتقينا فإن وعد الله كما في القرآن مشروط بالموافاة على الإيمان و التقوى على رُسُلِكَ جى ء بكلمه «على» للإشارة إلى ان الوعد هو وحى منزل من الله على رسله فى بشرى المؤمنين المتقين أى و آتنا ما أنزلته على رسلك من وعدك لنا فى جملة من آمن و اتقى و عمل صالحا و لا تُخزنا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ قالوا ذلك تمجيدا لله و اعترافا بقدسه

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٩٥ الى ١٩٨

فَأَسْتَجِبْ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلٍ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالذِّينَ هَاجَرُوا وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أُودُوا فِي سَبِيلِي وَ قَاتَلُوا وَ قُتِلُوا لَمَّا كَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَمَّا دَخَلْتَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (١٩٥) لَا يَعْزَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِنَسِ الْمِهَادِ (١٩٧) لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ (١٩٨)

١٩٣ فَاسْتَجِبْ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي بفتح الهمزة أى بقوله انى محذوف القول لظهور الكلام و ناب معنى المقول فى دخول الباء عليه لا أَضِيعُ عَمَلٍ عَامِلٍ أى أجيب دعاءكم و أعطيكم ما وعدتكم على شرطه فإن تقواكم و عملكم للصالحات يؤهلكم للثواب و غفران الذنوب و تكفير السيئات مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى «من» لبيان جنس العامل بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ أى من جنس بعض فى صفه الايمان و الطاعة و العمل فكيف يضيع عمل بعضكم فليعمل كل منكم للجزاء. و فى هذا حث على العمل و زاده بيانا بقوله تعالى فَالذِّينَ هَاجَرُوا مِنْ دِيَارِهِمْ لَمَّا نَالَهُمْ مِنَ الْأَذَى فِي سَبِيلِ الْإِيمَانِ وَ النَّصْرَةَ لِدَعْوَةِ الْحَقِّ وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أُودُوا فِي سَبِيلِي وَ قَاتَلُوا وَ قُتِلُوا جرى التنصيص على ذلك لأنه من أفضل الأعمال و للدلالة على انه كله بعين الله لَمَّا كَفَرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ لَمَّا دَخَلْتَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ صرح باسم الثواب و الجزاء على العمل لأنه أكمل فى اللذة و صرح باسم الجلاله تنويها بشرف الثواب و كرامته و عظمه وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ برحمته الواسعه و قدرته التامه ١٩٤ لَا يَعْزَّتْكَ خُطَابُ الرَّسُولِ وَ الْمَعْنَى بِهِ غَيْرُهُ أَوْ غَيْرُهُ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ممتعين بالصحة و الامهال فإنه ١٩٥ مَتَاعٌ قَلِيلٌ فى مدته القصيره ايام حياتهم ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ بِنَسِ الْمِهَادِ الممهده لهم بكفرهم و سوء اعمالهم ١٩٦ لَكِنَّ اسْتِدْرَاكَ مِنْ سُوءِ حَالِ الْكَافِرِينَ وَ وَعِيدِهِمْ بذكر سعاده

المتقين و بشرهم الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا حَالُ كَوْنِهَا نُزْلًا وَ النزل بضمين ما أعد للضيف و إكرامه من قري و منزل و في ذلك الكرامه العظيمه و البهجه الكبيره إذ كانت نزلا لهم لكرامتهم مِنْ عِنْدِ اللَّهِ و يا لها من حظوه

سوره آل عمران (٣): الآيات ١٩٩ الى ٢٠٠

وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٢٠٠)

وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ١٩٧ وَ إِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ بنزوله على رسول الله و لازمه الإيمان برسوله و قيل إليكم باعتبار ابتداء الدعوه بهم و إلا فهو منزل لكل البشر في دعوتهم إلى السعاده و دين الحق و شريعته وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ بنزوله على أنبيائهم يؤمنون حال كونهم خَاشِعِينَ لِلَّهِ مر ذكر الخشوع في صفحه ٩٠ لا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ فلا تأخير في توفيتهم أجورهم يوم الجزاء ١٩٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا على ما يحمد الصبر عليه و فيما يحمد فيه و ان فسر فيما جمعه تفسير البرهان و الدر المنثور من الأحاديث ببعض المصاديق لما أمر بالصبر عليه أو فيه وَ صَابِرُوا من باب المفاعله و مقابله الصبر بالصبر و يفهم من المقام زياده الصبر في مقام المقابله وَ رَابِطُوا الذى يتحصل من الأحاديث التى أشرنا إليها في تفسيرى البرهان و الدر المنثور ان المرابطه هنا ليس على المعنى المترائى من المفاعله بل هى مثل عاين و سافر و ضاعف فتكون هنا بمعنى اثبتوا و واطبوا و لازموا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ أى لغايه ان تفلحوا. و قيل «لعلكم» لأن الفلاح غير لازم لمجرد ان تحصل هذه الأمور بل شرطه الاستمرار عليها مع الإيمان الصحيح إلى الموت ... وفقنا الله و جميع المؤمنين لذلك و ثبتنا عليه انه ارحم الراحمين و خير المسؤولين تم الجزء الأول من التفسير «آلاء الرحمن» و الحمد لله و الشكر كما هو اهله و يتلوه الجزء الثانى إن شاء الله أوله سوره النساء

وله الحمد وهو المستعان وأفضل الصلاة والسلام على خيرته من خلقه محمد صلى الله عليه وآله سيد المرسلين وآله الطاهرين المعصومين صلواته عليهم أجمعين وبعد فهذا هو الجزء الثانى من كتاب آلاء الرحمن فى تفسير القرآن. وقد تحررت فيه الاختصار مهما أمكن. مقتصرًا على المهم فى البيان سائلًا من الله التوفيق والتسديد والإعانة أنه أرحم الراحمين وخير معين

سورة النساء

إشاره

مائة وست و سبعون آيه عند الكوفيين وعند المكيين والمدنيين مائه وخمس و سبعون، والخلاف فى الفواصل. وهى مدنيه. ولما كانت هذه الصورة متضمنه لتأسيس الأحكام الاجتماعيه الجاربه على حقيقه العدل و رعايه الحقوق على خلاف ما كان معتادا قد استحكمت به صراوه النفوس الوحشيه بحيث جعله الجور و تشريعات الباطل سنه متبعه و خيله الهوى بمغالطاته عملا سائغا. فكان الناس منهم من لا يرى حرمه لمال اليتيم الذى يربونه و من لا يرى للطفل و المرأه حقا فى الميراث. و منهم من لا يتحرج من أكل مهر المرأه. و قد بقى من ذلك الداء الردى و العدوان الوخيم اثر فى كثير من المسلمين إلى هذا العصر. و قد اقتضت الحكمة ترويض

النفوس على ما يشرع في ذلك من الأحكام و على إجرائها على حقيقتها و حقوقها و عدلها. و ان تقام بالموعظه و التذكير و الإشارة إلى جلال الله و قدرته العامه سيطره روحيه تقاوم الأهواء و تراقب النفوس و تحاسبها و تردعها في ظواهر أمورها و خفياتها. و ما هذه السيطره الا لملكه تقوى الله مالِك امر الإنسان في مبدئه و معاده و المطلع عليه في جميع أحواله. فإن استقامه الإنسان في الظاهر و الخفاء إنما يكون لها وجود و ثبات إذا كانت منبعثه بتقوى الله. و اما السيطره السياسيه مهما كانت فإنها لا تردع الإنسان عن خفياته و اختلاساته. و إن الأخلاق مهما كانت لا- تسير مع شريعته الحق إلا- إذا كانت بتأديب تقوى الله و ترويضها

سوره النساء (٤): آيه ١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَ الْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا النَّاسُ جمع انسان و هو شامل لكل بشر على الأرض كما لا يخفى و لام التعريف هنا تفيد العموم لغه. و من المعلوم في دين الإسلام ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) رسول إلى كافه نوع الإنسان بلا- استثناء. و في سوره الأعراف ١٥٩ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا و ان الشريعه عامه لجميع البشر لا تخص قسما من الإنسان و لا يخرج من نعمتها و عدلها قسم منه و من المعلوم من الدين و العقل ان تقوى الله مطلوبه من جميع الناس لأجل سعادتهم في الدارين و نظام جماعتهم في الدنيا. فلا يختص بها قسم من الإنسان و لا يمنع الله نعمه الأمر بها عن قسم من نوع الإنسان البالغ العاقل. و من النظر إلى هذه الوجوه يكون لفظ الناس هنا نصا على العموم اتَّقُوا قد مر بيان معنى التقوى في الصفحه الرابعه و الستين من الجزء الاول و غيرها رَبُّكُمْ خالِقكم و مربيكم و مالِك أموركم جميعا. و هل من المعقول ان لا يتقى الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هو آدم ابو البشر و في هذا بعد الامتنان و التذكير بالقدره نوع استعطاف للناس بعضهم على بعض بما بينهم من الاتصال في النسب و الاشتباك في الرحم. فإن الاتصال بالنسب مرعى عندهم فإن الاسرائيلي يرعى للاسرائيلي اسرائيليه و كذا القحطاني للقحطاني و ان كان الاتصال بينهما مضي منذ ألوف من السنين و نوع الإنسان مهما تباعدت افراده و شك في اتصالها في نحو خاص من صحيح النسب فإنه لا يشك في اتصالهم في الولاده من آدم. و قد سمي الله البشر في القرآن بني آدم في سبع مواضع لا يحتمل ذو الرشد من

المسلمين ان يراد منهم بعضهم. وقد تكرر في القرآن ان أول هذا البشر الموجود و المسمى بالإنسان هو آدم. ففي سورة السجده المكيه ٦ وَ يَدَا خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ طِينٍ ٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسِيلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ و كذا فى سورة البقره ٣٠ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً- ٣٣ و الحجر المكيه ٢٨ خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ- ٣١ و سورة ص ٧١ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ- ٧٨ و ما فى هذه السور و آياتها من امر الملائكه بالسجود لآدم و استكبار إبليس و قد ربط الله فى القرآن خلق الإنسان بخلقه آدم من الطين. ففي سورة الانعام ٢ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ و الصافات ١١ خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ و الرحمن ١٣ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ و على ما ذكرناه اتفاق المسلمين و حديثهم المتواتر فى المعنى و لم يشذ منهم إلا الجاحظ على ظاهر ما حكاه السيد الرضى فى حقائق التأويل حيث قال ما ملخصه و من غريب كلامه قوله معنى من نفس واحده على هيئه واحده و معنى و خلق منها زوجها جعل زوجها من جنسها ليكن إليها و لا يستوحش منها انتهى و ليت شعرى إذا كان معنى النفس الهيئه فعلى م يعود الضمير فى قوله «زَوْجَهَا» و الضمائر فى قول هذا القائل «زوجها. جنسها. يسكن إليها. لا يستوحش منها». و فى تفسير المنار نقل عن استاذة عدده جمل- الاولى منها (ليس المراد بالنفس الواحده آدم بالنص و لا بالظاهر) و يردها أن ذلك معلوم مما تقدم من الآيات و غيرها و متواتر الحديث و اجماع المسلمين- الثانيه- «و القرينه على انه ليس المراد هنا بالنفس الواحده آدم قوله وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً بالتكثير و كان المناسب على هذا الوجه ان يقول و بث منها جميع الرجال و النساء» و يردها مع ما ذكرناه من اسباب العلم ان المناسبه لا تنحصر بما اقترحه فإن هذا المعنى اى بث جميع الناس من آدم قد تقدم بقوله تعالى فى خطاب الناس خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ و ما أشرنا اليه من السور السبع و لم يتعلق الغرض هنا بتأكيد ما تقدم بما اقترحه بل الغرض بيان معنى تأسيسى و هو حال الخلق للناس فى التدرج من خلق النفس الواحده الى خلق زوجها الى بث الكثير من نسلهما الذى خلق الناس منه بالتناسل التدريجى- الثالثه- فى مراعاته لما يزعمه اهل الصين فى نسبه البشر الى أب آخر و يذهبون بتاريخه الى زمن بعيد. و ان من الناس من لا يعرفون آدم و لا حواء و لم يسمعوا بهما. و فى حذره من ان يثبت ما يقوله الباحثون من الافرنج من ان لكل صنف من اصناف البشر أبأ. أقول و من العجيب ان تنبذ المعلومات الإسلاميه من

القرآن الكريم و الحديث المتواتر و الإجماع ظهريا لأجل زعم اهل الصين او حذرا من الآراء الجديده كتسلسل

الأنواع و التولد الذاتى كما أحدثه داروين. و قال التلميذ ج ٤ ص ٣٢٧ ان المتبادر من لفظ النفس انها هى الماهيه و الحقيقه التى كان بها هذا الكائن الممتاز اى خلقكم من جنس واحد و حقيقه واحده. أقول ان النفس و ان كانت كسائر الموجودات الخارجيه ينتزع العقل منها بتحليله جنسا و ماهيه كليه لكن الآثار الخارجيه كالخلق منها لا تتعلق إلا بالفرد الخارجى و إذا قيد بالوحده امتنع احتمال التعدد فيه فالذى يفهم من النفس الواحده هنا ليس الا الفرد الخارجى الواحد بالشخص كما هو المفهوم من جميع استعمالات القرآن الكريم للنفس. ثم نسأل هذا القائل ما هو معنى قوله تعالى وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا و ما هو زوج الماهيه المخلوق منها و هو مقابل لها بالزوجيه. و ما معنى قوله تعالى وَ بَثَّ مِنْهُمَا. و لهما فى المقام كلمات (١) طويله يفضى التعرض لها إلى طول ممل. و لو لا ان العصر الحاضر مما تنمو به هذه البدور و أمثالها لما تعرضنا لما ذكرناه وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا و هى حوا وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً وَ اتَّقُوا اللَّهَ كَمَا تَعْرِفُونَ انه الإله القادر القاهر المجازى على الأعمال بحيث تَسْأَلُونَ بِهِ اى تتساءلون و حذف احدى التائين فى مثل هذا مطرد فى العرييه. و كرر الأمر بتقوى الله مبالغه فى التأكيد. و فى الكلام احتجاج على الناس حتى الوثنيين بما معناه انكم فى مهماتكم يسأل أحدكم الآخر بالله لما تعرفونه من عظمته و مقام إلهيته اذن فاتقوه وَ اتَّقُوا الْأَرْحَامَ اى اتقوا شر قطيعتها و اثرها فى ظلم ذوى الأرحام فانكم ترعون نوعا لاولى الأرحام حرمة الرحم و تحذرون نوعا من وبال قطيعتها و نكال الله فى ذلك. و

فى صحيحه الكافى عن جميل عن الصادق (عليه السلام) ان الله امر بصلتها و عظمتها الا ترى انه جعلها معه انتهى

اى قرن الأمراه

ص: ٥

١- منها التشبث لرأيهما ص ٣٢٥ بما رواه الشيعة من انه خلق قبل آدم خلق كثير ثم بادوا ثم بعد ذلك خلق آدم ابو هذا النسل خليفه لمن باد قبله كما أشرنا اليه فى معنى الخليفه فى الصفحه ال ٨٢ من الجزء الاول و قد أشرنا هناك ايضا الى روايه الحاكم لذلك عن ابن عباس و روايه الطبرى ايضا فى تفسيره و هذه الروايات من الفريقين داله على ان جميع البشر الموجودين فى زمان الرسول هم متسلسلون من أب واحد و نفس واحده شخصيه و فى هذا ايضا رد لما زعماه

باتقائها بالأمر بتقواه. و نحوه عن العياشى عن عمر بن حنظله عنه (عليه السلام) إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ وَلَا يَفُوتُهُ شَيْءٌ بَلْ يَحَاسِبُكُمْ وَيَجَازِيكُمْ فِي أَمْرِ الْأَرْحَامِ

سورة النساء (٤): الآيات ٢ الى ٣

وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالْطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا (٢) وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا (٣)

٢ وَآتُوا الْيَتَامَىٰ إِذَا بَلَغُوا الرِّشْدَ أَمْوَالَهُمْ وَيُزْمَ مِنْ ذَلِكَ وَجُوبَ حِفْظِهَا لَهُمْ وَالنَّهْيُ عَنْ أَكْلِهِمْ لَهَا وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَيْثَ بِالطَّيِّبِ أَي لَا تَجْعَلُوا الْخَيْثَ بَدَلًا تَأْخُذُونَهُ بِالطَّيِّبِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَتِي الْبَقَرَةِ ١٠٦ وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ وَالْأَحْزَابَ ٥٢ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَهُنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَالتَّبَدُّلُ كَالِاسْتِبْدَالِ يَتَعَدَّى إِلَى الْمَأْخُوذِ أَوْ الْمُنْتَحَلِ بِنَفْسِهِ وَيَتَعَدَّى إِلَى الْمَرْغُوبِ عَنْهُ بِالْبَاءِ.

و في تفسير البرهان عن نهج البيان للشيباني «قال ابن عباس لا تبدلوا الحرام من أموالهم بالحلال من أموالكم لأجل الجوده و الزيادة فيه و هو المروى عن أبي جعفر و أبي عبد الله»

و الظاهر ان الوصف بالخبث من اجل الحرمة و بالطيب من اجل الحل و استفاده الجوده و الزيادة من دواعى التبدل الذى يكون به المأخوذ حراما خبيثا. و إلى ما ذكرناه يرجع ما جعله فى التبيان أقوى الوجوه و تبعه فى المجمع و لا- تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ليس المراد هو النهى عن خصوص الأكل بمعناه الحقيقى بل الأكل هنا مجاز بمعنى الأخذ و الغصب و ضم الغاصب لها الى أمواله و أشير الى ذلك بقوله تعالى إلى أَمْوَالِكُمْ ليفهم من الأكل ما يناسب كلمه «الى» جريا على الغالب من كون المتسلطين على اموال اليتامى ذوى اموال و إن كانت عند بعضهم قليله إِنَّهُ أَي غَضِبَ مَالِ الْيَتَامَى الْمَكْنَى عَنْهُ بِالْأَكْلِ الْمَنْهَى عَنْهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا فسروا الحوب بالإثم. و فى المصباح المنير باكتساب الإثم ٣ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا قَدْ قَدِمْنَا فِي الْآيَةِ السَّادِسَةِ عَشْرَةَ مِنْ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ الْقِسْطُ وَالْإِقْسَاطُ إِنَّمَا هُمَا مُقَارِبَانِ فِي الْمَعْنَى لِلْعَدْلِ لَا مُرَادَ فَانْ لَهُ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَالظَّاهِرُ بِحَسَبِ التَّتَبُّعِ لِمَوَارِدِ الْإِسْتِعْمَالِ انْ الْقِسْطُ هُوَ مُعَامَلَةُ الطَّرْفِ الْوَاحِدِ بِالْحَقِّ وَالْإِنْصَافُ وَ انْ الْعَدْلُ هُوَ الْجَرَى عَلَى الْحَقِّ فِي الْمُعَامَلَةِ مَعَ الْإِثْنَيْنِ أَوْ الْأَكْثَرِ أَوْ فِي الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ أَوْ هُوَ مَا يَعْمُ هَذَا الْمَعْنَى وَ مَعْنَى الْإِقْسَاطِ فِي الْيَتَامَى فَانْ كِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنِّي وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ وَ قَدْ اضْطَرَبَتِ الْأَوْهَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ

و تعسفت فى الاعتراض و التفسير توهما لكون المراد من اليتامى فى هذه الآيه هو المراد منهم فى الآيه السابقه و هم الذكور و الإناث الصغار الذين لم يخرجوا من الصغر الى البلوغ بحسب حال الذكر و الأنثى و توهما لكون المراد من «تقسطوا» هو الاقساط فى أموالهم كما هو مضمون الآيه السابقه فشذت الافهام عن الوصول الى حقيقه الربط بين قوله تعالى وَ إِنِ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى و بين قوله تعالى فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ فلما ذا يغيب عن الافهام ان لفظ اليتيم و اليتامى قد تقتضى المناسبات و محاسن الكلام ان يستعمل فيمن انقضى عنه اليتيم فيقال يتيم و يتامى لغرض يدعو إلى ذلك. انشد السيد الرضى فى حقائق التأويل:-

ان القبور تنكح الأيامى النسوه الأرامل اليتامى

و حكى عن الاصمعى عن بعض العرب:-

أحب اليتامى البيض من آل سامه و اكره منهن اليتامى الفواركا

اذن فما ظنك بحسن الاستعمال فيمن هن قريبات العهد بزمان اليتيم و قد بقيت عليهن آثاره. و لماذا لا يلتفت إلى ان الحكم بحسب مناسبتة كثيرا ما يكون هو المبين لموضوعه و المعين له. و كثيرا ما يدل طرف الكلام على تعيين المراد من طرفه الآخر كما تقول لمن يريد التزويج فى وقته المرتضعات من أمهاتهن تزوج منهم. و قد يؤتى بالحكم فى بليغ الكلام على وجه يعم موضوع الكلام و غيره كما إذا سألت الطبيب عن أكل التفاح فقال يجوز لك ان تأكل ما اشتهيت من فواكه الصيف الى المقدار الفلانى. و لئن اخفت الغفلات وجه الدلاله فإنه يتضح بالنظر إلى قوله تعالى فى هذه السوره ١٢٦ يَشْتَفُونَكَ فِي النِّسَاءِ الظاهر من الإطلاق كون الاستفتاء عن الأمر المختص بالنساء و هو التزوج بهن لا- من حيث اصل التزوج فإنه لا يشك فيه احد لكى يستفتى عنه بل عن التعدد «قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ» بما شرعه فى أمرهن «وَ» يفتيكم ايضا بذلك كلما قرأ القرآن و حيه المنزل و هو «ما يُتلى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي» شأن «يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي» توليت امورهن بعد موت آبائهن و بلغن مبلغ النساء و استحققن ان توتوهن ما كتب لهن من ميراثهن و نمائه مثلا و أنتم من حرصكم و اثر العاده الجاهليه «لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ» مما ذكر «وَ تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ» اى ترغبون فى ان تنكحوهن فإنه الظاهر فى التقدير دون كلمه «عن» و يكون هذا الظاهر محكما بالنظر الى انه ليس فى القرآن فتوى فى اللاتى يرغب عن نكاحهن بل الفتوى فى الكتاب انما تنطبق على اللاتى يرغب فى

نكاحهن و هي قوله تعالى فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ (١) فيكون محصل الكلام في الآية هو انه بعد ان جرى التعرض لاموال اليتامى جرى التعرض ليتامى النساء في المعامله معهن في ذواتهن بالقسط بمعنى انكم إذا أحس أحدكم من نفسه انه لا يسمح لمن عنده من يتامى النساء ان يؤتيها ما كتب الله لها من الأموال لثلا تذهب به الى من يتزوجها و ترغبون في ان تتزوجوهن إما رغبه في أموالهن و بقائها في حوزتكم او رغبه فيهن و لكنكم تتخرجون من التزوج بهن اما لتوهم الحرج في تعدد

الزوجات او في نكاح من ربيت يتيمه عندكم قياسا على الربائب كما أشار اليه القمي في تفسيره فتخافون من اجل ذلك ان تمنعوهن من الزواج فلا تقسطوا فيهن بل تظلموهن بذلك فإن الله جلت آلاؤه يرشدكم الى رفع هذا الخوف بان تتزوجوهن و ان كنتم ذوى زوجات فانه أحل لكم و لغيركم في الشريعة ان تنكحوا ما طالب لكم بالحل من النساء اللاتي لم يذكر تحريمهن في الشريعة الى اربع. و «ما» في ما طاب الاشاره الى عنوان الجنس المتصف بالحل بجميع اصنافه من حيث الثيوبه و البكاره و المال و الجمال و الفقر و عدم الجمال و كونها يتيمه مرباه او غير ذلك و لو قيل «من طبن» لتوجه الذهن الى اعيان المحللات و فاته فائده الإشاره المذكوره. و اما الأمر في قوله تعالى «فَأَنْكِحُوا» فانه بحسب وجه الكلام في الجمله الشرطيه و عنوان الأسلوب و السياق ما هو الا- للإرشاد الى نحو من أنحاء التخلص مما يخافونه من عدم الاقسط مع إمكان التخلص ايضا بجهد النفس و كفها عن الحرص في اموال اليتامى. فالآيه الكريمه اذن جاريه في خصوصياتها و اشاراتها و قرائنها على النحو السامى من البراعه و المنهج الواضح فى البلاغه. و لنا الفخر إذا اهتدينا بالتدبر فى خصوصياتها و قرائنها و مزاياها الى ما هى عليه من اتساق النظام، و سداد الانتظام و براعه الأسلوب مَثْنَى وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ اى اثنتين اثنتين و ثلاثا ثلاثا و أربعا أربعا بحسب ما تريدون.

و المعدودات بدل تفصيلي من «ما طاب» و منعت هذه الكلمات من الصرف لكونها معدوله عمابه

ص: ٨

١- و فى كتابي التفسير من جامعي البخارى و مسلم من طريق الزهرى عن قول عائشه فى آخر الحديث «رغبه أحدكم عن يتيمته. من اجل رغبتم عنهن» لكن الحديث مضطرب الأطراف، متدافع الكلمات فإن فى آخره ايضا «ما رغبوا فى مالها و جمالها من يتامى النساء» و فى اوله «يعجبه مالها و جمالها و يريد ان يتزوجها» و فى الحديث ايضا ان الذى يتلى فى يتامى النساء هو قوله تعالى وَ اِنْ خِفْتُمْ اَلَّا تُقْسِطُوا الْاَيَّه. و زد على ذلك ما تجده من التدافع و الاضطراب بين هذه الروايه فى تفسير الآيتين و بين ما رواه هشام عن أبيه عروه عنها كما فى جامع مسلم. فدع هذا الحديث لما به

فسرناها به و لتضمنها الوصفه فإنك تصف المعدود و تقول جاءنى رجال اربعة و نساء اربع فإن خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا بين المتعددات فى حقوقهن و التسويه بينهن فإن اكثر حقوقهن متساويه متكافئه ان زيدت إحداهن كان ذلك جورا على غيرها منهن فَوَاحِدَةً بالنصب على المفعوليه بكلمه «انكحوا» مقدره يدل عليها «فانكحوا» المتقدمه و لا بد من ان تكونا بمعنى واحد فى الماده و الهيئه كما هو شأن المقدر و ما يدل عليه. فكما كان الدال للإرشاد بكون المقدر ايضا للإرشاد إلى احدى الطرق المؤمنه من عدم العدل و ان كان من الطرق ايضا ان يروض نفسه فيتبع العدل بحسب تكليفه فى الحقوق الشرعيه فإن هذا العدل مستطاع مقدور بالبدايه. و كيف يكون غير مستطاع مع قوله تعالى وَ إِن خِفْتُمْ و مع الإرشاد السابق و لازمه من إباحه ما زاد على الواحده إلى الأربع. و أما قوله تعالى ١٢٨ وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَ لَوْ حَرَصْتُمْ فَإِنِ الْمُرَادُ فِيهِ هُوَ الْعَدْلُ فِي الْمَوَدَةِ الْقَلْبِيَّةِ لِأَنَّ سَبَابَهَا خَارِجَةٌ عَنِ الْإِخْتِيَارِ فَإِنَّ مِنْهَا جَمَالَ هَذِهِ أَوْ حَسْنَ أَخْلَاقِهَا، وَ قَبِيحَ تَلْكَ أَوْ سُوءَ أَخْلَاقِهَا. و

فى الكافى بسنده ان ابن أبى العوجاء اعترض على هشام بن الحكم بزعمه تناقض الآيتين فسأل هشام الصادق (عليه السلام) فأجابته ان الاولى فى النفقه و الثانيه فى الموده.

و قد اقتصر عليه السلام على ذكر النفقه من حقوق الزوجات اكتفاء بها فى التفرقه بين الآيتين. و أظن أن هشاما لا يخفى عليه الجواب و لكنه سأل الإمام ليأخذ الحقيقه من معدنها أمناء الوحي احد الثقلين اللذين لن يتفرقا. فإنه لو تكلم واحد من البشر بمثل الآيتين لوجب فى الاستقامه و الفهم ان يحمل كلامه على اختلاف متعلق العدل كما فى الآيتين (١) و المفهوم من قوله تعالى وَ إِن خِفْتُمْ

ص: ٩

١- و لكن بعض المعاصرين قد اثرت بهم ضجه الغريبين فى منع تعدد الزوجات فكتب بعض فى كتابه تحرير المرأه المطبوع فى مصر سنه ١٣١٦ ص ١٣٨: و الذى يطيل البحث فى النصوص القرآنيه يجد أنها تحتوى إباحه و حظرا فى آن واحد. و ذكر الآيتين. و كتب آخر ما معناه: إن تعدد الزوجات كان جائزا للصدر الاول إذ كانوا يستطيعون العدل و لم تكن آيه وَ لَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا جاريه فى شأنهم و اما اهل العصور المتأخره فالعدل غير مستطاع لهم انتهى وليته عرف ان المخاطبين بأنهم لن يستطيعوا ان يعدلوا بين النساء انما هم الصدر الأول فعليه ان يفهم العدل الذى لا يستطيع فى اى شىء هو لكى يعرف كيف يتكلم و فى الجزء الرابع من تفسير المنار ص ٣٤٩-٣٥١ بل الى ٣٥٨ بل الى ٣٧٠ كلام ليته لم يكتب فى تفسير القرآن الكريم فى التشريع الإلهى. نعم ذكر فى أثناء هذا الكلام كلمات عن الكاتبات الغريبات كما فى ص ٣٦٠-٣٦٢ ما يصلح ان يكون ردا عليه. و من المعلوم ان جل ما ينقم فى ذلك الكلام على تعدد الزوجات انما

أَلَّا تَعْدِلُوا هُوَ أَنَّهُ إِذَا أُوجِسَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ غَيْرِهِ أَمْرًا يَخَافُ أَنْ يَغْرِبَهُ مِنْ حَيْثُ التَّعَدُّدِ وَهَذَا قَلِيلُ الْوُقُوعِ وَ لَيْسَ الْمَفْهُومُ هُوَ مَجْرَدُ التَّجْوِيزِ لِأَنَّ يَضْعَفُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ التَّرَامَةَ بِالشَّرْعِ فَيُحِيدُ عَنِ الْعَدْلِ فِي حَقُوقِ الزَّوْجَاتِ. فَإِنَّ هَذَا التَّجْوِيزَ الْمَجْرَدَ لَا يُسَمَّى خَوْفًا مَعَ أَنَّهُ حَاصِلٌ لِكُلِّ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعْصُومًا حَتَّى فِي الْقِسْطِ وَالْعَمَلِ بِالشَّرِيعَةِ مَعَ الزَّوْجَةِ الْوَاحِدَةِ فَكَيْفَ يَمْنَعُ اللَّهُ مَعَهُ التَّعَدُّدَ وَيَأْذَنُ بِالْوَاحِدَةِ وَ كَلِّ مِنَ الْوَاحِدَةِ وَالْأَكْثَرُ إِمَاءُ اللَّهِ وَ الْجُورُ مَبْغُوضٌ فِي كُلِّ مَقَامٍ. لَكِنَّ أَمْرَ الْمُسْتَقْبَلِ مَعَ سَلَامَةِ النَّفْسِ فِي الْحَالِ لَا- يَوْقِفُ الْأُمُورَ عَنْ سِيرَتِهَا فِي الْحَالِ مَا لَمْ تَكُنْ فِي الْحَالِ نَزَعَهُ أَوْ حَالَ تَنْذَرُ بِالْوَرُطَةِ فِي الْمَعْصِيَةِ وَ يَتَحَقَّقُ مَعَهَا عُنْوَانُ الْخَوْفِ فَيُحَسِّنُ التَّحَذِرَ مِنْهَا عِنْدَ الْخَوْفِ فَإِنَّ رَأْيَ مَا يَنْذَرُ بِذَلِكَ فِي التَّعَدُّدِ حَسَنٌ مِنْهَا الْحَذَرُ كَمَا أَرْشَدَهُ اللَّهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ قِيلَ مَا مَلَكَتْ إِشَارَةٌ إِلَى عُنْوَانِ الْجِنْسِ الْمُتَصِفِ بِالْمَمْلُوكِيَةِ كَمَا تَقْدِمُ نَظِيرَهُ أَيْ مَا يَمْلِكُهُ النَّكَاحُ مِنَ النِّسَاءِ فَإِنَّ اللَّاتِي يَتَسَرَّى بِهِنَّ الْمَالِكُ لَيْسَ لِهِنَّ شَيْءٌ مِنْ حَقُوقِ الزَّوْجِيَةِ فَلَا يَكُونُ فِي أَمْرِهِنَّ مَا يَخَالِفُ الْعَدْلَ بَيْنَهُنَّ مِنْ حَيْثُ الْمَسَاوَاهِ الْمَطْلُوبَةِ فِي الزَّوْجَاتِ. وَ أَمَّا مَنْ كَانَتْ مَلَكَ الْغَيْرِ وَ تَزَوَّجَهَا الْحَرَّ عَلَى مَا يَأْتِي فَإِنَّهَا زَوْجَةٌ لَهَا حَقُوقُ الزَّوْجِيَةِ. هَذَا وَ قَدْ اتَّفَقَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَنَّ كُلَّ أُنْثَى تَكُونُ مِنَ الْمَحَارِمِ وَ يَحْرَمُ نِكَاحُهَا إِذَا كَانَتْ حَرَّةً هِيَ كَذَلِكَ إِذَا كَانَتْ أَمَةً. وَ ذَهَبَ الْإِمَامِيَّةُ وَ الْحَنْفِيَّةُ إِلَى أَنَّهُ لَا- يَمْلِكُ مَنْ هِيَ مِنْ مَحَارِمِهِ وَ قَالَ الشَّافِعِيُّ لَا- يَمْلِكُ الْأَمَهَاتُ وَ إِنْ عَلُونَ وَ الْبَنَاتُ وَ إِنْ نَزَلْنَ لَا غَيْرَ وَ يَزِيدُ مَذْهَبُ مَالِكٍ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ لَا- يَمْلِكُ الْأَخْوَاتُ لِلأَبْوِينِ أَوْ لِأَحَدِهِمَا. وَ قَالَ أَهْلُ الظَّاهِرِ يَمْلِكُ الْجَمِيعُ وَ إِنْ حَرَّمَ وَطَأَهُنَّ وَ الْحُجَّةُ لِلْإِمَامِيَّةِ فِي مَذْهَبِهِمْ إِجْمَاعُهُمْ وَ أَحَادِيثُهُمْ وَ احْتِجَّ الْحَنْفِيَّةُ بِمَا

أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَ التِّرْمِذِيُّ وَ أَبُو دَاوُدَ وَ ابْنُ مَاجَةَ وَ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ سَمَرَةَ عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) مِنْ مَلَكَذَا رَحِمَ مَحْرَمٌ فَهُوَ حَرٌّ.

وَ هَاهُنَا مَسَائِلُ «الْأُولَى» يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يَتَزَوَّجَ أَرْبَعَ إِمَاءَ لِإِطْلَاقِ الْآيَةِ وَ عَلَيْهِ إِجْمَاعُ الْإِمَامِيَّةِ وَ نَصٌّ مَا نَشِيرُ إِلَيْهِ مِنْ رَوَايَاتِهِمْ فِي الْمَسْئَلَةِ الثَّانِيَةِ. وَ عَنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَ الشَّافِعِيِّ لَا- يَجُوزُ لَهُ إِلَّا- نِكَاحُ أَمَتَيْنِ وَ لَمْ يَحْكُ فِي الْاِحْتِجَاجِ لِهَمَا إِلَّا الْقِيَاسَ عَلَى أَنَّ عَلَيْهِ نِصْفَ حَدِّ الْحَرِّ. وَ فِي هَذَا الْاِحْتِجَاجِ مَا فِيهِ «الثَّانِيَّةُ» ذَهَبَ الْإِمَامِيَّةُ إِلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لَهُ التَّزَوُّجُ مِنَ الْحَرَائِرِ إِلَّا

-

يُنشَأُ مِنْ سُوءِ أَخْلَاقِ النِّسَاءِ وَ حَسَدِهِنَّ وَ نَقْصَانِ عَقُولِهِنَّ وَ ضَعْفِ تَدِينِهِنَّ وَ وَهْنِ التَّرَامَةِ بِالشَّرِيعَةِ وَ الْحَقُوقِ.

وَ هَذَا لَا يَرْجِعُ إِلَى عَدْلِ الزَّوْجِ فِي حَقُوقِهِنَّ وَ سَقُوطِهَا بِنَشُوزِهِنَّ بِسُوءِ أَخْلَاقِهِنَّ وَ مَخَالَفَتِهِنَّ لِلْوَاجِبِ عَلَيْهِنَّ.

اثنتين. و الحجج لهم إجماعهم و روايه زراره عن الباقر (عليه السلام). و روايه الصيقل عن الصادق (عليه السلام) و صحيح ابن مسلم عن أحدهما (عليه السلام) و روايه زراره ايضا عن أحدهما بل و غيرها من الروايات «الثالثه» لا يزيد على حره و أمتين بإجماع الإماميه و هل له ان يتزوج الحره و الأمتين

فيه روايه فى الفقيه عن امير المؤمنين فإن كانت مجبوره بالشهره فذاك:

هذا و يشهد ايضا على أن قوله تعالى «فَوَاحِشَةً» إنما هو للإرشاد قوله تعالى ذَلِكْ اى نكاح الواحده او ملك اليمين حينما تريدون النكاح ابعد عن الأمور المقتضيه لمخالفه العدل بين ذوات الحقوق إذ ليس فى هذين الصورتين ذوات حقوق و أدنى و اقرب إلى أَلَّا تَعُولُوا و تميلوا بمخالفه العدل قال ابو طالب فى لاميته المعروفه المشهوره فى مدح النبى (صلى الله عليه و آله) و التصديق برسالته:-

بميزان عدل لا يخيس شعيره و وزان صدق وزنه غير عائل

و حكى عن بعض انه فسر تعولوا بقوله بكثره عيالكم و رده المتصلعون من علم اللغه بأن الذى يجىء للمعنى الذى يقوله هو أعمال يعيل بضم الياء لا- عال يعول و رد ايضا بأن المشار اليه بقوله «ذلك» هو نكاح ما شاء الرجل من ملك يمينه و لو عشرا و ذلك يوجب كثره العيال فكيف يكون اقرب إلى قله العيال من الزوجتين او الثلاث او الأربع. و ايضا لو كان كما يقول و ليس بمعنى عدم العدل لكان عله ثانيه للاقتصار على الواحده فيلزم أن يؤتى بالواو قبله و يقال «و ذلك ادنى» عطفنا على العله التى سيقى لها الجملة الشرطيه و هى الأمن من عدم العدل

سوره النساء (٤): آيه ٤

وَ آتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَهُ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا (٤)

٤ وَ آتُوا النِّسَاءَ الخطاب هنا بالنظر إلى الحكمه يكون للأزواج بالنسبه إلى صداق زوجاتهم صَدُقَاتِهِنَّ جمع صدقه بفتح الصاد و ضم الدال اسم لصداد الزوجه و مهرها نِحْلَهُ النحله العطييه المقصود منها انتفاع من أعطيت له. و فى ذلك تأكيد لوجوب إيتاء النساء صداقاتهن بيان ان الوجه فى إعطاء الصداق هو انتفاع الزوجه به و ليس هو مجرد وسيله لاستخلاصها ممن يلى أمرها كضمن الشاه مثلا. و فى هذا البيان ردع عن العاده الجاهليه التى بقيت موروثه فى كثير من الأوباش الى هذا الزمان و هى ان الزوج يدفع الصداق لمن يلى امر الامراه لمجرد أن يستخلصها منه مع علمه بأنه يأكله ظلما فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ «من» للتبيين او للتبعيض جريا على الغالب نَفْسًا تمييز للضمير فى «طبن» فَكُلُوهُ الأمر للإباحه حال كون المأكول

هَيْئاً المراد كونه نعمه بلا نكد و لا تبعه مَرِيئاً و المراد منه السائغ كالطعام السائغ فى المرى بسهولة و بلا غصه

سوره النساء (٤): آيه ٥

وَ لَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَ ارزُقُوهُمْ فِيهَا وَ اكْسُوهُمْ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٥)

٥ وَ لَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ جمع سفیه. و السفه هو الخفه فى العقل و الطيش و وضع الأمور فى غير موضعها و منه التبذير فى صرف المال و صرفه فى المحرمات و الملاهى و شرب الخمر بل لا يخفى ان شرب الخمر بذاته من السفه كما اتفق عليه حديث الفريقين أَمْوَالِكُمْ و قد أكد النهى جلت حكمته و أشار الى حكمته الرادعه للعقلاء بوصف الأموال بأنها الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ اى جعلها الله و الضمير هو المفعول الأول لكلمه «جعل» قياماً و هو المفعول الثانى. و فى التبيان و المصباح انه مأخوذ من القوام بكسر القاف. و فى المصباح قوام الأمر عماده الذى يقوم به و ينتظم. و فى القاموس نظام الأمر و عماده أقول او ما يعتمد عليه كقول لبيد فى معلقته:-

أفتلك ام وحشيه مسبوعه خذلت و هاديه الصوار قوامها

اى و البقره التى تهدى القطيع من بقر الوحش هى قوامها. و فى النهايه فى الحديث الا ان يكون له قوام من معيشته. و محصل بيان الآيه الكريمة انه كيف يحسن لذى الرشد ان يعمد الى المال الذى جعله الله قواما و قياما لأمر المعيشه فيعرضه للتلف هدرا بايتائه للسفيه و فى الكشاف تقومون بها و تنتعشون فكأنها فى أنفسها قيامكم و انتعاشكم: و لا- يخفى ما فيه من تعسف و ارزُقُوهُمْ فيما يحتاجون اليه فيها بما هو أعم من كون الرزق لهم بالشراء بالبعض من نمائها أو من أعيانها أو ببعضها إن كانت مما يحتاجون اليه من المأكول. و لذا لم يجر التعبير بقوله تعالى «منها» لثلا يظهر منه إيتاء البعض منها فيعود إلى إيتاء الأموال للسفهاء وَ اكْسُوهُمْ اى فيها وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا تألفا لهم و استصلاحا و رفعا لحزازه حبس الأموال عن إيتائها لهم. و قد اختلف المأثور فى تفسير الآيه فى السفهاء. ففى الدر المنثور عن أبى هريره هم الخدم و هم شياطين الإنس. و عن ابن مسعود النساء و الصبيان.

و عن ابن عباس من طريق العوفى النساء و الأولاد و فى روايه اخرى السفیه من ولدك.

و هذه الكلمات زياده على إطلاقها ظاهره بسوق ألفاظها و قرائن اسلوبها فى اراده المطلق من

الخدم والنساء والأولاد. وفي ذلك ما فيه مضافا إلى ان تخصيصها للسفيه بمن ذكرته كأنه اجتهاد لا روايه موقوفه على انها ساقطه بصحاح الروايات

ففي تفسير القمي في الصحيح عن الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث شارب الخمر لا تأتمنوه لأن الله يقول **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم** و اي سفيه أسفه من شارب الخمر. ونحوه روايه السكوني عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه امير المؤمنين (عليه السلام) و روايه الكافي من قول الباقر (عليه السلام) للصادق (عليه السلام). و صحيحته من قول الصادق (عليه السلام) لولده إسماعيل

و روايه العياشي عن ابراهيم بن عبد الحميد عن أبي جعفر (عليه السلام) كل من يشرب المسكر فهو سفيه.

و في مستدرک الحاكم و صححه و عن البيهقي في الشعب عن أبي موسى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث و رجلا أتى السفيه ماله و قد قال الله **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُم** الحديث.

هذا و بعض هذه الروايات نص في كون السفيه في موردها من غير النساء و الولد و الخدم و بعض كالصريح في اراده العموم. و لترجع الى مفردات الآيه و ما يستنتج منها في مسائل - الأولى - ان الأمر في قوله تعالى **وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ** هل هو للوجوب فيختص بواجب النفقه. او هو للاباحه في كل من يباح رزقه من السفهاء و ان لم يكن من الأقارب لأن الأمر وارد في مقام توهم المنع بالنهاى عن ايتائهم الأموال. و الثانى هو الأظهر - الثانيه - ان النهى في الآيه عام كعموم لفظ السفهاء فلا يختص بمن يحتاج الى الرزق و الكسوه. و ذلك لأن تعقب ضمير الخاص للعام لا يجعله خاصا الا بدلاله القرائن المقاميه. و القرائن في الآيه و الحديث إنما هي على العموم و منها ما أشرنا اليه من التعليل المستفاد من وصف الأموال بأنها جعلها الله قياما للتعيش فلا يصح ان يسلط عليها السفيه المتلف لها - الثالثه - ان النهى لا يختص بمال المنهى بل يعم ما كان بيده بحسب الولاية او الوصايه او الوكاله او غير ذلك من اموال الناس. و ذلك لأن المخاطبين هم الناس كما في أول السوره فتكون الأموال مضافه الى الضمير العائد لهم و لنوعهم و كأنه قيل لكل مكلف لا تؤت اموال الناس الذين أنت منهم للسفهاء. و لا يلزم من ذلك حمل الاضافه الواحده على الحقيقه و المجازيه كما حكاه الرازى في تفسيره عن القاضى و لا حاجه الى ما أجاب به الرازى من دعوى عموم المجاز في الاضافه و قد جاء ما ذكرناه من الإضافه الى النوع في قوله تعالى في سوره النور ٣٢ **وَأَنْكِحُوا الْأَيَامى مِنْكُمْ و الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ و إِمَائِكُمْ** فيكون منطوق الآيه و عموم تعليلها محتويا لمقتضى الحكمه و مصلحه احترام المال و حفظه لمالكة مطلقا لأنه جعله الله قياما للمعيشه

وَ ابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَ بِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا وَ مَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْغَفِرْ وَ مَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَ كَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا (٦)

٦ وَ ابْتَلُوا الْيَتَامَى الَّذِينَ لَهُمْ أَمْوَالٌ مَحْجُوبَةٌ عَنْ تَصَرُّفِهِمْ لَصِغَرِهِمْ وَ امْتَحَنُوهُمْ وَ جَرَّبُوهُمْ، بِمَمارِسِهِ أَمْرَهُمْ لِاسْتِكْشَافِ رُشْدِهِمْ وَ لِيَقْتَهُمْ لَصُونِ أَمْوَالِهِمْ عَلَى النِّهْجِ الْعَقْلَانِيِّ النَّوْعِيِّ بِمَا يَحْصُلُ بِهِ الْاِمْتِحَانُ وَ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ وَ لَوْ بَأَنْ يَدْفَعُ إِلَى الْيَتِيمِ شَيْءٌ مِنَ الْمَالِ مَعَ الْاِذْنِ بِالتَّصَرُّفِ فِيهِ وَ الْمَرَاقَبَةِ لَهُ فِي تَصَرُّفَاتِهِ الْمَأْذُونِ لَهُ فِيهَا. وَ لَا دَلَالَهَ فِي الْاِبْتِلَاءِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوَجْهِهِ عَلَى أَنْ يَخْلَى بَيْنَ الْيَتِيمِ وَ بَيْنَ الْمَالِ لِتَصَرُّفِ فِيهِ بِلا اِذْنٍ وَ لَا مَرَاقَبَةٍ فِي التَّصَرُّفَاتِ بَلْ أَنْ تَعْلِيْقُ الدَّفْعِ عَلَى الْبُلُوغِ وَ اِنْسِ الرَّشْدِ يَدُلُّ عَلَى مَا قَلْنَاهُ. وَ لِيَكُنْ هَذَا الْاِبْتِلَاءُ قَبْلَ الْبُلُوغِ لِيُعْطَى الرَّشِيدُ مَالَهُ أَوَّلَ بُلُوغِهِ كَمَا هُوَ حَقُّهُ فَإِنْ حَصَلَ الرَّشْدُ لَا يَتَوَقَّفُ عَلَى الْبُلُوغِ بَلْ يُمْكِنُ حَصُولُهُ مَتَدْرِجًا مِنْ حِينَ التَّمْيِيزِ وَ يَعْرِفُ بِالْاِمْتِحَانِ وَ الْاِبْتِلَاءِ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ أَيِ الْحَالِهِ وَ الصِّفَةِ الَّتِي قَدَرَهَا اللَّهُ لِنَوْعِ الْإِنْسَانِ فِي تَطَوُّرَاتِ نَشْأَتِهِ وَ نَمُوهِ وَ هِيَ أَنْ تُحَدِّثَ فِيهِ مَادَةَ التَّنَاسُلِ وَ هُوَ الْمَنِيُّ بِحَسَبِ نَوْعِهِ وَ دَمُ الْحَيْضِ فِي رَحِمِ الْأُنْثَى فَيَكُونُ بِذَلِكَ صَالِحًا لِلزَّوْجِ مَائِلًا- إِلَيْهِ بِحَرَكَةِ مَادَةِ التَّنَاسُلِ إِلَى الرَّغْبَةِ النَّوْعِيَّةِ فِيهِ. وَ لِحُدُوثِ تَلَكَّ الْحَالِهِ وَ تَلَكَّ الصِّفَةِ أَمَارَاتٌ تَدُلُّ عَلَيْهَا تَكُونُ الْعَبْرَةَ بِأَوَّلِهَا حَصُولًا- مِنْهَا هَيْجَانُ تَلَكَّ الْمَادَةِ وَ خُرُوجُ الْمَنِيِّ مَاءِ الشَّهْوَةِ الْمَعْرُوفِ بِأَحَدِ الْمَحْرُكَاتِ كَالْجَمَاعِ وَ نَحْوِهِ أَوْ بِتَخِيلِهِ فِي النَّوْمِ وَ هُوَ الْاِحْتِلَامُ. وَ لِأَنَّ الْغَالِبَ تَقَدُّمُ الْاِحْتِلَامِ عَلَى الْجَمَاعِ وَ نَحْوِهِ جَعَلَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بُلُوغَهُ هُوَ الْعِنْوَانُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى فِي سُورَةِ النَّوْرِ ٥٧ الَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ ٥٨ وَ إِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ. وَ رُبَّمَا يَتَأَخَّرُ الْمَحْرُكُ لَخُرُوجِ الْمَنِيِّ فَتَكُونُ الْعَبْرَةَ فِي الْأُنْثَى بِخُرُوجِ دَمِ الْحَيْضِ مِنْهَا وَ إِذَا تَأَخَّرَ ذَلِكَ كَانَ حَمْلَهَا كَاشِفًا عَنْ بُلُوغِهَا. وَ إِذَا تَأَخَّرَ ظَهْرُ هَذِهِ الْإِمَارَاتِ أَخَذَ بِالسِّنِّ وَ هُوَ فِي الذِّكْرِ إِكْمَالُ خَمْسَةِ عَشْرَ سَنَةٍ هَلَالِيهِ عَلَى الْمَشْهُورِ عِنْدَنَا بَلْ هُوَ اِجْمَاعٌ إِذْ لَمْ يَعْهَدْ الْبَقَاءَ عَلَى الْخِلَافِ الْاِمْنِ ابْنِ الْجَنِيْدِ. وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ اِجْمَاعًا فَهُوَ شَهْرٌ تَعَصَّدَ مَا تَوَافَقَهُ مِنَ الْحَدِيثِ وَ تَوَهَّنَ مَا تَخَالَفَهُ. وَ عَلَى الْمَشْهُورِ مَعْتَبَرَةُ الْعَبْدِيِّ بِالْحَسَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ وَ رَوَايَاتُ الْكِنَاسِيِّ عَنِ الْبَاقِرِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ صَحِيْحَا ابْنِ وَهْبٍ عَنِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ نَحْوَهُمَا وَ رَوَايَاتُ الْخِصَالِ فِي مَرْسَلَةِ ابْنِ عَامِرٍ عَنِ الصَّادِقِ. وَ الرَوَايَاتُ الْمَعَارِضَةُ أَنْ لَمْ تَقْبَلِ التَّأْوِيلَ بِإِمْكَانِ أَنْ تَظْهَرَ الْإِمَارَاتُ الْمَذْكُورَةَ قَبْلَ الْخَمْسَةِ عَشْرَ سَنَةٍ فَهِيَ مَطْرُوحَةٌ لِمَخَالَفَتِهَا الْمَشْهُورِ وَ اعْرَاضِ الْقَدَمَاءِ عَنْهَا. وَ فِي الْأُنْثَى إِكْمَالُ تِسْعِ سِنِينَ بِاِجْمَاعِنَا وَ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنْ رَوَايَةِ الْعَبْدِيِّ: وَ مِنْ

علامات البلوغ نبات الشعر الخشن على العانه دون الزغب و عليه علماؤنا و هو المحكى عن مالك و احمد و الشافعى فى احد قوله و فى القول الآخر خصه بالكفار و عن أبى حنيفه انه لا يعتد بذلك. و الحجه عليه ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) امر بالاعتبار به فى امر بنى قريضة كما هو مروى من طرق الجمهور فى الصحيح عندهم كما فى مسند احمد و صحيح ابن حبان و جامع عبد الرزاق عن عطيه القرضى. و من طرقنا روايه أبى البخترى عن الصادق (عليه السلام) عن الباقر (عليه السلام) كما تدل عليه روايتا العبدى و الكناسى عن الباقر (عليه السلام) و ذكرت فيهما اللحيه للغلام ايضا. و هناك أمارات آخر كتغير الصوت و تورم الثديين و انفراج ارنبه الأنف و لكن التدرج فى حدوثها قد يسبق البلوغ فلذا لم تعد من الإمارات المعول عليها فَإِنَّ أَنْسِيْتُمْ فى التبيان آنستم وجدتم يقال آنست من فلان خيرا. و لعله يشير بالمثل إلى وجه الاستعمال و هو ان انس ليس معناه ابصر و علم كما قال بعض اللغويين بل هو مأخوذ من الانس و استعمل فى وجدان ما يؤنس به ضد ما يستوحش منه و لم يسمع فى مستقيم الكلام استعماله فيما يحذر منه مِنْهُمْ رُشْدًا فى حفظ المال و عدم تبذيره و لعل فى التنكير اشاره إلى ذلك. و لا يعتبر فى ذلك الرشد فى التقوى بمعنى العدالة و لم يحك القول باعتبار العدالة الا عن الشيخ الطوسى و الشافعى لكن قال فى التبيان و الأولى حملة اى

الرشد على العقل و إصلاح المال و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

ايضا أقول و

فى الفقيه عن الصادق (عليه السلام) فى الآيه إيناس الرشد حفظ المال

و عن العياشى عن يونس بن يعقوب عن الصادق (عليه السلام) فى الآيه اى شىء الرشد الذى يؤنس منه قال (عليه السلام) حفظ ماله

و صحيحه العيص المرويه فى الكافى و الفقيه و التهذيب عن الصادق (عليه السلام) فى اليتيمه متى يدفع إليها ماله قال (عليه السلام) إذا علمت انها لا تفسد و لا تضيع.

و فى صحيحه الكافى عن هشام عن الصادق (عليه السلام) و ان احتلم و لم يؤنس منه رشده و كان سفيها و ضعيفا فليمسك عنه وليه ماله. و نحوه روايه الفقيه و التهذيب

و الظاهر ان السفه و الضعف بمنزله عطف التفسير لعدم الرشد. و

موثقه التهذيب عن عبد الله بن سنان عن الصادق (عليه السلام) فى الغلام جاز امره إلا أن يكون سفيها او ضعيفا و فسر السفه بالذى يشتري الدرهم بأضعافه و الضعيف بالابله:

و فى الدر المشهور اخرج ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و البيهقى فى سننه عن ابن عباس فى الآيه رشدا فى حالهم

و الإصلاح فى أموالهم: و من السفه و عدم الرشد تعاطى صرف المال فى الملاهى و القمار و شرب الخمر و للزنا و نحو ذلك و قد سمعت من الحديث ان شارب الخمر سفیه فَاذْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ و خلوا بينهم و بينها كسائر ذوى الأموال. و مدلول الآيه ان الولى على أموالهم لا يدفعها إليهم حتى يأنس منهم رشدا مهما طعنوا فى السن فمن الغريب حتى فى القياس و الاستحسان ما عن أبى حنيفه من انها تدفع إليهم بعد الخمس و عشرين سنه من عمرهم و ان كانوا سفهاء- هذا و لما نهى الله تعالى فى الآيه الثانيه عن بعض الأنحاء من أكل اموال اليتامى اقتضت الحكمة و الرحمه ان ينهى عن سائر الأنحاء مما يغوى به الشيطان و تغرى به دناءه النفس الأماره من أكلها بالإسراف او فى سورة الحذر من ان يكبر اليتيم فيأخذ ما يجده من أمواله فيسرع المتولى عليها إلى صرفها و اتلافها فقال جلت رحمته وَ لَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا و الإسراف معروف و مقتضى الظاهر ان «إسرافا» نائب عن المفعول المطلق وَ بِدَارًا أَنْ يَكْبُرُوا البدار مصدر بادرته الشىء أى سابقته و مفعوله مصدر ان يكبروا و يكون بدارا مفعولا- لأجله أى تأكلونها مسابقه منكم لكبرهم. و لا- حاجه إلى تأويل الإسراف و البدار باسم الفاعل لجعلهما حالين كما فى مجمع البيان و الكشف وَ مَنْ كَانَ غَنِيًّا بِمَالِهِ لَا يَضَاقِقِ الْعَمَلَ فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى و إصلاحها و النظر فى شؤونها و لا يزاحمه فى امر معاشه و ما يحتاج اليه فَلْيَسِّرْ تَغْفِيفُ أى يطلب صفه العفه و يتخلق بها او فليصر عفيفا مثل استحجر الطين و من العفه تركه بكرم الأخلاق و الشهامه و الرحمه و ان لم يكن حراما كما ذكره اللغويون و يعرف من موارد الاستعمال و سيأتى ان الأمر فيه للاستحباب او للإرشاد إلى الخلق الحميد وَ مَنْ كَانَ فَقِيرًا بِحَيْثُ يَكُونُ عَمَلُهُ فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى و نظره فى أمرها مخلا بنظام تعيشه و كسبه لما يحتاج اليه فَلْيَأْكُلْ الْأَمْرَ لِلإِبَاحَةِ بِالْمَعْرُوفِ و لا يعهد هنا معروف يحال عليه و يجعل ميزانا الا اجره المثل لعمله.

و تحرير الكلام فى الآيه الكريمة هو انه بحسب النظر إلى القواعد الشرعيه العامه او الدليل الخاص و هل يجوز لمتولى مال اليتيم ان يأخذ الا-جره على عمله فيه ام لا. و لا يخفى انه عمل محترم و ليس فى امر الولاية ما يهدده حرمة. اما الوصيه و قبولها فليس فيهما التبانى على العمل مجانا

و لا ما يوجب الالتزام بهذا التباني لو كان. و اما وجوب العمل فإنما هو توصلى لا يمنع من استحقاق الاجره. و لو منع منها لمنعه من أن يستأجر غيره مع انه لا كلام و لا خلاف فى جواز ذلك حتى الاستئجار على النظر فى امور العاملين. و دعوى ان مباشرته مهدوره و ان جاز له ان يستأجر محتاجه إلى بيان المبنى و الدليل و الفارق. و أما النهى عن أكل اموال اليتامى فإنه ناظر إلى غضبها و هو القدر المتيقن من ذلك. و من ذلك يعرف الكلام فى سائر اقسام المتولين. و فى التبيان و الظاهر فى أخبارنا ان له اجره المثل سواء كان قدر كفايته او لم يكن و نحوه فى مجمع البيان و قد افتى الشيخ بذلك فى نهايته فى آخر باب التصرف فى اموال اليتامى من كتاب المكاسب و عليه الفتوى فى وصايا الشرايع و للقواعد و الإرشاد و التذكرة و الإيضاح و الدروس و الجواهر و غيرها. و على ما ذكرناه من احترام عمل الولى و استحقاقه به اجره المثل بيتنى قول اللعنه و المسالك بها مع الحاجه و الفقر و قول المبسوط و كنز العرفان و جامع المقاصد و الروضه بأقل الأمرين منها و من الكفايه. لأن ما ذكره من التقييد مستند إلى ما فهموه من الآيه الكريمه. و كذا ما ذكره الرازى من قول البعض من علمائهم ان له ان يأخذ من مال اليتيم ما يحتاج اليه و بقدر اجره عمله و ذكر الاحتجاج له بوجوه سته سادسها القياس على الساعى فى أخذ الصدقات. و ما حكاه فى الكشاف و تفسير أبى السعود عن محمد بن كعب من قوله ينزل نفسه منزله الأجير فيما لا بد منه. و عن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه و فى تفسير المنار «و عن عطا يضع يده مع أيديهم و يأكل معهم كقدر خدمته فى عمله و من هنا قال الفقهاء ان له اجره مثله من مال اليتيم» و على نحو ما ذكرناه يجرى ما فى الدر المنثور من انه اخرج البخارى و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و البيهقى فى سننه عن عائشه قالت أنزلت هذه الآيه فى والى اليتيم فليأكل بالمعروف بقدر قيامه عليه انتهى و الموجود فيما عندى من نسخه البخارى فى التفسير يأكل منه مقام قيامه عليه بمعروف. و المآل واحد. و ايضا اخرج ابن المنذر و الطبرانى عن ابن عباس فى الآيه قال يأكل الفقير إذا ولى مال اليتيم بقدر قيامه على ماله و منفعته له: و

فى التهذيب فى الصحيح عن هشام ابن الحكم قال سألت أبا عبد الله يعنى الصادق (عليه السلام) عن تولى مال لليتيم ماله ان يأكل منه فقال ينظر إلى ما كان غيره يقوم به فليأكل بقدر ذلك.

و لا يخفى ان مناسبات المقام و تشديد القرآن الكريم فى المحافظه على اموال اليتامى و للنهى عن أكلها لا تسوغ للذهن ان يحتمل ان الله

جعل أموال اليتامى طعمه لوليها الفقير يأكل منها بدون جهه استحقاق يعود نفعها لليتيم من عمل له اجره. و هذه الجهه مشتركه بين الغنى و الفقير. و فى الدر المنثور ذكر جماعه اخرجوا عن القاسم بن محمد قال جاء رجل إلى ابن عباس فقال إن فى حجرى أيتاما و إن لهم إبلا فما ذا يحل لى من ألبانها فقال إن تبع ضالتها و تهنأ جرباها و تلوط حوضها و تسعى إليها فاشرب غير مضر بنسل و لا ناهك فى حلب. و فى الكافى و التهذيب بسندهما عن حنان عن الصادق (عليه السلام) نحوه و مما ذكرناه فى معنى العفه و احترام عمل الولى و وجه استحقاقه للأكل يعرف أن الأمر فى قوله تعالى «فَلَيْسَ تَغْفِفُ» إنما هو للندب لما فى الاستعفاف من الخلق الكريم فى الرحمه بالأيتام و اعانه الضعفاء، و صيانه النفس من تعديها و مغالطتها للغنى بأن عمله من حيث جلالته بالثروه ثمين جدا. مع ان الاجره يرعى فيها ذات العمل لا- شؤون العامل. و على هذا النحو من الأحكام الأخلاقية و الآداب الاجتماعيه جاءت الأحاديث المختلفه لسانها بحسب النظر إلى مراتب الاستحباب و المروءه و الحاجه كما فى الدر المنثور و الباب المائه و البابين اللذين بعده من كتاب المكاسب من الوسائل فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهَا الْمَتُولُونَ عَلَى أَمْوَالِ الْيَتَامَى إِلَيْهِمْ أَمْوَالُهُمْ عِنْدَ بُلُوغِهِمْ وَ رَشَدِهِمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ مِنْ يَكْتَفَى بِشَهَادَتِهِ وَ تَقُومُ بِهِ الْحُجَّةُ.

و هذا الأمر للإرشاد و الاستحباب لبعض الجهات عند الإماميه و لم اعرف عاجلا قائلا بالوجوب. و فى تفسير الرازى أجمعت الامه على الاشهاد هو الأولى و الأحوط. و فى تفسير المنار عن استاذه أنه ذهب جمهور الفقهاء إلى أن الأمر بالإشهاد امر ارشاد و حكى عن الشافعيه و المالكيه و جوب الإشهاد وَ كَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا محاسبا لكم فيما أوصاكم به فى هذه الآيات و لليتامى إن جحدوكم. و قيل شاهدا. هذه شريعه الحق و زواجر العدل فى امور اليتامى و من شريعه العدل، و قوانين الحق فى المواريث قوله تعالى

سوره النساء (٤): آيه ٧

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧)

٧ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا وَ هُوَ حَالٌ مَوْكُودٌ جِئَ بِهَا تَوَطُّئُهُ لِلْوَصْفِ بِكَوْنِ النِّصِيبِ مَّفْرُوضًا فِى شَرِيْعَةِ الْعَدْلِ لَا يَخْتَصُّ الرِّجَالُ

بذلك و لا- تنعزل عنه النساء مما قل منه او كثر فلا- يستكثر عليهن الكثير و هذا هو النكته في ذكر النساء اى كما ان الرجال يكونون وراثا من القليل و الكثير فكذلك النساء لأن المال الموروث مال الميت و إنما ينتقل إلى غيره بسبب الولديه للوالدين و الأقربيه للأقربين و هذا السبب كما يحصل للرجال يحصل بعينه للنساء ايضا فلما ذا نحرم النساء إرثها و إن كانت أقرب القربى و المراد بالمفروض هو الواجب المدلول عليه بالخصوص او العموم لا خصوص فرض النصف و الثلثين فإن اكثر النساء كالبنت و الأخوات مع إخوتهن و غيرهن ليس لهن فرض خصوصى- و لا يخفى- انه كثيرا ما يكون للرجل جميع التركة بإجماع الامه كما إذا انفرد بالإرث لا- نصيب و بعض منها. فيعرف من ذلك ان التعبير بالنصيب هنا و بالنصف و الثلثين فى الآيات الأخر إنما هو ناظر إلى صورته وجود الشريك فى الإرث فيقال ذلك توسعه لمجال الشركه و مقدمه لحساب القسمة و توطئه للموازنه بنحو غير حاصر بل تكون تصفيه الحساب و جمعه و إكمال الحصص و تحديدها و أخذ النتيجة العمليه من قاعده الأقربيه المؤسس تشريعها فيما كرر هاهنا من قوله تعالى وَ الْأَقْرَبُونَ فإنه جلت حكمته أوضح أن المبنى فى الإرث و قاعدته الأساسيه هى الأقربيه فى الرحم فإنه إذا كان الموروث للوارث هو الأقرب اليه فالوارث هو الأقرب اليه. و قد جرى التأكيد لهذه القاعده بقوله تعالى فى سورة الأنفال ٧٤ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَ هَاجَرُوا وَ جَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ لکن مقام العلقه النسبيه و الأقربيه فى الرحم محفوظ لا يتقدم عليها فى آثار الارتباط شىء و أولوا الأرحام بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و قوله تعالى فى سورة الأحزاب النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ أَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَ أولوا الأرحام بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيائِكُمْ مِنْهُمْ «مَعْرُوفًا» فى حبوتكم بالعطاء المنجز او الوصيه كان ذلك فى الكتاب مَشِيئَةً وَ نظر الآيتين إلى الميراث اظهر من ان يجحد. و من المعلوم أن جل الصحابه و منهم ابو بكر و عمر و على و ابن مسعود و الزبير كانوا يورثون الأرحام بهاتين الآيتين و على ذلك فقهاء العراق بل و الشافعى إذا لم ينتظم بيت المال. و هو اجماع أهل البيت و الإماميه. و حديثهم فى ذلك كثير جدا. و تناصرت فيه أحاديث اهل السنه من طرفهم مع صحتها عندهم فى ان الآيه نزلت فى تقديم اولى الأرحام فى الإرث على غيرهم كما أسنده الطبرى فى تفسيره و عبد بن حميد عن أبى بكر و أسنده الحاكم عن الزبير كما أسنده عن ابن عباس بسندين و ذكر

ثانيهما ابو داود ايضا فى جامعه. و الآيات الثلاث متعاضده الدلاله واضحه العنايه بتأكيد عمومها و تثبيته بالتكرار و بيان وجهه الواضح و علته المأنوسه فى الأذهان و هو الأقربيه فى الرحم. و زاد تشديد التأكيد بتكرار البيان لكون أوليه الأقرب فى الرحم ثابتة فى كتاب الله و ما سطره فى كتابه من شريعته الحق الثابته و بأن الله الذى هو بكل شىء عليم و العالم بما يحدث من الأمور نص فى كتابه على أوليه الأقرب فى الرحم من غيره

سوره النساء (٤): الآيات ٨ الى ٩

وَ إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَ لِيُخَشَّ الَّذِينَ لَمْ يَتْرُكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّهُ ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَ لِيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩)

٨ وَ إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ لِلْمِيرَاثِ أُولُو الْقُرْبَىٰ الظاهر انهم أولو قربي الميت من غير الوراث الأقربين وَ الْيَتَامَى المحتاجين وَ الْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ من غير تعيين للمقدار بل ما يؤدى هذا العنوان و لا يجحف بالمال منه اى من المال المدلول عليه بمقام الميراث و القسمه كما ذكرنا مثله فى الشعر العربى فى الصفحه ١٥٥ من الجزء الأول وَ قُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا من القول الطيب و الظاهر اتفاق الإماميه و إجماعهم على أن مؤدى الآيه غير واجب. و اختلف الحديث من الفريقين فى نسخها و عدمه كما فى الدر المنثور فى الروايات عن ابن عباس و فى تفسير البرهان من رواياتنا.

و اما الاستحباب فإن لم يثبت بعنوانه الخاص فلا بأس فى ثبوته بعنوان الإحسان نعم لا يجوز ذلك قبل القسمه فيما إذا كان فى الوراث قاصر او معتوه او غائب و لا بعدها فيما يرجع إلى هؤلاء ٩ وَ لِيُخَشَّ الَّذِينَ لَمْ يَتْرُكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّهُ لَهُمْ ضِعَافًا جمع ضعيف خافوا عَلَيْهِمْ و هذه الجملة جواب «لو» و قد ورد فيما يرجع إلى مضمون الآيه و ينطبق عليه أحاديث. منها: صحيحه عقاب الأعمال و

عن العياشى عن الصادق (عليه السلام) قال ان فى كتاب على (عليه السلام) ان آكل مال اليتيم سيدركه ذلك فى عقبه من بعده فى الدنيا و يلحقه وبال ذلك فى الآخره اما فى الدنيا فإن الله يقول و ذكر الآيه. و فى معناه موثقه سماعه المرويه فى الكافى و الفقيه و التهذيب و عن العياشى عن الصادق (عليه السلام).

و ما فى الفقيه من قوله قال الصادق (عليه السلام) أن آكل مال اليتيم يخلفه وبال ذلك فى الدنيا و تلا الآيه. و كذا ما أسنده عن الرضا (عليه السلام) و روايتا الصفار و العياشى عن الصادق:

و مرجع ذلك إلى أن الله لا يوفق آكل مال اليتامى لأن يجعل على يتاماه و ذريته الضعاف قيما أمينا و لا يدفع عن أموالهم من يريد أكلها و لا يدفع

عنها عوارض التلف مع أن فيها الأعيان المأكولة من اليتامى السابقين أو عهده ضمانها. فيتلفها الله بمقاديره و له ما فى السماوات والأرض. و أخرج ابن جرير عن ابن عباس فى الآيه ما حصله أن الذى يخاف على أيتامه الضيعه و أن يسىء إليهم من يلى أمرهم فليحسن إذن إلى أيتام الناس إذا وليهم و لا يأكل أموالهم- و من الأحاديث- ما فى الدر المنثور مما أخرج ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و البيهقى فى سننه عن ابن عباس أن الآيه فى الرجل يسمع المريض يوصى بوصيه تضر بورثته فأمره الله أن يرشد المريض و يسدده بالنظر إلى ورثته و ما أخرج ابن جرير و ابن المنذر و البيهقى عن ابن عباس ما حصله أن من حضر مريضا فلا- يأمره بإنفاق ماله فى العتق و الصدقه بل ينظر لأيتام المريض كما ينظر لأيتام نفسه. و نحوه ما أخرج ابن أبى حاتم أيضا عن ابن عباس- أقول- و أن مفاد الآيه الكريمة بالنظر إلى مفرداتها و جملتها و كرامه حجتها فى تمثيلها المجيد لهو أعم مما ذكر. و ملخص الكلام هو أن الغالب من نوع الإنسان من لا يزن الأمور الضاره بميزانها من القبح و المرجوحه و لا يرى وجوب تركها أو رجحانها إلا- إذا مسته بضررها أو تمثل له فى مفكرته أنه يبتلى بها و تمسه بضررها المزعج. فشاء الله بلطفه إصلاحه لشؤون عباده و تنبيههم و إرشادهم للخير و تحذيرهم من التعدى على أموال اليتامى. أو إهمال أمرهم. أو الإجحاف بهم. أو الحمل على الإجحاف بهم. أو السكوت عن ارشاد المجحف و نهيه. فاستلفت الله بحكمته الإنسان إلى أنه ماذا يقول و ما هو حاله و ماذا يقدر من انتقام الله و غضبه إذا فرض فى مفكرته أنه ترك من بعده ذريه له ضعافا و أيتاما صغارا و هو يرى حالهم و من يأكل أموالهم. أو يرى من يعين هذا الأكل على ظلمه. أو يرى من يقدر على منع الظالم و لا يمنعه. أو يرى من يقدر على ارشاد أيتامه و إصلاحهم فلا يفعل. أو يرى ضياع ذريته و تلف أموالهم حيث أهمل الوصيه كما ينبغى أو حابى بالوصيه من لا يثق به من اصدقائه أو أقربائه أو زوجته. أو يرى العاقبه حيث أن بعض الناس ورّطه فى انفاق ماله فى العتق و الصدقه و ترك أيتامه عالاه يتكفون. أو يرى من سمع المنفق المعتق و لم يرشده إلى أن رسول الله نهى عن ذلك. إذن فالذين تستلفتهم الآيه إلى تقدير ابتلائهم فى أيتامهم بهذه الحوادث الكونيه فيتألمون منها و يقدرون لها ما يقدرونه من الانتقام و سائر المحاذير. هؤلاء ليخشوا فى أمثال هذه الأمور و مواردنا و ليخافوا من يجب أن يخشى و هو الله شديد الانتقام و ليخشوا ما ينبغى أن يخشى من الانتقام

و محاذير المخالفه للحرمة و الوجوب و الآداب الشرعيه فى الوجوه المذكوره. فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ فِيمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ او أوجه عليهم وَ لِيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا جارياً على الصلاح و آداب الشريعة فيما يحتاج إلى القول فى اقامه الوصى الثقه العارف على أيتامهم. و فى مقام الإرشاد إلى المشروع و ما هو الصالح و فى مقام ما يجدى من الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فى جميع هذه الشؤون.

و ان هذا البيان على طوله ليقصر عما تضمنته الآيه الكريمة فى تعليمها العام مما يفرضه الإنسان فى مفكرته مما لا يرضاه من شؤون أيتامه و من إهمال متعلق الخشيه و ايكاله إلى ما تقتضيه وجوه ما تفرضه المفكره كما أشرنا إلى بعضها و الله الهادى. و إنما جرى التعبير بكلمه «لو تركوا» لأن المقام مقام فرض و تقدير فى المفكره ليكون التعليم عاماً لان الكثير من المأمورين بالخشيه بتقدير هذا الفرض و التنبه به من لا يكون لهم ذريه ضعاف يتكفونهم. و الظاهر من كرامه تعليم الآيه و عموم إرشادها ان المراد بالضعاف ما يعم المعتوهين الكبار و النساء الضعيفات و «الذين» فى الآيه فاعل «فليخش» و «خافوا» جواب «لو» و جمله «لو» صله للذين

سوره النساء (٤): آيه ١٠

إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠)

١٠ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا لا يلاحظ اجره عملهم و تقديرها او باستقراض سائغ فى مورده إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا اى إنما يأكلون فى بطونهم شيئاً يجرهم إلى النار. فالأكل باعتبار هذه الغايه المهوله و استحراق سائر الغايات من الأكل بالنسبه إليها كأنه نار محضه. و بهذا الاعتبار جاء الحصر بكلمه «إنما» كما فى قول حطان بن المعلى

و إنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشى على الأرض

فإنه لأجل شدة العلقه بين الآباء و الأولاد و قوه المحبه حصر شؤون الأولاد فى وجودهم بأنهم أكباد الآباء لأن الأكباد من أعز الأعضاء كما يقال الولد قطعه من الكبد و كما قالت الخنساء فى وصف البقره الفاقده لعجلها

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هى اقبال و ادبار

و

فى مرسله الكافى عن محمد بن مسلم عن الباقر (عليه السلام) فى الآيه ان آكل مال اليتيم يجرى يوم القيامة و النار تلتهب فى بطنه حتى يخرج لهبها من فيه يعرفه اهل الجمع بأنه آكل مال اليتيم

و نحوه ما فى الدر المنثور مما أخرجه ابن أبى شيبه و ابو يعلى و الطبرانى و ابن حبان فى صحيحه و ابن أبى حاتم عن أبى برزه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله).

و فى تفسير القمى عن الصادق (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لما أسرى بى إلى السماء رأيت قوما يقذف فى أفواههم النار و تخرج من ادبارهم فقلت من هؤلاء يا جبرائيل فقال هؤلاء الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما.

و نحوه ما فى الدر المنثور مما أخرجه ابن جرير و ابن أبى حاتم عن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله (صلى الله عليه و آله)

وَ سَيَصِفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي جَهَنَّمَ سَعِيرًا صَلَّى النَّارَ لَزِمَهَا وَقَاسَى حَرَّهَا وَإِحْرَاقَهَا. وَسَعِرَ النَّارَ وَأَسْعَرَهَا أَوْ قَدَّهَا وَشَعَلَهَا. وَالسَّعِيرُ بِمَعْنَى الْمَسْعُورِ وَيُقَالُ فِي الْمُؤْنِثِ أَيْضًا كَكَفِّ خَضِيبٍ

سوره النساء (٤): آيه ١١

يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَ لِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُّسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ الشُّدُّسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنِ آبَائِكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (١١)

١١ يُوصِيكُمُ اللَّهُ يَعهد إليكم و مرجع ذلك إلى معنى يشرع و يفرض فى ارث أولادكم منكم و الولد يشمل من تولد من الإنسان و لو بواسطة او وسائط. و على ذلك جاءت

روايه حذيفه عن النبى (صلى الله عليه و آله) سيد ولد آدم يوم القيامة محمد (صلى الله عليه و آله).

و روايه بريده ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) رأى الحسين يمشيان و يعثران فنزل عن المنبر و أخذهما و وضعهما بين يديه و قال صدق الله و رسوله إنما أموالكم و أولادكم فتنه رأيت هذين فلم اصبر كما أخرجه ابن أبى شيبه و احمد و ابو داود و الترمذى و النسائى و ابن ماجه و ابو يعلى و ابن خزيمة و ابن حبان و الحاكم فى مستدركه و البيهقى فى السنن و الضياء فى المختاره.

و روايه الترمذى عن واثله عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) و اصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانه.

و روايه ام سلمه عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) المهدي من عترتى من ولد فاطمه (عليه السلام) كما أخرجه احمد و مسلم و ابو داود و النسائى و ابن ماجه و البيهقى و غيرهم.

و روايه حذيفه عنه (صلى الله عليه و آله) المهدي من ولدى أخرجه الروبانى و الطبرانى و ابو نعيم السيوطى و صححه و غيرهم.

و روايه انس نحن ولد عبد المطلب سادات اهل الجنة انا و حمزه و على و جعفر و الحسن و الحسين كما أخرجه ابن ماجه و ابو نعيم و الحاكم و الطبرانى و الديلمى و الثعلبى و غيرهم.

نعم قد تقتضى قرائن الحال و المقال و مناسبه الحكم ان يفهم منه الولد بلا واسطه و قد يقتضى بيان الطبقه فى الولديه ان يقال هذا ولد ولدى لا ولدى فإن النفى إنما هو لرتبه من رتب الولديه لا لماهيه الولديه و قد يراد النص على العموم فيقال اولادى و أولاد اولادى.

و قد اجمع المسلمون فى هذا المقام و أمثاله على مقتضى الوضع اللغوى فى ثبوت الحكم لمطلق الولد

ص: ٢٣

الولد و ان نزل بل لعله اجماع على استعمال اللفظ في ذلك في القرآن على مقتضى وضعه كما صرح به جماعه من الإماميه و يكون الميزان في ارث الطبقات منهم ما تكرر في الآيه السادسة من قوله تعالى وَ الْمَأْقُرُونَ وَ قوله تعالى في سورة الأنفال و الأحزاب أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ لِلذَّكَرِ مِنَ الْأَوْلَادِ فِي حَالِ الْاجْتِمَاعِ مع نوع الإناث في طبقه مثل حَظُّ الْأُنثَيَيْنِ من الميراث. و قد سئل عن الحكمه في تفضيل الذكر بالحظ من الميراث على الأنثى فأجاب أئمه الهدى من اهل البيت عن ذلك بأن الرجال يعولون و يعطون مهرا و عليهم جهاد و نفقات و معقله في الديات و المرأه تكون عاله و تأخذ مهرا كما ذكر رواياته في تفسير البرهان عن الصادق و الرضا عليهما السلام. و لعل هذا هو النكته في ذكر القرآن لزياده حظ الذكر لا نقص حظا لانثى فإن الإشاره الى جهة فضل الفاضل احسن في التعليل و أطيب إلى قلب المفصول من الإشاره إلى جهة نقصه فَإِنْ كُنَّ الْوَارِثَاتُ مِنَ النِّسَاءِ بِجِهَةِ الْوَلَدِيَةِ وَ الْأَقْرَبِيَةِ نِسَاءً لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنَ الْأَوْلَادِ فِي طَبَقَتِهِنَّ ذَكَرٌ وَاحِدٌ أَوْ مُتَعَدِّدٌ فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدُ الْمُدْلُولُ عَلَيْهِ بِمَجْرَى الْكَلَامِ. و قد اجمع المسلمون عدا ما يحكى عن ابن عباس على ان حكم الاثنتين حكم الأ-كثر. و ذكر الثلثان ليبقى المجال لهم من يتفق معهن في الميراث كالأبوين او أحدهما او الزوج او الزوجه و ليكون الثلثان ميزانا للرد مع الأب او الام وَ إِنْ كَانَتْ الْوَارِثَةُ مِنَ الْأَوْلَادِ بِحَسَبِ الْأَقْرَبِيَةِ وَاحِدَةً فَلَهَا النُّصْفُ وَ ذَكَرَ النُّصْفَ لِيَبْقَى مَجَالٌ لِسَهْمٍ مِنْ يَتَّفَقُ مَعَهَا كَالْأَبَوَيْنِ أَوْ أَحَدِهِمَا أَوْ الزَّوْجِ أَوْ الزَّوْجَةِ وَ لِيَكُونَ مِيزَانًا لِلرَّدِّ إِذَا كَانَ مَعَهَا الْأَبَوَانِ أَوْ أَحَدُهُمَا وَ لِأَبَوَيْهِ أَيْ أَبِي الْمَوْرُوثِ. و لا يتعدى الحكم إلى الأجداد و الجدات و ان جاء في سورة الأعراف ٢٦ كَمَا أَخْرَجَ أَبْوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ لِأَنَّ الْمَعْنَى الْحَقِيقِي لِلْأَبِ لَا يَعْلَمُ شَمُولَهُ لِلْجَدِّ وَ لَوْ فَضِيَ الْعِلْمُ لَكَانَتِ التَّشْبِيهُ قَرِينَهُ عَلَىٰ أَنْ الْمُرَادُ هُوَ مَا لَا يَتَعَدَّى مُصَدِّقَهُ الْاِثْنَيْنِ وَ هُمَا الْأَبَوَانِ الْقَرِيبَانِ وَ أَمَا الْأَجْدَادُ وَ الْجَدَاتُ فَيَكُونُونَ فِي الطَّبَقَةِ الْاُولَىٰ اَرْبَعَهُ وَ كَلَّمَا عَلَتِ الطَّبَقَةُ تَضَاعَفُوا هَذَا مَعَ الْاِجْمَاعِ عَلَىٰ عَدَمِ تَعَدِّي الْحُكْمِ إِلَى الْأَجْدَادِ وَ الْجَدَاتِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ أَيْ لِلْمَوْرُوثِ

وَلَمَّا وَان نزل فإن الأمه مجمعه على ان ولد الولد و ان نزل يرث مع الأبوين و يرد كلا منهما إلى السدس و شد خلاف الصدوق فى الفقيه و المقنعه فى ذلك فإن لم يكن له ولمد و ان نزل و ورثه أبواه ممن يرث بالقرابه لأن سوق الكلام فى الإرث من هذه الجهه فلأتمه الثلث من أصل المال الموروث كما فى سائر الفرائض المذكوره فى القرآن فإن كان له إخوة لأبويه او لأبيه فلأتمه السدس من أصل المال بإجماع المسلمين و على نهج سائر الفرائض و الباقي للأب ما لم يزاخمه أحد الزوجين فيه. و قد اجمع المسلمون على كفايه الأخوين فى الحجب للأب عن ثلثها عدا ما يروى عن ابن عباس من اشتراط الثلاثه. و مذهب الإماميه انه يكفى فى هذا الحجب اربع أخوات أو أخ مع أختين و على ذلك حديثهم. و اشتراطوا ان لا يكون فى العدد المعبر فى الحجب كافر و لا- رق لإجماعهم على ذلك و اطلاق أحاديثهم فى ان الكافر و المملوك لا يحبان. و ان لا يكون فيهم قاتل للموروث لإجماعهم الذى لا يضر فيه ما يحكى من خلاف العماني و الصدوق. و هؤلاء الاخوه لا يرثون و انما يوفرون على الأب نصيبه و حكى عن ابن عباس توريثهم. و لا يخفى ان مذهب الاماميه ان للأب مع الأب عند عدم الحاجبين المذكورين ثلث اصل المال من بعد الوصيه و الدين سواء ورث احد الزوجين مع الأبوين أم لم يرث. و حجتهم على ذلك ظاهر القرآن فى الثلث بظهور يقارب الصراحه بالنظر إلى نظائره من الفرائض و حياطه الظاهر بقوله تعالى فى آخر الآيه من بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ و صحاح أحاديثهم المتعاضده المتناصره عن رسول الله و امير المؤمنين و الباقر و الصادق (عليه السلام) و وافقهم على ذلك ابن عباس. و هو احدى روايتى الجمهور عن على (عليه السلام) فى روايه سعيد بن منصور و البيهقى فى سننهما من طريق يحيى الجزار و حكاه ابن رشد فى البدايه عن شريح و ابن سيرين و داود و جماعه. و ذهب

الأكثر من الجمهور الى ان لها مع الزوج او الزوجه ثلث ما يبقى بعد فرض أحدهما. و لهم فى ذلك تشبثات مضطربه مدفوعه حلا و نقضا- التشبث الأول- ما فى تفاسير الكشاف و الرازى و أبى السعود و غيرهم من انهم حصروا فرض الآيه بصوره انحصار الإرث بالأبوين فحسب من غير مشاركته احد الزوجين لقوله تعالى و وَرِثَةُ أَبَوَاهُ. و هذا

هو أقرب إليكم نفعاً من جهات نفعكم و تنفرون ممن لا ينالكم منه نفع. و كم من شخص تحرصون على توريثه و توفير فرضه و لو انكشف لكم الأمر لحرصتم على منعه فمهلاً- مهلاً لا تستخفونكم النظره الحماه فتثقل عليكم قسمه الله للمواريث و احكامه فيها فها هم آباؤكم و أبنائكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً مما هو نفع يرغب فيه العقلاء فعليكم بوصيه الله و فرضه و أحكامه فى المواريث على حسب حكمته فريضة الظاهر كما فى التبيان انها حال من المواريث الموصى بها و المفروضه عموماً و خصوصاً فى ضمن الآيات المتقدمه فتكون مؤكداً لتشريع المواريث من الله إن الله كان عليمًا بالأمر و منها ما هو الأصلح و الأوفق بالحكمه فى قسمه المواريث حكيمًا فى كل شىء

سوره النساء (٤): آيه ١٢

و لَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلِكُمُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَ لَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّتِهِ مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ (١٢)

و من ذلك أحكام المواريث ١٢ و لَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ و ان نزل ذكرها كان أو أنثى فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ أى جنس الولد منكم او من غيركم فَلِكُمُ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَ لَهُنَّ و ان كن أربعا الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ مطلقاً فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ أى جنس الولد منهن او من غيرهن فَلَهُنَّ و ان كن أربعا الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ تُوَصُّونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ عليكم و إِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةٌ «كان» تامه و رجل فاعل و جمله يورث صفه له أى يورث من حيث القرابه. عن الفراء الكلاله ما خلا الوالد و الولد سموا كلاله لاستدارتهم بنسب الميت الأقرب فالأقرب من تكلمه الشىء إذا استدار به فكل وارث ليس بوالد للميت و لا ولد فهو كلاله مورثه. و فى التبيان واصل الكلاله الاحاطه و منه الإكليل لاحاطته بالرأس و الكلاله لاحاطتها بأصل النسب الذى هو الولد و الوالد. و فى الصحاح الكل أى بفتح الكاف من لا ولد له

ولا- والد يقال منه كل يكمل الرجل كلاله و العرب تقول لم يرثه كلاله عن عرض بل قرب و استحقاق و قال بعضهم يسمى الوارث و الموروث كلاله و أنشد له قول زياد بن زيد العذرى:-

و لم ارث المجد التليد كلاله و لم يأن منى فتره لعقيب

و فى الكشاف و تطلق على القرابه من غير جهة الوالد و الولد و الكلاله فى الأصل مصدر بمعنى الكلال و هو ذهاب القوه انتهى و كلهم قالوا انها تطلق على من ليس بولد و لا والد و على هذا جاء الحديث

ففى الكافى و التهذيب فى الصحيح عن عبد الرحمن عن الصادق (عليه السلام) الكلاله ما لم يكن والد و لا ولد. و نحوهما روايتهما عن حمزه بن حمران عنه (عليه السلام) و روايه معانى الأخبار فى الصحيح من مراسيل ابن أبى عمير عنه (عليه السلام):

و أخرج الحاكم فى مستدركه عن أبى هريره عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى حديث و الكلاله من لم يترك والدا و لا ولدا

و فى الدر المنثور اخرج ابو الشيخ فى الفرائض عن البراء قال سئل رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن الكلاله فقال (صلى الله عليه و آله) ما خلا الولد و الوالد و ذكر ايضا من اخرجوا نحو ذلك عن ابن عباس و عمر و على و ابن مسعود و زيد بن ثابت.

و قال بعضهم يسمى الوارث و الموروث كلاله أقول و لا ياباه ما تقدم بل هو مقتضى إطلاقه. و هب ان الكلاله فى الأصل مصدر لكنها صارت اسما منقولاً لمن ذكر فى الحديث و ذكره اللغويون فكلمه «كلاله» حال من الضمير النائب عن الفاعل أى يورث حال كونه ليس بوالد و لا ولد لوارثه. و فى جعلها خبراً لكان الناقصه تعقيد فى الكلام و فى جعلها حالاً من الوارث المشار اليه فى الكلام تكلف زائد فى التقدير. نعم لو أبقينا لفظ الكلاله على معناه المصدرى جاز أن يكون مفعولاً لأجله و وجهها للإرث و يجوز فى هذا المعنى أن تكون تمييزاً رافعاً لإبهام الإرث فى وجهه و فى المصدريه و احتماليها فى الاعراب ضعف. و الآيه على كل تقدير تدل على اختصاص حكمها بما لم يكن للموروث وارث بالقرابه القويه الأصليه من والد او ولد لأنها مقيدة لحكمها بصورة كون الإرث عن كلاله لا- يوجد معها والد و لا- ولد و هو اجماع و قال مالك فى الموطأ فى ميراث الأخوه من الأم المجتمع عليه عندنا ان الأخوه للأم لا- يرثون مع الولد و لا مع ولد الأبناء ذكرانا و إناثا و لا يرثون مع الأب و لا مع الجد أبى الأب شيئاً. و ذكر ابن رشد فى بدايته عن أهل السنه نحو اجماع مالك. و قال مالك ايضا ما ملخصه ان الذى أدركت عليه أهل العلم ببلدنا ان الكلاله فى هذه الآيه هى التى لا ترث فيها الأخوه للأم حتى لا يكون والد و لا ولد. و هذا كله لقوله تعالى وَ إِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ

أقول و التقييد و حصر الإرث فى الآيه بوجه الكلاله من الأقارب فى الآيه جلى مضافا الى انها لو كانت مطلقه على خلاف ظاهرها للزم فيها تخصيص الأكثر بإخراج من ذكر الإجماع على انهم لا يرثون مع الاربعه المذكورين و تخصيص الأكثر قبيح فى الاستعمال فمن الغريب إذن حكم الجمهور بإرث الأخوه من الأم معها بفرض هذه الآيه أَوْ امْرَأَةٌ عطف على رجل و لها مثل حكمه الآتى وَ لَهُ أَى الرجل فإن عنوان الجملة مسوق له أَخٌ أَوْ أُخْتٌ و قد اجمع المسلمون على ان المراد و مورد النزول هو الاخوه من الأم وحدها كما يشير اليه الجمع بين هذه الآيه و الآيه الأخرى فى الكلاله فى آخر السوره فَلِكُلِّ وَاِحِدٍ مِنْهُمَا مع اجتماعهما او انفردهما و اجتماع الأخوين او الأختين السُّدُسُ من التركة فَإِنْ كَانُوا أَى الاخوه المدلول عليهم بقوله تعالى أَخٌ أَوْ أُخْتٌ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكْ أَى من الاثنين فَهُمْ شُرَكَاءُ فى التُّلْثِ على السواء لا- يفضل حظ الذكر على حظ الأنثى. و ذلك مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصى بِهَا ذلك الرجل او الامراه المعطوفه عليه أَوْ ذَيْنِ حال كون الرجل و مثله المرأه المعطوفه عليه غَيْرَ مُضَارٍّ للورثه بوصيته بأن تكون اكثر من الثلث. و جرى التعرض للإضرار بالوصيه هنا لأن المقام مظنه له لأن ارث الكلاله و خصوص كلاله الأم يكثر ان يكون ثقيلًا على الموروث. و الحكم عام وَصِيَّتِهِ مصدر مؤكّد منصوب بيوصيكم مقدره و صرح بأنها مِنَ اللَّهِ تأكيداً لعظيم شأنها و التحذير من مخالفتها وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بمن يطيع و من يعصى و يتعدى حدوده حَلِيمٌ لا يعاجل بالعقوبه و بمناسبه هذه الآيات الكريمه ينبغى هاهنا تفسير الآيه المذكوره فى آخر السوره و هى قوله تعالى يَسْتَفْتُونَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَى فى الكلاله لدلاله ما يأتى قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فى كتابه فى ميراث الكلاله و قد مر معناها و قد اجمع المسلمون على ان المراد منها غير ما تقدم ذكره من كلاله الأم وحدها إِنْ امْرَأَةٌ هَلَكَتْ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ أَى جنس الولد و قد مرّ انه أعم من الذكر و الأنثى و إن نزل. و جملة ليس له ولد صفه وَ لَهُ أُخْتٌ الجملة تصلح لأن تكون صفه

معطوفه و حاله فلها نصف ما ترك ذكر النصف ليقى مجال لفريضة جنسى الزوجه و الاخوه من الأم وحدها و قد اجمع المسلمون على عدم توريث الأخت مع الأبوين إن لم يكن للميت ولد و كان ابن عباس يتضجر من حكم بعض بأن الأخت تأخذ مع البنت ما بقى بنحو التعصيب و يقول أ أنتم اعلم أم الله و عن ابن طاوس ان ابن عباس قال قال الله تعالى إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك فقلتم أنتم لها النصف و إن كان له ولد كما رواه الحاكم على شرط البخارى و مسلم و رواه عبد الرزاق فى جامعه و هو يرثها إن لم يكن لها ولد فى صورته

تكون هى الميته و هو باق بعدها. و اجمع المسلمون ايضا على عدم توريثه مع الأبوين. و المراد من قوله تعالى يرثها يرث منها و ذلك لكثرة ما يتفق معه من وجود الزوج و الأخوه من الأم فقد علق إرثه منها على عدم الولد و إن كان أنثى و إن نزلت كما سبق فإن كانتا أى الأخوات اثنتين فلهمما الثلثان مما ترك و ذكر الثلثان ليقى مجال لفريضة الزوجه و الأخوه من الأم و إن كانوا إخوة رجالاً و نساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين و قد اجمع المسلمون ايضا على عدم توريثهم مع الأبوين فى الآيه إطلاقات متعدده أجمع المسلمون على عدم العمل بالكثير من موارد مضافا إلى أن الآيه لم تبين من احكام الكلاله حكم ما فوق الاثنتين من الأخوات و لا حكم الأخوين فما زاد من الذكور و لا حكم الاثنتين من الأخت و الأخ مع أن قوله تعالى يبين الله لكم حفظا لكم من أن تضلوا يدل على ان الله جلت حكمته و لطفه قد بين أمر الكلاله فى كتابه المجيد بالبيان الحافظ من الضلال و ذلك بنظم هذه الآيه فى القرآن مع آيات الموارث فيكشف بالنظر إلى الجميع و تدبره ان وجوه مطلقاتها مبينه و موضحة ببيان تلك المواضيع التى ذكرت أحكامها فى الآيات الأخر و مبتنيه على أساسياتها من كون الإرث للأقربين و ان اولى الأرحام بعضهم أولى ببعض و من ان الذى ليس له ولد إنما يكون ارثه بسبب الرحم لأبويه و ليس لغير الأبوين من الأرحام مقام فى الإرث مع مقام الوالديه. و هذا هو السبب فى الاقتصار بحسب حاجه البيان إلى اشتراط عدم وجود الولد فى ارث الاخوه لأن الولد لم تذكر له فريضة و مقام إرث الغى فيه الاخوه.

و قد تقدم الكلام فى الآيه العاشره على مقام فريضة الأبوين مع الغاء الاخوه فيه. و غايه ما هنا انه روعيت عيلولة الأب بهم فوفر نصيبه مع الأم بهم- لا يقال ان تلك الآيه لا تدل على الغاء الاخوه مع وجود الأبوين معا و لا على الغائهم مع الام وحدها- لأننا نقول ان

القاعده المستفاده من سير المواريث و المعقوله من إرث الأقارب هو انه إذا كان لقریب مقام ارث مع قریب آخر لا يحجبه عن هذا المقام وجود وارث ثالث بل غايه ما فى وارثته انه يزاحمهم فلا يكون وجود الأب مانعا عن مشاركة الاخوه للام لو كان لهم معها مقام ميراث كما توضح ذلك آيات الأقربين و أولى الأرحام- لا يقال ان عموم تلك الآيات معارض بإطلاق هذه الآيه فى ارث الاخوه مع عدم الولد- لأننا نقول ان عموم تلك كالمعلل بوجهه الاقريبه و أولويه الرحم بل هو معلل فى الحقيقه و مآل سوقه فيقوى قوه لا- يعارضه فيها الا النص و أما الذى فى هذه الآيه فهو اطلاق موهون بخروج الكثير من افراده فى صور وجود الأب منفردا و مع الام مع ان الأخذ بالإطلاق لا يتجه إلا مع عدم البيان و تلك العمومات مع قوتها وجهه تعليلها كافيها فى البيان الذى يقف امام الإطلاق. إذن فموضوع الإطلاق مختص بالصوره التى لا يوجد فيها من هو أقرب من الاخوه و يكشف عن ذلك انهم لا- يرثون مع الأب المنفرد و هو فى هذه الصوره ليس بذى فرض و إنما قدم على الاخوه بكونه أقرب و أولى منهم فكذا الام لعين العله. و اما مسأله الإرث معها بالتعصيب فسيأتى ان شاء الله بطلانه- لا يقال ان الإجماعات المتقدم ذكرها كافيها فى بيان الآيه فيؤخذ بمطلقاتها فى غير موارد الإجماع- لأننا نقول لا مناص فى تدبر القرآن من استيضاح دلالة بعضه ببعض و النظر فى وجوه الدلاله. مضافا إلى ان قوله تعالى فى نفس الآيه «يبين الله لكم ان تضلوا» يدل على ان الآيه حين وحيها كانت محفوفه ببيان الله فى كتابه الكريم بالدلاله على تقيد موضوعاتها على ما ذكرناه لا موكوله إلى صدفه اجماع المسلمين بعد حين. و هذا جلى بفضل الله و له الحمد و ان بعثنا بعض ما يقال فى الشبهات إلى هذا التطويل تمحيضا للحقيقه التى عليها اجماع الإماميه و حديثهم و الله الموفق.

بقى الكلام فيما يرجع إلى ما فى الآيات من عمومات المواريث و إطلاقاتها و فى ذلك أمور «الاول» ان الكافر لا يرث المسلم و لا- يحجب وارثه و على ذلك اجماع المسلمين و حديثهم «الثانى» ان المسلم يرث الكافر و عليه اجماع اهل البيت و الإماميه و حديثهم. و هو المحكى عن معاذ بن جبل و معاويه و عبد الله بن دغفل من الصحابه و سعيد بن المسيب و مسروق و يحيى بن يعمر من التابعين و

أخرج احمد فى مسنده بطريق صحيح عندهم و الحاكم و صححه على شرط البخارى و مسلم و لم يتعقب فى ذلك ان معاذ بن جبل أتى بميراث يهودى و له وارث

مسلم فقال سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول الإسلام يزيد ولا ينقص فورثه. و اخرج ابو داود فى سننه نحو ذلك.

و هو حديث معلل معتضد بالمعقول من ان الإسلام لا ينقص حظ المسلم فى الدنيا والآخرة و بما أخرجه الروبانى و الدارقطنى و البيهقى فى سننه و الضياء عن عائذ بن عمرو و

صحح عن النبى (صلى الله عليه وآله) الإسلام يعلو و لا يعلو عليه.

و ان حجب المسلم عن ميراثه بالكافرين علو على الإسلام. و بمثل

قول الباقر (عليه السلام) فى المقام ان الله لم يزد بالإسلام إلا عزا فنحن نرثهم و لا يرثوننا كما رواه المشايخ الثلاثة فى كتبهم و نحوه عن الصادق (عليه السلام).

و عن الصادق (عليه السلام) انه قال فى مثل المقام ان الإسلام لم يزد الا عزا فى حقه.

و فى حديث آخر لم يزد فى ميراثه إلا شده.

و يؤخذ هذا المعنى أيضا من قوله تعالى فى السوره ٤٠ وَ لَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا فَإِنْ حَجَبَ الْكَافِرُ لِلْمُؤْمِنِ عَنْ مِيرَاثِهِ سَبِيلًا عَلَيْهِ. و قد ذكر ابن رشد فى البدايه و غيره احتجاج الجمهور بهذه الآيه لعدم ارث الكافر من المسلم. و لىت شعرى لماذا غفلوا عن دلالتها على عدم حجب الكافر للمسلم فإنها فى الدلاله على ذلك أوضح و أظهر.

و عن البيهقى فى سننه عن ابراهيم قال قال على (عليه السلام) المشرك لا يحجب و لا يرث.

و عن ابراهيم ايضا كان على (عليه السلام) لا يحجب باليهودى و لا النصرانى و لا المملوك و لا يورثهم

- و لو اسلم الكافر قبل قسمه الميراث شارك فيه ان كان مساويا و انفرد فيه ان كان اولى و عليه اجماع الإماميه و حديثهم و وافقهم على ذلك جمله من الجمهور منهم الحسن و قتاده. و فى بدايه ابن رشد روى من حديث عطا ان رجلا اسلم على ميراث على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) قبل ان يقسم فأعطاه رسول الله نصيبه. و احتج الجمهور على مدعاهم بما

أخرجه أحمد و أصحاب الجوامع الستة عن اسامه و الحاكم عن جابر عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لا يرث الكافر المسلم و لا المسلم الكافر.

و يدفع هذا الاحتجاج أولا بكون الروايه مخالفه لنفى السبيل فى الآيه و لكون الإسلام يزيد و لا ينقص و انه يعلو و لا يعلو عليه. و ثانيا بأن روايات الجوامع و إن وصفت بالصحة فى اصطلاحهم لا تجدى شيئا فى قبال الإجماع من اهل البيت و اتباعهم الاماميه و حديثهم. و احتجوا أيضا بما

أخرجه أحمد و ابو داود و ابن ماجه عن ابن عمر عن النبى (صلى الله عليه وآله) لا يتوارث اهل ملتين شيئا.

و يدفعه إن مدلوله هو ان اهل الملتين لا يتبادلون الميراث بحيث يرث كل من اهل الملتين من اهل المله الأخرى. و لا يدل على ان احدى الملتين كالإسلام لا يرث أهلها من الكافرين كما

قال الباقر و الصادق (عليه السلام) نرثهم و لا يرثوننا

و احتجاجوا أيضا بما

أخرجه احمد و اصحاب

ص: ٣٢

الجوامع ما عدا الترمذى عن اسامه من قول النبي (صلى الله عليه و آله) و هل ترك لنا عقيل من رباع.

زاعمين ان المقصود ان عقيلاً- ورث أبا طالب دون علي و جعفر. و يردده انه لا دلالة بوجه من الوجوه على ان عقيلاً أخذ ذلك بحق الإرث المختص به فى شريعته الإسلام فضلاً

عن ان النبي (صلى الله عليه و آله) لما سئل عن منزله بمكة عام الفتح قال و هل ترك لنا عقيل رباعاً

و هذا يدل على ان بيع عقيل لرباعهم حتى رباع النبي (صلى الله عليه و آله) و خديجه بل و حمزه و عبيده إنما كان من جلافه الشرك و عدوانه و خلو الجوله- الأمر الثالث- ان العبد لا يرث مع الحر و ان بعد الحر نعم إذا انعتق قبل القسمة شارك أو انفرد كما ذكرناه فى الكافر و على ذلك اجماع الإماميه و حديثهم. و لا يحضرنى عاجلاً قول الجمهور فيما إذا انعتق قبل القسمة- الرابع- ان ولد الزنا لا- يرث ممن تولد منه بالزنا أبا كان أو أما و لا ممن يتقرب اليه بهما و هؤلاء لا يرثون منه و عليه اجماع الإماميه و ذلك لأن الشارع قد قطع فوائد العلقه النسبيه من الزنا

بقوله (صلى الله عليه و آله): الولد للفراش و للعاهر الحجر.

و فى جامع الترمذى مسنداً عن عمرو بن العاص عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أيما رجل عاهر بحره أو امه فالولد ولد زنا لا يرث و لا يورث.

و لا وجه للتفريع

بقوله (صلى الله عليه و آله) فالولد ولد زنا

الا التمهيد لبيان ان التولد من الزنا مانع من الإرث مطلقاً. و يشهد له ما

رواه الترمذى و الحاكم عن واثله قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) المرأة تحوز ثلثه مواريث عتيقها و لقيطها و ولدها الذى لا عنت عنه:

حيث جعل لها ميراثه باعتبار ان ملاعنتها نفت جهه الزنا من جانبها كما عليه اجماع الإماميه و حديثهم. و حكى مالك فى الموطأ عن عروه بن الزبير و سليمان بن يسار قولهما بأن ولد الزنا كولد الملاعنه فى التوارث مع امه و من يمت بها ثم قال مالك و على ذلك أدركت اهل العلم ببلدنا: أقول و هو غريب لا يلتئم مع ما ذكرناه من الأحاديث- الأمر الخامس- ان القاتل عمداً ظلماً لا يرث من مقتوله و عليه اجماع الإماميه و حديثهم عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) و عن الباقر و الصادق (عليه السلام) و ذهب إلى ذلك أيضاً جل الجمهور لما رواه الترمذى و ابو داود عن ابن عمر و البيهقى عن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه و آله): فإن قتله بحق لم يمنع من ارثه و عليه اجماع الإماميه و روايتهم عن الباقر (عليه السلام) فى قتال اهل البغى. و المشهور عند الإماميه روايه و فتوى انه يرث فى قتل الخطأ لكن المشهور انه لا يرث من السديه و وافقهم فى الأمرين مالك و أصحابه- الأمر السادس- ان آيات الأقربين و اولى الأرحام و عمومها القوى المؤكد تقتضى ان يرد الفاضل من الفرائض على الأقرب من الأرحام و يكون الرد على نسبه سهامهم فإذا اجتمع

الأب و البنت رد ربع الفاضل على الأب و ثلاثه أرباعه على البنت. و على هذا القياس و عليه أهل البيت و حديثهم و اجماع الإماميه اتباعهم. و ذهب الجمهور إلى التعصيب و روه عن امير المؤمنين فى بعض الموارد لكن روايتهم مع ضعفها و تعارضها مردوده بما صح فى رواياتنا عن الأئمه من خلاف ذلك. و الروايه عن ابن مسعود متعارضه و يكثر فيما يروى عنه من مسائل التعصيب العمل على خلافه. احتج الجمهور للتعصيب بوجه منها المفهوم من تحديد الفرائض بالنصف و الثلث و نحو ذلك و هو يقتضى بأن نصيب ذى الفرض ينحصر بمقدار فرضه فلا يرث اكثر من ذلك- و يدفعه أولا انه لا مفهوم مع احتمال فائده غير فضلا عن تحققها و يكفى من الفائده إبقاء مجال للفرائض الأخر التى تجمع مع الفريضه الخاصه و لان يكون عنوان الفريضه فى الأرحام ميزانا للرد عليهم- و ثانيا- اجماع المسلمين على عدم المفهوم كما إذا كان الوارث أباً مع بنت أو بنتين و اكثر فإن الشيعه يزيدون على سدس الأب بالرد، و الجمهور يزيدون عليه بالتعصيب. او كان الوارث زوج هو ابن عم فإن الشيعه يزيدون نصفه بالقرابه و الجمهور يزيدونه بالتعصيب أو كان الأخوه من الأم أكثر من اثنين و هم أبناء عم فإن الشيعه يزيدون ثلثهم بالقرابه و الجمهور بالتعصيب و ان فقهاء العراق من الجمهور و منهم ابو حنيفه و احمد بل و الشافعى إذا لم ينتظم بيت المال وافقونا على الرد على ذوى الفرائض من الأرحام إذا لم يكن معهم عاصب و حكاه الترمذى فى جامعه عن اكثر أهل العلم و هو المروى عن الصحابه عدا زيد بن ثابت. فينتفى المفهوم بالمره لأنه ليس بلفظ له عنوان مدلول عليه لكى يقبل التخصيص و التقييد فى بعض مصاديقه. بل هو لازم يتبع كون الفريضه حاصره بمضمونها فإن ثبت و لو فى مورد واحد انها فى استعمالها غير حاصره سقط المفهوم بالمره و قد ثبت انها غير حاصره- و ثالثا- قد ثبت باجماع المسلمين و اهل المحاورات على العمل بالدليل اللفظى و ان كان عموما او إطلاقاً دون المفهوم. و من ذلك ان الشيعه يعملون بآيات الأقربين و اولى الأرحام فى الرد مطلقاً و كذا جمهور الصحابه و فقهاء العراق بل و الشافعى كما ذكرنا فى الرد إذا لم يوجد عاصب. و الجمهور بأجمعهم يعملون بعموم ما يرويه ابن طاوس فى التعصيب فيزيدون على الفرض كما ذكرناه فى مثالى الأب و الزوج الذى هو ابن عم- و من الوجوه- حديثهم فى ان معاذ بن جبل قضى فى اليمن بأن نصف التركة للبنت و نصفها الآخر للأخت.

و يدفعه أولا- انه اجتهاد من معاذ في اليمن لا حجه فيه و ثانيا انه مردود بمخالفته للقرآن الكريم لأن آيه الكلاله المذكوره في آخر السوره قد اشترطت في ارث الأخت ان لا يكون لأخيها ولد و البنت ولد بالإجماع و قد سمعت تضجر ابن عباس من هذه الفتيا. و بمخالفه القرآن يعرف الكلام فيما يروى عن ابن مسعود في ابنه و ابنه ابن و اخت من ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قضى بأن للبنت النصف و لبنت الابن السدس و ما بقى للأخت كما أخرجه عبد الرزاق في جامعه و

الحاكم في مستدركه. و في بدايه ابن رشد ذهب داود الظاهري و طائفه إلى ان الأخت لا ترث مع البنت شيئا- و منها- ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قضى بأن لزوجه سعد بن الربيع الثمن و لبنتيه الثلثين و الباقي لأخيه. و مما يرد به هذا الاحتجاج ان الروايه قد انفرد بها عن جابر عبد الله بن محمد بن عقيل و ان جماعه من اهل العلم لا يقبلون روايته كما ذكره ابن رشد في بدايته. و الذى تساهل في امره قال في حديثه لين و قد تغير في آخر عمره كما في التقريب مضافا إلى اضطراب الروايه ففي سنن ابن داود من روايه بشير بن المفضل عن عبد الله المذكور روايتها في بنى ثابت بن قيس و انه قتل يوم احد و قال ابو داود ان ثابتا قتل يوم اليمامه- و منها- ما تفرد به

عبد الله بن طاوس عن أبيه عن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) الحقوا الفرائض بأهلها فما أبقت فلاول رجل ذكر. هكذا روايه الجوامع.

و يرد هذا الاحتجاج- أولا- و هن متنه فانه لا يليق التعبير برجل ذكر و لا يصدر الا في كلام عى لا يحسن كيف يتكلم فكيف تجوز على رسول الله (صلى الله عليه و آله) مضافا إلى عدم عملهم على ظاهره فإنهم يورثون الأولي و ان كان طفلا في يوم ولادته فإن قالوا أريد بهذا الحديث من لفظ الرجل ما يشمل الطفل المذكور فقد زادوا متنه بهذه الدعوى المجرده و هنا على وهن و رده إلى الكلام الساقط. و ان قالوا ان من لم يبلغ مبلغ الرجال غير مراد من هذا الحديث و لكن مساواتهم للرجل هو حكم الله. قيل لهم أولا من اين علمتم هذه المساواه. و ثانيا انكم رددتم الحديث إلى القصور و المعايه الواهنه فإن المقام مقام بيان و تحديد. و قد خالفوا أيضا مضمونه في حكمهم بأن الإناث يعصبن مع إخوتهن و بذلك يزيدون الحديث في المعايه و القصور في البيان- و ثالثا- و هن سنده فقد روى الشيخ الطوسى في تهذيبه (1) عن أبى طالب الأنبارى عن محمد بن احمد الترمذى عن بشير بنئه

ص: ٣٥

١- سماعا و اجازة من أحمد بن عبد الواحد المعروف بابن عبدون و ابن الحاشر سنة ثلاث و عشرين و اربعمائه و كانت وفاه الأنبارى سنة ست و خمسين و ثلاثمائه

هارون عن الحميرى عن سفيان عن أبى اسحق عن قاريه بن مضرب قال جلست إلى ابن عباس و هو بمكه فقلت له حديث يرويه اهل العراق عنك و طاوس مولاك ان ما أبقت الفرائض فلأولى عصبه ذكر. قال أمن اهل العراق أنت قلت نعم قال ابلغ من وراءك- ما قلت هذا و لا طاوس يرويه على قال قاريه فلقيت طاوسا فقال لا و الله ما رويت هذا على ابن عباس و انما الشيطان ألقاه على ألسنتهم. قال سفيان أراه من قبل ابنه عبد الله بن طاوس فإنه كان على خاتم سليمان بن عبد الملك و كان يحمل على هؤلاء حملا شديدا يعنى بنى هاشم- و رابعا- يكفى فى سقوط هذا الحديث و قيام الحجه على بطلان التعصيب ما رواه

فى التهذيب فى المعبر عن الصادق (عليه السلام) ان رجلا مات على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) و كان يبيع التمر فأخذ عمه التمر و كان له بنات فأنت امرأته النبي (صلى الله عليه و آله) فأعلمته بذلك فأخذ النبي (صلى الله عليه و آله) التمر من العم و دفعه إلى البنات.

و فى الكافى و التهذيب فى المعبر عن الكاظم (عليه السلام) فى رجل ترك امه و أخاه قال يا شيخ تريد على الكتاب قال نعم قال (عليه السلام) كان على يعطى المال الأقرب فالأقرب قلت فالأخ لا يرث شيئا قال (عليه السلام) قد أخبرتك ان عليا (عليه السلام) كان يعطى المال الأقرب فالأقرب.

يعنى ان عليا كان يجرى على مقتضى الكتاب فى آيات الأقربين و اولى الأرحام و لا يقيم لمسأله التعصيب و زنا. و فيهما فى الصحيح عن الصادق المال للأقرب و العصبه فى فيه التراب.

و فى العيون بسنده عن الفضل بن شاذان عن الرضا (عليه السلام) فى حديث و لا يرث مع الولد و الوالدين إلا الزوج و المرأه و ذو السهم أحق ممن لا سهم له و ليست العصبه من دين الله.

و فى الفقيه فى الصحيح عن الباقر (عليه السلام) لا- و الله ما ورث رسول الله العباس و لا على و لا ورثه إلا فاطمه ثم قال (عليه السلام) و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض.

و فى الكافى و الفقيه و بضائر الدرجات و التهذيب فى الصحيح عن الباقر (عليه السلام) ورث على علم رسول الله و ورثت فاطمه تركته. و فى بضائر الدرجات فى الصحيح عن الصادق مثله.

إلى غير ذلك مما هو صحيح الروايه عن الأئمة العتره أهل البيت (عليه السلام)- و لو تنزلنا و فرضنا التعارض و التكافؤ بين هذه الروايات و بين روايات التعصيب لكان المرجح كتاب الله فى آيات الأقربين و اولى الأرحام و دعوى ان آيتى أولى الأرحام لا دخل لهما فى الميراث ساقطه و ذلك لعمومها و ما دل من الحديث و عمل الصحابه و اهل العلم و اهل البيت فى نزولهما فى شأن الميراث و عملهم عليهما فى ذلك كما تقدم. على انه يكفينا فى الانتصار آيه الأقربين المؤكده بالتكرار.

- الأمر السابع- و عز عليّ ان أذكره. لكن اصحاب الجوامع و المسند و ابن جرير و غيرهم من الجمهور تعرضوا له بما لا يخلو من النقد التاريخي و تعرض له الرازي و الألوסי و صاحب المنار في تفاسيرهم بما لا يخلو من النقد العلمي و التاريخي و قد ذكره بنحو يوجه اللوم على الزهراء (عليه السلام) و علي (عليه السلام) و انهما لم يقتنعا بالرواية عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) بل أصرا بحق و شدة على المطالبة به على خلاف الأموال بمقامهما العظيم في الكرامة و الدين و المحافظه على الشريعة.

و لو لا- ذلك لكان ترك التعرض منا له أولى و اهدأ للخواطر. و لكن لا- بأس بالنقد التاريخي التزيه و تمحيص الروايات و الأقوال في هذا المقام. و أمر الحقيقه موكول الى الله و علمه. و حاصله ان آيات المَاقْرِبِينَ و أُوْلُوا الْأَرْحَامِ و يُوصِيَكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ تقتضى ان تركه رسول الله (صلى الله عليه و آله) يرثها وارثه و هي ابنته و بضعته فاطمه (عليه السلام). و لكن ذكر التاريخ المؤلم في ذلك نزاعا احتدمت ناره مده من السنين بين أهل البيت و العباس من جانب و بين المعاريف من مشايخ الصحابه من جانب آخر. و كثر من ذلك في المروى ما لا يهون وقوعه إذ يروى انه استمرت شكايه أهل البيت (عليه السلام) و منازعتهم في ذلك الى زمن عثمان و رأوا بعد ذلك ان السكوت أولى.

و قد جاء في تأريخ ذلك من كتب الجمهور عن الصحابه أحاديث- الاول-

في كتاب الجهاد من جامعي البخارى و مسلم من طريق عقيل عن الزهري عن عروه عن عائشه ان فاطمه (عليه السلام) بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله) أرسلت الى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم مما أفاء الله عليه بالمدينه (1) وفدك و ما بقى من خمس خبير فقال ابو بكر قال رسول الله لا نورث ما تركنا صدقه إنما يأكل آل محمد من هذا المال و انى و الله لا- أغير شيئا من صدقه رسول الله و لأعملن به بما عمل به رسول الله (صلى الله عليه و آله) فأبى ابو بكر أن يدفع الى فاطمه شيئا فوجدت فاطمه على أبي بكر في ذلك. فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت و عاشت بعد رسول الله ستة أشهر:

و روى نحوه مسلم ايضا في جامعه و ابن جرير في تاريخه من طريق عبد الرزاق عن الزهري عن عروه عن عائشه. لكن ذكرا في أوله ان فاطمه و العباس أتيا أبا بكر يلتمسان ميراثهما من رسول الله (صلى الله عليه و آله) و هما يطلبان ارضه من فدك و سهمه من خبير. و نحوه في كتاب الفرائض من جامع البخارى من طريق معمر عن الزهري عن عروه عن عائشه الى قولها فهجرته حتى ماتت:

و روى مسلم ايضا من طريق صالح عن الزهري عن عائشه ان فاطمه سألت أبا بكر ان يقسمه)

ص: ٣٧

١- من أموال بنى النضير حيث انجلوا عنها و بقيت فينا لرسول الله (صلى الله عليه و آله)

لها ميراثها مما ترك رسول الله مما أفاء الله عليه فقال ابو بكر ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال: لا نورث ما تركناه صدقه و عاشت بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) ستة أشهر و كانت فاطمه تسأل أبا بكر نصيبها مما ترك رسول الله فأبى ابو بكر-

و فى الحديث و اما صدقته بالمدينه فدفعتها عمر الى على و العباس- و اما خبير و فدك فأمسكهما عمر و قال هما صدقه رسول الله كانت لحقوقه التى تعرفه و نوابه و أمرهما الى من ولى الأمر- الحديث الثانى-

روى مسلم فى كتاب الجهاد من طريق مالك عن الزهرى عن مالك بن أوس ما ملخصه ان عليا و العباس جاءا الى عمر يختصمان فقال عمر لعبد الرحمن و عثمان و الزبير و سعد أنشدكم الله أ تعلمون ان رسول الله قال لا نورث ما تركنا صدقه فقالوا نعم ثم ناشد عليا و العباس مثل ذلك فقالا نعم- إلى أن قال عمر فبقى هذا المال فكان رسول الله (صلى الله عليه و آله) يأخذ منه نفقه سنه ثم يجعل ما بقى أسوه المال فلما توفى رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال ابو بكر أنا ولى رسول الله فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك و يطلب هذا ميراث امرأته من أبيها فقال ابو بكر قال رسول الله ما نورث ما تركناه صدقه فرأيتما كاذبا آثما غادرا خائنا ثم توفى ابو بكر و أنا ولى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و ولى أبى بكر فرأيتمانى كاذبا آثما غادرا خائنا.

الحديث و رواه البخارى ايضا فى كتاب الفرائض من طريق عقيل عن الزهرى عن مالك بن أوس من دون قول عمر فرأيتماه- فرأيتمانى كاذبا آثما الى آخره. و رواه ابو داود فى سننه بنحو روايه البخارى

- الحديث الثالث- اخرج

ابو داود فى سننه عن أبى الطفيل قال جاءت فاطمه الى أبى بكر تطلب ميراثها من النبى (صلى الله عليه و آله) فقال ابو بكر سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول ان الله إذا أطعم نبيا طعمه فهى للذى يقوم من بعده. و روى نحوه احمد فى مسند أبى بكر عن أبى الطفيل. و نقله فى كنز العمال عن ابن جرير و البيهقى.

و هلم العجب فى هذه المشكله و ما جرى فى تاريخها من وجوه- الاول- لا يخفى ان فاطمه (عليه السلام) قد صح بين المسلمين بل تواتر انها سيده نساء العالمين. كما أشرنا اليه فى الجزء الاول ص ٢٨٢ و انها و عليا من العتره أهل البيت الذين هم ككتاب الله فى انهما لا يضل من تمسك بهما و لن يفترقا ص ٤٣- ٤٥ و من الكلمات التى تاب الله بها على آدم ص ٨٧ و من أمر الله رسوله أن يباهل بهم و يستعين بدعائهم ص ٢٩٠ و من اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا كما سيأتى بيانه إن شاء الله و ان عليا امير المؤمنين ص ١١٢ و سيأتى إن شاء الله تأكيده و نفس رسول الله فى وحي الله و حديث الرسول ص ٢٩٠- ٢٩٤ و انه

يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل رسول الله على تنزيهه كما مر ذلك في هذه المعدادات من صفحات الجزء الأول و باب
مدينه العلم. و مع الحق. و أفضى الأمه. و ولى المسلمين. و غير ذلك مما سياتى ذكره إن شاء الله، إذن فكيف تصر فاطمه مده
حياتها و يصير امير المؤمنين الى ايام عمر على المطالبه يارث رسول الله. ألا تقول كيف يصران على ذلك مع ان أبا بكر يروى
حديثا فى ذلك عن رسول الله (صلى الله عليه و آله). و هل يكون ذلك إلا لأنهما يعلمان ان احتجاج أبى بكر لا يجدى شيئا.
هب انهما يعلمان ذلك و يريان ان احتجاجه غير جار على الأصول الشرعيه من حيث انه هو المدعى فى هذه الخصومه و هو
الذى استولى على الأموال و لم يتركها على مجراها الشرعى فى الخصومات بل كان عليه أن يقف مع الزهراء للمحاكمه عند من
سمع من رسول الله ما يسقط دعوى الزهراء فتجرى الأمور على ميزان الدعاوى و الحقوق فى الشريعه.

لكن هذا كله لا- يوجب أن تهجر فاطمه أبا بكر حتى توفيت. و لا- أن يقول عمر لعلى انه رأى أبا بكر آثما كاذبا خائنا غادرا و
رأى عمر كذلك. بل كان على على و فاطمه ان يريا ان من الجائر ان يكون ابو بكر سمع من رسول الله ما رواه و إن لم تجر
الخصومه على وجهها فلا تهجره فاطمه مده حياتها و لا يختلج فى اعتقاد على ما ذكره عمر فى شأن أبى بكر و شأنه. إذن فمقام
على و فاطمه و التزامهما بالشريعه يقضى بأنهما كانا بحسب ما يعلمانه من القرآن و رسول الله لا يجدان الى تجويز الصحه فى
منع أبى بكر و روايته سيلا. و قد

روى فى كتاب بلاغات النساء (1) من طريقين ان فاطمه احتجت على رد حديث لا نورث ما تركناه صدقه بآيتى وَ وَرَثَ سُلَيْمَانُ
داوُدَ و دعاء زكريا لولد الوارث

كما سندكره إن شاء الله مع ان الاعتبار يساعد على ان أهل البيت أولى بسماع هذا الحديث من رسول الله على وجه يدعون بأن
رسول الله لا- يرث ماله وارثه بنحو يلتئم مع آيتى وراثه سليمان و يحيى من أبويهما النبيين. بل هم أولى بأن يخبرهم رسول الله
(صلى الله عليه و آله) بذلك جريا على قوله تعالى و أنذر عشيرتك الأقربين. لثلا تقع منهم بعده.

ص: ٣٩

١- صفحه ٢١ و ٢٢ من المطبوع بمصر سنة ١٣٢٦ و مؤلفه ابو الفضل احمد بن أبى طاهر المولود ببغداد سنة ٢٠٤ و المتوفى سنة
٢٨٠ و يوجد فى صفحه ١٦ «قال ابو الفضل ذكرت لأبى الحسين زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب (عليه السلام)» و
هذا غلط من النساخ او الطبع لأن الذى عاصره و يروى عنه هو زيد بن على بن الحسين بن زيد بن على المذكور كما يشهد
لذلك ما فى صفحه ١٦٧ من الكتاب و فى تقريب ابن حجر انه مقبول من الحاديه عشره.

هذه الدعوى بغير الحق و التي تثير الخلاف بين خواص الأمة. بل الحديث يدل على ان نساء النبي (صلى الله عليه و آله) لا علم لهن بذلك و أردن ان يعثن عثمان رسولا- الى أبي بكر للمطالبة يارثهن من النبي (صلى الله عليه و آله) فمنعتهن عائشه بروايه أبيها لا- نورث كما أخرجه البخارى فى كتاب الفرائض و مسلم فى كتاب الجهاد عن عائشه. بل اخرج البخارى فى كتاب المغازى بعد حديث مالك ابن أوس عن عائشه أرسل ازواج النبي (صلى الله عليه و آله) عثمان الى أبي بكر يسألنه ثمنهن الحديث و هذا يدل على ان عثمان ايضا لا يدري بحديث لا نورث و إلا لذكره لهن و لم يقبل رسالتهن.

و

روى أبو داود فى كتاب الخراج حديث نساء النبي أيضا و فيه من روايه عائشه عن قول النبي لا نورث ما تركناه صدقه و إنما هذا المال لآل محمد لنائبهم و لضيقتهم فإذا مت فهو إلى من ولى الأمر من بعدى

- الوجه الثانى - ان الذى يروى من الجواب لفاطمه و على فى منع الإرث إنما هى كلمات متدافعه متنافره. و كل منها لا يصلح جوابا و لنذكر فى ذلك أمور- الأول- ان أبا بكر بحسب ما ذكرناه من المروى هو الخصم فى هذه المنازعه و مدعى الصدقه و الولايه عليها بالانحاء التى تقدمت فى الأحاديث. و ليس من شريعه القضاء ان يكون الخصم هو القاضى و الحاكم لنفسه و ولايته و منفعتة لروايه ينفرد بها مع التدافع و الاضطراب المروى فيها. مع ان القرآن الكريم على خلافها- الثانى - ان انفراد بالروايه هو المعروف و جرى عليه علماء الأصول من اهل السنه حيث استدلووا بالعمل بتخصيص الكتاب المجيد بهذه الروايه مع انفراد أبي بكر بها. و اخرج

أحمد فى مسند أبي بكر فى حديث ان عمر قال لعلى و العباس حدثنى ابو بكر و حلف انه لصادق انه سمع النبي يقول ان النبي لا يورث و انما ميراثه فى فقراء المسلمين و المساكين.

و لو كان عمر و غيره يعلم بذلك من النبي (صلى الله عليه و آله) لما احتاج ابو بكر الى ان يحلف لعمر انه لصادق .. و قد روى عن عائشه انفراد أبي بكر بذلك. و عدته من فضائله. ففى صواعق ابن حجر و كنز العمال و مختصره فى فضائل أبي بكر انه اخرج ابو القاسم البغوى و ابو بكر فى الغيلانيات و ابن عساكر عن عائشه فى حديث ان الناس اختلفوا فى ميراث رسول الله فما وجدوا عند احد من ذلك علما

فقال ابو بكر سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) يقول «انا معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه

«لا يقال» ان روايه مالك بن أوس المتقدمه ناطقه بأن عمر ناشد عليا و العباس بالله انهما هل يعلمان

ان رسول الله قال لا نورث ما تركناه صدقه

فقال اللهم نعم «لأنا نقول» ان لم يعرف ما لأمر المؤمنين من المقام السامى فى العصمه فإنه لا يجهل

أحد من المسلمين ما له من المقام الأرفع في التقوى و الزهد و الورع. اذن فكيف يتصور في حقه انه يعلم بأن رسول الله أخبر بأن أمواله لا تكون ارثا بل تكون للمسلمين و هو يريد ان يستلبها منهم غصبا بدعوى الإرث و مخالفه لحكم الله و بيان الرسول و يستمر مع ذلك على المطالبه سنين عديده. و لو تنزلنا عن هذا لقلنا لا يخفى ان عليا و العباس لهما شرف و مروءه و سداد في الرأي و القول فكيف يطالبان بالإرث من رسول الله مده سنين و يعترفان مع ذلك بالعلم

بقول الرسول لا نورث ما تركناه صدقه.

و كيف يسجلان على أنفسهما بهذا الاعتراف انهما يستمران على الدعوى الباطله و محاوله غضب المسلمين حقهم و أكل مالهم بالباطل. و أى صاحب شعور حتى من السفله يقدم على ذلك فيشوه سمعته و يدنس مستقبله و إن لم يكن له رادع من تقوى الله. دع هذا و لكن كيف يجعله عمر مع ذلك من رجال الشورى المرشحين للخلافه و الائتمان على امور المسلمين. فما روايه الاعتراف من علي (عليه السلام) مع إصراره على المطالبه بالإرث الا فلتته ممن لا يعرف كيف يتكلم فيما يرويه «و لا يقال» ان عمر ناشد عثمان و عبد الرحمن و الزبير و سعدا بمثل ما ناشد عليا و العباس فقالوا اللهم نعم «لأنا نقول» ان الراوى لهذه المناشده و جوابها هو الراوى لمناشدته عليا و العباس و جوابهما و قد عرفت قيمه الروايه. و ثانيا ان الروايه تذكر ان عمر سألهم عن علمهم بذلك لا عن سماعهم له من رسول الله فأجابوا بالعلم اعتمادا على روايه أبى بكر و عمله «و لا يقال» ان عائشه قد روت حديث لا نورث لنساء النبي (صلى الله عليه و آله) «لأنا نقول» انها استندت على علمهن من روايه أبيها كما يدل عليه ما تقدم في انفراد أبى بكر في روايتها فلم يسعهن الا السكوت في الموقف الحرج «و لا يقال» ان

أبا هريره روى عن رسول الله كما في جوامع مسلم و الترمذى و أبى داود لا- يقتسم ورثتى ديناراً ما تركت بعد نفقه نسائي و مؤنه عاملى فهو صدقه.

و فى حديث آخر لا نورث ما تركناه صدقه

«لأنا نقول» لا- يخفى ان الروايه الأولى وارده فى النقود و انه (صلى الله عليه و آله) لا- يدخر مما يملكه منها ما يبقى بعده بل ينفقها بسماحه النبوه و رأفتها و أبوته للأمه فى سبيل الله و المحاويج. و لا يزاحم ذلك إلا بالواجب الوقتى من نفقه نسائه و مؤنه عامله فهو (صلى الله عليه و آله) على هذا المنوال وقتا بعد وقت فلا يبقى فى خزائنه ما يكون معرضا لأن يتركه بعده إلا ما كان من بيت المال و الصدقات ان وسع المال ان يتربص به حاجه المسلمين فى المستقبل. فالحديث اجنبى عن مثل الأراضى و العقار. و اما الروايه الثانيه فتكون بقريته اتحاد الراوى جاريه هذا المجرى و لا دلالة لها على اكثر من ذلك

- الأمر الثالث- ان روايه عائشه فى تفرد أبى بكر بالروايه. و تداول نقلها بين العلماء و المصنفين و ذكرها فى الكتب كلها تشهد بأن الأصل فى الروايه «انا معاشر الأنبياء لا نورث» و على ذلك جرى سطرها فى الكتب. و عليه قال الرازى فى تفسيره مذهب أكثر المجتهدين ان الأنبياء لا يورثون ثم ذكر انهم احتجوا

بقول النبى (صلى الله عليه و آله) نحن معاشر الأنبياء لا نورث.

و يشهد لذلك ما فى شمائل الترمذى من روايه أبى البخترى ان عمر قال لطلحه و الزبير و عبد الرحمن و سعد نشدتكم الله أسمعتم

رسول الله يقول كل مال نبى صدقه إلا ما أطعمه اهله الا لا نورث و نحوه فى كتاب الخراج من سنن أبى داود.

و ما

رواه أحمد فى مسند أبى بكر من قوله لفاطمه سمعت رسول الله يقول ان النبى لا يورث.

إذن فالروايه مخالفه لكتاب الله فى قوله تعالى فى سورة النمل ١٦ وَ وَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ و ليس ارث العلم و النبوه لأن القرآن يدل على ان سليمان اوتى العلم و الحكمة كداود فى زمان داود كما فى سورة الأنبياء ٧٧ و ٧٨ و فى قوله تعالى فى سورة مريم فى قول زكريا و دعائه ٤ إِنِّى خِفْتُ الْمَوَالِىَ أَى الْأَقْرَابِ الْوَارِثِينَ «مِنْ وَرَائِى» أى بعد موتى اى خاف من أن يكونوا هم الوارثين لماله.

و مقتضى مقام النبوه انه خاف ذلك لأمر شرعى «وَ كَانَتْ امْرَأَتِى عَاقِرًا» لم تلد لى ولدا يكون هو الوارث من بعدى دونهم «فَهَبْ لِى مِنْ لَمَدُنْكَ» من رحمتك و قدرتك ولدا «وَلِيًّا يَرِثُنِى» و يكون له ما ابقيه من المال الذى خفت ان يرثه الموالى من ورائى. و لا يخفى ان مقام زكريا فى النبوه يمنع من ان يقال انه خاف ان يرثه مواليه و أقاربه العلم و النبوه. و ذلك لأن النبوه و علمها امر بيد الله فى مقامها الخاص يجعلها لمن هو اهل لها و يمنعها عن من ليس بأهل و لا يخفى ذلك عن من هو دون زكريا إذن فلا يصح فى المعقول ان يقال ان زكريا النبى خاف من ان يجعل الله النبوه و علمها فيمن ليس بأهل لذلك. و لا انه خاف من ان يجعل الله النبوه و علمها بحسب حكمته فيمن هو اهل لها. فلا بد من ان يكون الذى خافه هو إرث المال الذى يرثه البر و الفاجر بحسب الشريعة. و مثل ذلك قوله تعالى عن زكريا فى سورة الأنبياء ٨٨ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا و لا ولد وارث كما يدل عليه قوله وَ أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ٨٩ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَ وَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى و ان استجاب دعائه بالوارث تبطل ان يكون يحيى قتله فى حياه أبيه زكريا حتى لو قلنا ان مراد زكريا ارث العلم و النبوه فان معنى ارث يحيى لهما من زكريا لا يستقيم فى الكلام الا إذا وصلا ليحيى بعد موت زكريا. و دعوى الإجماع على قتل يحيى فى حياه

أبيه مجازفه تشهد دلاله القرآن بطلانها- الأمر الرابع- فى تدافع الحججه المرويه فى أحاديث المسأله فإن الحديث الأول يذكّر الاحتجاج أولاً

بروايه انا لا نورث ما تركناه صدقه.

و هذا كالصريح فى دعوى ان اموال النبي (صلى الله عليه و آله) التى هى ملكه فى حياته يتصرف بها كيف يشاء تكون بعد وفاته صدقه مضافا إلى ان الاعتبار لا يساعد على ان يكون النبي محجورا عليه فى أمواله و ما أفاء الله عليه و اضافه اليه و جعله له فى نص القرآن فلا يكون كسائر المالكين يهب و يبيع و يعطى من اعيان أمواله على ما تقتضيه الحاله و المصلحه بل تكون صدقه لا يقدر ان يتصرف فيها إلا على شىء من نمائها لنسائه فلا يساوى فى أمواله التى جعلها الله له واحدا من المسلمين- لكن

قول الحديث «إنما يأكل آل محمد من هذا المال

يتضمن ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان محجورا عليه فى املاكه بالنحو الذى ذكرناه و بمجرد ان يعطيه الله شيئا تكون أعيانه صدقه محجورا عليها. فالعبارتان فى الحديث متدافعتان متنافيتان. ودع ما فى العبارة الثانية و مؤدى حجبها على الرسول (صلى الله عليه و آله). و على ذلك جرى

قول الحديث «لا أغير شيئا من صدقه رسول الله عن حالها التى كانت عليها»

إذ لو كان المدعى ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) جعلها صدقه بجعله لكان أمرا ثالثا تجب اقامه البينه الكافيه عليه و لا يكفى فى ذلك كون الرسول يتناول من نماء أمواله نفقه نسائه و يصرف الباقي فى سبيل الله فإنه رسول الله و ابو الأمه و الإسلام معدن الرحمه و الجود. «لا يقال» ان معنى المروى هو ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) جعل هذه الأموال صدقه فى حياته و جرى فى سيرته- لأنه يقال- لو كانت صدقه بجعل الرسول قبل وفاته بمدته سنين كما يروى من سيرته لكان ذلك من الأمور المشهوره و لما خفى على خواص أصحابه و على نسائه و اهل بيته. و لما احتاج ابو بكر فى رد فاطمه إلى روايه لا نورث و لا احتاج عائشه فى رد نساء النبي (صلى الله عليه و آله) إلى هذه الروايه و لا احتاج لمناشده عثمان و الزبير و طلحه و سعد عن علمهم بها. مع ان الروايه اجنبية عن موضوع النزاع على هذا التقدير بل الذى يلزم هو اقامه الحججه على وقوع التصديق منذ سنين و الاستشهاد عليه. و فى روايه مسلم و البخارى فى باب فرض الخمس «و اما خير و فدك فأمسكهما عمر و قال هما صدقتا رسول الله كانتا لحقوقه التى تعروه و نوائبه و أمرهما إلى من ولى الأمر» و الكلام فى هذه الفقره كالكلام فى سابقتهما. و ان كل مالك تكون أمواله لحقوقه التى تعروه و نوائبه.

و تزيد هذه الفقره بدعوى ان امر فدك و خير إلى من ولى الأمر. فإن المقام مقام مطالبه بالحقوق على الموازين الشرعيه و الحجج لا مقام استفتاء يكتفى فيه بالفتيا المجرده و الدعوى

المحضة- و مما ذكرناه- يعرف التدافع في حديث مالك بن أوس في الجمع فيها بين الاحتجاج

بروايه لا نورث ما تركناه صدقه

و بين الاحتجاج بأن رسول الله (صلى الله عليه و آله) كان ينفق من مال بنى النضير على اهله نفقه سنتهم ثم يأخذ ما بقى فيجعله مجعل مال الله كما في روايات البخارى و فى روايه مسلم ثم يجعل ما بقى أسوه المال. و لا يخفى ان للناس فى أموالهم شؤوننا و هل يجب شرعا او عقلا أو عاده ان تجرى اموال الشخص بعد موته على ما كانت تجرى عليه فى حياته و ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى تفانيه فى ذات الله و الإسلام و رحمته بالمسلمين لو ملكك اضعاف ما ملكك لاقتصر على واجب النفقه و أنفق الباقي فى سبيل الله و أما بعد وفاته فيرجع الأمر إلى شأن وارثه و ليس لأحد ان يتحكم بفعل الموروث فى النماء ما لم يثبت انه تصدق بالعين فى حياته. و مما يزيد فى الاضطراب و التدافع فى ما يروى من الحجج ما ذكرناه مما

رواه احمد فى مسند أبى بكر عن عمر عن أبى بكر انه سمع رسول الله يقول النبى لا يورث و إنما ميراثه فى فقراء المسلمين و المساكين.

و يزيد ذلك بما ذكرناه فى الحديث الثالث من قول أبى بكر

سمعت رسول الله (صلى الله عليه و آله) ان الله إذا اطعم نبيه طعمه فهى للذى يقوم من بعده.

و يزيد فى الاضطراب ما ذكرناه من شمائل الترمذى- الوجه الثالث- قد سمعت مما تقدم من جامعى البخارى و مسلم و تاريخ الطبرى ان فاطمه طالبت أبا بكر يارثها مما أفاء الله على رسوله بالمدينه و فدك و ما بقى من خمس خبير فردها ابو بكر

بروايه لا نورث ما تركناه صدقه

و فى روايه مالك بن أوس ان عمر قال فى فدك و خمس خبير انهما صدقه رسول الله و أمسكهما. إذن فكيف بلغ الحال إلى ما رواه ابو داود فى كتاب الخراج من سننه فى فدك انه لما مضى ابو بكر و عمر أقطعها «بالبناء للمجهول» مروان بن الحكم و بقيت فى ولده حتى ردها عمر بن عبد العزيز. و قد صرح جماعه كثيرون بما يفهم من الحديث من ان الذى أقطعها مروان هو عثمان فى أيامه كما فى السيره الحلبيه و المرقاه و غيرها. و ما اكثر وجوه الاشكال فى هذه المسأله و رواياتها و ذلك فى ذمه تاريخها- هذا و من المعلوم عند اهل البيت و الإماميه و عليه حديثهم ان فدكا كانت نحله من رسول الله لفاطمه و كانت تحت يدها و عمل عاملها فى حياه رسول الله (صلى الله عليه و آله) و لما طرد عاملها ادعت النحله و قدمت لأبى بكر شهودها فلم ينفعها ذلك أصلا. و نقل ابن أبى الحديد فى شرح النهج عن قاضى القضاة قوله انا لسنا ننكر صحه ما روى من ادعائها فدكا و أما انها كانت فى يدها فغير مسلم و نقل أيضا عن كتاب السقيفه لأحمد بن عبد العزيز الجوهري أحاديث جمه فى ادعائها

(عليه السلام) نحلته فدك و ذكر في المواقف و شرحها في المقصد الرابع من مقاصد الإمامه انها ادعت النحل و شهد لها على و الحسنان و أضاف في المواقف ام كلثوم و قال في شرحها الصحيح انها ام ايمن: و قال ابن حجر في الشبهه السابعه من الباب الخامس من الفصل الأول في صواعقه و دعواها ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) نحلها فدكا لم تأت عليها بشاهد إلا بعلى و ام ايمن و نحوه في معجم البلدان و فتوح البلدان للبلاذرى. و قال الشهرستاني في الملل و النحل الخلاف السادس في أمر فدك و التوارث عن النبي (صلى الله عليه و آله) و دعوى فاطمه تملكا تاره و وراثه اخرى حتى دفعت عن ذلك

بالروايه المشهوره عن النبي (صلى الله عليه و آله) نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقه.

و في كتاب امير المؤمنين على إلى عامله عثمان بن حنيف «بلى كانت في أيدينا فدك فشحت عليها نفوس قوم و سخت بها نفوس قوم آخرين و نعم الحكم الله»

و في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ من سوره بنى إسرائيل اخرج البراز و ابو يعلى و ابن ابي حاتم و ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال لما نزلت هذه الآيه وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ دعا رسول الله فاطمه فأعطاه فدكا.

و أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال لما نزلت وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ اقطع رسول الله فاطمه فدكا. و نقل السيوطى أيضا هذين الحديثين في لباب النقول و ذكر ان الطبرانى اخرج الحديث الأول عن أبى سعيد

و في كنز العمال و مختصره في صله الرحم من كتاب الأخلاق عن تاريخ الحاكم عن أبى سعيد قال لما نزلت وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ قال النبي (صلى الله عليه و آله) يا فاطمه لك فدك

- هذا و لكن لما وردت دعوى الزهراء في نحلته فدك و لم تنفعها فيها شهاده على و الحسين و أم ايمن و يا للعجب عدلت إلى المطالبه بها بوجه الإرث اقلا كسائر المتروكات هذا و ان صاحب المنار ذكر عن الالوسى في تفسيره روح المعانى احتجاجه على الشيعة في ان الأنبياء لا يورثون بأمرين - أحدهما - ما

رواه في اصول الكافى بسنده عن أبى البخترى و هب عن الصادق (عليه السلام) قوله: ان العلماء ورثه الأنبياء و ذلك ان الأنبياء لا يورثوا دينارا و لا درهما و انما أورثوا أحاديث من أحاديثهم. الحديث.

فاحتج بان «إنما» تفيد الحصر «و يدفعه» ان الحصر لم يكن إضافيا بالنسبه إلى الدينار و الدرهم فهو حصر بالنسبه لحمله الحديث من سائر الناس و عامتهم لا وارث المال من الأقرباء و من المعلوم ان سائر الناس لا يرثون من الأنبياء إلا الحديث في العلم و لا ارث للعلماء من الأنبياء إلا ذلك - و ثانيهما - بأن تركه النبي (صلى الله عليه و آله) وقعت في أيدي جماعه من المعصومين عند الشيعة و المحفوظين عند أهل

السنه كعلی و الحسنین و علی بن الحسین فلم يعطوا منها العباس و لا- بنیه و لا- أزواج النبی (صلی الله علیه و آله) و لو كان الميراث جاريا في تلك التركة لشاركوهم قطعا «و يدفعه» ان ما يشير اليه من نحو العمامه المقدسه و السلاح و الروايه قد كان رسول الله (صلی الله علیه و آله) أعطاه في مرضه لعلی علی انها من مختصات الإمامه و لذا صارت تنتقل من إمام إلى إمام و علی ذلك یجری ما رواه احمد في مسند أبي بكر عن ابن عباس بسند لو لم يكن صحيحا عندهم لكان حسنا مقبولا قال لما قبض رسول الله (صلی الله علیه و آله) و استخلف ابو بكر خاصم العباس علیا في أشياء تركها رسول الله (صلی الله علیه و آله) فقال ابو بكر شیء تركه رسول الله فلم یحركه فلا- أحرکه. فلما استخلف عمر اختصما اليه فقال شیء لم یحركه ابو بكر فلا أحرکه. فلما استخلف عثمان اختصما اليه فسكت و نكس رأسه فخشيت ان يأخذه فضربت بين كتفي العباس فقلت يا أبت أقسمت عليك ألا سلمته لعلی فسلمه اليه. و رواه في كنز العمال و منتخبه في أول كتاب الخلافه عن البزاز أيضا. و لو تنزلنا عن ذلك و فرضنا كونها تركه موروثه لقلنا ان عدم اعطائهم للعباس لأنه لا يرث مع فاطمه عند اهل البيت لآيات الأقربين و اولی الأرحام كما مر في مسأله التعصیب. و أما أزواج النبی (صلی الله علیه و آله) فيجوز ان يكون قد طبن نفسا بذلك لفاطمه (عليه السلام) لسماحتها لهن ببقائهن في بيوتهن و تصرفهن بما فيها من اداره البيت احتراما لمقامهن من رسول الله او لغير ذلك من الوجوه.

و يجوز ايضا ان تكون تلك الأشياء تستخلص في سائر الطبقات من بقيه الوراثة بطيب النفس أو بالمعاوضه فلا تشبث بذلك للالوسی و صاحب المنار.

- الأمر الثامن- في العول و محل النزاع فيه بين النافين له و المثبتين هو ان یجتمع من الفرائض المذكوره في القرآن الكريم بحسب صورته إطلاقها ما يتزاحم و لا- يمكن اجتماعه مع الإطلاق و بقاءه علی معناه. فالقائل بالعول یخرج اسماء الفرائض في مسائل عوله عن معانيها الحقيقيه لكي یقسم المال علی نسبه تلك المعاني بعضها من بعض. و النافون للعول يستدلون علی تقييد بعض المطلقات في تلك المسائل فيرتفع التزاحم. و تحرير الكلام هو ان الصور التي يفرض تزاحم الفرائض فيها في الظاهر هي علی ما یخطر في ذهنی في الحال اثنتان و عشرون صورته ثلاثه عشر منها متفق علی إمكان تصويرها و وقوعها بين المسلمین و تسعه منها یختص بتصويرها بأهل السنه لأنهم یورثون الاخوه و الأخوات مع الأم فلنذكر هذه الصور و ما تصیر اليه فرائضها علی تقدير العول لیوضح وجه الحججه و الكلام في المسأله ان شاء الله و ان استلزم التطويل-

فالصور المتفق عليها الأولى منها- زوج و بنت و أم و أب. يصير فيها على العول ربع الزوج ثلاثة من ثلاثة عشر و نصف البنت ستة من ثلاثة عشر و كل من سدسى الأب و الأم اثنين من ثلاثة عشر- الثانيه- زوج و بنتان فما فوق و أم و أب. يصير فيها ربع الزوج ثلاثة من خمسة عشر و هو الخمس و ثلثا البنات ثمانية من خمسة عشر و كل من سدسى الأب و الأم اثنين من خمسة عشر- الثالثه- زوج و بنتان فما فوق و واحد من الأبوين. يصير فيها ربع الزوج ثلاثة من ثلاثة عشر. و ثلثا البنات ثمانية من ثلاثة عشر. و سدس احد الأبوين اثنين من ثلاثة عشر- الرابعه- زوج و أخت من الأبوين أو الأب و اثنان من كلاله الأم. يصير فيها نصف الزوج ثلاثة من ثمانية و كذا نصف الأخت. و كل واحد من سدسى الكلاله واحد من ثمانية و هو الثمن- الخامسه- الصوره السابقه مع كون الكلاله من الأم فيها اكثر من اثنين يصير النصفان فيها كما فى التى قبلها و ثلث الكلاله ربعا- السادسه- الصوره السابقه و كلاله الأم واحد. يصير فيها كل من النصفين ثلاثة من سبعة و سدس الكلاله واحد من سبعة- السابعه- زوج و اختان فما فوق من الأب أو الأبوين. يصير فيها نصف الزوج ثلاثة من سبعة و ثلثا الأخوات اربعة من سبعة- الثامن- الصوره السابقه و واحد من كلاله الأم. يصير فيها نصف الزوج ثلاثة من ثمانية و ثلثا الأخوات اربعة من ثمانية و هو النصف و سدس الكلاله ثمنا- التاسع- الصوره السابقه و كلاله الأم فيها اثنان. يصير فيها نصف الزوج ثلاثة من تسعه و هو الثلث و ثلثا الأخوات اربعة من تسعه و كل من سدسى الكلاله واحدا من تسعه- العاشره- الصوره السابقه و كلاله الأم أكثر من اثنين و قسمتها كسابقتها و يكون ثلث الكلاله اثنين من تسعه- الحاديه عشر- زوجه و بنتان فما فوق و أم و أب. يصير فيها ثلثا البنات ستة عشر من سبعة و عشرين (1) و ثمن الزوجه ثلاثة من سبعة و عشرين و هى التسع- الثانيه عشر- زوجه و اختان فما فوق من الأب أو الأبوين مع اثنين من كلاله الأم. تصير فيها القسمة كسابقها- الثالثه عشر- هذه الصوره و كلاله الأم فيها اكثر من اثنين و تصير كسابقتها و ثلث الكلاله ثمانية من سبعة و عشرين «و أما المختصه» بمواريث اهل السنه فهى- الرابعه عشر- زوج و ام و اخت من الأب و الأبوين يصير فيها كل من نصفى الزوج و الأخت ثلاثة من ثمانية و ثلث الأم اثنين من ثمانية و هو الربع- الخامسه عشر- زوج و أم و اختان فما فوق من الأب أو الأبوين يصير فيها نصف الزوج ثلاثة من تسعه و هو الثلث و ثلثا الأخواتين

ص: ٤٧

١- و كل من السدسين اربعة من سبعة و عشرين

اربعه من تسعه و ثلث الأم اثنين من تسعه- السادسة عشر- الصورة السابقه مع واحد من كلاله الأم. يصير فيها نصف الزوج ثلاثه من عشره و ثلث الأم اثنين من عشره و هو الخمس و ثلثا الأخوات اربعه من عشره و سدس الكلاله واحد من عشره- السابعه عشر- الصورة السابقه مع ثان من كلاله الأم. يصير فيها نصف الزوج ثلاثه من احد عشر و ثلث الأم اثنين من احد عشر و ثلثا الأختين اربعه من احد عشر و كل من سدسى الكلاله واحد من احد عشر- الثامنه عشر- الصورة السابقه و يكون فيها كلاله الأم أكثر من اثنين. يصير فيها ثلث الكلاله اثنين من احد عشر- التاسعه عشر- زوجه و ام و أختان فما فوق من الأب او الأبوين. يصير فيها ربع الزوجه ثلاثه من خمسه عشر و هو الخمس و ثلث الأم اربعه من خمسه عشر و ثلثا الأخوات ثمانيه من خمسه عشر- العشرون- الصورة السابقه مع واحد من كلاله الأم. يصير ربع الزوج فيها ثلاثه من سبعة عشر و ثلث الأم اربعه من سبعة عشر و ثلثا الأخوات ثمانيه من سبعة عشر و سدس الكلاله اثنين من سبعة عشر- الحاديه و العشرون- الصورة السابقه مع ثان من كلاله الأم يصير فيها ربع الزوج ثلاثه من تسعه عشر و ثلث الأم اربعه من تسعه عشر و كل من سدسى الكلاله اثنين من تسعه عشر- الثانيه و العشرون- الصورة السابقه و يكون فيها كلاله الأم أكثر من اثنين. يصير ثلثهم فيها أربعه من تسعه عشر.

إذن فعلى القول بالعول و ما تقدم من الحساب فى الصور المذكوره يصير معنى الثمن المذكور فى القرآن للزوجه او الزوجات واحدا من ثمانيه كما فى غير مسائل العول و واحدا من تسعه أى تسعا فى الصور الحاديه عشر و الثانيه عشر و الثالثه عشر: و يكون ربع الزوجه واحدا من أربعه فى غير العول و واحد من خمسه كما فى الصور التاسعه عشر و ثلاثه من سبعة عشر كما فى الصور العشرين و ثلاثه من تسعه عشر كما فى الحاديه و العشرين و الثانيه و العشرين. و ربع الزوج ثلاثه من ثلاثه عشر كما فى الصورة الأولى و الثالثه و ثلاثه من خمسه عشر كما فى الثانيه و الحاديه و العشرين. و يكون نصف الزوج واحدا من اثنين فى غير العول و ثلاثه من سبعة كما فى الصور السادسه و السابعه. و ثلاثه من ثمانيه كما فى الرابعه و الخامسه و الثامنه و الرابعه عشر. و ثلاثه من تسعه أى ثلثا كما فى التاسعه و العاشره و الخامسه عشر. و ثلاثه من عشره كما فى السادسه عشر. و ثلاثه من احد عشر كما فى السابعه عشر و الثامنه عشر. و تزيد معانى النصف بالنظر إلى نصفى البنت و الأخ

فيكون ايضا ستة من ثلاثه عشر كما فى الصوره الأولى. و ثلاثه من ثمانية كما فى الرابعه و الخامسه و الرابعه عشر. و ثلاثه من سبعة كما فى السادسه فيكون للنصف سبعة معان: و يكون سدس الأب أو الأم أو الواحد من كلاله فى غير العول واحدا من ستة. و اثنين من ثلاثه عشر كما فى الصوره الأولى و الثالثه. و اثنين من خمسه عشر كما فى الثانيه. و أربعة من سبعة و عشرين كما فى الحاديه عشر. و واحدا من سبعة كما فى السادسه. و واحدا من ثمانية كما فى الرابعه و الثامنه.

و واحدا من تسعه كما فى التاسعه. و اربعة من سبعة و عشرين كما فى الثانيه عشر. و واحدا من عشره كما فى السادسه عشر. و واحدا من احد عشر كما فى السابعه عشر. و اثنين من سبعة عشر كما فى الصوره العشرين. و اثنين من تسعه عشر كما فى الحاديه و العشرين. فيكون للسدس اثنا عشر معنى: و يكون الثلث لكلاله الأم واحدا من ثلاثه فى غير العول. و اثنين من ثمانية كما فى الخامسه. و اثنين من تسعه كما فى العاشره. و ثمانية من سبعة و عشرين كما فى الثالثه عشر.

و اثنين من أحد عشر كما فى الثامنه عشر. و اربعة من تسعه عشر كما فى الثانيه و العشرين:

و يكون الثلث للأم اثنين من ثمانية كما فى الرابعه. و اثنين من تسعه كما فى الخامسه عشر.

و اثنين من عشره كما فى السادسه عشر. و اثنين من احد عشر كما فى السابعه عشر و الثامنه عشر. و اربعة من خمسه عشر كما فى التاسعه عشر. و اربعة من سبعة عشر كما فى الصوره العشرين: و اربعة من تسعه عشر كما فى الحاديه و العشرين و الثانيه و العشرين. و يكون ايضا باعتبار ثلثى البنات و الأخوات له معان أخر فإن الثلثين يكونان ثمانية من خمسه عشر فى الصوره الثانيه و ثمانية من ثلاثه عشر فى الثالثه. و اربعة من سبعة فى السابعه. و اربعة من ثمانية فى الثامنه.

و اربعة من تسعه فى التاسعه و العاشره و الخامسه عشر. و ستة عشر من سبعة و عشرين فى الحاديه عشر و الثانيه عشر و الثالثه عشر. و اربعة من عشره فى السادسه عشر و الثامنه عشر. و ثمانية من خمسه عشر فى التاسعه عشر. و ثمانية من سبعة عشر فى الصوره العشرين. و ثمانية من تسعه عشر فى الحاديه و العشرين و الثانيه و العشرين. فيكون للثلث باعتبار ثلث الأم و ثلث كلالتها و ثلثى البنات و الأخوات أحد و عشرون معنى.

إذا تحرر هذا فنقول ان الله العليم الخبير و الذى أحصى كل شىء علما و عددا لا شك فى انه يمتنع على جلاله ان يكون قد جعل الفرائض و هو لا يعلم بما يؤدى اليه تزامنها كما فى فروض مسائل العول. إذن فلم يبق فى المسأله إلا و جهان- أحدهما- ان يكون استعمل

ألفاظ الفرائض في معانيها الحقيقيه في غير مسائل العول و في المعانى الكثيره المتنافره التى يؤول إليها تقسيم العول كما شرحناه- و ثانيهما- ان يكون الشارع في الموارد يترأى فيها تراحم الفرائض بحسب الظاهر البدوى من إطلاقها قد قيد بعض مطلقاتها و أخرج بعض مصاديقها منها بحيث لا يحصل التراحم و أوكل أمر هذه المصاديق إلى عمومات الإرث بالقرابه و آيات الأقرين و اولى الأرحام- لكن- الوجه الاول باطل ممتنع فى اللغه لأنه يستلزم استعمال اللفظ الواحد فى الاستعمال الواحد فى معناه الحقيقى و معان أخر متنافيه متشتمه لا جامع بينها كما شرحناه و ليس فيما بين كل واحد منها و بين المعنى الحقيقى علاقه تصح التجوز فانها كلها فى مقام التقسيم و اناطه الحكم بخصوصيات الكسور فتكون بذلك معانده و منافره للمعنى الحقيقى و متعانده و متنافره فيما بينها. على انه لا يجوز الجمع فى الاستعمال بين الحقيقه و المجاز حتى مع وجود العلاقه و وضوحها كما تحرر فى الأصول. و مما يشهد لذلك ان الأوائل القائلين بالعول من الصحابه لم يدعوا أن تراحم الفرائض صار قرينه على ان الله أراد من ألفاظها ما ذكرناه من تلك المعانى الكثيره بل جعلوا العول من قبيل الصلح القهرى عند اشتباه الحكم الشرعى لأنه لم يتضح لهم من قدم الله و من أخره كما يعرف من روايه عبيد الله عن ابن عباس. كما يشهد لذلك ان ابن عباس اكتفى فى ابطال العول بعلم الله و إحصائه لرميل عالج عددا و لم يخطر فى خياله ان الله أراد من اسماء الفرائض تلك المعانى الكثيره و على ذلك يجرى تصويب الزهرى لقوله و احتجاجه و ما ذاك الا لأن ما ذكرناه من الامتناع خصوصا فى هذا المقام مرتكز فى الغريزه مستحكم فى الفطره. هذا و لو تنزلنا و جوزنا الجمع بين كل من المعنى الحقيقى و المعنى المجازى فى استعمال واحد لما كان هذا المقام من واديه و لا يدانيه لما ذكرناه من المعانده فى مقام التقسيم- فان قيل- يمكن ان يكون ألفاظ الفرائض مستعمله فى الجامع بين تلك المعانى المتشتمه و هو عنوان الجزء المطلق من التركه و ما يشبهه- قلنا- إذا كان المسمى و المعنى هو الجزء المطلق و كانت اسماء الفرائض كالمترادفه فما هى الفائده فيها و المحصل منها. و لماذا يعطى فى كل مورد من موارد العول و غيره جزء مخصوص و مقدار معين- فان قيل- انا نعطى تلك المقادير المخصوصه من باب تراحم الحقوق المجعوله- قلنا- أولا لماذا تعطون فى غير العول مقادير مخصوصه على مقتضى المعانى الحقيقه لألفاظ الفرائض كالنصف و الثلث مثلا. و ثانيا.

إذا كانت اسماء الفرائض اسماء للجزء المطلق لم يكن هناك تراحم حقوق بل يعطون

على التساوى. فلا مناص إذن عما ذكرناه قبلا من ثانی الوجهين و هو التقييد لإطلاق بعض الفرائض التي لا تخرج أسماؤها عن معانيها الحقيقية و الرجوع في موردها إلى الإرث بالقرابه.

فعلينا البحث في تعيين ما هو خارج عن الإطلاق و يرجع امر مورده إلى آيات الأقربين و اولى الأرحام. فإن أصبناه انحل اشكال التزاحم و إلا- و جب التوقف و الرجوع إلى الصلح ما بين الورثة في هذه الموارد المشكله بظاهر التزاحم. بل لو تمحلنا و جوزنا استعمال القرآن الكريم لألفاظ الفرائض على الوجه الأول المخالف للمعنى الحقيقي و الراجع إلى الألفاظ و المعميات بل الطلاسم لكان الحمل على التقييد هنا هو المتعين لأنه لا تجوز فيه و هو شايع جدا في المحاورات و القرآن الكريم. و معرفه الخارج عن الإطلاق قريبه من تناول و وجه التقييد واضح كما قاله ابن عباس كما ذكره في كثر العمال و مختصره عن أبي الشيخ في فرائضه و البيهقي في سننه عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة و رواه ابن حزم الاندلسي في كتابه المحلى عن إسماعيل القاضي كما رواه المشايخ في الكافي و الفقيه و العلل و التهذيب بأسانيدهم عن الفضل بن شاذان عن محمد بن يحيى جميعا عن علي بن عبد الله المدائني (1) و رواه أيضا في التهذيب سماعا و اجازه عن ابن عبدون عن أبي طالب الانباري عن أبي بكر الحافظ احمد بن هوده عن علي بن محمد الحصيني جميعا عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن محمد بن إسحاق عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال خرجت انا و زفر بن أوس إلى ابن عباس فتحدثنا عنده حتى عرض ذكر فرائض الموارث فقال ابن عباس سبحان الله العظيم أترون الذي أحصى رمل عاليج عددا جعل في مال نصفا و نصفا و ثلثا. النصفان قد ذهبوا بالمال فأين موضع الثلث. فقال له زفر يا أبا العباس من أول من أعال الفرائض فقال عمر بن الخطاب لما التقت عنده الفرائض و دافع بعضها بعضا قال ما ادرى كيف اصنع. ما أدرى أيكم قدم الله و أيكم آخر و ما أجد في هذا المال شيئا أحسن من أن أقسمه عليكم بالحصص. ثم قال ابن عباس و ايم الله لو قدم من قدم الله و آخر من آخر الله ما عالت فريضه. فقال له زفر و أيهم قدم الله و أيهم آخر. فقال كل فريضه لم يهبها الله إلا إلى فريضه فهذا ما قدم و أما ما آخر فكل فريضه إذا زالت عن فرضها لم يكن لها إلا ما بقى فذلك الذي آخر. فأما التي قدم الله فالزوج له النصف فإذا دخله

ص: ٥١

١- في التقريب ثقه ثبت امام اعلم اهل عصره بالحديث و علله. الى غير ذلك من تفخيم ابن عيينه و البخارى و النسائي له

عليه ما يزيله ربع إلى الربع لا يزيله عنه شيء. و الزوجه لها الربع فإن زالت عنه صارت إلى الثمن لا يزيلها عنه شيء. و الأم لها الثلث فإن زالت عنه صارت إلى السدس و لا- يزيلها عنه شيء. و الذي أخر فريضه الأخوات و البنات النصف و الثلثان فإذا أزالتهن الفرائض عن ذلك لم يكن لهن إلا- ما بقي. فإذا اجتمع ما قدم الله و ما أخر بدء بمن قدم فأعطى حقه كاملاً فإن بقي شيء كان لمن أخر. فقال زفر فما منعك يا ابن عباس من ان تشير عليه بهذا الرأي قال ابن عباس هبته. قال ابن شهاب و الله لو لانه تقدمه امام عدل أمره إلى الورع لما اختلف على ابن عباس اثنان من اهل العلم انتهى و رواه الحاكم في الصحيح على شرط البخارى و مسلم بسنده عن على بن عبد الله المدائنى إلى آخر السند المتقدم من قول ابن عباس أول من أعال الفرائض عمر إلى قوله فإن بقي شيء كان له. و فى ذلك محل الغرض من احتجاج ابن عباس فيمن قدم الله و من أخر و بيان الوجه الذى يعرف منه التقييد لبعض المطلقات. فانه لو دخل ولد ذكر مع البنت أو البنات أو أخ مع الأخت أو الأخوات زلن عن فرضهن و لم يكن لهن مع أخيهن إلا ما بقي. بل لو كان فى مقامهن ولد أو أولاد أو أخ أو اخوه لم يكن لهم إلا ما بقي.

فيكشف ذلك عن ان هذا هو الشأن المشروع فى مقام هذه الوراثه. و على ذلك جرى ما

رواه المشايخ الثلاثة فى الكافى و الفقيه و التهذيب فى الصحيح عن الباقر (عليه السلام) قال كان على (عليه السلام) يقول ان الذى احصى رمل عالج يعلم ان السهام لا تعول على سته. لو يبصرون وجهها لم تجز سته انتهى

يعنى (عليه السلام) ان كل فريضه تعطى مثل مخرجها و هو ما بنسبتها من الستة فصاحبه الثمن تعطى ثلاثه أرباع الواحد من الستة. و صاحب الربع يعطى واحدا و نصفاً من الستة (1) و مراده (عليه السلام) من وجهها هو ما ذكرناه من التقييد للإطلاق فى فرائض البنت و البنات و الاخت و الأخوات فى صور التراحم: و

روى الشيخ فى التهذيب عن ابن عبدون عن أبى طالب الانبارى عن الحسن بن محمد بن أيوب عن عثمان بن أبى شيبه عن يحيى بن أبى بكر عن شعبه عن سماك عن أبى عبيده السلمانى قال كان على (عليه السلام) على المنبر فقام اليه رجل فقال يا امير المؤمنين رجل مات و ترك ابنتيه و أبوين و زوجه فقال (عليه السلام) صار ثمنها تسعا قال سماك فقلت لعبيده و كيف ذلكسر

ص: ٥٢

١- لكننا فى صور التقسيم السابق حذرا من الكسور جعلنا المخرج لما فيه الثمن اربعة و عشرين ليكون الثمن ثلاثه بلا كسر. و لما فيه الربع اثنى عشره ليكون الربع ثلاثه بلا كسر

قال ان عمر بن الخطاب وقعت فى إمارته هذه الفريضة فلم يدر ما يصنع فقال له اصحاب محمد (صلى الله عليه و آله) أعط هؤلاء فريضتهم للأبوين السدسان و للزوجه الثمن و للبنتين ما يبقى فقال و اين فريضتهما الثلثان فقال على (عليه السلام) لهما ما يبقى فأبى ذلك عليه عمر و ابن مسعود قال ابو عبيده و اخبرنى جماعه من اصحاب على (عليه السلام) بعد ذلك فى مثلها انه اعطى الزوج الربع مع البنتين و للأبوين السدس و الباقي رد على البنتين و ذلك هو الحق و ان أباه قومنا انتهى

و من الواضح ان

قوله (عليه السلام) صار ثمنها تسعا

خارج مخرج الإنكار و التألم من قسمه العول و هو ان الذى سماه الله ثمنا كيف يكون تسعا و كيف يطلق لفظ الثمن فى استعمال واحد على جزء من ثمانية و على جزء من تسعه: هذا و اما الأحاديث الواردة فى بطلان العول و دخول النقص على البنات و الأخوات عن الأئمه من اهل البيت على و الباقر و الصادق و الرضا عليهم السلام فهى كثيره تناهز التواتر أكثرها من الصحيح و على مقتضاها اجماع الإماميه و مذهب ابن عباس و محمد بن الحنفية و حكاه المرتضى فى الإنتصار عن عطا بن رباح و داود بن على الاصفهاني. و فى المحلى لابن حزم قال به ابو سليمان و جميع أصحابه يعنى داود انتهى و ذهب اليه الناصر جد المرتضى فى الناصريات و اختاره ابن حزم فى المحلى.

احتجوا للقول بالعول بوجوه- الأول- انه لا بد من النقص عند تراحم الفرائض.

و دخوله على بعض دون بعض ترجيح من دون مرجح و مقتضى العدل هو إدخاله على الجميع- و يدفعه- ان المقام مقام جعل و تشريع و اتباع الشرع فى القسمه و قد أوضحنا انه يمتنع ان يكون فى أدله التشريع و لفظه ما يراد منه دخول النقص على الجميع. اذن فإدخال النقص على الجميع تحكم باطل على الشرع لأعدل. خصوصا إذا علمنا انه لا بد فيه من التقييد لبعض المطلقات. و اما إدخال النقص على البعض فانما هو لترجيح الدليل و تعيينه كما قدمناه عن ابن عباس و ما جاء عن اهل البيت (عليه السلام) و إجماع الإماميه- الثانى- القياس على الحكم بالتقسيم فيما اوصى الإنسان بوصيه نافذه بنصف الألف لزيد و نصفها لعمر و و ثلثها لبكر مثلا- و يدفعه- أولا بطلان القياس من أصله. و ثانيا. انه قياس مع الفارق فانا إذا لم نجد فى هذه الوصيه قرينه على العدول أو التقييد كان قرينه اراده الموصى بلفظى النصف و الثلث مجازا بنحو اللغز هو الجزء الناتج من التقسيم على نسبه المعانى الحقيقيه. و ليس فى هذا ما يستلزم الممتنع من الجمع

ص: ٥٣

فى الاستعمال الواحد بين المعنى الحقيقى و المعانى المتعدده المتنافيه المتباينه و هذا إذا جاز من الناس لا نجوز مثله من القرآن الكريم فضلا عن ان محل الكلام فى العول يستلزم امرا ممتنعا فى اللغه و هو الجمع بين المعنى الحقيقى و المعانى المتباينه المتنافره كما شرحناه و لو تمحلنا و جوزناه على الناس فى هذل الاحاجى و الالغاز لما جاز على مجد القرآن الكريم فى البيان لتميز السهام- من وجوه القياس- ان المال إذا قصر عن ديون الغرماء يوزع عليهم على نسبه ديونهم- و يدفعه- مع انه قياس ان الفارق جلى. فإن قصور المال لا ينافى ثبوت الدين فى الذمه بمقاديره الحقيقيه و لم يكن ثبوته مبتنيا على استعمال ممتنع فى اللفظ الواحد. و ان توزيع المال على الدين لم يكن فى حال يثول الى العلم الإجمالى فضلا عن التفصيلى بالتقييد و خروج البعض من افراد الدين عن الإطلاق الذى فى دليل ثبوته و استحقاقه. فما هذا القياس الا من نحو قياس الضد على ضده فى جهه المضاده- الثالث- روايه القول بالعول عن على (عليه السلام)

فى روايه عبيده السلمانى بقوله (عليه السلام) صار ثمنها تسعا

- و يدفعه- ما ذكرناه من ظهوره فى نفسه فى خروجه مخرج الإنكار فضلا عما ذكرناه من تتمه الروايه عن عبيده و فضلا عن المعلوم المنقول عن أئمه اهل البيت و غيرهم من انه (عليه السلام) كان ينكر على القول بالعول- الرابع- النقض على الحل لمسئله التراحم بتقييد بعض المطلقات و تقديم من قدمه الله و تأخير من اخره و إدخال النقص على البنات او الأخوات من الأب او الأبيوين و ذلك بما إذا كان التراحم فى فرائض من قدمه الله كما إذا كان الوراثة زوجا و اما و اثنين من كلاله الأم او اكثر فإن المال لا ينقسم على نصف و ثلث و سدسين. و كذا إذا كان مع هؤلاء اخت أو اختان من كلاله الأب أو الأبيوين فإن المال يضيق و ان أخرجنا هذه الكلاله من الميراث بالمهر- و يدفعه- ان هاتين الصورتين ممتنعتين فى المواريث بحسب ما تقيمه الشيعة من الأدله على ان الكلاله بقسميها لا- ترث مع الأم كما مر بعضه. فلا نقض بما ذكروه و لا تشبث (الأمر التاسع) ارث الزوج و الزوجه فى عقد المتعه فإنه خارج عن اطلاق ارث الزوجين على المشهور عند الإماميه و عليه حديثهم الدال على تقييد الإطلاق (الأمر العاشر) خروج الرباع مطلقا و الشجر و البناء عينا لا قيمه عن ارث الزوجه غير ذات الولد بإجماع الإماميه و حديثهم و فى ذات الولد خلاف (الأمر الحادى عشر)- الحبه- و هى لباس الميت و خاتمه و مصحفه و سيفه فان

المشهور عند الاماميه انها حيوه يختص بها الأكبر من اولاده الذكور الصليبين او المنفرد و على ذلك حديثهم. و قيل انها على الاستحباب لتشكيك القائلين به فى استفاده الوجوب و الاستحقاق من الأحاديث- هذا و أما الكلام فى مواريث الأجداد و الجدات و أبناء الاخوان و الأخوات. و الأعمام و الأخوال و أبنائهم من اولى الأرحام و الأقربين و كذا ميراث الولاء فهو موكل الى علم الفقه و كتبه

سوره النساء (٤): الآيات ١٣ الى ١٥

تَلْمِكَ حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَ مَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَ لَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٤) وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَأَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً (١٥)

١٣ تَلْمِكَ اى ما ذكر من احكام المواريث حُدُودُ اللَّهِ وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فى العمل بهذه الأحكام على حدودها و ما جاء فى السنه فى بيانها تفسيراً او تخصيصاً او تقييداً يُدْخِلْهُ اللَّهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حال كون المطيعين خَالِدِينَ و جرى الجمع على معنى «من» الموصوله فيها وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ١٤ وَ مَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ المذكوره يُدْخِلْهُ اللَّهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا وَ لَهُ فوق ذلك عَذَابٌ مُهِينٌ و جرى افراد الضمائر على لفظ الموصول ١٥ وَ اللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ اى يفعلنها فجاءت الكنايه عن الفعل بالإتيان كما جاءت الكنايه عن الفعل بالقرب فى قوله تعالى الانعام ١٥١ وَ لَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ وَ فى سوره الاسراء ٣٢ وَ لَا تَقْرَبُوا الزَّنى وَ الْإِتيان و القرب على معانيها الحقيقيه و الغرض منها الفعل و نحوه بالمعنى الكنائى فهى مثل قوله تعالى فى سورتي الأعراف ٧٩ و النمل ٤٥ أ تَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَ فى سوره العنكبوت ٢٨ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ ٢٩ وَ تَأْتُونَ فى نادِيكُمْ الْمُنْكَرَ و قد التفت الرازى فى تفسيره الى دلالة هذه الكنايات على ان فاعل الفاحشه هو الذى فعلها بإرادته و ذهب إليها من عند نفسه و أتاها بقصده. و اختارها بمجرد طبعه. اى غير مجبور على ذلك بوجه من الوجوه التى يلتجأ فيها الى فرض الكسب. و لكنه قال لا يتم ذلك إلا على قول المعتزله. و يا ليته أصاب المرمى فقال و هذا مما يدل على قول المعتزله فى عدم الجبر.

و الفاحشه اسم للفعل القبيح و المراد منه فى الآيه بحسب المعهود و مناسبه المقام هو الزنا. و حكى

عن أبي مسلم الاصفهاني من الجمهور و حكاه الرازي ايضا عن مجاهد ان الفاحشه هنا هي مساحقه النساء و فى قوله تعالى وَ
الَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ هُو اللواط. و ذكر الرازي وجوه رده و الدفع عنه بلا- تصريح منه بترجيحه و رجحه صاحب المنار و حكي
الترجيح عن استاذة بما لا يخرج عما ذكره الرازي و أيداه الارديلي فى زبده البيان بنحو ذلك. و الكل تخرص سقيم لا يجدى.
فقد روى من عدا البخارى من اصحاب الجوامع الست و ذكر فى الدر المنثور من غيرهم اثني عشر ممن أخرج من كبار
المحدثين

عن عباده ابن الصامت فى حديث ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) اوحى اليه و لما سوى عنه الوحي قال (صلى الله عليه و
آله) خذوا عنى قد جعل الله لهن سبيلا الشيب جلد مائه و رجم بالحجاره و البكر جلد مائه ثم نفى سنه. و اخرج احمد عن سلمه
ابن المحيق عن رسول الله نحو ذلك.

و روى فى الكافى بسنده عن الباقر (عليه السلام) ما ملخصه ان كل سورة النور نزلت بعد سورة النساء قال الله تعالى: وَ اللَّاتِي
يَأْتِيَنَ الْفَاحِشَةَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى سَبِيلًا فَالسَّبِيلُ الَّذِي قَالَ اللَّهُ الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ.

و فى تفسير البرهان عن العياشى عن جابر عن الباقر جعل السبيل الرجم أو الجلد. و رواه الجزائرى فى القلائد عن العياشى عن
أبى بصير عن الصادق (عليه السلام)

و فى مجمع البيان ان النسخ اى بآيه النور و هو المروى عن أبى جعفر و أبى عبد الله.

و فى الوسائل فى رساله المحكم و المشابهة للمرتضى نقلا من تفسير النعمانى باسناده عن إسماعيل بن جابر عن الصادق (عليه
السلام) عن آبائه عن امير المؤمنين عليه السلام فى حديث ذكر فيه احكام هذه الآيه إلى ان قال فلما قوى الإسلام انزل الله الزَّانِيَةَ
وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ فَنَسَخَتْ هَذِهِ الْآيَةَ الْحَبْسَ وَ الْأَذَى الْحَدِيثَ.

و أما القول بأن السبيل هو الترويح و الاستغناء بالحلال فقد قال فى التبيان انه باطل بالإجماع مِنْ نِسَائِكُمْ أَى من نساء المؤمنين و
إن كان الحكم عاما و ذلك لأن المؤمنين حينئذ هم الذين يتلقون احكام الشريعة بالإجراء فحسن لذلك خطابهم بالحكم العام.
و دعوى ان المراد نساء الأزواج يبطلها ما ذكرنا روايته من الفريقين من حكم غير المحصنه فى الجلد فَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْ
الرجال مِنْكُمْ أَى من المسلمين و ذلك لأجل اجراء الحكم عليهن اى اطلبوا شهادتهم و الظاهر انها على نمط الدعاوى فى إقامتها
عند الحاكم فَإِنْ شَهِدُوا وَ ثَبَتَ الْأَمْرُ

فَأَمْسِكُوهُنَّ حَبْسًا فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ أَى يأخذهن و يستوفيهن المَوْتُ و قد تكلف فى الكشاف و تبعه الرازى إذ قدرا حتى يميتهن ملائكة الموت. و قد قدمنا الكلام فى معنى التوفى فى الجزء الأول ص ٣٣-٣٧ أَوْ يَجْعَلُ اللَّهُ و يشرع لَهُنَّ سَبِيلًا من غير شريعته الحبس مما هو مؤدب و مقاوم لماده فساد الزنا. و قد جرى الأمر فى كلتا الشريعتين على حكمه التشريع من حيث المسايير فى أول الأمر مع الناس فيما يألونه فى مقام المحافظه على ناموس العفه و ان كان غير واف بالمصلحه المطلوبه فى هذا المقام حتى إذا استحکم أمر الدين و ساد الخضوع للشريعہ شرع الحكم الموافق للمصلحه العامه و نظام الاجتماع كما نطقت به روايه النعمانى و اشارت اليه الغايه فى الآيه الكريمه. هذا فى مقام صون المرأه عن معاوده الزنا و أما ما يعود إلى مقام الردع و التأديب فى أول التشريع فهو ما قاله جل شأنه

سوره النساء (٤): الآيات ١٦ الى ١٧

وَ الَّذِينَ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَأَذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَ أَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا (١٦) إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧)

١٦ وَ الَّذِينَ يَأْتِيَانَهَا أى الزانى و الزانيه يَأْتِيَانَهَا أى فاحشه الزنا مِنْكُمْ باعتبار تلقى المسلمين لأحكام الشريعة حينئذ و ان كان عاما أو لعلم الله بأن هذه الشريعة قبل نسخها لا يتيسر للمسلمين إجراؤها على غيرهم فَأَذُوهُمَا بما يعتاد بينكم نوعا من الإيذاء فى مقام الردع عن الزنا من التوبيخ و الضرب و نحو ذلك فَإِنْ تَابَا وَ أَصْلَحَا أعمالهما ليكون ذلك إماره على التوبه الحقيقيه فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا من حيث الإيذاء. و لا يتقيد الاعراض بتوبتهما معا. بل يعرض عن الإيذاء لمن عرفت توبته منهما بإصلاح عمله. كما تقتضيه حكمه التوبه إِنَّ اللَّهَ كَانَ مِنَ الْأَرْزُلِ و إلى الأبد تَوَّابًا على التائبين رَحِيمًا بعباده لا يريد إلا صلاحهم. و لكن لا يغتر المغترون باسم التوبه الجاريه على حكمه الرحمه و الإصلاح و الاستصلاح بل التوبه حقيقه هى التى تجرى عليها رحمه الله و حكمته. فما كل من قال تبت تاب الله عليه كما كتب بلطفه و غناه على نفسه الرحمه بل ١٧ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ بِمَقْتَضَى رَحْمَتِهِ و لطفه و حكمته لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ منهم. و ذكرت الجهاله للتوضيح و التوبيخ فان كل عمل للسوء إنما يكون بجهاله و عمى و لو أبصر الإنسان وجه رشده و عرف ببصيرته ما فيه صلاحه لما عمل السوء و لما استولت عليه النفس الأماره و غوايه

إبليس بفلتات الشهوة و الغضب و التعصيب الذميم و سوء الأخلاق و حب العاجل و التغاضى عن وباله أعاذنا الله من ذلك و أعاننا على أنفسنا بلطفه و توفيقه ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ عَهْدٍ قَرِيبٍ بالنسبه إلى ما كانوا يرونه بعيدا من حضور آجالهم و انقطاع آمالهم من زهره الحياه الدنيا و حينما تموت شهواتهم و تسقط دواعى المعصيه كما قال بعضهم لما سئل عن الزنا عند ضعفه بالهرم «تركنى و ما تركته» بل التوبه إنما هى فى الحال التى يراغمون بها نزع النفس الأماره و غوايه إبليس و ينيون إلى الله إقلاعا عن المعصيه و ندما على ما فرطوا فيه و رغبه فى الأعمال الصالحه فى حالهم و مستقبلهم و طلبا لكمالهم و اندماجهم فى زمره عباد الله الصالحين بنزوعهم إلى حقيقه التوبه و شوقهم إلى رضاء الله عنهم، و عفوه عما سلف منهم مما عرفوا قبحه و ندموا على ارتكابه. فما كل مظهر للتوبه تائب و لا كل تارك للقيح نادم. بل كما قيل:-

إذا انبجست دموع من عيون تبين من بكى ممن تباكى

أو ليس من حقيقه التوبه ان يخرج التائب جهد مقدوره مما لزمه فى معاصيه السابقه من حقوق الناس و حقوق الله و يستشعر قلبه التوبه و الندم فأولئك يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ لأنهم تابوا على حقيقه التوبه وَ كَانَ اللَّهُ مِنْذُ الْأَزَلِ، و لا يزال عَلِيمًا بمن تاب حق التوبه و من تظاهر بصورتها المموّهه حَكِيمًا فى دعوته إلى التوبه و وعده بأن يتوب على من أناب اليه و هو ارحم الراحمين

سوره النساء (٤): الآيات ١٨ الى ١٩

وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ وَ لَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَ لَا تَعْضُوهُنَّ لِيَذَّبْنَ بِبَغْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا (١٩)

١٨ وَ لَيْسَتِ التَّوْبَةُ التى قد أعدتها الحكمة فى الإصلاح و الرحمه لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ مصرين عليها بجرأتهم على الله و متمادين فى غيهم حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ و انقطعت عنه دواعى الهوى و الضلال قال إِنِّي تُبْتُ الْإِيمَانَ وَ لَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَ هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ بما عصوا عَذَابًا أَلِيمًا ١٩ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بالله و رسوله و دانوا باتباع شريعته الله لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ و تعدوهن ارثا لكم كما ترثون الأموال و تتسلطون عليهن بدعوى انتقال حق الزوجيه إليكم بالوراثه كَرْهًا بفتح الكاف اكرها لهن بدون

تزوج جديد برضاهن. «و كرها» نائب عن المفعول المطلق المستفاد من «ترثوا» بمعنى التسلط عليهم بزعم الإرث كرها.

فى تفسير القمى من روايه أبى الجارود عن الباقر (عليه السلام) كان فى قبائل العرب إذا مات حميم الرجل و له امرأه القى الرجل ثوبه عليها فورث نكاحها بصداق حميمه الذى كان أصدقها يرث نكاحها كما يرث ماله

و أن الآيه نزلت فى هذا الشأن. و فى الدر المنثور مما أخرجه البخارى و غيره من طريق عكرمه عن ابن عباس نحوه و زاد ان شاء بعضهم تزوجها و ان شاؤوا زوجوها و ان شاؤا لم يزوجها فهم أحق بها من أهلها انتهى و هذه الزيادة لا تنطبق على الآيه فان هذا المعنى لم يكن للزوج و لا يورث منه و ان كان ذلك للأهل فى بدع الجاهليه و مما أخرجه ابو داود من طريق عكرمه ايضا عن ابن عباس كان الرجل يرث امرأه ذى قرابته فيعضلها حتى تموت او تؤدى اليه صداقها انتهى و فى اقتصار الروايه على العضل مخالفه لجميع الروايات و خروج مغزى الآيه. و مما أخرجه ابن جرير و ابن أبى حاتم من طريق على عن ابن عباس ايضا كان الرجل إذا مات و ترك جاريه القى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس فان كانت جميله تزوجها و ان كانت ذميمه حبسها حتى تموت فيرثها و هى قوله و لا- تعضلوهن الآيه و قال يعنى الرجل تكون له المرأه و هو كاره لصحبتها و لها عليه مهر فيضربها لتفتدى انتهى و فى هذه الروايه من التدافع ما لا يخفى. فالروايات عن ابن عباس مع كونها متعارضه بعيده المجرى على سياق الآيه الكريمه خصوصا إذا ضمناها الى سائر ما رواه فى الدر المنثور هنا وَ لَا تَعْضُلُوهُنَّ اى لا تعضلوا نساءكم لا الموروثات كرها و ذلك لعدم المناسبه فيما يأتى من احكام الآيه للموروثات و كذا قوله تعالى لَتَذُهِبُوا بَبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ مِنَ الصِّدَاقِ فَإِنْ وَارِثَ النِّكَاحَ بِتَشْرِيعِ الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يُوْتِهَا شَيْئًا. و القرآن الكريم فى مقام نهيه و كرامه حكيمه لا يسمى إيتاء اقربائهم للصداق إيتاء منهم فيثير منهم غبار المغالطات فى بدعتهم. و لو تنزلنا فما ذا يقال فى قوله تعالى وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فهل يأمر الله بمعاشره موروثه النكاح ببدعه الجاهليه. و عضل المرأه هنا حبس الزوج لها على نكاحه، و التضيق عليها عند كراهته لها لتفتدى منه ببعض ما أتاها من الصداق، ليطلقها. و قد بقى عند الأوباش بقيه من هذه العاده الوحيمه فهى الله تعالى عن هذا الظلم. نعم إذا كانت الكراهه منها لا من الزوج جاز

ان يقبل الزوج منها الفداء من دون عضل كما مر في الخلع في الجزء الاول ص ٢٠٦، و اما هنا فقد استثنى من حرمة العضل و أخذ شىء منهن بقوله تعالى إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبِينَةٍ بكسر الياء المثناه اى موضحة لفحشائها و

في تفسير البرهان عن الشيباني ان الفاحشه هي الزنا و هو المروى عن ابي جعفر (عليه السلام)

و في مختصر التبيان و الاولى حملها على كل معصيه و في مجمع البيان و هو المروى عن ابي جعفر (عليه السلام)

أقول و لم اعثر على شىء من الروايتين لكن صدق الفاحشه على الزنا هو المتيقن في المقام و من المعاصى ما لا يسمى فاحشه و الإطلاق انما يجرى مع صدق اسمها و شمولها لمحض النشوز بعيد او للمساحقه و التهتك في التبرج و قول الفحش قريب في المقام. و المرجع في موارد الشك هو عموم هذا النهى عن العضل و هذا الأخذ لان الشبهه في الخاص مفهوميه و عاشتروهن اى غير من استثنى عضلها من الزوجات بالمعروف و هو معروف فإن كرهتموهن لبعض الأمور من خلقتهن و غير ذلك فحاسبوا أنفسكم في هذه الكراهه فربما تزول إذا جوزتم ان يكون في هذه المرأه خير يهون عنده ما كرهتموها لأجله بأن يجعل الله فيها الخير و يبارك في نسلها و يبارك لكم بسببها فعسى أن تكثرها شيئاً و يجعل الله فيه خيراً كثيراً يرغب فيه و يرغب في ذلك الشىء لأجل رجائه فيه.

فأمسكوا من جماح نفوسكم في الكراهه و روضوها على الأخلاق الفاضله و حسن المعاشره مع المؤمنات و تفكروا في عواقب الأمور فكم شوهد من مبغوضات النساء من صار منهن النسل الطيب النافع و من كانت هي المواسيه و النافعه عند الشدائد و المرض و الشيخوخه نفعاً لا يوازيه شىء من احسان الرجل في الرفاهيه و كم و كم ينعكس الأمر في المحبوبات- و هناك ايضا مورد يدعو الإنسان لأن يحمل زوجته بأنواع الوسائل على ان ترد عليه شيئاً مما أعطاها من المهر. و ذلك إذا أراد ان يطلقها ليستبدل بها زوجه أخرى فقال جل شأنه في الزجر عن ذلك و التوبيخ عليه

سوره النساء (٤): آيه ٢٠

وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (٢٠)

٢٠ وَ إِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا مبالغه في كثره ما يعطى على خلاف العاده لأجل التأكيد في الزجر لثلاثا يقال بقى عندها الشىء

الكثير مما أعطيتها من مالى صداقا. وقد مر تفسير القنطار فى الجزء الأول ص ٢٦٢ فلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أ تَأْخُذُونَهُ انكار على أخذهم لذلك الشىء من المهر او بدله بُهْتَاناً الذى رأيتة فى التفاسير هو تفسير البهتان بالكذب الذى يواجه به على سبيل المكابره. و تكلفوا فى تفسير الآيه حتى ان الرازى قال و روى ان الرجل منهم إذا مال الى التزوج بامرأه أخرى رمى امرأته بالفاحشه بهتاناً حتى يلجئها الى الافتداء منه فجعل من ذلك تفسير الآيه و تبعه على ذلك ابو السعود و صاحب المنار فى تفسيره لكنى لم أجد أثراً لما اعتمدوا عليه من الحكايه. و أيسر المتكلفين تكلفا من قال اى ظلما كالظلم بالبهتان او بطلانا كبطلان البهتان و قال بعضهم مباهتين و آثمين و لكنهم غفلوا مع التكلف عن ان وصف الإثم بالمبين يأبى ما ذكروه من قولهم آثمين لكن فى التبيان و مجمع البيان و الكشاف و لسان العرب و عن أبى إسحاق و فى النهايه و المصباح ان البهتان مأخوذ من البهت و هو التحير و أن أصله ذلك و قال بعض من ذكرناهم ان الألف و النون زائدتان و عليه تكون تسميه الكذب بالمواجهه و المكابره بهتاناً لأجل تحييره اذن فالأولى فى التفسير ان يكون المعنى أ تأخذونه تحييراً للمرأة لأنها لا تسمح فى هذا المقام الا لحيرتها فى أمرها مع هذا الزوج وَ إِثْمًا مُبِينًا و موضحاً لكونه آثماً فيكون من نحو قتله ظلماً و عدواناً مبيناً لعدوانيته. و بذلك تعرف الخطأ ممن فسر بقوله مباهتين و آثمين

سوره النساء (٤): الآيات ٢١ الى ٢٢

وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا (٢١) وَ لَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَ مَقْتًا وَ سَاءَ سَبِيلًا (٢٢)

٢١ وَ كَيْفَ تَأْخُذُونَهُ و هو مهر بإزاء الزوجيه و الدخول و الحال قَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ يقال افضى اليه بسره و فى القاموس افضى الى الأرض بيده إذا مسها فى سجوده. و المحصل من موارد الاستعمال ان الإفضاء هو الاتصال بركون و نحو ملابسته و هو كناية عن الحالات التى تكون بين الزوجين من حيث ارتباط الزوجيه و تمتعها و رفع الحشمه. و الآيه جاريه على الغالب من الدخول فلا تنافى ثبوت المهر كله بمجرد الخلوه لو ثبت من السنه ذلك.

و هذه الآيه لا- دخل لها بآيه الخلع التى مرت فى سوره البقره لأن الكراهه فى الخلع من المرأة و مورد هذه الآيه اراده الزوج للاستبدال و تحييره للمرأة فدعوى نسخ أحدهما للأخرى من الوهم وَ أَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا بعقد الزواج على السنه و احكام الشريعه فى استحقاق المهر و المعاشره بالمعروف و غير ذلك ٢٢ وَ لَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ و ان علوا من ناحيه الأب

او الأم لصدق اسم الأب و منه قوله تعالى فى سورة الأعراف ٢٦ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ وَ فى سورتى الصافات ١٦ و الواقعة ٤٧ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ و شواهدة فى الشعر و النثر كثيرة. و إنما خص فى الموارىث بالأب الأدنى لمقام التثنية مع الأم فى قوله تعالى «وَلِأَبْوَابِهِ» و لو أريد ما يشمل الجد لقل «وَلِأَبَائِهِ» إذ يمكن ان يجتمع له بهذا المعنى آباء و أمهات متعددون فى طبقه واحده كجديه و جدتيه من ناحيتى أبيه و أمه و يزيد عددهم فى طبقه الأخرى و على ذلك يبنى الإجماع فى الموارىث على الاختصاص بالأب الأدنى. و النكاح على المشهور المعروف و هو علقه الزواج و يقال ايضا على سببها و هو العقد المبيح للوطء دخل العاقد او لم يدخل و على ذلك اتفاق المسلمين فى المسألة كما

ورد عليه من الحديث صحيحه الكافى عن الباقر (عليه السلام) فى شأن الكنديه و العامريه اللتين تزوجهما رسول الله و طلقهما قبل الدخول.

و فى الدر المنثور مما أخرج ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و البيهقى فى سننه عن ابن عباس فى الآيه يقول كل امرأه تزوجها أبوك دخل بها او لم يدخل فهى عليك حرام. و يكون التحريم لموطوءه الأب بملك اليمين مستفادا مما يدل عليه من السنه و الإجماع. و الظاهر ان «ما» موصوله كناية عن القسم او النوع ان لا تنكحوا مصاديق هذا القسم مِنَ النِّسَاءِ مثل قوله تعالى أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ. أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ. وَ أَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَّا مَا قَدَّ سَيْلَفَ وَ قد ذكر لهذا الاستثناء وجوه أوجهها و أظهرها انه لما كان النهى لا يتناول الا العلقه المتجدده فى المستقبل فيقضى بفسادها و فساد سببها و لا يتناول العلقه الموجوده بسببها الكائن قبل النهى أراد الله ان يبين ان هذه العلقه فى الفساد و المبعوضيه كالعلقه المنهى عنها فى المستقبل فلا ينبغى ان يكون لها وجود الا ما قد سلف من موضوعه من النساء فى الجاهليه أو علقه النكاح و مضى بموت او طلاق. و ذلك بان تكون «الا» صفه للموصول او لعلقه النكاح المدلول عليها بالنهى او استثنائه محصل مفادها هو انه لا اعتبار لهذه العلقه فى النسب و آثار الزوجيه الا فيما مضى و سلف بالاعتبار الجاهلى لأن لكل قوم نكاحا يجعلونه فيما عندهم قسيما للزنا و يرتب الشارع آثاره على تناسله لكن هذا النكاح إِنَّهُ كَانَ مِنْ حِينِهِ وَ فيما سلف عند الله فَاحِشَةً وَ مَقْتًا مبالغه فى كونه ممقوتا مثل قوله تعالى فى سورة البقره ٢١٤ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَ هُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَ سَاءَ

فيما مضى سبيلاً اى سبيل الذين اتخذه به نكاحا فى تشريعهم. و ربما كان هذا الذى ذكرناه هو المراد للسيد الرضى فيما اختاره فى حقائق التأويل (١)

سوره النساء (٤): آيه ٢٣

حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ بَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَ خَالَاتُكُمْ وَ بَنَاتُ الْأَخِ وَ بَنَاتُ الْأُخْتِ وَ أُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَ أَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعِ وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَ رَبَائِبُكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَ حَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَ أَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً (٢٣)

٢٣ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ من المعلوم من سياق القرآن الكريم ان التحريم إنما هو من حيث النكاح و التمتع بالنساء من وطء و نحوه مضافا الى ان تعلق التحريم بكل موضوع ينظر الى الأثر المطلوب منه و هو فى النساء ما ذكرناه و هذا ظاهر. و الأم كل أنثى ولدتك و لو بوسائط و على ذلك اجماع المسلمين و قد ذكرنا وجه اختصاص الأب و الأم فى المواريث بالقريبين وَ بَنَاتُكُمْ و ان نزلن لشمول البنت لذلك. و قد كثر فى الحديث فى شأن النساء (بنات آدم و بنات حواء) و الإجماع على ذلك ايضا. و لو علم ان البنت المولودة من الزنا هى بنت الرجل الخاص حرمت عليه لصدق البنت و عموم الآية. و ينسب الى الشافعى و أصحابه انها لا تحرم تشبثا

بقول النبى (صلى الله عليه و آله) «الولد للفراش و للعاهر الحجر»

و ان ولد الزنا لا يرث كما ذكره ابن الروزبهان الشافعى فى رده لنهج الحق للعلامه الحلى. و لكنه تشبث فى غير محله لأنه ان كان

بقوله (صلى الله عليه و آله) الولد للفراش

فهو ظاهر المنع لان هذه الجملة مسوقه لمورد الشك جعل الحكم للفراش الذى هو اماره على التولد من صاحب الفراش و محل الكلام فيما هو معلوم الولاده من الزانى فلا يدخل فى حكم هذه الاماره كما لا يدخل فيه ما يمتنع بحسب العاده ان يكون للفراش و ان كان

بقوله (صلى الله عليه و آله) و للعاهر الحجر

يعنى ان العاهر لا يلحق به ولد العهر قلنا ان غايه ما يفهم منه انما هو النفى لما يعود للمنتسبين من فوائد النسب الشرعيه لا نفى الحقيقه المعلومه و لا جميع الآثار فان الام عاهر و يحرم عليها ولدها من الزنا بإجماع المسلمين. و فى التذكرة فى تحريم البنت المذكوره قال عند علمائنا اجمع كما يحكى نقل الإجماع عن الإيضاح و غيره وَ أَخَوَاتُكُمْ من الأبوين او من أحدهما وَ عَمَّاتُكُمْ و ان علون بان كن عمات الأب أو الأم او احد الأجداد او احدى الجدات. و العمه كل

١- روى فى الدر المثور و غيره ان الآيه نزلت فى كبشه زوجه أبى قيس بن الاسلت لما مات زوجها و أراد ابنه قيس و فى روايه محصن أن يتزوجها بإرث الجاهليه فنزلت هذه الايه. و عن عكرمه انه ذكر جماعه خلفوا آبائهم على نسائهم. و ذكر فى حقائق التأويل ان منهم عمرو بن اميه خلف أباه اميه على زوجته آمنه بنت ابان من هوازن فأولدها أبا معيط جد الوليد بن عقبه. و ذكرهم الواحدى ايضا فى اسباب النزول. و ذكروا ان الذى يولد من هذا النكاح يسمى مقتيا [.....]

أخت لرجل تنتسب إليه بالولادة منه وَ خَالَاتُكُمْ وَ ان علون. و الخاله كل أخت لأنتى تنتسب إليها بالولادة منها وَ بَنَاتُ الْأَخِ وَ ان نزلن سواء كان أخا من الأبوين او من أحدهما وَ بَنَاتُ الْأُخْتِ كَذَلِكَ وَ أُمَّهَاتُكُمْ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ أَي من تسمونهن بالأمهات من حيث انهن أرضعنكم كما كان متداولاً عند العرب. فالآية اناطت التحريم بعنوان الأم و التسميه بذلك من جهة الرضاعه فقولہ تعالی اللّاتی أَرْضَعْنَكُمْ صفه تابعه مبینه لجهه التسميه بالأم. و فائدتها فی الکلام موقوفه علی صدق عنوان الام و یدور الإطلاق و شمول الحکم مدار التسميه و تحقق عنوان الأم اذن فلا- وقع للتشبيث للإطلاق و عموم التسميه بكفايه الرضعه و الرضعتين و علی هذا جرى رد الفخر الرازی فی تفسيره لأبي بكر الرازی فی تشبته بإطلاق الرضاع فی «أرضعنكم» للتحريم بمسمى الرضاع:

ففى جامع أبى داود بسنده عن ابن مسعود عن النبى «ص» لا رضاع الا ما شد العظم و أنبت اللحم و فى سند آخر أنشز العظم

أى أعلاه بالنمو و استفاضت روايه ذلك من طرق الشيعة و أكثرها عن الباقر «ع» و الصادق و الكاظم «ع» كما أحصاه فى الوسائل فى أوائل أبواب الرضاع. و من هذا الباب ما

رواه احمد و البخارى و مسلم و ابو داود و النسائى عن عائشه ان رسول الله رأى عندها رجلاً- فغضب فقالت له انه اخى من الرضاعه فقال (صلى الله عليه و آله) انظرن من إخوانكن فانما الرضاعه من المجاعه.

و فى روايه مسلم انظرن من اخوتكن من الرضاعه فانما الرضاعه من المجاعه. انتهى

و هو ظاهر فى انه ينبغى ان ينظرن من تحقق له بكثرة الرضاع عنوان الاخوه بحسب متعارف الناس لا بمجرد الرضاع الذى يكون من مجاعه الطفل و اسعاف المرضعه باشباعه اتفاقاً. و نحوه ما

رواه الترمذى و صححه عن ام سلمه عنه «ص» لا يحرم من الرضاع الا ما فتق الأمعاء فى الثدي و كان قبل الفطام. و كذا ما رواه ابن حبان عن ابن الزبير عنه «ص»

و اخرج احمد و مسلم و الاربعه عن عائشه. و النسائى و ابن ماجه عن الزبير عنه «ص» لا تحرم المصه و لا المصتان.

و اخرج احمد و مسلم و النسائى و ابن ماجه عن ام الفضل عنه «ص» لا تحرم الأملاجه و لا الأملاجتان

و فى كنز العمال و مختصره عن الطبرانى بسنده عن المغيرة عنه «ص» لا تحرم الفيقه.

و عن ابن أبى شيبه و جامع عبد الرزاق عن المغيرة عنه (صلى الله عليه و آله) قال لا تحرم الفيقه قيل و ما الفيقه قال المرأه تلد فيحصر لبنها فترضعه طفل جارثها المره و المرتين

- نعم قد تخفى أول مرتبه يتحقق بها صدق اسم الام و الاخت

مثلا- بانبات اللحم و شدة العظم فجعل لذلك في الشريعة اماره تحددده و المعروف عند الإماميه انه رضاع يوم و ليله من امرأه واحده او خمسہ عشر تامه لا يفصل بينها برضاع من امرأه اخرى و يشترط ان يكون هذا الرضاع في الحولين كما تقدم من روايه الترمذى عن ام سلمه عنه (صلى الله عليه و آله)

و عن ابن عدى و الدارقطنى و البيهقى بأسانيدهم عن ابن عباس عنه (صلى الله عليه و آله) لا يحرم من الرضاع إلا ما كان فى الحولين

و عن ابن عساکر عن على (عليه السلام) عنه (صلى الله عليه و آله) لا- رضاع بعد فطام و رواه فى الكافى و الفقيه و الأمالى فى الصحيح عن الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و آله)

و ذكر فى الوسائل فى الباب الخامس من الرضاع بقیه الأحاديث فى ذلك. و الظاهر انه لم يعرف الخلاف فى ذلك إلا من عائشه. و اشترط الإماميه ان يكون اللبن لفحل واحد و عليه إجماعهم و حديثهم و أَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعِ و الاعتماد على إطلاقه يتوقف ايضا على تحقق عنوان الاخوه عند العرف و الرجوع إلى الإمارات المجعوله بالشروط المذكوره. و مما تحصل به الاخوه ما إذا ارتضع كل من الرضيعين بالمقدار المؤثر فى التحريم من امرأه و كلتا المرأتين لرجل واحد كما عليه إجماع الإماميه و حديثهم و عليه روايه ابن عباس كما

فى كنز العمال و مختصره عن جامع عبد الرزاق سئل عن الرجل تزوج امرأتين فأرضعت الواحده جاريه و الاخرى غلاما هل يتزوج الغلام الجاريه قال لا تحل له اللقاح واحد.

و يشترط عند الاماميه ان يكون اللبن عن ولاده من نكاح صحيح و عليه إجماعهم و حديثهم و عليه ينزل اطلاق الآيه و لعلها منصرفه عن غيره هذا و قد تكفلت السنه الشريفه بتكملة بيان القرآن او التصريح بما لوح اليه فى الآيه بالإشاره بعنوانى الام و الأخوات فى زمرة العناوين المحرمه فى النسب كما فى

قوله (صلى الله عليه و آله) يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب. كما رواه الفقيه فى الصحيح عن الباقر عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) و فى التهذيب فى الصحيح عن الصادق عنه (صلى الله عليه و آله). و أخرجه الترمذى عن على عنه (صلى الله عليه و آله) و آله).

و اخرج نحوه احمد و اصحاب الجوامع الست عن عائشه عنه (صلى الله عليه و آله). و احمد و مسلم و النسائى و ابن ماجه عن ابن عباس عنه (صلى الله عليه و آله)

- فكل عنوان يحصل بسبب الرضاع و هو محرم فى النسب يكون محرما سواء كان بسيطا كعنوانى الأم و الاخت او مركبا بالإضافة كعنوان بنات الأخ و نحوه من العناوين المذكوره فى المحرمات فى الآيه. و لا فرق بين ان يكون كلا عنوانى

المضاف و المضاف اليه من الرضاعه كالبنت الرضاعيه للأخ الرضاعى او كان احد العنوانين كما رواه الفريقان فى امتناع النبى (صلى الله عليه و آله) من تزوج ابنه حمزه النسيه لأن حمزه كان أخاه من الرضاعه. و بسط الكلام فى هذا المقام موكول إلى كتب الفقه و أمهات نسائكم سواء دخل بها ام لم يدخل لإطلاق النساء. و على ذلك اجماع الإماميه و لا يضر فيه ما يحكى من خلاف ابن أبى عقيل. و قد استفاض من موثقه غياث بن ابراهيم و معتبره اسحق ابن عمار عن الصادق عن الباقر عليهما السلام و روايه العياشى عن أبى حمزه عن الباقر و صحيحه منصور بن حازم ان عليا امير المؤمنين (عليه السلام) منع التزوج بأم الزوجه و ان لم يدخل بها ورد على بن مسعود فى فتياه فى الجوار و احتج عليه بالإطلاق

بقوله عليه السلام «إن هذه مستثناه»

يعنى مسأله الربائب «و هذه مرسله» يعنى مسأله أمهات النساء و

قال (عليه السلام) فى معتبره اسحق «و هذه مبهمه فحرموا و أبهموا ما أبهم الله» و نحوه فى روايه أبى حمزه.

و بذلك يسقط ما رواه فى كنز العمال و مختصره عن على (عليه السلام) مما يوهم ظاهره خلاف ذلك و كذا ما ذكر ابن رشد فى بدايته انه مروى عن على و ابن عباس من طرق ضعيفه. هذا و الذى قال بمساواه ام الزوجه للربيبه يذكر عنه فى تشبته و جهان- الاول- ان قوله تعالى مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ إِلَى آخِرِهِ راجع إلى قوله تعالى وَ أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ و قوله تعالى وَ رِبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ انتهى. و هذا الوجه باطل لأن رجوعه إلى أمهات نسائكم يقتضى أن تكون «من» فيه للتبيين. و رجوعه إلى الربائب يقتضى ان تكون فيه للابتداء و لا يصح ان يستعمل اللفظ الواحد فى كل واحد من المعنيين المختلفين كما اعترف به فى الكشاف و تبعه عليه الفخر الرازى فى تفسيره. و اما التصحيح لذلك بجعل «من» للاتصال كما فى قوله تعالى الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ. و قولهم لست منك و لست منى. و ما انا من دد و لا دد منى. فإنما هو خيال فاسد ينتج بعمومه امرا فاسدا. لأنه لا بد من أن يراد من الاتصال المزعوم معناه العام الذى يشمل بعمومه اتصال الأم و اتصال الربيبه فيصدق التحريم حينئذ على أم الزوجه التى لم يدخل بها إذا كانت متصله بأى زوجه مدخول بها و ان كانت أختها المطلقه او بنت عمها مثلا و هم لا يرضون بذلك و يصدق التحريم ايضا على الربيبه التى لم يدخل بأى زوجه مدخول بها إذا كانت متصله

باى زوجه مدخول بها و ان كانت أختها المطلقه او بنت عمها مثلا و هو مخالف لإجماع المسلمين.

اذن فإيراد هذا القيد العام الذى لا يراد عمومه لا يكون فى مقام التحديد و التقييد الا من المعايه و القصور فى التعبير و حاشا شأن القرآن الكريم من ذلك فلا- مناص فى مستقيم الكلام عن كونه قيذا للربائب- الوجه الثانى- ان يكون قوله تعالى اللّاتى دَخَلْتُم بِهِنَّ صفة واحده لموصوفين و هما «نساءكم» من قوله تعالى أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ و «نساءكم» من قوله تعالى مِنْ نِسَائِكُمْ- و يرد ما فى مجمع البيان عن الزجاج من ان الجرين إذا اختلفا لم يكن نعتهما واحدا لا يجوز النحويون مررت بنسائك و هربت من نساء زيد الظريفات على ان تكون لهؤلاء النساء و هؤلاء النساء. أقول و نحوه ما عن سيبويه من اعتباره اتحاد وجه الجر فى الموصوفين. و يعرف هذا كله مما نبه عليه الشيخ الرضى فى شرح الكافية فى بحث الصفة من ان سيبويه و الخليل و جمهور النحويين يشترطون فى جمع الموصوفين بصفة واحده كونهما يشتركان فى اسم واحد خاص كالفاعل و المفعول و المبتدأ و الخبر و المضاف اليه فلا تقول مثلا هذا رجل و فى الدار آخر كريمان لأن الاول مبتدأ و الثانى خبر و لم ينقل الخلاف إلا عن الأخفش و الجرمى. بل زاد الزجاج و المبرد و كثير من المتأخرين على الجمهور فاعتبروا كون العاملين بالموصوفين بمعنى واحد نحو جلس أخوك و قعد أبوك الكريمان. فلا- يكفى مجرد كون الموصوفين يشتركان فى تسميتهما بالفاعل. اذن فلا- يجوز بحكم جمهور النحويين و الذوق المستقيم و مجد القرآن الكريم فى أسلوبه ان تكون «اللاتى» فى الآية صفة لنساءكم فى كلا قوليه تعالى أُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ. و مِنْ نِسَائِكُمْ. فإن الأولى مضاف اليه و الثانية مجروره بكلمه «من» فلم يشتركا فى اسم واحد و لم يتحد وجه الجر. ودع عنك ما زاده المبرد و الزجاج و الكثير من المتأخرين. و لعل الكشاف لم يعرض لهذا الوجه لوضوح ما ذكرناه فى علم النحو (تكملة) الظاهر اجماع المسلمين على ان الموطوءه بالملك يحرم وطء أمها و بنتها على الواطئ حتى بالملك نعم لا- يمنع ذلك من مجرد تملكها. و على ذلك من طريق الإماميه أحاديث كثيرة أحصاها فى الوسائل فى الحادى و العشرين من أبواب ما يحرم بالمصاهرة وَ رَبَائِكُمْ جمع ربيبه من التربيه و هى بنت الزوجه من غير الزوج و سميت بذلك لأنها فى الغالب معرض

لتربيته الزوج لها في كفالتة. كما

يروى في الحديث لا صدقه في الإبل القتوبه

اي المعده لشد القتب عليها و هي الإبل العوامل. و أبغنى ناقه حلبانه ركبانه اي معدة للحلب و الركوب صالحه فيهما و معرضا لهما (1) اللاتي صفه للربائب في حُجُورِكُمْ الظاهر ان الجار و المجرور صله للموصول اي متعلقان بكون عام. و الحجور جمع حجر بفتح الحاء و كسرهما و هو في الأصل حضن الإنسان. و قولهم اي في تربيته او كنفه او حمايته تفسير بالمعنى المجازي او المكنى عنه مِنْ نِسَائِكُمْ سواء كن منهن ابتداء او بواسطه الولاده منهن. و ما إدخال المزنى بها في قوله تعالى مِنْ نِسَائِكُمْ الا من الخبط اللاتي صفه للنساء اللاتي منهن الربائب كما قدمناه دَخَلْتُمْ بِهِنَّ الجملة صله للموصول. و الدخول بهن يتحقق بالوطء بعد العقد. و في مختصر التبيان و قيل. الجماع و كذا ما يجرى مجراه من المسيس و التجريد و هو مذهبنا و الظاهر اراده ما كان بشهوه كما صرح به في المبسوط و قال و هو الصحيح و عليه اكثر اهل العلم. و عن الخلاف استدل عليه بإجماع الاماميه و بالاخبار و ما روى من طريق الجمهور من

قول الرسول صلى الله عليه و آله من كشف قناع امرأه حرم عليه أمها و بنتها.

و ربما يقال ان ذلك هو المعنى المكنى عنه بالدخول بهن فإن الغالب على من يريد التلذذ بزوجه ان يدخل بها مخدعا او بيتا كما يقال بنى بها و بنى عليها. نعم الوطاء هو القدر المتيقن من المعنى المكنى عنه و يشهد للعموم و يدل عليه

صحيحه الكافي و التهذيبين عن محمد بن مسلم عن أحدهما (عليه السلام) في رجل تزوج امرأه فنظر الى رأسها و الى بعض جسدها أ يتزوج ابنتها قال (عليه السلام) لا- إذا رأى منها ما يحرم على غيره فليس له ان يتزوج ابنتها و صحيحه التهذيبين عن محمد بن مسلم عن الباقر (عليه السلام) كما رواها في الكافي و التهذيبين في معتبره أبي الربيع عن الصادق (عليه السلام)

و لا تعارضهما صحيحه العيص عن الصادق (عليه السلام) لأن السؤال فيها عن رجل باشر امرأه و قبل و لم يفض إليها ثم تزوج ابنتها

فقال (عليه السلام) إذا لم يكن افضى الى الأم فلا باس انتهى

و ذلك لجواز ورودها سؤالا و جوابا في الاجنيهيب.

ص: ٦٨

١- و شاه حلوب اي معدة لأن تحلب و معرض للحلب. كما يقال ركوب لما هو معرض للركب من الحيوانات و مطيه للدابه التي هي معرض للجد في السير او لأن يركب مطاها اي ظهرها. و هذا و نحوه استعمال شائع عند العرب.

و المباشرة و التقييل المحرّمين لا الزوجه كما أوردها العلامه فى التذكره فى هذا المعنى - و هناك فروع آخر مأخذها من السنه فهى موكوله الى كتب الفقه - و لا- يخفى ان القسم الغالب من بنات الزوجات من يكون اختلاطهن مع ازواج الأمهات كاختلاط البنات مع آبائهن مع ان محرميتهن لم يتقرر احترامها فى النفوس كمحرميه البنات فالحكمه التى اقتضت تشريع محرميتهن اقتضت ايضا ان يقرن ذلك بما ينبه النفوس على جهه المحرميه و يثبتها على احترامها و الاشتمزاز من طموح النظر إليهن بيوادر الشهوه و الميل الى النكاح فلأجل ذلك ذكرت الصفه الغالبه التى تمثل بنت الزوجه بمثال البنت و هى التريه فى الحجر كتربيه البنات و ان كانت الحكمه فى تثبيت ذلك تقتضى طرد الحكم فى مطلق المدخول بأمرها لتثبيت علقه المحرميه على حكمتها من أول الدخول و علقه الاختلاط. و لذا بعد ذكر المنفر و مثبت علقه المحرميه جعل القرآن هذا الحكم دائرا مدار الدخول و يكفى فى ذلك قوله تعالى اللّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فُضَلَا عَمَا قَدْ يَسْتَفَادُ مِنْ قَيْدِ الْحَيْثِيَّةِ كَتَقْيِيدِ التَّرْيِيهِ فِي الْحَجْرِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهَا بِنْتُ الزَّوْجِهِ فَيُظْهِرُ الْغَرَضَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى فَإِنَّ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَلَا إِثْمَ فِي التَّرْوِجِ بِهِنَّ وَلَا ضَيْقَ بِالنَّهْيِ عَنِ نِكَاحِهِنَّ وَ تَنْحَصِرُ الْفَائِدَةُ بِالتَّحْقِيقِ وَ التَّأَكِيدِ لِدَوْرَانِ التَّحْرِيمِ وَ عَدَمِهِ مَدَارِ الدَّخُولِ بِالْأَمِّ وَ عَدَمِهِ: وَ لَمْ يَعْرِفْ تَقْيِيدَ التَّحْرِيمِ بِالتَّرْيِيهِ فِي الْحَجْرِ إِلَّا مِنْ دَاوُدِ الظَّاهِرِيِّ وَ اتِّبَاعِهِ.

و روى من طريق عبد الرزاق و ابن أبى حاتم عن مالك بن أوس بن الحدثان ان عليا (عليه السلام) أباح له ان يتزوج بابنه امرأته التى دخل بها و ولدت له ثم ماتت لأن البنت لم يربها فى حجره و هذه الروايه خطأ فإن المعروف من مذهب اهل البيت عدم اعتبار التريه فى الحجر و قد

روى مسندا من طريقى اسحق بن عمار كما فى التهذيبيين و تفسير العياشى عن الصادق عن الباقر (عليه السلام) ان عليا كان يقول ان الربائب عليكم حرام من الأم اللاتى دخلتم بهن هن فى الحجور و غير الحجور سواء. و فى التهذيبيين ايضا عن غياث بن ابراهيم عن الصادق عن الباقر نحوه.

و فى الفقيه قال على (عليه السلام) و ذكر نحوه

و سند كما فى آخر الكتاب من الحسن كالصحيح. و هل ما روى عن مالك عن على (عليه السلام) الا كما ذكرنا قبلا من ان عليا (عليه السلام) أجاز التزويج بأمر الزوجه إذا لم يدخل ببنتها و قد ذكرنا استفاضه الروايه من اهل البيت عنه (عليه السلام) ان ام الزوجه مطلقا

حرام. و في النفس شىء كفانا ان نبوح به ما صرح به مسلم في أوائل جامعه في باب النهى عن الروايه عن الضعفاء و الكذابين فأسند عن ابى مليكه عن ابن عباس قال دعا بقضاء على (عليه السلام) فجعل يكتب منه أشياء و يمر به الشىء فيقول و الله ما قضى بهذا على. و أسند عن طاوس ان ابن عباس أتى بكتاب فيه قضاء على (عليه السلام) فمحاها الا قدر و أشار سفيان بن عيينه بذراعه. و أسند ايضا عن المغيرة قوله لم يكن يصدق على على في الحديث عنه الا من اصحاب عبد الله بن مسعود و حرمت عليكم ايضا حلائلُ أبنائِكُمْ و ان نزلوا و في التبيان و مجمع البيان و ما رأيت من كتب اللغه ان الحليله هي الزوجه. و الزوج حليل و هو المتبادر من موارد الاستعمال من الحديث و الشعر و النثر. نعم اتفق المسلمون ان مملوكه الابن إذا وطأها حرمت على أبيه و ان علا و اما إذا جردها او مسها او قبلها فالمشهور عند الاماميه انها تحرم على أبيه و ان علا و لعله اجماع قبل ابن إدريس و عليه صحيحتا ابن سنان عن الصادق (عليه السلام) و ابن بزيع عن الرضا (عليه السلام) و مرسله يونس عن الصادق (عليه السلام) و هو المحكى عن ابن عمر و مسروق و القاسم و الحسن و مكحول و النخعي و الشعبي و أبى ثور و الازواعى و مالك و أبى حنيفه واحد قولى الشافعى و احدى الروايتين عن احمد، و اما مجرد ملك الابن فلا يحرمها. نعم يظهر من الفخر الرازى في تفسيره من ذكر الخلاف بين أبى حنيفه و الشافعى ان الشافعى يحرمها. و قد تحذلق الرازى لادخالها في مسمى الحليله و جعل النفى لتسميتها بالحليله من باب ما لا يقبل من الشهاده على النفى لا من باب الشهاده على ان المسمى غيرها و أنى يجديه ذلك مع ان المتبادر من الحليله هو خصوص عنوان الزوجه بنحو يعرف بقانون اللغه ان غير الزوجه خارج عن المعنى الحقيقى للحليله و على ذلك جرت شهاده اللغويين الَّذِينَ مِنْ أَصْيَابِكُمْ لا- ما يسميه العرب ابنا باعتبار التبنى على وجه شائع كأنه يدخل في المعنى الحقيقى للابن. و قد كان في الإسلام عنايه في ابطال هذه التسميه الباطله التي يترتب عليها مفسد كثيره. منها: ان هذا الدعى الذي قد لا تعرف نجابه عنصره و سلامه ذاته يتركونه يعامل نساءهم و بناتهم و أخواتهم معامله ولدهم الحقيقى في ترتيب آثار المحرميه النسبيه من الخلطه و الخلوه و عدم الحجاب مع انه ليس فيه من الرحميه ما يردعه عن الاقدام على فعل الفحشاء و السوء معهن و لا يخشى من ان يرجع عارهن عليه و لا يخفى ان

هذا التقييد الذى يخرج به المتبنى لا يمنع من ثبوت التحريم لحليته الابن الرضاعى على أبيه من الرضاعه كما يقتضيه

قوله صلى الله عليه وآله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب

فإن مواده ان تحرم حليته الابن الرضاعى كما يحرم بنص القرآن حليته الابن النسبى و عليه فتوى الاماميه و الفقهاء الاربعه و اكثر اهل العلم (١) و حرم عليكم أن تَجْمَعُوا فيما يراد من النساء من الزوجيه و ما هو مثلها من التمتع بالوطء فى المملوكه بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ فإن الآيه مسوقه لذلك كما فى قوله تعالى حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ الى آخرها إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ و زال موضوعه فإنه مسامح فيه و مغفور و ان كان من تشريعات الجاهليه إِنَّ اللَّهَ كَانَ و لا يزال غَفُوراً لِّلذُنُوبِ رَحِيماً بعباده و من رحمته ان أمضى ما سلف من نكاح كل قوم و ان كان تشريعاً جاهلياً فلم يجعل النسب الحاصل منه نسب زنا (٢) و على تحريم الجمع بين المملوكتين فيما ذكرنا لا مجرد الملك اجماعاً

ص: ٧١

١- لكن فى تفسير صاحب المنار عن ابن القيم تقرير الحجه للمخالفين فى تحريمهما بما ملخصه ان تحريم حلائل الأبناء إنما هو بالصهر لا بالنسب و النبى (صلى الله عليه وآله) «اى فى قوله يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب» قد قصر تحريم الرضاع على نظيره من النسب لا- على شقيقه و هو الصهر- فأقول ان المحرم ليس هو الرضاع و لا- النسب و لا الصهر و لا بعض منها و انما المحرم هو ما كان من الإنسان للعناوين المذكوره فى الكتاب المجيد الناشئه من النسب و لو باعتبار الواحد من طرفى اضافتها كالبنيه فى عنوان حليته الابن و الابوه فى عنوان أبى الحليل فإن كلا- من هاتين الابوه و البنوه من ناحيه النسب منشأً لتحريم الحليته على أبى زوجها او تحريمه عليها فكذا حليته الابن و ابو زوجها من ناحيه الرضاع. و يا ليتة قال فى تقرير الحجه كما يجب فى الفهم المستقيم «ان النبى (صلى الله عليه وآله) قد قصر تحريم العناوين الناشئه من جهه الرضا (عليه السلام) على نظيرها من العناوين الناشئه من جهه النسب» ليعرف ان الحجه فى الحديث الشريف تكون لمن

٢- و مقتضى الغفران فى الآيه انه لم يقصد فيها من قوله تعالى «ما قد سلف» ما تذكره التوراه الرائجه من جمع يعقوب بين الأختين (ليته و أختها راحيل) ابنتى (لابان) كما فى الفصل التاسع و العشرين إلى الخامس و الثلاثين من سفر التكوين. لأنه ان كان لذلك اصل فإن يعقوب لا- يجمعهما و يبيهما مجتمعتين فى حباله اكثر من عشر سنين إلى ان ماتت راحيل ما لم يكن ذلك على شريعته حق فى ذلك الزمان لا تشريعاً يكون ذنباً يتعقبه الغفران

الإماميه و حديثهم و عليه ايضا مالك و الاوزاعي و ابو حنيفه و الشافعي و احمد في احدى الروايتين و في تذكره العلامة حكي
الخلافة عن داود الظاهري و نسبة ابن رشد في بدايته الى طائفه.

روى مالك في الموطأ و في الدر المنثور اخرج مالك و الشافعي و عبد بن حميد و عبد الرزاق و ابن أبي شيبة و ابن أبي حاتم و
البيهقي في سننه من طريق ابن شهاب «الزهري» عن قبيصة بن ذؤيب ان رجلا سأل عثمان عن الأختين في ملك اليمين هل يجمع
بينهما فقال أحلتها آيه و حرمتها آيه و ما كنت لأصنع ذلك فخرج من عنده و لقي رجلا من اصحاب رسول الله (صلى الله
عليه و آله) أراه على بن أبي طالب فسأله عن ذلك فقال لو كان لي من الأمر شيء ء ثم وجدت أحدا فعل ذلك لجعلته نكالا. و

اخرج ابن أبي شيبة و ابن المنذر و البيهقي في سننه عن علي (عليه السلام) انه سأل عن رجل له أمتان اختان فوطأ أحدهما ثم
أراد ان يوطأ الأخرى قال (عليه السلام) لا حتى يخرجها من ملكه

و اخرج ابن جرير و ابن عبد البر في الاستذكار عن إياس بن عامر قال سألت علي ابن أبي طالب و ذكر في جوابه تعتق التي كنت
تطأ ثم تطأ الأخرى.

و قد جاء مثل ذلك عن الصادق (عليه السلام) في أحاديث كثيرة من الصحاح و الموثقات كما في الوسائل في الباب التاسع و
العشرين فيما يحرم بالمصاهرة و نحوها. نعم في الدر المنثور اخرج ابن أبي شيبة و البيهقي من طريق أبي صالح عن علي بن أبي
طالب قال في الأختين المملوكتين أحلتها آيه و حرمتها آيه و لا آمر و لا أنهي و لا أحل و لا احرم و لا افعله انا و لا اهل بيتي.
و روى نحوه في الاستبصار عن البرزوفري بسنده عن الصادق عن الباقر عن علي (عليه السلام). و لا يخفى ان التحليل انما هو
بإقتضاء الإطلاق الأحوالي في قوله تعالى في الآيه الآتية ما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ و قوله تعالى إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ و
التحريم بالإطلاق الأفرادي في لفظ الأختين فبين الآيتين عموم و خصوص من وجه و لا بد من تخصيص احد الطرفين بالآخر
الذي هو أقوى و اظهر دلالة و لا شك في ان الإطلاق الأفرادي اللفظي أقوى و اظهر دلالة من الإطلاق الأحوالي الذي يستفاد
من السوق فيجب ان يخصص الأحوالي بالأفرادي و لكن عليا (عليه السلام) ربما أجاب بما أجاب به عثمان (رض) حفظا للوئام
و خروجا عن حزازات الخلافة التي حدثت في تلك السنين و عند الفرصه يجاهر بما يعلمه من التحريم كما اتفقت عليه
الأحاديث الأول بل و الرابع في

قوله لا افعله انا و لا اهل بيتي

و يشهد لذلك ما في الاستبصار في

صحيح معمر من قول الباقر (عليه السلام) قد بين لهم إذ نهى نفسه و ولده

و قوله ايضا في عدم التصريح من علي بالحرمة

خشى ان لا يطاع و لو ان امير المؤمنين ثبتت قدماه اقام كتاب الله كله و الحق كله. و فى المسأله فروع موكوله الى كتب الفقه

سوره النساء (٤): آيه ٢٤

و الْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرِ مُسَافِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٢٤)

٢٤ و حرمت عليكم الْمُحْصَنَاتُ مِنَ سَائِرِ النِّسَاءِ وَ هن ذوات الأزواج مطلقاً إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

فى الكافى فى صحيح محمد بن مسلم سألت أبا جعفر «الباقر» (عليه السلام) عن قوله تعالى و المحصنات من النساء إلا ما ملكت ايما نكم قال (عليه السلام) هو أن يأمر الرجل عبده و تحته أمتة فيقول له اعتزل امرأتك و لا تقربها ثم يحبسها عنه حتى تحيض ثم يمسه الروايه.

و فى الدر المنثور اخرج ابن أبى شيبه و ابن المنذر عن ابن عباس إلا ما ملكت ايما نكم قال ينزع الرجل وليدته امرأه عبده. و اخرج ابن أبى حاتم عنه ايضاً ما هو بمعناه. و روى مسلم فى جامعه و احمد و ذكر فى الدر المنثور سبعة عشر من اصحاب السنن عن أبى سعيد الخدرى أن السبب فى نزول الآيه هو أن الصحابه تخرجوا من الاستمتاع بسبايا «أوطاس» اى لأنه ذوات ازواج. و الاستثناء إنما هو من هذه الجبهه فلا ينافى اشتراط الإسلام و وضع الحمل و استبراء غير الحامل بحيضه كما صرح بها فى هذا الحديث و بالحيض فى صحيحه محمد بن مسلم المتقدمه. فإن حل النساء المذكور فى قوله تعالى وَ أُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ إنما هو الحل المعلق على العقد و سائر الشروط كحل بهيمه الانعام المعلق على التذكيه بما يعتبر فيها من الشروط لا الحل الفعلى بدون شرط. فيجوز إذن أن يكون من مصاديق الآيه ما إذا اشترى المزوجه حيث ان المشتري عند الإماميه مخير فوراً بين إمضاء الزواج فيبقى على ما هو عليه و بين فسخه و حكى فى مجمع البيان هذا الوجه عن أبى جابر و انس و ابن المسيب و الحسن و عن ابن عباس و فى تفسير صاحب المنار عن ابن مسعود.

و فى الدر المنثور اخرج ابن أبى شيبه و عبد بن حميد و ابن المنذر و ابن جرير عن ابن مسعود فى الآيه كل ذات زوج عليك حرام إلا ما اشترت بمالك و اخرج ابن جرير ايضاً عنه ما هو بهذا المعنى كما اخرج عن ابن عباس نحوه و كذا كل متجدد بعد إحصان المملوكه كالملك بالإرث و الوصيه و الهبه و نحوها. و لا تمانع بين هذه الوجوه الثلاثه فى صدق الحل المعلق و كل وجه تعتبر فيه شروطه كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بنصب كتاب على انه مصدر اجرى على ما هو قريب من معنى فعله تأكيداً للتحريم بيان ان التحريم المتقدم هو كتابه الله و تسجيله الثابت

عليكم وَ أَجَلَ بضم الهمزة و كسر الحاء لَكُمْ من النساء حلا شأنيا معلق الفعلية على حصول اسباب الحل الفعلية و شروط ما وراء
اي ما عدى ذلکم من المحرمات المذكوره صريحا او اشاره و اشعارا بالعموم الذى تضمنه

قوله (صلى الله عليه و آله) «يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب»

و اما الروايات المتفرقة فى جوامع البخارى و مسلم و النسائي و أبى داود عن أبى هريره بما حاصل مجموعها انه لا تنكح العمه
على بنت الأَخ و لا- الخاله على بنت الأخت و لا- العكس فهى غير صالحه لتخصيص عموم الكتاب فى حل ما وراء المحرمات
المذكوره لمعارضتها بأحاديث الإماميه الصحاح بأسانيدهم

عن محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام لا تزوج ابنه الأَخ و لا ابنه الأخت على العمه و لا على الخاله إلا بإذنها و تزوج العمه
و الخاله على ابنه الأَخ و ابنه الأخت بغير إذنها.

و فى العليل بإسناد عن الباقر (عليه السلام) نهى رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن تزويج المرأة على عمتها او خالتها إجلالا
للعمة و الخاله فإذا أذنت فى ذلك فلا بأس.

و لا- يخفى انه ليس فى اشتراط الأذن من العمه او الخاله تخصيص لعموم الحل لما وراء ذلكم لأن الحل فيها شأنى معلق الفعلية
على شروطها فالشروط لا تنافى الشأنى المعلق و لا تخصصه و لا تقيده و على هذا تخرج روايه المختلف و غيره

عن على بن جعفر عن أخيه الكاظم (عليه السلام) فى رجل يتزوج المرأة على عمتها او خالتها قال (عليه السلام) لا بأس لأن الله
عز و جل قال وَ أَجَلَ لَكُمْ ما وراء ذلکم (1)

أَنْ تَبْتَغُوا قِيلَ ان المصدر بدل من «ما وراء ذلکم» و قيل انه مجرور باللام المطرد حذفها من «ان» المصدرية و اللام للتعليل و هو
الأصح اى لتبتغوا النساء و ما يطلب منهن من حيث هن نساء بِأَمْوَالِكُمْ مهرا و شراء حال كونكم بالنسبه لما ابتغيتم مُخَصَّيْنِ
لأنفسكم او للمرأة عن الزنا بالحلال غَيْرَ مُسَافِحِينَ اى مقاربين للنساء زنا و سفاحا فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ الفاء للتفريع على حل مالک

ص: ٧٤

١- و اما ما ادعاه ابن رشد فى بدايته من تواتر النهى عن ذلك عن النبى (صلى الله عليه و آله) فلا اصل له إذ لم تعرف هذه
الروايه عن غير أبى هريره. و اما روايه البخارى لها عن الشعبي عن جابر فقد قال فى آخرها قال داود بن عون عن الشعبي عن
أبى هريره و أما دعوى الإجماع على ذلك فهى ممنوعه بمخالفه اهل البيت و الإماميه فى ذلك

وراء المحرمات و ابتغاء النساء و ما يطلب منهن محصنين و «ما» كناية عن القسم لا عن ذات النساء و الال لكيل و «من» و لكن القسم بمفهومه معنى عام يقال فى مقام التقسيم على من يعقل و ما لا- يعقل مثل بعض كما تقدم فى قوله تعالى ما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ و نحوها فلا يصح التعبير عنه بلفظ «من» فالتفريع و معنى «ما» يدلان على التنبيه فى مقام التشريع على حكم قسم خاص من المنكوحات حال قصد الإحصان. «استمتعتم» طلبتم المتعه و احصانها و توصلتم الى التمتع و هو الانتفاع الموقت المحدود المبني على الانقطاع كما يدل عليه ألفاظ المتاع و التمتع و ما يشتق من ذلك فى القرآن بحسب موارد و يوضحه قوله تعالى فى سورة الرعد ٢٥ وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ. و معنى الآية طلبتم هذا التمتع من هذا القسم بالتزويج به الضمير راجع إلى القسم باعتبار مصاديقه مِنْهُنَّ اى من النساء فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ اى مهورهن حال كونها فَرِيضَةً فرضتموها فى العقد و هذا مما يوضح ان المراد منه غير العقد الدائم الذى يصح فيه التزويج بدون فرض مهر فى العقد فإن دخل بها استحقت عليه مهر المثل و ان طلقها قبل الدخول استحقت عليه المتعه على قدر الموسع و المقتر كما فى الآية الخامسة و الثلاثين بعد المائتين من سورة البقره.

و فى هذه المسأله خلاف لا ارغب بذكر كل ما فيه لو لا تعرض المسأله بتفسير الآية و تحقيق حكمها و تعرض المفسرين لها و ما قيل فيها. فللكلام فى هذه الآية و مسأله المتعه مقامات- الاول- قد اتفق جميع المسلمين و رواياتهم على تسميه هذا القسم المبحوث عنه بالمتعه جريا على ما هو مدلول الآية و مقتضى ألفاظها فى تشريعها مضافا إلى استفاضه الروايه عن الصحابه بل و التابعين فى نزول الآية فى متعه النساء التى هى محل الكلام فقد اخرج ابن جرير و الحاكم و صححه و فى الدر المنثور اخرج عبد بن حميد و ابن الانبارى عن أبى نظره عن ابن عباس ان الآية فما استمتعتم به منهن إلى اجل مسمى ثم قال و اللّٰه لأنزلها اللّٰه كذلك و نحوه فيما أخرجه ابن أبى حاتم و الطبرانى و البيهقى عن ابن عباس. و اخرج ابن جرير و فى الدر المنثور و عبد بن حميد عن قتاده عن قراءه أبى نحوه. و اخرج ابن أبى داود فى المصاحف عن سعيد بن جبير فى قراءه أبى نحوه. و اخرج عبد الرزاق عن عطا عن ابن عباس انه يقرأها

كذلك و قال ايضا فى حرف أبى إلى اجل مسمى و عن تفسير الثعلبى بسنده عن حبيب بن ثابت عن ابن عباس نحوه .. و اخرج عبد بن حميد و ابن جرير عن مجاهد. و ابن جرير عن السدى ان المعنى فى الآيه هو نكاح المتعه .. و كذا فيما أخرجه عن على من طريقتين و عن ابن عباس من ثلاثه طرق و عن ابن مسعود من انها نسخت. و

فى الكافى فى الصحيح عن أبى بصير سألت أبا جعفر عن المتعه قال نزلت فى القرآن فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ و نحوه ايضا فى الصحيح عن الصادق (عليه السلام). و عن قرب الاسناد عن الصادق (عليه السلام) نحوه.

و فى الكافى ايضا فى مرسله ابن أبى عمير عن الصادق (عليه السلام) إنما أنزلت فما استمتعتم به منهن إلى اجل مسمى فآتوهن أجورهن فريضه

و فى تفسير العياشى عن محمد بن مسلم عن الباقر (عليه السلام) عن جابر كان ابن عباس يقرؤها و ذكر إلى اجل مسمى مثل ذلك: و فى الفقيه عن الرضا (عليه السلام) فى حديث و قرأ ابن عباس

و ذكر مثل ذلك ايضا: هذا و ان ما روى عن ابن عباس و أبى و الصادق من زياده إلى اجل مسمى ينبغى تنزيهه على ما علموه من شأن النزول و ان المراد من نزول الآيه هذه المتعه التى هى إلى اجل مسمى. فإن جماعه من الصحابه كانوا يرسمون فى مصاحفهم ما يعلمونه انه التأويل المراد فى النزول و يقولون هكذا انزل اى بالوحى بغير القرآن على رسول الله و يدرجونه مع القرآن فى قراءتهم دفعا للشكوك او الجحود كما روى فى الدر المنثور و غيره ان ابن مردويه فى تفسيره اخرج (١) عن ابن مسعود قال كنا نقرأ على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) يا ايها الرسول بلغ ما انزل إليك من ربك ان عليا مولى المؤمنين فأدرج ابن مسعود فى الآيه ما كان يعلمه حين النزول من تأويلها المقصود بالنزول كما اخرج ابن أبى حاتم و ابن مردويه و ابن عساکر عن أبى سعيد الخدرى أن الآيه نزلت فى غدیر خم فى على بن أبى طالب و رواه الواحدى فى اسباب النزول بسنده المتصل من غير هؤلاء عن أبى سعيد الخدرى (٢). و مما يشهد لما ذكرناه ان الباقر و الصادق ذكر الآيه و احتجابها للمتعه على ٢٩

ص: ٧٦

١- و الظاهر ان من مآخذه لهذا الحديث كتاب أبى بكر بن عياش عن عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود. و فى التقريب كتاب أبى بكر صحيح: و رجال الحديث من الثقات عندهم و منه رجال الجوامع الستة و ستأتى إن شاء الله تتمه الكلام فى تفسير الآيه عند ذكرها فى سورة المائده

٢- و قد مر بيان شىء من هذا النحو فى الجزء الأول ص ٢٧ س ٣-٦ و يعرف ايضا من ص ٢٨ و ٢٩

ما هو المرسوم فى المصاحف و نسبها الرضا عليه السلام و الباقر (عليه السلام) فى روايه العياشى عن جابر إلى قراءه ابن عباس - المقام الثانى - اتفق جميع المسلمين و جميع رواياتهم فى المتعه على انها نكاح شرع فى دين الإسلام و استفاضت الروايه فى عمل المسلمين على ذلك كما ستسمع من بعضها الذى نتعرض له - الثالث - استفاضت الروايه فى دوام مشروعيتها و العمل عليها من زمان الرسول الأكرم (صلى الله عليه و آله) إلى ايام أبى بكر فى إمارته إلى شطر من ايام عمر. فقد اخرج مسلم فى نكاح المتعه عن جابر الانصارى كنا نستمع بالقبضه من التمر و الدقيق الأيام على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) و أبى بكر حتى نهى عنه عمر «اي نكاح المتعه» فى شأن عمرو بن حريث. و اخرج ايضا عن أبى نظره قال كنت عند جابر فأتاه آت فقال إن ابن عباس و ابن الزبير اختلفا فى المتعتين «يعنى متعه الحج و متعه النساء» فقال جابر فعلناهما مع رسول الله ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما. و رواه فى كنز العمال و مختصره مما أخرجه عبد الرزاق عن جابر و اخرج احمد فى مسند عمر عن أبى نظره قال قلت لجابر بن عبد الله ان ابن الزبير ينهى عن المتعه و ان ابن عباس يأمر بها قال فقال لى على يدى الحديث تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) و مع أبى بكر فلما ولى عمر خطب الناس فقال ان القرآن هو القرآن و ان رسول الله «ص» هو الرسول و انهما كانتا متعتان على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) إحداهما متعه الحج و الاخرى متعه النساء. أقول و الحديث باعتبار سنده من الصحيح عندهم: و اخرج مسلم فى باب متعه النساء عن جابر سأله القوم عن أشياء و منها المتعه فقال نعم استمتعنا على عهد رسول الله و أبى بكر و عمر: و أخرجه احمد فى الجزء الثالث من مسنده ص ٣٨٠ برجال مسلم و فيه حتى إذا كان فى آخر خلافه عمر: و اخرج احمد فى الجزء الثالث من مسنده ص ٣٢٥ فى الصحيح عندهم عن جابر قال متعتان كانتا على عهد النبى (صلى الله عليه و آله) فهناك عنهما عمر فانتبهنا. و فى صفحتى ٣٥٦ و ٣٦٣ فى الصحيح ايضا عندهم عن جابر تمتعنا متعتين على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) الحج و النساء فهناك عنهما فانتبهنا. و فى الثالثه فلما كان عمر نهانا عنهما فانتبهنا و اخرج البخارى فى تفسير سوره المائده و فى أوائل أبواب النكاح. و مسلم فى نكاح المتعه. و فى الدر المنثور أخرجه عبد الرزاق و ابن أبى شيبه ايضا عن ابن مسعود قال كنا نغزو مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) ليس معنا نساء فقلنا الا نستخصى «و فى بعض النسخ الا نستمنى» فهناك عن ذلك ثم رخص لنا ان نكح المرأه بالثوب الى اجل ثم قرأ عبد الله يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا

إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ

انتهى و هذا كالصريح بل ابلغ من التصريح بأن تحريم المتعه ليس من الله و رسوله بل هو تشريع بتحريم الطيبات مما أحله الله و رسوله للمؤمنين: و اخرج ابن جرير عن سعيد بن المسيب قال استمتع عمرو بن حريث و ابن فلان و كلاهما ولد له من المتعه زمان أبى بكر و عمر. و

اخرج ابن جرير فى الصحيح عندهم عن شعبه عن الحكم بن عيينه انه سئل عن آيه المتعه منسوخه هى قال لا و قال قال على لو لا ان عمر نهى عن المتعه ما زنى الا شقى: و ذكره فى الدر المنثور مما أخرجه عبد الرزاق و ابن جرير و ابو داود فى ناسخه.

و فى الكافى بسند معتبر عن عبد الله بن سليمان عن الباقر عليه السلام كان على يقول لو لا ما سبقنى به ابن الخطاب ما زنى إلا شقى. و فى تفسير العياشى عن محمد بن مسلم عن الباقر (عليه السلام) مثله.

و روى المفيد فى رساله المتعه بأسانيد كثيره عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال سألت الصادق (عليه السلام) هل نسخ آيه المتعه شىء قال لا و لو لا ما نهى عنه عمر ما زنى إلا شقى:

و باسناده عن على (عليه السلام) لو لا ما سبقنى به عمر بن الخطاب ما زنى مؤمن:

و ذكر فى كنز العمال و مختصره عن عبد الرزاق و ابن جرير «اى فى تهذيب الآثار» و أبى داود فى ناسخه عن على (عليه السلام) لو لا ما سبقنى من رأى عمر بن الخطاب لأمرت بالمتعه ثم ما زنى إلا شقى:

و فى كنز العمال و مختصره مما أخرجه عبد الرزاق و ابن المنذر من طريق عطا عن ابن عباس قال يرحم الله عمر ما كانت المتعه إلا-رحمه رحم الله بها امه محمد و لو لا نهيه «اى عمر» ما احتاج إلى الزنا إلا شقى او شفى كما ذكره ابن الأثير فى نهايته فى ماده شفى:

و قال المفيد فى رسالته قال ابن بابويه ان عليا عليه السلام نكح فى الكوفه امرأه من بنى نهشل متعه:

و اخرج مسلم عن عروه ابن الزبير ان عبد الله ابن الزبير قام بمكه فقال إن أناسا أعمى الله قلوبهم كما أعمى ابصارهم يفتون بالمتعه يعرض برجل «يعنى ابن عباس» فناداه و قال انك لجلف جاف فعمرى لقد كانت المتعه تفعل على عهد امام المتقين يريد رسول الله (صلى الله عليه و آله) فقال له ابن الزبير فجرب بنفسك فوالله لئن فعلتها لأرجمنك باحجارك انتهى: و

فى الكافى فى الصحيح عن زراره قال جاء عبد الله بن عمير الليثى الى الباقر عليه السلام فقال له ما تقول فى متعه النساء فقال أحلها الله فى كتابه و سنه نبيه إلى يوم القيامة فقال يا أبا جعفر مثلك من يقول هذا و قد حرمها عمر و نهى عنها فقال (عليه السلام) و ان كان فعل فقال و انى أعيدك بالله ان تحل شيئاً حرمه عمر فقال الباقر (عليه السلام) فأنت على قول صاحبك و انا على قول رسول الله فهلم ألا عنك. الحديث:

و فى كنز العمال و مختصره

عن ابن جرير «أى فى تهذيب الآثار» عن ام عبد الله بن خيثمه ما ملخصه ان رجلا من الصحابه الذين فى الشام جاء إلى المدينه فتمتع بامرأه و اشهد على ذلك عدولا فأخبر عمر بذلك فقال للرجل ما حملك على الذى فعلته فقال فعلته مع رسول الله ثم لم ينهنا حتى قبضه الله ثم مع أبى بكر فلم ينهنا حتى قبضه الله ثم معك فلم تحدث لنا فيه نهيا فقال عمر اما و الذى نفسى بيده لو كنت تقدمت فى نهى لرجمتك (١) الحديث: و

اخرج مسلم فى المتعه بالحج عن جابر قال تمتعنا مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) فلما قام عمر قال ان الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء؟! و ان القرآن قد نزل منازل فأتوا الحج و العمره لله كما أمركم و ابنوا نكاح هذه النساء فلن اوتى برجل نكح امرأه إلى اجل إلا رجمته بالحجاره (٢):

و اخرج مالك فى الموطأ عن عروه ابن الزبير ان خوله بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب فقالت ان ربيعه بن اميه استمتع بامرأه فحملت منه فخرج عمر فزعا يجر رداءه فقال هذه المتعه و لو كنت تقدمت فيها لرجمت:

و ذكر فى كنز العمال و مختصره ان الحديث أخرجه الشافعى و البيهقى: أقول و هو من الصحيح عندهم و أنت ترى انه و الحديثين اللذين قبله كالصريحه فى انه ليس هناك نهى من رسول الله (صلى الله عليه و آله) يكون حجه على المستمتع فى استحقاقه الرجم و ان الحجه عليه منحصره بأن يتقدم عمر بالنهى. فهذه الأحاديث كالصريحه فى ان النهى من رأى عمر لا من رسول الله (صلى الله عليه و آله) او أبى بكر. و لا تقدر ان تقول ان معنى الأحاديث انه لا عبره بنهى رسول الله (صلى الله عليه و آله) و لا حجه فيه على استحقاق الرجم و إنما الحجه هو نهى عمر. إذن فمعنى الروايتين هو ما قدمناه: و فى الدر المنثور و كنز العمال و مختصره اخرج ابن أبى شيبه عن نافع ان ابن عمر سئل عن المتعه فقال حرام فقيل له ان ابن عباس يفتى بها قال فهلا تزرم (٣) بها فى زمان عمر: و فى الدر المنثور قال اخرج ابن أبى شيبه عن سعيد بن المسيب قال نهى عمر عن متعتين متعه النساء وى

ص: ٧٩

١- و فى هذه الروايه اعجوبه: صحابى تخطب له الصحابيه امرأه بالمتعه و يشهد على نكاحها عدولا من الصحابه و يقول فعلته مع رسول الله فلم ينهنا عنه حتى قبضه الله اليه و كذا مع أبى بكر فكيف يستحق الرجم و ان تقدم له عمر بألف نهى و لو تنازل امره بهذا النهى إلى الشبهه فالحدود تدرء بالشبهات بنص رسول الله المجمع على حكمه

٢- و انظر إلى هذا الحديث و الذى بعده و ما فيهما من اعجوبه الرجم. و يا ضيعه دماء المسلمين و شرفهم من هذه الأحاديث

٣- فى النهايه الزممه الصوت الخفى أو البعيد و له دوى

و متعه الحج: و فى كثر العمال و مختصره مما أخرجه ابو صالح كاتب الليث (1) و الطحاوى عن عمر انه قال متعتان كانتا على عهد رسول الله انهى عنهما و أعاقب عليهما متعه النساء و متعه الحج:

و مما أخرجه ابن جرير و ابن عساكر عن أبى قلابه ان عمر قال متعتان كانتا على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) و انا انهى عنهما و أضرب فيهما و قد تقدم فى المقام الثانى فى روايه جابر ان عمر قال فى خطبه انهما كانتا على عهد رسول الله: و روايه هذا الكلام عن عمر مشهوره. فعن مختصر المحلى لابن حزم الاندلسى ما لفظه كما روينا عن أبى قلابه قال قال عمر بن الخطاب متعتان كانتا على عهد رسول الله و انا انهى عنهما و اضرب عليهما متعه النساء و متعه الحج و سيأتى ان الفخر الرازى فى تفسيره ذكر احتجاج اهل السنه على تحريم المتعه بهذا الحديث: و اما تأويله بأن عمر يستند فى التحريم إلى رسول الله فسيأتى بطلانه ان شاء الله عند ما نتعرض لما أشرنا اليه من الاحتجاج الذى يذكره الرازى-المقام الرابع- فى دعوى نسخها و هى باطله بما ذكرناه فى المقام الثالث و ذلك لوجهين (أحدهما) دلالة هذا المقام بالنص و اليقين على انها كانت مشروعته فى ايام رسول الله و آخر عهده بالدنيا و هذا كاف فى كونها سنه متبعه حتى لو سبق نسخها قبل ذلك مره أو اكثر لو ثبت ذلك و ما يجدى نسخها السابق فى خير او عام الفتح إذا كانت مشروعته بعد ذلك إلى آخر عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله). فليورد المورد ما شاء من رواياتهم للنسخ الشرعى فى ايام رسول الله فإنما العبره بما كان فى آخر عهده بالدنيا و انقطاع الوحي نعم فيما

رواه مسلم و احمد عن سبره من طريق عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز الأموى عن الربيع عن أبيه سبره ان النبى (صلى الله عليه و آله) حرمها إلى يوم القيامة روى ذلك مسلم مجردا عن قصه و تأريخ و لكن احمد رواها فى قصه تمتع سبره فى حجه الوداع و سيأتى ان روايه سبره هذه كالحرباء تبرز من كل راو بشكل يضاد الآخر فهى كلا شىء و على كل حال هى معارضه بكل ما ذكر فى المقام الثالث و خصوص روايه الحكم و الروايه عن الصادق فى ان آيه المتعه لم تنسخ بل و

روايه زراره عن الباقر (عليه السلام) فى قوله أحلها الله فى كتابه إلى يوم القيامة

و لك العبره فى الولوج بروايه تحريمها بما

فى كثر العمال مما أخرجه الدارقطنى فى الافراد و ابن عساكر مما تفرد به احمد بن محمد بن عمر بن يونس عن على (عليه السلام) انه سمع النبى (صلى الله عليه و آله) نهى عن متعه النساء و يقول هى حرام إلى يوم القيامة مع ان احمد المذكور قال ابن صاعد فيه كذاب

(ثانيهما) ان رواياتهم فى النسخ مبتلاه بالموهناته

ص: ٨٠

١- هو عبد الله بن صالح الجهنى المصرى تخ د ت ق صدق ثبت فى كتابه من العاشره مات سنه ٢٢ أى بعد المائتين [الرموز اشاره الى البخارى و ابى داود و الترمذى و ابن ماجه

اما روايه سبره بن معبد للنهي عن المتعه بعد حكاية تمتعه فإنها مضطربه في روايه مسلم لها في جامعه و احمد في مسند سبره ما شاء الاضطراب متدافعه ما شاء التدافع الممقوت. ففي الأولى من روايات مسلم ان الذي كان مع سبره في القصة هو صاحب له. و في الثانيه من قومه و ابن عمه. و في الثالثه من بنى سليم. و في الثالثه ان برد سبره اردا من برد الآخر و في الأولى ان سبره أشب من الآخر و لذا اختارته المرأه و تمتع بها. و في الثانيه لأن لسبره على الآخر فضل جمال و الآخر قريب من الدمامه و ان القصة في فتح مكه. رواها أولا عن فضيل عن بشر عن عماره بن غزويه عن الربيع بن سبره. و رواها ثانيا

عن احمد بن سعيد عن أبي النعمان عن وهيب عن عماره عن الربيع عن أبيه سبره قال خرجنا مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) في فتح مكه فذكر مثل حديث بشر و زاد «قالت و هل يصلح ذاك» و فيه قال «ان بردح هذا خلق مح»

و رواها احمد في مسند سبره عن عفان عن وهيب إلى آخر السند و لكن فيها ان برد سبره هو الجديد و سبره هو القريب من الدمامه و ان الذي اختارته المرأه و تمتع بها على رداءه برده هو ابن عمه على الضد من روايه مسلم. و روى مسلم الرابعه عن يحيى عن عبد العزيز بن الربيع بن سبره عن أبيه عن جده و ان القصة كانت في فتح مكه. و رواها احمد عن عبد الرزاق عن معمر عن عبد العزيز بن عمر عن الربيع بن سبره عن أبيه و ان واقعته كانت في حجه الوداع و رواها بعد ذلك عن و كيع إلى آخر السند. و فيها فلما قضينا عمرتنا: و قد تركنا عده من الاضطراب بالألفاظ و من نظر إلى الروايات في جامع مسلم و مسند احمد علم يقينا انها روايه لقصه واحده. هذا و ان مذهب ابن عباس في حل المتعه و مشاورته مع ابن الزبير على ذلك معلوم معروف من صحيح الحديث و مستفيضه و مأثور التاريخ. و مع ذلك رووا عنه في نسخها الشرعى روايات هي بنفسها تظهر كذبها و جهل جاعلها ففي جامع الترمذى عن محمد بن كعب عن ابن عباس قال إنما كانت المتعه في أول الإسلام كان الرجل يقدم البلده ليس له بها معرفه فيتزوج المرأه بقدر ما يرى انه يقيم فتحفظ له متاعه و تصلح له شياؤه حتى إذا نزلت الآية إلاً على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم قال ابن عباس فكل فرج سواها فهو حرام و رواها في الدر المنثور مما أخرجه الطبرانى و البيهقى في سننه و زاد فيها حتى نزلت هذه الآية حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ فَنَسَخَ الْأُولَى و حرمت المتعه و تصديقها من القرآن إلاً على أزواجهم الحديث: و هلم العجب اى كلمه من آيه حرمت عليكم أمهاتكم نسخت آيه المتعه

فحرم المتعه. و ايضا ان المستمتع بها هي زوجته كما صرح تروايه الترمذى و هذه الروايه و التى بعدها فى قوله (فيتزوج المرأه) فكيف يكون قوله تعالى إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ تَصَدِيقًا لِآيَةِ حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ فى تحريم المتعه. نعم إذا كانت آيه حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَ حَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ. وَ أَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرِّضَاعِ نَاسِخَةٌ فَلَا بَأْسَ أَنْ تَكُونَ مِنْ نَوَاسِخِ آيَةِ المتعه آيات. أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ. نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ. و هلم جرا و قد أجاد صاحب المنار فى تفسيره إذ ذكر غير ما ذكرناه من موهنات الروايه و قال:- و عباره هذه الروايه تنم عليها و تشهد انها لفتت فى عهد حضار المسلمين بعد الصحابه: و فى الدر المنثور ايضا مما أخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس مثل روايه الترمذى إلى قوله و تصلح له متيعته فقال و كان يقرأ فما استمتعتم به منهن إلى اجل مسمى نسختها مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ و كان الإحصان بيد الرجل يمسك متى شاء و يطلق متى شاء انتهى و ليت شعرى ان الكلمه القرآنيه التى شرعت المتعه و جرى عليها عمل المسلمين فى قدومهم إلى البلدان كيف تنسخها الكلمه التى قبلها بلا فاصل و معها فى الآيه الواحده. و إذا كانت بمعناها و لم تنسخها حينئذ لم تنسخها إذا وردت بعد ذلك فى سوره المائده مضافا إلى أن المتعه إحصان لا زنا و سفاح لأنها (1) (تكمله) أسند الحاكم فى تفسير سوره النساء من مستدرکه عن أبى مليكه سئلت عائشه عن متعه النساء فقالت بينى و بينكم كتاب الله و قرأت و الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ. فمن ابتغى وراء ما زوجه الله او ملكه فقد عدا و فى الدر المنثور فيما رواه عمار مولى الشريد عن ابن عباس ان المتعه ليست بسفاح و قد ذكرنا فى الجزء الاول ص ١٩٧ فى قوله تعالى فى سوره المائده وَ الْمُحْصِنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ. إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ان التدبر للقرآن يقتضى وروده فى نكاح الكتابيات بالمتعه: و اماما فى الدر المنثور مما أخرج ابو داود فى ناسخه و ابن المنذر و النحاس من طريق عطا عن ابن عباس فى آيه المتعه نسختها يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَ الْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَ اللَّائِي يَنْسَنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةَ أَشْهُرٍ انتهى فقل لروايها ان تشريع الطلاق لم يحصر إباحه الوطء و شرعيته بما كان موردا للطلاق و إلا فما تقول فيها

ص: ٨٢

١- زواج شرعى كما تصرح به هذه الروايه و اللتان قبلها

التسرى و الوطاء بملك اليمين فإن مورد الطلاق هو العقد المبني على الدوام لأن الطلاق هو الحل لعقده الزواج الدائم و قطع لدوامه و إن قلت ان النسخ بالعهدة قلنا ان المستمتع بها عليها عده و لكنها تنقص عن عده الدائم بحسب الدليل كما نقصت عده الأمة كما عليه جميع الإماميه و جمهور اهل السنه ما عدا داود و أصحابه الظاهريين. و قد روى في الدر المنثور من طريق عمار مولى الشريد عن ابن عباس ان المستمتع بها تعتد بحيضه و في كثر العمال مما أخرجه عبد الرزاق عن جابر في المتعه و كنا نعتد من المستمتع بها منهن بحيضه و روى ايضا عن السدى انها تستبرئ رحمها: و من الطريف ما في الدر المنثور مما أخرجه ابن المنذر و الطبراني و البيهقي من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس في ضمن قصه فيها شعر قوله ما أحللتها «يعنى المتعه» إلا للمضطر و لا- أحللت منها إلا ما أحل الله من الميته و الدم و لحم الخنزير انتهى و هل يكون ابن عباس يقول ان الآيه نزلت في المتعه ثم يقيد إطلاقها و يخصها من تلقاء نفسه بالمضطر كأكل الميته و في تفسير الرازي و تبعه ابو السعود و روى (انه يعنى ابن عباس) قال عند موته اللهم انى أتوب إليك من قولى فى المتعه و الصرف انتهى و هل رؤى فى المنام مخبرا عن قبول توبته او تشديد السؤال عليه من اجل المتعه و فى الدر المنثور مما أخرجه عبد الرزاق و ابن المنذر و البيهقي عن ابن مسعود قال المتعه نسخها الطلاق و الصدقه و العده و الميراث انتهى و دع عنك سقوط الروايه بما ذكرناه فى المقام الثالث و خصوص ما روى فيه عن ابن مسعود و لكنك مما ذكرناه فى هذه الروايات المنسوبه إلى ابن عباس تعرف الخطأ ايضا فى نسبه النسخ بالطلاق و العده إلى ابن مسعود. و اما الصدقه فإن كان المراد منها الصداق فإن المتعه فيها صداق و لئن سمي اجرا فإن القرآن قد سمي الصداق فى العقد الدائم اجرا كما فى هذه السوره ٢٤ و الممتحنه ٩ و الأحزاب ٤٩ فمن اين يجيىء النسخ. و إن أراد الراوى غير الصداق فعليه حسابه- و أما الميراث فإن آيه ميراث الزوجين تقتضى بنفسها ان يتوارث المستمتع و المستمتع بها لأنهما زوجان. نعم دل الدليل على عدم توارثهما فخصص به الكتاب و لعل ذلك لضعف علقتهما بكونها موقته و قد اتفق جمهور اهل السنه على جواز نكاح الكتاييه بالعقد الدائم و اتفقوا على عدم التوارث بينها و بين زوجها المسلم تخصيصا منهم لعموم الإرث بما رووه من

قول النبى (صلى الله عليه و آله) لا يتوارث اهل الملتين

و نحوه و اجمع المسلمون على أن القاتل من أحد الزوجين للآخر لا يرث منه. و من هذا يعرف الحال ايضا فيما

أخرجه البيهقي عن على (عليه السلام) نهى رسول الله عن المتعه و إنما كانت لمن لم يجد فلما نزل النكاح و الطلاق و العده

و تزيد هذه الروايه بالوهن أن آيه المتعه ليست مقيده بمن لم يجد كما فى نكاح الإمام. و ان التزويج كان نزول آياته بمكه قبل الهجره و منه قوله تعالى فى سورة المؤمنون المكيه وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَ هُمْ يَرَوْنَ

عن على (عليه السلام) أن المتعه حرمت يوم خبير

فكيف يتقدم الناسخ على المنسوخ بعده سنين و أيضا أن الروايه نفسها تدل على أن المتعه نكاح مشروع إذن فالمستمتع بها زوجه فكيف يكون الزواج ناسخا لها- و قد كفانا هذا المقام عن التعرض لما تشبث به المتألبون لتحريم المتعه بعدم ارث المستمتع بها و بعدم كونها زوجه (تمه) لهذا المقام. قال ابن رشد فى بدايته و أما نكاح المتعه فقد تواترت الاخبار عن رسول الله بتحريمه إلا انها اختلفت فى الوقت الذى حرمت فيه ففى بعض الروايات أنه يوم خبير و فى بعضها يوم الفتح و فى بعضها عام أو طاس «و هو عام الفتح» و فى بعضها فى غزوه تبوك و فى بعضها فى حجه الوداع و فى بعضها فى عمره القضاء انتهى و قد ذكرنا فى الوجه الأول من المقام الرابع أن الروايات التى يروونها فى تحريم المتعه لا تجديهم فى مدعاهم و لو كانت ألفا لأنهم يروون نسخ تحريمها بعد ذلك كما أخرجه مسلم و احمد عن سلمه بن الأكوع رخص لنا رسول الله فى المتعه عام أو طاس ثلاثا ثم نهى عنها فلم يبق عندهم فى النهى بعد ذلك إلا هذه الروايه و روايه سيره التى ذكرنا اضطرابها المزرى بها. و لم تذكر روايه تحريمها إلى يوم القيامة الا روايه سيره هذه و ما هى قيمتها بعد ذلك الاضطراب فضلا عن سقوطها بما ذكرناه فى المقام الثالث من تظاهر الأحاديث و تعاضدها و الاستفاضه عن عده من الصحابه و التابعين على شرعيتها بعد ما فارق رسول الله (صلى الله عليه و آله) الدنيا و انقطع الوحي. حتى لو فرضنا انهم رووا انها أبيحت قبل وفاته (صلى الله عليه و آله) بشهر مثلا.

و قال ابن رشد أيضا و اشتهر عن ابن عباس تحليلها و تبعه على القول بها أصحابه من اهل مكه و اهل اليمن (أقول) و قد تحقق من الأحاديث المتقدمه عن ابن عباس و ابن مسعود و على امير المؤمنين بالروايه عنه من طرق الفريقين انها باقيه على الحل بعد رسول الله (صلى الله عليه و آله) و كما صح ذلك من طرقهم عن الحكم بن عيينه من التابعين و من طرق الإماميه عن الباقر و الصادق (عليه السلام) و حكاها (1) العلامة القول بحلها عن ابن جريح و سعيد بن جبير و مجاهد و عطا و غيرهم من التابعين و تقدم فى الروايات العمل بذلك فى زمان عمر من عمر و بن حريث و ابن فلان و ربيعهم

ابن اميه و الشامى الصحابى بل و من شهد على نكاحه من الصحابه و ام عبد الله بن خيثمه فهل لأحد بعد ذلك ان يدعى الإجماع على تحريمها- المقام الخامس- فى الأمور التى يتشبهون بها لتحريم المتعه. منها دعوى الإجماع و قد عرفت و عنها. و منها ما أخرجه الحاكم فى تفسير سوره النساء من مستدرکه عن أبى ملكيه سئلت عائشه عن متعه النساء فقالت بينى و بينكم كتاب الله و قرأت و الذين هم لفروجهم حافظون إلا- على أزواجهم او ما ملكت ايمانهم فمن ابتغى وراء ما زوجه الله أو ملكه فقد عدا انتهى بدعوى ان مراد عائشه ان المستمتع بها ليست زوجه و قد حصر الله الحل بالزوجه و المملوكه (أقول) و هذا التشبث مردود لو لا بالمنع مما نسبتموه لعائشه و لعلها تريد ان المستمتع بها زوجه لما جاء من شرعيه المتعه. و ثانيا لو أرادت ما ذكرتم لكان اجتهادا يردده ان آيتى إلاً على أزواجهم جاءتا فى سورتي المؤمنون و المعارج المكييتين باتفاق المفسرين فيكون ما ثبت من تحليل المتعه ناسخا لحصرهما لو سلمنا ان المستمتع بها ليست بزوجه. و ثالثا ان الزوجه هى المنكوحه بعقد مشروع و المستمتع بها زوجه بحكم تشريع المتعه. و منها ما ذكره ابن الروزبهان فى معارضته لنهج الحق من دعوى الإجماع على ان المستمتع بها ليست بزوجه لأنها لا ترث و يردده ان دعوى الإجماع هنا لا قيمه لها فى سوق العلم و شرف المعرفه و إن النظر إلى عدم الإرث غفله عن الزوجه الكتابيه و المسلمه القاتله لزوجهها.

و هل بين الزوجيه و الإرث اتحاد فى المفهوم أو ملازمه عقليه و هل الوارثيه إلا حكم شرعى يثبت للزوجه بدليله و يرتفع بدليله كما فى الكتابيه و القاتله. و منها دعوى نسخ المتعه بآيات الطلاق و العده و الميراث. و قد تقدم رد ذلك. و منها قوله تعالى مُخَصَّيْنٍ غَيْرِ مُسَافِحِينَ. و قد تقدم رد التشبث بذلك و ان التزوج بالمتعه إحسان شرعه الله و كيف للنفس و الزوجه عن الطموح إلى الزنا و إن قصرت مدته. و اما ما ذكره صاحب المنار فى تفسيره من ان الشيعة لا يقولون برجم الزانى المتمتع إذ لا يعدونه محصنا فكأنه اخذه من تساهل السماع دون النظر فى كلمات الشيعة فى مصنفاتهم و عناوين دروسهم ليرى و يسمع منهم ان النكاح الدائم جعلوه شرطا بمقتضى أحاديثهم فى الإحصان الذى يجب معه الرجم لا- فى مطلق الإحصان المراد فى الآيه الشريفه كما اشترط ابو حنيفه الإسلام و حرية الزانى و الزانيه و زاد مالک ان يكون فى حاله لا يكون الوطء فيها محرما كأيام الحيض و الصيام. فهل يقول انهم جعلوه هذه الشروط شروطا فى إحصان الآيه و ان من فقد هذه الصفات و الشروط يكون فى ذلك الحال

مع زوجته من المسافحين لا من المحصنين (١)- و منها- ما جعله الرازي في تفسيره الحجه الثانيه لمن يقول بتحريم المتعه و تبعه على الاحتجاج صاحب المنار في تفسيره و هو ما روى عن عمر انه قال في خطبته متعتان كانتا على عهد رسول الله (صلى الله عليه و آله) انا انهي عنهما و أعاقب عليهما و ملخص وجه الاحتجاج هو ان عمر ذكر هذا الكلام في مجمع الصحابه و ما أنكر عليه احد فلا- بد من ان يكون سكوتهم لعلمهم بالتحريم من رسول الله (صلى الله عليه و آله) و إلا- لكان مداهنه منهم و هو يوجب تكفير عمر و تكفير الصحابه و هو باطل و لا- يجوز ان يكونوا غير عالمين بكون المتعه مباحه و محظوره لأن المتعه مما يحتاج اليه فيمتنع ان يكون أمرها مخفيا عليهم بل يجب ان يشتهر العلم به- قلنا- أولا لا يلزم من علمهم بحلها ان يكون سكوتهم مداهنه يلزم منها تكفيرهم و تكفير عمر- معاذ الله- بل يجوز ان يكونوا جوزوا عليه الاجتهاد خطأ و قد رأوا منه الجد الشديد في منعها و الإصرار القاطع على اجتهاده فسكتوا حفظا لاجتماع الكلمه و حذرا من عواقب الخلاف في الجامعه الإسلاميه فلا يلزم من ذلك تكفير لأحد و يجوز ان يكون هناك وجه آخر و آخر لا- يلزم منهما التكفير- و ثانيا- لماذا غفل الرازي و من احتج بحجته أو تغافلوا من ان تحريم عمر للمتعه في هذه الروايه و في روايات جابر و سعيد بن المسيب كما تقدم قد كان مقرونا بتحريم متعه الحج ايضا فلما ذا سكتوا حينئذ عن تحريمها. هل يستطيع الرازي او غيره ان يقول انهم سكتوا لعلمهم بتحريمها من رسول الله. اذن فلما ذا اتفق المسلمون

ص: ٨٦

١- و قال صاحب المنار في تفسيره في المتعه ايضا (و ان كان هناك نوع ما من إحصان فإنه لا يكون فيه شىء من إحصان المرأة التي تؤجر كل طائفه من الزمن لرجل فتكون كما قيل: كره حذف بصوالجه، يتلقفها رجل رجل) و أقول كما يمكن ان يتفق وقوع هذا في نكاح المتعه فإنه يمكن ان يتفق وقوعه في النكاح الدائم ايضا كالمراه التي تتزوج ثم تطلق بعد سنه و بعد عدتها يبسر الله لها خاطبا فيستحب لها او يجب عند خوف الفتنة ان تتوجه ثم يطلقها او يموت و بعد العده يبسر الله لها ثالثا فتتوجه على كتاب الله و سنه رسوله ثم يطلقها او يموت فيبسر الله لها رابعا و هكذا إلى ما شاء الله كره حذف بصوالجه، يتلقفها رجل رجل. على ما سوغته الشريعه من الزواج بحدود العده فهل يمكن ان يقال إن هذا لا يكون فيه شىء من إحصان المرأة. و لو كان هذا الحال قبيحا فاسدا عند الله لا يصح ان يشرع ما يؤدي اليه للزم ان يقيد شرع النكاح و الطلاق و العده و وطء الإماء و التسرى بهن و بيعهن بما لا يؤدي اليه و لا يقع فيه ذلك فيقيد به نكاح المتعه ايضا و لئن جاز ان ينقطع الإحصان بالطلاق بعد يوم او اكثر فما هو المانع من انقطاعه بأجل المتعه الذي قد يبلغ خمسين سنه او اكثر

على مشروعيتها من ذلك العصر إلى الآن و لم يؤثر فيهم ما يروى من تشديد عمر و عثمان و ابن الزبير. نعم لم يكن في متعه الحج ما يروى من التهديد بالرجم فلذا أمكن الناس ان يحافظوا على سنتها تدريجا بالملاينه. اخرج احمد فى الجزء الأول ص ٣٩ و مسلم و النسائى فى حج التمتع من طريق طارق بن شهاب عن أبى موسى فى حديث انه كان يفتى بالمتع على ما علمه من رسول الله (صلى الله عليه و آله) و عمل به حتى فى ايام أبى بكر و عمر إذ قال له قائل فى مكه انك لا تدري ما أحدث امير المؤمنين فى النسك فقال يا ايها الناس من كنا افتيناه بفتيا فليشد فإن امير المؤمنين قادم عليكم فيه فائتموا (١) فلما قدم قال له يا امير المؤمنين ما هذا الذى أحدث فى النسك و فى روايه احمد فى الجزء الرابع ص ٣٩٣ فقلت يا امير المؤمنين هل أحدث فى المناسك قال نعم. (أقول) و لم يكن جواب عمر لابي موسى إلا- ببيان اجتهاده و رأيه كما ذكرناه فى الجزء الاول ص ١٧٢ و ١٧٣ و اخرج الترمذى ان شاميا سأل عبد الله بن عمر عن متعه الحج فقال هى حلال فقال الشامى ان أباك قد نهى عنها فقال عبد الله أ رأيت ان كان أبى نهى عنها و صنعها رسول الله (صلى الله عليه و آله) أ فرأى أبى يتبع ام امر رسول الله الحديث. و

اخرج البخارى فى كتاب التفسير فى باب من تمتع بالعمرة إلى الحج عن عمران بن حصين قال أنزلت آيه المتعه فى كتاب الله ففعلناها مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) و لم ينزل قرآن يحرمها و لم ينه عنها حتى مات قال رجل برأيه ما شاء:

و هذه الروايه سواء كانت حقيقتها فى متعه الحج او متعه النساء تكون ردا لهذه الحجه من المحتجين حلا و نقضا: و أخرجها مسلم ايضا و فيها «يعنى متعه الحج»- و منها- ما ذكره ابن الروبهان فى معارضته لنهج الحق و هو ان النكاح يحتاج إلى ولى و شهود فبطل المتعه فنقول انا نشترط فيها كل شرط ثبت فى الكتاب او السنه انه شرط فى المتعه بل قد نلتزم بالاحتياط عند الشك فى الشرط فما ذا عنده بعد ذلك و لا جناح و لا اثم او و لا منع عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ من إسقاط الأجر كلا او بعضا برضاء المرأه أو التراضى على.].

ص: ٨٧

١- و هذه الروايه مما تشير الى وجه من جواب المحتجين إذ تقول أن أبى موسى يعلم بحكم التمتع من رسول الله و كان يفتى به ايام أبى بكر و عمر و يقول القائل أحدث امير المؤمنين فى النسك و هو يقول لعمر ما هذا الذى أحدث و مع ذلك يأمر الناس بان يتندوا فإذا قدم عمر ائتموا به [.....]

ذلك بعد ان تفرضوه فلا تتوهموا المنع و الجناح عليكم فى ذلك من اشتراط هذا النكاح بايتاء الأجر و كونه فريضه فى العقد. فالآيه فى عقد المتعه التى لا بد فيها من فرض الأجر مثلها فى قوله تعالى فى الآيه الثالثه فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا و يجوز ان يكون المعنى ما تراضيتم به من الشروط السائغه بعد الفريضه فى العقد و عليه تجرى موثقتا ابن بكير بحمل قوله (عليه السلام) بعد النكاح على انها فى العقد بعد قوله أنكحت إلى كذا بكذا. و اما التراضى على زياده الأجل بمهر آخر فالمشهور عند الإماميه و الموافق للقاعده و مقطوعه أبى بصير و روايه ابان عن الصادق (عليه السلام) المرويتين فى الكافى و روايتى العياشى عن أبى بصير عن الباقر (عليه السلام) و عن أبى بصير عن الصادق (عليه السلام) انه لا يجوز الا بعقد جديد بعد ان ينقضى الأجل او يهبها المده الباقيه ثم يعقد عليها جديدا على ما تراضيا عليه و فى مجمع البيان ان هذا قول الإماميه و تظاهرت به الروايات عن أئمتهم. و نسبه ايضا إلى السدى كما رواه عنه فى الدر المنثور. نعم إن الحكم المذكور هو مذهب الإماميه و تظاهرت الروايات على الحكم لكن حمل الآيه على هذا يحتاج إلى تكلف فى تأويل قوله تعالى «مَنْ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ». و اما روايه بصائر الدرجات فى تمديد الأجل فى أثناء المده فموهونه بجهاله حال المدائنى و مخالفتها لقاعده النكاح المشهور فضلا عن معارضتها بما يستوجب التقديم عليها إِنَّ اللَّهَ كَانَ مِنْذُ الْأَزَلِ وَ لَا يَزَالُ عَلِيمًا بِمَا يَحْتَاجُ الْعِبَادَ إِلَيْهِ مِنَ اللَّطْفِ بِالشَّرِيعَةِ وَ تيسير أمورهم فى مختلفات أحوالهم بما يقوم بحاجتهم فى العصمه عن الزنا و مكافحه النفس الأماره و يساعد على تكثير النسل. فكم من مسافر يطول سفره و لا يسمح له بالتزويج بالعقد الدائم. و كم من حاضر لا يتيسر له ذلك على ما يريد او يناسبه. و كم من ايم مؤمنه لا يقدم الناس على تزويجها بالعقد الدائم فشرع الله المتعه بحدودها الصالحه لكى تقوم بهذا الحوائج الماسه و هذا الإصلاح الكبير. و من ذلك يعلم جل اسمه انه يأتى زمان يمنع فيه من استرقاق الجوارى الذى قد يقوم بشرط مهم مما أشرنا اليه من حاجه الرجال. و لو لا ما تفاحش من كثره الزنا السرى و العلنى و فحشاء اللواط لسمعت ضجه الناس من العسر و الحرج و شده الضيق عليهم من حصر الأمر بالزواج الدائم و لو بقيت شرعيه المتعه بحدودها الصالحه على رسلها بلا نكير تحريم و لا ملام غالب يوجب

سوء سمعتها لما كان للزنا و اللواط هذا الدويّ المدهش و الشيوخ الفاحش الذي يستنزف الأموال الكثيره و يهتك الشرف و يذيع الفساد و يشيع الأمراض الرديه الموبقه المعروفه، و يقلل التناسل و يدنس الأخلاق و يكشر فيه المنبوذون المعرضون للهلاك. و من وباء هذه المفاسد صار التعقيم عملا لكثير من النساء و صار الكثير من الرجال تنقضى أيام شبابهم و لا يولد لهم.

و لو وجد نوع مشروعاً على رسل مشروعته يغنيهم عن خسه الزنا في حاجتهم إلى النساء لما استرسل أكثرهم في رذيله الزنا و مفسده و اتباع الهوى و بوائقه حتى استدرجهم ذلك فاجتروا على الزنا بالمحصنات الموجب لاختلاط الأنساب، و سوره العشره، و مفسد أولاد الزنا. و لكان الأمر كما

قال امير المؤمنين (عليه السلام) و ابن عباس «لما زنى إلا شقى» أو إلا شقى

اي قليل.

و لما حدثت هذه المفاسد المعضله العظيمه الإخلال بالنظام الشرعى و العمرانى: و قد دون فى كتب الفقه للإماميه من احكام المتعه و آدابها حسبما تلقوه من مصدر الوحي و أمنائه ما يوقف المتعه فى صف العقد الدائم فى راحه الإنسانيه و حفظ الشرف و العفه و النزاهه و كرامه النسل و حفظه من الاختلاط بميزان العده و النواميس الشرعيه و قد جمع من أحاديثها فى الوسائل عن أئمه أهل البيت فى آدابها و أحكامها ما دونه فى كتاب النكاح فى سبعة و أربعين بابا. فالزوجان المتمتعان إذا كانا ملتزمين بالشريعه و أجريا المتعه على احكامها الشرعيه و آدابها لم يعرض فى أمرهما و لا امر نسلها ادنى خلل من حيث النظام العمرانى و لا الاجتماعى و لم يضع نسلهما من جهتيهما و لم يعروه اختلاط و لم يقصر فى جميع أمورهم حتى النفقه و التربيه عن نسل العقد الدائم بوجه من الوجوه سواء كان التمتع فى وطن الزوجين أو فى دار الغربه لهما أو لأحدهما مهما كانت نائيه. و أما غير المتشريعين فنجعلهما فى صف غير المتشريعين فى لوازم العقد الدائم و احكامه. كالرجل يتزوج ثم يهاجر إلى البلاد النائيه كما نعرفه فى كثير من المهاجرين إلى أمريكا و اقاصى افريقيا حيث تركوا أطفالهم و أزواجهم ضياعا بلا كفيل حتى صاروا فى حاله يرثى لها و يا ليتهم طلقوا نساءهم ليتزوجن و يكفين أنفسهن امر المعيشه و يصرن فى حمايه الأزواج- او كمن يتزوج فى بلاد غربته فيولد له حتى إذا وجد فرصه الرجوع إلى بلاده أو التنقل فى سياحه تركهم نسيا منسيا لا يعرفون لهم أباً و لا كفيلا. أو كالذى يطأ أمتة أو يتسراها ثم يبيعها فى بلاد الغربه و هى حامل منه فيكون ولده منها ابن الغربه و ربيها و مكفولها او منسوبا لغير أبيه أو أسيرا للرق. و إذا كانت هذه الأمور من غير المتشريعين لا تتخذ

ص: ٨٩

فى شرعيه العقد الدائم و لا جواز الوطء للمملوكات فبالحرى ان لا تخدش فى شرعيه المتعه كما يزعمه بعض الناس من بعث عاطفتهم الطائفيه فى تهويلهم باخلال المتعه بالنظام الشرعى و العمرانى على ما يفرضون وقوعه فى متعه غير المتشرعين. و من طبع هذه العاطفه ان لا تسمح لهؤلاء المهولين بأن يلتفتوا إلى ما ذكرنا وقوعه من غير المتشرعين من المتزوجين بالعقد الدائم و المواطنين لإمائهم. او يلتفتوا إلى ما ذكر من شرعيه المتعه فى الكتاب و السنه فيما تقدم من المقام الاول و الثانى و الثالث بل و الرابع و الخامس لكى يلتفتوا إلى ان تهويلا-تهم تكون منهم كتله اعتراضات على الله و رسوله و كتابه فى تشريع المتعه. و كان الله عليما حكيمًا فى شريعته

سوره النساء (٤): آيه ٢٥

وَ مَنْ لَمْ يَشِطَّعْ مِنْكُمْ طَوْلًا- أَنْ يَنْكَحِ الْمُحْصِنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَ آتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصِنَاتٍ غَيْرِ مُسَافِحَاتٍ وَ لَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصِنَّ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصِنَاتِ مِنَ الْعِذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٥)

٢٥ وَ مَنْ لَمْ يَشِطَّعْ مِنْكُمْ طَوْلًا الطول من حيث اللفظ مصدر كما نص عليه أهل اللغة و أما من حيث ما يرجع إلى المعنى ففى التبيان و مجمع البيان الطول الغنى. و فى الكشاف المعنى زياده فى المال وسعه يبلغ به نكاح الحره. و فى كتر العرفان من لم يكن له زياده فى المال و فى القاموس الفضل و القدره و الغنى و السعه. و فى الدر المنثور مما أخرجه ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و البيهقى عن ابن عباس من لم يكن له سعه ان ينكح الحرائر. و لم أجد من خرج عن هذه المعانى. و المعنى الذى يتردد بينها غير داخل فى قدره الإنسان و استطاعته بل هو امر بيد الله. اذن فلا- يصح ان تكون كلمه «طولا» مفعولا به لكلمه «يستطيع» كما يلوح من بعض المفسرين و صرح به الفخر الرازى أولا- فى تفسيره و لكنه تفتن لعدم الجواز و قال انه على المفعوليه يكون معنى الآيه فمن لم يقدر منكم على القدره انتهى. فالأظهر ان «طولا» مفعول لأجله لبيان جهه الاستطاعه المذكوره. و ليس فى الآيه ما يشير إلى نظر الطول إلى خصوص المهر بل هو متعلق بالتزويج و ما يحتاج إليه فى امره من المؤنه و منها نفقه الحرائر. و المرجع فى استطاعه الطول إلى العرف بحسب حال الشخص و نظام تعيشه أَنْ يَنْكَحِ المصدر مفعول لكلمه «يستطيع» و الأظهر ان النكاح هو التزويج دواما و متعه و لكل إنسان رغبه فى أحدهما بحسب حاله من سفر أو حضر أو غير ذلك. فمن لم يستطيع طولا ان يجرى أحدهما مع الحرائر انتقل به إلى الإماء على ما تقتضيه الآيه بإطلاقها و عليه مضمرة محمد بن صدقه البصرى المرويه عن تفسير العياشى و هذا هو وجه المناسبه بين الآيه و ما قبلها فإنها تعرضت للصوره النازله من نكاحى الدوام و المتعه

تتميماً لأحكام النكاح و آدابه الْمُحَصَّنَاتِ بفتح الصاد. و المراد منهن الحرائر العفائف المحصنات بالصون بالنسبه إلى حاله الإمام نوعاً في الابتدال الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ ما اى فليتكح مما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ايها المسلمون المخاطبون فلا يدخل الشخص المعبر عنه بالغيبه بالنسبه لبيان الحكم فى نكاحه. و جواب الشرط للإباحه بالمعنى الذى يعم رجحان الترك و الصبر عليه مِنْ فَتْيَانِكُمْ يقال للأمه فتاه و ان كانت مسنه الْمُؤْمِنَاتِ فعسى ان تمنعهن ملكات الإيمان الحميده و اتباعهن للشريعه المقدسه عما يخشى من الأمه فى تبذلها نوعاً من بوادى منافيات العفه و سوء المعامله فإن الإيمان الصحيح الثابت رادع نوعاً عن سوء. و لكن لا سبيل لكم إلى العلم بما لأفرادكم من الإيمان الثابت و ملكاته الحميده و ما دون ذلك من مراتب الإيمان المختلفه، و الأخلاق المتفاوته فى البعد عن عادات الجاهليه و رذائلها و القرب منها وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ و ما لكل منكم من مراتبه و أخلاقه و ملكاته. و انكم لتعلمون انكم بشرٌ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فى الاختيار فى الأعمال. فمنكم من يقبل على الله فيجيب داعيه إلى الإيمان و الطاعه و الصلاح فيوفقه لمراتب الكمال الساميه. و منكم من يتبع الهوى بسوء اختياره و ينقاد للشهوات و غوايه الشيطان. و منكم من يكون بين ذلك على احدى المراتب المتفاوته فعليكم بظاهر الحال و ما يقتضى لكم الوثوق باستقامه الأمه من مظاهر إيمانها: و فى مختصر التبيان أى كلكم من ولد آدم و قيل كلكم على الإيمان و يمكن ان تكون الأمه أفضل من الحره و اكثر ثواباً عند الله و فى ذلك تسليه لمن يعقد على الأمه إذا جوز ان تكون اكثر ثواباً عند الله انتهى و على هذا النهج جرى فى مجمع البيان و الكشاف و تفاسير الرازى و أبى السعود و صاحب المنار و لكن الظاهر لنا من مجموع الآيه و شروطها و قوله تعالى فى آخرها وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ هو ما ذكرناه. و عليه يكون المحصل من مجموع الآيه و إذا خشيتم العنت و لم تصبروا كما هو الاشاره الأخره فى الآيه فَمَا نَكِحُوهُنَّ فيه التفات إلى خطاب المحتاج إلى نكاح الأمه بعد ذكره بالغيبه. و الأمر هنا للإباحه التى تعم المرجوح. و النكاح التزوج بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ اى مالكن و فى ذلك اشاره إلى كفايه الاذن من مالك الأمه فى تزويجها اى لا يكون بغير اذنه وَ آتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ كما يستحق

بشريعہ الزواج فانہ أجرها و مقابل بعضها و ان رجع إلى المالك بِالْمَعْرُوفِ من عاده الزواج الشرعى و مهره حال كونهن بهذا الزواج مُخَصَّيَاتٍ قد أقدمن على الزواج للإحصان على الشريعة و سنه الرسول (صلى الله عليه و آله) غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ و قاصدات للزنا و اتباع الشهوات وَ لَا مُتَّخِذَاتٍ أَخْدَانِ الخدن

الخليل و الصاحب و المراد هنا الاختصاص بخلته و صحبته للزنا. و قيل ان المراد تزوجوهن حال كونهن عفائف غير زانيات فى العلى و السر. و الأول أظهر فَإِذَا أُحْصِنَ بضم الهمزة و كسر الصاد كما هو القراءه المتداوله المعهوده بين المسلمين و عليها اكثر السبعه حتى عاصم فى غير روايه أبى بكر عنه. فلا يناسبها تفسير الإحصان بالإسلام لأن الإسلام من فعلهن الصادر منهن لا واقع من غيرهن عليهن. بل

المراد الإحصان لهن بالتزويج كما فى صحيح الكافى و التهذيب و عن محمد بن مسلم عن أحدهما يعنى الباقر أو الصادق عليهما السلام و صحيح التهذيب عن يونس عن الصادق (عليه السلام). و فى الدر المنثور مما أخرجه ابن المنذر و ابن مردويه و الضياء فى المختاره و ما أخرجه أيضا ابن أبى شيبه و ابن جرير عن ابن عباس

و اما ما فى الدر المنثور مما أخرجه ابن حاتم عن على (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال احصانها إسلامها.

و قال انه حديث منكر. و ما أخرجه عبد بن حميد عن ابن مسعود من قوله احصانها إسلامها فيكفى فى سقوطه معارضته بما

أخرجه سعيد بن منصور و ابن خزيمة و البيهقى عن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى حديث قوله (صلى الله عليه و آله) حتى تحصن بزواج. فإذا أحصنت بزواج:

هذا فضلا عن ان مؤدى الحديثين عن الرسول (صلى الله عليه و آله) و ابن مسعود لا يناسب القراءه المتبعه كما ذكرناه و ايضا إذا نظرنا إلى قوله تعالى فَإِذَا أُحْصِنَ إلى آخر جواب الشرط قد وقع تفريعا فى ضمن ما لنكاح الإمامة المؤمنات من الأحكام وجدنا انه لا- يحسن ان يكون الموضوع لحكمه غير الإمامة المتزوجات فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ توجب الحد الشرعى فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُخَصَّيَاتِ مِنَ الْعَذَابِ و الذى ينصف من حد الزنا و له عدد مخصوص هو المائة جلده. و اما الرجم فهو مقدمه مخصوصه لازهاق النفس بلا تقدير ينصف بل حده الموت فليس له نصف موزون بميزان يعول عليه. و لعل قوله تعالى مِنَ الْعَذَابِ يراد به نصف ما هو عذاب مع بقاء الحياه الذى قال فيه تعالى وَ لِيُشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ و ليس لشرط الإحصان بالتزويج مفهوم و لا- دليل خطاب. لقيام القرينه على ذلك من أحاديث المسلمين. فمن ذلك ما

أخرجه عبد الرزاق و البخارى و مسلم عن زيد بن خالد الجهنى ان النبى (صلى الله عليه و آله) سئل عن الأمه إذا زنت و لم تحصن قال (صلى الله عليه و آله) اجلدوها.

و اخرج احمد فى مسند على (عليه السلام) و الترمذى عن عبد الرحمن السلمى قال خطب على (عليه السلام) فقال ايها الناس أقيموا الحدود على ارقائكم من أحصن منهم و من لم يحصن و ان أمه لرسول الله (صلى الله عليه و آله) زنت فأمرنى ان اجلدها.

و أخرج احمد ايضا عن أبى جميله عن على (عليه السلام) نحوه مع تقديم و تأخير و فيه أقيموا الحدود على ما ملكت ايمانكم.

و فى الدر المنثور اخرج سعيد بن منصور و ابن المنذر عن انس بن مالك انه كان يضرب امائه الحد إذا زنين تزوجن او لم يتزوجن انتهى و على هذا عمل علماء الأمصار من اهل السنه و لا يعرف فيه خلاف بين الإماميه بل الظاهر إجماعهم عليه. و عليه صحيح الفقيه و الكافى و التهذيب عن بريد عن الصادق (عليه السلام) و صحيح الكافى عن محمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام و صحيح التهذيب عن أبى بصير عن الصادق (عليه السلام). بل لا مفهوم و لا دليل خطاب فى الآيه حتى لو قلنا بأن المراد من إحصانهم اسلامهم. لما رواه مالك و البخارى و مسلم و ابو داود عن ابن عمر فى قصته امر رسول الله (صلى الله عليه و آله) برجم اليهودى و اليهوديه. و رواه ابو داود ايضا عن جابر و البراء بن عازب و أبى هريره. و رواه الترمذى بدون القصه. فيجب الحد على غير المسلم ايضا و هو مذهب الشافعى. و لا خلاف فيه بين الإماميه. و هو مفاد العموم فى لفظ العبيد

فى الصحيح المروى فى الكافى و التهذيب عن الباقر (عليه السلام) قضى امير المؤمنين فى العبيد إذا زنى أحدهم ان يجلد خمسين جلده و ان كان مسلما او كافرا او نصرانيا. و على ذلك ايضا روايه قرب الاسناد عن الكاظم (عليه السلام)

فالفائده فى الجمله الشرطيه هو بيان وجه من وجوه الإرشاد الى ان الصبر عن تزوج الإمامه خير. و ذلك انهن فى حال الإحصان بالتزويج قد اقتضت الحكمه و الرحمه ان لا يشرع فى حدهن الا جلد خمسين سوطا مع ان دواعى الزنا مع ابتذالهن فى الرق و الخدمه اقرب إليهن بالنسبه الى الحرائر المصونات نوعا و حد الحرائر الجلد و الرجم فرادع الإمامه فى حال الإحصان أضعف من رادع الحرائر و دواعيهن الى الخنا نوعا اقرب من دواعى الحرائر ذلكَ اى نكاح المؤمنات بحسب الظاهر من إمام المسلمين لمن لم يجد طولا ان ينكح الحرائر من المؤمنات انما

هو لِمَنْ خَشِيَ الْعَنْتَ مِنْكُمْ فى التبيان العنت معناه هنا الزنا و قيل الضرر الشديد فى الدين او الدنيا مأخوذاً من قوله تعالى وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ و الأول أقوى. و جعله فى مجمع البيان الأصح و فى الكشف فسرته بالإثم مع قوله بأنه مستعار للمشقة و الضرر. و قد ذكرنا فى الجزء الأول ص ١٩٦ فى قوله تعالى وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبُكُمْ و فى ص ٣٣٤ فى قوله تعالى وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ان معنى العنت دائر بين الشده و المشقه و نحو ذلك و لا دليل على ان المراد هنا الزنا او الإثم فالصحيح تفسيره بمن خشى الشده و المشقه بسبب العزوبه او من جهه من الجهات. إذا لم يصح ما أخرجه ابن جرير عن ابن عباس من ان العنت الزنا. و لا ما أخرجه الطستى عنه من انه الإثم وَ أَنْ تَصْبِرُوا بفتح الهمزه اى و صبركم عن نكاح الإمام حتى مع عدم الطول و خوف العنت خَيْرٌ لَكُمْ لأن فى نكاحهن نوعا حزازات و عواقب يرغب عنها كما ذكرنا بعضها فى الأثناء و تزيد على ذلك بأن امر الأمه فى غير ما يعارض تمتع الزوج انما هو بيد المولى. و ان نكاحها معرض للفسخ فيذهب ما بذله من المهر هدرا و ذلك إذا بيعت او انتقل ملكها إلى آخر او اعتقت و هذه حزازات كبيره. نعم ليس منها عند الاماميه صيروره الولد رقاً فإن الولد عندهم بحسب اصل الشرع يتبع الحر من أبويه فى الحره كما عليه المعول من حديثهم و إجماعهم الذى لا يقدر فيه خلاف الإسكافى - هذا و قوله تعالى خَيْرٌ لَكُمْ مع ما ذكرنا فى قوله جل اسمه الْمُؤْمِنَاتِ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ. بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ يَرشد الى ان المقام مقام ارشاد الى اجتناب نكاح الإمام لما فيه من الحزازات و المحاذير نوعا لا مقام تحريم كما هو الأشهر بين الاماميه و يشهد له ما

فى الكافى و التهذيب من قول الصادق (عليه السلام) «لا ينبغي» كما رواه ابو بصير و أرسله ابن بكير عن بعض أصحابنا.

و اما صحيح زراره عن الباقر (عليه السلام) سألته عن الرجل يتزوج الأمه فقال (عليه السلام) لا الا ان يضطر الى ذلك.

فلا دلالة فيه على التحريم بل هو على الكراهه و ما يرجع الى الإرشاد ادل فان الظاهر من الاضطرار كونه امرا فوق عدم الطول و خوف العنت فعدم الاضطرار يجتمع معهما فلا- يمكن ان يكون النفى الشامل له للتحريم على خلاف تجويز الآيه بل للكراهه و الإرشاد الذى يرتفع بالاضطرار و لا يكون مصداقا لقوله تعالى وَ أَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ. و من ذلك يعرف الكلام

فى موثقه أبى بصير عن الصادق (عليه السلام) فى الحر يتزوج الأمه قال (عليه السلام) لا بأس إذا اضطر إليها. و نحوها روايه التهذيب عن محمد بن

مسلم عن الباقر (عليه السلام).

و دعوى ان السؤال فى الروايات عن الحل المقابل للتحريم مجازفه فان غايه ما فى السؤال هو كونه عن الشأن الشرعى فى تزويج الأمه مضافا الى ما ذكرناه من خلل الحمل على التحريم فى غير الاضطرار كحال خوف العنت و الله غفور لمن يخالف هذا الإرشاد و الكراهه رحيم بعباده فى إرشادهم الى ما يصلحهم و غفرانه لمخالفه ارشاد مولا هم و آلهم

سوره النساء (٤): آيه ٢٦

يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦)

٢٦ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ قال فى الكشاف اللام زائده و الأصل ان يبين. قال ذلك ليجعل المصدر مفعولا فتكون اللام لغوا. و ما أهون دعوى الزيادة عليه. و لم يقل شيئا فى نظائرها من القرآن الكريم مثل قوله تعالى فى سوره المائده ما يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ. يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ. و التوبه إنما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ. و الأحزاب إنما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَهِّبَ. و القيامه يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ: و مثله قول كثير على ما فى مجمع البيان:-

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

و نحوه ايضا ما سنذكره من البيتين. و قد ذكرنا بعض ما فى دعاويهم للزيادة فى الجزء الأول ص ٣٨ حتى ٤١ و ٣٦١ و ٣٦٢، و فى مختصر التبيان مرسلا و مجمع البيان عن الزجاج عن سيبويه ان اللام دخلت هنا على تقدير المصدر اى اراده الله للبيان لكم نحو قوله تعالى إن كنتم للرؤيا تعبرون انتهى و مرجع التمثيل إلى انهما لام التقويه و هو غريب من مثل سيبويه إذ يأول القوى بالضعيف ليجتاج الى لام التقويه و مع ذلك يبقى المبتدأ بلا- خبر و هل يكون مثل هذا التكلف فى القرآن الكريم لكن فى المغنى قال الخليل و سيبويه و من تابعهما ان الفعل مقدر بمصدر مرفوع بالابتداء و اللام و ما بعدها خبر اى اراده الله للتبيين على ان تكون اللام للتعليل. أقول و مع التكليف الذى لا يناسب كرامه القرآن يبقى الكلام ناظرا إلى متعلق الاراده و مفعولها فما هى فائده الفرار الى التأويل. و قيل ان اللام بمعنى «ان» المصدريه ليكون المصدر مفعولا ليريد. و نقل فى مختصر التبيان و مجمع البيان و شرح الكافيه للشيخ الرضى و تفسير الرازى انها بمعنى «ان» مثلها فى التى تقع بعد «امر» كقوله تعالى وَ أَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ و يرد ما ذكره أولا ان مجىء اللام بعد ان المصدريه لم تقم عليه حجه- و ثانيا- انها لو كانت كما يقولون لما وقعت بعدها «كى» و «ان» المصدريتان كما أنشده الزجاج:-

أردت لكيما يعلم الناس انها سراويل قيس و الوقوف شهود

أرادت لكيما لا ترى لى عثره و من ذا الذى يعطى الكمال فيكمل

و قوله تعالى فى سورة الزمر ١١ وَ أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ فالصحيح هو ان اللام للتعليل و مفعول «يريد» فى الموارد التى ذكرناها من القرآن الكريم محذوف. يقدر فى كل مقام بحسب ما يناسبه و يقتضيه و قد ذكرنا فى الجزء الأول ص ٨١ و ٨٢ ان مثل هذا الحذف باب من أبواب البلاغ. و مما يناسب الآيه ان يكون التقدير فيها. يريد الله ان يفصل لكم شرايع النكاح او الشرايع المذكوره فى السوره او ما قبلها لكى يبين لكم ما هو الصالح فى نظامكم و أخلاقكم و سعادتكم و يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ التى شرعها الله و سنها لهم لصلاحهم فاتخذوها بإيمانهم و طاعتهم لله سننا متبعه مما اقتضت المصلحه ان يسن لكم ايضا فى شريعه الإسلام وَ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ مما سلف من عملكم بعبادات الجاهليه الفاسده و تشريعاتها الوحشيه الخسيسه وَ يَعْفِرَ لَكُمْ بسبب و سيلتكم إلى رحمته من طاعتكم و اتباعه لما بينه لكم من شريعته فإن ذلك توبه منكم عما سلف (١) وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بما يصلحكم و يصلح نظامكم حَكِيمٌ فى شريعته و بيانها

سوره النساء (٤): آيه ٢٧

وَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧)

٢٧ وَ اللَّهُ بلطفه و رحمته يُرِيدُ و يحب أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ بأن تصلحوا اعمالكم و تتبعوا شريعه الحق و صلاحها و يكون ذلك توبه منكم عما سلف فتكونوا أهلا- لأن يتوب الله عليكم. و الاراده هنا نظيره للاراده التكليفيه لا- التكوينييه وَ يُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ المرديه المورطه فى قبائح الأعمال و رذائل الأخلاق و موبقات المعاصى كما تعرفونه أَنْ تسترسلوا مثلهم فى اتباع الشهوات و خسه الغوايه و تكونوا مثلهم فى جماحهم رغبه منهم فى الغى و تكثير أمثالهم و تقليل النكير عليهم و عنادا للحق و تَمِيلُوا عن الرشد إلى مثل غيهم و ضلالهم مَيْلًا عَظِيمًا كميلهم. و لا تحسبوا أن شريعه الحق و الإصلاح ذات عبء ثقيل و قيود باهظه. بل جمعت

ص: ٩٦

١- و للراى فى أواخر كلامه فى الآيه اشكال و جواب خلط فيهما بين المعنى فى توبه العبد إلى الله و فى توبه الله عليه. و استقصاء الكلام فى النقد لكلمات الاشكال و الجواب يفضى إلى تطويل فلندع كلامه لما به و يكفيننا استلفات الناقدين لما فيه

بين فضيله الإصلاح و التهذيب و حسن النظم و النظام الحميد على الحكمة و بين فضيله الرأفة، و التيسير فى احكامها بل و كون العمل عليها و اتباعها سببا لتخفيف الأوزار السابقه

سوره النساء (٤): الآيات ٢٨ الى ٢٩

يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَ خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا (٢٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٢٩)

٢٨ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَ خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا بِفقر إمكانه و اقتضاء الحكمة فى تعريضه للسعادة لأن يخلقه الله مختارا فى اعماله ذا شهوه يتنعم بها فى لذه المباح الصالح فى المجتمع. و قد أعانه الله بلطفه بالعقل و الرسل و الأئمة و شرايع الحق و دعاه الصلاح بالحكمة و الموعظه الحسنه. و الأنسب بكرامه القرآن و سمو مقاصده و شرف بيانه ان تكون هذه الآيه و اللتان قبلها جاريات على ما يليق بها من العموم ٢٩ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَخْفَى ان احكام الآيه عامه فى إصلاحها لا تختص بالمؤمنين و لكن جرى الخطاب لهم باعتبار انهم هم المنصتون حينئذ لخطاب الوحي و المنقادون لأوامر الله و نواهيه، و المدعونون بأنه يخاطبهم بشريعه الحق و الحكمة لا- تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ و الأكل كناية عما يعم الاستيلاء على الأموال بالحيازه. و المراد كما هو الظاهر لا- يأكل بعضكم اموال بعض فيما تتعاملون فيه بينكم على غير جهه العطيه و الرضا و طيب النفس بما تعرفون من فطرتكم و شريعه الحق انه باطل و على غير الحق. و قد ذكرنا فى الجزء الأول ص ١٦٤ ما ورد فى بعض المصاديق من أكل المال بالباطل. و

روى فى التهذيب عن الصادق (عليه السلام) فى هذه الآيه ما حاصله إن من أكل المال بالباطل أن يكون على الإنسان دين و عنده مال ينفقه فى حاجته بل عليه ان يفى به دينه و ان احتاج إلى الصدقه

إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً بِنَصَبِ تِجَارِهِ قَالَ فى مختصر التبيان حتى تكون الأموال تجاره او اموال تجاره فحذف المضاف و نصب المضاف اليه فى مقامه و يجوز ان يكون التقدير إلا ان تكون التجاره تجاره.

و تبعه على ذلك فى مجمع البيان و استشهد بقول الشاعر «إذا كان يوما ذا كواكب اسفعا» و الاستثناء على التقديرين منقطع لأنه ليس من أكل المال بالباطل. أقول الأموال ليست بتجاره بل هى ما يتاجر به. و فى قوله (او اموال تجاره) إلى آخره زياده حذف و تقدير. و يجوز ان يكون المعنى إلا- ان تكون المعامله التى تأكلون بها الأموال تجاره عن تراض و منها الإجازات و الجعالات. و بما ان التجاره المشروعه هى ما كانت عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ تكون الصفه

توضيحه فيكون معنى تقديرهم إلا- ان تكون التجاره تجاره عن تراض بمعنى إلا ان تكون التجاره تجاره مشروع لا من نحو تجارات الجاهليه التي أبطها الشرع وَ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ

عن العياشى عن أسباط بن سالم سأل الصادق عليه السلام رجل عن ذلك فقال عنى بذلك الرجل من المسلمين يشد على المشركين وحده يجىء فى منازلهم فيقتل فنهاهم الله عن ذلك. و عنه ايضا عن الصادق (عليه السلام) نحوه.

و فى التبيان قيل لا تخاطروا بأنفسكم فى القتال فتقاتلوا من لا تطيقونه و هو المروى عن أبى عبد الله يعنى الصادق (عليه السلام).

و عن العياشى بسنده عن زيد عن امير المؤمنين (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى حديث سأله فيه عن من كان فى برد يخاف على نفسه إذا فرغ الماء على جسده فقرأ صلى الله عليه و آله وَ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا.

و فى الدر المنثور مما أخرجه احمد و ابو داود و ابن المنذر و ابن أبى حاتم عن عمرو بن العاص فى حديث انه اجنب فى غزاه فى ليله شديده البرد فخاف الهلاك من الاغتسال بالماء فتميم فسأله رسول الله (صلى الله عليه و آله) عن ذلك فذكر الحال و احتج بقوله تعالى وَ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا فضحك رسول الله (صلى الله عليه و آله) و لم يقل شيئاً. و نحوه ما أخرجه الطبرانى عن ابن عباس فى قصه ابن العاص:

و فى الفقيه قال الصادق (عليه السلام) من قتل نفسه متعمدا فهو فى نار جهنم خالدا فيها قال الله تعالى

وَ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا. أقول و يمكن الجمع بين روايات العياشى و روايتى الدر المنثور و الطبرانى و بين روايه الفقيه بأن المنهى عنه فى الآيه هى المقدمات و الأفعال التى ينشأ عنها زهوق النفس. و لا مانع ايضا من شمول الآيه لقتل المسلم مسلما آخر بغير حق فإن المنهى عنه هو قتل النفوس المضافه الى جماعه المؤمنين الشامله لنفس القاتل و نفوس غيره من المؤمنين و لا حاجه فيما ذكرناه الى الجمع بين الحقيقه و المجاز لا فى الاضافه و لا فى المضاف اليه إِنَّ اللَّهَ كَانَ مِنْذِ الْأَزَلِ وَ لَا يَزَالُ بِكُمْ رَحِيمًا يأمركم و يشرع لكم ما يصلحكم و ينهاكم عما يضركم فرديا و اجتماعيا

سوره النساء (٤): آيه ٣٠

وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُذْوَانًا وَ ظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)

٣٠ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ اى أكل الأموال بالباطل و قتل النفس عُذْوَانًا وَ ظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ فى الآخره نارا وَ كَانَ ذَلِكَ وَ لَا يَزَالُ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا و التفت من ضمير المتكلم الى لفظ الجلاله للتنبيه على الحجه

على كون ذلك يسيرا. و كيف لا يكون يسيرا على الله الإله الخالق القادر على احياء العظام و هي رميم و هو الذى انشأها أول مره و هو بكل خلق عليم

سوره النساء (٤): آيه ٣١

إِنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا (٣١)

٣١ إِنْ تَجْتَبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ اى تتركونها جانبا معرضين عنها نُكْفِرُ عَنْكُمْ ما عداها من سَيِّئَاتِكُمْ التى تعملونها.

و قد ذكر التكفير فى القرآن الكريم فى نحو ثلاثه عشر موردا معدى بكلمه «عن» و من ذكر الكفاره فى سوره المائده ٤٤ و ٨٨ و ٩٢ يتضح ان التكفير هو الرحمه بحط الوزر عن الوزر ببركه طاعه اخرى. و فى هذه الآيه اشاره الى أن تكفير السيئات هو ببركه الطاعه باجتناى الكبائر.

و الآيه تدل على ان المنهى فى الدين و الشريعه فيه ما هو كبير بالنسبه الى بعض آخر و ربما يعرف ذلك بحسب شدة قبحه و شناعته و مضاره و مفسده. و ربما تكشف النصوص عن كبره و يكون بعض الافراد من غيره صغيرا بالنسبه اليه و ان كان ايضا بفساده الذى اقتضى نهى الله عنه بلطفه كبيرا فى الفساد و المضره فى ذاته و شؤونه هذا كله بحسب ذات الفعل. و قد يقارن فعل الصغير جراه و تمردا على الله و محاده له تلحق الفعل بالكبائر فى السوء فيكون بهذه الجبهه داخلا بمقتضى الحكمة فى الكبائر المذكوره. و من رحمه الله بعباده و لطفه و حكمته فى الرادع عن الصغائر و الإصرار عليها و عد عباده و بشرهم بأن من تجنب الكبائر يكفر عنه ما عداها من السيئات. و هذا لا ينافى كون المعصيه و المخالفه لعزائم الله فى أوامره و نواهيه هى امر كبير فى نفسه شديد قبحه. و ما أقبح مخالفه العبد الضعيف الفقير الجاهل بمصالحه و مفسده، و المحاط بغوايه الأهواء و الشهوات و النفس الأماره. و الشيطان الغوى العدو، و ما اشنع معصيته لعزائم إلهه و ولى هدايته و إرشاده، و مولاه الغنى العظيم غامره باللطف و الرحمه و النعم و الإحسان. و من نعمه العظيمه و لطفه جلت آلاؤه امره الوجوبى و نهيه التحريمى لأجل صلاح العباد و تكميلهم و إصلاحهم و نظم جامعهم و سعادتهم فى الدنيا و الآخره.

روى فى اصول الكافى فى باب الكبائر عن الصادق (عليه السلام) فى روايه الحلبي و صحيحى ابن مسلم و أبى بصير ان الكبائر ما أوجب الله عليها النار اى أوجبها بوعيده و استحقاق الفاعل لها. و نحو صحيحه ابن محبوب عن الكاظم (عليه السلام). و فى الدر المنثور مما أخرج ابن أبى حاتم و ما أخرج ابن جرير عن ابن عباس نحوه.

و ذكر ايضا جماعه اخرجوا بطرق عن ابن عباس انه سئل عن الكبائر أسع هي قال هي إلى السبعين اقرب.

و ذكر جماعه اخرجوا من طريق سعيد

ابن جبیر عن ابن عباس انه سئل عن الكبائر أَسْبَحَ هِيَ قَالَ هِيَ إِلَى سَبْعِمَائِهِ اقْرَبْ مِنْهَا إِلَى سَبْعٍ غَيْرِ اِنَّهُ لَا كَبِيرَهُ مَعَ اسْتِغْفَارٍ وَلَا صَغِيرَهُ مَعَ إِصْرَارٍ.

و من حكمه الله جلت حكمته في تكميل عبادته و تهذيبهم و إصلاحهم، و نظم جامعتهم و لطفه في منعهم عن سائر المعاصي و تدنيسها لهم و من رحمته في ذلك ان أبهم الكبائر هنا لأن ذكرها يجترئ به الإنسان بسفاهته و مغالطه هواه على ارتكاب غيرها اتكالاً على التكفير المذكور غفله منه عن المأثور الذي يدل عليه العقل و هو انه لا صغيره مع الإصرار. بل تكون من الكبائر. و قد أشار إلى ذلك الشيخ في التبيان.

و من حكمه هذا الإبهام و الإجمال ان يكون داعياً و مشجعاً للعبد على اجتناب المعاصي لأجل إحرازه لاجتناب الكبائر توسلاً إلى تكفير ما عداها. و هذا نحو من الطاف الله بعباده في وعده و تعليمه- هذا و قد ذكر في الكافي و الدر المنثور كثيراً من أحاديث الكبائر. و في جملة منها عداها سبعا و كثيراً ما تختلف الروايات في المعدود و ابدال كبيره بأخرى في الذكر. و في جملة منها عداها تسعاً. و في بعضها أكبر الكبائر وعد منها ثمانية و في بعضها عد منها ثلاثاً. و أنهاها في الدر المنثور عن ابن عباس إلى ثمان عشرة ذاكراً للوعيد على آحادها من الكتاب و السنة.

و في صحيح الكافي عن عبد العظيم عن الجواد عن الرضا عن الصادق عليهم السلام عدّ منها تسع عشرة ذاكراً للوعيد عليها من الكتاب و السنة. و من هذا كله يعرف ان ما ذكر من آحادها و عنوان بعضها إنما ذكره كان باعتبار اقتضاء المقام او بيان أكبر الكبائر. و لا يخفى ان الذي توعد الله عليه في الكتاب أكثر مما ذكر في الأحاديث. و هب انه احيط بما توعد الله عليه في القرآن الكريم لكنه لا يحاط بما ذكر الوعيد عليه بالنار و العذاب في كلام الرسول الأكرم فإن الكثير من كلامه صلى الله عليه و آله في مثل ذلك لم يصل إلينا لما جناه تداول الأيام و اختلاف الأحوال وَ نُدْخِلُكُمْ مَيْدَانًا بضم الميم و هو المحل الذي يدخل فيه كَرِيماً و أعظم بكرامته تمجيد الله له بالكرامه

سورة النساء (٤): آية ٣٢

وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَ سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً (٣٢)

٣٢ وَ لَا- تَتَمَنَّوْا عَيْنَ مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنَ نَعِيمِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَإِنْ تَمَنَّى ذَلِكَ مِنَ الْحَسَدِ الذَّمِيمِ الْبَاعِثِ عَلَى الشُّرُورِ.

عن تفسير العياشي عن عبد الرحمن عن الصادق (عليه السلام) في الآية لا يتمنى الرجل امرأه الرجل و لكن يسأل الله مثلها

أقول و لا يخفى ان ذكر امرأه الرجل من باب المثال الذي يتعين فيه ان المنهى عنه هو التمني لعين ما فضل الله به الغير من النعم. و في الدر المنثور اخرج ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم

من طريق على عن ابن عباس فى الآيه لا يتمنى الرجل فيقول ليت لى مال فلان و اهله: و فى نهى الآيه و سوقها توبيخ كبير على غفله الإنسان عما يتمتع به من النعم العظيمه و عن الله المنعم بها عليه و عن عظيم ملك الله و قدرته، وجوده، و حكمته، فتطمح نفسه الخسيسه إلى خصوص ما عند غيره مما اقتضت حكمه الله و رحمته أن ينعم بها عليه فيتمناه لنفسه مع ان الله قادر على إعطائه مثله و خيرا منه. أفلا- يجب على العبد أن يرغب إلى ربه و خالقه مالك الملك القادر المنعم الوهاب. و ماذا ينال من التمنى الا حسراته و حسه الحسد و آلامه لِلرَّجَالِ نَصِيبٌ مِّنْ عَطَاءِ اللَّهِ وَ نِعْمَتِهِ وَ فَضْلِهِ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ وَ حصل لهم بالملك و الجده و الاختصاص و لو بالإرث مثلا. و

فى النهايه فى الحديث أطيب ما يأكل الرجل من كسبه و ولده من كسبه.

او ان المراد اشاره إلى الغالب من ان الناس يسعون و يسترزقون الله فينعم الله عليهم بكسبهم. و «من» الجاره فى «مما» فى كلتا الجملتين و على كلا- الوجهين هى بيانيه لبيان النصيب فإن نصيبهم من عطاء الله هو كل ما اكتسبوه لا بعضه. فما بال الذين يركنون الى أوهم الأمانى و هى التى تجر الى الشر و اختلال النظام. يا ايها الذين آمنوا ألا تعلمون ان الله هو خالقكم و رازقكم ارحم الراحمين واسع الرحمه، و الخزائن و الفضل بيده الأمور فارغبوا اليه وَ سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ وَ لا يزال بِكُلِّ شَيْءٍ ۚ حتى تمنىكم الفاسد و حكمه اعطائكم و تفضيل بعضكم على بعض و مصالحكم و دعائكم و رغبتكم فيما عنده و توكلكم عليه و تسليمكم لحكمته و مشيئته عَلِيمًا- و لا زال القرآن الكريم من أول السوره يستقصى بيانه الشافى مهمات نظام العدل و تهذيب الأخلاق و حقائق الإصلاح الفردى و الاجتماعى من الأمر بالتقوى و هى روح الإصلاح و قوامه الى التذكير بالاخوه البشريه و الخلق من نفس واحده الى رعايه الأرحام الى رعايه اليتامى و أحكامهم و حفظ الوصاه بحفظ أموالهم و حسن معاملتهم و الولايه عليهم الى حقوق الموارىث و الوصايا و احكام النساء و العدل فى معاملتهن الى احكام النكاح و ما فيها من الإرشاد الى الأصلاح. الى رعايه العدل و الحقوق الى النهى عن سوء التمنى لشخص ما أنعم الله به على الغير مع ما يقتضيه اللطف فى كل مقام من الترغيب و الترهيب و التوبيخ

و الإنذار بالحكمه و الموغظه الحسنه. و من هذا الاستقصاء الكريم إشارته جل اسمه الى رعايه الأطراف من الأقارب فى الميراث كالأجداد و الأعمام و الأخوال و ان علوا و أولادهم و أولاد الاخوه و الأخوات و ان نزلوا فقال جل اسمه

سوره النساء (٤): آيه ٣٣

و لِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيْبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا
(٣٣)

٣٣ وَ لِكُلِّ من صنفى الرجال و النساء جَعَلْنَا بحسب الخلقه و سنه الموت و البقاء و شريعته المواريث على العدل و الحكمه مَوَالِيَّ يرثونهم لأنهم الأولى بهم بحسب القرابه و بميراثهم بقاعده الأقربين و ان اولى الأرحام بعضهم اولى ببعض. او بسبب الولاء ان لم يكن هناك أولو الأرحام مِمَّا اى من الصنف الذى تَرَكَ أباهم من الأقرباء الْوَالِدَانِ إذا ماتوا قبل ولداهم و تركوا ممن يمت بهم وارثا للميت كالأجداد من ناحيه الأب أو الأم. و الأعمام أولادهم من ناحيه الأب و الأخوال أولادهم من ناحيه الأم وَ مِمَّا تركه الْأَقْرَبُونَ كأولاد الاخوه و الأخوات و نحو ذلك.

فى التهذيب فى الصحيح عن زراره عن الصادق (عليه السلام) فى الآيه عنى بذلك اولى الأرحام فى المواريث فأولاهم بالميت أقربهم اليه من الرحم التى تجره اليه. انتهى

و فى الآيه غير ما ذكرنا من التفسير و الإعراب و لكن الظاهر منها هو ما ذكرناه وَ من الَّذِينَ عَقَدْتُمْ مولويتهم لكم أَيْمَانَكُمْ جمع يمين بمعنى القسم او كما قيل بمعنى اليد اليمنى التى تعطى عاده عند العهد و الاول اظهر.

و اخرج البخارى و ابو داود و ابن جرير و الحاكم و فى الدر المنثور عن غيرهم ايضا من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس كان المهاجرون حين قدموا المدينه يرث المهاجر الانصارى دون ذى رحمه للأخوه التى آخى رسول الله (صلى الله عليه و آله) بينهم فلما نزلت هذه الآيه و لكل جعلنا موالى نسختها ثم قال و الذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم من النصره و النصيحه و الرفاده و الوصيه يوصى له و قد ذهب الميراث أقول و ما ذكر فى الروايه من النسخ و وجهه لا يكاد ان يستقيم فإنه ما كل انسان جعل له موالى مما ترك الوالدان و الأقربون لكى ينحصر الإرث بهم فينسخ بذلك ارث غيرهم و يكون الإرث بالاخوه من المنسوخ و اما جعل الموالى للصنفين من الرجال و النساء فلا يدل على نسخ التوارث بين المهاجرين و الأنصار بسبب الاخوه لو كان لذلك حقيقه مضافا الى ان الظاهر من النصيب هو الميراث لا- ما ذكر فى الروايه. و اخرج ابو داود و ابن جرير و عن ابن مردويه من طريق عكرمه عن ابن عباس فى الآيه كان الرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب فيرث أحدهما الآخر فنسخ ذلك فى الأنفال فقال وَ أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ

. و في الدر المشثور اخرج ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبي حاتم و النخاس في ناسخه و ابن مردويه عن ابن عباس و ذكر نحوه. و يعارض الروايات عن ابن عباس ما أخرجه ابو داود و عن ابن أبي حاتم عن ام سعد بنت الربيع و كانت يتيمه في حجر أبي بكر ان قوله تعالى وَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ نزلت في أبي بكر و أبيه عبد الرحمن حين ابى الإسلام فحلف ابو بكر ان لا يورثه فلما اسلم امره رسول الله (صلى الله عليه و آله) ان يعطيه سهمه و الحديث صحيح في اصطلاحهم. و مع ذلك فالروايتان المذكورتان عن ابن عباس في معنى الذين عقدت ايمانكم و في الناسخ متعارضه في نفسها. على ان الميراث بالمؤاخاه لو كان له اصل لم يتوقف نسخه على هذه الآيه لأنه منسوخ بأولى آيات المواريث و أساس قانون و هو قوله تعالى لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ. و ان نظم هذه الآيه و سوقها ليشهدان بأن حكم الذين عقدت الأيمان و لاءهم متأخر في مرتبه عن حكم اولى الأرحام و الأقربين كما ذهب اليه ابو حنيفه و أصحابه محتجين بالآيه و بقوله تعالى فيها وَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ. و

في اصول الكافي و عن العياشي في الصحيح عن ابن محبوب عن الرضا انه سأله عن الآيه فقال (عليه السلام) انما عنى بذلك الأئمه (عليه السلام) بهم عقد الله عز و جل ايمانكم انتهى

و لا يخفى ان اليمين تعقد عقده مؤداها و عليه الآيه و يعقدها الحالف و عليه قوله تعالى في سورة المائده ٨٨ بِمَا عَقَدْتُمْ الْأَيْمَانَ و يعقدها المستحلف آخذ الميثاق و الأمر بالحلف و إعطاء العهد و عليه جاءت الروايه نظرا الى ان يمين الولاء و ميثاقه قد أخذها الله على العباد و امر بإعطاء عهدها و الروايه ناظره الى المصداق العام لجميع المسلمين و غير نافيه للمصداق الاتفاقي و هو الإبرث بولاء النصره و ضمان الجريره و منه و لاء السائبه من المعتقين. و معنى الروايه جار على مبدأ الأئمه من العتره اهل البيت في كونهم كرسول الله صلى الله عليه و آله اولى بالمؤمنين من أنفسهم على نهج حديث الغدير المتواتر و انهم داخلون في الميثاق المذكور في قوله تعالى في سورة آل عمران وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ كما تقدم في الجزء الأول ص ٣٠٣ حتى ٣٠٦ فإن قيل ان نزول هذه الآيه كان قبل واقعه الغدير و ما هو على نهجها و لفظ عقدتم فيها للماضي فلا يدخل فيها عهد الغدير و ميثاقه- قيل- لا يلزم ان يكون المضى في القرآن الكريم باعتبار زمان النزول بل يأتي باعتبار امر آخر مثل قوله تعالى في الآيه الآتية وَ بِمَا أَنْفَقُوا وَ فِي سُوْرَةِ الْمَزْمَلِ ٢٠ فَاقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ إِذْ لَيْسَ الْمَرَادُ مَا تيسر قبل نزول السوره فإن سوره المزمل

من أوائل ما نزل من القرآن حال كون الجل من المخاطبين لم يكونوا حينئذ من المسلمين و لم يعرفوا شيئاً من القرآن بل المراد ما تيسر عند واجب القراءة. و قوله تعالى في سورة المائدة بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ: و على هذا المبدأ يكون الأئمة كرسول الله و رآه من لا وارث له من أرحامه و مولى العتاقة.

أخرج احمد فى مسنده و ابو داود فى جامعه و الحاكم فى مستدرکه بأسانيد متعدده عن المقدم عن النبى (صلى الله عليه و آله) انا وارث من لا وارث له ارثه و اعقل عنه: او افك عانيه و أرث ماله كما فى جامع أبى داود.

و فى روايه انا ولى من لا ولى له افك عنه و أرث ماله.

و فى روايه انا مولى من لا مولى له أرث ماله و أفك عنه. او افك عانيه كما فى المستدرک

و على ما ذكرناه اجماع اهل البيت و الإماميه و حديثهم. و اما ما جاء فى الحديث من ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) امر فيمن لا وارث له بإعطاء ماله لأهل بلده. او لواحد من قبيلته او لرجل من قبيلته كما فى روايات أبى داود فى جامعه فهو تنازل منه (صلى الله عليه و آله) عن حقه كما

روى الترمذى عن عائشه انه (صلى الله عليه و آله) أمر بميراث مولاه لأهل القرية (١)

كما روى فى الوسائل عن الكافى و التهذيب عن على (عليه السلام) فى ميراث من لا- وارث له انه كان يعطيه او يأمر بإعطائه لأهل بلده.

و قد استفاضت

الأحاديث الصحيحه عن الباقر و الصادق و الكاظم (عليه السلام) ان ميراث من لا وارث له من الأنفال المختصه بالرسول (صلى الله عليه و آله) و الإمام (عليه السلام)

كما احصى روايته فى الوسائل و عليه اجماع الإماميه و لئن روى عن بعض الأئمة (عليه السلام) انه لبيت المال فهو تنازل منهم عن حقهم لمصلحه الوقت فَأَتَوْهُمْ تَفْرِيعَ عَلَى جَعْلِ الْمَوَالِي الْمَتَقَدِّمِ ذَكَرَهُمْ نَصَّ يَبْهَمُ مِنْ تَرَكَتِهِ إِذْ قَدْ يَكُونُ مَعَهُمْ زَوْجٌ أَوْ زَوْجَةٌ أَوْ وَصِيٌّ أَوْ دِينَ إِنْ أَلَّهَ كَانَ وَ لَا- يَزَالُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيداً لَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ فَلَا تَخُونُهُمْ فِي نَصِيْبِهِمُ الَّذِي كَتَبَ اللَّهُ وَ أَحْذَرُوا مِنَ اللَّهِ الشَّهِيدِ ثُمَّ اسْتَشْنَى التَّعْلِيمَ وَ الْإِرْشَادَ جَلَّتِ الطَّافَةُ فِي النِّظَامِ الْعَائِلِيَّ وَ أَمْرَ الْأَزْوَاجِ فِي التَّأْدِيبِ وَ الْإِصْلَاحِ فَقَالَ جَلَّتِ الطَّافَةُ

سورة النساء (٤): آيه ٣٤

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ بِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَ اللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَ اهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَ اضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيراً (٣٤)

٣٤ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ الْقَوَامِ كَثِيرِ الْقِيَامِ. وَقَامَ عَلَى الشَّيْءِ أَي فِي تَدْبِيرِهِ وَإِصْلَاحِ شُؤْنِهِ وَمِنْهُ الْقِيَمُ عَلَى الْيَتِيمِ وَالْمُرَادُ مِنَ الْمَبَالِغَةِ هُنَا دَوَامُ قِيَامِ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ فِي شُؤْنِ إِرْشَادِهَا. وَتَأْدِيبِهَا وَتَثْقِيفِهَا مَا دَامَتْ مَعَاشِرَهُ لَهُ. فَهَمَّ قَوَّامُونَ بِحَسَبِ نَامُوسِ الْخَلْقِ وَالْفِطْرَةِ وَالشَّرِيعَةِ عَلَيَّ

ص: ١٠٤

١- وَفِي كَنْزِ الْعِمَالِ وَمَخْتَصَرِهِ فِي رَوَايَةِ الدِّيلَمِيِّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مَوْلَى لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) تُوْفِيَ فَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) انظُرُوا هَمْشَهْرِيَا لَهُ فَأَعْطُوهُ مِيرَاثَهُ يَعْنِي مَنْ هُوَ مِنْ أَهْلِ بَلَدِهِ

النساء بالاستحقاق والفضيله لا- تحكما بل بما اقتضته الحكمة فى الخلق و حسن النظام و ذلك بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ آلَهُمْ و خالقهم على الحكمة به بَعْضُهُمْ اى بعض الرجال و النساء و هم الرجال بحسب النوع و الغالب على بَعْضِ اى النساء بحسب النوع و الغالب من قوه المدارك و كمال الخلقه و الأخلاق كما لا يخفى ذلك كله حتى ان المشرحين متفقون بحسب ما وجدوه بالتبع على ان دماغ الرجل و قلبه اكبر من دماغ المرأة و قلبها فى جميع الأدوار للقلب و الدماغ و قد اقتضت حكمه الاجتماع و الاشتباك فى العشره المدنيه و التناسل و التريه ان يخلق الله هذين الصنفين من الإنسان على هذا الناموس لكى ينضوى الصنفين فى كنف الآخر فتستحكم الروابط و يستوسق الارتباط. مع ان صفات كل من الصنفين هى النعمه بحسب ذلك الصنف فيما يراد منه فى حياته الفرديه و الاجتماعيه. و هى النعمه على مجموع النوع فى بقائه و انتظام امره.

فرب فضل لفاضل يعود بالنعمه على المفضول. و رب مفضوليه هى نعمه على المفضول. فشرع للرجال أن يكونوا قوامين على من يرتبط معهم فى العشره من النساء بسبب فضل الرجال و بما أَنْفَقُوا فى شأنهن و عليهن مِنْ أَمْوَالِهِمْ و ليس المراد ما مضى من الإنفاق قبل زمان النزول فإن الآيه عامه لكل زمان بل المراد الاستلفات إلى ما يتمثل فى الوجود من الإنفاق قبل ترتيب الآثار الثابته للقيموه من الإرشاد و التعليم و التأديب فإن الإحاله على واجب المستقبل امر لا يمثل للأذهان فضيله الإنفاق فَالصَّالِحَاتُ من النساء صلاحهن على الاستقامه فيما يراد منهن فهن قانتات اى مطيعات و فى تفسير القمى عن روايه أبى الجارود قانتات اى مطيعات. و اطلاق الصفه فضلا عن معنى القنوت يفيد الدوام و ملكه الطاعه. و إن كان القنوت مختصا بطاعه الله فإن و صفهن بذلك يتكفل بكونهن مطيعات لأزواجهن على ما امر الله به حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ الْغَيْبِ كَالْغِيَابِ و الغيبه مصدر غاب خلاف الشهود اى حافظات لغيبه الناس من ان يقع فيها ما لا- يرضى الناس ان يقع فيها و لا ينبغى وقوعه فيها مما فيه توهين و غدر لحقوقهن اغتناما لفرصه غيابهم. و الظاهر فى تمجيدهن بالصفه كونها عن ملكه تعم غيب الناس و أزواجهن فإن ذلك هو المناسب لوصف الصالحات و اثبت فى حفظهن لغيب أزواجهن

فى انفسهن و أموالهم و مالهم و غير ذلك من الحقوق. و فى الآيه تنبيه على ان الغيب له حرمه ينبغى ان يحفظ فيها عن وقوع المنافى فيه بما حَفِظَ اللَّهُ اى بالنحو الذى حفظه الله فى شريعته بأوامره و نواهيه و زواجره و ما شرعه من الحقوق كما هو مفصل فى القرآن الكريم و فى أبوابه من السنه من آداب الشريعه بل حتى الحقوق العرفيه التى يريد الأزواج رعايتهم و حفظ شرفهم فى حفظها دون ما جوزه الشارع مما يلزم من أداء الشهاده و لوازم نصح المستشير و أمثال ذلك فإنه ليس مما حفظ الله الغيب فيه. و قد ذكر فى الآيه تفاسير أخر و هذا هو الظاهر و الأنسب و اللآتى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ اصل الارتفاع و كنى به هنا عن ارتفاع الزوجه بطغيانها عن طاعه زوجها و حقوقه و تباعدها بتمرداها عن ذلك. و يكون ذلك بعد التدرج منها بالخروج عن الطاعه و حفظ حقوق الزوج و واجباته فتكون أوائل التدرج فى ذلك منها باعمالها و أخلاقها منذره ببلوغها مقام النشوز الوخيم، و الطغيان فى الخروج عن الموافقه و الاستقامه. و هذه الأوائل هى مقام الخوف الذى شرع الله فيه التدرج بالاستصلاح و اذن فيه بقوله تعالى فَعِظُوهُنَّ بما يرجى تأثيره من أنحاء المواعظ من نحو الترغيب بثواب المطيعات لأزواجهن و الإنذار بسوء عواقب المعصيه و وبال نشوز و عقابه بما جاء فى الكتاب و السنه بل حتى من التجارب عواقب النواشز و حسن حال المطيعات وَ اهْتَجِرُوهُنَّ فى المَضَاجِعِ

فى التبيان و قيل هو هجر المضاجعه و هو قول أبى جعفر (عليه السلام) و قال «يعنى أبى جعفر الباقر (ع)» يحول ظهره إليها:

و نسبه فى المبسوط إلى روايه أصحابنا أقول و هو الظاهر من الآيه فإن المضاجع فيها ظرف للهجران لظهور كلمه «فى» فى الظرفيه و ان تحويل ظهره إليها مع ما يلزمه من عدم تكليمه لها هو الذى تتجلى منه ظواهر الهجران المؤلم للمرأة دون ترك الكلام معها مع إقباله عليها بمقاديم بدنه إذ يحتمل ان يكون ترك الكلام لفكر او كسل او نعاس و نحو ذلك. و اما ذكره فى الدر المنثور عما أخرجه ابن أبى حاتم من طريق عكرمه عن ابن عباس «لا تضاجعها فى فراشك» فإنه غير الهجران فى المضاجع و لا- يكون المضجع على هذا ظرفا للهجران نعم يمكن التكلف لتأويله بأن كلمه «فى» للسببيه داخله على محذوف يؤول اليه تأويل الكلام و لكن فيه من التكلف و مخالفه الظاهر ما لا يخفى. و لا يصح فى الآيه ما قيل من حملها على المعنيين المذكورين و ذلك لما ذكرنا مرارا من ان اللفظ لا يجوز ان يجمع فيه بين المعنيين او المعانى المتعدده. و فى

الدر المنثور ذكر عن اخرج عن ابن عباس في معنى الهجران في المضاجع روايات متعددة متعارضة و اضربُوهنَّ في التبيان و أما الضرب فإنه غير مبرح بلا خلاف انتهى و المبرح هو ما يوجب المشقه و الشده و الظاهر اتفاق المسلمين على هذا القيد و أخرجه الترمذى و النسائى و ابن ماجه عن عمرو بن الأحوص عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) في خطبته في حجه الوداع. و أخرجه ابن جرير عن حجاج عن رسول الله (صلى الله عليه و آله). و رواه في الدر المنثور عما أخرجه ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و البيهقى في سننه عن ابن عباس أقول و يلزم ذلك ان لا يكون الضرب مدميا و لا كاسرا بل و لا في المواضع التى هى معرض للخطر و سوء الأثر. و

فى التبيان قال ابو جعفر يعنى الباقر (عليه السلام) بالسواك و اخرج ابن جرير عن عطا عن ابن عباس بالسواك و نحوه

و لعل المراد بعود مثل عود السواك. و كيف كان فلا تصلح الروايتان من حيث سندهما لتقييد الضرب فى الآيه نعم يكفى فى تقييدها الإجماع على ان لا يكون مبرحا. و المعلوم من الآيه كون الضرب للتوصل إلى إصلاح المرأه و انابتها إلى الطاعه فيلزم الاقتصار على اقل ما يرحى به حصول الغرض كما و كيفا و يتدرج فيه ما لم يحصل اليأس من تأثيره. و كذا الكلام بالنسبه إلى التدرج فى الوعظ إلى الهجران إلى الضرب و الجمع بين بعضها و بينها. و الآيه الكريمة زعيمه بيان هذه التفاصيل بيان ان ذلك لأجل التوصل إلى التأديب و الاستصلاح و الطاعه بقوله تعالى فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فِيمَا تَجِبُ فِيهِ طَاعَهُ الزوجات فَلَا تَبْغُوا و لا تتطلبوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا بتشبهات التهم و سوء الظن و تكليف القلوب فوق ما تقتضيه الأحوال فإنكم مأمورون بمعاشرتهن بالمعروف و بعض الظن اثم و امر القلوب بيد الله إِنَّ اللَّهَ كَانَ و لا يزال عَلِيًّا فى عدله و احكامه و حكمته كَبِيرًا فى جلاله لا يكلف فوق الطاقه و لا يهمل ارشاد عباده فى نظام اجتماعهم و تعليمهم. و سيأتى إن شاء الله فى أواخر السوره ما يعود إلى خوف المرأه من نشوز الزوج و اعراضه و حكمه إصلاحه

سوره النساء (٤): آيه ٣٥

وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا (٣٥)

٣٥ و إن خِفْتُمْ يا ايها الذين تعينهم شؤون الزوجين بسبب الروابط و الأمر بالمعروف و الإصلاح بين الناس عند ظهور المنافره بين الزوجين و خشيتهم من عاقبه ذلك شِقَاقَ بَيْنِهِمَا باستمرار الخلاف بحيث ينشق ائتلافهما إلى شقين متباينين فى

العداوة و البغضاء فَأَبْعَثُوا الْخَطَابَ فِي الْآيَةِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ وَ لَيْسَ فِي عَصْرِ الْخَطَابِ مِنْ لَهُ وَلا يَهُ الْحُكْمُ الشَّرْعِيُّ إِلَّا وَاحِدٌ وَ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) فَمَقْتَضَى ظَاهِرُهَا أَنْ بَعَثَ الْحُكَمَاءَ عِنْدَ خَوْفِ الشَّقَاقِ لَا يَخْتَصُّ بِمَنْ لَهُ الْوَلَايَةُ الْعَامَّةُ. وَ

عَنْ تَفْسِيرِ الْعِيَاشِيِّ وَ فِي الدَّرِّ الْمَثُورِ عَنْ عِبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيَّ «ع» أَمَرَ الْفُتَمَاءَ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَ الرَّجُلِ وَ الْمَرْأَةِ أَنْ يَبْعَثُوا حُكَمَا مِنْ أَهْلِهِ وَ حُكَمَا مِنْ أَهْلِهَا

وَ لَمْ يَكُنْ «ع» هُوَ الْمُتَصَدِّقُ لِلْبَعْثِ. نَعَمْ مِنْ يَكُونُ لَهُ الْوَلَايَةُ بِسَيِّطَرَتِهِ مَنْفِذًا لِأَحْكَامِ التَّحْكِيمِ كَمَا فِي سَائِرِ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ. لَكِنْ فِي التَّبْيَانِ أَنَّ الْمَأْمُورَ بِبَعْثِ الْحُكَمَاءِ هُوَ السُّلْطَانُ الَّذِي يَتَرَفَعَانِ إِلَيْهِ. وَ جَعَلَهُ أَصْحَحُ الْأَقْوَالِ. وَ فِي الْمَسَالِكِ أَنَّهُ قَوْلُ الْأَكْثَرِ. وَ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ وَ هُوَ الظَّاهِرُ فِي الْإِخْبَارِ عَنِ الصَّادِقِينَ «ع» وَ فِي كَنْزِ الْعُرْفَانِ وَ هُوَ الْمَرْوِيُّ عَنِ الْبَاقِرِ وَ الصَّادِقِ «ع» وَ هُوَ الْأَصْحَحُ لِأَنَّ أَوَّلَ الْكَلَامِ فِي «خَفْتُمْ» يَدُلُّ عَلَيْهِ أَقْوَلُ أَمَّا الرَّوَايَةُ عَنِ الْبَاقِرِ وَ الصَّادِقِ «ع» فَلَمْ يَأْثُرْ عَلَى إِثْرِهَا بَلْ لَعَلَّ الْمُسْتَفَادَ مِمَّا سَنَشِيرُ إِلَيْهِ مِنَ الرَّوَايَاتِ خِلَافَهُ.

وَ أَمَّا الْخَطَابُ فِي «خَفْتُمْ» فَيَدُلُّ عَلَى خِلَافِ مَا ذَكَرَهُ كَمَا ذَكَرْنَاهُ حَكْمًا الْحُكْمُ هُوَ مَنْ يَنْصَبُ لِلتَّحْكِيمِ مِنْ أَهْلِهِ أَيْ مِنْ أَهْلِ الزَّوْجِ وَ حَكْمًا آخَرَ مِنْ أَهْلِهَا وَ ذَكَرَ الْأَهْلُ لِأَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَى الْإِطْلَاقِ عَلَى الْخَفَايَا وَ مَنَاجِجِ الْإِصْلَاحِ. وَ الظَّاهِرُ عَدَمُ الْإِنْحِصَارِ بِهِمْ خُصُوصًا مَعَ عَدَمِهِمْ أَوْ عَدَمِ صِلَاحِيَّتِهِمْ لِذَلِكَ وَ لَا بَدَّ مِنْ كَوْنِ الْحُكْمِ بِحَسَبِ حُكْمِهِ الْآيَةَ صَالِحًا لِلْكَفَايَةِ فِي الْمَقَامِ بِحَسَبِ ذَاتِهِ وَ اهْتِدَائِهِ لَمَّا يَرَادُ فِيهِ مَكْلَفًا عَاقِلًا مُسْلِمًا إِذَا كَانَ الزَّوْجَانِ مُسْلِمَيْنِ أَوْ كَانَ أَحَدُهُمَا مُسْلِمًا. وَ فِي عَتَبَارِ الْعَدَالَةِ شَكٌّ نَعَمْ يَعْتَبَرُ الْإِطْمِئْنَانُ بِأَمَانَتِهِمَا فِي الْمَقَامِ وَ أَمَّا الذِّكُورُ وَ الْحَرِيَّةُ فَالْإِطْلَاقُ يَنْفِي اشْتِرَاطَهُمَا فِي الْمَقَامِ. وَ قَدْ اسْتَفَاضَ الْحَدِيثُ فِي أَنْ حَكَمَهُمَا بِالْفِرَاقِ مَوْقُوفَ عَلَى إِذْنِ الزَّوْجَيْنِ أَوْ اشْتِرَاطِ الْحُكَمَاءِ عَلَيْهِمَا وَ اتِّفَاقِ الْحُكَمَاءِ كَمَا فِي مَوْثِقِهِ سَمَاعَهُ عَنِ الصَّادِقِ «ع» وَ مَوْثِقِهِ ابْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَحَدِهِمَا «ع» وَ صَحِيحِهِ الْحَلْبِيِّ وَ رِوَايَتِي أَبِي بَصِيرٍ عَنِ الصَّادِقِ «ع» وَ الْبَطَّانِيِّ عَنِ الْكَآظِمِ «ع» وَ عَلَى ذَلِكَ مَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ مِنْ رِوَايَةِ عِبِيدَةَ السَّلْمَانِيِّ عَنِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ). وَ أَنْ اشْتِرَاطَ الْإِذْنِ مِنَ الْمَرْأَةِ وَ اجْتِمَاعَ الْحُكَمَاءِ فِي الْفِرَاقِ جَارٍ عَلَى الْغَالِبِ فِي الْمَقَامِ مِنْ كَوْنِهِ بِالْخَلْعِ وَ الْمُبَارَاةِ وَ مِنْ هُنَا يُؤْخَذُ أَنَّهُ لَا يَمْضَى إِسْقَاطُ الْحُكَمَاءِ لِحُقُوقِ أَحَدِ الزَّوْجَيْنِ أَوْ كِلَيْهِمَا إِلَّا - بِإِذْنِهِمَا أَوْ إِذْنِهِمَا. نَعَمْ يَحْكُمَانِ بِمَا يَقْتَضِيهِ نَشُوزُ أَحَدِهِمَا أَوْ كِلَيْهِمَا مِنَ الْأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ فَيَنْفِذُ الْحَاكِمُ ذَلِكَ بِسَيِّطَرَتِهِ أَنْ لَمْ يَتَيَسَّرْ لَهُمَا إِصْلَاحُ الزَّوْجَيْنِ إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا الظَّاهِرَ مِنَ السِّيَاقِ كَوْنِ

الضمير عائداً إلى الحكمين فإن أرادوا إصلاح شأن الزوجين و كان ذلك من نيتهما لا ميل كل واحد لجانب يُوفِّقُ اللهُ بَيْنَهُمَا و يجمع رأيهما على الصواب إِنَّ اللهَ كَانَ و لا يزال عَلِيماً بحقائق الأمور و حكمتها خَيْراً بالسرائر و النيات. ثم شاء اللهُ ان يواصل لطفه على الإنسان بهدأيته إلى اسباب السعادة و صالح الأعمال و مكارم الأخلاق و حسن السلوك في الحياه الدنيا و القيام بحقوق النوع. و صدر ذلك بأفضل الأوامر و أساس النجاه و روح الصلاح و جامع الهدى فقال جلت آلاؤه

سوره النساء (٤): آيه ٣٦

وَ اعْبُدُوا اللهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالوالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَ بِعِذِي القُرْبَى وَ القُرْبَى وَ الجَارِ ذِي القُرْبَى وَ الجَارِ الجُنْبِ وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ ما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالاً فَخوراً (٣٦)

٣٦ وَ اعْبُدُوا اللهَ إِلَهُكُمْ يا أيها الناس وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ في العباده شَيْئاً وَ هذا النهى بمنزله التفسير للأمر المعطوف عليه فإن عباده الله لا- تستقيم لها حقيقه مع الإشراك به في العباده و قد تقدم بعض البيان لمعنى العباده في الجزء الأول ص ٥٧ حتى ٥٩ و حاصل الأمر هنا استشعروا مظاهر الخضوع لله إلهكم بالخضوع الذي يوفى به حق امتياز الله إله العالمين بالإلهيه. و يقرب ان ينظر في معنى العباده إلى طاعه الله إله العالمين في أوامره و نواهيه باعتبار الخضوع لمقام إلهيته بالطاعه و الإذعان لان الطاعه هي باب السعادة في الدارين و ينظر بالشرك هنا الى ما يعم مخالفه الله بالاتباع للهوى و الانقياد للشيطان فإن ذلك و إن لم يوجب منه محض المعاصي في الأعمال كفرا و خروجا عن الدين لكنه خلل في حق الخضوع لله و مقام إلهيته على حد قوله في سوره يس أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. وَ أَنْ اعْبُدُونِي هذا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ وَ بِالوالِدَيْنِ إِحْسَاناً أى أحسنوا إحسانا نائب عن فعله في الدلاله على الأمر و التأكيد في الإغراء بالإحسان يقال احسن اليه و أحسن به كما يقال أساء اليه و أساء به كما في قول كثير:-

اسيى بنا او احسنى لا ملومه لدينا و لا مقلبه ان تقلت

و قد تكرر قوله تعالى في الوصيه بالوالدين وَ بِالوالِدَيْنِ إِحْسَاناً كما في سوره البقره ٨١ و الأنعام ١٥٠ و الاسراء ٢٢. و إن قول القائل احسن به و بالوالدين إحسانا يدل على دوام الإحسان و عدم الإساءه. و ذلك لأن معناه جعل فعله به حسنا و إحسانا و معنى الآيه و أحسنوا بالوالدين فعلكم معهم. و هذا الوجه ظاهر من شعر كثير و ان كان في استعمال

القرآن الكريم اظهر. بخلاف احسن اليه فإن معناه او صل اليه إحسانا و هو يجتمع مع انقطاع الإحسان. و هذا هو السر في دوام تعبير القرآن الكريم في الوصيه بالوالدين بهذه العبارة المذكوره في الآيه وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَ الرِّحْمِ وَ الْيَتَامَىٰ فَإِنَّهُمْ مُرِيدُوا الرِّحْمَةَ وَ الرَّأْفَةَ وَ الْإِحْسَانَ وَ الْمَسَاكِينَ وَ هُمُ الْفُقَرَاءُ مَعَ ضَعْفِ يَرثِي فِيهِ لِحَالِهِمْ. وَ لَا يَخْفَىٰ مَا فِي الْإِحْسَانِ بِهَؤُلَاءِ الْمَذْكُورِينَ مِنَ الْأَهْمِيَةِ فِي كَرَمِ الْأَخْلَاقِ وَ الرِّحْمَةِ وَ الْإِسْعَافِ وَ الْقِيَامِ بِالْوَجِبِ وَ الْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَ الْجَارِ الْجُنْبِ بِضَمِّ الْجِيمِ وَ النُّونِ. وَ فِي الدَّرِ الْمَنْشُورِ ذَكَرَ جَمَاعَهُ أَخْرَجُوا مِنْ طَرُقٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ وَ الْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ يَعْنِي الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ قَرَابَةٌ. وَ الْجَارِ الْجُنْبِ يَعْنِي الَّذِي لَيْسَ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ قَرَابَةٌ. وَ عَنْ تَفْسِيرِ الْعِيَّاشِيِّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوَهُ. فَيَكُونُ التَّكْرَارُ لِذِي الْقُرْبَىٰ بِاعْتِبَارِ امْتِيَازِهِ بِحَقِّ الْجَوَارِ أَيْضًا. قَالَ فِي الْكَشَافِ وَ انْشَدُوا لِبَلْعَانَ أَوْ بِلَعَاءِ بْنِ قَيْسٍ:-

لا يجتوبنا (1) مجاور ابدأ ذو رحم او مجاور جنب

و في المصباح عن بعض اللغويين أن الجنب بمعنى الأجنبي و هو ظاهر القاموس. و مقتضى القاموس و المصباح أن القريب كالتقريبه مختصه بالقرب في الرحم لا في المكان لكن في الكشاف اختار تفسير الآيه بالذي قرب جواره و الذي جواره بعيد. و في مختصر التبيان نوع اضطراب و أظنه من الاختصار أو النسخ و اقتصر في مجمع البيان على نقل الأقوال وَ الصَّاحِبِ بِالْجُنْبِ بفتح الجيم و سكون النون في القاموس هو شق الإنسان و غيره. و في الدر المنثور ذكر من اخرج عن ابن عباس انه صاحب في السفر. و من اخرج عن علي (عليه السلام) انه امرأه الرجل و من اخرج عن ابن مسعود و ابن عباس مثله أقول و لا مانع من شموله للأمرين و يشهد لذلك روايتهما معا عن ابن عباس و كذا من يصاحبه في الحضر بجنبه ماشيا او جالسا. و في التبيان نسب الأمرين إلى القيل و قال و قيل هو المنقطع إليك رجاء رفقك و قيل انه جميع هؤلاء و هو أعم فائده و تبعه على ذلك في مجمع البيان و زاد فيه الخادم الذي يخدمك كما اختار العموم أقول إن إدخال المنقطع رجاء الرفق إذا لم يكن له صحبه إلى الجنب في الخارج يستلزم الجمع بين الحقيقه و المجاز في الاستعمال وَ ابْنِ السَّبِيلِ وَ هُوَ الْمَنْقَطِعُ بِهِ فِي سَفَرِهِ عَنْ مَدَدِ قَوْمِهَا

ص: ١١٠

١- من اجتوى البلاد إذا كرهها و استوخمها او لم يوافقها مأواها و هواؤها

و وطنه و موارد نفعه و رفع احتياجه و فى تفسير القمى أبناء الطريق الذين يستعينون بك فى طريقهم و فى التبيان المسافر و قيل هو الضيف و قال أصحابنا يدخل فيه الفريقان قلت كما يعرف ذلك من مباحث الزكاه و ما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ يعنى العبيد و الإماء كما فى التبيان. و ان وجوه الرجحان للإحسان بالذين ذكروا لهى راجحه فى سنن الأخلاق الفاضله و النفوس المهذبه و لا يدخل فيها ما هو معصيه لله او يستلزم إساءه إلى شخص آخر. و قد كبر شأن الإحسان بهؤلاء المذكورين إذ قرن وصيته به بالوصيه بعبادته و عدم الإشراك به. و لعمر الحق ان هذه الأمور الموصى بها لما تنادى به الفطره و تهتف به الحجه و يشهد بها الوجدان و تحت عليه الفضيله، و تبعث عليه الأخلاق الفاضله و العاطفه الصالحه و لا- يحيد عنها الا من أعجبتة نفسه الساقطه بخيلائها الممقوت و استكباره التعيس، فيكون مختالاً- بغروره استكبارا، فخورا من عجبه بنفسه بما ليس فيه قد اغفله ذلك عن انه عبد مخلوق مريب لإله واحد قهار، و اغفله ايضا عما يراد منه مما فيه سعاده و ارتفاعه من حضيض النقص إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا بِاسْتِكَارِهِ و عجبه بنفسه و ما زينه له جهله المركب، فخوراً بالموهومات و هو غريق فى ضعه الجهل و النقصان و ويل لمن كان الله لا يحبه و كفى بذلك مقتا و شقاء

سوره النساء (٤): الآيات ٣٧ الى ٣٨

الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (٣٧) وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا (٣٨)

٣٧ الَّذِينَ مِنْ لَوْمِهِمْ وَ شَقَائِهِمْ الَّذِي جره إليهم ضلال استكبارهم و عجبهم بأنفسهم يَبْخُلُونَ بما آتاهم الله من فضله فى موارد السماحه و مكاسب الفضيله بطاعه الله و محاسن الإنفاق من مال الله وَ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَ يَكْتُمُونَ ما آتاهم الله مِنْ فَضْلِهِ من مال او علم و منه العلم بنبوه رسول الله و صفاته وَ أَعْتَدْنَا بما أحضرنا مصداقا للوعيد بما يستحق من العذاب لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ٣٨ وَ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ إذ سنع لهم ان ينفقوا شيئا أنفقوه لا- طاعه لله و لا- لحسن الإنفاق فى مورده بل رِئَاءَ النَّاسِ و لأجل ذلك و قد ذكر معنى الرئاء فى الجزء الأول ص ٢٣٤ وَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ يوم المعاد و قد اسلسوا قيادهم

للشيطان باتباعه حتى طمع فيهم فلا ينفك في الغواية و صار بسوء اختيارهم قرينا لهم لدوام اغوائه لهم أعاذنا الله منه وَ مَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ هَذَا الْقَرِينُ المشوم المهلك بقبائح غوايته و خسه اقترانه قَرِينًا فهل ترى الشيطان يقف في غوايته للإنسان على حد. الا تراه يرديه في أقبح الكفر و النفاق و قبائح الأعمال أ فلا ترى انقياد بعض الناس لغوايته الى اخس الأحوال و أقبحها و اشنعها. و كلمه «الذين» في الآيه السابقه بدل من «من» في قوله تعالى من كان مختالا. و دعوى انها مرفوعه او منصوبه على الظم تحتاج الى شاهد من تغير صوره الإعراب و لا شاهد. و دعوى انها مبتدأ و خبره محذوف كما في الكشاف و تفسير الرازى تحتاج الى قرينه وداع لما قدره فضلا عن كونه تكلفا بعيدا عن كرامه القرآن. و دعوى ان الخبر قوله تعالى إِنَّ اللَّهَ لَا يُظْلِمُ الْآيَةَ كما ذكره في التبيان و مجمع البيان تحتاج الى رابط مع أن الآيه التي جعلوها خيرا تخرج عن تمجدها؟؟؟ العام الى محل لا تصلح له و اين الذين لا يؤمنون بالله و اليوم الآخر من قوله تعالى وَ إِنَّ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا الْآيَةَ

سوره النساء (٤): آيه ٣٩

وَ مَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَ كَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا (٣٩)

٣٩ وَ مَا ذَا عَلَيْهِمْ من الوبال او الخسران او النقص او سوء العاقبه او غير ذلك من المحاذير لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أليس الايمان بالله دين الفطره و نور المعلومه و سناء الحجه القيمه. و ان الايمان باليوم الآخر لمن اسماى المعارف الموصوله الى الحقائق و حق الايمان بذلك زعيم بنوع من تهذيب الإنسان و تكميله و حسن اجتماعه مع نوعه بما يشعر به من الرغبه و الرهبه. ذلك اليوم الذى بشر و انذر به الأنبياء الذين قامت الحجج على نبوتهم و عصمتهم و الكتاب الكريم الذى حفته الأدله على انه منزل من الله بل انه بنفسه من وجوه متعدده هو الحجه على ذلك وَ مَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنْفَقُوا كما أمرهم الله و حكمت العقول مع ذلك بحسنه و منه الإنفاق فى الموارد المذكوره مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أ فلا يعتبرون بأن الإنسان يولد طفلا لا يملك لنفسه شيئا فيتقلب فى جميع أدوار حياته فى نعم الله و رزقه و قد يصير ذا مال و ثروه طائله فهل من قدرته إنزال اللبن لرضاعه و نمو الزرع و الغرس و نتائجهما و سلامه ذلك من الآفات. أم من قدرته انتاج الحيوان الذى ينتفع به أم بيده أرباح المكاسب أ فلا يعتبر بأنه كم من كادح فى كسبه لم يربح الا الخسران و الإملاق و كم من ذى ثروه عاد

بالرغم عليه فقيرا. أفلا يشعرون بان ما فى أيديهم هو رزق الله من خزائن رحمته التى لا تنقص فلما لا ينفقون كما أمرهم الله و يطلبون منه الثواب المضاعف و الخلف و كان الله و لا- يزال بهم فى أمر ايمانهم و إنفاقهم و نياتهم و جميع شؤونهم عليمًا يجزيهم جزاءهم

سوره النساء (٤): آيه ٤٠

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)

٤٠ إِنَّ اللَّهَ الغنى القدوس المتعال لا يَظْلِمُ الظلم معروف و يتعدى إلى مفعولين يقال ظلمه حقه و ماله مِثْقَالَ اى ثقل و وزن ذَرَّةٍ ذكروا أن الذره هى أصغر النمل و فى مجمع البيان و الكشاف و قيل هى جزء من اجزاء الهباء فى الكوه من اثر الشمس. و هذا أقصى ما يعرفه بالحسّ نوع الناس من الصغر لضرب المثل و إِنَّ تَكَ اى تكن و يطرد فى مثل هذا حذف النون حَسِينَةً بالنصب لأنها خبر. و الحكم المذكور و فائده الكلام إنما هى باعتبار الخبر و عنوانه فلذا اعتبر الاسم المقدر مؤنثا لأن الحكم إنما هو لما يتحد مع الخبر كما فى قوله تعالى «فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً».

وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً. إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً. فَإِنْ كَانَتْ أَثْنَتَيْنِ» اى و إن تكن التى بمقدار الذره حسنه. و فى مجمع البيان و ان تك زنه الذره حسنه. و يدفعه ان الزنه و المقدار ليس هى الحسنه بل هى المقدر وزنه بزنه الذره. و كذا قول الكشاف و ان يك مِثْقَالَ ذره حسنه و إنما أنت ضمير المِثْقَالَ لأنه مضاف إلى مؤنث انتهى و يدفعه مضافا الى ما ذكرناه ان تأنيث المضاف باعتبار المضاف اليه شاذ لا يناسب كرامه القرآن على ان الاعتبار لا يساعد على تأثير المضاف اليه المحذوف هذا الأثر. و فى التبيان «و ان تك فعلته حسنه» و هو جيد يرجع الى ما ذكرناه و العجب من مجمع البيان إذ لم يذكر هذا الوجه الوجه مع انه لا يغادر شيئا من التبيان لا يذكره يُّضَاعِفْهَا بما يشاء من المضاعفه. و المضاعفه هى ان يزداد على الشىء مثله فى المقدار او أمثاله. و مضاعفه الحسنه هى ان يعتبرها الله برحمته للواسعه فى مقام الجزاء بمقدار ضعفها او أضعافها اى يضاعف جزاءها. و فى سوره البقره ٢٤٤ أضعافا كثيره و يُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ من فضله العظيم و رحمته الواسعه على الحسنه بمقدار الذره أَجْرًا عَظِيمًا بحسب ما يشاء من المضاعفه و يجعل الكل بعنوان الأجر تكريما للمطيع، و إكمالاً لابتهاجه. فويل للذين لم يعبدوا الله و أشركوا به. و لم يتبعوا سبيل الرشاد فى امتثال أوامره و نواهيه بعد ما قامت عليهم الحجج فى الدنيا و انقطعت المعاذير.

و ما أعظم حسرتهم و أسوأ حالهم يوم الحساب

سورة النساء (٤): الآيات ٤١ الى ٤٢

فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً (٤١) يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُوا بِالَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصُوا الرَّسُولَ لَوْ تَسْوَى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً (٤٢)

٤١ فَكَيْفَ حَالِهِمْ إِذَا جِئْنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا أَوْ قَامَ فِيهِمْ نَبِيٌّ أَوْ إِمَامٌ هَدَى بِشَهِيدٍ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ الْمَحْشَرِ الْعَظِيمِ بِأَنَّهُ قَدْ بَلَغَهُمْ وَ بَشَّرَ وَ أَنْذَرَهُمْ وَ أَقَامَ لَهُمُ الْحُجُجَ وَ قَطَعَ الْمَعَاذِيرَ وَ أَظْهَرَ دِينَ الْحَقِّ وَ نَصَرَ دَلَالَهَ الْعَقْلَ عَلَيْهِ وَ حَفِظَ لَهُمْ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ. وَ لَا حَاجَةَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى الشَّهِيدِ وَ لَكِنْ يَأْتِي بِهِ عَلَيْهِمْ زِيَادَةٌ فِي خَزَائِمِهِمْ بَيَانٌ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْبُغْيِ وَ الْعِنَادِ لِلْحَقِّ لِحَسْرَةِ نَدَامَتِهِمْ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ وَ جِئْنَا بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَانُوا مَوْجُودِينَ حِينَ النُّزُولِ شَهِيداً تَعْلَنُ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا مِنَ الْحُجُجِ عَلَى دَعْوَتِكَ الصَّالِحَةِ وَ مَا قَمْتَ بِهِ أَحْسَنَ قِيَامٍ فِي التَّبْلِيغِ وَ الْإِنْذَارِ وَ الدَّعْوَةِ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ بِالْحُكْمِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ مَا قَاسَيْتَهُ مِنْهُمْ مِنْ عِنَادِ الضَّلَالِ وَ شِدَّةِ الْأَذَى وَ تَأْلِبِهِمْ عَلَيْكَ مَجَاهِرَةً وَ نِفَاقاً. وَ فِي رِوَايَةِ الْكَافِي وَ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مَا يُعْطَى إِنْ أَمْرًا مِنْ «هَؤُلَاءِ» فِي الْآيَةِ هُمْ الشَّهَدَاءُ عَلَى الْأُمَّةِ وَ رَسُولُ اللَّهِ شَهِيدٌ عَلَيْهِمْ. لَكِنْ فِي الرِّوَايَاتِ الضَّعِيفِ. وَ فِي تَفْسِيرِهَا لِلآيَةِ إِشْكَالٌ وَ فِيهَا ذِكْرٌ فِي تَفْسِيرِ الْبُرْهَانِ مِنْ رِوَايَاتِ الْعِيَاشِيِّ نَوْعٌ مُعَارِضَةٌ لَهَا ٤٢ يَوْمَئِذٍ يَكْفُرُوا بِالَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصُوا الرَّسُولَ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ اللَّهِ وَ مِنَ الدِّينِ وَ الشَّرِيعَةِ لَوْ (١) تَسْوَى بِهِمُ الْأَرْضُ أَيْ تَكُونُونَ تَرَاباً وَ جِزَاءً مِنْهَا فَتَسْوَى بِهِمْ وَ تَكُونُ سِوَاءً لَـ يَمْتَازُونَ عَنْهَا بِوَجْهِهِ وَ لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً يُقَالُ كَتَمْتُ زَيْدًا الْحَدِيثَ وَ الْخَبَرَ. وَ قَدْ اخْتَلَفَتْ كَلِمَاتُ الْمَفْسَّرِينَ كَمَا ذَكَرَهُ فِي التَّبْيَانِ وَ مَجْمَعِ الْبَيَانِ فَمِنْهَا مَا يُؤَدِّي إِلَى أَنَّ الْجَمْلَةَ وَ عَدَمَ كِتْمَانِهِمْ لِلْحَدِيثِ دَاخِلَةٌ فِيمَا يَوْمُئِذٍ يَوْمٌ مَثَلٌ وَ مُعْطُوفٌ عَلَى جَمْلَةٍ لَوْ تَسْوَى. وَ هُوَ مُؤَدِيٌّ مَا فِي الدَّرِ الْمَثُورِ فِي ذِكْرِ مَا أَخْرَجَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي السُّؤَالِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ. وَ مِنْهَا أَنَّ الْجَمْلَةَ مُعْطُوفَةٌ عَلَى جَمْلَةٍ «يُودَى» وَ عَلَيْهِ مَا صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ عَنْ حَازِمِ بْنِ عَقْبَةَ بْنِ عَامِرِ الْجَهَنِيِّ وَ أَبِي مَسْعُودِ الْأَنْصَارِيِّ بِسَمَاعِهِمْ مِنْ فَمِ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) وَ مِنْهَا لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ فِي جَوَارِحِهِمْ كَمَا فِي الدَّرِ الْمَثُورِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ بَلْ وَ مَا صَحَّحَهُ الْحَاكِمُ

ص: ١١٤

١- قد ذكرنا الكلام في «لو» بعد «يودى» في الجزء الأول ص ١٠٩ و ١١٠

عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: و

عن العياشى عن مسعده بن صدقه عن الصادق عن أبيه عن جده قال قال امير المؤمنين فى خطته يصف هول القيامه ختم الله على الأفواه فلا تكلم و تكلمت الأيدى و شهدت الأرجل و نطقت الجلود بما عملوا فلا يكتمون الله حديثا.

فالراجح كما هو الصواب كون الجملة معطوفه على جملة «يود» او مستأنفه

سوره النساء (٤): آيه ٤٣

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسِسُوا خُورًا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا (٤٣)

٤٣ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ

أخرج الترمذى فى تفسير جامعه عن عطا عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على امير المؤمنين (عليه السلام) قال صنع لنا عبد الرحمن بن عوف طعاما فدعانا و سقانا من الخمر فأخذت الخمر منا و حضرت الصلاه فقدمونى فقرأت قل يا أيها الكافرون لا اعبد ما تعبدون و نحن نعبد ما تعبدون فأنزل الله و ذكر الآيه.

و أخرج ابو داود فى كتاب الأشربه بسنده عن سفيان عن عطا عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على (عليه السلام) أن رجلا من الأنصار دعاه و عبد الرحمن بن عوف فسقاها قبل أن تحرم الخمر فأثمهم على فى المغرب فقرأ قل يا أيها الكافرون فخلط فيها فنزلت الآيه.

و أخرج الحاكم فى تفسير المستدرک بسنده عن سفيان عن عطا عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على (عليه السلام) دعانا رجل من الأنصار قبل تحريم الخمر فحضرت صلاه المغرب فتقدم رجل فقرأ قل يا أيها الكافرون فالتبس عليه فنزلت الآيه.

و قال الحاكم هذا حديث صحيح الإسناد و لم يخرجاه. و فيه فائده كبيره و هى أن الخوارج تنسب هذا السكر و هذه القراءه إلى امير المؤمنين على دون غيره و قد برأه الله منها فإنه روى هذا الحديث. و

فى الدر المنثور أخرج عبد بن حميد و ابو داود و الترمذى و النسائى و ابن جرير و ابن المنذر و ابن أبى حاتم و النحاس و الحاكم و صححه عن على قال صنع لنا عبد الرحمن طعاما

إلى آخر المتن الذى رواه الترمذى. و قد سمعت روايتى أبى داود و الحاكم و لم أطلع على روايه الباقيين ممن ذكرهم السيوطى لكى أعرف خطأه فى النقل عنهم كما أخطأ فى النقل عن أبى داود و الحاكم (١) و

أخرج ابن جرير و فى الدر المنثور عن ابن المنذر عن على (عليه السلام) أنه كان هو و عبد الرحمن و رجل آخر شربوا الخمر فصلى بهم عبد الرحمن فقرأ قل يا أيها الكافرون

١- و صاحب المنار تبع السيوطى فى هذا الخطأ او ... فقال فى تفسيره (روى ابو داود و الترمذى و النسائى و الحاكم و صححه صنع لنا عبد الرحمن إلى آخر ما ذكره الترمذى. و لم أجد أثرا لهذه الروايه فى مجتبى النسائى

و فيه ايضا أخرج ابن المنذر عن عكرمه فى الآيه قال نزلت فى أبى بكر و عمر و على و عبد الرحمن بن عوف و سعد صنع لهم على طعاما و شرابا فأكلوا و شربوا ثم صلى على بهم المغرب فقرا قل يا أيها الكافرون حتى خاتمتها فقال ليس لى دين و ليس لكم دين فنزلت الآيه.

و أخرج احمد و الترمذى و ابو داود و النسائى و فى كنز العمال و مختصره ذكروا ايضا جماعه ممن أخرجوه ايضا عن عمر لما نزل تحريم الخمر قال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا فنزلت الآيه التى فى البقره فقال اللهم بين لنا فى الخمر بيانا شافيا فنزلت الآيه التى فى النساء يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاه و أنتم سكارى الآيه و

فى الدر المنثور فى آيه المائده أخرج ابن المنذر عن محمد ابن كعب القرضى و ذكر حديثا فيه ثم أنزلت التى فى النساء بينا رسول الله «ص» يصلى إذ غنى سكران خلفه فانزل الله لا تقربوا الصلاه و أنتم سكارى الآيه.

و إنك لتعرف سقوط الروايه و انها من جنائيات الأهواء إذا نظرت إلى الروايات الست المتقدمه و اختلافها و اضطرابها (1) و إلى نسبه السيوطى و صاحب المنار متن الترمذى إلى روايه أبى داود و النسائى و الحاكم و تزيد بصيره إذا عرفت ما فى تهذيب التهذيب عن الواقدى من أن أبا عبد الرحمن السلمى عبد الله ابن حبيب شهد مع على صفيين ثم صار عثمانيا أى معاديا لعلى و مواليا لمعاويه و جرى اصطلاحهم على ان مثل هذا فى عداوه على و موالاه معاويه يسمى عثمانيا. و مما يدل على معاداته لعلى ما أخرجه احمد فى مسند على برجال الصحه عندهم عن سعد بن عبيده قال تنازع ابو عبد الرحمن السلمى و حبان بن عطيه فقال ابو عبد الرحمن قد علمت ما الذى جرّأ صاحبك «يعنى عليا عليه السلام» قال حبان فما هولاء أبا لك قال و ذكر عن على «ع» حديث طلبه للمرأة التى كتب معها حاطب بن بلتعنه إلى قريش يخبرهم بان رسول الله يريد ان يغزوهم فأراد عمران يضرب عنقب!

ص: ١١٦

١- ففى حديث الترمذى أن صاحب الدعوه و الطعام و الشراب هو عبد الرحمن بن عرف و إمام الجماعه هو على (عليه السلام) و التخليط هو نعبد ما تعبدون. و فى حديث أبى داود أن صاحب الدعوه رجل من الأنصار و عبد الرحمن مدعو و إمام الجماعه على. و فى حديث أن صاحب الدعوه رجل من الأنصار و لم يذكر اسما. و فى حديث ابن جرير لم يذكر دعوه و ذكر أن إمام الجماعه هو عبد الرحمن و لم يذكر تخليطه. و فى روايه عكرمه أن صاحب الدعوه هو على (عليه السلام) و هو إمام الجماعه و أن التخليط لم يكن فى قراءه السوره بل بعدها و هو ليس لى دين و ليس لكم دين. و مقتضى حديث عمران هذه الايه نزلت بعد تحريم الخمر و فى روايتى أبى داود و الحاكم أن الخمر عند نزوله لم تكن محرمة. فانظر و تعجب!

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة الحديث

فإنه لا يفد على هذه الجراه على امير المؤمنين (عليه السلام) إلا من كان معاديا له يقول فى شأنه المقدس انه يجترئ على الكبائر اغترارا بكونه بدريا ثم نقول

فى امالى الصدوق بسند معتبر عن الصادق (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) أول ما نهانى عنه ربي جل جلاله عباده الأوثان و شرب الخمر الحديث

و فى الدر المنثور اخرج البيهقى فى الشعب عن على (عليه السلام) سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول لم يزل جبرائيل ينهانى عن عباده الأوثان و شرب الخمر الحديث

و أخرج البيهقى عن ام سلمه ان رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال كان من أول ما نهانى عنه ربي و عهد إلى بعد عباده الأوثان و شرب الخمر ملاحاه الرجال. و فى كنز العمال و مختصره عن الطبرانى عن أبى الدرداء و عن معاذ عن النبى (صلى الله عليه وآله) نحوه

و عن أبى نعيم فى الدلائل عن على (عليه السلام) قيل للنبي هل عبت و ثنا قط قال (صلى الله عليه وآله) لا، قالوا هل شربت خمر قط قال لا،

و فى الكافى و التهذيب و عيون الصدوق و علله عن على بن ابراهيم عن الريان و فى التفسير عن ياسر الخادم عن الرضا (عليه السلام) ما بعث الله نبيا قط إلا بتحريم الخمر.

و فى الكافى و التهذيب فى الصحيح عن زراره عن الصادق (عليه السلام) ما بعث الله نبيا قط إلا و فى علم الله انه إذا أكمل دينه كان فيه تحريم الخمر و لم تزل الخمر حراما و إنما ينقلون من خصله إلى خصله و لو حمل ذلك عليهم جمله لقطع بهم دون الدين. و نحوه ما فى الكافى و التهذيب عن ابراهيم اليمانى عن الصادق (عليه السلام). و ما فى الكافى عن زراره عن الباقر (عليه السلام)

و المعنى أن الخمر لم تزل حراما عند الله و فى كل دين و لكن قد يستفحل الضلال و حكم الجاهليه فى الأمم الى أن يروها حلالا- فإذا بعث الله نبيا آخر قد لا- يفاجئهم فى أول نبوته و تبليغه بتحريمها لأن الحكمه تقتضى أن يتدرج معهم فى بيان المحرمات ببيان خصله و لو حملهم دفعه على ترك جميع المحرمات لما انقادوا الى الدين و لقطع بهم دونه. و يشهد تدرج القرآن الكريم ببيان أن فيها إثما كبيرا و إثما اكبر مما يزعمه الناس كما مضى فى سوره البقره و انها رجس من عمل الشيطان ليوقع بها العداوه و البغضاء بينهم. كما فى سوره المائده. و ما كان كما ذكرناه لا بد من ان يكون النبى عالما بتحريمه من أول الأمر و لا بد فى كماله و عصمته و أهليته للنبوه و دعوتها من أن لا يكون مده عمره الشريف قد لوث قدسه بشربها قبل النبوه و بعدها. اذن فمن تربى بتربيته رسول الله (صلى الله عليه وآله) و نهج من صغر سنه نهجه و تأدب من طفوليته بأدابه و آمن

برسالته من أولها و كان أطوع له (صلى الله عليه و آله)

ص: ١١٧

من ظله كيف يقال في شأنه انه كان يشرب الخمر ام الخبائث و الموقعه في الفواحش و السالبه للعقل و شرف الإنسانيه و الملحقه للإنسان بمجنون الوحوش.

و ايضا ان الإنسان إذا سكر و عربد ظهر عليه في هذيانه ما كان مطويا في نفسه من عاداته و مألوفاته و مرتكزات مخيلته، و مكتومات خواطره في الحب و البغضاء. و أن مثل امير المؤمنين (عليه السلام) إذا عربد ظهر مرتكزات ذهنه و آثار عاداته و مألوفاته و ما نشأ عليه من أوائل شعوره من بغض الأوثان و تسفيه عباده الجاهليه و الشرك فيقول و ينادى لا اعبد رجس الأوثان. سفها لكم ايها المشركون لا اعبد الحجر و الخشب المنحوت و كيف اجعل من ذلك آلهه مع الله و كيف أكون من المشركين و ينشد ما قاله أبوه ابو طالب

و لقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البريه دينا

و لكن قصاص الرواه قد نسبوا لقدس رسول الله في مناكير رواياتهم ما هو اشنع من ذلك رووا أنه (صلى الله عليه و آله) - و حاشا قدسه - قرأ في مكه بمحضر قريش سوره النجم و لما تلا أقرأيتم اللات و العزى و مناة الثالثة الأخرى قال على الأثر تلك الغرائق العلى منها الشفاعة ترتجى و نسبوا لقدس جميع الأنبياء و الرسل إذا قرءوا القى الشيطان في قراءتهم مثل خرافه الغرائق و فسروا بذلك قوله تعالى في سوره الحج المدنيه و ما من نبى و لا رسول إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته. و تابعت على ذلك جملة من التفاسير كما أشرنا اليه في الجزء الأول من كتاب الهدى ص ١٢٣ - ١٢٨ و لينظر على الأقل إلى ما ذكره في الدر المنثور في الآيه المذكوره من سوره الحج. و لم تترك بعض الروايات قدس رسول الله (صلى الله عليه و آله) بدون ان تلوته بالخمير

ففي الدر المنثور عن تميم الدارى انه كان يهدى لرسول الله (صلى الله عليه و آله) كل عام راويه من خمير فلما كان عام حرمه الخمر جاء بروايه فلما رآها رسول الله (صلى الله عليه و آله) ضحك الحديث (١) يث

ص: ١١٨

١- و زيد على ذلك بالنسبه لأمير المؤمنين (عليه السلام) فقد ذكر السيد الرضى في حقائق التأويل عن كتاب أبى الحسن الكرخى في كتاب الاشربه من مختصره حيث قرأه على القاضى عبد الله بن محمد الاكفانى و أجاز له روايته عن مصنفه بسنده عن عبد الرحمن بن أبى ليلى «صاحب امير المؤمنين و خاصته من اهل الكوفه» قال شربت عند على بن أبى طالب نبينا فخرجت من عنده عند المغرب فأرسل معى قنبر مولا يهدينى إلى بيتى انتهى فذكرت الروايه الظالمه الضاله بذلك ان امير المؤمنين (عليه السلام) بعد تحريم الخمر و فى ايام خلافته يسقى بعض خواصه فى بيته نبينا يسكره بحيث

و مقتضى روايات الدر المنثور عن ابن عباس ان آيه وَ أَنْتُمْ سَيِّكَارِي نَسَخْتَهَا آيَةً إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَ فِي روايه آيه الوضوء و فى اخرى انها قبل أن تحرم الخمر و أن المراد سكر الخمر. و لكن ذكر ان عبد بن حميد اخرج عن ابن عباس أنه قال النعاس و يشبه أن يكون من ذلك ما

أخرجه البخارى عن انس عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) إذا نعس أحدكم و هو يصلى فليصرف و لينم حتى يعلم ما يقول و فى الكافى فى الموثق عن الصادق (عليه السلام) سئل عن الآيه فقال سكر النوم.

و فى الصحيح عن الباقر (عليه السلام) يعنى سكر النوم و روى العياشى عن الباقر (عليه السلام) نحوه.

و السكر ضد الصحو و هو حاله تعترى الإنسان تعبت بشعوره و تخرجه عن استقامته الطبيعىه. و من ذلك ان يذهل عما يقول او يفعل كلا او بعضا فيفعل أو يقول ما لا يعلمه و لا يريد. و للسكر مراتب مختلفه و منه الحاله التى تعترى الإنسان بهذه الصفه من شده النعاس و هى المراده من سكر النوم اى السكر الذى يكون من مقدمات النوم او بقاياه فى الاستيلاء على الحواس و الشعور و منه قول الطرماح

مخافه ان يرين النوم فيهم بسكر سنانه كل الريون

و انشد الرضى فى حقائق التأويل شاهدا على ذلك

و ركب سروا حتى كأن رقابهم من السكر فى الظلماء خيطان خروج

نعم قد كثر استعماله فى سكر الخمر لكن هذه الكثره لا تمنع اراده المعنى العام فى الآيه خصوصا مع اقتضاء الغايه لإرادته فإن قوله تعالى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ يدل على أن المراد حفظ صورته الصلاه و الالتفات إليها. و صونها عن الذهول عنها و التخليط فى افعالها و أقوالها.

فإن إحرازهم لكونهم يعلمون ما يقولون فيها يلزمه الصحو العادى. و لو قيل ان السكر حقيقه فى سكر الخمر مجاز فى سكر النوم لكانت الغايه على ما قررنا قرينه على إرادته معنى يعم ما زعموه من الحقيقه و المجاز. و انما خص بالذكر سكر النوم فى روايات ابن عباس و الباقر و الصادق (عليه السلام) نظرا الى حال السائلين و اكثر المسلمين فى ان محل ابتلائهم الذى يقتضى بيان الحكم لهم هو سكر النوم لا لحصر مدلول الآيه به. و اما قوله تعالى يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا بِالْخَطَابِ فِيهِ لِلْمُؤْمِنِينَ الْمَوْجُودِينَ فِي حَالِ الْخَطَابِ نَهْيًا لَهُمْ عَنِ ان يَقْرَبُوا الصَّلَاةَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ فَإِنْ خُطِبَ الْمَعْدُومِينَ وَ دَخُلَهُمْ فِيهِ قَبِيحٌ كَمَا هُوَ الْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ نَعَمْ يَعْمُ الْحُكْمُ غَيْرَ الْمَوْجُودِينَ

-

يحتاج من سكره الى من يهديه الى بيته مع انه كثير التردد الى امير المؤمنين ليس غريبا يضل الطريق فأرسل معه قنبر مولاه ليهديه و نعم الحكم الله و الموعد القيامة

من المؤمنين للإجماع على الاشتراك في احكام الإسلام. و دعوى ان الخطاب للمؤمنين السكارى فى حال الخطاب مجازفه بارده و من اين علم بوجود السكارى حال الخطاب.

فلا وقع لوقوع البعض فى الحيص و البيص فى صحه خطاب السكران و تكليفه. و لا يدل هذا النهى بإحدى الدلالات على ان شرب الخمر و المسكر حلال لكى يقال ان الآيه باعتبار دلالتها على حل شرب الخمر و المسكر قد نسختها آيه انما الخمر و الميسر كما ذكر فى الدر المنثور من أخرجه عن ابن عباس و منهم ابو داود و النسائى. و من الغريب ما ذكر من انه اخرج عن ابن عباس ان آيه السكارى نسختها آيه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ الْآيَه و من المعلوم ان كون الإنسان يعلم ما يقول يلزمه صحوه من السكر و لكن ذكر العلم بما يقولون لكى يشعر بوجه النهى و الجبهه التى تصان عنها الصلاه و للاشاره الى رذيله السكر و الخروج به عن حاله العقلاء و شرف الشعور و الإنسانيه. و الآيه بنهيهها و حكمه غايتها تدل على فساد الصلاه فى حاله السكر. و قوله تعالى لا تَقْرُبُوا هو على معنى القرب تأكيدا لاحترام الصلاه و اجتنابها حال السكر حتى باجتناب القرب منها. و من أنحاء القرب منها دخول المسجد. و حكى عن بعضهم ان المراد لا- تقربوا موضع الصلاه و هو المسجد فحذف المضاف و هو «موضع» و ذكر له بعض وجه آخر و هو ان المسجد سُمى فى الآيه بالصلاه باعتبار كثره وقوعها فيه او سُمى بذلك تعريبا لتسميه اليهود موضع عبادتهم «صلاتا» أقول و مع ان هذا كله خلاف الظاهر فى نفسه يلزم منه أن تكون الأحكام الآتيه فى الآيه احكاما للمسجد و اللازم باطل لأن المساجد خصوصا فى زمان الخطاب ليست معرضا لأن تكون فى الاسفار حيث لا يوجد الماء كما فى البرارى فيتيمم لدخولها كما فى قوله تعالى أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً. و لأن الإجماع قائم على انه ليس من احكام المساجد ان الذى يجىء من الغائط منهى عن دخولها حتى يتيمم ان لم يجد ماء بل ما الحكمان الا من احكام الصلاه على حقيقتها: و جمله «وَأَنْتُمْ سِكَّارَى حَالِهِ و الواو فيها لبيان الحال. و لا يخفى ان التتبع فى صحيح الكلام و التدبر له يقضى بأن الجملة الاسميه يؤتى بها فى ضمن النهى حالا فى مقام يكون مضمونها ظاهر المنافاه للفعل المنهى عنه فيؤتى بها استلفاتا إلى تلك المنافاه و احتجاجا لحكمه النهى. فكأنه قيل ان الصلاه المطلوب بها الطاعه فى الإتيان بها بحدودها و الإقبال بها فى الخضوع لله و عبادته و التدبر فى قراءتها و أذكارها و التوسل بدعائها كيف يؤتى بها فى حال السكر مع ما يعرف من منافاه ما هو المطلوب لطيش السكر

و ذهوله و غفلا-ته. و مثل ذلك قوله تعالى فى سورة البقره ٢٢ فَلَا تَجْعَلُوا لِلّٰهِ أُنْدَادًا وَّ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ كما أشرنا إلى وجه المنافاه فى الجزء الأول ص ٧٦ و قوله تعالى ١٨٥ و لَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَّ أَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِى الْمَسَاجِدِ فَإِنِ الْمَطْلُوبُ مِنَ الْاِعْتِكَافِ هُوَ الْاِنْقِطَاعُ إِلَى اللّٰهِ فِى الْمَسْجِدِ لِلْعِبَادَةِ وَ التَّخْلِى عَنِ التَّلَذُّذِ فَأَيْنَ هُوَ مِنَ التَّلَذُّذِ بِمَبَاشَرَةِ النِّسَاءِ وَ قَوْلُهُ تَعَالَى فِى سُورَةِ الْمَائِدَةِ ٩٩ لَا تَقْتُلُوا الصَّيِّدَ وَّ أَنْتُمْ حُرْمٌ فَإِنِ الْاِحْرَامُ هُوَ حَبْسُ النَّفْسِ عَلَى الطَّاعَةِ وَ تَرْوِضُهَا بِالْاِجْتِنَابِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْمَبَاحَاتِ فَأَيْنَ هُوَ مِنَ تَطْلُبِ الصَّيْدِ وَ قَتْلِهِ. و أما الجنابه فليست ظاهره المنافاه للصلاه و إنما كشف الشارع عن ذلك إجمالاً بفرض الطهاره تعبدًا فلذا جاء الحال الثانى مفرداً (١) و قوله تعالى و لَا جُنْبًا الْوَاوِ فِيهِ عَاطِفُهُ وَ «جنبا» منصوب على الحالیه معطوف على الجملة و «لا» نافية تدل على دخول الحال الثانى فى حيز النهى و تفيد أن المنهى عنه كل واحد من الحالين لا مجموعهما. و الجنب بضم الجيم و النون من اصابتهم جنابه و هى معروفه تنشأ من خروج المنى أو الوطء مع غيبوبه الحشفه او قدرها و يستوى فى هذه الصيغه المفرد و المثنى و الجمع و المذكر و المؤنث إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ قِيلَ مَعْنَاهُ إِلَّا حَالَ كَوْنِكُمْ مَسَافِرِينَ وَ نَسَبَهُ فِى التَّبْيَانِ إِلَى عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ غَيْرِهِ وَ فِى مَجْمَعِ الْبَيَانِ نَسَبَهُ إِلَى عَلِيٍّ وَ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَ لَمْ أَجِدْ فِى أَحَادِيثِ الْإِمَامِيَّةِ رَوَايَةَ ذَلِكَ عَنْ عَلِيٍّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) نَعَمْ

فى الدر المنثور ذكر من اخرج عنه (عليه السلام) فى قوله تعالى و لا جنبا إلا عابري سبيل قال نزلت هذه الآية فى المسافر تصيبه الجنابه فيتيمم و يصلى

و فى لفظ لا يقرب الصلاه إلا أن يكون مسافرا تصيبه الجنابه فلا يجد الماء فيتيمم و يصلى حتى يجد الماء انتهى و هذه الروايه على ما بها لا تدل على ما نسب اليه (عليه السلام) لأن

قوله و لَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ رَه

ص: ١٢١

١- و صاحب المنار فى تفسيره حاول ان يبين وجه التفرقه بين الحالين فى مجىء الأول جملة اسميه دون الثانى فقال إن التعبير بجملة و أنتم سكارى يتضمن النهى عن السكر إلى ان قال و أما نهيمهم عن الصلاه جنبا فلا يدل على النهى عن الجنابه. و قد اكثر التبجح بهذا فى أوائل كلامه. و ليت شعرى من اين جاء بتضمنه النهى عن السكر من حيث الدلاله اللفظيه فى الجملة الاسميه. و ما ذا يقول فى الآيات الثلاث التى ذكرناها فهل يقول ان التعبير عن الحال فيها بالجملة الاسميه يتضمن النهى عن العلم بوحدانيه الله و انه لا ند له. و عن الاعتكاف فى المساجد و عن الإحرام للحج و العمره

من كلام الراوى و الظاهر ايضا ان قوله نزلت هذه الآيه فى المسافر إنما هو بالنظر إلى قوله تعالى أَوْ عَلَى سَيْفِرٍ. و أما النسبه إلى ابن عباس فمنشأها بحسب الظاهر ما ذكر روايته عنه فى الدر المنثور بنحو روايته عن على (عليه السلام). و الكلام فيها كما تقدم. و قد ذكر فى الدر المنثور من اخرج عن ابن عباس فى قوله تعالى إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ قَالَ لَا تَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ تمر به مرا و لا تجلس. و عن البيهقى عن انس نحوه. و عن ابن جرير و عبد الرزاق و البيهقى عن ابن مسعود نحوه. و عن ابن جرير عن ابن مسعود ايضا هو الممر فى المسجد و

فى علل الصدوق فى الصحيح عن زراره و محمد بن مسلم عن الباقر (عليه السلام) قال قلنا له الحائض و الجنب يدخلان المسجد ام لا قال الحائض و الجنب لا يدخلان المسجد إلا مجتازين إن الله تبارك و تعالى يقول وَ لَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا. و عن العياشى عن زراره عن الباقر نحوه. و فى تفسير القمى سئل الصادق (عليه السلام) عن الحائض و الجنب و ذكر نحوه.

هذا كله مع ان تفسير عابري سبيل بالمسافرين يوجب التكرار المخل فى الآيه بقوله تعالى أَوْ عَلَى سَيْفِرٍ و ينحط بذلك أسلوب الآيه عن كرامه القرآن الكريم. و مدلول هذه الروايات عليه اجماع الإماميه. و لا يضر فيه كلام سلاى فى مراسمه و كذا الصدوق فى المقنع لموافقته فى الفقيه و الهدايه للأصحاب بل و فى المقنع لما ذكره فى الأخذ من المسجد و الوضع فيه. و مذهب الشافعى مثل مذهب الأصحاب. و نسب اليه بناءه على جواز استعمال اللفظ فى معناه الحقيقى و المعنى المجازى بأن تكون الصلاه فى الآيه قد استعملت فى معناها الحقيقى و فى موضعها و هو المسجد. و لا أظنه بناه على ذلك إذ يلزم منه منع من جاء من الغائط عن الدخول فى المسجد حتى يغتسل او يتيمم و هو لا- يقول بذلك فإن التفرقه فى الأحكام بين المعنيين لو صح استعمال اللفظ فيهما معا إنما هى مجازفه. و لكن الوجه فى دلالة الآيه على ما ذكرناه هو ان نهى الجنب عن قربه للصلاه يختلج منه فى الذهن نهيه عن دخوله للمسجد لأجل حرمة و شدة ارتباطه بالصلاه خصوصا فى عصر النزول فكأنه من مناحى قرب الصلاه المنهى عنه فجاء قوله تعالى إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ بمنزله الاستثناء المفرغ فى دلالة على مضمونه بالمطابقه و على المستثنى منه بدلاله الالتزام و اقتضاء الأسلوب. فكأنه قيل و لا ندخل المسجد و نحن جنب فليل نعم إلا عابري سبيل. و لمثل هذا الأسلوب البارع و هذه الدلالة بالإشاره الجميله نظائر فى بليغ الكلام منها ما ذكرناه فى الجزء الأول ص ١٥٥ من قوله تعالى فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ. و ما استشهد

به الفراء من قولهم:-

أعمى إذا ما جارتى برزت حتى يوارى جارتى الخدر

و يصم عما كان بينهما سمعى و ما بى غيره وقر

و «منها» ما جاء فى هذه الآيه و فى آيه الوضوء فى سورة المائدة من قوله تعالى فَتَيَمَّمُوا صِيْدًا طَيِّبًا فَامْسِسُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ فَإِنَّهُ بَدَلَالَهُ الْمَقَامِ وَ الْأَسْلُوبِ وَ قَوْلُهُ فَامْسِسُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ قَدْ اِكْتَفَى عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى (فَاضْرَبُوا بِأَيْدِيكُمْ عَلَى الصَّعِيدِ أَوْ مَسُوهُ وَ امْسَحُوا بِأَيْدِيكُمْ بِوُجُوْهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ) وَ ادْخَلَ فَاءَ التَّفْرِيعِ عَلَى الْمَسْحِ مَعَ أَنْ حَقَّهُ أَنْ يَعْطِفَ بِالْوَاوِ لَوْ لَا الْاِكْتِفَاءُ بِحَسَبِ بَرَاْعِهِ الْبَلَاغَةِ بِالْاِدْلَالَةِ الظَّاهِرَةِ لِأَهْلِ اللِّسَانِ وَ الذَّوْقِ الْعَرَبِيِّ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ وَ «مِنْهَا» مَا جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنَ الْعَطْفِ عَلَى الْمَحْذُوفِ الَّذِي يَدُلُّ عَلَيْهِ الْعَطْفُ وَ مَنَاسِبُهُ الْمَعْطُوفِ وَ مَا يُمَثِّلُهُ الْمَقَامَ لِلذَّهْنِ كَمَا سَتَسْمَعُ بَعْضَ أَمْثَلَتِهِ فِي آيَةِ الْوَضُوءِ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَ فِي الْمَقَامِ مَسَائِلُ ثَلَاثٍ - الْأَوَّلَى - لَا يَجُوزُ مَرُورُ الْجَنْبِ وَ كَذَا الْحَائِضِ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ. وَ الظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا خِلَافَ فِيهِ بَيْنَ الْإِمَامِيَّةِ وَ حِكْمَى غَيْرِ وَاحِدٍ عَلَيْهِ إِجْمَاعُهُمْ. وَ عَلَيْهِ صَحِيحٌ جَمِيلٌ وَ رَوَاتُهُ عَنْ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فِي الْجَنْبِ وَ

مرفوعه محمد بن يحيى عن أبي حمزة عن الباقر (عليه السلام) فى المحتلم فيهما انه لا يمر إلا متميما و كذا الحائض و لا بأس ان يمرا فى سائر المساجد.

و ما أخرجه ابو داود عن عائشه عن النبي (صلى الله عليه و آله) و وجوه بيوت أصحابه شارع في المسجد فقال وجهوا هذه البيوت عن المسجد فإنى لا أحل المسجد لحائض و لا جنب انتهى

فلم يستثن المرور بل لعل الحديث و نهيه ناظران إلى المرور كما يدل عليه ما يأتي فى المسألة الأخرى - الثانية - لا يدخل فى هذا النهى و التحريم رسول الله (صلى الله عليه و آله) او اهل بيته.

اخرج الترمذى فى فضائل على عن أبي سعيد قال قال رسول الله (صلى الله عليه و آله) لعلى يا على لا يحل لأحد ان يجنب فى هذا المسجد غيرى و غيرك. و فى اللالكى المصنوعه ذكر ممن أخرجه البيهقى فى سننه و البزار عن سعد عن رسول الله (صلى الله عليه و آله).

و أوله ضرار بن سرد و كذا فى اللمعات و المفاتيح بأنه لا يحل لأحد أن يستطرقة و يمر فيه جنبا غيرى و غيرك

و أخرج أحمد و عن النسائى فى الكبرى عن ابن عباس فى حديث قول رسول الله (صلى الله عليه و آله) سدوا الأبواب إلا باب على و كان يدخل المسجد و هو جنب ليس له طريق غيره.

و عن القول المسدد لابن حجر أخرج الطبرانى فى الكبير بسنده عن جابر بن سمره فى حديث سد الأبواب

فسدها غير باب علي و ربما مر و هو جنب. و أيضا

عن القاضي إسماعيل المالكي في كتاب احكام القرآن عن المطلب مرفوعا أن النبي (صلى الله عليه و آله) لم يكن يأذن لأحد أن يمر في المسجد و لا يدخل فيه و هو جنب إلا علي بن أبي طالب لأن بيته كان في المسجد.

و ذكر السيوطي في اللآلئ و الحموي في فرائد السمطين عن أبي نعيم بسنده عن بريده الأسلمي في حديث سد الأبواب إلا باب علي تركه النبي (صلى الله عليه و آله) مفتوحا فكان يدخل و يخرج منه و هو جنب.

و أخرج موفق بن احمد بإسناده عن أبي ذر في حديث الشورى قال لهم علي (عليه السلام) في مناشدته أ تعلمون أن أحدكم كان يدخل المسجد جنبا غيري.

عن ابن أبي شيبه في مسنده و البيهقي في سننه عن ام سلمه قالت خرج رسول الله (صلى الله عليه و آله) إلى صرحه المسجد و نادى ألا ان هذا المسجد لا يحل لجنب و لا حائض إلا النبي و أزواجه و عليا و فاطمه. و ذكره البيهقي

من وجه آخر و ضعفه و ليس في محله و فيه

إلا محمد و أهل بيته علي و فاطمه و الحسن و الحسين.

و يدل علي المسألتين في مسجد النبي (صلى الله عليه و آله) كلما جاء في سد النبي للأبواب الشارعه إلى مسجده إلا باب علي.

و قد تعنت ابن الجوزي فذكر الروايه لذلك بأسانيد متعدده عن سته من الصحابه و رماها بالضعف و عمدته ما عنده زعمه انها من وضع الرافضه قائلوا به حديث أبي بكر في الصحيح. و قد كفانا الله مؤنه الرد لتعنته بما ذكر في اللآلئ المصنوعه و حكاها فيها عن ابن حجر في القول المسدد في الذب عن مسند احمد: و قد وجدت روايته عن اكثر من عشرين صحابيا و الكثير من أسانيدھا من الحسان و فيها ما صححه الحاكم علي أصولهم فالحديث لا شك في انه مشهور ان لم يكن من المتواتر أو يقرب منه و هو مقام مشهوريته او تواتره لا يدخل في فن بعض المحدثين الذين همهم من الحديث سنده الأحادي الشخصي و إن كان مضطرب المتن واهيه أو كان له معارض حتى مما يروونه بل يدخل في فن طلاب الحقيقه من العلماء و الفقهاء الذين ينظرون إلى نتيجة العلم و أخذ المحصل مما جاء في الحديث و مستفيضه و مشهوره و متواتره- المسأله الثالثه- المحصل من حديث سد الأبواب و ما في الدر المنثور من روايه جابر و زيد بن حبيب أن تحريم المرور للجنب في مسجد النبي (صلى الله عليه و آله) من باب النسخ لا التخصيص. و في الجزء الأول ص ١٢٦ في قوله تعالى طَهَّرًا بَيْتِي ذكرنا روايات الحلبيين عن الصادق (عليه السلام) و مقتضاهما أن نهى الحائض و الجنب عن مطلق الدخول في المسجد الحرام ثابت من عهد ابراهيم و ليس بناسخ

حَتَّى تَغْتَسِبَ لِمَا الْغَسَلَ الرَّافِعَ لِحَدَثِ الْجَنَابَةِ الْمَانِعِ مِنَ الصَّلَاةِ وَ مِنَ الْكُونَ مَطْلَقًا فِي الْمَسْجِدِينَ غَيْرِ الْمُرُورِ وَ الْاجْتِيَازِ فِي سَائِرِ الْمَسَاجِدِ . وَ الْآيَةُ وَاضِحَةٌ الدَّلَالَةَ عَلَى كِفَايَةِ غَسْلِ الْجَنَابَةِ فِي الدَّخُولِ فِي الصَّلَاةِ وَ دَخُولِ الْمَسَاجِدِ إِذْ جَعَلَ الْاِغْتِسَالَ وَحْدَهُ غَايَةَ لِلنَّهْيِ - ثُمَّ شَرَعَ اللَّهُ التَّيْمِمَ فِي الْحَدَثِ الْأَكْبَرِ وَ الْأَصْغَرَ لِإِبَاحَةِ الصَّلَاةِ بِدَلَالَةِ الطَّهَارَةِ لَهَا بِالْمَاءِ فَقَالَ جَلَّ اسْمُهُ وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْمُضَى وَ جَوَابُهُ «فَتَيَمَّمُوا» وَ ذَكَرَ الْمَرْمُضَ يَشْعُرُ بِأَنَّ الْمَرَادَ مِنْهُ مَا يَضُرُّهُ التَّطَهُّرُ بِالْمَاءِ وَ فِي بَدَايِهِ ابْنُ رَشْدٍ نَسَبَ جَوَازَ تَيَمِّمِ الْمَرِيضِ وَ إِنْ وَجَدَ الْمَاءَ إِلَى الْجَمْهُورِ وَ لَمْ يَذَكَرِ الْخِلَافَ إِلَّا عَنْ عَطَا . وَ فِي مَعْتَبَرِ الْمُحَقِّقِ وَ يَجُوزُ التَّيْمِمُ لَوْ مَنَعَهُ مِنَ اسْتِعْمَالِ الْمَاءِ مَرْمُضٌ وَ هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْعِلْمِ الْأَطَاوُوسِ وَ مَالِكًا . وَ فِي تَذَكُّرِهِ الْعَلَامَةِ فِي الْمَرِيضِ الَّذِي يَخَافُ التَّلْفَ أَوْ سَقُوطَ عَضْوِ أَوْ بَطْلَانِ مَنْفَعِهِ عَضْوَانَهُ يَجِبُ عَلَيْهِ التَّيْمِمُ بِإِجْمَاعِ الْعُلَمَاءِ . وَ مَرَادُهُ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ أَنْتَهَى وَ

فِي الْفَقِيهِ قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) إِنْ فَلَانَا أَصَابَتْهُ جَنَابَةٌ وَ هُوَ مُجَدُّورٌ فَغَسَلُوهُ فَمَاتَ فَقَالَ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قَتَلُوهُ إِلَّا سَأَلُوا أَلَا يَيْمُمُوهُ إِنْ شَفَاءَ الْعَى السُّؤَالِ . وَ رَوَاهُ فِي الْكَافِي مَسْنَدًا عَنْ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) .

وَ رَوَى أَيْضًا عَنْ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَنْ رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) عَنْ مُجْرُوحٍ اجْتَنَبَ فَأَمَرَ بِالْغَسْلِ فَاجْتَسَلَ فَمَاتَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ) قَتَلُوهُ إِنْ مَا كَانَ دَوَاءَ الْعَى السُّؤَالِ .

وَ أَخْرَجَ الْحَاكِمُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا إِذَا كَانَ بِالرَّجْلِ جِرَاحَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْقُرُوحُ أَوْ الْجُدْرَى فَيَجْتَنِبُ فَيَخَافُ إِنْ اغْتَسَلَ أَنْ يَمُوتَ فَلْيَتَيَمَّمْ . وَ إِنْ ظَهَرَ الْآيَةُ بِكَوْنِ الْمَيْحِ لِلتَّيْمِمِ فِي الْمَرْمُضِ خَوْفَ الضَّرْرِ لِيَمْنَعُ أَنْ يَقِيدَ فِي هَذَا الْحَالِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً بَلْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَقَامَ خَوْفِ الضَّرْرِ سَبَبٌ مُسْتَقِلٌ لِلانْتِقَالِ إِلَى التَّيْمِمِ . نَعَمْ لَا يَنْتَقِلُ مَعَ عَدَمِ خَوْفِ الضَّرْرِ إِلَّا إِذَا لَمْ يَجِدِ الْمَاءَ أَوْ عَلَى سَائِرِ أَيْ عَلَى حَالِ سَفَرٍ كَمَا تَقُولُ أُتَيْتَهُ عَلَى شَوْقٍ إِلَيْهِ أَوْ عَلَى رَغْبَةٍ أَوْ كَرِهَ . وَ الْمَرَادُ مِنَ السَّفَرِ مَعْنَاهُ اللَّغْوَى وَ إِنْ كَانَ دُونَ الْمَسَافَةِ الشَّرْعِيَّةِ لِقَصْرِ الصَّلَاةِ بَلْ وَ إِنْ كَانَ سَفَرٌ مَعْصِيَهُ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ الْغَائِطِ الْمَوْضِعِ الْمُنْخَفِضِ وَ الْمَطْمِئِنِّ مِنَ الْأَرْضِ وَ أَهْلِ الْبَادِيَةِ وَ الْقُرَى الصَّغِيرَةِ يَقْصِدُونَهُ عِنْدَ قِضَاءِ الْحَاجَةِ فِي التَّخْلِى لِلتَّسْتَرِ . وَ هُوَ كُنَايَةٌ مَعَارِفُهُ فِي قِضَاءِ الْحَاجَةِ بِمَا يَخْرُجُ مِنَ السَّبِيلِينَ مِنَ الْعِذْرَةِ وَ الْبَوْلِ . وَ مِنْ بَابِهِ قَوْلُ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ «خَرَجْتَ إِلَى الْوَهْدَةِ أَتَيْتَ مِنَ الْوَهْدَةِ» وَ مِنْ بَابِهِ مَا يَقَالُ فِي الْاسْتِعْمَالِ الْفَارْسِيِّ «كُنَارَ آبٍ» وَ الْمَرَادُ جَاءَ مِنَ الْغَائِطِ بَعْدَ قِضَاءِ حَاجَتِهِ مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْهِ . وَ لِأَجْلِ الْمُبَالَغَةِ فِي

حشمة

الخطاب و نزاهته كما هو المعهود من كرامه القرآن في أسلوبه لم يقل على نهج سائر الجمل «أو جئتم من الغائط» بل قال «أحد منكم» على صورته التنكير والإبهام حفظاً للحشمه أو لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ و المراد منه الجماع كقوله تعالى بِاشْتِرَاهُنَّ. وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ. تَمَسُّوهُنَّ. يَتَمَاسًا. و قول مريم يَمَسُّنِي مع ان الملامسه اقرب في الكنايه إلى الجماع من المس لأنها مفاعله من اللمس الذي هو مس بقصد الإحساس فاللامسه تمثل الحاله الجماعيه بين الرجل و المرأه في قصدهما التلذذ بالإحساس في مباشرتهما. و

في الدر المنثور ذكر من اخرج عن علي (عليه السلام) اللمس هو الجماع.

و عن ابن عباس في قوله تعالى أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ قال هو الجماع.

و في التهذيبي في الموثق عن الباقر (عليه السلام) قوله و ما يعنى بهذا أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ إلا المواقع في الفرج.

و في تفسير البرهان عن الشيخ الطوسي و لم أجده عاجلا في الصحيح عن الصادق (عليه السلام) قال لمس النساء الإيقاع بهن. و روى نحوه العياشي عن منصور و الحلبي و قيس بن رمانه عن الصادق (عليه السلام).

و قد صح و استفاض عن الباقر و الصادق ان لمس المرأه بغير الجماع لا ينقض الوضوء

و على ما ذكرنا اجماع الإماميه و اليه ذهب ابو حنيفه و أصحابه. و ذكرت ملامسه النساء و جماعهن بعد ذكر الجنب من باب النص على الخاص بعد العموم لئلا يتوهم أن الجنابه الاختياريه بمقاربه النساء لا تدخل في رخصه التيمم فيلزم الإنسان ان يمتنع في مظان عدم وجدان الماء اذن فليس هذا من باب التكرار كما توهمه بعض فلم تجدوا ماءً تصلون إلى التطهر به بالغسل أو الوضوء فليس من ذلك وجوده في البئر مثلا مع عدم الوصله اليه. هذا ما يقتضيه سوق الكلام لا حمل عدم الوجدان على ما يشمل عدم التمكن من استعماله لمرض و نحوه فإنه تقييد لا دليل عليه او تجوز بعيد جدا فَيَتِيمُوا اي اقصدوا و التيمم في اللغه القصد. قال امرؤ القيس:-

تيممت العين التي دون ضارج (١) يفىء عليها الظل عر مضها (٢) طامي (٣)

و قال الأعشى:-

تيممت قيسا و كم دونه من الأرض من مهمه (٤) ذى شزن (٥)

و من هذه الآيه و أختها في سوره المائده و استعمال المتشرعه لفظ التيمم في مقام الطهاره.]

ص: ١٢٦

١- اسم موضع

٢- العرمض هنا الطحلب

٣- طمي طال و ارتفع

٤- الأرض المقفّره

٥- الشزن غلظ الأرض [.....]

الترايبه صار التيمم عند المتشرعه اسما لها صَـ عِيداً في التبيان الصعيد وجه الأرض غير نبات و لا شجر قال الزجاج لا اعلم خلافا بين اهل اللغه في أن الصعيد وجه الأرض سواء كان عليه تراب او لم يكن انتهى و تبعه في النقل عن الزجاج في مجمع البيان و قال و بهذا يوافق مذهب أصحابنا في ان التيمم يجوز بالحجر سواء كان عليه تراب او لم يكن و قال في التذكرة في ذلك عند علمائنا أقول و بحسب التتبع في التذكرة في مثل هذه العبارة يشك في نقله بها لإجماعنا. و نقل المنع عن التيمم بالحجر عن المرتضى في شرح الناصريات و لكن كلامه على الجواز ادل. و عن الغنيه و الظاهر ان كلامه و إجماعه ناظران إلى مثل الكحل و الزرنيخ. و في الروضة ان المنع من التيمم بالحجر مطلقا حتى مع فقد التراب لا- قائل به انتهى نعم ذهب جماعه منا إلى جواز التيمم بالحجر عند فقد التراب و لعل هذا القيد منهم للاحتياط و إلا فلا دليل عليه إن لم يكن الحجر مصداقا للصعيد و الاستناد إلى الإجماع له موهون بأن اكثر القائلين بجواز التيمم به او جلهم يقولون بذلك لكونه مصداقا للصعيد فلا يلتزم من المجموع اجماع كاشف. و أما

قوله (صلى الله عليه و آله) في بعض الروايات جعلت لى الأرض مسجدا و ترابها طهورا

فلم يصح و لو صح لما قيد اطلاق الصعيد في الآيه و الأرض في الروايات لأن شرط التقييد التنافي و جعل التراب طهورا لا ينافى جعل الصعيد و مطلق الأرض طهورا. و في معتبر المحقق الصعيد هو وجه الأرض بالنقل عن فضلاء اللغه ذكر ذلك الخليل و ثعلب عن ابن الأعرابي و يدل عليه قوله تعالى فتصبح صعيدا زلعا اي أرضا ملساء مزلقه انتهى و أما الزرنيخ و الكحل فهما كالملح و سائر المعادن ليسا من مصاديق الصعيد و الأرض و ان تولدا منها و «او» في الآيه لبيان الأقسام التي شرع التيمم في كل واحد منها فإن الواو توهم اشتراط الاجتماع لهذه الأمور مع عدم وجدان الماء في صحه التيمم. و قد قدمنا أن قوله تعالى وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ وَاحِدًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ كُنْتُمْ عَلَىٰ كَفٍّ حَدِيدًا وَ كُنْتُمْ عَلَىٰ كَفٍّ حَدِيدًا دلاله الحديث على أن المنشأ فيه للانتقال إلى التيمم هو خوف الضرر من الماء فيكون ذلك قرينه على أن عنوان المرضي في الآيه غير مقيد في أسلوب لفظها بعدم وجدان الماء و إن كان من لا يخشى الضرر من استعماله يشترط في جواز تيممه عدم وجدان الماء بفحوى الآيه و دلالتها على ان التيمم بدل عذري يدور مدار ما جعل عذرا. و أما باقي الخصال فهي بما جمعها مقيده بعدم وجدان الماء بمقتضى

دلالة الآيه بحسب الوضع اللغوي لأن الصحيح في المسألة الأصولية و المتبادر هو رجوع هذا القيد و أمثاله الى الجميع عملا باطلاقه الوضعي ما لم تقم قرينه في بعضها على عدم تعلقه به في أسلوب اللفظ كما في المرضي (1) و يعضد الإطلاق المذكور في الآيه و يشهد له اجماع المسلمين و حديثهمرق

ص: ١٢٨

١- و زعم صاحب المنار في تفسيره و استاده على ما حكاه عنه أن التقييد في الآيه بعدم وجدان الماء يختص بمن جاء من الغائط و ملامس النساء دون المريض و دون المسافر. و غايه ما ذكره عن اسناده مستندا لزعمه هو ان هذا هو ما يفهمه القارئ من الآيه نفسها و أطال الكلام في التعريض بالمفسرين و من يفسر الآيه بغير ما زعمه. و غايه ما عند التلميذ هو انه ان قيل في المسألة أن القيد المتعقب لأمر تصلح لأن تقيد به انما يرجع للأخيره لم يرجع التقييد بعدم الوجدان الى المسافر. و ان قيل برجوعه الى الجميع فهو مشروط بعدم المانع و المانع من رجوعه الى المسافر موجود و هو انه لا يظهر لاشتراط فقد الماء لتيمم المسافر دون المقيم. ثم عقب هذا في الصفحه الثانيه باستحسان التوسعه على المسافر بالتيمم و ان وجد الماء قياسا على قصر الصلاه و الإفطار في السفر. و قال بذلك في آيه الوضوء و التيمم في سوره المائده و انه يجوز للمسافر ان يتيمم بدل الوضوء و ان وجد الماء. فنقول ان المسافر في هذه الآيه يشمل من اجنب باحتلام او بلامسه النساء و ان من لامس النساء الذى يعترف باشتراط تيممه بفقدان الماء يشمل الحاضر و المسافر فإن جعلنا كلا من المسافر و ملامس النساء مخالفا للآخر في التقييد و الإطلاق و الحكم تعارضا في ملامس النساء في السفر فهل في الآيه دليل على تقديم احد العامين من وجه على آخر اذن فما هو. او هي مجمله معناه المراد و ان كانت في مقام البيان و التعليم. و مع ذلك يخرج من مضمونها المحتمل في الحضر. و تزيد آيه المائده بأن المسافر على زعمه يعم من جاء من الغائط و من كان محدثا بالنوم و ان الجائى من الغائط يعم المسافر و الحاضر فيتعارضان بحسب الإطلاق و التقييد في المسافر الجائى من الغائط فيسأل ايضا بمثل السؤال المتقدم. و هذا يوجب الإعضال و الاشكال الشديدين في الآيه التى هي للبيان و التعليم. و يلزم من ذلك ايضا بقاء المحتمل في الحضر و كذا المحدث بالنوم لا حكم لهما في الآيه في التيمم مع انها قسمان لا يستهان بهما في هذا المقام لكننا نقول أن العنوان لمن كان على سفر في الآيتين لم يذكر لامتياز المسافر عن الحاضر في حكم الآيتين بل لأجل ان قوله تعالى في الآيه قبل ذلك **وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ** يشير بمورده عند النزول إلى الحضر لان المساجد لم تكن حينئذ في طرق

كما جمع بعضه في الوسائل في أبواب التيمم. و منه ما

في الكافي و التهذيب في الصحيح عن زراره عن أحدهما «يعنى الباقر و الصادق (عليه السلام)» قال إذا لم يجد المسافر الماء فليطلب ما دام في الوقت فإذا

-

المسافرين بل لأجل ان هو الغالب من احوال المكلفين فربما يتوهم من ذلك اختصاص حكم التيمم بالحاضرين فذكر من كان على سفر لأجل النص على عموم الحكم للحاضر و المسافرين. و كذا الكلام في آيه المائدة بالنظر الى ان حاله الغالبه هي الحاضر. و ان السفر مظنه لفقدان الماء اكثر من الحاضر فيظهر فيه مقام الامتنان و الفائده بتشريع التيمم و لئلا يتوهم المنع من اختيار السفر عند العلم و الظن بفقدان الماء و لو لبعض الفرائض. و عنوان ملامسه النساء هو لبيان عموم الامتنان بالتيمم حتى مع كون الجنابه اختياريه تسوق إليها الشهوه و هذا هو الذى يفهمه السلف و الخلف ممن انعقد منهم الإجماع على خلاف ما يقوله مفسر المنار و استاذه و خلاف مما ذكرناه مما يلزم تفسير المنار. اذن فلا اشكال و لا إعضال في الآيتين و لا تعارض و لا إبهام في مقام البيان و لا إهمال لما أشرنا اليه من اقسام المسأله.

و اما بناء المنار للمسأله على رجوع القيد الى الجملة الأخيره فهو مع فساد المبنى فاسد البناء لأنه ملتزم برجوع بفقدان الى ما قبل الأخيره و هو قوله تعالى أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ و ان خصه بزعمه في الحاضر فما ذا الذى دل على رجوع القيد هنا الى ما قبل الأخيره فإن قال الإجماع من علماء الإسلام قلنا ان هؤلاء مجمعون ايضا على رجوع القيد الى المسافر فكيف تحتج في مقام بإجماعهم و في مقام تسميهم ادعاء العلم و تقول في شأنهم «المقلد لا يحتاج لأنه لا علم له» و ان قال الحديث قلنا له أنت و صفتهم بالمفتونين بالروايات فلما ذا صرت مثلهم ام تحل لنفسك ما تحرمة على غيرك. تلك اذن قسمه ضيزى. و اما بناؤه على وجود المانع من رجوع القيد «و هو عدم وجدان الماء» الى من كان على سفر. فقد احتج فيه على ان المانع هنا هو انه لا يظهر وجه لاشتراط فقد الماء للمسافر دون المقيم: و يرد عليه ان عنوان المسافر فى الآيه انما جاء كما ذكرناه للنص على عموم حكم التيمم له و لبيان الامتنان و لرفع توهم الخطر بالسفر مع العلم بفقدان الماء فيه او الظن به فمن اين يجئ ما تحكم به من المانع و لو كان العنوان فى الآيه يلزم منه اشتراط فقدان الماء دون العنوان المخالف له لعاد عليه الكلام فيمن جاء من الغائط فإنه لا يظهر وجه لاشتراط فقدان الماء به دون المحدث بالنوم و كذا ملامس النساء دون المحتلم. و هل يسعه الا ان هذه العناوين ذكرت لنكت اقتضت النص عليها لا لاشتراط فقدان الماء بها دون المحدث بالنوم و الجنب بالاحتلام فى الحاضر. اذن فلما ذا يغفل عن ذلك فيمن كان على سفر. و اما استحسانه للتوسعه على المسافر على قصر الصلاه و الإفطار فقد شد فيهما فإن القائل بالقياس و الاستحسان لا يقول بهما مع مصادمه

خاف ان يفوته الوقت فليتمم و يصلى.

و فى التهذيب فى المعتبر المعمول عليه عن السكونى عن الصادق عن أبيه عن على امير المؤمنين (عليه السلام) قال يطلب الماء فى السفر ان كانت حزونه فغلوه و ان كانت سهوله فغلوته الحديث. و ذكره فى كثر العمال و مختصره مما أخرجه ابو خلف العسكرى عن على (عليه السلام)

و فيهما مما

أخرجه ابن سعد و عبد ابن حميد و ابن جرير و القاضى إسماعيل فى الأحكام و الطحاوى و الدارقطنى و البيهقى عن الاسلع ابن شريك ما ملخصه ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال له قم يا اسلع فارحلتن قال اصابتنى جنبه فنزلت آيه التيمم و علمه إياه رسول الله (صلى الله عليه و آله) ثم ساروا حتى مروا بماء فقال (صلى الله عليه و آله) له يا اسلع امس هذا جلدك.

و أخرج احمد و الترمذى و عن ابن حبان فى صحيحه عن أبى ذر عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) الصعيد الطيب وضوء المسلم و ان لم يجد الماء عشر سنين فإذا وجد الماء فليمسه بشرته و فى روايه الترمذى ظهور المسلم.

و اخرج احمد عن أبى ذر فيما وقع فى نفسه من تيممه أياما حينما اجنب و قد كان غرب عن الماء ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال له ان الصعيد الطيب ظهور ما لم تجد الماء إلى عشر حجج فإذا وجدت الماء فأمس بشرتك. و اخرج نحوه الحاكم فى مستدركه و ذكر فى كثر العمال و مختصره إخراجهم عن عبد الرزاق و ابن أبى منصور.

طَبِيباً جاء فى القرآن الكريم بلد طيب. و البلد الطيب. و كلمه طيبه. و الكلم الطيب. و ريح طيبه.

و مساكن طيبه. و حياه طيبه. و وصف المال الحلال بالطيب و الحرام بالخبيث كما فى قوله تعالى فى الآيه الثانيه من السوره وَ لَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ. و

فى النهايه فى الحديث فى شأن عمار قوله (صلى الله عليه و آله) مرحبا بالطيب. و نهى ان يستطيب الرجل بيمينه

اى يستنجى أقول و المستفاد من تتبع موارد الاستعمال ان الطيب هو الخالص المنزه عما يستخبث او يكره بحسب حاله او ما يراد منه و يرغب به فيه. و لم أجد عاجلا مما يؤثر عن الرسول الأكرم و الصحابه الكرام و الأئمه الهداه شيئا يتعلق بتفسير الطيب فى الآيه. و الظاهر ان استعمال الطيب فيما ذكرناه من الموارد إنما هو من استعمال المشترك المعنوى فى معناه الواحد الذى له اصناف من المصاديق فتستفاد إرادته المصداق فى صنفه من مناسبات مقام الاستعمال على ما استظهرناه فى معنى الطيب.

~

الإجماع و الدليل لهما. و لم اقصد بكلامى هذا محاجه صاحب المنار ...

بل ذكرته خدمه للعلم و الحقيقه. اللهم وفقنا لتدبر القرآن و اتباع سبيل المؤمنين

و انب ما يكون فى هذا المقام هو استفاده الطهاره و الحل. اما الطهاره فيشهد لها ما صح و استفاض بين المسلمين من

قوله (صلى الله عليه و آله) خلقت لى الأرض مسجدا و طهورا.

لا لما يقال من ان طهورا مبالغه فى الطاهر و معنى المبالغه ان يكون مطهرا. فإنه ممنوع لأن المبالغه فى الصفه القاصره كالطاهر لا تقلبها إلى المتعديه كالمطهر. نعم لفظ الحديث يشير إلى معنى المطهر باعتبار ان الطهور اسم لما يتطهر به كالوقود و السحور و السعوط و نحوها بفتح أولها فتستفاد الطهاره من ذلك. لأن مما لا يدعن به الذهن و لا يستقيم فى الفهم ان يكون ما يتطهر به غير طاهر و ان كان تطهيره معنويا. و لا بد من جريان الحديث على ما يقتضيه الذهن و الفهم من طهاره المطهر كما هو اللازم فى حكمه الخطاب. فتكون الطهاره من وجوه الطيب فى الآيه. و الظاهر اجماع الإماميه على اعتبار الطهاره فى الصعيد. و الظاهر اجماع المسلمين على اشتراط إباحتها و عدم جواز التيمم بالمغصوب. و يعضده الإجماع على ان التيمم بجميع أفعاله عبادته و منها الضرب على الصعيد او وضع اليد عليه و ان كان على الحجر للتيمم. و هذا الضرب او وضع اليد على غير المباح تصرف غضب و الغضب منهى عنه و لا يكون عبادته. و هذا أيضا بين وجهها من وجوه الطيب فى الآيه و هو الإباحه فَأَمَّا جُحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ و لا ينبغى الشك فى ان يكون اللازم فى دلالة الآيه ان يكون هناك شىء يمس به الصعيد فيمسح بالوجه و اليدين.

و بالنظر إلى المتعارف فى الأعمال و دلالة المقام ان ذلك هما اليدان. و

فى الجوامع الستة و عن ابن أبى شيبه عن عمار فى حديث تيممه ان رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال له إنما يكفيك ان تقول هكذا ثم ضرب يديه الأرض فمسح بهما وجهه و كفيه. و استفاضت روايه ذلك من طرق الإماميه عن الباقر و الصادق (عليه السلام)

لكن

فى صحيحه الفقيه عن زراره عن الباقر (عليه السلام) عن تيمم رسول الله فوضعهما على الصعيد ثم مسح بهما جبينه.

و فى آخر السرائر من كتاب ابن بكير عن زراره عن الباقر (عليه السلام) ثم مسح بجبينه ثم مسح كفيه كل واحده على ظهر الأخرى.

و اخرج الحاكم و عن الطبرانى عن ابن عمر عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) قال التيمم ضربتان الحديث.

و اخرج الحاكم عنه أيضا تيممنا مع رسول الله (صلى الله عليه و آله) فضربنا ضربه بأيدينا على الصعيد- ثم ضربنا ضربه أخرى الحديث.

و استفاض عن الأئمه (عليه السلام) ذكر الضرب على الأرض أو الوضع عليها فى

أفعال التيمم بل في الروايات جعل ذلك هو العنوان للتيمم كما احصى بعضه في الوسائل في الحادى عشر و الثانى عشر من أبواب التيمم. و لأجل التفنن ببراعه التعبير و حسن الاكتفاء اكتفى القرآن الكريم بدلاله الأسلوب و المقام بذكر تيمم الصعيد الطيب و ذكر الممسوح به و مجرى العاده فى مزاوله الأعمال باليد و استغنى ذكر الضرب على الصعيد او مسه بباطن الكفين و مسحهما ببعض الوجه و بالبعض الآخر من اليدين و اقتصر على قوله تعالى فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ. و من المعلوم ان المعانى تختلف باختلاف التعبير و جهات التعلق فقول القائل امسح وجهك بيدك يقضى بمسح جميع الوجه تحصيلاً لمسمى الاسم (1) بما يحصل به المسح من بعض اليد. و ذلك لمكان الباء التى هى للآله كما يقال امسح وجهك بالمنديل. و فى قول القائل امسح يدك بوجهك يقضى باستيعاب ما ينبغى مسحه من اليد و هو ما يلاقى الصعيد بالضرب و بأن مسحها ببعض الوجه لمكان الباء التى هى للآله. فإن قلت.

ان المقصود هو مسح بعض الوجه لا- كون الوجه آله لمسح اليدين. قلنا. لو سلمنا ذلك لم يناف دلاله اللفظ و قوانين اللغه و صوغ التركيب ان يكنى بذلك عن التبعض فى الوجه.

و يبين به ان الممسوح من اليدين هو ما مس الصعيد و الممسوح به منهما هو ما لم يمسه فكشف الله جل اسمه عن المراد المحتاج الى العبارة الطويله بالإتيان بباء الآله. و هذا هو المحصل من

صحيحه زراره لما سأل الباقر (عليه السلام) عن الحججه على كون المسح فى الوضوء لبعض الرأس فقال (عليه السلام) ما حاصله ان الله تعالى قال فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ فَاعْرِفُوا أَنَّ يَنْبَغِي أَنْ يَغْسَلَ ثُمَّ قَالَ وَ أَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ فوصلهما «اى بالعطف و النسق و التسميه» بالوجه فعرفنا انه ينبغى لهما أن يغسلا ثم فصل بين الكلامين «اى بأسلوب التعبير» فقال وَ امْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ فَاعْرِفُوا أَنَّ الْمَسْحَ بِبَعْضِ الرَّأْسِ لِمَكَانِ الْبَاءِ.

اى لكون الباء بحسب السوق هى التى تدخل على الآله كما حفظ (عليه السلام) صورته ذلك بقوله (عليه السلام) ان المسح ببعض الرأس.

ثم طرد الكلام (عليه السلام) الى التيمم و أشار الى مكان الباء و وصل اليدين فى الأسلوب و النسق بالعطف بمدخول الباء و هى الوجوه.

هذا و قال الجمهور من اهل السنه بمسح الرأس كله. و هذا مناف لما ذكرناه من وجه الدلاله الذى هو ابلغ من التصريح. و أما ما ورد فى حديثهم مما يوهم الإطلاق فى الوجه فإنه يجبجه

ص: ١٣٢

١- ما لم تقم قرينه على الاكتفاء بمسح بعضه كما إذا كان ما تطلب إزالته بالمسح المطلوب كالعرق او الوسخ متعلقا ببعض الوجه

تقييده بدلاله الآيه و حكى فى التذكرة عن أبى حنيفه انه يجوز ان يترك من ظاهر الوجه دون الربع و فى روايه عنه لو مسح اكثر الوجه اجزأه. فكانه أخذ فى ذلك بالمتيقن من مفاد الآيه و حكى ابن رشد فى بدايته ان مشهور المذهب و به قال فقهاء الأمصار منهم ان مسح اليدين هو الى المرافق كالوضوء. و هذا مخالف لدلاله الآيه على البعض و على ان الممسوح ما مس الصعيد و الممسوح به ما لم يمسه. مضافا الى انه لو اريدت الأيدى بأجمعها الى المرافق لعبر بعبارة الوضوء و لكن لكل عبارته فى القرآن مدلول و لكل مراد عبارته. و مخالف ايضا للمتفق على صحته عندهم و عند الإماميه و هو ما ذكرنا من

حديث عمار هو أن رسول الله (صلى الله عليه و آله) فى تعليمه التيمم مسح كفيه

و أما حديث المرافق فقد ضعفه احمد و ماذا له من الأثر فى نفسه فضلا عن مصادمته بالآيه و الحديث الصحيح. و حكى ابن رشد انهم عضدوا حديثهم الضعيف بالقياس على الوضوء أقول و يا له من قياس مخالف للآيه و الحديث المتفق على صحته فضلا عما صح من طرق الإماميه فى مسح الجبهه و ظاهر الكفين و للكلام فى التيمم تتمه تأتى ان شاء الله فى آيه المائدة إِنَّ اللَّهَ كَانَ مِنَ الْأَزَلِ وَ لَا يَزَالُ بِرَحْمَتِهِ وَ غَنَاهُ عَفْوًا غَفُورًا فَهُوَ الرَّحِيمُ الْمَوْسِعُ الْمَيْسِرُ عَلَى عِبَادِهِ

سوره النساء (٤): آيه ٤٤

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَهَ وَ يُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ (٤٤)

٤٤ أَلَمْ تَرَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قد يقال ذلك كما فى الآيه فى مقام الإنكار على ما يذكر من الفعل و التسفيه لفاعله إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يريد المعاصرين لرسول الله (صلى الله عليه و آله). و أشار جلّ اسمه الى ان هؤلاء لم يصل إليهم من الكتاب الإلهى المنزل على أسلافهم الا بعضا و نصيبا من انقاضه التى بقيت بعد تلف الباقي و تحريفه فإنه قد بقيت منه بعض الكلمات فى التوحيد و النبوه و نبوه موسى و عيسى و ان عيسى رسول الله و عبده و بعض احكام القصاص فى التوراه. و البشرى برسول الله و قرآنه و انه كلام الله يجعله فى فم رسوله. و اما الباقي و هو الجمل فقد عبث به التلف و التحريف ما شاءت الأهواء و الشرك كما أشرنا الى بعض ذلك فى كتاب «الهدى» و «الرحله المدرسيه» و فى مقدمه من هذا التفسير يَشْتَرُونَ الضَّلَالَهَ و فى مقدمتها الشرك و يطلبونها على عمد و غى و يبذلون بإزاء خسيسها المهلك أعلى الأمور و أغلاها من التوحيد و صلاحه و الهدى و اسباب السعاده و الكمال و حسن الاجتماع بالعدل و الإصلاح

الحقيقى وَ فوق ذلك يُرِيدُونَ من غيرهم و انهماكهم بالضلال أَنْ تَضَلُّوا السَّبِيلَ المستقيم الذى هداكم الله بلطفه اليه و أوضح منهجه و أنار اعلامه فحظيتم بالتوفيق لحقيقه الإيمان و دين الهدى و شريعه الحق فلا يغوكم بضلالهم و ان أظهروا لكم بنفاقهم مخادعات النصيحة و الموده و الولاء و النصره فإنهم عدو لكم

سوره النساء (٤): الآيات ٤٥ الى ٤٦

وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَ كَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا (٤٥) مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ يَقُولُونَ سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ اسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَ رَاعِنَا لِيَّا بِاللَّسْتِنْتِهِمْ وَ طَعْنَا فِي الدِّينِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ اسْمِعْ وَ انْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَ أَقْوَمَ وَ لَكِن لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤٦)

٤٥ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَ كَفَى بِاللَّهِ إِلَهَ النَّاسِ وَ خالقهم القاهر القادر وَلِيًّا للمؤمنين وَ كَفَى بِاللَّهِ كَرَّرَ ذَلِكَ للتأكيد و ملاً القلب بكفايته و كرر اسم الجلاله اشاره الى عظمه الإلهيه و قدره الله فى كفايته و نصره جل اسمه نَصِيرًا ٤٦ مِنَ الَّذِينَ من لتبين «الذين أوتوا» و لا يضر الفصل بالآيه المتوسطه و الاعتراض بجملها كما يعترض كثيرا بالدعاء و نحوه مع اتساق الكلام و تناسب أطرافه. و قيل ان «من الذين» خبر مقدم و المبتدأ محذوف و جمله «يحرفون» صفه و التقدير قوم يحرفون. و فى مجمع البيان كما قال ذو الرمة: «فظلوا و منهم دمه سابق له» اى من دمه سابق له. و انشد سيبويه

فما الدهر الا تارتان فمنهما أموت و أخرى أبتغى العيش أكدح

أى فتاره منهما. لكن فى هذا الحذف تكلفا لا يناسب كرامه القرآن هادوا و هم اليهود لأنهم انتسبوا الى مملكه يهودا بعد ان اضمحلت سائر الأسباط من بنى إسرائيل و باد ملكهم الوثنى و جامعتهم بسبى الآشوريين و قتلهم لهم يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَ يَقُولُونَ من تمردهم فى الضلال سَمِعْنَا وَ عَصَيْنَا وَ اسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ بفتح الميم الثانيه و هو دعاء على من يخاطبونه كقوله اسمع لا سمعت وَ رَاعِنَا قد مر تفسير هذه الكلمه فيما يريدونه منها فى الجزء الأول ص ١١٣ و ١١٤ و أظنهم يقولون «و عصينا. و غير مسمع. و راعنا» بنحو من لحن التحريف و مناحى الالغاز و اللهجه لِيَّا بِاللَّسْتِنْتِهِمْ وَ طَعْنَا فِي الدِّينِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا اختيارا للهدى على الضلال سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ اسْمِعْ منا ما نقول فى مقام الإيمان و الاهتداء وَ انْظُرْنَا باللفظ و العنايه بهمزه الوصل و ضم الظاء المعجمه و هو المعنى الذى كانوا يغالطون فيه فى قولهم راعنا

من المراعاة والملاحظه وهى من النظر الذى فيه عنايه و لطف. و كذا قوله تعالى فى سورة البقره لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَ قُولُوا انظُرْنَا
اى بدلوا كلمه «راعنا» بما هو بمعناها و هو قولكم انظرنا لئلا يتخذها اليهود وسيله لسب رسول الله (صلى الله عليه و آله) كما
تقدم. و قال بعض «أنظرنا» بمعنى انتظرنا و أمهلنا و لكنه شذوذ عن مجرى الكلام و وجهه ان ساعدت اللغه لكان ذلك خيراً لهم
إذ يلقون بسعادتهم قياد السمع و الطاعه الى رسول الله هادى البشر و مبلغهم عن الله ما فيه الصلاح و السعاده و الوصول الى
الحقيقه و حقيقه الإيمان و معارف الحق و شريعته و أقوم و اعدل و لكن لا يزالون متمردين على الحق معرضين عنه بعصبيتهم و
أهوائهم و عنادهم قد حرموا أنفسهم بتمردهم لطف التوفيق و رحمه الهدايه و الإيصال فطردهم الله لذلك عن رحمته التى
عاندها و اعرضوا عنها و لعنهم الله بكفرهم اى بسبب كفرهم عن عناد و محاده لله و رسوله بعد ما تجلت لهم الآيات و قامت
عليهم الحجة فلا يؤمنون إلا قليلاً منهم من لم يتوغل فى التمرد على الحق و لم يتهود فى عناده للحجه و لا فى المحاده لله و
رسوله

سوره النساء (٤): آيه ٤٧

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا
أَصْحَابَ السَّبْتِ وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا (٤٧)

٤٦ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آتُوا الْكِتَابَ نسب إيتاء جنس الكتاب الإلهى إليهم باعتبار إيتائه لأسلافهم حينما كان الكتاب فى أول أمره
مصوناً عن النقصان المحل و التبديل و التحريف و الضياع و الزيادة. و أما المعاصرون لرسول الله فالذى أتوه انما هو نصيب من
الكتاب كما تقدم فى الآيه السابقه آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا على رسول الله محمد (صلى الله عليه و آله) من القرآن الكريم الذى سبقت
لكم البشرى به فى التوراه و قد حفظ الله بعنايته هذه البشرى الى يومكم هذا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ فى توراتكم من البشرى به و
برسوله بكونه المصدق الذى تنطبق عليه و على رسول الله تلك البشرى الكريمه الساميه او مصدقا لما معكم من اسم التوحيد و
رساله الأنبياء و بعض الحقائق التى لم يشوهها التحريف فاغتنموا سعادتكم بهذا الإيمان مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ بكسر الميم و ماضيه
طمس بفتحها يستعمل قاصراً كما فى كثير من الشعر و الكلام و متعدياً كما فى الآيه و قوله تعالى فى سورة القمر.

فطمسنا أعينهم. و يعدى بعلى كما فى قوله تعالى فى سورة يس لَطَمْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ. و فى سورة يونس أطمس على أموالهم. فى
التيبان و الطمس هو الدثر و هو عفو الأثر و الطامس و الدائر و الدارس

بمعنى واحد و تبعه على ذلك فى مجمع البيان. قلت و الظاهر ان الألفاظ الثلاثة متقاربه المعنى لا مترادفه و فسرته فى القاموس و المصباح بالمحو و الدروس و فى التبيان اى نمحو آثارها حتى تصير كالقفا و نجعل عيونها فى قفاها فتمشى القهقرى. و نسبه فى مجمع البيان الى ابن عباس و عطيه العوفى و فى الدر المنثور أخرجه ابن جرير و ابن أبى حاتم من طريق العوفى عن ابن عباس و فى التبيان ايضا قيل نظمها عن الهدى فنردها على ادبارها فى ضلالها ذمًا لها بأنها لا تفلح ابدًا.

و فى مجمع البيان رواه ابو الجارود عن أبى جعفر يعنى الباقر (عليه السلام)

و قيل المراد جلاء الكثير منهم من الحجاز و ردهم الى اريحات و أذرعات و بلاد أسلافهم من الشام كما وقع ذلك بينى النصير و من لم يصلح فى حرب خبير إذ محيت آثار و جوههم من الرؤيه و الوجود فى الحجاز بجلالهم و ردهم على ادبارهم الى بلاد الشام و فى التبيان و هو أضعف الوجوه و فى مجمع البيان لأنه ترك للظاهر (أقول) و ترك الظاهر فيه اقل من القول الثانى إذ ليس فيه الا- التجوز فى الطمس بالاستعاره التى يقرب وجه الشبه فيها بخلاف الثانى و ترجيح الثانى بالروايه عن الباقر (عليه السلام) جيد لو سلمت الروايه عن ضعف الإرسال و غيره و عن المعارضه بالروايه الأخرى الراجحه عليها عن الباقر (عليه السلام) ايضا لدلالاتها على ان ألفاظ الآيه مستعمله فى معانيها الحقيقه

ففى تفسير البرهان عن النعمانى و عن اختصاص المفيد عن عمر ابن أبى المقدام عن جابر الجعفى عن الباقر (عليه السلام) فى حديث الخسف فى البيداء بجيش السفينانى و لا يفلت منهم الا ثلاثه نفر تحول و جوههم الى أفقيتهم و فيهم نزلت هذه الآيه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آلى قَوْلِهِ تَعَالَى مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا الرَّوَايَه.

و لعل

قوله (عليه السلام) و فيهم نزلت

انما هو باعتبار انطباق مضمونها عليهم و قال فى الكشاف و قيل أن الطمس منتظر و لا بد من طمس و مسح لليهود قبل يوم القيامة و قال الرازى فى الرابع من أجوبته و عندنا انه لا بد من طمس فى اليهود او مسح قبل يوم القيامة (١)

سوره النساء (٤): آيه ٤٨

إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا (٤٨)

٤٧ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ شَيْئًا غَيْرَهُ فِى الْإِلَهِيهِ وَ مَا لِلَّهِ تَعَالَى شَأْنُهُ مِنْ مَقَامِ الْإِلَهِيهِ وَ شُؤْنِهَا. فَمَنْ الشَّرْكَ الشَّائِعِ فِى الْعَصُورِ الْمَاضِيهِ وَ الْحَاضِرِهِ مَا يَزْعُمُونَهُ فِى بَعْضِ الْبَشَرِ مِنْ أَنَّهُ مَبْنُوقٌ وَ مَتَوْلَدٌ مِنَ اللَّهِ وَ أَنَّهُ ابْنُ اللَّهِ الْمَتَوْلَدِ مِنْ عِذْرَاءِ مِنَ النِّسَاءِ وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ ذَا أَقَانِيمٍ ثَلَاثَهُ الْأَبُ وَ الْإِبْنُ

١- لم يتم قدس سره تفسير بقيه هذه الآيه و مكانها بياض فى المسوده

و الروح القدس. و يجعلون لكل من الثلاثة آثارا خاصه فالابن كالأب اله له خواص الإلهيه لذاته و من القائلين بهذا فرق البراهمه و البوذيين و النصرى و يحكى عن البابليين و الآشوريين و غيرهم و من الشرك ما يحكى عن الوثنيين انهم جعلوا لكل نوع من المخلوقات إلهها و ربا يدبر امره فجعلوا للماء إلهها و للنار إلهها و للهواء إلهها و غير ذلك. أَرَبَابٌ مُتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.

و من ذلك التأليه لبعض القوى و السيارات بحيث جعلوا المجسمات الاصناميه تمثالا- و رمزا لعبادتها و هذا هو الأصل لعباده المجسمات الاصناميه و ان خفى على بعض المتوحشين من الوثنيين.

و كم جنى اتباع الفلسفه اليونانيه بشطحات المتفلسفين و المتصوفين بمزاعم العرفان و جر على الحقائق ويلات عبثت بتوحيد بعض الناس لله فى الإلهيه و شؤونها وردتهم على اعقابهم من حيث لا يشعرون. أو ليس من نحو ذلك خرافات المظاهر و ان الله سبحانه و تعالى لا يدرك من نحو ذاته بكل اعتبار الى غير ذلك من الكلمات و هلم الخطب فى مسأله العقول العشره و العقل الفعال فإنها لم تبق لله الواجب بالذات شيئا مما تمجد به فى القرآن الكريم من خلقه لكل مخلوق و علمه و ارادته و مشيئته و حكمته و اعماله بل جعلته لغيره من مخلوقاته. و راجع ما ذكره نصير الدين فى التجريد من الخلل فى مباني زعمهم و ما ذكره قدس سره فى فصول العقائد فى بطلان قولهم و استلزامه للمحال و قد كنا ذكرنا ما ذكره قدس سره فى آخر الجزء الثانى من الرحله المدرسيه فى الطبعة الأولى و لما اطعنا بعد ذلك على ما افاده فى فصول العقائد ذكرناه و شرحناه و أوضحناه فى الطبعة الثانيه و جرى التعبير بقوله تعالى أَنْ يُشْرَكَ بِهِ لِذلاله المضارع على الدوام اى لا يغفر للإنسان اشراكه الذى يدوم عليه الى الموت فإن مما اجمع عليه المسلمون بل عليه ضروره دينهم ان من اسلم بعد شركه غفر له شركه السابق و لك الشاهد الكريم الحميد من شأن الكبار من الصحابه الكرام و اتل قوله تعالى فى آخر سوره الفتح مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَ الَّذِينَ مَعَهُ الى قوله تعالى مَغْفِرَةٌ وَ أَجْرًا عَظِيمًا وَ قال جل اسمه فى سوره طه و انى لغفار لمن تاب و آمن و عمل صالحا ثم اهتدى. و غير ذلك من الآيات وَ يُعْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ممن يراه بحكمته و رحمته أهلا للغفران جزاء لما سعد به من اختياره للأعمال الصالحات العظيمة التى

تؤهله بكثرتها و كبير شأنها و عظيم اثرها فى الصلاح أن يغفر الله برحمته و حكمته له بعض سيئاته و ان لم يبادرها بالتوبه و مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فى إلهيته و شؤونها فَقَدْ افترى إِثْمًا عَظِيمًا الافتراء اختلاق الكذب اى الكذب المختلق اى كذب اختلاقا و لأن الافتراء إِثم و ذنب جرى ذكر المصدر الذى هو الافتراء بصفته اللازمه و هو الإثم و ذلك لزياده البيان لقبحه و وباله و «عظيما» صفة للمصدر و هو الافتراء و الإثم. و ذلك لأن كل من أشرنا اليه من اقسام المشركين يعترفون بالإلهيه و انه هو الإله الواجب الوجود و ان كل ما يجعلونه من الشركاء هم مخلوقون لله و يشاهدون فيهم لوازم الحدوث و نقص الإمكان و احتياجه و مع ذلك يخلقون له صفة الإلهيه بسفسطات مستحيله و مقدمات فاسده و تأويلات لا تروج الا فى سوق الأهواء و الأغراض الفاسده و قد أشرنا الى شىء من ذلك فى الجزء الأول ص ٣٥٦ و فى الصدر نفثات

سوره النساء (٤): آيه ٤٩

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَ لَا يُظَلِّمُونَ فَتِيلاً (٤٩)

٤٩ أَلَمْ تَرَ يَا رسول الله اى ألم يصل الى علمك و لذا عدت بكلمه «الى» كما تقدم و هذه كلمه تقال كثيرا فى مقام الإنكار على الغير و التنبيه على رداءه فعله إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ اى يزعمون ان أنفسهم زكيه باره اى يزكونها بالزعم و الدعوى.

فى مختصر البيان هم اليهود و النصارى فى قولهم نحن أبناء الله و احبائه و نسب غير ذلك الى القيل. و فى مجمع البيان قيل نزلت فى اليهود و النصارى حيث قالوا نحن أبناء الله و احبائه

و قالوا لن يدخل الجنه الا من كان هوذا او نصارى و هو المروى عن أبى جعفر يعنى الباقر (عليه السلام)

أقول و لم أجد للروايه أثرا و عليها فالتمسير بذلك لعله من باب الانطباق و بعض المصاديق.

و فى الدر المنثور ذكر من اخرج عن ابن عباس ما لا ينطبق على تزكيه النفس بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ و فى هذا الإضراب اشاره واضحه الدلاله و البيان باكتفاء بارع و أسلوب جميل و حاصل ذلك انهم كيف يزكون أنفسهم و يدعون ذلك لهم و لقومهم مع ان ما يعلم و يشاهد و يعرفونه فيما بينهم من ظواهر الأحوال و الأخلاق و الأهواء و الأعمال تعارضهم فى ذلك و كيف لهم بإثبات دعواهم فى أمورهم الخفيه و اعتقاداتهم السريه و الزكى النفس إنما هو من زكت اعماله و أخلاقه و اعتقاداته فى السر و العلانيه فأين أنتم من التزكيه و ادعائها لو أردتم

الصدق بل الله العالم بالحقائق والخفيات هو الذى يزكى من يشاء ان يخبر بتزكيتة من عباده الصالحين كما اخبر فى قرآنه المجيد بتزكيه أنبيائه و رسله و بعض أوليائه و وصفهم بالصلاح و الإحسان و لا يُظَلَّمُونَ اى هؤلاء الذين يزكون أنفسهم فتيلاً اى مقدار فتيل و هو مفعول ثانى ليظلمون كما تقول ظلمنى زيد مقدار فلس و الفتيل فى تفسير القمى القشر الذى على النواه و فى التبيان الذى فى شق النواه و كذا فى المصباح و كذا فى النهايه و فيها و قيل ما يفتل بين إصبعيك من الوسخ و فسر بهما و فى القاموس و ذكر فى الدر المنثور من أخرجه عن ابن عباس انه الذى فى شق النواه و انه استشهد له بقول النابغه الديانى

يجمع الجيش ذا الألوف و يغزو ثم لا يرزأ الأعدى فتيلاً

و قول الآخر

أعاذل بعض لومك لا تلحى فإن اللوم لا يغنى فتيلاً

و فى الدر المنثور عن ابن عباس ايضا من طرق ان الفتيل ما خرج من بين الإصبعين اى من الوسخ عند ما تدلك ما بينهما. و الغرض من ذكر الفتيل هو قلته و حقارته و المراد ان الله لا يظلم هؤلاء بهذا المقدار لو أحسنوا و لكن اين هذا من التزكية

سورة النساء (٤): الآيات ٥٠ الى ٥١

انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَ كَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا (٥٠) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَ الطَّاغُوتِ وَ يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٥١)

٥٠ انظر يا رسول الله كيف يفترون على الله الكذب فى شركهم و ما ينسبونه الى قدس الله جل و علا و ما شرعوه بأهوائهم و ما يزعمونه من انهم أبناء الله و احباؤه الى غير ذلك و كفى به اى بالكذب على الله إثماً مبيناً و موضحاً لجرأتهم على الله و محادثه و اقدمهم على المعاصى و الفعل القبيح ٥١ أ لم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب باعتبار ما بقى من انقراض الكتب الإلهيه التى ضيعها أسلافهم و بدلوها و حرفوها يؤمنون بالجبت و الطاغوت اما الجبت ففى مختلف روايات فى الدر المنثور انه الساحر او الأصنام او الشيطان او حى بنى اخطب و اقتصر فى مختصر التبيان على نقل الأقوال بنحو ما ذكر و على هذا التردد جرى فى القاموس و فى مجمع البيان فسر الجبت و الطاغوت بالصنمين اللذين كانا لقريش و فى الكشاف الجبت الأصنام و كل ما عبد من دون الله. هذا و اما الطاغوت فقد أشرنا فى الجزء الأول ص ٢٢٨ و ٢٢٩ الى معناه فى

موارد استعماله. و لا يخفى من القرآن الكريم ان معنى الجبت شبيهه بمعنى الطاغوت فى رجوعه الى الضلال و قد يسمى به الضال المضل و قد روى ان جماعه من اليهود مضوا الى مكه ليتألبوا مع مشركيها على حرب رسول الله فسجدوا لأصنامهم و قالوا ما حاصله أن مشركى مكه اهدى سبيلا من رسول الله و المؤمنين معه و الآيه الشريفه تدل على نحو هذا المعنى من دون تعيين للأشخاص فالتعيين على عهد الروايه و يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَشْرَارٌ أَمْ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ سِوَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِينَ آمَنُوا أَيْ رَسُولَ اللَّهِ وَأَصْحَابَهُ

سوره النساء (٤): الآيات ٥٢ الى ٥٣

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَ مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا (٥٢) أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا (٥٣)

سبيلاً ٥٢ أولئك أى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب المذكورين فى الآيه هم الذين لأجل تمردهم و محادثهم لله و رسوله و طغيانهم لعنه الله و طردهم عن رحمته و توفيقه و عذبهم بدل القتل و الجلاء و سلب الأموال مهما تألبوا و استنصروا و اعدوا العده و العديده و مَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ أى يلعنه الله فلن تجد له نصيراً و من ذا ينصر على الله من لعنه ٥٣ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا النقيير كما فى التبيان و الكشاف و القاموس و المصباح و غيرها هو النقطه التى فى ظهر النواه و «ام» هنا هى المنقطعه و هى التى لا تقع فى اللفظ معادله لهمزه استفهام قبلها و ان تضمنت فى الأكثر استفهاماً إنكارياً مع ترق و اضراب عن جملة قبلها تتضمن ابطال ما يشارك ما بعدها فى الإنكار به عليهم كقوله تعالى ألم تنزل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ و «اذن» هنا ملغاه عن العمل نحو قوله فى سوره الاسراء ٧٥ و إِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلافَكَ إِلَّا قَلِيلًا و قال بعض النحويين ان ذلك على سبيل الجواز فيما إذا وقعت اذن بعد الواو و الفاء و الظاهر اتفاقهم على ان نصبها المضارع مشروط بتصديرها كما فى المعنى و غيره و عبر ابن الحاجب عن هذا الشرط بأن لا يعتمد ما بعدها على ما قبلها و ذكر الرضى من امثله ذلك ان يكون ما بعدها جزاء للشرط الذى قبلها. أقول مراده الشرط الموجود فى الكلام و ينبغى ان يكون ما كان محذوفاً كما فى الآيه و دل عليه اجزاء الكلام من نحو فاء الجزاء او واو العطف على جزاء مقدر مع شرطه يدل عليهما سوق الكلام كما فى آيه الاسراء. هذا و ان اذن فى الأكثر تكون

جوابا و جزاء كما قال الشيخ الرضى و هو المعنى بقول سيويه اذن جزاء و حكاة فى المغنى عن سيويه بدون تقييد بالأكثر و قال الشيخ الرضى كما اطلق النحاء و لكن قيده بذلك الفراء محتجا بقولهم أحبك فتقول اذن أظنك صادقا و اختاره الشيخ الرضى و حجته قوله تعالى حكاية عن قول موسى لفرعون فَعَلْتَهَا إِذًا وَ أَنَا مِنَ الضَّالِّينَ - هذا و قد سبق فى الآيتين حال اليهود مع المشركين و ضلالهم و تألبهم و امانى غيهم و لعن الله لهم و ذلك يتضمن الإنكار عليهم فى حالهم النبى و محادثتهم لرسول الله و المؤمنين و فى أمانيتهم الخاسئة فى الانتصار عليهم فترقى القرآن عما سبق فى توبيخهم و انتقل بالإضراب الى الإنكار عليهم و توبيخهم بوجه آخر و هو ان غرورهم و غلواءهم فى الغى و المحادة هل لأن لهم نصيبا ذاتيا و حقا طيعيا فى ملك الله من حيث الدنيا و الزعامه الدينيه فيحتكرون ذلك عمن يشاءون فسفها لهم من اين يكون هذا الحق و يكفى فى بطلان ادعائهم لذلك ما يعرف من حالهم الخسيس فى الشيح و سنه الله فى عبادته و هو انهم ان كان لهم هذا النصيب و الحق فاذن لا يؤتون الناس من هذا الملك مقدار نقير فى الزنه و القيمه و لكن غيرهم من الناس قد نالوا اكثر منهم من مال الدنيا و رياضاتها و زعاماتها الروحانيه و ما ذاك الا لأن امر الملك بيد الله يؤتية من يشاء.

فيكون حاصل الآيه الكريمة هو الاضراب بالترقى فى توبيخ اليهود على ما ذكر قبلها من تألبهم مع الطواغيت من المشركين على عداوه رسول الله و المؤمنين و تزلفهم للمشركين بتفضيلهم على المؤمنين و الإنكار عليهم فيما تضمنه ضلالهم المذكور من أوهامهم تمنيتهم أن ينتصروا بالمشركين على رسول الله و المؤمنين

سوره النساء (٤): آيه ٥٤

أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا (٥٤)

٥٤ أم يحسدون الناس أى رسول الله باعتبار ما أوتى من الرساله و الوحي و سيطرتها و واجب الطاعه و كذا أمناء الله و رسوله على وحيه و دينه باعتبار مقامهم الرفيع فى ذلك و واجب الطاعه و بهذا الاعتبار ما جاء

فى الصحيح المستفيض عن الباقر و الصادق (عليه السلام) فى الآيه نحن المحسودون

كما احصى بعضه فى تفسير البرهان و

قال ابن حجر فى صواعقه أخرج ابن المغازلى عن الباقر (عليه السلام) نحن الناس

أى المحسودون و فى الدر المنثور أخرج ابن المنذر و الطبرانى من طريق عطا عن ابن عباس فى الآيه قال نحن الناس دون الناس على ما آتاهم الله من فضله كما أشرنا اليه فإن اليهود يحاولون بطغيانهم فى الضلال و توغلهم

فى دنائه الحسد أن يخلصوا كل نبوه و كل زعامه دينيه بقومهم لأنهم كما يزعمون أنهم شعب الله و ابنه البكر و أبناؤه و أحباؤه كل ذلك إعجابا بكونهم من بنى إسرائيل لأجل مكان يعقوب عند الله. إذن فأين هم عن ابراهيم خليل الله رجل التوحيد و بطله و داعيته و شيخ النبوه و دعوتها و ها هم العرب أولاد إسماعيل آل ابراهيم و كفى بذلك كرامه فى الحسب الكريم. إذن فلترغم آناهم فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب أى القرآن باعتبار انزاله على رسول الله سيد ولد ابراهيم و باعتبار استيداعه أمناء الوحي و كونهم عدل الكتاب فى هدى الأمه و احد الثقلين الذين لا يضل من تمسك بهما و هما كتاب الله و عتره الرسول أهل بيته اللذين لن يفترقا حتى يردا على رسول الله الحوض كما تقدم ذكر الحديث فى ذلك و تواتره فى الجزء الأول ص ٤٣ و الحكمة حكمه الرساله و حكمه الإمامه و آتيناها ملكاً عظيماً و هو سلطان الرساله و سيطره الدين و الشريعه و الطاعه المفروضه على العباد و يتبع ذلك زعامه الإمامه التى هى عهد الله لإبراهيم فى ذريته و

فى الصحيح المستفيض عن الباقر و الصادق (عليه السلام) كما فى الكافى و بصائر الدرجات و تفسير العياشى و أحصى بعضه فى تفسير البرهان ان الملك العظيم هى الطاعه المفروضه

و هو تفسير بالأثر الظاهر الجامع مما ذكرناه و فى الكافى و بصائر الدرجات عن الباقر (عليه السلام) روايه فى تفسير الآيه و اللتين قبلها ما يفضى بخلاف ما قلناه و يمكن تنزيل الروايه على ما ذكرناه و الله العالم

سوره النساء (٤): الآيات ٥٥ الى ٥٦

فَمِنْهُمْ مَّنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَ كَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا (٥٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّيهِمْ نَارًا كَلَّمًا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا (٥٦)

٥٥ فَمِنْهُمْ أى من آل ابراهيم و قيل من اليهود و الأول أقرب و أنسب من آمن به أى بالملك العظيم بدخولهم فى الإسلام و مِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ تستعمل صد قاصره بمعنى أعرض أى صرف نظره و وجهه عن الشىء المرئى له فىكون المعنى انهم أعرضوا عن الإيمان بهذا الملك العظيم بعد ما قامت به الحجة الواضحه و كان لهم كالمراى بالعيان فويل للذين لعنهم الله و يحسدون الناس على ما آتاهم و الذين يصدون عن سلطان الإسلام و ملكه العظيم و كفى بِجَهَنَّمَ فى عذابهم سَعِيرًا بمعنى مسعور يستوى فيه المذكر و المؤنث يقال سعر النار و أسعرها إذا أوقدها بل الذى يفهم من موارد الاستعمال هو إيقادها بشده و شده اتقادها ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

بِآيَاتِنَا فَكْفَرُوا بِالرَّسُولِ الْأَكْرَمِ وَالْكِتَابِ الْكَرِيمِ سَوْفَ نُصِيبُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارًا مَسْعُورَةً يَصْلُونَهَا كُلَّمَا نَفِثَتْ جُلُودُهُمْ بِسَعِيرِهَا يَدْلُئُونَهَا جُلُودًا غَيْرَهَا فِي الصُّورَةِ بِأَنْ تَعُودَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تِلْكَ الْجُلُودِ النَّاصِجَةِ كَالَّتِي لَمْ تَنْضِجْ لِيُقَى فِيهَا حَسَبُهَا فَيُدْومُ بِذَلِكَ عَذَابُهُمْ

فعن أمالي الشيخ مسندا و في كتاب الاحتجاج عن الصادق (عليه السلام) انه سئل عن ذلك فقال هي هي و هي غيرها

و ضرب لهم المثل باللبنه إذا كسرتها حتى صارت ترابا ثم صببت عليها الماء و جبلتها لبنه على هيأتها فهي هي في المادة و إنما حدث التغيير و المغايره في الصورة. أقول و هذا هو المنطبق على حكمه المعاد الجسماني (١) و ان الله يحيى العظام و هي رميم و من ذلك قوله تعالى في سورة الأسراء انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا و قالوا أ إذا كنا عظاما و رفاتا أ إنما لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة (٢) و هو الوجه للرازي و جزم به ابو السعود ليذوقوا العذاب الدائم إن الله كان و لا يزال عزيزا في حكمه حكيمًا في أعماله

سورة النساء (٤): آية ٥٧

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدِي لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَ سَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا (٥٧)

٥٧ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

ص: ١٤٣

١- و قد أشرنا الى شىء من ذلك في الجزء الثالث من المدرسه السياره ص ١٢١ حتى ١٢٣ فى الطبعه الأولى و الثانيه
٢- و لكن صاحب المنار نسب هذا المروى للمتكلمين و قال انه سفسطه ظاهره. وليته ابان الوجه فى كونها سفسطه ظاهره و قد اختار هو ان يكون ذلك من مقتضى العاده فى الدنيا فى ان الجلد إذا لفحته النار و فسدت نبت تحته جلد آخر يخلفه كما جرى ديدنه فى تفسيره من إبائه لخوارق العاده بقدره و تنزيل ما جاء من ذلك فى القرآن على السنه الكونيه و النظام الطبيعى كما أشرنا الى بعضه فى بعض تعليقاتنا فى هذا التفسير على كلامه و لكنه لماذا لا يلتفت ان امر القيامة و بقاء الأجسام فى تلك النار العظيمه المهوله دهورا و أحقابا انما هو خرق لما هو العاده و السنه الكونيه فى الحياه الدنيا و اما ما يراه من نبت الجلد فى الدنيا تحت الجلد المحترق فإنما هو من تقدير الله للنمو بالتغذى إذا لم يمنع ما قدر الله منعه كدوام النار عليه و من اين يكون لأهل جهنم و السعير ذلك النمو المقدر فى الدنيا و الحال انهم فى جهنم «ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن و لا يغنى من جوع» بل جعل الجوع زياده فى العقاب لا لأجل التغذى و النمو فأين قياسه و كيف يقيس

الصَّالِحَاتِ سَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَيْدَاءُ قَدِ مَرَّ فِي مَتَفَرِّقَاتِ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ تَفْسِيرَ ذَلِكَ فِي جَمَلِهِ وَ
مَفْرَدَاتِهِ لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ

فِي الْفَقِيهِ عَنِ الصَّادِقِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) اللَّاتِي لَا يَحْصَنُ وَلَا يَحْدِثُنْ

وَ الظَّاهِرُ أَنَّهُ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) ذَكَرَ الْكَبِيرَ الْقَذَارَاتِ الْمَلَاذِمَةَ لِنَوْعِ النِّسَاءِ وَ مَقْتَضَى إِطْلَاقَ التَّطْهِيرِ لِهِنَّ أَنَّهُنَّ مِيرَاتٍ مِنْ كُلِّ نَجَاسَةٍ وَ
خَبْثٍ وَ قَذَارَةٍ فِي الْخَلْقِ وَ الْأَخْلَاقِ إِلَى هُنَا وَقَفَ بِرَاعَةِ الشَّرِيفِ وَ لَمْ يَمُهَلْهُ الْأَجَلُ «قَدَهُ» لِاتِّمَامِ هَذَا السَّفَرِ الْجَلِيلِ وَ قَدْ أَحَبَّ
تَعْجِيلًا- لِلْخَيْرِ ذَكَرَ الْآيَةَ السَّادِسَةَ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ لِمُنَاسَبَتِهِ ذَكَرَ آيَةَ التَّيْمِمِ الْمَارِ ذَكَرَهَا قَرِيبًا فِي سُورَةِ النِّسَاءِ فَقَالَ طَابَ ثَرَاهُ وَ
حَيْثُ أَنَّ الْآيَةَ السَّادِسَةَ مِنْ سُورَةِ الْمَائِدَةِ لَهَا مِشَارَكَةٌ مَعَ آيَةِ التَّيْمِمِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْكَامِ آثَرْنَا أَنَّ نَتَعَرَّضُ لِتَفْسِيرِهَا فِي هَذَا الْمَقَامِ
قِيَامًا بِحَقِّ الْمُنَاسَبَةِ وَ مَا نَحَاوَلُهُ مِنَ الْإِخْتِصَارِ وَ تَعْجِيلًا لِلْخَيْرِ وَ مِنَ اللَّهِ التَّوْفِيقُ وَ التَّسْهِيدُ.

فَلَا يَخْفَى أَنَّهُ يَعْرِفُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ الْجَنْبَ لَا يَقْرَبُ الصَّلَاةَ حَتَّى يَغْتَسِلَ وَ أَنَّ ذَلِكَ الْإِغْتِسَالُ هُوَ طَهَارَةُ الْجَنْبِ لِاسْتِبَاحَةِ الصَّلَاةِ كَمَا
يُؤَكِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى فِي آيَةِ الْمَائِدَةِ وَ إِنَّ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا كَمَا يَعْرِفُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ الْمَجِيءَ مِنَ الْغَائِطِ لَهُ قِسْمٌ مِنَ الطَّهَارَةِ الْمَائِيَّةِ
مُقَابِلَ طَهَارَةِ الْجَنْبِ وَ عِنْدَ فَقْدِ الْمَاءِ يَتَيَمَّمُ وَ قَدْ أَشْرْنَا أَنَّ الْمَجِيءَ مِنَ الْغَائِطِ كُنَايَةٌ عَمَّا يَعْضُرُ لِلذَّاهِبِ إِلَى الْغَائِطِ مِنْ خُرُوجِ
الْبَوْلِ أَوْ الْعَذْرَةِ أَوْ الرِّيحِ ذَاتِ الصَّوْتِ أَوْ غَيْرِهَا وَ لَا يَبْعُدُ أَنَّ ذَلِكَ مَعْلُومٌ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مِنَ السَّنَنِ الشَّرِيفَةِ مِنْ أَوَّلِ تَشْرِيعِ الصَّلَاةِ
وَ جَاءَتِ الْآيَةُ مُؤَكِّدَةً لِتَشْرِيعِهِ عَلَى وَجْهِ الْإِشَارَةِ لِحِفْظِ تِلْكَ الْمَشْرُوعِيَّةِ وَ حِجَّتْهَا بِمَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ مِنْ حِفْظِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَعْمَ لَا
يَفْهَمُ مِنَ الْآيَةِ وَجُوبَ الطَّهَارَةِ لِلْقِيَامِ مِنَ النَّوْمِ فَقَالَ جَلَّ اسْمُهُ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ تَأْكِيدًا لِحِفْظِ شَرْعِيَّةِ الْوُضُوءِ وَ صَوْرَتِهِ الْوَاجِبَةِ فِي
سُورَةِ الْمَائِدَةِ الَّتِي دَلَّ الْحَدِيثُ الْمَتَّفِقُ عَلَيْهِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهَا آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ وَ أَنَّ أَحْكَامَهَا مُحْكَمَةٌ لَمْ يَعْتَرِهَا نَسْخٌ وَ
تَغْيِيرٌ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا رُءُوسَكُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فِي التَّهَيُّؤِ لَهَا. وَ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ الْقِيَامِ الَّذِي هُوَ مِنْ
أَفْعَالِ الصَّلَاةِ فَإِنَّهُ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ كَالسُّجُودِ لِلصَّلَاةِ لَا قِيَامٌ إِلَى الصَّلَاةِ وَ لِلرَّازِي فِي الْمَقَامِ فِي الْمَسْأَلَةِ الْأُولَى كَلَامٌ غَيْرُ

روى الشيخ فى التهذيب فى الصحيح عن عبد الله بن بكير (١)

قلت لابي عبد الله يعنى الصادق (عليه السلام) قوله تعالى إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ مَا يعنى بذلك قال (عليه السلام) إِذَا قُمْتُمْ مِنَ النُّومِ قلت ينقض النوم الوضوء قال نعم الحديث.

و فى قلائد الدرر للجزائرى و تفسير البرهان و فى تفسير العياشى عن بكير بن أعين عن أبى جعفر يعنى الباقر (عليه السلام) فى قول الله جل و علا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ قلت ما عنى بها قال من النوم

و روى مالك فى الموطأ عن زيد بن اسلم (٢) ان تفسير هذه الآيه إِذَا قُمْتُمْ مِنَ المَضَاجِعِ يعنى النوم و فى الدر المنثور اخرج مالك و الشافعى و عبد بن حميد و ابن جرير و ابن المنذر عن زيد بن اسلم و النحاس و ذكر مثله. و اخرج ابن جرير عن السدى مثله فَأَعْسَلُوا وُجُوهَكُمْ اطلاق الغسل يقضى بجريانه على العاده فى الغسل بالماء و يوضحه قوله تعالى فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَاءً و على النحو الذى لا- يؤتى به لازاله و سخر تحتاج الى ذلك و كثره إفاضته للماء لأجل كثرته و استيلائه على الوجه بل يكفى فيه ما يحصل به غسل النقى عن الوسخ و الحاجب للماء عن البشره و العاده فى مثله تقتضى انه باليد الواحده و هى اليمنى و هى المعده للأعمال مضافا الى انها المطلوبه فى الشرع للأعمال المحترمه و لا يكون الغسل للوجه بكلتا اليدين فى العاده الا فى مقام الحاجه الى افاضه الكثير لأمر هو فوق مسمى الغسل كإزاله الخضاب مثلا او التراب الكثير او الطين و نجو ذلك مضافا الى ان العاده فى الوضوء هو استعمال اليد اليسرى بإفراغ الماء من الإناء فى اليمنى إذا فلا حاجه و لا مداخلة لليسرى فى الغسل. كما ان المعتاد عليه فى غسل الوجه ان يكون من أعلاه الى أسفله بالإطلاق بحسب دليل الحكمة فى الطبيعه المهمله انما يجرى فى الافراد العاديه التى تتسابق بصدق الطبيعه الى الذهن فيقال حينئذ لو أراد المتكلم افرادا خاصه من هذه لحصرها بالتقييد و أما الافراد الخارجه عن الغالب و المعتاد فلا تسبق الى الذهن مع الغالب و المعتاد فلا يسرى دليل الحكمة بالإطلاق إليها بل يقال حينئذ لو أرادها المتكلم لنص على ارادتهاب)

ص: ١٤٥

١- الظاهر الاتفاق على انه ثقه و ان كان فطحيا و عن الكشى انه ممن أجمعت العصابه على تصحيح ما يصح عنه و أقروا له بالفقه

٢- زيد ابن اسلم تابعى من الخماسه ثقه و النحاس ثقه فاضل من صغار العاشره. و السدى إسماعيل بن عبد الرحمن صدوق بهم و رمى بالتشيع من الرابعه و إسماعيل بن محمد الفزارى نسيب السدى الأول او ابن بنته او أخته صدوق يخطى و رمى بالرفض من العاشره. و محمد بن مروان بن عبد الله بن إسماعيل السدى كوفى متهم بالكذب من الثامنه (ق)

بما يمثلها للذهن بالاستقلال او مع الافراد الغالبه المعتاده. هذا و ان تعلق الغسل باسم الوجه يقضى بأن يغسل جميع ما يسمى وجها كما تقدم فى صحيحه زواره عن الباقر (عليه السلام) و المرجع فى بيان مسمى العرف العام و من لم يغسله كله لم يتحقق منه غسل الوجه فلا يتحقق منه امتثال الأمر به و من المعلوم الوجه من جانب الطول هو من قصاص شعر الناصيه فى مستوى الخلقه دون الأنزع و الأغم الى آخر الذقن و

فى صحيح الكافى و الفقيه و التهذيب عن زواره قلت لابي جعفر الباقر (عليه السلام) اخبرنى عن حد الوجه الذى ينبغى ان يوضأ الذى قال الله عز و جل فقال (عليه السلام) الوجه الذى قال الله عز و جل و أمر الله عز و جل بغسله الذى لا ينبغى لأحد ان يزيد عليه و لا- ينقص منه الذى ان زاد عليه لم يؤجر (1) و ان نقص منه اثم ما دارت عليه الوسطى و الإبهام من قصاص شعر الرأس الى الذقن و ما جرت عليه الإصبعان مستديرا فهو من الوجه فقال له الصدغ (2) من الوجه فقال لا (انتهى)

و المراد من الوجه ما يواجه بالرؤيه و ان كان شعر اللحيه و الشارب و أَيْدِيكُمْ و هى اسم للعضو المعروف و تشملها الى الكتف و لا يدخل فى مسماها الشعر فلا يكفى غسله عن غسل البشره إِلَى المرفقِ المرفق هو مجمع عظمى الذراع و العضد و جرت الآيه على المعتاد و المتعارف من ان الذى يغسل من اليد ما كان من ناحيه الأصابع و الكف و الذراع فإنه المعرض لما يحتاج الى الغسل دون ما كان من ناحيه الكتف الى المرفق فلا- اطلاق فى الآيه و لا- إجمال و لا- إبهام كما ان العاده فى غسل الذراع خصوصا من الغبار و الأوساخ بل و للتبريد ان يغسل من الأعلى متدرجا الى الأنامل فيجرى الإطلاق عليه كما تقدم فى تعيين المغسول فى اليد الى المرافق مع ان النكس فى تمام غسل اليد مما يحتاج الى صعوبه كما نرى ان العمل عليه لا يقع غالبا الا مبعضا و ربما يجرى على هذا ما

فى الدر المنثور مما أخرجه الدارقطنى و البيهقى فى سننهما عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله إذا توضأ أدار الماء على مرفقيه.

و ما أخرجه احمد و مسلم عن عمرو بن عتبة عن النبى صلى الله عليه و آله فى حديثه و إذا غسل وجهه كما امره الله إلا خرت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ثم غسل يديه الى المرفقين إلا خرت خطايا يديه من أطراف أنامله مع الماء (الحديث)

و هو يوضح ان منتهى مجرى الغسل و مجرى الماء هى أطراف اللحيه و الأنامل أقول و حاصل المقام ان كلمه اليكر

ص: ١٤٦

١- هذا فى صوره عدم التشريع و اما مع التشريع يأثم

٢- الصدغ بضم الصاد و هو منبت الشعر ما بين مؤخر العين و اصل الاذن فى الانثى و الذكر

ليس لتحديد الغسل و بيان انتهائه الى المرفق بعد ابتدائه من أول اليد بل إنما هي لتحديد المغسول كما تقول اغسل ثوبك الى جيبه و اخضب كفك الى مفصل الزند و اصقل السيف الى ضبته و نحو ذلك و على هذا اجماع الإماميه و حديثهم نعم يحكى عن بعضهم جواز النكس تشبثا بإطلاق الغسل كما فى الامثله المذكوره و لكن ما ذكرنا من العاده و الغالب فى غسل هذا المقدار من اليد يمنع الإطلاق عن النظر الى غير الغالب المعتاد مضافا الى

صحيحه بكير و أخيه زراره المرويه فى الكافى و التهذيبين فى حكاية الباقر (عليه السلام) لوضوء رسول الله صلى الله عليه و آله و فيها فغسل يده اليمنى من المرفق الى الأصابع لا- يرد الماء الى المرفق ثم غمس كفه اليمنى فى الماء فاغترف بها من الماء فأفرغه على يده اليسرى من المرفق الى الكف لا يرد الماء الى المرفق كما صنع فى اليمنى ثم مسح رأسه و قدميه الى الكعبين بفضل كفيه لم يجدد ماء

و فى روايه الكافى فغسل بها ذراعه من المرفق الى الكف لا يرد الماء الى المرفق و المراد الى ناحيه الكف و نحوهما فى الصراحه روايه الكافى فى الحسن كالصحيح عن زراره عن الباقر (عليه السلام)

و جاء لفظ المرافق باعتبار صورته الخطاب بالجمع يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كما يقال اغسلوا أيديكم الى مرافقكم و ان كان لكل مكلف مرفقان و يصح ان يقال الى المرفقين باعتبار النظر الى ان خطاب الجماعه بالتكليف ينحل فى الحقيقه الى خطابات متعدده بتعدد المخاطبين المكلفين فيذكر المرفقان باعتبار كل مكلف و لم يسمع فى فصيح الكلام و صحيحه حل جمع الايدي الى افرادها فيقال و أيديكم الى المرفق باعتبار اليد الواحده الا ان يقال فاغسلوا وجوهكم و أيديكم كل يد الى المرفق و امسحوا أرجلكم كل واحد الى العقب و السر فى ذلك ان غير الجموع الخطايه لا علاقه لها يحلها الى المفردات الا ان يشار الى المفرد بقولك كل واحد او كل يد او كل رجل ثم تحكم على المفرد بحكمه فلا تقول و لم تسمع قسمت الدراهم الى نصفين مثلا و ان تريد قسمه كل درهم الى نصفين بل لا بد لك ان تقول قسمت الدراهم كل درهم الى نصفين لأن الحكم يجره سوق الكلام الى الجمع و امسحوا برؤوسكم قد بينا سابقا من مكان الباء التى هى للآله ان المسح بالرأس يكون ببعضه كما كان المسح فى التيمم بالوجه ببعضه و قد سبقت الحججه من الباقر (عليه السلام) على ان المسح يكون ببعض الرأس

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريرات الكمبيوترية
اصبهان
الغمامية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

